جامعة القدّيس يوسف
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
معهـــد الآداب الشرقيّـــة
بيـــروت

المقامة بين الأَدَب العَربي والأَدَب الفارِسي: الحَريري والحَمِيدي خُصوصاً

أطروحة دكتوراه في الآداب (اللغة العربيّة وآدابها)

أعدّتها

فرح نازعلي صفدر "رفعت جو"

وأشرف عليها

البروفسور أميف سنّو

٢٠١٠

الإهـــداء

إلى روح أمي الطاهرة، التي ترافقني حتى بعد مماتها.

إلى زوجي الغالي جمال جابر، الذي وقف بجانبي وصبر عليّ طوال كتابة البحث هذا.

إلى بعضي وبضعتي، إلى ابنتي فاطمة، فاطمة التي تنمو فيّ حلماً قابلاً لاستمرار حياتي فيها بعد انتهاء كلّ شيء، إليكِ يا حبيبتي، لقد كنتِ معي في كلّ حرفٍ كتبته، وفي كلّ لفظةٍ وضعتها على حرف، لقد كنتِ فرح "فرح".

المقدّمــة

صوّر الأدب في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي المجتمع والحيـاة الاجتماعيّـة فـي مجالات شتّى نظماً ونثراً. ثمّ تطوّر الأدب في تلك الحقبة تطوّراً ملموساً، وألّف الكتّاب نصوصاً أدبيّة مزيّنة بالمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة، وبالغوا في اعتمادها. ولمّا ظهر فنّ المقامة في الأدب العربـيّ، أوجدت فيه شكلاً جديداً ونماذج عالية من الأدب تمثّلت في **مقامات** بديع الزمان الهمـذاني ثـمّ فـي **مقامات** الحَريري لاحقاً.

والأدب الفارسي، قديماً وحديثاً، زاخر بالكنوز الأدبيّة لا سيّما حين اتّـصل الكتّـاب الفـرس بالعرب، وسمعوا قصصهم وأحاديثهم، وتعرّفوا على أساليبهم؛ فأخذوا في محاكاتها ونقلوها إلى اللغـة الفارسية. كان النثر مقتصراً على كتابة الفصول الأدبيّة والرسائل؛ فلمّا ظهرت المقامـات، المحتويـة على قصص قصيرة بأسلوب مسجّع منمّق، انصرف الكتّاب الفرس إلى كتابة النثر القصصيّ، ومنهـا فنّ المقامة عند الحَميدي الّذي صوّر فيه الحياة الاجتماعيّة في عصره.

ولمّا ذاعت كتابة المقامات في الأدب العربي، قلّدها الأدباء شرقاً وغرباً، ولفتت نظر الأدبـاء الفرس أيضاً، وأولعوا بالصناعة اللفظيّة ولعاً شديداً، ونسجوا على منـوال بـديع الزمـان الهمـذاني والحَريري، فقلّدوهما أسلوباً ونظماً وموضوعاً، كما فعل الحَميدي وهو من أشهر الكتّاب الفرس فـي القرن السادس الهجـريّ/ الثاني عشر الميلادي. أصبح فنّ المقامة فنّاً خاصّاً مشتركاً بيـن اللغتَـيْن العربيّة والفارسيـة، لأنّ "كلّ إبداع واختراع في الأدب العربيّ كان له صدىً في الأدب الفارسي"[(١)].

ولا يمكن حصر الثقافة الإنسانيّة والحضارة البشريّة في دائرتي الزمان والمكـان، وإنّ أيّـة محاولة للحصر أو التحجيم لهما ستكون عاقبتها الفشل أو الانغلاق على الذات، وهو أمر لا يتّفق مـع شموليّة الثقافة وعالميّة الحضارة. فعلم الأدب من أهمّ الميادين الرحبة الّتـي تتلاقـى فيهـا الثقافـات الإنسانيّة لما يمتاز به من شفافية ورهافة حسٍ تُقرّب ما بين بني الإنسان ولو كانت لغاتهم المفـصحة عن مكنون ضمائرهم متباينة.

ولعلّ من أهمّ مظاهـر التلاقي الثقافي فـي الآداب الإنسانيّة، ذلك التلاقي الحاصل بين الأدب العربي والأدب الفارسـي، إذ من المعروف تاريخيّاً أنّ الفرس بعد دخولهم في الإسلام، وانتشار اللغة العربيّة في بلادهم، إثـر الفتح العـربي في القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي أقبل علماؤهم على تعلّم اللغة العربيّة ودراستها بحماسةٍ، فأضحت اللغة العربيّة هي لغة الكتابة والعلم والأدب على الصعيد الرسمي، بينما ظلّت اللغـة الفارسيّة – البهلويّة بخاصّةٍ – هي لغة التخاطب والمحاورات اليوميّة على

---

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسي، ٣٢٧/٢.

الصعيد الشعبي، وذلك طَوال قرنَين من الزمن أي القرنين الأوّل والثاني الهجريين / السابع والثامن الميلاديين.

ومع أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أخذت الفارسيّة تظهر مُجَدَّداً في عالم الأدب ، لكن بعدما حصل فيها شيء من التغيير جعلها تختلف في قليل أو كثير عن اللغة الفارسيّة البهلويّة، وذلك بسبب اتصالها باللغة العربيّة وتفاعلها معها، فضلاً عن أنّ كتابة الفارسيّة بالحروف العربيّة جَعَلَتْ من اللغتَين نسيجاً أدبيّاً متناسقاً في الشكل الكتابي وفي أخذ اللغة الفارسيّة كثيراً من المفردات العربيّة، بسبب التأثير القرآني والشرعي في اللغة الفارسيّة بعد انتشار الإسلام في بلاد فارس.

ولم يقتصر دور اللغة الفارسيّة على التأثّر فحسب، بل إنّها هي أيضاً أثّرت في اللغة العربيّة، فدخل الكثير من المصطلحات الفارسيّة السياسيّة والاجتماعيّة والحِكْمِيّة والعلميّة والحضاريّة إلى اللغة العربيّة؛ وبهذا أخذت كلّ لغة من شقيقتها ما هي بحاجة إليه ؛ فكثرت ألفاظ الحضارة الفارسيّة في اللغة العربيّة بينما كثرت الألفاظ الدينيّة في اللغة الفارسيّة.

ولا يخفى ما لهذا التفاعل الوثيق من آثار جيّدة وفعّالة في تطوير الدراسات الأدبيّة المقارنة بحيث تكون أكثر شموليّة وأكثر عالميّة فنخرج من نطاق الأدب المحلّي إلى ميدان الأدب الإنساني العالمي.

وتعدّ دراسة الأدب المقارن بين اللغتَين العربيّة والفارسيّة خطوةً بارزةً أمام الباحثين لتفتح أبواباً يُطِلّون منها على ما أنتجه الأدباء العرب والفرس من أعمال ومآثر فنّيّة مبدعة.

ولا يفوتنا الإلماع إلى أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة[1] قد جعلت اللغة العربيّة لغةً موائمةً للّغة الفارسيّة لأنّها لغة القرآن والتراث الإسلامي المشترك بين العرب والإيرانيين. ولهذا أقبل الكثير من الطلاّب الإيرانيين على دراسة اللغة العربيّة دراسةً اختصاصيّةً في سبيل إثراء المعرفة وتنامي التّواصل الثقافي العربي الإيراني.

عنوان الموضوع وتحديده

بناء على ما تقدّم اخترت المَقامة باعتبارها موضوعاً مشتركاً بين الأدبَيْن العَربي والفارِسي: الحَريري والحَميدي خُصوصاً، موضوعاً لأطروحة الدكتوراه في الآداب (اللغة العربيّة وآدابها). وأريد من خلال هذه الدراسة المقارنة بين **مقامات** أبي محّمد الحَريري الّذي عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريّيَن/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان يُعدّ من أشهر أدباء

---

(١) أسّسها الإمام الخميني (١٤٠٩/١٩٨٩) عالم وزعيم ديني شيعي. وفي سنة ١٣٥٧هـ.ش/١٩٧٩م صوّت ٩٨% من الناس للجمهوريّة الإسلاميّة، فأعلن زوال النظام الملكي، وأختير المرجع الأعلى لإيران.

العربيّة في عصره وأقدرهم امتلاكاً لناصية اللغة وأفانين البيان، و**مقامات** أبي بكر الحَميدي الّذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان في طليعة الأدباء الفرس الّذين أغنَوا الأدب الفارسي بتوشيح فنّ المقامات حتّى عُدّ الأوّل في هذا الفنّ وجعُلت بدايته ونهايته إليه. هذا مع أنّ الباحثين يرى أنّ فنّ المقامة لم يقتصر على الحَميدي وحده، حيث يعتقد أنّ كتاب **گلستان** لسعدي الشيرازي هو نوع من المقامات.

لهذا يتطلّب تحديد الموضوع الّذي نحن بصدده أن نبيّن نوعاً من أنواع الأدب الكثيرة وهو المقامة في الأدبَيْن العربي والفارسي وكيف تمّ التلاقي والتلاقُح بين هذين الأدبين من خلال فنّ المقامة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

وغنيّ عن البيان أنّ من طبيعة الدراسة المقارنة للآداب أن تكون المقارنة في غالب الأحيان بين لغتَين مختلفتين سواءٌ أكانتا متقاربتَين أم متباعدتَين، لتحديد مواطن التلاقي الثقافي بين الأدبَين، بملاحظة ظاهرة التأثّر والتأثير، أو التميُّز والاستقلال، أو التقليد والاتّباع من خلال هذا اللون الأدبي المميّز.

وإذا كان بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨/ ١٠٠٧) هو أوّل من أنشأ المقامات في تاريخ الأدب العربي وأدار حولها رحى الألفاظ والتراكيب مع توشيتها بأنواع البيان والبديع والمحسّنات اللفظيّة، فإنّ أبا محمد الحَريري (٥١٦ / ١١٢٢) يُعدّ أوّل من جعل من المقامة فنّاً متكاملاً في الأدب العربي، وهو وإن قلّد الهمذاني في الشكل فقد انفرد عنه بأسلوبه الخاصّ الّذي يختلف في مناحٍ كثيرة عن أسلوب بديع الزمان الهمذاني مع أنّه تعمّد كالهمذاني إظهار مقدرته اللغويّة والأدبيّة والتاريخيّة والفقهيّة، فضلاً عن أنّه تطرّق لأنواع من البديع لم يتطرّق لها الهمذاني، كالأحاجي والألغاز، وما يُقرأ طرداً وعكساً، وما هو مهمل بلا نقط وغير ذلك.

لم يعرف الأدب الفارسي هذا النوع من النثر الأدبي إلاّ متأخّراً ولم يشتهر من الفرس في هذا المجال سوى قاضي القضاة أبي بكر عمر بن محمود الملقّب بحميد الدين المحمودي البلخي المعروف بالحَميدي المتوفّى سنة ١١٦٣/٥٥٩ .

وذكر عماد الدين الأصفهاني في كتابه **خريدة القصر وجريدة أهل العصر** سبب تأليف الحميدي **لمقاماته** فقال:" سأله بعض الأكابر الخراسانيّة أن يصنّف بالفارسيّة مقامات على وزن الحريري، فصنّف كتاباً مليحاً، بديعاً في فنّه فصيحاً. أتى فيه بكل صنعة غريبة، وبدعة عجيبة، ونوع متشاكل، وسجع متقابل "[١].

---

[١] عماد الدين الإصفهاني، **الخريدة**، ١/١١٠ – ١١١.

وذكر المؤرّخ ابن الأثير في كتابه **الكامل في التاريخ** في حوادث سنة ١١٦٣/٥٥٩ ما يأتي: "وفيها توفّي القاضي أبو بكر المحمودي، صاحب التصانيف والأشعار، وله المقامات بالفارسيّة على نمط **مقامات** الحريري بالعربيّة"[١].

الإشكاليّة أو الباعث على اختيار الموضوع

إنّ ما بعثني أساساً على اختيار موضوع المقارنة بين الأدَبَيْنِ العرَبي والفارِسي من خلال فنّ المَقامة عموماً والحَريري والحَميدي خُصوصاً، هو إضاءة جوانب من التواصل والتفاعل الأدبي بين العرب والفرس في محاولة لبعث روح التفاعل إذ نحن بأمسّ الحاجة إلى مثل هذا التواصل المعرفي من خلال الأدب وروحه لدى العرب والإيرانيين.

ولا شكَّ في أنّنا في هذا الطريق نُشيد بجهودٍ سابقةٍ لا سيَّما جهود علماء الاستشراق من فرنسيّين وألمان وروس وإنكليز تجاه التراث الثقافيّ العربيّ والفارسيّ إذ إنّ لهم فضل التقدّم والسبق، وما علينا إلاّ أن نصل الماضي بالحاضر لاستشراف مستقبل واعدٍ وزاهرٍ.

ومعلوم أنّ الثقافة الإنسانيّة تتجاوز الحدود القوميّة والإقليميّة، لتتفاعل مع غيرها من الثقافات المحيطة بها أو المجاورة لها بقصد التراكم المعرفي واستيعاب النشاط الثقافي والتراث الحضاري.

ثمّ إنّ الآداب الإنسانيّة نشاط ثقافي بارز في كلّ أمّة من الأمم، ومع ما قد يمتاز به أدب إنساني عن أدب إنساني آخر لكثير من الأسباب الّتي يتشكّل من مجموعها صورة هذا الأدب أو ذاك ومميّزاته وخصائصه وعلاماته ومقاصده وأغراضه وطرائقه، فإنّ دراسته لا تكون بمعزل عن دراسة الآداب الأخرى، لا سيّما تلك الّتي اتّصل بعضها ببعض لغويّاً أو جغرافيّاً أو تاريخيّاً أو أدبيّاً.

إنّ تاريخ الأدب في كلّ أمّة ليس إلاّ تاريخ الفكر والجهود الذهنيّة الّتي بذلتها تلك الأمّة في نطاق الجهود الفكريّة الإنسانيّة، ولا يكتمل درس تاريخ الفكر والنشاط العقلي في أمّة من الأمم كان لها دورها في ميدان العلم والحضارة، إلاّ بدراسة العلاقات الحضاريّة والثقافيّة الّتي تربط هذه الأمّة بتلك الّتي شاركتها في هذا الميدان.

ومن الواضح، عند الكثير من الباحثين، أنّ بين الأدب العربي والأدب الفارِسي صلات قويّة في الأنواع والتقاسيم، ويجعل ذلك من موضوع الدراسة الأدبيّة المقارنة بينهما مادّة مفيدة وشائقة لكلّ باحثٍ ودارسٍ ومحبٍّ للأدب والمعرفة.

وأمّا البواعث على اختيار فنّ المَقامة من بين الفنون الأدبيّة المقارنة بين الأدَبَيْن العَربي والفارِسي، فهي على الشكل التالي:

---

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ٣١٤/١١.

– إنّ موضوع بحث المقامة في الأدب الفارسي من الموضوعات الّتي لم تعالج حتّى الآن بشكل موسّع ومسهب، ويدعونا ذلك إلى التساؤل: كيف نشأت المقامة وتطوّرت في الأدب الفارسي؟ وهل لذلك علاقة بنشأة المقامة وتطوّرها في الأدب العربي ؟

– نرغب في تسليط الضوء على مقام المقامة في الأدبين، وعلى الأسباب الكامنة وراء انحسار فنّ المقامة وانحصاره في الأدب الفارسي، الأمر الّذي قد يشير لدى بعض الباحثين إلى عدم رغبة الفرس بلغة المقامة وفنّها ، مع ملاحظة انتشار فنّ المقامة في الأدب العربي وصولاً إلى مطلع القرن العشرين الميلادي، بينما لم ينتشر في الأدب الفارسي، حتّى قيل: "إنّ محاولة القاضي حميد الدين هي الأولى والأخيرة"[(١)].

– وإذا كان الأمر على ما ذكره الكثير ممّن ترجم لكلّ من الحَريري والحَميدي في شأن محاكاة المتأخّر للمتقدّم في مقاماته وتقليده له ومشايعته إيّاه، مع العلم أنّ الهمذاني هو أوّل من اخترع فنّ المقامة وهو فارسيّ الأصل، إلاّ أنّه كتب مقاماته باللغة العربيّة، فإنّ الحَميدي هو أوّل من كتب المقامات باللغة الفارسيّة على نمط الحَريري؛ فجعلني ذلك أعتبر أنّ المقارنة بينهما على وجه الخُصوص شيء جديد وجدير بالدراسة .

وتُطرح في هذا المجال بعض التساؤلات : ما هـي أبـرز ميـزات المقامة لدى الحَريري والحَميدي بشكل خاصّ: مضموناً، وشخصيّات، وغرضاً، ولغةً؟ وما مدى تأثّر الحَميدي بالحَريري في مقاماته؟

– ومن جانب آخر فإنّ المقامة تُعدّ من أهمّ الأغراض النثريّة الّتي تحثّ على الفضائل الإنسانيّة عبر خطابات مليئة بالتقوى والوعظ والإرشاد، في قالب من الأقصوصة الهادفة والمركّزة وهي ذات أثر تربويّ وترشيديّ لا يخفى مساس حاجة المجتمع إليه.

إنّ كلّ تلك البواعث والأسباب دفعتني إلى أن أتناول موضوع المقامة في الأدب العربي والأدب الفارسي عموماً، وإلى تناول الحَريري والحَميدي خُصوصاً بالدراسة والمقارنة لاستجلاء معالم هذا الفنّ بين الأدبيْن المذكورَين ومدى التأثّر والتأثير بين كلّ من الحَريري والحَميدي، لعلّي أُضيف شيئاً جديداً إلى المكتبة الأدبيّة.

منهج البحث

تقدّم أنّ هذه الدراسة تدخل في مجال الأدب المقارن، وهو مجال رحب وواسع المدى لا سيّما في الأدبيَين العربي والفارسي.

---

(١) أمين عبد المجيد بدوي، **القصّة في الأدب الفارسي**، ص ٣٦٥.

وسأعتمد في بحثي منهجين: المنهج الأوّل هو المنهج الخارجي التاريخي، وذلك في دراسة نشأة المقامة وتطوّرها، ومعالجة نشاط الرجلَين في عصريهما. لذا أتناول ما للحَريري وما للحَميدي من خصائص وميزات، وذلك عن طريق دراسة حياة الأديبين وما فيها من تشابه أو تمايز في النواحي النفسيّة والاجتماعيّة والأدبيّة.

وأمّا المنهج الثاني فهو المنهج الداخلي في تحليل نصوص المقامات استناداً إلى مستوياتها اللغويّة. واتّباعاً لهذا المنهج يجب أن أدرس، **مقامات** الحَريري و**مقامات** الحَميدي لاستجلاء ما فيها من المضامين والموضوعات الاجتماعيّة والأساليب والفنون الأدبيّة مع إبراز الأهداف والأغراض النثريّة، دراسةً تحليلية نقديّة يتّضح فيها معيار الإبداع من جهة ومسار التقليد والاتّباع من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس، فإنّ المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج التحليل والمقارنة والنقد حيث يستدعي الشأن ذلك، لتكون هذه الدراسة أقرب إلى الموضوعيّة العلميّة مجرّدة من الأحكام المسبقة، وهو أمر ذو أهميّة بارزة في أيّة دراسة مقارنة تهدف إلى بلوغ الحقيقة من غير ميل أو هوى أو تعصّب.

الخطوط الكبرى

تجيء الأقسام الكبرى لهذا البحث في ثلاثة أبواب رئيسة، وأمّا الباب الأوّل الّذي نقسّمه إلى ثلاثة فصولٍ، فهو يحتوي تاريخ فنّ المقامة في الأدبَين العربي والفارسي من خلال نشأة المقامات، وتطوّرها، وتحديد مسألة انتشارها في الأدَب العربي وانحصارها في الأدَب الفارسي، مع دراسة وافية لحياة كلّ من الأديبَين الحَريري والحَميدي، وكذلك دراسة مقامات أشهر روّاد المقامات منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتّى العصر الحديث.

نخصّص الباب الثاني بمضامين **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونقسّمه إلى أربعة فصول نعالج فيها عناصر بناء المقامة وشخصيّاتها وأغراضها وموضوعاتها عند كلّ من الحَريري والحَميدي. ونقوم بالمقارنة بينهما، لنعرف مدى تأثّر الحَميدي بالحَريري خاصّةً.

وأمّا الباب الثالث والأخير فهو يشمل أربعة فصول، نعالج فيه أشكال فنّ المقامة لجهة البناء الموسيقي والإيقاعي ثمّ البناء الصرفي والتركيبي والبناء اللفظي والبناء البلاغي عند الحَريري والحَميدي. ونقوم بالمقارنة للوصول إلى مدى تأثير الحَريري في الحَميدي.

وهكذا نكون سنبدأ بالدراسة الخارجيّة التاريخيّة، فنضع الأمور في نصابها تلافياً لأيّ خطأ لاحقٍ في دراسة النصوص وتفسيرها؛ ثمّ ننصرف إلى الدراسة الداخليّة التحليليّة، فنركّز على شؤون المضمون، قبل أن نتوسّع في المقوّمات الشكليّة للمقامات. ولا يخفى أنّ الفصل بين المضمون والشكل إنّما يجيء هنا لضرورات الدراسة عرضاً وتحليلاً، لأنّه لا مضمون بلا شكلٍ، ولا شكل بلا مضمون.

وأمّا الصعوبات الّتي واجهتُها خلال إنجاز هذا البحث، فهي: عدم الحصول على الكتب الفارسيّة المتعلّقة بالمقامات الفارسيّة في مكتبات لبنان، فاضطُررتُ إلى السفر إلى إيران لمدّة ستّة أشهر. كما واجهتُ صعوبةً في ترجمة نصّ مقامات الحَميدي إلى العربيّة[1] بسبب أسلوب الحَميدي السهل الممتنع من جهةٍ، واستعمال ألفاظه الخاصّة من جهةٍ أخرى.

وأخيراً عانيتُ كثيراً في الحصول على الكتب الإنكليزيّة في مكتبات لبنان وإيران، فاضطُررتُ إلى أن أستفيد من الكتب الفرنسيّة، وذلك بعد مساعدة أحد أساتذة اللغة الفرنسيّة في ترجمة النصوص الفرنسيّة المذكورة في البحث.

ويلزمني واجب الوفاء أن أتقدّم بخالص شكري وتقديري لأستاذي الجليل البروفسور أهيف سِنّو، الّذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، وأن أعرب عن بالغ فخري واعتزازي بتتلمذي لديه، ونهلي من معين أدبه وعلمه.

ولا يسعني إلاّ أنّ أشكر الأساتذة المشاركين في تقويم هذا البحث الّذين زوّدوني بملاحظاتهم القيّمة، وتوجيهاتهم الرشيدة، وأخصّ منهم الأستاذة الدكتورة هبة شبارو – سنّو، والأستاذ الدكتور وحيد بِهْمردي، والأستاذ الدكتور سُهيل سليمان.

كما أرفع شكري وتقديري إلى وزارة العلوم الإيرانيّة الّتي وفّرت لي هذه الفرصة بإعطائها إيّاي منحة دراسيّة. وأقدّم شكري أيضاً إلى معهد الآداب الشرقيّة في جامعة القديس يوسف، مديراً وأساتذةً وموظّفين؛ وإلى أصحاب المكتبات، لا سيّما مكتبة كليّة الإمام الأوزاعي.

وأخيراً لا بدّ لي من تقديم الشكر الجزيل لشريك حياتي، جمال جابر، لمساعيه الجمّة لتوفير راحتي من أجل العلم والدراسة عامّةً، وإنجاز هذا البحث خاصّةً.

وآمل أن تكون هذه الدراسة لبنةً صغيرةً في الصرح الشامخ للأدبَيْن العربي والفارسي، كما أتمنّى أن تتوالى أنماط هذه الدراسات المقارنة بين الأدبَيْن العَربي والفارِسي، فتعزّز أواصر التلاقي بين الشعوب العربيّة والشعوب الفارِسيّة على مائدة الأدب وميدان الثقافة المشتركة.

واعترف بأنّي لم أكتب إلاّ لمحةً خاطفةً، ونظرةً طائرةً. والله وليّ الهدى والتيسير.

فرخ ناز علي صفدر "رفعت جو"

بيروت، تمّوز، ٢٠٠٩

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ مقامات الحَميدي غير مترجمة إلى اللغة العربيّة وكذلك إلى اللغات الأخرى، فترجمة الشواهد الواردة في الأطروحة هي ترجمتي.

تقويم المصادر والمراجع الأساسيّة

لقد استعنتُ في هذا البحث بالكثير من المصادر والمراجع العربيّة والفارسيّة، فأتناول هنا تقويم أهمّ هذه المصادر والمراجع من خلال تقسيمها إلى قسمَين: القسم الأوّل هو المصادر والمراجع العربيّة، والقسم الثاني هو المصادر والمراجع الفارِسيّة (لقد اعتمدت تسَلسُلَها بحسب تواريخ وفيات أصحابها).

أوّلاً: المصادر والمراجع العربيّة

أ- المصادر العربيّة

١- القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي(٣٥٦ / ٩٦٦)، **الأمالي**

يتضمّن هذا الكتاب أحاديث الأدباء القدماء، والحكماء، والعلماء، وأشعار الشعراء، وكلام العرب ووصاياها، والخطب الوعظيّة، وأمثال العرب، وتفسير الآيات القرآنيّة، وما إلى ذلك. وأفادني في ذكر أحاديث ابن دريد.

٢- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل،(٣٨٢ / ٩٩٢)، **جمهرة الأمثال**

جمع أبو هلال العسكري الأمثال العربيّة في كتابه **جمهرة الأمثال**، وقام بشرحها وتفسيرها، وكشف أغراضها وأخبارها. وأفادني في شرح الأمثال المذكورة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

٣- الهمذاني، بديع الزمان(٣٩٨ / ١٠٠٧)، **المقامات**

بديع الزمان هو صاحب **الرسائل والمقامات**، وقد قالوا إنّه أنشأ من المقامات زهاء أربعمائة مقامة، ولكن لم يظفر الناس منها اليوم بغير عدد قليل ينيف على الخمسين. والحَريري نسج **مقاماته** على منوالها واحتذى حذوه واعترف في خطبته بفضله.

ومن خلال قراءة **مقامات** الهمذاني تبيّن لي أنّ الامتزاج بين العناصر الفارِسيّة والعربيّة ذو أثر كبير في تشكيل ألفاظ المقامات في العصر العبّاسيّ، إذ إنّ بديع الزمان كان له ارتباط وثيق بقضايا مجتمعه، ولغة عصره السائدة. لأنّ **مقاماته** خير مثال على النثر البارع، استفدت منها في مجالات شتّى، منها: المقارنة بينها وبين **أحاديث** ابن دريد، والصلة بينهما؛ دراسة **كيفيّة** اتّباع الحَميدي في المقامة الثانية والعشرين: في السكباج، نمط بديع الزمان، لأنّها كانت على أسلوب المقامة المَضيريّة للهمذاني، أو بعبارة أخرى تعدّ المقامة السكباجيّة للحميدي صورةً طبق الأصل للمقامة المَضيريّة للهمذاني.

٤- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النيسابوري(٤٢٩ / ١٠٣٧)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**

جمع هذا الكتاب الكثير من غُرَر شعراء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وصدر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي: ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقُضاتهم، من بلاد مختلفة.

ويعدّ الكتاب هذا أوفى المراجع الأدبيّة لمن يريد أن يدرس الشعر العربي، والحالة الاجتماعيّة والسياسيّة من طريق النتاج الأدبي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وصدْر من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ووجدتُ فيه ترجمةً كاملةً لحياة بديع الزمان الهمذاني، وآثاره ووفاته.

٥- الحُصري، إبراهيم بن علي القيرواني(٤٥٣ / ١٠٦١)، **زهر الآداب وثمر الألباب**

جمع الحُصري كلَّ غريبةٍ في كتابه هذا، واعتنى عنايةً خاصّةً بالكلام على الصحابة والتابعين، وأخبارهم، وكذلك على البلغاء، والشعراء، والمنشئين. وأشار إلى الحَريري و**مقاماته** وسبب تأليف كتابه. لذلك اعتمدتُ على هذا الكتاب بشكل أساسيّ في الحديث عن الحَريري و**مقاماته**.

٦- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن(٤٥٦ / ١٠٦٣)، **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**

لقد أفدتُ من كتاب العُمدة في تعريف الفنون البلاغيّة المختلفة، الّتي عُرفت في تلك العصور. ويقوم منهج ابن رشيق في تأليف كتابه على تعريف الفنّ البديعي، ثمّ يَشفعه بالشواهد والأمثلة، من منظوم الكلام ومنثوره. واعتمدتُ عليه عند دراستي الوجوه البلاغيّة في **مقامات** الحَريري في الباب الثالث.

٧- الجرجاني، عبد القاهر(٤٧٤ / ١٠٨١)، **أسرار البلاغة**

إنّ الجرجاني واضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها، وفاتح مغلق أبوابها، وموضّح مشكلاتها. واعتمدت على كتابه في شرح الوجوه البلاغيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

٨- الحَريري، القاسم بن عليّ بن محمّد(٥١٦ / ١١٢٢)، **المقامات**

الحَريري صاحب **المقامات** المشهورة، له تصانيف تشهد بفضله و**مقاماته** هي خمسون مقامة في ضروب مختلفة من الآداب. ووافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق كتاباً مثلهُ، فإنّه جمع بين الجودة والبلاغة، واتّسعت له الألفاظ. وعلى الجملة **فمقاماته** معجم حافل بكثير من المفردات. وبما أن موضوع بحثي المقارنة بين **مقامات** الحَريريّ والحَميدي، فلا بُدّ من المقارنة مع ضرورة الإشارة إلى الجوانب الكثيرة المتعلّقة **بمقامات** الحَريريّ، ومنها: أهمّ الوجوه البلاغيّة لا سيّما في فنّ البديع كالسجع والجناس وسائر المحسّنات، فضلاً عن النحو وضروب الاشتقاق وإلخ.

٩- ابن بسّام، علي الشنتريني(٥٤٢ / ١١٤٧)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**

ربّما يكون هذا الكتاب من الناحية الأدبيّة أهمّ كتاب صوّر مستوى الأدب والشعر الأندلسيّين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. أفدت منه في الحديث عن مقامات أشهر كتّاب المقامات الأندلسيّين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كابن شُهيد، وابن شَرَف القيرواني، والقُرطبي، إذ إنّني لم أحصل على مقاماتهم.

١٠- عماد الدين، الأصفهاني(٥٩٧ / ١٢٠٧)، **خريدة القصر وجريدة العصر**

ذكر عماد الدين الأصفهاني في كتابه **خريدة القصر وجريدة العصر** تراجم كبار العلماء، والأدباء العرب، والفرس، وآثارهم. وخصّ قسماً بذكر محاسن شعراء الشام، وباباً بذكر فضلاء أهل خراسان وما يجاورها من بلاد ما وراء النهر. وأشار إلى القاضي حميد الدين حميد البلخي المعروف بالحَميدي وكتب عنه. وأفدتُ من هذا الكتاب من القسم الأول: في ذكر فضلاء أهل خراسان فيمّا يتعلّق بحياة الحَميدي وميزاته ونشاطاته و**مقاماته**.

١١- ياقوت الحموي، أبو عبد الله(٦٢٦ / ١٢٢٨)، **معجم البلدان**

يحتوي هذا الكتاب أسماء البلدان والمدن والجبال والأنهار والبحار والأوديّة. وأفادني في معرفة البلاد والمدن المذكورة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

١٢- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي(٦٤٦ / ١٢٤٨)، **إنباهُ الرُّواة على أنباه النّحاة**

هذا الكتاب معجم شامل لتراجم مشايخ علمي النحو واللغة، ممن تصدّر لإفادتهما تصنيفاً وتدريساً ورواية. ويتضمّن تراجم كثيرة للفقهاء والقرّاء والأدباء والشعراء والكتّاب والمؤرّخين والمتصوّفين. وأفدت منه في دراستي في القسم المتعلّق بتراجم حياة كبار الأدباء أمثال الحَريري والهمذاني والحَميدي وغيرهم.

١٣- ابن خلّكان، شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر(٦٨١ / ١٢٨٢)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**

لقد وجدتُ في هذا الكتاب ترجمةً كاملةً للحَريري حياةً وآثاراً ووفاةً. وأفدت منه في تراجم كثير من العلماء والأدباء، وكتّاب المقامات أيضاً.

١٤- ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرّم الإفريقي المصري(٧١١ / ١٣١١)، **لسان العرب**

يُعدّ هذا الكتاب من المعاجم اللغويّة المهمّة الّتي رجعتُ إليها غيرَ مرّةٍ، واستعنتُ به على توضيح المادّة اللغويّة الهائلة، الّتي حشدها الحَريري في مقاماته. ووجدتُ فيه تفسيراً للغريب من الكلام الّذي تَعَمَّده الحَريري.

١٥- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك(٧٦٤ / ١٣٦٢)، **جنان الجناس في علم البديع**

إنّ هذا الكتاب في علم البديع، يتناول لوناً واحداً من ألوان المحسّنات البديعيّة بالدراسة والتحليل ويستقصي المؤلّف أنواع الجناس، مستشهداً لكلّ نوع بالآيات والأحاديث النبويّة والأشعار، وما جاء على ألسنة الفصحاء والبلغاء. ونراه أحياناً يخترع لبعض أنواع الجناس أسماء من عنده. واستفدتُ من هذا الكتاب في تعريف الجناس وأنواعه عند الحَريري خاصّةً والحَميدي عامّةً.

١٦- الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب(٨١١ / ١٤٠٨)، **القاموس المحيط**

يُعتبر هذا المعجم اللغويّ من أهمّ معاجم اللغة العربيّة في عصرنا ويحتوي ستّين ألف مادّةٍ، على الرغم من أنّه أصغر حجماً من **لسان العرب** لابن منظور الّذي يحتوي ثمانين ألف مادّةٍ، إلاّ أنّ **القاموس المحيط** مكثّف المادّة جدّاً وذلك لأنّه شرح معاني الكلمات من دون الإتيان بالشواهد الشعريّة والأمثال. فاعتمدتُ عليه كثيراً في شرح المفردات الصعبة في المقامات.

١٧- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(٨٧٤ / ١٤٦٩)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**

إنّ هذا الكتاب زاخر بذكر ما استُحدِث في تاريخ مصر منذ فتحها سنة ٢٠/٦٤٠ إلى سنة ٨٦٥/١٤٦٠. وكتب المؤلّف حوادث كلّ سنة وذكر فيها أهمّ الأحداث الّتي جَرَتْ في مصر وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي، مع ذكر مَنْ توفّي في هذه السنة من الفقهاء والعلماء والأدباء والأعيان. وأفدتُ من هذا الكتاب في تراجم كثير من الأدباء والعلماء والفقهاء.

١٨- البغدادي، عبد القادر بن عمر(١٠٩٣ / ١٦٨٢)، **خزانة الأدب**

يعدّ هذا الكتاب من أعلى الموسوعات في علوم العربيّة وآدابها، وهو مملوء بالنصوص النادرة، وأمثال العرب، وبيان معانيها وأصولها، وأخبار العرب وذكر أيّامها في الجاهليّة والإسلام، وغير ذلك. وأفادني في تراجم أعلام الأشخاص.

١٩- العجلوني، إسماعيل بن محمّد(١١٦٢ / ١٧٤٨)، **كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**

جمع كثيرٌ من العلماء الأحاديث النبويّة، ومنهم العجلوني، الّذي جمع الأحاديث النبويّة في كتاب، وقد ضَمَّ بين طرفَيه زُهاء ثلاثة آلاف ومائتي حديث، ورتّبه على الحروف ليكون كمعجم يرجع إليه في ذلك. لذلك اعتمدتُ عليه في استخراج الأحاديث النبويّة، لا سيّما الأحاديث الّتي لم أجدها في الكتب المشهورة **كصحيح البخاري**، أو **سنن ابن ماجه** وغير ذلك.

٢٠- الخوانساري، الميرزا محمّد باقر الموسوي الأصبهاني (١٣١٣ / ١٨٩٥)، **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**

يُعدّ كتاب روضات الجنّات موسوعةً لجميع المعارف، وينبوعاً يغترف منه كلّ باحث عن أحوال العلماء لأنّ مؤلّفه لا يدع أحداً من الأعلام والمشاهير بل مَن له أدنى شهرة عند طائفة إلاّ ضبطه وأتى بترجمته. لذا كان نافعاً لبحثي، ومرجعاً لي لمعرفة تراجم العلماء والأدباء.

٢١- الزركلي، خير الدين (١٣٩٦ / ١٩٧٦)، **الأعلام:** قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

يتضمّن هذا الكتاب التعريف بالبارزين في العصور العربيّة السابقة، وترجمة المعاصرين، وإيراد المعلومات الرئيسة وذات الدلالة في حياتهم، ممّا جعل الكتاب في مجموعه مرجعاً ذا أهميّة. واستفدتُ منه في ترجمة كثير من أعلام الأشخاص، في **مقامات** الحَريري والحَميدي خاصّةً، وفي مباحث مختلفة عامّةً.

ب- المراجع العربية

١- أنيس(إبراهيم)، **موسيقى الشعر**

نهج صاحبه في تأليفه منهجاً علميّاً مؤسّساً على الدراسة الحديثة للأصوات اللغويّة. واعتمدت عليه في اكتشاف أسرار النسيج الصوتي في المقامات.

٢- سركيس، يوسف إليان(١٣٥١ / ١٩٣٢)، **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة**

يحتوي هذا المعجم أسماء جميع الكتب والأسفار العربيّة والمعربّة الّتي طُبِعت. واستفدت منه في تبيّن هذه الكتب، وتراجم بعض أصحابها.

٣- الشريشي، أبو العبّاس(٦١٩ / ١٢٢١)، **شرح مقامات الحَريري**

وجدتُ في هذا الكتاب شرحاً وافياً على **مقامات** الحَريري، إذ بيّن فيه صاحبه معاني ما غَمُضَ من مفردات المقامات وتراكيبها واصطلاحاتها الخاصّة، وأشار إلى مُراد الحَريري من بعض التراكيب أيضاً. واعتمدت عليه في دراسة **مقامات** الحَريري، وما فيها من غرائب الألفاظ وعجائبها.

٤- ضيف(شوقي)، **المقامة**

أشار شوقي ضيف في هذا الكتاب إلى فنّ المقامة وخطواته الأولى والأخيرة، وأشهر روّاد المقامات مثل الهمذاني، والحَريري، وناصيف اليازجي، وكذلك إلى مقاماتهم وأسلوبهم. وأفدت من كتابه في الحديث عن نشأة المقامة في الأدب العربي، أي تعريف المقامة في الاصطلاح خاصّةً.

٥- عبد الدايم(صابر)، **موسيقى الشعر العربي**

جمع صاحب هذا الكتاب بين القيم الصوتيّة في النصّ الشعري الموسيقى الشعريّة الداخليّة والخارجيّة. وقد درس أهميّة الموسيقى وأثرها في النفس الإنسانيّة. ورصد ظاهرة الثبات في موسيقى البحور الشعريّة. وأفدت منه في دراسة الأوزان الشعريّة المعتمدة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

٦- عوض(يوسف نور)، **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**

لقد أفادني هذا الكتابُ في معرفة مدى انتشار فنّ المقامات في المشرق والمغرب، منذ أن أنشأه بديع الزمان الهمذاني حتّى يومنا هذا. ويبيّن لنا هذا الكتاب مدى تأثُر اللاحقين ببديع الزمان و**مقاماته**،

لا سيّما **مقامات** الحَريري.

٧- فرّوخ(عمر)، **تاريخ الأدب العربي**

يحوي هذا الكتاب بضعَ مئاتٍ من تراجم الشعراء، والخطباء والكُتّاب والأدباء، بالإضافة إلى المقدّمات في نِطاق الأعصر السياسيّة وخصائص الأعصر الأدبيّة. وكان ذا قيمةٍ في بحثي إذ إنّني أفدتُ منه في الحديث عن كتّاب المقامات ومقاماتهم أحياناً في العصور المختلفة.

٨- القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمّد بن قاضي القضاة سعد(٧٣٩ / ١٣٣٨)، **الإيضاح في علوم البلاغة**

يمتاز هذا الكتاب بعدّة ميزات ظاهرة، منها: أنّه أوفَى كتاب في بحوث البلاغة، وكثير التعمّق والاستنباط لأسرار البلاغة العربيّة. وفي الحقيقة، جاء هذا الكتاب بمنزلة الشرح لكتاب آخر للمؤلّف نفسه باسم **تلخيص المفتاح**. وقد اعتمدتُ عليه في تعريف الوجوه البلاغيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

٩- مبارك(زكي)، **النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري**

إنّ هذا الكتاب أوّل كتاب صُنّف في النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ويُخبرنا عن تطوّر النثر الفنّي من عصر النبوّة إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وخصائص النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لا سيّما **أحاديث** ابن دريد و**مقامات** بديع الزمان الهمذاني. واعتمدتُ عليه في الحديث عن النثر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتطوّره، وكذلك **مقامات** بديع الزمان الهمذاني.

ثانياً: المصادر الفارِسيّة

١- النظامي العروضي السمرقندي، أحمد بن عمر بن علي(٥٥٢ / ١١٥٧)، **چهار مقاله**

إنّ كتاب **چهار مقاله أي المقالات الأربعة** المعروف بمجمع النوادر من أهمّ الكتب الأدبيّة وأقدمها في الأدب الفارِسي، لأنّه ألّف حوالي سنة ٥٥٠ / ١١٥٥. ويشتمل كثيراً من الموضوعات التاريخيّة وتراجم مشاهير الشعراء والأدباء، ومنهم الحَميدي. وتكمن أهميّته بخُصوص بحثنا في كونه أوّل من وثّق نسبة كتاب **المقامات** للحَميدي، لا سيّما معاصرته له.

٢- الحَميدي، عمر بن محمود(٥٥٩ / ١١٦٣)، **مقامات**

كان الحَميدي من أفاضل الأدباء والشعراء والكتّاب، فقيهاً في العلوم الدينيّة أيضاً. له تأليفات كثيرة، ولكنّ أشهرها **المقامات**. ذكر المترجمون له أنّه لم يبقَ من مؤلّفاته شيء إلاّ **مقاماته** التي ألّفها في سنة ٥٥١ / ١١٥٦. وقد كتبها على أسلوب المقامات العربيّة. وهو يدّعي في مقدّمتها أنّه أوّل من

كتب المقامات باللغة الفارسيّة، ولم يكتب أحد المقامات بالفارسيّة قبله.

ومنذ تأليف المقامات ذاع صيته في إيران، ولفت آراء الأدباء الفرس إليه، واعتبروه من الكنوز القيّمة في الأدب الفارسي. ويُعَدّ هذا الكتاب من حيث أسلوبه صعباً، وفريداً في نوعه. ولا يَخفى أنّه أحد طَرَفَي المقارنة.

٣- سعدي الشيرازي، مشرف الدين بن مصلح الدين(٦٩٠ / ١٢٩١)، **گلستان**

يُعتبر كتاب **گلستان** أجود ما كتب في النثر الفارسي. وتنتظم فيه القصص والأمثلة والحكم والنصائح الأخلاقيّة والاجتماعيّة في عبارات لطيفة متينة حتّى يمكننا أن نقول إنّ **گلستان** شعر منثور، أو نثر مجرّد من الزوائد والحشو. والأدباء الفرس يعتبرون مؤلّفه سعدي الشيرازي الرائد الثاني للمقامات الفارسيّة. لذلك اعتمدتُ على هذا الكتاب في الحديث عن المقامات الفارسيّة، والمقارنة بينه وبين **مقامات** الحَميدي خاصّةً، والمقامات الأخرى عامّةً.

٤- هدايت، رضا قليخان(القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)، **مجمع الفصحا**

يشمل هذا الكتاب ترجمة كبار الشعراء الفرس، وأشعارهم. ويعدّ من أهمّ المراجع في الأدب الفارسي. وأفدت منه في تراجم الشعراء الفرس في البحث.

٥- بهار، محمّد تقي(١٣٣٠هـ.ش)، **سبك شناسي أو تاريخ تطور نثر فارسي**

مؤلّفه محمّد تقي بهار الملّقب بملك الشعراء من كبار الأدباء والشعراء. كتب هذا الكتاب في ثلاثة مجلّدات، وجمع فيه خلاصة البحث والتتبّع والتدريس في الأدب الفارسيّ لمدّة ثلاثين سنة، وهو الأوّل والفريد في نوعه، وأصبح مصدر جميع الدراسات والبحوث الّتي صنّفت فيما بعد. وخصصّ المؤلّف عشرين صفحة من المجلّد الثاني لدراسة المقامات عند الفرس والمقامات عند العرب، **ومقامات** الحَميدي والحَريري أيضاً. ويعتبر كلامه على المقامات مع إيجازه من أهمّ المراجع حول المقامات عموماً، وأسلوبها خصوصاً. وأُفدت منه فيما يتعلّق **بمقامات** الحَميدي، وتعريف المقامة لغةً واصطلاحاً في الأدب الفارسي.

٦- دهخدا، علي أكبر(١٣٧٥ هـ.ش)، **لغت نامه**

يعدّ هذا الكتاب دائرة معارف، ومن أهمّ الكتب في اللغة الفارسيّة وأكبرها، لأنّه معجم لغويّ وجغرافيّ وتاريخيّ. وأفدتُ منه في تراجم الشعراء، والكتّاب الكبار في الأدب الفارسي، لا سيّما كتّاب المقامات الفارسيّة، وكذلك في معنى الألفاظ الصعبة.

٧- صفا(ذبيح الله)، **تاريخ أدبيّات درايران**

يعدّ هذا الكتاب أوفى عمل تاريخي بين مصنّفات الفرس، وأكمل ما قام به المؤرّخون قبله.

وأشار المؤلّف في كتابه هذا إلى الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والعلميّة والأدبية منذ صدر الإسلام حتّى العصر الحديث، وقد أشار إلى الأدباء الكبـار وأصـحاب المقامـات الفارسـيّة. واعتمدتُ على هذا الكتاب في الحديث عن تاريخ الأدب في إيران في القرن السادس الهجري/ الثـاني عشر الميلادي، وكذلك **مقامات** الحَميدي وسائر كتّاب المقامات الفارِسيّة.

كان عرض وتقويم بصورة موجزة جدّاً لأهمّ المصادر والمراجع الّتي أفدت منها في جوانـب متعدّدة من هذا البحث. أمّا بالنسبة إلى المصادر والمراجع الأخرى، فسنشير إلى مواطن الإفادة من كلّ مصدر أو مرجع في حواشي البحث المتعدّدة. وكان الهدف من هذا التقويم هو بيان أهميّة تلك المصادر والمراجع بالنسبة إلى موضوع البحث، مع بيان قيمة المصدر العلميّة.

الباب الأوّل

المقامة في الأدبين العربي والفارِسي تعريفاً وتأريخاً

الفصل الأوّل – المقامة في الأدبين العربي والفارِسي تعريفاً ونشأةً

الفصل الثاني – المقامة في الأدبَين العربي والفارِسي حتّى نهاية القرن الثاني عشر / الثامن عشر

الفصل الثالث– المقامة في الأدبَين العربي والفارِسي في العصر الحديث (القرن الثالث عشر / التاسع عشر – القرن الرابع عشر / العِشرين)

تعقيب – انتشار المقامة في الأدب العربي وانحسارها في الأدب الفارِسي

الفصل الأوّل

المقامة في الأدبَيْن العربي والفارسي تعريفاً ونشأةً

يتناول هذا الفصل مبحثَيْن؛ يدرس المبحث الأوّل معنى المقامة لغةً واصطلاحاً في اللغتين العربيّة والفارسيّة، ثمَّ يتناول المبحث الثاني نشأة المقامة وبواعثها وأشهر روّادها – في مرحلة نشأتها – وفي الأدبَيْن العربي والفارسي. ونحاول أن نبيّن تعريفاً لغويّاً واصطلاحيّاً للمقامة في اللغتَين العربيّة والفارسيّة، وكيفيّة استعمالها في النصوص العربيّة والفارسيّة نثراً ونظماً. كما نحاول أن نشير إلى كيفيّة ظهور المقامة، وكذلك أسباب ظهورها في الأدبَيْن العربي والفارسي، ونلقي نظرةً على حياة أشهر روّاد المقامة في الأدبَيْن العربي والفارسي.

أوّلاً – تعريف المقامة في الأدبَيْن العربي والفارسي

قبل أن ندخل في **مقامات** الحَريري والحَميدي، مُفيدٌ أن ندرس معنى المقامة اللغوي والاصطلاحي في اللغتين العربيّة والفارسيّة، وأثناء هذه المحاولة نرجعُ إلى القرآن، والمعاجم العربيّة والفارسيّة وما كتبه الأدباء والشعراء العرب والفرس عن كلمة المقامة.

أ- معنى المقامة اللغوي

نبدأ باللغة العربيّة، ثمّ ننتقل إلى اللغة الفارسيّة.

١- في اللغة العربيّة

كلمة المَقامة بفتح الميم أو بضمّها من "قامَ يقومُ قوماً وقياماً وقوْمة وقامة"[١]، كلمة عربيّة لها بضعة معانٍ.

وردت كلمة مَقام بفتح الميم وضمّ الميم في القرآن مرّات كثيرة، إمّا مصدراً بمعنى القيام، وإمّا اسم مكان بمعنى الموضع الّذي يقام فيه، بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾[٢] أي قيامه، و ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٣] أي الموضع الّذي قام عليه عند بناء البيت.

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مج ١٢، ص ٤٩٦، باب الميم، فصل القاف.

(٢) **النازعات**، ٧٩/٤٠.

(٣) **البقرة**، ٢/١٢٥.

واستعملت كلمة المُقامة بضمّ الميم في القرآن مرّة واحدة بمعنى مكان الإقامة، بقــوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[(١)].

إنّ أقدم معاني المقامة يرجع إلى العصر الجاهليّ؛ وذلك أنّنا نجد المعنى اللغويّ لهذه الكلمة في الآثار المنسوبة إلى أشعار شعــراء العصر الجاهليّ. وقد استعملت المقامة بمعنين: المعنى الأوّل هو: "مجلس القبيلة وناديها"[(٢)]، على نحو ما قال زهير بن أبي سلمى[(٣)]: (بحر الطويل)

وَفِيهِــمْ مَقَامَاتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ ... وَأَنْــدِيَةٌ يَنْتَابُهـــا القَوْلُ وَالفِعْلُ[(٤)]

والمعنى الثاني هو: الجماعة الّتي اجتمعت في المجلس، كما قال لبيد بن ربيعة[(٥)]: (بحر الكامل)

ومَقامَـــةٍ غُلْبِ الرِّقابِ[(٦)] كَأَنَّهمْ ... جِنٌّ لَدَى بابِ الحَصيرِ[(٧)] قِيَامُ[(٨)]

وأمّا صيغة مَقامة في دواوين شعراء العرب القدماء "فهي أقلّ استعمالاً من مَقام، وهي واردة بمعنى القتال والمعركة"[(٩)].

---

(١) **فاطر**، ٣٥/٣٥.

(٢) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٧.

(٣) زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح المُزَنيّ، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهليّة. ومــن أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافّة. ولد في بلاد مُزَيْنَة بنواحي المدينة. توفّي ١٣ ق.هـــ/٦٠٩م. ابن حزم، **جمهرة الأنساب**، ص ٢٥٢ – ٢٥٣؛ أبو الفرج الأصبهاني، **الأغاني**، ج ٩، ص ١٤٦ – ١٥٨؛ والعبّاسي، **معاهد التنصيص**، مج ١، ج ١، ص ٣٢٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٣، ص ٥٢.

(٤) زهير بن أبي سلمى، **الديوان**، ص ٧.

(٥) لبيد بن ربيعة: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العاوي، أحد الشعراء الفرسان الأشراف فـــي الجاهليّـــة. أدرك الإسلام، ووفد على النبيّ ويعدّ من الصحابة، ومن المؤلّفة قلوبهم. سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحـــد أصحاب المعلّقات. له ديوان شعر صغير. توفّي عـــام ٦٦١/٤١. البغـــدادي، **خزانـــة الأدب**، ج ١، ص ٣٣٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج٥، ص ٢٤٠.

(٦) غلب الرقاب: غلاظ الأعناق. وجاء في **القاموس المحيط**: غَلِبَ: غَلُظَ عنقُه. الفيروزآبادي، **القاموس المحـــيط**، ج١، ص ٢٠٨، باب الباء، فصل الغين.

(٧) الحصير: هنا الملك. ولها معانٍ مختلفة، منها: الضيّق الصدر، الجنب، السجن، المجلس، والمِلك. الفيروزآبـــادي، م.ن، ج١، ص ٥٣٣، باب الراء، فصل الحاء.

(٨) لبيد بن ربيعة، **الديوان**، ص ١٩٩.

(9) RÉGIS BLACHÉRE, *ANALECTA*, pp. 65-66.

يقول كَعْب بن زُهَير[١] في قصيدته المشهورة الّتي يمدح بها الرسول "بانت سعاد": (بحر البسيط)

لَقَدْ أَقُومُ مَقامَـاً لَـوْ يَقُـومُ بِـهِ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ[٢]

والمقَام هنا بمعنى المجلس.

وفي العصر الإسلاميّ أخذت كلمة المقامة لوناً آخر، واستعملت "بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بيـن يدي خليفة أو غيره ويتحدّث واعظاً"[٣]. أو بعبارة أخرى أصبحت كلمة المقامة مرادفةً للحديث الّذي يصاحبها. ولم تبـق على هذا المعنى أيضـاً، بل تقدّمت أكثر من ذلك واستعملت بمعنى المحاضرة. وهكذا خرجت من معنى القيام، ودلّت على "حديث الشخص في المجلس سواء أكان قائماً أم جالساً"[٤]. واستعملها بديع الزمان الهمذاني[٥] في المقامة الوعظيّة[٦] بهذا المعنى. إذ نرى أنّ أبا الفتح الإسكندري بطل القصّة يخطب الناس، ويلفت نظر عيسى بن هشام البطل الآخر في القصّة. ثمّ يسأل أحد الحاضرين: "مَن هذا؟ هو يجيب: غريبٌ قد طرأ لا أعرفُ شخصَه فاصبرْ عليه إلى آخرِ مقامتِه"[٧].

وأمّا كلمة المقامة في المعاجم فقد جاءت بمعانٍ مختلفة، والمقَامة منذ القديم كانت اسماً مرادفاً لكلمة النادي لاجتماعات القبيلة كما جاء في **القاموس المحيط**: "المقَامة: المجلس، والقوم"[٨]. وورد في **لسان العرب**: "المقَامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس"[٩]، وأيضاً

---

(١) كَعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى المُزَنيّ، شاعر من أهل نجد. له **ديوان شعر**، كان ممّن اشتهر في الجاهليّة. ولمّا ظهر الإسلام هجا النبي (ﷺ). ثمّ أسلم. توفّي سنة ٢٦ /٦٤٥. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٤، ص ١١ – ١٢؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ٢٢٦.

(٢) كَعب بن زهير، **الديوان**، ص ٦٦.

(٣) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٧.

(٤) شوقي ضيف، **م.ن**، ص ٧.

(٥) بديع الزمان الهمذاني: أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان، **صاحب الرسائل، والمقامات**. سكن هراة من بلاد خراسان. وكانت وفاته سنة ٣٩٨/ ١٠٠٧. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ١٢٧ – ١٢٩.

(٦) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقَامة الوعظيّة"، ص ١٧٩.

(٧) بديع الزمان الهمذاني، **م.ن**، ص ١٧٩.

(٨) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ٢، ص ١٥١٦، باب الميم، فصل القاف.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مج ١٢، ص ٤٩٨، باب الميم، فصل القاف.

"المَقام والمَقامةُ هي المجلس، ومقامات الناس مجالسهم، وأنشد ابن برّي[١] في هذا المعنى: (بحر الوافر)

فَإنّيَ مَـا وَأيُّـك كـانَ شَـرّاً   فَقِيدَ إلى المَقامةِ لا يَراهـا[٢]

وجاءت كلمة المُقام في شعر لبيد بن ربيعة بمعني "الإقامة"[٣]: (البحر الكامل)

عَفَتِ الديـارُ مَحلُهـا فمُقامُهـا   بمِنًى، تأبَّدَ غَولُهـا فرِجامُهـا[٤]

والمقامة جمعها المقامات، واستعملها سلامة بن جندل السعدي[٥] في مطلع قصيدته: (بحر البسيط)

أودَى الشَّبابُ حَمِيداً ذُو التعاجيب   أودَى، وَذلك شَأوٌ غَيْرُ مَطلُوب

يَومـانِ يَومُ مَقامـاتٍ وأنديـةٍ[٦]   ويَـومُ سَيْرٍ إلى الأعداء، تأويبِ[٧]

وأمّا في العصر الأمويّ وأوائل خلافة العبّاسيّين فالمقامة أخذت شكلاً دينيّاً، وتغيّر معناها قليلاً؛ وأطلقت على المجالس الّتي كان يستضيف فيها الخلفاء من الزهاد، وكانوا يتّعظون بهم وبما يقولون، كما "اتّعظ هشام[٨] من خالد بن صفوان[٩]"[١٠]. وفي الحقيقة أصبحت أحاديث زهديّة تروى في مجالس الخلفاء ومحافلهم.

---

(١) ابن برّي: أبو محمّد عبد الله بن برّي بن عبد الجبّار المقدسي المصريّ اللغويّ النحويّ المعروف بابن برّي. لم يكن في الديار المصريّة مثله، وكان قيّماً بالنحو واللغة والشواهد، وكان له تصفح في ديوان الإنـشاء. وصنّف **اللباب في الردّ على ابن الخشّاب** في ردّه على الحَريري. مات سنة ٥٨٢/١١٨٦. الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٥، ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مج ١٢، ص ٥٠٦، باب الميم، فصل القاف.

(٣) ابن منظور، **م.ن**، مج ١٢، ص ٤٩٨، باب الميم، فصل القاف.

(٤) لبيد بن ربيعة، **الديوان**، ص ٢٠.

(٥) سلامة بن جندل السعدي: هو من قدماء الشعراء الجاهليين وكان من فرسان تميم المعدودين. وكان أحد نعـات الخيل يستشهد بشعره أهل اللغة لمتانته. وله ديوان شعر. سركيس، **معجم المطبوعات**، ج١، ص ١٠٣٧.

(٦) يوم مقامات: إقامتهم يومَ إقامة، وأندية: الواحد نادٍ، المجالس. سلامة بن جندل، **الديوان**، ص ٩٣.

(٧) المفضل الضبّي، **ديوان المفضليّات**، ص ١٠٨؛ سلامة بن جندل، **م.ن**، ص ٨٨ – ٩٢.

(٨) هشام بن عبد الملك: هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأمويّة في الشام. ولد في دمـشق، سـنة ٧١/٦٩٠، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥/ ٧٢٣. ونشبت في أيّامه حرب هائلة مع خاقان الترك في ما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان واستيلاء العرب على بعض بلاده. وكان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. وتوفّي سنة ١٢٥/٧٤٣. اليمني، **مرآة الجنان**، ج ١، ص ١٢٥؛ ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٣، ص ١٢٩؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٨، ص ٨٦.

(٩) خالد بن صفوان بن عبد الله التميمي المنقري: أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راويّة للأخبار، خطيباً مفوّهاً بليغا، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القَسْريّ. توفّي خالد بـن صـفوان سـنة ١٣٥/ ٧٥٢. يـاقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١١، ص ٢٤ – ٣٥.

(١٠) الأصبهاني، **الأغاني**، ج ٢، ص ١٣٦ – ١٤٠.

وأحياناً استُعمل مفرد كلمة المقامات ذكراً، أي المَقام، للاستجداء والتسوّل في عبارة معروفة: "ارحموا مقامي هذا". والمقام هنا بمعنى مكان الإقامة. أو استعملت بمعنى مقام الزاهد أمام الخليفة، كما جاء في كتاب **عيون الأخبار**، لابن قتيبة(١).

وأحياناً استُعمل مفرد المقامات تأنيثاً أي المَقامة، كما جاء في **مقامات** بديع الزمان الهمذاني: "فاصبر إلى آخر مقامته"(٢).

اشتهرت كلمة المقامة بهذا المعنى شهرةً واسعةً، كما خصّص ابن قتيبة في كتابه **عيون الأخبار** فصلاً عنوانه "مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك"(٣). ويشتمل هذا الفصل على عشر مقامات، وفي كلّ واحدة منها يلقي الزاهد كلمة أمام الخلفاء الأمويّين والعبّاسيّين، ويشجّعون الخلفاء على إنعام النظر في عاقبة أمورهم ومصيرهم، ويدعونهم إلى الاعتبار، كما في مقام خالد بن صفوان أمام هشام.

والجدير بالذكر أنّ المقامات الّتي أشار إليها ابن قتيبة "أصبحت نوعاً من الأدب كالشعر والخطب"(٤). فابن قتيبة استعمل المَقامة بمعنى الموعظة والخطبة. وبعده استعمله ابن عبد ربّه(٥) صاحب كتاب **العقد الفريد**، واختصّ فصلاً باسم: "مقامات العُبّاد عند الخلفاء"(٦)، ثمّ استعمل الطُّرطُوشي(٧) صاحب كتاب **سراج الملوك** هذا الاصطلاح بالمعنى نفسه، واختصّ به باباً باسم: "مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين"(٨).

---

(١) ابن قتيبة: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ولد ببغداد، وقيل بالكوفة. وكانت ولادته سنة ٢١٣/ ٨٢٨، وتوفي سنة ٨٨٩/٢٧٦، وكانت وفاته فجأة. سكن بغداد، وتصانيفه كلّها مفيدة، منها: **غريب القرآن، وغريب الحديث، وعيون الأخبار، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث وأدب الكاتب** وغير ذلك. الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج٥، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، ص ١٧٩.

(٣) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ص ٧٠٧.

(٤) راميتش، **أسرة المويلحي وأثرها في الأدب العربي الحديث**، ص ٣١٤.

(٥) ابن عبد ربّه: أحمد بن محمّد بن عبد ربّه ابن حبيب ابن حُدَير بن سالم، أبو عمر، الأديب، الإمام، صاحب **العقد الفريد**. ولد سنة ٢٤٦ / ٨٦٠ من أهل قرطبة. كان شاعراً وله شعر كثير. أمّا كتابه **العقد الفريد** فمن أشهر كتب الأدب سمّاه العقد، وأضاف النّساخ المتأخّرون لفظ الفريد. توفي سنة ٣٢٨ / ٩٤٠. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ١٣٣؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ٢٠٧.

(٦) ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، ج ٣، ص١٠٣.

(٧) الطُرطوشي: أبو بكر محمّد بن الوليد بن محمّد بن خلف بن سليمان بن أيّوب القُرَشيّ الفِهْريّ الأندلسيّ الطرطوشيّ، الفقه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة. قرأ الأدب علي أبي محمّد ابن حزم بمدينة إشبيليّة، ورحل إلى المشرق ٤٧٦ / ١٠٨٣ وحجّ، ودخل بغداد والبصرة. وكان إماماً عالماً زاهداً... وله من التصانيف **سراج الملوك**، وكتاب **برّ الوالدين** وغير ذلك. وكانت ولادة الطرطوشي ١٠٥٩/٤٥١ تقريباً، وتوفي ٥٢٠/ ١١٢٦. ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٨) الطرطوشي، **سراج الملوك**، ج ٢، ص ١١١.

وعلى هذا النحو اشتهرت كلمة المَقامة قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بمعانٍ متعدّدة دالّة على الخطبة والموعظة.

كان كلّ ما أشرنا إليه بدايةً لتطوّر مفرد كلمة المقامة، من معنى الموضع والمجلس إلى معنى قيام الخطيب أمام الكبار والخلفاء للوعظ، والإرشاد والخطبة. لقد اصطلح من ذلك الزمن مفرد هذه الكلمة أي المَقام، وجمعها أي المقامات، للدلالة على الشخص الّذي يخطب أمام الخليفة أو الكبار، وأطلق على الموعظة.

وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تنازلت هذه الكلمة عن منزلتها الرفيعة، لأنّها أطلقت على استغاثـــة المتسوّلين والمستجدين. هذه الاستغاثات كانت أغلبها مسجّعة وذكر الجاحظ[١] نماذج منها.

"وقد وردت كلمة المقامة في **مقامات** بديع الزمان الهمذاني أربع مرّات، مرّة بصيغة المفرد، وثلاث مرّات بصيغة الجمع. غير أنّه استشهد بها مرّة واحدة"[٢] وذلك في المَقامة الرصافيّة في الحديث عن اللصوص يقول: "وأصحابُ العلاماتِ ومَن يأتي المقامات"[٣]. والشيخ محمّد عبده[٤] شارح **مقامات** بديع الزمان الهمذاني يقول في شرح هاتين العبارتين: "أراد من العلامات، ما تتّخذُه الطوائفُ المتزهّدةُ لتمييزها بعضها من بعض، كما تراه في أبناء الطُرق المتصوّفينَ لهذا العهدِ، وأمثالِهم في الملل الأُخَرِ، فإنّ لكلِّ طريقةٍ زيّاً يتزيّا به أهلُها، فمن السارقين من يَتَزيّا بزيٍّ من هذه الأزياء ليغرَّ الناسَ فيأمنوه فيتمكّنُ من اختلاسِ أموالهِم. ومثلُهم من يأتي المقاماتِ فهو يلبسُ لباسَ الأولياء ويَلِجُ البيوتَ ويتّصلُ بالمقامات الرفيعةِ ولا يدفَعُه الحِفاظُ حَياءً وتَوْقيراً فَينالُ بذلك بَغيَتَهُ من السَّرِقَةِ"[٥].

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البـــصري العـــالم المـــشهور، صاحب التصانيف في كلّ فنّ، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المعتزلة؛ ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب **الحيوان** فلقد جمع كلّ غريبة، وكذلك كتاب **البيان والتبيين**. وإنّما قيــل لــه الجــاحظ لأنّ عينيـــه كانتـــا جاحظتين. وكانت وفاة الجاحظ سنة ٢٥٥/ ٨٦٨ بالبصرة، وقد نيّف على تسعين ســنة. ابــن خلّكـــان، **وفيـــات الأعيان**، مج ٣، ص ٤٧٠ – ٤٧٤.

(٢) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٣١٤.

(٣) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة الرصافيّة"، ص ١٥٧.

(٤) الشيخ محمّد عبده: كان كاتباً وشاعراً معروفاً في أواخر القرن الرابع الهجريّ. وكان كاتب "بغراخان" أحد الملوك في خانية ما وراء النهر. توفّي في سنة ٣٨٣/ ٩٩٣. صفا، **تاريخ ادبيّات درايران**، مج ١، ص ٤٣٩.

(٥) بديع الزمان الهمذاني، **م.س**، ص ١٥٧.

هنا تعني المقامات، القصور والأعيان والأشراف، وهذا المعنى قديم.

وفي المقامة الأسديّة تعني المقامة الخطبة والمقالة، كما قال بديع الزمان الهمذاني: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: كان يَبْلُغُني مِن مقامات الإسكندريّ ومقالاته ما يَصغَى إليه النفورُ وينتقصُ له العصفورُ"[(١)]. نرى أنّ بديع الزمان الهمذاني ذكر المقامات والمقالات معاً، وهذا الاقتران يدلّ على أنّ المقامة مرادفة للخطبة وذلك بسبب عبارة إصغاء النفور أيضاً. كما رأينا في المقامة الوعظيّة أنّ المقامة كانت مرادفة للخطبة والعظة أيضاً.

واستعمل القلقشندي[(٢)] المقامة بمعنى الأحدوثة من الكلام تروى في المجلس، بقوله: "وسمّيت الأحدوثة من الكلام مقامة كأنّها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها"[(٣)].

وهناك نوع من الغناء يُسمّى المَقام. كما يُقال في العراق: المَقام العراقي، وهو لحن أحد المدارج الموسيقيّة.

وهكذا تطوّرت كلمة المَقامة، من معنى الموضع والمجلس إلى معنى قيام الخطيب في المجالس والمحافل للوعظ والخطبة وأطلقت على الموعظة.

لاحظنا أنّ كلمة المَقامة كلمة عربيّة لها بضعة معانٍ. ووردت في القرآن مرّة واحدة بمعنى مكان الإقامة، ووردت كلمة مُقام في القرآن مرّات كثيرة أيضاً إمّا بمعنى القيام، وإمّا بمعنى الموضع الذي يقام فيه.

وعرفنا أنّ أقدم معاني المقامة يرجع إلى العصر الجاهلي، واستُعملت في الشعر الجاهلي بمعنَيَيْن، فتارةً استُعملت بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها، وتارةً أخرى استُعملت بمعنى الجماعة الّتي يضمّها هذا المجلس أو النادي.

وقد تغيّر معنى المَقامة في العصر الأمويّ وأوائل خلافة العبّاسيين، وأخذت شكلاً دينيّاً. وأصبحت أحاديث زهديّة تروى في مجالس الخلفاء، وفي الحقيقة، يقوم فيها شخص ويتحدّث واعظاً.

---

(١) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، المقامات، "المقامة الأسديّة"، ص ٢٩.

(٢) القلقشندي: أحمد بن عليّ بن أحمد الغزاريّ القلقشندي ثمّ القاهري، المؤرّخ، الأديب، البحاثة. ولد سنة ٧٥٦ / ١٣٥٥ في قلقشندة (من قرى القليوبيّة، بقرب القاهرة، سمّاها ياقوت قرقشندة) ونشأ وناب في الحكم، وتوفّي سنة ٨٢١ / ١٤١٨ في القاهرة. أفضل تصانيفه **صبح الأعشى في قوانين الإنشاء** في فنون كثيرة من التاريخ، والأدب، ووصف البلدان والممالك. ابن العماد، **شذرات الذهب**، مج ٣، ج ٥، ص ٧٣؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٦٢٢؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٧٧.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ١٢٤.

ثمّ بعد ذلك استُعملت بمعنى المحاضرة. واستعملها بديع الزمان الهمذاني في المَقامة الوعظيّة بمعنى حديث الشخص في المجلس سواء أكان قائماً أم جالساً.

٢- في اللغة الفارسية

نتحدّث في هذا القسم عن تعريف المَقامة في اللغة الفارسيّة، وذلك من خلال أهمّ المعاجم الفارسيّة، والكتب التاريخيّة والأدبيّة.

قال علي أكبر دهخدا[١] في كتابه **لغت نامه** أي قاموس اللغة: "إنّ الأدباء الفرس كانوا يستعملون كلمة المَقام بفتح الميم، في النثر والنظم بمعنى المكان والموضع، والمقام بضم الميم بمعنى الإقامة"[٢]، منها: "اگر مدّت مُقام دراز شود وبه زيادتى حاجت افتد بازنماى تاديگر فرستاده آيد.."[٣].

ترجمة الشاهد

لو طالت مدّة إقامتنا، واحتجنا إلى أكثر ممّا عندنا، نرسل مرّة أخرى شخصاً ليحضر ما نحتاج إليه.

"شدّت حرارت هوا مانع مُقام آمد"[٤].

ترجمة الشاهد

شدّة الحرارة منعت من الإقامة.

"دانستم كه نهايت حركتها آرام است وغايت سير سفرها مُقام"[٥].

ترجمة الشاهد

علمتُ أنّ نهاية الحركات هي الهدوء، وغاية الأسفار هي الإقامة.

"همه بركاروانگاهيم وپس يكديگر مىرويم وهيچكس را اينجا مَقام نخواهد بود"[٦].

ترجمة الشاهد

---

(١) علي أكبر دهخدا: وُلد علي أكبر دهخدا في طهران حوالي سنة ١٢٩٧/١٨٧٩. وقد درس عند علماء عصره منهم: غلام حسين بروجردي، وآية الله حاج شيخ هادي نجم آبادي. وتعلّم اللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة، ثمّ تعلّم اللغة الفرنسيّة. ومن أهمّ مؤلّفاته: **لغت نامه** (دائرة المعارف) **وأمثال وحكم**. وتوفّي ١٣٧٥/١٩٥٥. دهخدا، **أمثال وحكم**، مج ١، ص ١٠ – ١٢.

(٢) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٢، ص ٨٨١.

(٣) بيدبا، **كليلة ودمنة**، ص ٣٠.

(٤) جُوَينى، **تاريخ جهانگشاى**، مج ١، ص ١١٢.

(٥) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٣.

(٦) البيهقي، **تاريخ البيهقي**، ص ٣٧١.

كلّنا مسافرون في هذه الدنيا، ونتركها واحداً تلو آخر، ولن يبقى أحد في هذا المكان.

ثـمّ يضيف علي أكبر دهخدا أنّ كلمة "المَقام بفتح الميم تعني أيضاً: المنزلـة"[١]، و"المقامات جمع مَقامة، عبارة عن المراتب، والمنازل، والمراحل، والمناصب والمشاغل"[٢].

وقد وردت كلمة المقامة في اللغة الفارسية بمعانٍ أخرى، منها: الرسالة، والتاريخ، والحكاية والحادثة. قال ملك الشعراء بهار[٣]: "نرى أقدم معاني المقامة استعملت في كتاب تاريخ البيهقي"[٤]، نحو: "وكلّ من يطالع هذه المقامة ينبغي أن يتأمّلها بعين العقل والعبرة"[٥].

فنلاحظ أنّ البيهقي[٦] استعمل كلمة المقامة بمعنى الحكاية والتاريخ أو الحادثة، لأنّه يتحدّث عن الحكاية الواقعيّة الّتي حدثت في التاريخ، وتلك مصيرة الحصيري[٧] نديم سلطان محمود[٨].

وأحياناً سمّى البيهقي عنوان فصل من تاريخه المَقامة، بقوله: "المقامة في معنى ولاية العهد للأمير شهاب الدولة مسعود وما جرى من أحواله"[٩]. فهنا جاءت المقامة بمعنى التاريخ.

وتجدر الإشارة إلى أن البيهقي كان له كتاب المقامات، وسمّاه **مقامات المحمودي**، وأشار إليه علي أكبر دهخدا في كتابه **لغت نامه**[١٠]، والبيهقي نفسه في كتابه **تاريخ البيهقي**، حينما يقول في وفاة

---

(١) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٢، ص ٨٨٤.

(٢) دهخدا، **م.ن**، مج ٤٢، ص ٨٨٦.

(٣) ملك الشعراء بهار: محمّد تقيّ بن ملك الشعراء بهار، أحد الشعراء الكبار المعاصرين، ولد سنة ١٢٦٦/١٨٤٩. كـان شاعراً، وباحثاً، وكاتباً، ورجل السياسة، وأستاذ الجامعة. له تصانيف، منها: **مجمل التواريخ، والقـصص، وسـبك شناسي** وغير ذلك. توفّي سنة ١٣٧٢ /١٩٥٢. دهخدا، **م.ن**، مج ١٢، ص ٤٠٠ – ٤٠١.

(٤) ملك الشعراء بهار، **سَبك شناسي**، مج ٢، ص ٣٢٩.

(٥) البيهقي، **تاريخ البيهقي**، ص ١٨٢.

(٦) البيهقي: الشيخ أبو الفضل محمّد بن الحسين، كان كاتباً، واعتزل في آخر عمره، وتوفّي سنة ٤٧٠/١٠٧٧. كان له كتاب باسم **تاريخ** في ثلاثين مجلّداً، ولم يبق منه إلاّ ثلثاً. ملك الشعراء بهار، **م.س**، مج ٢، ص ٨٤.

(٧) أبو بكر الحصيري: عبد الله بن يوسف سيستاني، نديم سلطان محمود الغزنوي. كان من فقهاء مذهب الـشافعي. دهخدا، **م.س**، مج ٢، ص ٣٧٨.

(٨) سلطان محمود: لقّب بيمين الدولة، وأكبر ملوك الغزنويّين. وكان أوّل ملك لُقّب بسلطان. كان رجلاً عاقلاً، متديّناً وخبيراً، وجمع العلماء في قصره. توفّي سنة ٤٢١/ ١٠٣٠. دهخدا، **م.س**، مج ٣٩، ص ٥٩٤.

(٩) البيهقي، **م.س**، ص ١١٥.

(١٠) دهخدا، **م.س**، مج ٣، ص ٩١٠.

أستاذه أبي نصر مشكان[١]: "وأيّ خير لم يمسّ هذا الرجل العظيم من الدولة، والنعمة، والجاه والمنزلة، وقد تجرّع الغصص ثلاثين سنة كاملة، ولم ينعم بشيء منها يوماً واحداً. وآثاره، وأخباره وأحواله ذكرتها في **مقامات محمودي**"[٢].

ويبدو أنّ **مقاماته** كانت مجموعة من مكتوبات الكتّاب الأعلام، كما أنّه ذكر مكتوبات ونصائح أستاذه أبي نصر مشكان أيضاً.

كان لأبي نصر مشكان كتاب باسم **مقامات أبي نصر مشكان**، وقد أورد صاحب **جوامع الحكايات** فصولاً منها في كتابه"[٣].

وبعد البيهقي، استعمل الحَميدي[٤] كلمة المقامة في **مقاماته** بضع مرّات مفرداً وجمعاً وبمعانيها القديمة. فلذلك نرى أنّ الحَميدي استعمل بعض الأحيان كلمة المقامة في الجملة، ولها معنيان في الوقت نفسه. فالمعنى الأوّل هو ازدحام الناس، والمعنى الثاني هو مكان الوقوف، ومكان ازدحام الناس، والجملة هي: "ومن برگوشه اى از آن هنگامه بر طرفى از آن مقامه، متفكّر آن مقالت ومتحيّر آن حالت بودم"[٥].

ترجمة الشاهد

أنا كنت أفكّر في زاوية من ذلك الازدحام وعلى جانب منه، في ذلك القول، وكنتُ متحيّراً في تلك الحالة.

وقد ذكر الحَميدي في **مقاماته** كلمة المقامات في مكان آخر، بمعنى القول، ولا سيّما أقوال الصوفيين: "در اين شيوه مقالات ومقامات است"[٦].

ترجمة الشاهد

في هذه الطريقة – طريقة التصوّف – أقوال وأحاديث.

---

(١) أبو نصر مشكان: هو كان يعيش في زمن سلطان محمود غزنوي، وكان يعدّ من أركان الدولة. دهخـدا، **لغت نامه**، مج ٣، ص ٩٠٨.

(٢) البيهقي، **تاريخ البيهقي**، ص ٦٥٧.

(٣) ملك الشعراء بهار، **سَبك شناسى**، مج ٢، ص ٣٢٩.

(٤) الحَميدي: قاضي أبو بكر حميد الدين عمر بن محمود البلخي، من العلماء والفضلاء في مدينة خراسان. صاحب المقامات باللغة الفارسية، توفّي سنـة ٥٥١ /١١٥٦. خانلرى، **فرهنگِ ادبيّاتِ فارسى**، ص ٣٩٢.

(٥) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٥.

(٦) حميدى، **م.ن**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٣.

أو "اين كنوز ورموز تعلّق بمقامات اهل تصوّف دارد"[١].

ترجمة الشاهد

تتعلّق هذه الكنوز والرموز بمقامات الصوفيّة.

وأساساً كانت تُعرف المقامات بمعنى أقوال الصوفيين ومواعظهم، وقد أُلّفت كتب في هذا المجال، نحو **مقامات صوفيّة** للشيخ شهاب الدين السهروردي"[٢].

وأمّا الأستاذ ملك الشعراء بهار فيقول في كتابه **سَبك شناسي**: "قيل إنّ المَقامة هي المجلس أو الجماعة من الناس، أو الخطبة، أو العظة، أو الرواية الّتي تلقى في مجتمع الناس، والمقامة جمعها المقامات. ومعروف أنّ الزهاد كانوا يخطبون في مجلس الملوك في وعظ وإرشاد الملوك. وأيضاً جاءت المقامة بمعنى الموعظة على المنبر أو في المحافل. وسمّيت بعد ذلك بالتذكير أو القول في المجلس، لأنّ المجلس والمقام يستعملان بنفس المعنى تقريباً"[٣]. ثمّ يضيف: "المقامات الّتي نحن نقصدها هي الروايات والأساطير المدوّنة الّتي تُقرأ للناس، أو تُكتب بعبارات مسجّعة، ومقفّاة وموزونة، والآخرون يقرؤونها في المجالس والأنديّة الخاصّة، ويتلذّذون بنغمة الكلمات، وأسجاعها المشبّهة بتغريد الحمامات"[٤].

والجدير بالذكر أنّ مَلك الشعراء بهار كتب نفسه شرحاً في هامش كتابه **سَبك شناسي**، ويقول فيه: "باحتمال كبير لا تعني المقامات المعاني المذكورة، ويجب أن نترجمها گاس[٥] أو گاه[٦].

وأحَد المعاني لكلمة المقام عند الفرس هي نغمة الموسيقى؛ مثلاً يقولون: فُلانٌ مَقام مى زند أو مَقام مى نوازد أي يعزف المَقام، أو يقولون: فُلانٌ مَقامى خواند أو مَقامى زد أي أنشد مَقاماً أو عَزَف مَقاماً. يبدو أنّ هذا المعنى قد بقي من مَزْديسنَان[٧] في إيران.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٣.

(٢) الشيخ شهاب الدين بن محمّد السهروردي: ولد بسهرورد سنة ٥٢٦/١١٣١، وتوفّي سنة ٦٣٢/١٢٣٤ ببغداد، وهو صاحب كتاب **عوارف المعارف**، وفي زمنه كان شيخ المشايخ ببغداد، ومرجعاً لأرباب الطريقة من كلّ البلاد. الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٤، ص ١١٠ – ١١٣.

(٣) ملك الشعراء بهار، **سَبك شناسي**، مج ٢، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

(٤) ملك الشعراء بهار، **م.ن**، مج ٢، ص ٣٢٦.

(٥) گاس: المكان، الوقت، المقام. معين، **فرهنگِ فارسي معين**، مج ٣، ص ٣١٦٧ – ٣١٦٨.

(٦) گاه: الزمن، الوقت، النغمة. ويستعمل لملحقات اسم الزمان أيضاً، نحو: سحرگاه بمعنى وقت السحر، أو شامگاه بمعنى العشيّة. معين، **م.ن**، مج ٣، ص ٣١٨٩ – ٣١٩٠.

(٧) مزديسنان: مَزدَيَسنا: اسم مركب من "مزده" ومعناه العليم ويطلق في مذهب الزرادشت على الله تعالى + "يسنا" ومعناه الحمد والثناء. هذه الكلمة أفستائيّة. تعني مذهب نبيّ إيراني باسم زردشت. وكلمة مزديسنان: اسم مركب، جمع كلمة مزديسن، ومعناه مريدومزديسنا. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٣، ص ٢٦٨.

وكلمة گاه أو گاثه قد تُرجمت بالعربيّة وسميّت المَقام. وفي الأدب الفارسي لُقّب البلبل بلقب زندخوان[١] أي قارئ گاثه وأفستا، وهذا يعني قراءة الأفستا والزند، نوعٌ من الموسيقى والمقامات"[٢].

"والمقامات تستعمل في الموسيقى أيضاً، والمَقام هو اصطلاح خاصّ في الموسيقى"[٣].

لقد اتّضح لنا أنّ الأدباء الفرس قد استعملوا كلمة المَقام بمعنى المكان والموضع أو المنزلة، والمُقام بمعنى الإقامة. وكلمة المَقامة في اللغة الفارسيّة لها معان كثيرة، منها: الرسالة، والتاريخ، والحكاية، والحادثة.

كما أنّ الحَميدي كاتب المقامات الفارسيّة استعمل كلمة المَقامة في مقاماته مرّات كثيرة مفرداً وجمعاً، وبمعانيها القديمة أي ازدحام الناس، مكان ازدحام الناس، مكان الوقوف.

ورأينا أنّ الشاعر الإيراني المعاصر ملك الشعراء بهار يقصد بالمقامة الرواية والأسطورة المدوّنة الّتي تُقْرَأ للناس، أو تُكتب بعبارات مسجوعة ومقفّاة وموزونة. ويعتقد أيضاً بأنّ أحد المعاني لكلمة المَقامة هو نغمة الموسيقى. وكلمة المقام هي اصطلاح خاصّ في الموسيقى أيضاً.

ب- معنى المقامة الاصطلاحي

نبدأ باللغة العربيّة ثمّ باللغة الفارسيّة.

١- في اللغة العربيّة

بعد أن تغيّر معنى المقامة اللغوي في الأطوار الأدبيّة والاجتماعيّة المختلفة، أصبحت اصطلاحاً خاصّاً، وأطلقت على فنّ خاصّ للنثر العربيّ في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي، واشتهرت وسجّلت بذلك الاصطلاح في القواميس. و"بديع الزمان الهمذاني هو أوّل من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحيّ بين الأدباء، إذ عبّر بها عن **مقاماته** المعروفة، وهي جميعها تصوّر أحاديث تُلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث"[٤].

ولا غرو أنّ معنى المقامة الاصطلاحيّ هو إلقاء الخطب الوعظيّة، والتهذيبيّة والتعليميّة بعبارات موزونة في المجالس، كما سمّاها ابن قتيبة مقامات الزهاد بين يدي الخلفاء والملوك.

---

(١) زند أو أفستا: اسم كتاب سماويّ لزردشت وهو نبيّ فارسيّ، وكان يدّعي أنّ الله تعالى أنزل هذا الكتاب من السماء. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٧، ص ٤٨٤ – ٤٨٥.

(٢) ملك الشعراء بهار، **سَبك شناسى**، مج ٢، ص ٣٢٥.

(٣) دهخدا، **م.س**، مج ٤٢، ص ٨٨٤.

(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٨.

وأمّا "المقامة عند بديع الزمان الهمذاني والحَريري فهي قصّة قصيرة، أو حكاية في ثوب منمّق من اللفظ يتلاعب فيها بمقدرته التعبيريّة، ويرصّعها بضروب من البديع"[١].

فممّا تقدّم من تعريفات تبيّن أنّ المقامة هي نوع من أنواع القصص المبتدعة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي قصّة[٢] قصيرة تحتوي فكرة الكاتب الأدبيّة، أو الفلسفيّة في قالب التعابير المسجّعة، والضروب البديعيّة. واستفاد بعض كتّاب المقامات من هذا الفنّ في التعبير عن حالاتهم وأفراحهم وآلامهم، أو استفادوا منه في المواعظ الدينيّة في ثوب قصصيّ بليغ[٣].

فالمقامة عبارة عن قصّة قصيرة مكتوبة بأسلوب أدبيّ طريف ومسجوع.

ممّا تقدّم عرفنا أنّ بديع الزمان الهمذاني هو الّذي أعطى لأوّل مرّة لكلمة المقامة معناها الاصطلاحيّ بين الأدباء، ولأنّه عبّر بها عن **مقاماته** المعروفة الّتي تصوّر أحاديث تُلقَى في جماعات.

٢- في اللغة الفارسية

عُرف فنّ المقامة منذ وقت مُبكر في المجالس والمحافل الأدبيّة عند الفُرس، خاصّة لمّا ألّف الحَميدي **مقاماته** باللغة الفارسيّة.

وأمّا معنى المقامة اصطلاحاً عند الأدباء والكتّاب الفُرس فهو كما يلي:

قال علي أكبر دهخدا: "تعني المقامات الحكايات العربيّة، نحو **مقامات** الحَريري وبديع الزمان الهمذاني، والحوارات الّتي تشمل حوارات مجالس العرب ومحافلهم، **كمقامات** الحَريري وبديع الزمان الهمذاني، والخطب المنظومة والمنثورة نحو **مقامات** الحَريري. وسميّت المقامات بهذا الاسم بسبب المكان الّذي يُخطب فيه"[٤].

---

(١) محمّد زغلول سلام، **الأدب في العصر المملوكي**، ج٢، ص ٩٩.

(٢) تجدر الإشارة إلى أنّ المقامة ليست القصّة بالمعنى الكامل، بل هي تشمل على بعض العناصر القصصيّة.

(٣) لا شكّ في أنّنا نجد تعريفات كثيرة للمقامة كما عرّف بعض الأدباء والعلماء المقامة بأنّها "نوع أدبيّ، ولون من النثر له خصائصه الفنّية ودعائمه الأساسيّة، يتوخّى مؤلّفها طرح ما يشاء من أفكار أدبيّة، أو خواصّ تأمّليّة، أو انفعالاتٍ وجدانيّة، أو مهاراتٍ لغويّة، في صورة ذات ملامح بديعيّة، وسمات زخرفيّة، إنّها حقّاً مرآة لعصرها، وصدى لذوق أهله" أنظر: السيوطي، **مقامات السيوطي**، ص ٣. وتعريف آخر للمقامة هو أنّ "المقامة تعني التعبير عن إحساس خاصّ يشعر به الأديب بأسلوب نثريّ يختلف اتّجاهه على أساس ذوق الكاتب نفسه. فإن كان الكاتب أديباً متمكّناً أظهر هذا الأسلوب النثريّ في هيئة تسمو بالعاطفة والعقل معاً، وإن لم ينل الكاتب هذا الحظّ من الإجادة أظهر هذا الأسلوب النثريّ في هيئة جافّة بعيدة عن الموسيقى". أنظر: محمّد رُشْدي حسن، **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**، ص ١٥.

(٤) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٢، ص ٨٨٦.

وقال ملك الشعراء بهار: "إنّ قراءة القصص بنغمة خاصّة، وصوت خاصّ لا تزال متداولة في البلاد الإسلاميّة، ولا شكّ في أنّ الزهّاد كانوا يخطبون في المجالس أمام الملوك والكبار بطريقتهم الخاصّة، ونغماتهم المميّزة، ليؤثّروا في السامعين أكثر فأكثر. والعجيب هو أن **المستَجْدين** والمتسوّلين في إيران والبلدان العربيّة لا يزالون **يستجْدون** ويتسوّلون بالكلمات المسجّعة والموزونة، وبنغماتهم المميّزة؛ لأنّهم تأثّروا بأسلوب وطريقة الزهاد والمستجدين الحقيقيّين في المجالس والخانقاة[١]. فالمقامات تتيح لمثل هذه القراءات بأصوات جميلة وعبارات شعريّة أن تكون مقبولة ومسجّعة لطيفة. وكتّاب المقامات العربيّة استفادوا من هذه المعاني أيضاً، وقد وضعوا هذا الاسم على قصصهم، لأنّهم كانوا يقرؤونها في المجالس والأنديّة، والناس كانوا يتلذّذون بها"[٢].

من كلّ ما تقدّم نستنتج أنّ المقامة في إطارها اللغويّ والاصطلاحيّ تتمثّل في حديث يلقي على جماعة من الناس.

ثانياً- نشأة المقامة وبواعثها وأشهر روّادها في مرحلتها هذه في الأدبَيْن العربيّ والفارسي

بعد أن تناولنا معنى المقامة في اللغة والاصطلاح، يقودنا الكلام إلى التحدّث عن كيفيّة نشأة المقامة، وبواعث وأسباب نشأتها في الأدبَيْن العربي والفارسي، وكذلك عن المبتدع الأوّل لفنّ المقامة باللغة العربيّة وباللغة الفارسيّة، وأشهر روّاد المقامات العربيّة والفارسيّة.

أ- في الأدب العربي

نبدأ بالكلام عن نشأة المقامة وبواعث ظهورها وأشهر روّادهافي الأدب العربي، ثمّ في الأدب الفارسي.

١- نشأة المقامة في الأدب العربي

شاعت كتابة المقامة باللغة العربيّة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقيل إنّ المبتدع الأوّل لهذا الفنّ كان بديع الزمان الهمذاني. وأغلبيّة نقّاد الأدب وكبار العلماء على هذا الرأي، وأوّل من اعترف بسبق الهمذاني في هذا الفنّ هو الحَريري، بقوله: "وبعدُ فإنّه قد جرى ببعض أنديّةِ الأدب الّذي ركَدتْ في هذا العصر ريحُه، وخَبَتْ مصابيحُه، ذكرُ المقامات الّتي ابتدعَها بديعُ الزمان،

---

(١) الخانقاه: بيت الدراويش. جامی، **نفحات الأُنس**، ص ٦٤٥. وأصل الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفيّة. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ٢، ص ١١٧١. والخانقاه هو الرباط، التكيّة، المعبد ومنزل خاصّ لاجتماع الصوفيين. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢١، ص ١٦٩.

(٢) ملك الشعراء بهار، **سَبك شناسي**، مج ٢، ص ٣٢٦.

وعلاّمة همذانَ رحمه الله تعالى، وعَزَا إلى أبي الفتح الإسكندريّ نشأتَها وإلى عيسى بن هشامٍ روايتها، وكلاهما مجهولٌ لا يُعرف، ونكرةٌ لاتتعرَّف. فأشار من إشارتُه حكمٌ وطاعتُه غُنْمٌ إلى أن أُنشئ مقاماتٍ أتْلو فيها تلوَ البديعِ وإنْ لم يُدرك الظالعُ شأوَ الضليعِ"[١].

ثم قال الحَريري في هذه المقدّمة أيضاً: "... هذا مع اعترافي بأنّ البديعَ رحمه اللهُ سبّاقُ غاياتٍ وصاحبُ آياتٍ وأنّ المتَصدّيَ بعدَه لإنشاءِ مقامةٍ ولو أُوتيَ بلاغةَ قُدامة[٢] لا يَغترِف إلا من فُضالته ولا يَسْرِي ذلك المسْرَى إلاّ بدلالتِه ولله درُّ القائل"[٣].

فالواضح أنّ الحَريري يعترف بأنّ أوّل من اخترع فنّ المقامة وفتح بابه هو بديع الزمان الهمذاني، ويعترف بتقدّم الهمذاني عليه أيضاً.

وقد أقرّ له القلقشندي بفضل السبق أيضاً، إذ قال: "إنّ أوّل من فتح باب عمل المقامات، علاّمة الدهر، وإمام الأدب، البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غاية من البلاغة، وعلوّ الرتبة في الصنعة. ثمّ تلاه الإمام أبو محمّد القاسم الحَريري، فعمل **مقاماته** الخمسين المشهورة، فجاءت نهايةً في الحُسن، وأتت على الجزء الوافر من الحظّ، وأقبل عليها الخاصّ والعامّ، حتّى أنْسَتْ مقاماتِ البديع وصيَّرتها كالمرفُوضة"[٤].

فالحَريري **والقَلقشندي** يعترفان بأن مبتكر فنّ المقامات هو بديع الزمان الهمذاني، مع مخالفة الحُصري[٥] صاحب كتاب **زهر الآداب** لهذا الرأي. فقد ذكر الحُصري أنّ ابن دُرَيْد[٦] هو مبتكر فنّ

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٤ – ٥.

(٢) قُدامة: هو قُدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدّمين في علوم المنطق والفلسفة. كان في أيّام المكتفي بالله العبّاسي، وأسلم على يده، وتوفّي ببغداد سنة ٩٤٨/٣٣٧. يُضرب به المثل في البلاغة. له تآليف، منها: **الخراج، ونقد الشعر، ونزهة القلوب**، وغير ذلك. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٣، ص ٢٩٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ١٩١.

(٣) الحَريري، **م.س**، "المقدّمة"، ص ٤ – ٥.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٥) الحُصري: أبو إسحق إبراهيم بن علي بن تميم، المعروف بالحُصري، القيرواني، الشاعر المشهور، وله ديوان شعر، وكتاب **زهر الآداب وثمر الألباب**. توفّي بالقيروان سنة ١٠٢٢/٤١٣. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ٥٤ – ٥٥.

(٦) ابن دُرَيْد: محمّد بن دُريد بن الحسين بن عتاهية بن حَنْتَم الأزدي، الإمام العلاّمة اللغويّ النحويّ الشافعيّ، أبو بكر ابن دُريد صاحب المقصورة والدُرَيْديّة المشهورة. ولد سنة ٨١٨/٢٠٣، وتنقّل في جزائر البحر، وفارس، وطلب الأدب واللغة. وكان أبوه من رؤساء زمانه. له تصانيف كثيرة، منها: كتاب **الجمهرة في اللغة**، وكتاب **الأمالي** وغير ذلك. وتوفّي سنة ٣٢١/ ٩٣٣ ببغداد. الأسدي، **طبقات النحاة واللغويين**، ص ٨٣ – ٨٥.

المقامة، وبديع الزمان الهمذاني تأثّر **بأحاديث** ابن دريد حين كتب مقاماته، وهو يقول: "ولمّا رأى أبا بكر محمّد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، وذكر أنّه استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجميّة، وألفاظ حُوشيّة، فجاء أكثر ما أظهر تَنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حُجُبَها الأسماعُ، وتوسَّع فيها؛ إذ صرَّف ألفاظَها ومعانيها، في وجوه مختلفة، وضروب متصرّفة، عارضها بأربعمائة مقامة في الكِديَة، تذوب ظرفاً، وتقطر حُسناً، لا مناسبةَ بين المقامتين لفظاً ولا معنى، وعطف مُساجلتها، ووقَف مناقلتها، بين رجلين سمَّى أحدهما عيسى بن هشام والآخرَ أبا الفتح الإسكندري، وجعلها يتهاديان الدُّرّ، ويتنافثان السِّحر، في معانٍ تُضحك الحزين، وتحرّك الرصين، يتطلّع منها كلّ طريفة، ويُوقِف منها على كلّ لطيفة، وربّما أفرد أحدهما بالحكاية، وخصّ أحدهما بالرواية"(١).

فظاهر كلام الحُصري يوحي بأنّ بديع الزمان الهمذاني ليس منشئ المقامة بإطارها المعروف به، بل هو استلهمها من ابن دريد. وقد أكّد الحُصري أيضاً أنّ بديع الزمان الهمذاني كتب المقامات معارضةً **لأحاديث** ابن دريد وهي أربعون حديثاً لإظهار مقدرته اللغويّة، وتعليم طلاّبه أساليب العرب ولغتهم.

وقد علّق الكتّاب والأدباء المعاصرون على كلام الحُصري، فمنهم من أيّد رأيه، كما قال زكي مبارك في **مجلّة المقتطف**: "بديع الزمان الهمذاني ليس المنشئ الأوّل لفنّ المقامات وإنّما حاكى أحاديث ابن دريد"(٢)، ثمّ يضيف أنّه تتبع "كلّ ما رواه القالي(٣) عن ابن دريد، فروى عنه أكثر من ستّين حديثاً بعضها قصير وبعضها طويل. ثم يستنتج أنّ: حديث ابن دريد في حجّ أبي نواس ممتع خلاّب كتب بطريقة روائيّة تصلح تمام الصلاحيّة لأن تكون أساساً لفنّ المقامات"(٤).

---

(١) الحصري، **زهر الآداب**، مج ١، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) زكي مبارك، "أحاديث ابن دريد"، **مجلّة المقتطف**، يناير إلى مايو السنة ١٩٣٠م، مج ٧٦، ص ٥٦١.

(٣) القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمّد بن سلمان القالي اللغوي، كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريّين. ولد سنة ٢٨٨/٩٠٠. أخذ الأدب عن أبي بكر دريد الأزدي وأبي بكر ابن الأنباري وغيرهم. وله كتاب **الأمالي**، وكتاب **البارع في اللغة**، بناه على حروف المعجم وأمثال ذلك. طاف البلاد، سافر إلى بغداد سنة ٣٠٣/٩١٥، ثمّ دخل قرطبة سنة ٣٣٠ / ٩٤١ واستوطنها، وأملى كتابه **الأمالي** بها. وتوفّي بقرطبة سنة ٣٥٦/ ٩٦٦. وإنّما قيل له القالي لأنّه سافر إلى بغداد مع أهل "قالي قلا" فبقي عليه الاسم. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٤) زكي مبارك، **م.س**، مج ٧٦، ص ٥٦٢ – ٥٦٣.

ولكنّنا نرى بعض الكتّاب المعاصرين يشكّ في ما يقوله الحصري وينبري له ناقداً فقد ذكر مصطفى صادق الرافعي: "أنّ البحث يجب أن يكون في الأصل الّذي نقل عنه صاحب **زهر الآداب** إذ لم يذكر هذا الخبر أحد غيره. وقد كان في آخر عهد بديع الزمان الهمذاني، وكان ينقل في كتابه من الكتب، وهو من القَيْرَوان[1] وليست له رواية ولم يرحل إلى العراق. فمن أين وقع له ذلك الخبر، وهو لو كان صحيحاً لذكره الثعالبي في **اليتيمة** أو في غيره من كتبه ولاستفاض في كلّ كتب التراجم. ولم يذكر أحد في أخبار ابن دريد أنّ له مقامات أو أحاديث، وكتبه محصورة معروفة؛ وقد ولد بديع الزمان الهمذاني بَعد وفاته بنحو ثلاثين سنة، ولا تكون المعارضة عادة إلاّ للمشهور المتداول... والّذي يظهر لنا أنّ صاحب زهر الآداب سمع الخبر من بعض من رحلوا إلى العراق ونقلوا عن علمائه دسَّه هذا كأنّه ممّا انفرد بعلمه فرواه ذاك بلا تحقيق. وهذا كان شائعاً في الأندلس والمغرب...

ثم يقول: وكيف يعارض بديع الزمان الهمذاني حديثاً بأربعمائة مقامة شرّقت وغرّبت، ثم لا يستفيض ذكـــر هذه المعارضة في كتب المشـــرق ولا تراه منقولاً إلاّ عن رجل مـــن أهل القيروان لا رحلة لهُ ولا سند ولا رواية، وإنّما يستطرف من كلّ كتاب ومن كلّ خير؟"[2].

كما نلاحظ أنّ كاتب هذه المقالة بيّن ضعف الحجّة فيما قاله الحصري، ويعطي دليلاً على أنّ الحصري من القيروان، ولم يرحل إلى العراق، وهو سمع الخبر من بعض الّذين رحلوا إلى العراق. فلم يشر إلى ذلك الثعالبي مع أنّه عاصر بديع الزمان الهمذاني، وكان يعرف نثر القدماء وشعرهم.

وفي الحقيقة، حينما نقرأ نصّ الحصري بدقّةٍ وإنعام نظرٍ، نرى أنّه لا يستند إلى دليل معقول، ولا سند، ولا رواية. فيمكننا أن نقبل رأي الرافعي من جهة، ومن جهة أخرى لا بدّ من أن نتساءل: أين العلاقة الفنيّة بين الأحاديث الدريديّة و**مقامات** بديع الزمان الهمذاني؟ وإذا تأثّر بديع الزمان الهمذاني **بأحاديث** ابن دريد، هل تأثّر به أسلوباً أم فكريّاً أم موضوعاً؟ أم هل تأثّر بكلّ هذه الأمور؟ فللإجابة عن هذه الأسئلة، علينا أن نقوم بدراسة وتحليل **لأحاديث** ابن دريد و**مقامات** الهمذاني[3].

---

(١) القيروان: القيروان معرّب، وهو بالفارسية كارَوان، وقد تكلّمت به العرب قديماً؛ وهذه مدينة عظيمـــة بإفريقيّـــة غبرتْ دهراً، وليس بالغرب مدينة أجلّ منها إلى أن قدمت العرب إفريقيّة، وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها فليس بها اليوم إلاّ صعلوكٌ لا يُطمع فيه، وهي مدينة مُصرّت في الإسلام في أيّام معاوية. يـــاقوت الحمـــوي، **معجم البلدان**، مج ٤، ص ٤٢٠.

(٢) مصطفى صادق الرافعي، "خطأ في إصلاح خطأ حول نشأة فنّ المقامات"، **مجلة المقتطف**، يناير إلى مايو السنة ١٩٣٠، مج ٧٦، ص ٥٨٩.

(٣) سنتحدّث عن صلة مقامات بديع الزمان الهمذاني بأحاديث ابن دريد في هذا الفصل، ص ٤٨ – ٤٩.

وما يعنينا أنّ النثر الفنّي في اللغة العربيّة بلغ قمّة الإحكام والصنعة مع **مقامات** الهمذاني، لأنّه أكمل فنّ المقامة.

تبيّن لنا أنّ المقامة قد شاعت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقد اعترف أغلبيّة الأدباء والكتّاب والمؤرّخين القدماء والمعاصرين بأنّ المبتدع الأوّل لفنّ المقامة كان بديع الزمان الهمذاني إلا الحصري وزكي مبارك، فقد اعتقدا أنّ ابن دريد كان مبتكر فنّ المقامة، وبديع الزمان الهمذاني تأثّر **بأحاديث** ابن دريد.

٢- بواعث المقامة في الأدب العربي

يمكننا أن نقسّم بواعث نشأة المقامات في اللغة العربيّة إلى قسمين: بواعث عامّة، وبواعث خاصّة. نذكر باعثين عاميّن:

أوّلاً: الحالة الاجتماعيّة في العصر العبّاسي؛ أي وجود طبقة غنيّة كلّ الغنى، وطبقة فقيرة كلّ الفقر، أدّت إلى ظهور الاستجداء وانتشارها في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي. فلا شكّ في أنّ الاستجداء ساعد في ظهور فنّ المقامة "هذا الضرب من الحياة الاجتماعيّة كان مبعثاً لوجود مقامات بديع الزمان الهمذاني، ومقامات الحَريري"[١].

في رأيي أنّ السبب الحقيقي لظهور فنّ المقامة بأدبها المسجوع وزخارفها اللفظيّة كان انعكاساً للترف الحياتي الّذي شهده العصر العبّاسي، وزخرفة البناء والرسوم والتأثّر بالحضارات المتقدّمة ولا سيّما الحضارة الفارسيّة، أدّى إلى ظهور مدرسة البديع في الشعر على يد مسلم بن الوليد[٢]، وظهور فنّ المقامة الّذي هو الزخرفة الأدبيّة الانعكاسيّة لعصر بدأت تعقيداته الاجتماعيّة تظهر في الأدب، لأنّ في حقيقته هو المعبر الحقيقي عن روح المجتمع. إنّ زخرفة الأدب هي انعكاس لزخرفة الواقع الاجتماعي، وخروج من التعبير المبتعد عن الزخارف في مرحلة بداوة الأمّة.

فقد كانت القصيدة العربيّة في الجاهليّة وصدر الإسلام وحتّى نهاية العصر الأموي تخلو من النهج الزخرفي المفتعل لأنّ الحياة الاجتماعيّة لم تنتقل إلى تعقيداتها إلاّ في العصر العبّاسي عصر الزخارف والنقوش والتخلّص من الأدب الّذي لا تكلّف فيه، فالزخرفة هي بناء فيه تكلّف بنائيّ جميل.

فأصبح أدب الاستجداء شكلاً سائداً في زمن بديع الزمان الهمذاني والحَريري في مجال النثر والشعر. وجعل موضوع التسوّل والمتسوّلين وحيلهم وخدعهم يشغل الأدباء، فنقلوا الحقائق بشكل

---

(١) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) المسلم بن وليد: مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل، **هو أوّل** من أكثر من "البديع" وتبعه الشعراء فيه. توفّي سنة ٢٠٨/٨٢٣. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مــج ٢، ص ١٨٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٧، ص ٢٢٣.

المقامات، ولو أنّ أكثر الكتّاب بعد الحَريري كتبوا مقاماتهم محاكاةً **لمقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري.

ثانياً: إنّ الميل الشديد إلى التكلّف في الصناعة اللفظيّة والبديعيّة في هذا العهد، لإظهار قدرات فنّية في الكتابة والإنشاء، كان باعثاً آخر على ظهور المقامات؛ وهكذا مهّد الطريق لظهور فنّ المقامة للكتّاب المتصنّعين.

وأمّا البواعث الخاصّة لنشأة المقامة في العربيّة، فلا شكّ في أنّها تختلف عند كتّاب المقامة، فعلى سبيل المثال: يبدو أنّ الدافع الأصلي عند ابن دريد لكتابة **أحاديثه** الطويلة والقصيرة، كان إظهار مقدرته اللغويّة، وإلمامه بالمفردات الصعبة والغريبة، وذكر التعابير المختلفة الوجوه؛ "كان هدف ابن دريد لغويّاً بحتاً"(١).

ولكن "كان هدف بديع الزمان الهمذاني إصلاح المجتمع عن طريق عرض مشكلات مختلف الطبقات وإن كان مزيّناً بالسجع والمحسّنات البديعيّة، إلاّ أنّه كان مسلياً للغاية، ولم يظهر فيه أنّ اللغة كانت هي الهدف الأوّل والأخير"(٢).

وقد ذكر الحَريري في **مقاماته** أنّه ألّفها استجابة لمن "إشارته حكم، وطاعته غُنْم"(٣)، وقد اختلف المؤرّخـــون والباحثون حول هويّة هذه الشخصيّة. فقيل "أمره بها صاحب البصرة وواليها"(٤)، على ما رواه الشريشي(٥) شارح **مقامات** الحَريري، وقيل هو شـــرف الديـــن أنوشروان(٦) أحد وزراء المسترشد بالله(٧)، كما أشار إلى ذلك ياقوت الحمويّ(٨)، وابن خلّكان(٩)، وغيرهم، وقيل هو الخليفة

---

(١) محمّد رُشْدي حسن، **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**، ص ١١.

(٢) محمّد رُشدي حسن، **م.ن**، ص ١١.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٥.

(٤) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، ص ٩.

(٥) الشريشي: أبو العبّاس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسيّ الشريشيّ النحويّ، شارح المقامات. كان مبرّزاً في المعرفة بالنحو، حافظاً للغات، ذاكراً للآداب، كاتباً بليغاً، فاضلاً ثقة، عني بالرحلة فـــي طلب العلم. وله شروح على **المقامات، و شرح الإيضاح، و شرح عروض الشعر وعلل القوافي** وغير ذلك. مات بشريش سنة ٦١٩/ ١٢٢٢. الخوانساري، **روضات الجنات**، مج ١، ص ٣٠٧.

(٦) الوزير أنو شروان: كان نبيلاً فاضلاً جليل القدر، له تاريخ لطيف، سمّاه **صدور زمان الفتـــور وفتـــور زمـــان الصدور**. وتوفي سنة ٥٣٢/ ١١٣٧. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٧.

(٧) المسترشد بالله: الفضل (المسترشد بالله) ابن أحمد (المستظهر بالله) ابن المقتدي عبد الله بـــن محمّـــد الهاشـــميّ العبّاسيّ، أبو منصور، من خلفاء الدولة العبّاسيّة. ولد سنة ٤٨٥/١٠٩٢. له شعر جيّد. بويع بالخلافة بعد وفـــاة أبيه سنة ٥١٢/١١١٨. توفي سنة ٥٢٩/ ١١٣٥ في مراغة. الكتبي، **فوات الوفيات**، ج٢، ص ١٢٤؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ١٤٧.

(٨) ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرّخ ثقة، من أئمّة الجغرافيّين، ومن العلماء باللغة والأدب. ولد سنة ٥٧٤/١١٧٨، أصله من الروم، أسّر من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحمويّ، فربّاه وعلمه، وشغله بالأسفار في متاجره ثمّ أعتقه سنة ٥٩٦/١١٩٩ وأبعـــده. رحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو بخراسان، وأقام يتجر، ثمّ رحل إلى حلب وتوفي بها ســـنة ٦٢٦/ ١٢٢٩. من كتبه: **معجم البلدان، و إرشاد الأريب** يعرف **بمعجم الأدباء**، وغير ذلك. ابن خلكان، **م.س**، مج٢، ص ٢١٠؛ اليمني، **مرآة الجنان**، ج٤، ص ٥٩–٦٠؛ الزركلي، **م.ن**، مج ٨، ص ١٣١.

(٩) ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٣؛ ياقوت الحمويّ، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٣.

المستظهر بالله[١]، وذلك في رواية الشريشي[٢]؛ ثمّ أضاف ابن خلّكان في كتابه **وفيات الأعيان**[٣] أنّ الحَريري صنّف **مقاماته** لابن صدقة[٤] وزير المسترشد بالله.

وقيل إنّ الحَريري وضع **مقاماته** ردّاً على أبي زيد سروجي الّذي صار بطل **مقاماته**، فقد قال ابن خلّكان: "كان سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله، قال: كان أبي جالساً في مسجد بني حرام، فدخل شيخ عليه أهبة السفر، رثّ الحال، فصيح الكلام، حسن العبارة. فسألته الجماعة، من أين الشيخ؟ فقال من سَروج[٥]، فاستخبروه عن كنيته، فقال: أبو زيد. فعمل أبي المقامة المعروفة بالحراميّة وهي الثامنة والأربعون، وعَزاها إلى أبي زيد المذكور، واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمّد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله، فلّما وقف عليها أعجبته، فأشار إلى والدي أن يضمّ إليها غيرها، فأتمّها خمسين مقامة. وإلى الوزير المذكور أشار الحَريري في خطبة **المقامات**، بقوله: فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات، أتلو فيها تلو بديع الزمان الهمذاني، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع"[٦].

ثمّ أضاف ابن خلّكان: "رأيت نسخة مقامات بخطّ مصنّفها الحَريري، وقد كتب بخطّه أيضاً على ظهرها: إنّه صنّفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العزّ عليّ بن صدقة وزير المسترشد. ولا شكّ في أنّ هذا أوضح من الرواية الأولى لكونه بخطّ المصنّف"[٧].

ومن المعروف أنّ الحَريري لما كتب أربعين مقامة، لم يصدّقه أدباء بغداد، وقالوا: "إنّها ليست من تصنيفه، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادّعاها، فاستدعاه الوزير إلى الديوان، وسأله عن صناعته، فقال: أنا رجل منشئ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عيّنها، فانفرد في ناحية من الديوان، وأخذ الدواة والورقة، ومكث زماناً كثيراً، فلم يفتح الله

---

(١) المستظهر بالله: أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن محمّد بن القائم، أبو العبّاس، ذخيرة الدين، خليفة عبّاسيّ، ولد سنة ٤٧٠/ ١٠٧٧. ولّي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧/ ١٠٩٤، واتّسق له الأمر على حداثة سنّه. وكانت خلافته ٢٤ سنة، مات ببغداد سنة ٥١٢ / ١١١٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج٩، ص ٤٠ – ٧٨؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٥٨.

(٢) الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقدّمة"، ص ٩.

(٣) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٣ – ٦٤.

(٤) ابن صدقة: الحسن بن عليّ بن صدقة، أبو علي، عميد الدولة جلال الدين، وزير الخليفة المسترشد بالله، العبّاسي. استوزره المسترشد سنة ٥١٣/ ١١١٩، وصرفه سنة ١١٢٢/٥١٦ وأعاده سنة ٥١٧/ ١١٢٣، فظلّ في الوزارة إلى أن توفّي ببغداد سنة ٥٢٢/ ١١٢٨. الكتبي، **م.س**، ج٨، ص ١٢٤؛ الزركلي، **م.س**، مج ٥، ص ٢٠٢.

(٥) سروج: هي بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. غلب عياض بن غنم على أرضها، ثمّ فتحها صلحاً. وهي الّتي يعيد الحَريري في ذكرها ويبدي في مقاماته. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٣، ص ٢١٦ – ٢١٧.

(٦) ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٣.

(٧) ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٤.

سبحانه عليه بشيء من ذلك، فقام وهو خجلان فلمّا رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أُخَر وسيّرهنّ، واعتذر من عِيِّهِ، وحَصَرَه بالديوان بما لحقه من المهابة"[١]. حينئذٍ ظهر فضله، وعلموا أنّها من عمله، ونالت **مقاماته** شهرة فائقة في زمنه وقد اعتنى بها الأدباء فقاموا بشرحها، فذاع صيتها في كلّ العصور حتّى أيّامنا هذه.

وأمّا الشريشي شارح **مقامات** الحَريري فهو يروي رواية على لسان الحَريري حول سبب وضع **المقامات**، وهي: "الحَريري يقول: أبو زيد سروجيّ كان شحّاذاً بليغاً مكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة، فوقف يوماً في مسجد بني حرام، يتكلّم ويسأل الناس شيئاً، وكان بعض الولاة حاضراً، والمسجد غاصّ بالفضلاء، فأعجبهم بفصاحته، وحسن صناعته، وملاحته. وذكر أسْر الروم ابنته، كما ذكرنا في المقامة الحراميّة، وهي الثامنة والأربعون؛ قال فاجتمع عندي عشيّة ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل، وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده. فحكى كلّ واحد من جلسائي أنّه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنّه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن ممّا سمعت، وكان يغيّر في كلّ مسجد زيّه، وشكله، ويُظهر في فنون احتياله، فتعجّبوا من جريانه في ميدانه، وافتنانه في إحسانه. قال الحَريري: فابتدأت في إنشاء المقامة الحراميّة تلك الليلة حاذياً حذوه"[٢]، "ثمّ بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أوّل شيء صنعته"[٣].

ولأنّ الحَريري لم يذكر اسم المشجّع لكتابة **مقاماته**، فمن الصعب أن نحدّد اسم ذلك الشخص، إلاّ أن نعود إلى تاريخ كتابة **المقامات**، ثمّ نحاول معرفة تاريخ تنصيب الوزراء؛ فحينئذٍ يمكن إبداء رأينا. فقد أتمّ الحَريري **مقاماته** سنة ٥٠٤/١١١٠، والمسترشد بالله بويع بالخلافة سنة ٥١٢/١١١٨، والوزير أنوشروان تولّى وزارة المسترشد بالله بعد ذلك؛ فمن المؤكّد أنّ الحَريري لم يقصده. وأمّا ابن صدقة فقد تولّى الوزارة سنة ٥١٢ أي ثماني سنوات بعد تأليف المقامات، فمعنى ذلك أن لا صلة بينه وبين تأليف **المقامات**.

---

(١) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج٤، ص ٦٥ – ٦٦؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، مج ١، ج ٢، ص ٥١ – ٥٢؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج ٢، ص ٢٥٧ – ٢٥٨؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٧٨٨.

(٢) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدمة"، ص ٩؛ أنظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٣.

(٣) ياقوت الحموي، م.ن، ج ١٦، ص ٢٦٣.

وأمّا الخليفة المستظهر بالله فقد تولّى الخلافة سنة ١٠٩٤/٤٨٧، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة، فيمكننا القول إنّه شجّع الحَريري على كتابة **المقامات**، وما رُوي عنه صحيح.

ومن الممكن أن نعتقد بأنّ ما حدث للحريري في المسجد الحرام، قد شجّعه على أن يكتب المقامات مقلّداً بديع الزمان الهمذاني، وناسجاً على منوال المقامات الهمذانيّة.

ومهما يكن فالمقدّمة تصف شخصيّة مهمّة، يملك السلطة، ومُنعمة في آنٍ واحد، وكأنّه كلّف الحَريري إنشاءَ مقامات. وقد نجح الحَريري في إنجاز المهمّة الّتي كُلِّفَ. ويبدو أنّ هذه الشخصيّة كانت ذات سلطة قررّت تأليف المقامات لا الحَريري.

لماذا تمّ التوجّه إلى الحَريري بِعَينه لا إلى سواه؟ وما الهمّ الّذي دفع بالحاكم يطلب إلى الحَريري إنشاء المقامات؟

لربّما جاء جواب السؤال الأول: أنّ الحَريري كان مرشّحاً لأنّه كان يملك مؤهّلات، وهو كان "رئيس مصلحة الاستخبارات" في البصرة[١]، وكان غنيّاً ولم يكن مجبراً على التكسّب بقلمه. فقد انتخب لإحياء الأدب في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وجواب السؤال الثاني: أنّ المقامة صريحة في هذا المجال، بقول الحَريري: "في بعض أندية الأدب الّذي رَكَدَتْ في هذا العصر ريحه، وخَبَت مصابيحه"[٢]. فمن الواضح أنّ الأدب كان في عصر الحَريري مهدّداً بالموت، وكان مهمّة الحَريري إغاثة الأدب، وإثارة ريح منعشة، وإحياء اللهيب الّذي كاد يخبو.

أشرنا إلى بواعث نشأة المقامة في الأدب العربي، وقسّمناها قسمين: بواعث عامّة وبواعث خاصّة. وقد ذكرنا باعثين عامّين، وقلنا إنّهما: ١- الاستجداء في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان سبباً رئيساً لوجود المقامات العربيّة. ولمّا ظهرت الكدية وانتشرت في هذا القرن، تأثّر الأدباء بها، واعتنوا بموضوع التكدّي والمتكدّين وحيلهم في النثر والشعر. ٢- ظهرت المقامات بسبب ميول شديدة إلى التكلّف في الصناعة اللفظيّة والبديعيّة.

وذكرنا البواعث الخاصّة لنشأة المقامة في الأدب العربي أيضاً، وهي تختلف عند كتّاب المقامات، منهم مَن كتب المقامات تقليداً ومعارضة للآخرين، أو لإظهار القدرات اللغويّة والفنيّة، ومنهم مَنْ كتب المقامات بسبب تشجيع الآخرين.

---

(١) أنظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٢.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٤.

٣- أشهر روّادها في مرحلة نشأتها في الأدب العربي

يتناول هذا المبحث أشهر روّاد المقامة في الأدب العربي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أي ابن دريد وبديع الزمان الهمذاني، وسيرتهما، وأهمّ آثارهما، وخصائصها، وغرضها.

٣-١- ابن دُرَيْد (٣٢١ / ٩٣٣)

الرجل وآثاره

نتحدّث عن سيرة ابن دريد المنشئ الأوّل لفنّ المقامة، وآثاره، وسماتها وغرضها باختصار.

هو أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي، ولد بالبصرة سنة ٨٣٧/٢٢٣[١]، في عائلة تشتغل بالتجارة المتنقّلة بين عمّان وجنوب العراق[٢]. وهو صاحب **المقصورة والأحاديث** المشهورة[٣] "نشأ بعمّان وتنقّل في جزائر البحر، والبصرة، وفارس، وطلب الأدب، وعلم النحو واللغة. وكان أبوه من رؤساء زمانه؛ وورد بغداد بعد أن أسنّ فأقام بها إلى آخر عمره"[٤] حتّى توفّي سنة ٣٢١/ ٩٣٣[٥]. وعند وفاته قال الناس: "مات عِلْمُ اللغة والكلام بموت ابن دريد"[٦].

كان ابن دريد شاعراً، و"كان أعلم الشعراء، وأشعر العلماء"[٧]. وقد "عُرف بقوّة الحفظ وكثرة الإملاء"[٨]. و"كان رأس أهل العلم، والمقدّم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، وله شعر كثير"[٩].

قيل أوّل شعر أنشده ابن دريد هذا: (بحر البسيط)

ثَوْبُ الشَّبابِ عَلَيَّ اليومُ بَهْجَتُـه   وسَوْفَ تَنْزِعُهُ عنِّي يَدُ الكِبَـرِ
أَنَا ابنُ عِشرينَ ما زادَتْ ولا نَقصتْ   إنَّ ابنَ عِشْرِينَ مِنْ شَيْبٍ عَلَى خَطَرِ[١٠]

---

(١) ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٩١.

(٢) ابن دريد، **الديوان**، ص ١٠.

(٣) الأسدي، **طبقاة النحاة واللغويّين**، ص ٨٣.

(٤) البغدادي، **تاريخ البغداد**، ج ٢، ص ١٩٥.

(٥) البغدادي، **م.ن**، ج ٢، ص ١٩٧؛ القفطي، **إنباه الرواة**، ج ٣، ص ٩٥.

(٦) ابن الأنباري، **م.س**، ص ١٩٢.

(٧) القفطي، **م.س**، ج ٣، ص ٩٤.

(٨) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ٦، ص ٤٨٦.

(٩) البغدادي، **م.س**، ج ٢، ص ١٩٥.

(١٠) البغدادي، **م.س**، ج ٢، ص ١٩٦.

أشعار ابن دريد محفوظة في الكتب الأدبيّة، "وله **ديوان** شعر صغير، يجري فيه على أسلوب العلماء بعيداً عن الطبع والرونق. وفي هذا الديوان مدح وهجاء ورثاء وغزل ووصف وأغراض وِجْدانيّةٌ مختلفة. وتَكْثُر في شعره الحكمة. وقد اشتهر ابن دُريدٍ بقصيدته المقصورةِ المعروفة **بمقصورة ابن دريد**"(١).

ولا شكَّ في أنّه كان بارعاً في النثر أيضاً، وصنَّف كتباً كثيرة، منها: "كتاب **الجمهرة** في اللغة، وهو كتاب جليل جداً وكتاب **الأمالي**، وكتاب **الاشتقاق** وكتاب **المجتني** وكتاب **الخيل** وكتاب **غريب القرآن** ولم يتمّه وكتاب **أدب الكاتب**، على مثال كتاب ابن قتيبة وغير ذلك"(٢). ولكن لم يبق من آثاره النثريّة، إلاّ الأحاديث النبويّة أي الأربعون حديثاً الّتي ذكرها الحصري في كتابه **زهر الآداب**. وهي الأحاديث نفسها الّتي وصلت إلى بديع الزمان الهمذاني، وشجّعته على كتابة مقاماته.

- أحاديثه

من يقرأ **أحاديث** ابن دريد الطويلة والقصيرة يلاحظ أنّها في جملتها تمثّل جانب الدعابة والفنّ، وتتّجه اتّجاهاً تعليميّاً، أشار إلى هذا الموضوع الحُصري بقوله: "استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجميّة، وألفاظ حوشية، وتوسّع فيها؛ إذ صرَّف ألفاظها ومعانيها، في وجوه مختلفة، وضروب متصرّفة"(٣).

- سِماتها

إنّ "أحاديث ابن دريد تقوم على حكاية مُسْنَدة وإن تعدّد السند"(٤). ومن ميزاتها الّتي يمكننا أن نشير إليها:

- الموضوع
- الوصف
- الوعظ والإرشاد والوصايا
- الكدية
- الأسلوب
- الأبطال
- الأسلوب والحوار

---

(١) عمر فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٢، ص ٤١٧.

(٢) الأسدي، **طبقات النحاة واللغويّين**، ص ٨٤ – ٨٥؛ ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٩٢؛ القفطي، **إنباه الرواة**، ج ٣، ص ٩٦ – ٩٧.

(٣) الحصري، **زهر الآداب**، مج ١، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) فيكتور الكك، **بديعيّات الزمان**، ص ٥٤.

فنقوم بشرح هذه الميزات باختصار:

- **الموضوع**: ليست **أحاديث** ابن دريد ذات موضوع واحد، بل هي مجموعة لموضوعات شتّى [تختلف بين حديث وآخر]. فبعض أحاديثه موضوعها الكدية، وبعضها يصوّر لنا حياة الأعراب وأخلاقهم وعاداتهم وصفاتهم وأيّامهم. "واهتمّ بتصوير الشمائل العربيّة، وكَلِفَ بنوع خاصّ بتقديم طائفة من الصور المختلفة عن أحلام النساء في فهم الرجال، وإعجاب البنات بأعمال الآباء وما يقع من الملاحاة بين الأزواج، والتواصي بين الشباب والكهول. كلّ ذلك بطريقة قويّة أخّاذة تجعل له مكاناً بين العالمين بالغرائز وأهواء النفوس"(١).

- وأمّا **الوصف** فهو الميزة البارزة الّتي اعتمد عليها ابن دريد في **أحاديثه**. وجمع الألفاظ الغريبة والمترادفة بكثرة في حديث في وصف الشاب للفرس الّذي اشتراه(٢). بالإضافة إلى حديث طويل في وصف الفرس وهو حديث الجواري الخمس اللاتي وصفن خيل آبائهن(٣).

- **الوعظ والإرشاد والوصايا**: تتضمّن **أحاديث** ابن دريد الوعظ والإرشاد كثيراً، وسنجد هذه الأحاديث في كتاب **الأمالي** لأبي علي القالي، منها: مطلب حكم ومواعظ من كلام الحكماء، وتشتمل على نصائح وإرشادات من معاوية حيث يقول: "الفرصة خُلسة، والحياءُ يمنع الرزق، والهَيبةُ مقرونٌ بها الخيبة، والكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن"(٤).

وأمّا فيما يتعلّق بالوصيّة فزيّن ابن دريد حديثه في وصيّة عبد الله بن شدّاد لابنه(٥) بأسلوب منمّق ورائع، بأبيات من الشعر.

---

(١) زكي مبارك، **النثر الفنّي**، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) يصف ابن دريد فرساً، ويقول: "... إذا استقبلَ فظبي ناصب، وإذا استدبرَ فهِقْلٌ خاضب، وإذا استعرض فسيدٌ قارب، مُؤَلَّلُ المِسْمَعَيْن، طامحُ الناظرين...". القالي، **الأمالي**، ج ١، ص ٤١.

(٣) يقول ابن دريد: "اجتمع خمسُ جوارٍ من العرب فقلن: هَلُمْنَ نَصِفْ خيل آبائنا. فقالت الأولى: فرس أبي وَرْدة، وما وَرْدة! ذاتُ كَفَلٍ مُزَحْلَق، ومَتن أصور، وجَوْف أخْوَق؛ ونَفَسٍ مروح، وعين طَروح... وقالت الثانية: فرس أبي اللّعّاب! وما اللّعّاب! غَبْيَةُ سَحاب، واضطرامُ غاب؛ مُتْرَص الأوصال، أشَمُّ القَذَال... وقالت الثالثة: فَرَس أبي حُذَمة، وما حُذَمة! إن أقبلتْ فقَناةُ مقوَّمة، وإن أدبرتْ فأُثْفِيَّة مُلَملَمة، وإنْ أعرضتْ فذئبه مُعَجْرَمة... وقالت الرابعة: فرس أبي خَيْفَق، وما خَيْفَق! ذات ناهقٍ مُعْرَق، وشِدْق أشْدَق، وأديم مُمَلَّق... وقالت الخامسة: فرس أبي هُذْلول، وما هُذْلول طَريدُه مَحْبول، وطالِبُه مَشكول؛ رقيق الملاغِم، أمين المعاقِم... القالي، م.ن، ج١، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٤) القالي، م.ن، ج ١، ص ١٩٤.

(٥) قال ابن دريد: "لما حضرتْ عبد الله شدّاد بن الهادِ الوفاةُ دعا ابناً له يقال له محمّد، فقال: يا بُنيَّ، إنّي أرى الموت لا يُقلِع، وأرى من مَضَى لا يَرجع... وإنّي مُوصيك بوصيّة فاحفظْها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكرُ الله وحُسن النيّة في السرّ والعلانية...". القالي، م.ن، ج٢، ص ٢٠٢.

وفي الحقيقة جاءت حِكم ابن دريد ووصاياه في قالب فنّيّ رائع.

- **الكدية:** نرى أحاديث كثيرة لابن دريد في كتاب **الأمالي** تتضمّن معنى الكدية[١]، كحديث الأعرابي السائل وقف في المسجد الحرام أمام المصلّين[٢]. وهذا الحديث يدور حول أعرابي وقف في المسجد الحرام، ويعرض أحواله للنـاس، ويطلب الإحسان بأسلوب مسجّع.

- **الأبطال:** وأمّا بالنسبة إلى أبطالها فهم متعدّدون، بعض الأحيان يكون أشخاص الأحاديث من الأعراب، وأحياناً لا يعرف لهم اسم أي أنّهم نكرات وغير موجودين، فالملاحظ أنّ ابن دريد هو الّذي اخترع هؤلاء الأشخاص.

- **الأسلوب والحوار:** اهتمّ ابن دريد بالأسلوب، فقد لجأ إلى أسلوب منمّق وقام بترصيعه بأشعار. ولقد استعمل الجناس والسجع بكثرة ويعدّ السجع من المحسّنات اللفظيّة الّتي اعتمد عليها في الأحاديث. وبمراجعة **أحاديث** ابن دريد يلاحظ أنّ أبطال **الأحاديث** أكثرهم من أعيان الجاهليّة، وينطقهم ابن دريد بحوار بسيط يمثّل فيه ما كان يتمتّع به أسلافهم من طباع كريمة يعتزّ بها زعماء الجاهليّة وأعيانها. على سبيل المثال حديث الرجل وابنيه عمرو وربيعة[٣].

- **غرضها**

"لا شكّ في أنّ **أحاديث** ابن دريد كانت ذا مقصد واحد وهو التلقين اللغوي دون أيّ اعتبار آخر، وليس فيها من الفنّ القصصي إلاّ خيال خاطف في بعضها"[٤]. يبدو أنّ غاية ابن دريد كانت تعليميّة صرفة، ليتعلّم الناشئة اللغة وغريبها.

---

(١) هذه الأحاديث هي: "حديث عنوانه مطلب خطبة إسماعيل بن أبي الجهم بين يدي هشام بن عبد الملك ومـا وقـع بينهما من الحديث". القالي، **الأمالي**، ج ١، ص ١٤٧، وأيضاً "حديث سؤال بعض الأعراب". أنظر: القالي، **م.ن**، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) يقول ابن دريد في خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام: "بينا أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا الأعرابيّ فقال: يا مسلمون، إنّ الحمد لله والصلاة على نبيّه، إنّي امرؤ من أهل هذا المِلطاط الشرقيّ المواصـي أسـيافَ تِهامة، عكفَتْ عَلَيَّ سُنون مُحْشٌ، فاجتَبّت الذُّرَى... وهَمّت الشَّحْم، والْتَحَبَت اللّحْم... فخرجت لا أتَلَفَّع بَوصـيدَه، ولا أتَقَوّت هَبيدَه... وأحزن راكعاً، فهل من آمرٍ بمَيْرٍ، أو داعٍ بَخَيْرٍ، وَقَاكم اللهُ سَطوة القادر، ومَلَكَة الكاهِر...". القالي، **م.ن**، ج ١، ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) والحديث هو: "كان لرجل من مَقاوِل حِميَر ابنان يقال لأحدهما: عمرو وللآخر: ربيعة، وكانا قد بَرَعا في الأدب والعلم، فلمّا بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفَى على الفناء، دعاهما ليَبْلُو عقولَهما، ويعرف مبلغ علمهما، فلمّا حضرا قال لعمرو - وكان الأكبر - : أخبرني عن أحبّ الرجال إليك، وأكرمهم عليك، قال: السيّد الجواد، القليل الأنداد، الماجد الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيع العماد... قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: ما أحسنَ ما وصَف! وغيرُه أحبّ إليّ منه، قال: ومن يكون بعد هذا؟ قال: السيّد الكريم، المانع للحريم، المِفضال الحليم، القَمقام الزعيم...". القالي، **م.ن**، ج ١، ص ١٥.

(٤) مصطفى الشكعة، **بديع الزمان الهمذاني**، ص ٢١١.

لا شكّ في أنّ ابن دريد اهتمّ بالمعنى أيضاً، و**أحاديثه** فيها إيجاز، ووضوح كامل.

ولا يفوتنا أن نذكر الحقيقة التالية: وهي أنّنا ما كنّا نعرف شيئاً عن ابن دريد كواضعٍ **للمقامات** لولا أن نبّهنا الحُصري في كتابه **زهر الآداب** إلى أحاديث ابن دريد. وقد لاحظنا أنّ الغاية الرئيسة **لأحاديث** ابن دريد تعليميّة. كما قد عرفنا من خلال أساليبه البلاغيّة في **أحاديثه** أنّه كان حريصاً على تعليم الناشئين استعمال مفردات اللغة.

تدور **أحاديث** ابن دريد حول موضوعات مختلفة، منها الكدية. وقد اعتمد ابن دريد على الوصف كثيراً، وتتضمّن **أحاديثه** الوعظ والإرشاد بكثرة، وتتعدّد الشخصيّات التي تدور حولها **أحاديثه**. وأكثر **أحاديث** ابن دريد عن أبطال من أعيان الجاهليّة، ينطقهم بحوار بسيط. وقد لجأ ابن دريد إلى أسلوب منمّق، واعتنى بالمحسّنات اللفظيّة.

٣-٢- بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ / ١٠٠٧)

- الرجل وآثاره

هويّته: هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد[١]، الملقّب ببديع الزمان الهمذاني[٢] ولد في مدينة هَمَذان[٣]، وهي مدينة جبليّة في غرب إيران سنة ٩٦٨/٣٥٨[٤]. ولا يخبرنا المؤرّخون عن تاريخ ميلاده. كما أنّنا لا نعرف كثيراً عن طفولته.

كان من أجلاّء شعراء الإماميّة، وكتّابهم. ويصفه الثعالبي[٥] من معاصريه بمعجزة همذان، ونادرة الدهر، بقوله: "بديع الزمان الهمذاني معجزة همذان، ونادرة الفلك... وغرّة العصر، ومَن لم يلق نظيرَه في ذكاء القريحة... فإنّه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها أنّه كان يُنشَد القصيدة الّتي لم يَسْمَعْها قطّ - وهي أكثر من خمسين بيتاً - فيحفظها كلّها ويؤدّيها من أوّلها إلى آخرها... وكان

---

(١) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ١٢٧.

(٢) المدني، **أنوار الربيع**، ج ١، ص ١٤١.

(٣) هَمَذان: إنّها من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها، وما زالت معدناً لأهل الدين والفضل، إلاّ أنّ شتاءها مفرط البرد. قال بعض علماء الفرس: كانت همذان أكبر مدينة بالجبال، ومعناه المحبوبة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ٤٧١ - ٤٧٢. والجدير بالذكر أنّ مدينة همذان كانت قديماً عاصمة الملوك، وتعدّ الآن من أهمّ المحافظات في إيران.

(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ١٣.

(٥) الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي الفراء، النيسابوري الأديب اللغوي، صاحب التصانيف مثل كتاب **يتيمة الدهر**، وكتاب **فقه اللغة** وغير ذلك. توفّي سنة ١٠٣٧/٤٢٩، وقيل سنة ١٠٣٨/٤٣٠. الخوانساري، **روضات الجنات**، مج٥، ص ١٦٢ - ١٦٣.

ربما يكتب الكتاب المقترَح عليه فيبتدئ بآخر سطر منه ثمّ هلمّ جرّا إلى الأول... وكان يترجم ما يُقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانيّ الغريبة بالأبيات العربيّة، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب كثيرة لا تُحصى..."[١]. وهكذا يجمع الثعالبي جميع هذه المواهب في بديع الزمان الهمذاني.

وقد أجمع المؤرّخون على نبوغ بديع الزمان الهمذاني وعلّو مرتبته في الأدب، فأبو الفتح الإسكندري – بطل **مقامات** الهمذاني – يمثّل قدرة الهمذاني الفائقة على الارتجال وسرعة البديهة.

"وقد استطاع البديع أن يطلّع على الناس بأشياء جديدة، كالمقامات وكتابة الرسائل الّتي كلّ حروفها معجمة أو مهملة، أو رسائل إذا قرئت من أولّها إلى آخرها كانت سؤالا، وإذا قرئت من آخرها إلى أولّها كانت جواباً...أو رسالة كلّ سطورها مبدوءة بالميم، أو أبيات إذا فسّرت بطريقة خاصّة كانت مدحا، وإذا فسّرت بطريقة أخرى كانت ذمّا"[٢].

اتّفق المؤرّخون على أنّه توفّي سنة ١٠٠٧/٣٩٨[٣]، قيل إنّه "قتل بالسم، وقيل إنّه عرض له داء السكته فعجّل دفنه، ولمّا أفاق سمعوا صراخاً منه بالليل، فنبشوا قبره، فوجدوه قابضاً على لحيته، وقد مات من هول القبر"[٤].

– أصله

ويوجد اختلاف بين مؤرّخي العرب والفرس وأدبائهم على هويّة بديع الزمان الهمذاني، وأصله هل هو فارِسيّ أم عربيّ؟ وذلك بسبب مقامه الرفيع في الأدب، فكلّ شعب يفتخر بأن ينسبه إليه، ويعتزّ به.

يقول الفرس إنّ بديع الزمان الهمذاني كان إيرانيّاً[٥]، بسبب لقبه الهمذاني ولو أنّ الباحثين لا يعتمدون على انتساب الأشخاص إلى المدن والبلاد والأراضي؛ لأنّنا نعرف كثيراً من الأدباء الّذين هم معرفون بالبغدادي، أو الموصلي، أو الشامي، أو القونيويّ ولكنّهم إيرانيّو الأصل، فلقّبوا بهذه الألقاب لأنّهم هاجروا من إيران إلى هذه المدن، وعاشوا فيها حتى آخر عمرهم، وهناك وصلوا إلى درجات علميّة رفيعة؛ فلذلك علينا أن ننظر إلى أجدادهم وأصلهم.

---

(١) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٦– ٢٥٧.

(٢) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ١٢٩؛ الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ١، ص ٢٣٩؛ الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٤) الخوانساري، **م.ن**، مج ١، ص ٢٣٩؛ المدني، **أنور الربيع**، ج ١، ص ١٤١؛ سركيس، **معجم المطبوعات**، ج ٢، ص ١٨٩٦.

(٥) أنظر: دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤، ص ١١٧٤ – ١١٧٥؛ معين، **فرهنگِ فارسی معین**، مج ٥، ص ٢٤٨.

ويعتقد الأدباء الفرس أنّه أعجميّ لأنّه يشير إلى موطنه همذان، وإلى أنّه لم يكن يحبّ مسقط رأسه، ولمّا ترك همذان، أنشد شعراً في ذمّها، وقال: (بحر الكامل)

هَمَذَانُ لِـي بَلَدٌ أَقُولُ بِفَضْلِـه ... لكنَّـهُ مِـنْ أقبـحِ البُلْـدانِ

صِبيانُـهُ فِي القُبْحِ مِثْلُ شُيوخِـه ... وشُيوخُه فِي العَقْلِ كالصِّبيانِ(١)

ولكنّ باحثي العرب يعتقدون أنّه "ليس فارسيّاً كما قد يُظنّ وإنمّا هو عربيّ مضَريّ تغلبيّ"(٢)، لأنّ الهمذاني هو الّذي قال في إحدى رسائله: "... اسمي أحمد، وهمذان المَولِد، وتَغلب المَورِد، ومُضَر المَحْتِد"(٣).

لاحظنا أنّ بعض المؤرّخين والأدباء اعتقد أنّ الهمذاني يعود إلى أصول فارسيّة والبعض الآخر ذكر أنّه عربيّ الانتماء فارسي النشأة في همذان، ومهما يكن فإنّنا ننظر إلى جنسيّته نظرةً متسامية على العِرق والمكان إنّه أديب مُبدع.

- أساتذته ورحلاته

ما كان بديع الزمان الهمذاني يحبّ مسقط رأسه همذان. ولا نعرف شيئاً عن الأسباب الّتي أجبرته على مفارقة بلده، ويبدو أنّه خرج من همذان لطلب العلم والمعرفة والطموح الّذي يعتري أصحاب النبوغ من طبقته. فلهذا "فارقه سنة ٩٩٠/٣٨٠، وهو في مُقتبل الشبيبة، وقد درس على أبي الحسين بن فارس(٤)، قد استنفد علم أستاذه واستنزف بحره، وورد حضرة الصاحب أبي القاسم(٥)، فتزوّد ثمارها، وحُسن آثارها. ثمّ قدم جُرجان(٦)، وأقام بها مدّة على مداخلة

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ٤٧٨.

(٢) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ١٣.

(٣) شوقي ضيف، **م.ن**، ص ١٣.

(٤) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريّاء القزويني الرازي، أبو الحسين، ولد سنة ٣٢٩ / ٩٤١. هو من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني، والصاحب ابن عبّاد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين وأقام مدّة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ، فتوفّي فيها سنة ١٠٠٤/٣٩٥، وإليها نسبته. من تصانيفه **مقاييس اللغة**، و **المجمل**، وغير ذلك. ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ٤، ص ٨٠ – ٩٨؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٩٣.

(٥) الصاحب بن عبّاد: الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن العبّاس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقاني؛ أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب **المجمل في اللغة**، وهو أوّل من لقّب بالصاحب من الوزراء لأنّه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد. وصنّف في اللغة كتاباً سمّاه **المحيط**، وكتاب **الكافي في الرسائل** وأمثال ذلك. وكان مولده سنة ٩٣٧/٣٢٦ بإصطخر، وقيل بالطالقان، وتوفّي سنة ٩٩٥/٣٨٥ بالريّ، ثمّ نقل إلى أصبهان. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ٢٢٨ – ٢٣١.

(٦) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وقيل أوّل من أحدث بناءها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، وقد خرج منها صورّ من الأدباء، والعلماء، والفقهاء، والمحدثين، ولها تاريخ ألّفه حمزة بن يزيد السهمي. وإنّها أكبر مدينة بنواحيها، وهي أقلّ ندىً ومطراً من طبرستان، وأهلها أحسن وقاراً، وأكثر مروءة ويساراً من كبرائهم. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٢، ص ١٣٩.

الإسماعيليّة[١] والتعيّش في أكنافهم، والاقتباس من أنوارهم. ثمّ قصد نيسابور[٢]، وأملى أربعمائة مقامة في الكدية"[٣]. وفي "نيسابور سنة ١٠٠١/٣٩٢، أي بعد أن فارق وطنه باثني عشر عاماً، شجر بينه وبين أبي بكر الخوارزمي[٤] ما كان سبباً في علوّ أمره، وبُعْد صيته، وجرت بينهما مكاتبات ومناظرات ومناضلات، وغلّب هذا قوم وذاك آخرون، وبذلك طار ذكر الهمذاني في الآفاق"[٥].

آثاره

خلّف بديع الزمان الهمذاني **الرسائل، وديوان شعر والمقامات**. وأمّا **رسائله** فهي تشتمل على" مائتين وثلاث وثلاثين رسالة تدور حول مسائل أدبيّة، وتحاكي **رسائل** الخوارزمي[٦] في أسلوبها الأنيق، والمسجّع، والحافل بالزخارف البيانيّة والمحسّنات البديعيّة"[٧]. "وهي أبدع رسائل، تشعّبت

---

(١) الإسماعيليّة: فرقة من فرق الشيعة، أخذت أصولها المذهبيّة عن الأصول الشيعيّة [الّتي وجدت قبل ظهور الإسماعيليّة] وكان الخلاف ينحصر في نقطة واحدة حول الإمامة بعد النبي ﷺ، لأنّ الشيعة جعلوا الإمامة حقّاً شرعيّاً للإمام علي بن أبي طالب ولأبنائه من بعده. وحجّتهم هي أنّ النبي (ﷺ) في عودته من حجّة الوداع نزل بغدير خمٍ، وهناك جاء الوحي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾. محمّد كامل حسين، **طائفة الإسماعيلية**، ص ٣.

(٢) نَيْسابور: العامّة يسمّونها نَشَاوُور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، منبع العلماء. وكان المسلمون قد فتحوها في أيّام عثمان بن عفان، وقيل إنّها فتحت في أيّام عمر. وقد خرج منها أئمة العلم من لا يُحصى. ياقوت الحموي، **م.ن**، مج ٥، ص ٣٣١ – ٣٣٢.

(٣) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٤) أبو بكر الخوارزمي: محمّد بن العبّاس الخوارزمي، أبو بكر، من أئمة الكتّاب، وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب، وهو صاحب **الرسائل** المعروفة برسائل الخوارزمي. ولد في خوارزم سنة ٩٣٥/٣٢٣، ونشأ بها، ورحل في صباه إلى بعض البلدان، فدخل سجستان، ومدح واليها طاهر بن محمّد، ثمّ هجاه، فحبسه. وكانت بينه وبين بديع الزمان الهمذاني محاورات وعجائب. توفّي سنة ٩٩٣/٣٨٣ في نيسابور. الكتبي، **فوات الوفيات**، ج ١، ص ٥١١؛ الزركلي، **الأعلام**، مج٦، ص ١٨٣.

(٥) آدم متز، **الحضارة الإسلاميّة**، مج ١، ص ٣٤٤؛ سركيس، **معجم المطبوعات**، ج ٢، ص ١٨٩٥ – ١٨٩٦؛ الثعالبي، **م.س**، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٦) رسائل الخوارزمي: وأمّا موضوع الرسالة فهو بمثابة خيط ينسج الفنّان حوله ثمرات خياله وبلاغته، وبين هذا الأسلوب وبين الأسلوب العربي القديم كثير من وجوه الشبه، من شغف بالألفاظ الجزلة ذات الجرس، والتشبيهات الحسنة، وقلق نفس الكاتب. والصفات الرئيسة الّتي اتّصف بها أسلوب الخوارزمي، هي أيضاً صفات الأسلوب الساخر: وهي المبالغة والتكرار والحشو، وهو يعمد إليها باعتبارها طريقة فنّيّة في الكتابة. وأمّا الخوارزمي فهو كان في نظر معاصره الهمذاني لا يحسن من الكتابة إلاّ الطريقة الساذجة. لمزيد من التفصيل أنظر: آدم متز، **م.ن**، مج ١، ص ٣٤٢ – ٣٤٤.

(٧) بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٢، ص ١١٤؛ سركيس، **م.س**، ج ٢، ص ١٨٩٦؛ بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، ص ٦ – ٧.

فنونها، وحسن طرزها، فهي من السهل الممتنع على سواه.. ومن مارسها تسلّق إلى فنون الإنشاء"[١].

وبديع الزمان الهمذاني كتب هذه الرسائل "لأهله، وإخوانه وأصدقائه، وحدّثهم فيها عن شوقه وحياته، أو قصّ لهم فيها بعض ما جرى له من أمور"[٢].

وترك الهمذاني "**ديوان** شعر حافل كنثره بالصنعة والزخرفة"[٣]، و"يحتوي على كثير من أغراض الشعر؛ ففيه المديح والهجاء والرثاء والاعتذار والفخر وغير ذلك. والهمذاني في بعض قصائده يخلط العربيّ بالفارسي، وذلك أثر من آثار الثقافة الفارسية"[٤].

- مقاماته

نعالج في هذا القسم مصادر فكرة المقامات، وكيفيّة تبلورها وظهورها لدى بديع الزمان الهمذاني؛ وصلة **مقامات** الهمذاني **بأحاديث** ابن دريد، وأهمّ ميزات **مقامات** الهمذاني، وغرضه من كتابة مقاماته.

- **مصادرها**

يمكننا أن نقسّم مصادر فكرة المقامات لدى بديع الزمان الهمذاني إلى أربعة، وهي:

أحاديث ابن دريد، وموضوع الكدية لدى الجاحظ، والأوضاع الاجتماعيّة والمجتمع الّذي عاش فيه بديع الزمان الهمذاني، وظهور شاعرَين معروفين من المتكدّين هما الأحنَف العُكبري[٥]، وأبو دُلَف الخَزرجي[٦].

---

(١) الأحدب الطرابلسي، **كشف المعاني**، ص ١ – ٢.

(٢) مازن المبارك، **مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته**، ص ٢٨.

(٣) سزكيس، **معجم المطبوعات**، ج ٢، ص ١٨٩٦.

(٤) مازن المبارك، **م.س**، ص ٢٩.

(٥) الأحنف العُكبري: عقيل بن محمّد العكبري، أبو الحسن، الملقّب بالأحنف، شاعر أديب، من أهل عكبرا، اشتهر ببغداد. وله **ديوان شعر**، وكثير من شعره في وصف القلّة والذلّة يتفنّن في معانيهما، ويفاخر بهما ذوي المال والجاه. وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام. توفّي سنة ٣٨٥/٩٩٥. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج ٢، ج٣، ص ٢٨٥؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٤، ص ٢٤٣.

(٦) أبو دلف الخزرجي: مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي، شاعر رحالة، كثير الملح، تجاوز التسعين من عمره متنقّلاً في البلاد. له رسالة في أخبار رحلته إلى إيران الغربيّة، والشماليّة وأرمينيّة. وهو صاحب "القصيدة الساسانيّة". وتشتمل على مجموعة كبيرة من الكلمات غير المعجميّة. توفّي سنة ٣٩٠/١٠٠٠. الثعالبي، **م.ن**، مج ٣، ج٣، ص ١٧٤؛ الزركلي، **م.ن**، مج ٧، ص ٢١٦.

- **أحاديث ابن دريد**

لا شكّ في أنّ فكرة المقامة عند بديع الزمان الهمذاني قد تبلورت نتيجة لأمور متعددة منها **أحاديث** ابن دريد، فأخذ بديع الزمان الهمذاني الفكرة ثمّ كتبها بلفظ أنيق وسجع رشيق، وتحوّل الأسلوب من البساطة إلى التعقيد. وجمع أكبر طاقة ممكنة من اللغة والبيان ليحفظها الطلاّب[1]. وبعبارة أخرى "أثّر ابن دريد في بديع الزمان الهمذاني من جهة الشكل"[2].

رغم اختلاف الدارسين حول كيفيّة نشأة المقامات وظهورها في تاريخ الأدب العربي، لا يمكننا أن نصدر حكماً قطعيّاً بأنّ أوّل من كتب القصص القصيرة والفكاهيّة المزيّنة بالصنائع اللفظيّة، أي المقامات كفنّ أدبيّ مبتكر، كان ابن دريد أم بديع الزمان الهمذاني، إلاّ أنّنا نقوم بمقارنة بين مقامات بديع الزمان الهمذاني وأحاديث ابن دريد، لنطلّع على وجوه الشبه بينهما أو وجوه التباعد، ثمّ نعطي رأينا.

ومن الواضح أنّ الدراسة والتحليل والمقارنة بين المقامات الهمذانيّة والأحاديث الدريديّة تتطلّب بحثاً عميقاً شاملاً وتحتاج إلى أطروحة خاصّة بها، فلذلك سنكتفي بالإشارة إلى بعضٍ من وجوه الشبه والاختلاف بينهما على وجه الاختصار.

ويمكننا القول إنّ بديع الزمان الهمذاني قد تأثّر بابن دريد في الموضوع، كما يأتي:

- إنّ المقامة الأصفهانيّة تعدّ نفس خطبة الأعرابي السائل في المسجد، وكلّها تعتمد على الكدية في الجامع.
- كما أنّ المقامة الوعظيّة، والوصيّة تشبه تماماً **أحاديث** ابن دريد في الوصايا والحكم.
- كذلك الشأن في المقامة الحمدانيّة في وصف الفرس، فإنّها شبيهة بحديث ابن دريد في وصف الشاب للفرس الّذي اشتراه.

نكتفي بذكر هذه النماذج من وجوه الشبه بينهما، لنعطي دليلاً على تأثّر بديع الزمان الهمذاني بابن دريد.

وأمّا وجوه الاختلاف بين **مقامات** بديع الزمان الهمذاني و**أحاديث** ابن دريد فهي:

- أحاديث ابن دريد قصيرة، إلاّ أنّ المقامات الهمذانيّة طويلة.
- **لمقامات** بديع الزمان الهمداني بطل واحد، وراوٍ واحد، غير أنّ الأحاديث أبطالها متعدّدون.

---

(١) سَبَقَ أنْ أشَرْنا إلى أنّ الحُصري أثبت أنّ الهمذاني تأثّر بأحاديث ابن دريد حين كتب مقاماته، أنظر ص ٣١ - ٣٢.

(٢) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٢٠؛ صفا؛ **تاريخ ادبيات درايران**، مج ١، ص ٦٤٠.

- غرض ابن دريد الرئيس كان الإشادة بشمائل العرب وأخلاقهم وصفاتهم، بينما كان أكثر اهتمام بديع الزمان الهمذاني بالكدية والاحتيال، ولو لم تخل الأحاديث منها. ولا ننسَ أنّ الغاية الرئيسة إنشاء الأحاديث والمقامات كانت واحدة هي تعليم الناشئة.

لا شكّ في أنّ ابن دريد هو المبتكر لفنّ المقامات، وبديع الزمان الهمذاني تأثّر به، وقد قلّده في بعض أحاديثه من ناحية الموضوع، واستلهم فنّ المقامات منه؛ إلاّ أنّ الفنّ في المقامة أقوى، والمحسّنات اللفظيّة والبيانيّة في المقامة أرقى من الأحاديث.

واللّافت للنظر أنّ الأدباء والعارفين غير الحُصري، والمحدثين بالإجماع ينسبون المقامات كفنّ أدبي مبتكر لبديع الزمان الهمذاني.

- موضوع الكدية لدى الجاحظ

ليس هذا فحسب فقد تكون فكرة الكدية الّتي أدار حولها بديع الزمان الهمذاني **مقاماته** مستمدّةً من أحاديث الجاحظ عن الكدية والمتكدّين، لأنّ الجاحظ تناول تصوير طائفة المكدّين، والشذاد، وقطّاع الطريق، وتحدّث عنهم كثيراً في كتابه **البخلاء**. وفي الحقيقة "كان أوّل من كشف عن هذه الناحيّة، فقد تكلّم قبل ذلك العهد بمائة وخمسين سنة عن المكدّين وأسمائهم، وما يمتازون به، ويحتالون به"[١].

نرى مدى تأثّر بديع الزمان الهمذاني بالجاحظ في موضوع الكِدْيَة، وطرق احتيال اللصوص في المقامة الرصافيّة[٢] امتداداً لحديث خالد بن يزيد[٣]. "فأثّر الجاحظ في الهمذاني من جهة الموضوع، إذ جعله يدير مقاماته على الكدية"[٤].

تجدر الإشارة إلى أنّ البيهقي ذكر نماذج من هذه القصص والنوادر في كتابه **المحاسن والمساوئ**[٥].

ومن يقرأ موضوعات الكدية والمكدّين عند الجاحظ لا ينكر تأثّر الهمذاني به. **فأحاديث** ابن دريد كانت إحدى الملهمات لبديع الزمان الهمذاني، وكتابات الجاحظ أثّرت في الهمذاني تأثيراً عميقاً.

---

(١) آدم متز، **الحضارة الإسلاميّة**، مج ١، ص ٣٤٧.

(٢) المقامة الرصافيّة: "... فذكروا أصحابَ الفصوص، من اللّصوص، وأهل الكفّ والقفّ. ومن يعمل بالطَّف، ومن يحتال في الصفّ، ومن يَخنُق بالدَّفّ، ومن يكمُن في الرفّ، إلى أن يُمكن اللَّفُّ... ومن يَسرِق بالنصح، ومن يدعو إلى الصلح... إلخ. بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة الرصافيّة"، ص ١٥٧ - ١٦٣.

(٣) تناول الجاحظ في كتابه البخلاء تصوير المكدين في فصل باسم حديث خالد بن يزيد ويقول: "وهذا خالد بن يزيد، مولى المهابة – وهو خالَوَيْه المكدي – وكان قد بلغ في البخل والتَّكْدِيَة، وفي كثرة المال الّتي لم يبلغها أحد..." الجاحظ، **البخلاء**، ج ١، ص ٨٥.

(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٢٠.

(٥) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ج ٢، ص ٤١٠ - ٤١٢.

- **الأوضاع الاجتماعيّة**

لا يفوتنا أن نذكر أن الهمذاني تأثّر بالمجتمع الّذي عاش فيه وأوضاعه الاجتماعيّة، كأيّ أديب آخر. فقد تعرّف إلى الكدية والشحاذين وجماعات من قطّاع الطريق في المجتمع يومذاك. ومتأثّراً بهذه الظاهرة كتب بديع الزمان الهمذاني المقامة الساسانيّة؛ وتحدّث عن بني ساسان(١) أشهر المتسوّلين وكيفيّة شغلهم، ووصفِ مكرهم. ويمثّل بطل هذه القصّة دور قائد جماعة الساسانيّة. ويسمّي الحَريري ساسان "أستاذ الأستاذين وقدوة الشحّاذين"(٢)، لأنّه كان شيخ المكدّين، وواضع طرائقهم.

- **تأثّر بديع الزمان الهمذاني بشاعرَين: الأحنف العُكبري وأبي دُلَف الخَزرجي**

اشتهر من شعراء بني ساسان في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي، شاعران كبيران عاصرا بديع الزمان الهمذاني وهما الأحنف العكبري، وأبو دلف الخزرجي. يبدو أنّ بديع الزمان الهمذاني أعجب بأشعارهما، فاستوحى فكرة إنشاء المقامات منهما، كما يقول الثعالبي: "وأنشدني بديع الزمان الهمذاني لأبي دلف ونسبه إلى أبي الفتح الإسكندري"(٣).

كما تأثّر بديع الزمان الهمذاني بشاعر آخر هو الأحنف العكبري كما يشير إلى ذلك الثعالبي ويصفه "بشاعر المكدين وظريفهم"(٤).

وربمّا كانت **أحاديث** ابن دريد وكتابات الجاحظ إحدى الملهمات الّتي ألهمت بديع الزمان الهمذاني إنشاء فنّ المقامة واختراع **مقاماته**، إلاّ أنّها لم تكن شاملة في تأثيراتها على نتاج بديع الزمان الهمذاني. فالواقع أن الظروف الاجتماعية والأدبيّة والفنيّة والعقليّة في المجتمع العربيّ أوحت إلى بديع الزمان الهمذاني إنشاءَ المقامات. وقد استعان بكثير من أشكال الكتابات القصصيّة الّتي سبقته، وتأثّر بمضامينها ليُخرج فنّ المقامة في شكله النهائي الّذي لم يطرأ عليه أيّ تغيير يُذكر إلى يومنا هذا.

---

(١) بنوساسان: الشحاذون وأهل المسألة. وساسان: يقولون إنّه كان رجلاً فقيراً حاذقاً في الاستعطاء، دقيق الحيلة في الاستجداء فنسب إليه المكدّون. والساسانيّة وبنوساسان وما شاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير لساسان، وأنّه جدّ السفلة أو شيخهم إنّما جاءت بعد زوال الدولة الساسانيّة من الفرس الّتي كان مؤسّسها أردشير بابك، فلما محقها الإسلام، وبقي من أطرافها أفراد أذلاّء سقطوا في ألسنة فتيان المسلمين الأوّلين فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان، ويعيرونهم بعنوان آبائهم. فبعد أن كانت نسبتهم إلى ساسان نسبة مجد وحسب صارت نسبة قذف وسب. وكان في إشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسيّة فضلاً عمّا تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب وهي أن لا يبقى لدولة الساسانيّة ذكر في لسان ولا أثر جنان ينبئ عن سلطانها أو رفعة شأنها، وإذا خطر أمرها بالبال فلا يخطر إلاّ مع لازمه الجديد وهو السفالة والدناءة. ثمّ نسي ذلك بمرور الأيّام وبقي اللفظ مستعملاً في الشحاذين وهم أدنى طبقة في الناس... بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، ص ٩٢.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٥.

(٣) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج٢، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٤) الثعالبي، **م.ن**، مج٢، ج ٣، ص ١٣٧.

ومن الجدير ذكره أنّ هناك رأياً آخر يقول به بعض الدارسين، هو أنّ "بديع الزمان الهمذاني قلّد فنّ المقامة عند ابن فارس؛ ولكن ليست تحت أيدينا مقامات ابن فارس"[١]. فمن الواضح أنّ هذا الرأي اعتمد على تتلمُذ الهمذاني على ابن فارس، فإذا وافقنا على هذا الرأي، فمعناه أنّنا انتزعنا من الهمذاني السبق والابتكار، وأعطينا فرضية إنشاء المقامات لسائر أساتذة الهمذاني في همذان والري ونيسابور أيضاً.

*** سِماتها**

تعدّ مقامات بديع الزمان الهمذاني من أهمّ آثاره الأدبيّة، ومن الكنوز القيّمة في الأدب العربي، إلى حدّ أنّ الحَريري وكتّاب المقامات احتذوا حذوه، ونسجوا على منواله.

بديع الزمان الهمذاني الرائد الثاني للمقامات سجّل في تاريخ الأدب العربي حدثاً كبيراً، وقد ألّف مقاماته في نيسابور سنة ٩٩٢/٣٨٢، كما أشار إلى هذا الموضوع الثعالبي في كتابه **يتيمة الدهر**[٢]. واعتزّ بديع الزمان الهمذاني في رسالتيه[٣] بأنّه صنّف أربعمائة مقامة، ولكن ما وصل إلينا إلاّ حوالي خمسين مقامة. الرقم الّذي اعتَمَدَهُ بعض روّاد المقامات فيما بعد.

مقامات الهمذاني هي حكايات أو قصص قصيرة، تجمع بين الشعر والنثر، ومملوءة بالمحسّنات البيانيّة والبديعيّة، وتبيّن الحالة الاجتماعيّة وحياة المسلمين الاجتماعيّة الّتي كانت سائدة آنذاك في إيران في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وحدّد الهمذاني طريقة بداية المقامة وخاتمتها، كأنّها أصبحت من لزوميّات كتابة المقامات. ومن ميزات سبكه: اختيار الكلمات المسجّعة والموزونة في غاية الجمال، وإعطاء أدوار مختلفة لبطل **مقاماته** أبي الفتح الإسكندري.

تمثّل المقامات الهمذانيّة – بشكل عام – الذروة القصصيّة في الأدب العربي القديم؛ لأنّها اشتملت على عناصر القصّة، وهي الحوار والأبطال والحوادث والحركة والعقدة. كما نلاحظها كلّها في المقامة المَضيريّة، وهي من أطول مقاماته، وأنموذج للقصّة الفكاهيّة.

ولا ريب أنّ **مقامات** بديع الزمان الهمذاني ليست كالقصّة الحديثة حبكة وفنّاً، إنّما هي تحتوي عناصر القصّة وروحها. ولكنّها بداية جديدة للقصّة القصيرة، على الرغم من أنّ بنائها المعتمد على

---

(١) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربيّة**، ج ٢، ص ٣٥٧؛ براون، **تاريخ الأدب العربي**، ص ٣٩٦.

(٢) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٧.

(٣) الرسالة الأولى كتبها بديع الزمان الهمذاني "في نقض قصيدة أبي بكر الخوارزمي"، والرسالة الأخرى كتبها إلى "أبي المظفر في شأن أبيه أبي الحسن البغوي". ويقول في هاتين الرسالتين: "... فيعلم أنّ مَن أملى من مقامات الكدية أربعمائة مقامةٍ لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق بكشف عيوبه". لمزيد من الإيضاح أنظر: الأحدب الطرابلسي، **كشف المعاني**، ص ٣٨٩ و ٥١٦.

الزخرفة ترقى أحياناً إلى مستوى أهمّ القصص القصيرة الحديثة لأنّ العناصر الأساسيّة لتكوين القصّة القصيرة متوافرة فيها.

وأما العناصر الأساسيّة في **مقامات** بديع الزمان الهمذاني فهي: الموضوع والراوي والبطل والحوار والصياغة الفنيّة العالية المنسجمة مع خصائص مدرسة البديع الّتي شهدها العصر العبّاسي.

أمّا الموضوع، فالمقامات الهمذانيّة تتناول موضوعات متنوّعة، ولكلّ مقامة موضوع واحد مختلف، فنرى مقامة حكميّة، أو أدبيّة، أو نقديّة، أو فكاهيّة، أو وعظيّة وغير ذلك؛ ولكنّها أغلبها يدور حول الكدية[١].

وأطلق الهمذاني على كلّ مقامة اسماً خاصّاً، فبعضها تحمل أسماءَ المدن والأراضي الّتي وقعت فيها الحوادث، وأكثرها من المدن الإيرانيّة، على سبيل المثال: المقامة الأصفهانيّة، والأهوازيّة، والجرجانيّة، والشيرازيّة، والقزوينيّة، وأحياناً سميّت المقامة باسم الحيوانات كالمقامة الأسديّة، أو باسم الطعام كالمقامة المَضيريّة[٢]، أو حسب الموضوع كالمقامة القريضيّة الّتي موضوعها نقد الشعر، أو المقامة الملوكيّة الّتي تحكي عن الملوك ومدحهم.

وأما **راوي مقامات** بديع الزمان الهمذاني فهو عيسى بن هشام، الّذي يروي جميع القصص في كلّ المقامات، وأحياناً هو أحد أبطالها. وعيسى بن هشام هو رجل رقيق القلب يساعد الآخرين دائماً. ويبدأ بديع الزمان الهمذاني قوله في مطلع **مقاماته** هكذا: حدّثنا عيسى بن هشام...

وقد اخترع بديع الزمان الهمذاني بطلاً **لمقاماته**، وسمّاه أبا الفتح الإسكندري، وفي الحقيقة هو والراوي كلاهما من صنع خيال بديع الزمان الهمذاني ومن ابتكاره. وهو بطل لموضوعات مختلفة، علاوة على أنّه يمثّل الشخصيّة الدينيّة فنجده خطيباً واعظاً، وأحياناً يمثّل الشخصيّة الفكاهيّة، وهو بطل الكدية والفصاحة أيضاً.

ويدور **الحوار** في المقامات الهمذانيّة بين الراوي عيسى بن هشام، والبطل أبي الفتح الإسكندري. وما يلفت نظر القارئ في هذه الحوارات هي أنّ الحوارات بسيطة وقصيرة، وتحتوي على سؤال أو تعجّب.

ومن الخصائص الأُخرى **لمقامات** بديع الزمان الهمذاني أنّ المقامة عنده تعتبر قصّة قصيرة، ولكلّ مقامة قصّة صغيرة تختلف عن قصص المقامات الأخرى، ولكنّ الشيء المهم هو أنّ بين المقامة

---

(١) أغلب مقامات بديع الزمان الهمذاني يعتمد على الكدية، ويصوّر لنا بديع الزمان الهمذاني الرجال المحتالين، باستثناء ثلاث عشرة مقامة لم يتطرّق فيها إلى الكدية، هي: الأهوازيّة، البشريّة، الحلوانيّة، الخمريّة، الرصافيّة، العراقيّة، العلميّة، الغيلانيّة، المارستانيّة، المضيريّة، المغزليّة، الوعظيّة والشعريّة.

(٢) المضيريّة: مُرَيقَةٌ تُطبخ باللّبن وأشياءَ، وقيل: هي طبيخ يُتّخذ من اللّبن المَضير، وربّما خُلط بالحليب. والمَضيرة عند العرب: أن تَطبخ اللحمَ باللّبنِ البَحْتِ الصريح الّذي قد حَذَى اللسانَ حتّى يَنضج اللَّحمَ وتَخثُر المَضيرة. الزبيدي، **تاج العروس**، مج ٧، ص ٤٨٦، باب الراء، فصل الميم؛ ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج ٢، ص ٣٦٧.

والقصّة توجد صلة وعلاقة. وبديع الزمان الهمذاني يروي هذه القصص بالأساليب البليغة. والقصّة في مقاماته قد تكون مكتملة من حيازتها لكلّ عناصر القصّة القصيرة برغم قصرها كالمقامة الحُلوانيّة[١]، أو قد تتوافر فيها عناصر القصّة، وتكون كاملة كالمقامة الأسديّة[٢]، أو المقامة المَضيريّة[٣] الّتي تعدّ أنجح مقامات بديع الزمان الهمذاني قصصاً، ووصفاً وأسلوباً؛ وهذه المقامة قصّة لطيفة، وفكاهيّة، ومفعمة بالمحسّنات البديعيّة والبيانيّة.

اهتمّ الهمذاني بالوصف كثيراً في كلّ مقامة وقد يتفنّن كثيراً ويبدع في وصف المظاهر الحسيّة لموصوفاته، كوصف الفرس في المقامة الحمدانيّة[٤]، الّتي تعدّ الأنموذج الدالّ على براعته وتمكّنه من اللغة؛ أو وصف الحالات النفسيّة كوصف قلق عيسى بن هشام أثناء تأديّة الصلاة في المقامة الأصفهانيّة[٥].

---

(١) المقامة الحلوانيّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: لمّا قَفَلْتُ من الحجّ فيمن قَفَلَ، ونزلتُ حُلوانَ مع من نزل، قلتُ لغلامي: أجدُ شعري طويلاً، وقد اتّسخ بدني قليلاً، فاخترْ لنا حماماً نَدخله، حَجّاماً نستعمله، وليكن الحمّام واسعَ الرقعة، نظيف البُقعة... فخرج مليّاً، وعاد بطيّاً، وقال: قد اخترتُه كما رسمتَ...". بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، ص ١٧١ – ١٧٥.

(٢) المقامة الأسديّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال:... ونظرتُ إلى فرسي وقد أرْهفَ أُذنَيه، وطمَح بعينَيه، يجُذُّ قُوى الحبلِ بمشافِره... ثمّ اضطربت الخيلُ فأرسلت الأبوال... وطار كلّ واحدٍ منّا إلى سلاحه فإذا السَّبُع في فَروَةِ الموتِ، قد طلع من غابه، مُنتفِخاً في إهابِهِ، كاشراً عن أنيابه، بطرفٍ قد مُلِئَ صلَفاً"... بديع الزمان الهمذاني، م.ن، ص ٢٩ – ٣٧.

(٣) المقامة المضيريّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: كنتُ بالبصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري رجل الفصاحة يدعوها فتجيبُه، والبلاغةِ يأمُرها فتطيعُه، وحَضَرْنا معه دعوةَ بعض التّجار فقُدمتْ إلينا مَضيرةٌ تُثني على الحضارة، وتترجرج في الغضارة...". بديع الزمان الهمذاني، م.ن، ص ١٠٤– ١١٧.

(٤) المقامة الحمدانيّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: حَضَرْنا مجلسَ سيفِ الدولة بن حمدانَ يوماً وقد عُرِض عليه فرسٌ... هو طويلُ الأذنين، قليل الإثنين، واسع المراث، ليّن الثلاث، غليظ الأكْرُع، غامض الأرْبَع...". بديع الزمان الهمذاني، م.ن، ص ١٥١ – ١٥٦.

(٥) المقامة الأصفهانيّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: كنتُ بأصفهان أعتزمُ المسيرَ إلى الريّ فحللتُها حلولَ الفيِّ، أتوقّعُ القافلةَ كلّ لمحةٍ... فلمّا نُودي للصلاة نداءً سمعتُه... واستعنتُ ببركات الصلاة، على وَعْثاء الفلاةِ، فصرتُ إلى أوّل الصفوف... وبي الغمُّ المقيمُ المقعدُ في فوتِ القافلة... قام رجل وقال: من كان منكم يحبُّ الصحابةَ والجماعةَ، فَلْيُعْرِني سَمْعَه ساعةً...". بديع الزمان الهمذاني، م.ن، ص ٥١ – ٥٤.

وأمّا الحكم والنصائح في **مقامات** الهمذاني فهي كثيرة، كما نلاحظ أنّه سمّى بعض مقاماته المقامة الوصيّة[١] والوعظيّة[٢]. فهذه المقامات حافلة بالحكم والعظات حول الحياة والموت، ومصير الإنسان.

ومن خصائص **مقامات** بديع الزمان الهمذاني أنّه اهتمّ بالسجع كطريقة في الكتابة، كالسجع الّذي نراه في خُطب الجاهليّة وسجع الكهّان مثل قُسّ بن ساعِدَة الإيادي[٣]، والّذي عاد للظهور في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ثمّ انتقل في أثناءَ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى دائرة الأدب، فظهر في كتابة الرسائل وفي أدب المقامات"[٤]، ولمع صيته في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بين الكتّاب، فازينّت اللغة بالبديع والزخارف اللفظيّة.

وبديع الزمان الهمذاني تأنّق في أسلوب مقاماته غاية التأنّق، واعتمد الكلمات الغريبة لأنّه كان يُملي مقاماته على طلاّبه لتعليمهم اللغة العربيّة، ويقال إنّه كان يُمليها طرداً ويُمليها عكساً. فغرق في السجع، واستعمل الجناس والطباق وكلّ أنواع البديع. والجدير بالذكر أنّ الهمذاني مع تقيّده بالسجع إلى حدّ كبير، "قليل التكلّف على الرغم من بروز عنصر الصناعة المعنويّة واللفظيّة في المقامات كلّها"[٥]، ولقد حاول بديع الزمان بجهد فنيّ عالٍ الابتعاد عن التكلّف والصنعة على الرغم من اعتماده العالي على المحسّنات البديعيّة. إنّ عبقريّته العاليّة أنقذته أحياناً كثيرة من السقوط في اللفظيّة البعيدة عن حمل عبقريّته الوصفيّة والتحليليّة.

ويمكننا القول إنّنا "لا نعرف كاتباً التزم السجع، ووفّق إلى الدقّة والرشاقة والعذوبة كما وفّق بديع الزمان الهمذاني"[٦]، كأنّ السجع كان غاية في أسلوبه. وهذا كما أسلفنا مرتبط بعبقريّته الفنيّة وفرادته وغزارة قاموسه اللفظي المكتنز بمعظم مفردات اللغة العربيّة.

---

(١) المقامة الوصيّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: لمّا جهّزَ أبو الفتح الإسكندريّ ولدَه للتجارة أقْعَدَهُ يُوَصّيه فقال:... يا بنيَّ إنّي وإن وثقتُ بمتانة عقلك، وطهارة أصلك... ولستُ آمن عليك النفسَ وسلطانها، والشهوةَ وشيطانها، فاستعِنْ عليها نهارَك بالصوم، وليلك بالنوم...". بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، ص ٢٠٤ – ٢٠٦.

(٢) المقامة الوعظيّة: "حدّثنا عيسى بن هشام قال: ... أيّها الناسُ إنّكم لم تُتركوا سُدىً، وإنّ مع اليوم غداً، فأعدّوا لها ما استطعتم من قوّة، وإنّ بعد المعاشِ معاداً، فأعدّوا له زاداً... ألا وإنّ الفقرَ حليةُ نبيّكم فاكتسوها... يا قومُ الحذرَ الحذرَ،... من الدنيا ومكايدها...". بديع الزمان الهمذاني، م.ن، ص ١٣٠ – ١٣٧.

(٣) قُسّ بن ساعدة: قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهليّة. وهو من المعمّرين، توفّي سنة ٢٣ق هـ/٦٠٠م. الأصبهاني، **الأغاني**، ج ١٤، ص ٤٠.

(٤) بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٢، ص ١٠٧.

(٥) عمر فرّوخ، **الرسائل والمقامات**، ص ٢٩.

(٦) زكي مبارك، **النثر الفنّي**، ج ٢، ص ٣٥٦.

• **غرضها**

يبدو أنّ همّ الهمذاني الأوّل في كتابة **المقامات** كان ترصيع العبارات بأجمل صورة، ليظهر قدراته في الكتابة والإنشاء، فلهذا نراه كان يعتمد على الوصف كثيراً. وقال ابن الطِّقْطَقي[1]: "إنّ المقامات لا يستفاد منها سوى التمرّن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر"[2]. وفي هذا الرأي ظلم مسرف لعبقريّة بديع الزمان الّذي كان في مقاماته يعبّر عن روح عصره بأدقّ خلجاتها وحركتها الداخليّة والخارجيّة.

ربّما كان بديع الزمان الهمذاني يهدف إلى دخول قلوب السامعين لتبيان قدراته الأدبيّة العاليّة، لهذا اختار ألفاظاً عذبة في الصياغة والتعابير المتأنّقة الّتي امتاز بها أسلوبه عن الآخرين، وكان يكثر من استعمال ألوان البديع من السجع والجناس والطباق وغير ذلك. "فالترصيع والتجميل هما غايته من عمله حتّى تستوي له طُرَف إنشائيّة بليغة تروع معاصريه"[3].

كما قالوا إنّ بديع الزمان الهمذاني قصد **بمقاماته** أن "يقدّم صورة شاملة لواقع بيئته"[4]، "وليفيد المتعلّمين، ويحبّب إليهم اللغة ويغريهم بحفظ مفرداتها"[5].

نستنتج أن **مقامات** بديع الزمان الهمذاني تحتوي مواضيع شتّى وإن كانت الكدية غلبت على المقامات، وأغراضاً متنوّعةً كالمديح والوصف والأدب والوعظ والفكاهة. وهو في الواقع كان البداية الفنيّة الإبداعيّة والنهاية معاً، لأنّ الّذين سلكوا نهجه، من الحَريري حتّى ناصيف اليازجي[6] في الأدب العربي، كانوا يكلّفون أنفسهم ما لا يتقبّله صاحب ذوق، أو بعض ذوق. وتعدّ مقامات الهمذاني ثروة لفظيّة، وفنّاً من فنون الأدب، وتحتوي الزينة والصنعة والمعنى الهادف.

---

(١) ابن الطقطقي: محمّد علي بن محمّد ابن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي، مؤرّخ، باحث، ناقد، من أهل الموصل، ولد سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢. خلّف أباه سنة ٦٧٢ / ١٢٧٣ في نقابة العلويّين بالحلّة والنجف وكربلاء، وتزوّج بفارسيّة من خراسان. وألّف في الموصل سنة ٧٠١/١٣٠١ كتابه **الفخري في الآداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة**، وقدّمه إلى واليها فخر الدين عيسى بن إبراهيم. وتوفّي سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩. سركيس، **معجم المطبوعات**، ج ١، ص ١٤٦ – ١٤٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٦، ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٢) ابن الطقطقي، **الفخري**، ص ١٣.

(٣) شوقي ضيف، **الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ**، ص ٢٥٠.

(٤) يوسف نور عوض، **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**، ص ٩٧.

(٥) مازن المبارك، **مجتمع الهمذانيّ من خلال مقاماته**، ص ٧.

(٦) ناصيف اليازجي: إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، عالم بالادب واللغة. أصل أسرته من حمص، وهاجر أحد أجداده إلى لبنان، ولد ونشأ في بيروت، وقرأ الأدب على أبيه. وله ديوان شعر. وكان رزقه من شقّ قلمه، فعاش فقيراً. ومات في القاهرة ثمّ نقل إلى بيروت. سركيس، **م.س**، ج ٢، ص ١٩٣١ – ١٩٣٢؛ الزركلي، **م.س**، مج ١، ص ٧٦ – ٧٧.

ب – في الأدب الفارسي

وأمّا المقامة في الأدب الفارسي فسنرى كيف نشأت، ونتَحَرَّى بواعث وَضْعِها لدى الأدباء الفرس، لا سيّما رائدها الحَميدي.

١– نشأة المقامة في الأدب الفارسي

كانت اللغة الفارسية قبل الإسلام وسيلة للكتابة فقط، ثمّ تغيّرت بعد (ظهور الإسلام) الفتح الإسلامي خلال قرنين، وأصبحت لغة أدبيّة عظيمة في القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلادي، وحظي الشعر بالتواصل والتسلسل طَوال ألف عام، وتعرّض النثر الأدبي لتغييرات كثيرة.

وارتقت اللغة الفارسية في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي، وأصبحت لغة الآداب، وقد انتقلت منها كلمات كثيرة إلى البلاد العربية، وتأثّرت بها لهجات بعض العرب.

واتّسع النثر الفارسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ووصل إلى ذروة كماله ونضجه. وقدّم الشعراء والكتّاب والعلماء والأدباء الفرس إنتاجات علميّة وأدبيّة ذات مغزى. فغيّروا أساليبهم، وابتعدوا عن البساطة القديمة في التعبير، وتأثّروا بالأساليب العربيّة؛ وبدأوا باستعمال الأسلوب المسجّع المنمّق السائد عند الكتّاب العرب، وأدّى ذلك إلى اشتقاق مصادر عربيّة فارسيّة جديدة، وأصبحت اللغة الفارسية أكثر مرونة وغنىً. ومن جهة أخرى ساد نوع من النثر المتكلّف، المملوء بالتصنّع، والتلاعب بالألفاظ، والمحسّنات البديعيّة والمترادفات.

ومن الكتّاب الفرس الذين سلكوا هذا المسلك، اكتسب الحَميدي شهرة واسعة (بين الأدباء الفرس)، منذ بداية تأليف **مقاماته**، وأصبحت المقامات الحَميدية خير ما أنتجه الأدب النثريّ الفارسي في القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلادي.

٢– بواعث المقامة في الأدب الفارسي

أشار صاحب كتاب **خريدة القصر وجريدة العصر** إلى سبب تأليف الحَميدي للمقامات، فقال:" سأله بعض الأكابر الخراسانيّة أن يُصنِّف بالفارسية مقامات على وزن الحَريرية، فصنّف كتاباً مليحاً، بديعاً في فنّه فصيحاً، أتى فيه بكلِّ صنعةٍ غريبة، وبدعة عجيبة، ونوع متشاكل وسجع متقابل، ولفظ لا يُلفظ، ومعنى لا يُغلظ، ولطفٍ تستعير منه الصبا وظرفٍ يستعبر به الصبيَ، وقافيةٍ قافية آثارَ الحسن صافيةٍ كقطارِ المزنِ، وكلامٍ كلامِ العذار عند العُذري، ولامِ الفضفاض التّبعيِّ، إذا سَرَدَ درسَ نظمٍ، أو حرسَ سحر فهمٍ فالعقدُ ينفث فيها، والعقود مُنعتْ منها"[(١)].

وفي الواقع، كَتب الحَميدي **مقاماته** بدافعَين: الأوّل ألاّ يحرم الفرسَ فنَّ المقامة، وأراد أن يدخل هذا الفنّ إلى اللغة الفارسية حتّى يعرف به الفرس، ويتعرّفوا على البلاغة العربيّة والفارسية معاً، وأن

---

(١) عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ص ١١٠ – ١١١.

ينفع الناس، كما يعترف بذلك في **مقاماته** يقول: "إنّني كنت أطالع الكتب ليلاً ونهاراً، حتّى رأيت **مقامات** بديع الزمان الهمذاني، والحَريري مصادفةً؛ فتصفحتهما، وقرأتهما: (بحر المتقارب)

فَقُلْتُ سَقَى اللّهُ أرواحَهُم كَأنِّي إلى شَخْصِهِم ناظِرُ

فَمَا فَاتَ مَن خَيرُه واصلٌ وَمَا غابَ مَن ذِكْره حاضِرُ[١]

فشعرت بأنّ **مقامات** الحريري و**مقامات** الهمذاني لا تنفعان عوام العجم، لأنّهم لا يعرفون اللغة العربيّة، لا سيّما تلك المفردات العجيبة والغريبة؛ فلذلك قرّرت أن أكتب المقامات باللغة الفارسيّة، ومزجت الفارسيّة بالعربيّة، وبالله العون والتوفيق في هذا الجمع والتفريق"[٢].

والدافع الثاني معارضته **لمقامات** الحَريري وبديع الزمان الهمذاني، كما يشير (إلى ذلك الحَميدي) في المقامة الخامسة، ويذكر اسم الحَريري في هذه المقامة مرّتين أيضاً، ويشير إلى أشعار الحَريري المقلوبة، وينظم أبياتاً مقلوبةً معارضةً للحريري، بقوله: "إنّ الحَريري نظم أشعاراً مقلوبة"[٣].

ثمّ يحكي بلسان بطل القصّة: "إنّ الحَريري نظم شعراً بالتكلّف وقال: (بحر مجزوء الرجز)

أُسْ أَرْمَلاً إذا عَرَا وَارْعَ إذِ المرءُ أَسَا

ولم ينظم أحد في اللغة الفارسية مثلها إلا أنا: نزكين مرك يار راى كرم نيك زن"[٤].

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه العبارات ليس لها معنى.

وتثبت المقامة الحادية والعشرون للحميدي معارضته لبديع الزمان الهمذاني، بقوله: "... تا رسيدند بدين كلام بديع همدانى صاحب **مقامات** كه: هذا يومٌ جَمُدَ فيه خمرُه وخَمُدَ فيه جَمْرُه. برين تلفيق وتطبيق وتناسب لفظ ومعنى، بسيار تحسين رفت..."[٥].

ترجمة الشاهد

حتّى وصلوا إلى كلام بديع الزمان الهمذاني صاحب **المقامات**: هذا يوم جمُد فيه خمرُه وخَمُدَ فيه جَمْرُه. ومدحوا كثيراً هذا التلفيق والتناسب بين اللفظ والمعنى.

ثمّ يقول على لسان بطل القصّة إنّ الكلام لا يختم ببديع الزمان الهمذاني، ويمكن أن يكتب أحسن منه، ويعارضه شعراً فيقول: (من جوازات بحر الخفيف)

مِنْ حِكاياتِ بَرْدِ لَيْلَتِها خَمُدَتْ في الشِّتاءِ مَقْلُوبَهْ

وَهَمَمْنا بِشُربِها فإذاً جَمُدَتْ في الإناءِ مَشْرُوبَهْ[٦]

---

(١) يجدر الذكر أن هذه الأبيات وردت بالعربية في الأصل الفارسي.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقدّمة"، ص ٢٠ – ٢٢.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٢.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١٩٣.

لا شكّ في أنّ الحَميدي أراد أن يظهر قدراته الفنيّة تجاه قدرات الحَريري وبديع الزمان الهمذاني الفنيّة، وأراد أن يصوّر في الأدب الفارسي فنّاً شبيهاً لفنّ المقامة في الأدب العربي.

٣- رائد المقامة في الأدب الفارسي: الحَميدي

نتحدّث عن رائد المقامة في الأدب الفارسي: الحَميدي؛ هويّته وآثاره، ومقاماته.

٣-١- الرجل وآثاره

اسمه عمر[١]، المكنّى بأبي بكر[٢]، والملقّب بحميد الدين[٣]، وقد اشتهر باسم محمسودي البلخي[٤]، وقد ورد اسمه الكامل بأنّه قاضي حميد الدين عمر بن محمود البلخي[٥]. ولم تذكر الكتب التاريخيّة سنة ولادته قط. بَيد أنّ المؤرّخين أجمعوا على أنّه تُوفِّيَ سنة ٥٥٩/١١٦٣[٦].

وقد تولّى الحَميدي منصب قاضي القضاة[٧] في مدينة بلخ[٨]، وبقي في هذا المنصب مدّة طويلة أتاحَتْ له أن ينال مكانة اجتماعيّة سامية. ولمّا تولّى الحَميدي منصب قاضي القضاة، نال مكانة مرموقة بين العلماء والأدباء، لا سيّما عند الشعراء؛ ومن أشهر الشعراء الّذين مدحوه الأنوري[٩] من معاصريه، لأنّ الحَميدي ساعده و"أنقذه من الخلائق، لمّا أرادوا الفتك به، وإخراجه من بلخ بسبب قصيدة هجا فيها مدينة بلخ"[١٠]. ومن هنا، بالغ الأنوري في مدح الحَميدي و**مقاماته**، وقدّمها على **مقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري بقوله: (وزن رمل مثمّن محذوف = فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)

---

(١) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٠، ص ٨٠٨؛ معين، **فرهنگِ فارسى معين**، مج ٦، ص ٢٠٠٦؛ هدايت، **مجمع الفصحا**، مج ١، ص ٥٧٣؛ خانلرى، **فرهنگِ ادبياتِ فارسى**، ص ٣٩٢.

(٢) دهخدا، م.ن، مج ٢٠، ص ٨٠٨.

(٣) دهخدا، م.ن، مج ٢٠، ص ٨٠٨؛ صفا، **تاريخِ ادبيات درايران**، مج ٢، ص ٩٥٧.

(٤) دهخدا، م.ن، مج ٢٠، ص ٨٠٨.

(٥) معين، م.س، مج ٦، ص ٢٠٠٦؛ صفا، م.س، مج ٢، ص ٩٥٧.

(٦) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج ٩، ص ٤٧٥.

(٧) صفا، م.س، مج ٢، ص ٩٥٧؛ خانلرى، **فرهنگِ ادبياتِ فارسى**، ص ٣٩٢.

(٨) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، ومن أجلّ مدن خراسان، وأذكرها وأكثرها خيراً، وأوسعها غلّة. وقيل إنّ أوّل من بناها الإسكندر، وكانت تسمّى الإسكندرانيّة قديماً، ويُنسب إليها صورّ كثير. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ١، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

(٩) الأنوري: قد اختلفوا في اسمه وقيل: أوحد الدين محمّد بن محمّد أو علي بن إسحق الأنوري الأبيوردي. هو من أقدم الشعراء في إنشاد القصيدة وأكثرهم شهرة في القرن السادس الهجريّ، وكان من أساتذة اللغة الفارسية. توفي سنة ٥٨٣ / ١١٨٧. فروزانفر، **سخن وسخنوران**، ص ٣٣٢ – ٣٤٢.

(١٠) خانلرى، م.س، ص ٣٩٢.

هرسخن كان نيست قرآن يا حديث مصطفى

ازمقامات حميد الدين شداكنون ترهات

اشك اعمى دان مقامات حريرى وبديع

پيش آن درياىِ مالامال ازآب حيات[١]

ترجمة الشاهد

– كل كلام لا يكون من القرآن أو الأحاديث النبويّة، أصبح بعد **مقامات** حميد الدين – الحَميدي – من لغو القول وتُرّهاته.

– فاعْتَبِرْ **مقامات** الحَريري والبديع دموع الأعمى، أمام ذلك البحر المملوء بماء الحياة أي **مقامات** الحَميدي.

ووصف صاحب كتاب **جريدة القصر وجريدة العصر** الحَميدي بأنّه: " عميدٌ في عصره ووقته، فارسُ الفصاحة الفارسية، وقابس الجذوة القابوسيّة، وصاحب المقامات الحَميدية. ليس في زماننا بخراسان من يُجاريه في حَلْبته، ولا من يُباريه في حليته إذا نثر، فما المنثور وما النثرة والزهر والزُّهرة والدريّ والدرّة، وإذا نظم وَهَتْ عقود العقول ... عذبته بلخية وعذوبته كرخيّة"[٢].

فقد جمع الحَميدي إلى جانب تفقّهه في الشرع والعلوم الدينيّة قدرة فائقة في فنون الشعر والنثر، لا سيّما في النثر؛ كما سنلاحظ سيطرته على النثر المسجّع في كتابه **المقامات** إن شاء اللّه.

وقد ألّف كتباً ورسائل كثيرة، منها[٣]: **المقامات، ووسيلة العفاة إلى أكفى الكفاة، وحنين المستجير إلى حضرة المجير، وروضة الرضا في مدح أبي الرضا، وقدح المغني في مدح المسني، ورسالة الاستغاثة إلى الأخوان الثلاثة، ومنيّة الراجي في جوهر التاجي.**

ومن آثاره المنظومة، كتاب باسم مَثْنَوِي[٤] **سفرنامه مَرْو**[٥]، أي رسالة السفر إلى مدينة مرو[٦]، وهو في أدب الرحلة.

---

(١) انورى، **ديوان**، ج ١، ص ٥٢٣.

(٢) عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ص ١١٠.

(٣) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٠، ص ٨٠٨؛ هدايت، **مجمع الفصحا**، مج ١، ص ٥٧٤ – ٥٧٥؛ خانلرى، **فرهنگِ ادبياتِ فارسى**، ص ٣٩٢، صفا، **تاريخ ادبياتِ درايران**، مج ٢، ص ٩٥٨.

(٤) مثنوي: تعني كلمة المثنوي بالعربية النظم المزدوج، الّذي يتحد به شطرا البيت الواحد، وكلّ بيت منه يشتمل على شطرين بقافيَتين مستقلّتين غير البيت الآخر وهكذا إلى آخره، والبحر واحد. وهي في مجموعها متماثلة الوزن، مختلفة الرويّ. فروزانفر، **شرحِ زندگانىِ مولوى**، ص ١٧٦؛ النابلسي، **الصراط السوي**، ص ٣.

(٥) هدايت، **م.س**، مج ١، ص ٥٧٥.

(٦) مرو: هذه مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها. والنسبة إليها مَرْوَزيّ على غير قياس. وبين مرو ونيسابورِ سبعون فرسخاً، ومنها إلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخاً. وأمّا لفظ مرو فإنّه بالعربيّة الحجارة البيض الّتي يُقتدَح بها إلا أنّ هذا عربيّ، ومرو ما زالت عجميّة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ١٣٢.

٣-٢- مقاماته

كتب الحَميدي أقدم مقامات فارسيّة وصلت إلينا من هذا الفنّ الرائع الّذي ابتكره بديع الزمان الهمذاني وكتبه باللغة العربيّة. وأنشأ المقامات باللغة الفارسيّة على نمط **مقامات** الحَريري بالعربيّة[١]، وقلّده أسلوباً ومضموناً (الشكل والمضمون). وبذل جهداً فائقاً في سبيل اختيار الجمل والحفاظ على التكوين المسجّع لعباراته، ولهذا وصف ملك الشعراء بهار **مقاماته** بأنّها "تقليد فجّ وفظّ **لمقامات** كلّ من بديع الزمان الهمذاني والحَريري"[٢].

- **تاريخ تأليفها**

اختلف المؤرّخون في تاريخ بداية تأليف **مقامات** الحَميدي وإتمامها، فجاء في كتاب **كشف الظنون** أنّه أتمّ **مقاماته** في جمادى الآخرة سنة ١١٥٦/٥٥١[٣]، وقيل إنّه بدأ في تأليفها في جمادى الآخرة سنة ١١٥٦/٥٥١م[٤]،متوافقاً مع بداية فصل الربيع، وقد "فرغ منها الحَميدي قبل أن يؤلّف النظامي العروضي السمرقندي[٥] كتابه **چهار مقاله**، أي المقالات الأربعة"[٦].

وتجدر الإشارة إلى أنّ كتاب **چهار مقاله** للنظاميّ العروضي قد تمّ تأليفه سنة ٥٥١ – ١١٥٦/٥٥٢–١١٥٧[٧]. وقد ذُكِرتْ أوّل إشارة إلى **مقامات** الحَميدي في الأدب الفارِسي للنظاميّ العروضيّ في كتابه **چهار مقاله**، وقال: "إنّ الكاتب يجب أن يتعودّ على قراءة القرآن، والأحاديث النبويّة، وأقوال الصحابة، وأمثال العرب، وأقوال العجم... و**مقامات** بديع الزمان الهمذاني، والحَريري والحَميدي ..." [٨].

فهذا الخبر يدلّ على أنّ كتابة المقامات للحميدي كانت قبل تأليف **چهار مقاله** أي قبل سنة ١١٥٧/٥٥٢. ومن أهمّ المصادر الّتي يمكننا أن نعتمد عليها، كتاب المقامات للحميدي؛ كما أنّ

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج ٩، ص ٤٧٥.

(٢) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسي**، مج ٣، ص ١٢٦.

(٣) حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٧٨٦.

(٤) معين، **فرهنگِ فارسيِ معين**، مج ٦، ص ٢٠٠٦؛ براون، **تاريخ الأدب في إيران**، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٥) النظامي العروضي السمرقندي: هو نجم الدين أحمد بن عمر بن علي، كان من الشعراء والكتّاب في القرن السادس الهجريّ. وكان حاذقاً في علم العروض، فلهذا أشتهر بالنظاميّ العروضيّ. كتب كتاب "چهار مقاله" أي المقالات الأربعة بأحسن صورة. ولم يبق من أشعاره إلاّ قليلاً. هدايت، **مجمع الفصحا**، مج ٣، ص ١٤٠٩.

(٦) صفا، **تاريخ ادبيّات درايران**، مج ٢، ص ٩٥٨.

(٧) صفا، **م.ن**، مج ٢، ص ٩٦١.

(٨) نظامى عروضى، **چهار مقاله**، ص ١٣.

الحَميدي نفسه يشير إلى تاريخ تأليف **مقاماته** في مقدّمة كتابه، ويقول: "فكرة كتابة هذا البحر الزاخر كانت في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٥١/١١٥٦"[١].

*** عددها**

عدد مقامات الحَميدي ثلاث وعشرون مقامة، وقيل "أربع وعشرون مقامة"[٢]. والاختلاف كان حول مقامة اسمها الخريف، باعتبار أنّ بعض الكتّاب والأدباء لم ينسبوها للحميدي لا شكلاً ولا مضموناً.

وقد يطرح القارئ هذا السؤال، لماذا لم يكتب الحَميدي خمسين مقامة كما فعل الحَريري؟ فالحَميدي نفسه يجيب عن هذا السؤال في خاتمة كتابه **المقامات**، ويقول: "لمّا انتهت المقامة الثالثة والعشرون، شغلتني النوائب والمصائب، فاكتفيت بهذا القدر"[٣].

لقد اتّضح لنا أنّ المقامة نشأت في بلاد العرب، ثمّ تأثّر الأدباء الفرس بها، واشتهر الحَميدي بين الأدباء الفرس، منذ ألّف مقاماته باللغة الفارسيّة في القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلادي. وقد خلق فنّاً شبيهاً لفنّ المقامة في الأدب العربي، لينفع عوام العجم، ومعارضةً **لمقامات** الحريري والهمذاني، ولإظهار قدراته الفنيّة أيضاً.

* * *

نوجز ما حقّقناه في الفصل الأوّل فيما يلي:

تحدّثنا عن تطوّر كلمة المقامة لغة، ولاحظنا أنّ كلمة مُقام بفتح الميم وضمّها واردة في القرآن، ثمّ وردت في دواوين شعراء العرب القدماء بمعنى المجلس والنادي، وبمعنى مكان الإقامة أيضاً، واستعملت كلمة مقامة نادراً وجاءت بمعنى المعركة والقتال.

وأطلقت المَقامة في عصر بني أميّة وصدر الدولة العبّاسيّة على أحاديث زهديّة، وما يُحكى في المجالس من القصص والسير، وكلّ ما يكسب السامعين علماً وأدباً. ثمّ أطلق لفظ مقام على الموعظة عند بعض المؤلّفين كابن قتيبة. ثمّ انتهت كلمة المَقامة إلى موعظة أهل الكدية، أو ما يقصّه أهل الكدية والشحاذون من الأدباء بلغة عربيّة فصيحة حافلة بالصناعة اللفظيّة والبديعيّة، حتى اتخذها بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي وسيلة لتسمية القصص المعروفة بالمقامات.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقدّمة"، ص ٢٠.

(٢) معين، **فرهنگِ فارسى معين**، مج ٦، ص ٢٠٠٧؛ صفا، **تاريخ ادبيّات در ايران**، مج ٢، ص ٩٥٨.

(٣) حميدى، م.س، "الخاتمة"، ص ٢١٣.

وصار أسلوب المقامات من نماذج أساليب النثر الفنّي في الأدب العربيّ. وقد ذاعت أساليبها بين كتّاب العربيّة على نحو ما كتب بديع الزمان الهمذاني والحَريري.

لاحظنا أنّ هناك غموضاً لا يزال موجوداً في ميدان الدراسة عن نشأة فنّ المقامة في الأدب العربيّ، رغم الجهود الّتي بذلها فضلاء الأدباء القدماء والمحدَثين. وعلى الرغم من اختلاف الدارسين حول نشأة فنّ المقامة، رأينا أنّ ابن دريد سبق إلى كتابة المقامات بأحاديثه لأوّل مرّة، ولكنّه سمّاها **الأحاديث**، ثمّ قلّده بديع الزمان الهمذاني ورسم على منواله؛ إلاّ أنّ لفظ المقامات كان من اختراع بديع الزمان الهمذاني. ويعتبر كثير من الأدباء والنقّاد بديع الزمان الهمذاني مبتكر فنّ المقامة وصاحبه، ويعتقدون أنّ مقاماته أوّل عمل عربي أصيل في ميدان القصّة العربيّة.

ومن خلال بحثنا عن أقدم النماذج المقاميّة الّتي وصلت إلينا وهي **مقامات** بديع الزمان الهمذاني، تبيّن لنا أنّه لم يقلّد **أحاديث** ابن دريد تقليداً ساذجاً، كما زعمه الحُصري، بل كانت مقاماته حصيلة عبقريّته الفذّة.

وكانت الكدية والتسوّل والاستجداء من أهمّ بواعث نشأة فنّ المقامة في الأدب العربيّ. ويعدّ ابن دريد وبديع الزمان الهمذاني من أشهر روّاد المقامات العربيّة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وأما لفظ مَقام بفتح الميم فقد ورد في النثر والشعر الفارسي بمعان كثيرة، منها: المكان والموضع والمنزلة، أو أحد مراتب الألحان الموسيقيّة في الغناء الموسيقى، ووردت كلمة مُقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة. كما أنّ كلمة مقامة أطلقت على عدّة معان، كالرسالة والتاريخ والحكاية والخطبة الوعظيّة والمجلس الّذي يقال فيه الوعظ، كما واستعملت كلمة المقامة بجميع هذه المعاني في الكتب التاريخيّة أيضاً.

فالمقامة في الأدب العربيّ والفارسي هي قصّة قصيرة سُبِكتْ في قالب التعابير المسجّعة وشبه الموزونة والّتي نعني بها موسيقى النصّ النثري المنبعثة من قصر الجمل وتوازن أدائها ونهاياتها المسجوعة الّتي تشبه القوافي في الشعر، وفي نهاية البلاغة، للتعبير عن الحالات الاجتماعيّة أو حالات كتّاب المقامات.

وتأثّر الأدباء الفرس بالأدباء العرب نثراً وشعراً، لا سيّما نثراً، فظهر فنّ المقامة في اللغة الفارسية لأوّل مرّة في القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلادي، وذلك على أيدي الفنّان الكبير الحَميدي وأصبحت **مقاماته** باللغة الفارسية من أحسن الإنتاجات الأدبيّة في الأدب الفارسي.

وكتب الحَميدي **مقاماته** لينفع عوامّ العجم، وليظهر قدراته في الكتابة والإنشاء معارضةً لبديع الزمان الهمذاني والحَريري.

ولا ريب أنّنا نستنتج أنّ فنّ المقامة قد نشأ في بلاد العرب، ثمّ لفت نظـر الأدبـاء الفـرس؛ والحَمِيدي بشكل خاصّ حيث لعب دوراً كبيراً في إحكام صنع المقامة وسبكها ونسجها الفنّـي باللغـة الفارسيّة متأثّراً بأصولها الفنيّة عند بديع الزمان الهمذاني والحَريري.

واكتشفنا أخيراً العلاقة المباشرة بين المقامات العربيّة والمقامات الفارسـيّة المعروفـة باسـم **مقامات الحَمِيدي**.

الفصل الثاني
المقامة في الأدبَين العربي والفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر

بعد دراسة المقامة في الأدبَيْن العربي والفارسي تعريفاً ونشأةً، نعالج مراحل تطوّر المقامة في الأدبَين العربي والفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عشر، للكشف عن هذا التراث القومي ومدى تأثّر كتّاب المقامات **بمقامات** بديع الزمان الهمذاني والحريري، ولنعرف أيضاً هل اخترع كتبة المقامات الجُدد شيئاً جديداً وأضافوا شيئاً آخر إلى **مقامات** بديع الزمان الهمذاني والحريري، أو قلّدوهما فيها فقط.

إذاً، يتناول هذا الفصل مبحثين: المبحث الاول هو المقامة في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر، خصّصنا هذا المبحث بأشهر كتّاب المقامات العربيّة حتّى القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر، وعدد مقاماتهم، وغرضهم من كتابة المقامات، وخصائص مقاماتهم. والمبحث الثاني: المقامة في الأدب الفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر/ الثامن عَشَر، وكذلك نتحدّث في هذا المبحث عن أشهر كتّاب المقامات الفارسيّة حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر/ الثامن عَشَر، وعدد مقاماتهم، وغرضهم من كتابة المقامات، وخصائص مقاماتهم. كما نقارن بين كتّاب المقامات العربيّة، وكذلك بين كتّاب المقامات الفارسيّة.

أوّلاً – المقامة في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر

جاء بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقدّم أوّل عمل قصصي متكامل شكلاً ومضموناً، ومزج الخيال بالواقع، كتب نموذجاً فنّيّاً رائعاً باسم **المقامات**. ومن ثمّ اندفع الكتّاب بإثبات مقدراتهم اللغويّة والفنّيّة في هذا المجال، واحتذوا حذوه. وأوّل هؤلاء وأشهرهم كان الحَريري الّذي كتب **مقاماته** المشهورة، واكتسب شهرة عالميّة شرقاً وغرباً. وحاول الأدباء أن يبلغوا شأو الحَريري، فعكفوا على شرح **مقاماته**، وترجمتها، وتعليمها في المدارس. ثم اتّبع عدد كبير من الكتّاب القدامى فيما بعد، فكتبوا في هذا الفنّ، ومن أبرزهم الزّمخشري، وجلال الدين السُّيوطي من المشارقة، والسَرَقُسْطي وابن شُهيد من الأندلسيين.

لا شكّ في أنّ المقامات الّتي أُلّفت حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر/ الثامن عَشَر، تختلف عن **مقامات** بديع الزمان الهمذاني أسلوباً، وموضوعاً وهدفاً. لذلك نشير إلى أشهر كتّاب المقامات وخصائص مقاماتهم، ومراحل تطوّر فنّ المقامة حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر. ولا يمكننا أن نسمّي من كلّ كتّاب المقامات في البلاد المختلفة إلاّ عدداً قليلاً من الأسماء الّتي تجاوزت شهرتها حدود وطنها الضيّق. ولذلك سنحاول ذكر أشهر أصحاب المقامات، حسب تسلسل وفياتهم، منهم: ابن شُهَيد، ابن شَرَف القَيرواني، ابن ناقيا البغدادي، القُرطبي، الحَريري، الزّمخشري، السَّرَقُسْطِي، الوَهْراني، ابن الصيقل الجزري، القلقشندي، السُّيوطي.

أ- ابن شُهَيْد[1] (٤٦٠/١٠٦٧)

لعلّ "أوّل من تأثّر **بمقامات** بديع الزمان الهمذاني من أدباء الأندلس هو ابن شُهيد"[2] في رسالته **التوابع والزوابع**؛ و "كان من أوّل المتذوّقين لها الناسجين على منوالها، وأكثر ما أعجبه فيها تلك القطع الوصفيّة، ولذلك أنشأ على مثالها قطعاً في وصف الماء، والبرغوث، والثعلب والحلوى"[3].

تعدّ رسالة **التوابع والزوابع** أطول رسائل ابن شُهيد؛ فِكْرتُها مقتبسة من "إحدى مقامات بديع الزمان الهمذاني، وهي المقامة الإبليسيّة"[4]، غير أنّه "توسّع في خيالاتها، وأضاف إليها ما جعلها تخدم غرضه الخاصّ في كتابة قصّته الطويلة"[5].

إنّ رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي هي نتيجة تأثّر هذا الكاتب برسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي[6] أكثر من تأثّره ببديع الزمان الهمذاني والحَريري، وهي تسير على نسقها في رحلة خياليّة إلى الجنّة والنار، ومعالجة كثير من القضايا الفكريّة والأدبيّة عبر هذه الرحلة الخياليّة.

اعتمد ابن شُهيد على الوصف والتخيّل كثيراً؛ تخيّل أنّ له شيطاناً ككلّ الشعراء، أخذه إلى عالم آخر، وأركبه فرساً، وطاف به على الشعراء الماضين. ثمّ وصف منازل هؤلاء الشعراء وصفاً شعريّاً دقيقاً. فكانت هذه الرسالة قصّة أدبيّة خياليّة، واستعمل الألفاظ والعبارات الغامضة المتكلّفة، و "الإشارات والتلميحات المحتاجة إلى شرح وإيضاح، إلاّ أنّه لم يُغرِقْ في استعمال البديع"[7]. ولكنّه برع بأسلوبه القصصي.

نجد ثلاث مقامات لابن شُهيد في كتاب **الذخيرة**، وهي بالرسائل أشبهُ ممّا بالمقامات، ولا تقوم على الكدية والشحّاذة الأدبيّة. وأشهرها مقامة أبي حفصٍ عمر بن الشهيد[8]، الّتي بدأها بديباجة، والحديث عن صنعة الكتابة، وقيمتها، وفائدتها، بقوله: "إنّ صنعةَ الكتابة محنةٌ من المحن، ومهنةٌ من

---

(١) ابن شُهيد: أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمّد بن عيسى بن شهيد الأشْجعي الأندلسي القرطبي. ولد سنة ٣٨٢/٩٩٢. كان من أعلم أهل الأندلس، متفنّناً بارعاً في فنونه. وله التصانيف الغريبة البديعة، منها: **التوابع والزوابع، وحانوت عطّار**، وغير ذلك. وتوفّي سنة ٤٢٦/١٠٣٥. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ١١٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٦٣.

(٢) شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات**، ص ٦٧٣؛ مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي**، ص ٦٨٠.

(٣) إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣٠٣.

(٤) شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات**، ص ٥١٧.

(٥) مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي**، ص ٦٨١.

(٦) أبو العلاء المعرّي: أحمد بن عبد الله بن سليمان داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث القضاعي المعروف بأبي العلاء المعرّي. ولد سنة ٣٦٣/٩٧٣ وأضرّ بالجدري في رابع عام ولادته. وعمل الشعر، وشرح شعر المتنبّي. توفّي سنة ٤٤٩/١٠٥٧ بالمعرّة، الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج١، ص ٢٦٥-٢٦٧.

(٧) الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي**، ص ٨٣٢.

(٨) أبو حفص عمر بن الشهيد: هو من شعراء أمير المريّة، المعتصم بن صمادح ولد سنة ٤٣٩/١٠٤٧ وتوفّي سنة ٤٨٤/١٠٩١، شوقي ضيف، م.س، ص ٥١٧.

المهن، والسعيدُ مَنْ خلّدتْ دولة إقباله، والشقي من كانت رأس ماله، والعاقل من إذا أخرجها من مثالبه لم يُدخلها في مناقبه، لا سيّما وقد تناولها كثيرٍ من السُّوَق، وباعوها بيع الصورَ"[١].

"يبدو أنّه وجّهها إلى الفقيه ابن الحديد"[٢]. ومقامته مجرّد مشاهدات وملاحظات، وهي أقرب إلى وصف رحلة له وصفاً أدبيّاً طريفاً؛ إذ إنّ موضوعها يدور حول قصّة رحلة قام بها، ويقول إنّه مالَ إلى منزل بدوي ذي هيئة وزيٍّ، ومال به إلى بيت أثار إعجابه، فقال له الراوي: "يا صاحب المنزل هنئتَ وهُنيت، لقد أوتيتَ وأُوتيت... من أين للبداوة بهذا الرونق والطلاوة؟ وكيف حتّى أغرت على حانوت العطّار؟ ومتى نقل سوق البزّ إلى هذه الدار؟ لقد قرّت بك الأعينُ وسرّت الأنفس هذا زيّ العروس فأين العُرس؟ فضحك البدوي ملء فيه ثمّ قال: (بحر مجزوء الرمل)

يَـا أخـي نَحْـنُ عَلَى أنْـــ ـــانْتَـــاجٌ بَـــدَوِيُّ
سـادةٌ نـاسٌ لَنَـا فِـي هـــذِهِ الدُّنيـا دَوِيُّ
عِنْدَنَـا إنْ جَـاءَ ضَيْـفٌ شَبَـعٌ جَـمٌّ وريُّ
وَسَـرِيـرٌ حَشْـوهُ ريــ ـشُ الفَرايـجِ وَطَـيُّ
وكَـرامَـاتٌ كَثيـرا تٌ وهَيْئَـاتٌ وزِيُّ[٣]

ثمّ أغرى صبيانه بديك هرم، فأمسكوا به للذبح، فقال الديك: "أيّها السادة الملوك، فيكم الشابُ مُتّع بالشباب، والأشْيَبُ نَوَّرَ شَيْبُه مع الكواعب والأتراب، وقد صَحِبتُكم مدّة، وسَبَّحتُ الله تعالى على رؤوسكم مراراً عدّة، أُوقظكم بالأسحار، وأؤذن بالليل والنهار، وقد أحسنتُ لدجاجكم سفاداً، وربّيتُ لكم من الفراريج أعداداً؛ فالآن حين بلي في خدمتكم تاجي، أُبغي إلى دجاجي، وتُنحى الشفرةُ على أوداجي؟ وحين أدركني الشيخ، يُمَزَّقُ لحمي ويُطبخ؟ يا للكرام، من ذُلّ هذا المُقام"[٤].

هنا وقف الديك خطيباً، وذكّرهم بفضائله، فرقّت له أنفس القوم، ولاموا صاحب المنزل على انكار الجميل، إلاّ أنّه أبى وأصرّ على ذبحه.

وفي فصل آخر نراه قد وصل إلى قرية، ويصف جمالها وجمال أهلها، ويبهر بجمال الغلمان والنساء فيها.

وهكذا يصف أبو حفص قصّة رحلته، وما يشاهده في قالب النظم والنثر. ولا نرى أيّة رموز أرادها صاحبها، ولا نتبيَّنُ خلال قراءتها مفهوماً آخر إلاّ وصف الرحلة الّتي قام بها. ولا تتّخذ مقامته شكل المقامة عند بديع الزمان الهمذاني.

---

(١) ابن بسّام، **الذخيرة**، مج ١، ص ٥١٥.

(٢) إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣٠٩.

(٣) ابن بسّام، **م.س**، مج ١، ص ٥١٧.

(٤) ابن بسّام، **م.س**، مج١، ص ٥١٨.

ب- ابن شَرف القِيرواني[1] (٤٦٠/ ١٠٦٧)

من أشهر أعمال ابن شرف القيرواني مقامة نقديّة طويلة احتفظ بنصّها صاحب كتاب **الذخيرة**، كما ذكر مقامة أخرى له أيضاً. وقال: "لابن شرف مقامات عارض بها البديع، وصبّ فيها على قالبه، منها مقامة فيها بعض طول، لكنّه غير مملول. وبدئت المقامة الأولى بقوله: جاريتُ أبا الريّان في ذكر أهل النظام، ومنازلهم في الجاهليّة والإسلام، فقال: عدد الشعراء أكثر من الإحصاء، وأشعارهم أبعدُ من شقّةِ الاستقصاء. قلتُ: لا أعنِتك بأكثر من المشهورين مثل الضلّيل والقتيل، ولبيدٍ وعبيدٍ، والنوابغ والعُشي، والأسود بن يَعفر، ومن سواه من العُمي، وابن الصمّة دُريد، ... ومن الطبقة المتأخّرة في الزمان، المتقدّمة في الإحسان كأبي فراس ابن حمدان، والمتنبّي بن عَبدان ..." [2].

عرض ابن شرف القيرواني في هذه المقامة أسماء الشعراء، وأخبارهم منذ العصر الجاهلي حتّى عصره، في أسلوب تقريري. وراوي المقامة أو بطلها أبو ريّان يقوم بوصف الشعراء ويذكر صفاتهم، بقوله: "وأمّا النابغة زياد: فأشعاره الجياد لم تخرُج عن نار جوانحه حتّى تناهى نضجها، ولا قُطعت من منوال خواطره حتّى تكاثفَ نسجُها... فشعره وسائط سلوك وتيجانُ ملوك"[3].

وهكذا ذكر ابن شَرف القِيرواني أوصاف الشعراء، إلى أن يقول في ختام مقامته: "هذا ما عندي من المتقدّمين والمتأخّرين، على احتقار المعاصر، واستصغار المجاور، فحاشَ لله من الاتّصاف، بقلّة الإنصاف، للبعيد والقريب، والعدوّ والحبيب. قلتُ: يا أبا الريّان، وُقيتَ مرورَ الحدثان، فلقد سُبكْتَ فهماً، وحُشيتَ علماً"[4].

تشبه هذه المقامة المقامة القريضيّة لبديع الزمان الهمذاني، من حيث النقد، ومفاضلة بين الشعراء، غير أنّ ابن شرف القيرواني لم يلتزم بخصائص المقامات وهو العنصر الدرامي، كما أنّه لا يقوم على العناصر الفنيّة. وأطال ابن شرف أيضاً.

وإذا تأمّلنا في هذه المقامة، وَجَدْنا أنّ ابن شَرف القِيرواني كتب مقالة أدبيّة، وأطلق عليها اسم المقامة، فهو لم يعارض بديع الزمان الهمذاني لأنّه لم يتقيّد بالقوالب الّتي وضعها الهمذاني في مقاماته. ولا تقوم على الكدية والشحّاذة الأدبيّة أيضاً. وركّز على كتابة حديث أدبيّ، ولعلّ هدفه كان أدبيّاً بحتاً. و "هي بذلك ليست مقامة، وإنّما هي رسالة نقديّة"[5].

---

(١) ابن شرف: كان أبو عبد الله ابن شرف بالقيروان، من فرسان هذا الشأن، وأحد من نظم قلائد الآداب، وجمع أشتات الصواب، وتلاعب بالمنظوم والموزون. له عدّة تآليف، منها: كتاب **أعلام الكلام**، وكتاب **أبكار الأفكار**. وله مقامات. توفّي سنة ٤٦٠ / ١٠٦٧. ابن بسّام، **الذخيرة**، مج ٤، ص ١١٩، ١٣٧.

(٢) ابن بسّام، م.ن، "المقامة الأولى"، مج ٤، ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٣) ابن بسّام، م.ن، مج ٤، ص ١٣٩.

(٤) ابن بسّام، م.ن، "المقامة الأولى"، مج ٤، ص ١٤٦.

(٥) شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات**، ص ٣١٤.

تختلف المقامة الثانية عن الأولى هدفاً وبناءً، وتحمل في داخلها نوعاً من الطرافة الأدبيّة، بقوله: "كنتُ أدنى من الفتى مرقداً، كما كنتُ أدنى منه مقعداً، ولي عين أخفّ العيون هَجْعَة، وأقرّ بها إلى الانتباه رَجْعَة. فأيقظتني نَبْرة لم أكن عَهِدتُ من الفتى مثلها... فسمعت الأعمى يقول: يا سيّدي أنا ضَرورة وثَمَّ ضَرورة، وقد طالت الغُربة واضطرَّتني العُزْبة، فقال الفتى له: فما وجدت لضرورَتك سواي، ولا لعُزبتك حاشاي؟ قال له: فإنّه أبيتَ إلاّ أن تمنع، فدُلّني على ما أصنع. قال له الفتى: أرى لك أن تَتَسرَّى. قال ومن للصُّعلوك بالمملوك؟ قال فتتزوّج..." [1]. وهكذا نرى تتجلّى في النصّ نهاية الفصاحة على لسان الراوي وهو الجرجاني.

والواقع أنّ قراءة هاتين المقامتين لا تكفي لبيان منهجيّة ابن شرف القيرواني كمقامي، إلاّ أنّنا يمكننا القول من خلال قراءة هاتين المقامتين يتبيّن لنا: أنّ المقامة الأولى تفتقر إلى العنصر الدرامي، أي أنّها من حيث شكلها الفنّي، لم تكن قادرة على التعبير عن مضمونها بأسلوب درامي. ومن جانب آخر أطال ابن شرف المقامة الأولى. وتشتمل المقامة الثانية على العناصر الفنّيّة، وأهمّها البلاغة والظرف.

ج- ابن ناقيا البغدادي[2] (٤٨٥ / ١٠٩٢)

لقد قلّد ابن ناقيا مقامات الهمذاني، وحاول أن يصنع مقامات شبيهة لمقامات الهمذاني. فكتب تسع مقامات، ومن يقرأها يجده يتّخذ لها بطلاً يسمّيه اليشكري، أمّا الرواة فمتعدّدون. وهي تدور في أكثرها على الكدية، ولكن ليس فيها جمال اللفظ الّذي نجده عند بديع الزمان الهمذاني أو عند الحَريري، ولعلّها من أجل ذلك لم تشتهر بين الناس"[3].

و"الاختلاف الأساسي بين ابن ناقيا وبديع الزمان يتركزّ في أنّ ابن ناقيا لم يحفل كثيراً بالمضمون الشامل لمقاماته، فقد وضع هدفاً منذ البداية استغرقه في الصنعة اللفظيّة. ولم يحفل بتصوير القيم الإنسانيّة والفكريّة العالية، فجاءت مقاماته مجرّد مفارقات طريفة قام بها بطله اليشكري. ومن ناحية البناء الفنّي فلا تختلف مقاماته كثيراً عن مقامات بديع الزمان الهمذاني، إلاّ من جانب واحد هو تعدّد الرواة"[4]. و"قصده من إنشاء مقاماته إظهار قدراته الفنّيّة الخالصة"[5].

---

(١) ابن بسّام، **الذخيرة**، "المقامة الثانية"، مج ٤، ص ١٤٧.

(٢) ابن ناقيا البغدادي: أبو القاسم عبد الله، وقيل عبد الباقي بن محمّد بن الحسين بن داود بن ناقيا، ولد سنة ٤١٠/ ١٠١٩. هو الأديب الشاعر اللغوي المترسّل، من أهل الحريم الطاهري، وهي محلّة ببغداد. وله مصنّفات، منها كتاب **الجُمان في تشبيهات القرآن**، وله **مقامات** أدبيّة مشهورة. ووفاته كانت سنة ٤٨٥/ ١٠٩٢. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٣، ص ٩٨؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، مج ٢، ص ٦٧؛ فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٣، ص ١٩٩.

(٣) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٨٠.

(٤) يوسف نور عوض، **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**، ص ١٦٦ – ١٦٧.

(٥) حسن عبّاس، **نشأة المقامة في الأدب العربي**، ص ١٨.

د- القُرطبي[1] (؟   )

ذكر صاحب كتاب **الذخيرة** بعض فصول من مقامة الأديب القُرطبي، ويبدو أنّها كانت طويلة، وغايتها كانت المدح. يصف القُرطبي في مقامته هذه يوماً من أيّام معركة الأمير المعتصم بن صُمادح، ويقول: "لا تسمَعُ إلاّ همهمةً وصَهيلاً[2]، وقَعْقَعَة[3] وصليلاً[4]، فخلت الأرضَ تميل ميلاً، والجبالَ تكون كثيباً مهيلاً..." [5]. ثمّ يصف الفتوحات والانتصارات، كما أنّه يصف الجيش وسلاحهم كالدروع، والرماح، والسيوف، والخيول والطبول وغير ذلك.

يمدح المعتصم بن صمادح في فصل قائلاً: "ما رأيتُ وجهاً أسمَح، ولا حلماً أرجَحَ، ولا سجيّة أسجَح ولا بشراً أبدى، وكفّاً أندى، ولا غرّةً أجمل، ولا فضيلة أكمل، ولا صورّاً أصفى، ولا وعداً أوفى... ممّا خصّ الله به ثالث القمرين، وسراجَ الخافقين، وعمادَ الثقلين، المعتصم بالله ذا الرياستين، دامت راياتُه منصورة..." [6]. ويعلن فرحته بدولته، وخدمة الزمان له وميمون طالعه مغرقاً في المديح ومبالغاً فيه.

تختلف مقامة القُرطبي عن مقامات المشارقة موضوعاً، فلا تقوم على الكدية والشحاذة الأدبيّة، كما أنّ "موضوعها في المدح التهويلي نَقَصَ حظّها من طرافة الموضوعات في المقامة السابقة"[7].

هـ- الحَريري (٥١٦ / ١١٢٢)

هو القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان الحَريري[8] البصريّ[9] الحراميّ[10] المكنّى بأبي

---

(١) القرطبي: أبو محمّد بن مالك القرطبي، كان فرداً من أفراد الشعر والكتّاب، وبحراً من بحور المعارف والآداب، ورفل من النثر والنظام بين الآصال والبُكَر. له مقامة يديرها على مديح المعتصم بن صُمادح أمير المريّة، ويُغرق في مديحه إغراقاً شديداً. ابن بسّام، **الذخيرة**، مج ١، ص ٥٦٣؛ شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات**، ص ٥١٨ – ٥١٩؛ إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣١١ – ٣١٢.

(٢) الصهيل: حدّة الصوت مع بَحَحٍ كالصتهّلِ. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ٢، ص ١٣٥٧، باب اللام، فصل الصاد.

(٣) القعقعة: حكاية صوت السلاح، وصوتُ الرعد والترسَة ونحوها. الفيروزآبادي، **م.ن**، ج ٢، ص ١٠١٠، باب العين، فصل القاف.

(٤) الصليل: الصوت. الفيروزآبادي، **م.ن**، ج ٢، ص ١٣٥١، باب اللام، فصل الصاد.

(٥) ابن بسّام، **م.س**، مج ١، ص ٥٧١.

(٦) ابن بسّام، **م.س**، مج١، ص ٥٧١.

(٧) إحسان عبّاس، **م.س**، ص ٣١٢.

(٨) الحَريري: هذه النسبة إلى الحرير، وهو نوع من الثياب، والمشهور بهذه النسبة أبو محمّد القاسم بن علي الحَريري صاحب المقامات. ولعلّ واحداً من أجداده يعمل الحرير أو يبيعه. السمعاني، **الأنساب**، ج ٢، ص ٢٠٨ – ٢٠٩؛ ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٧.

(٩) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج ١٧، ص ٢١٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٥، ص ٢١٩؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج ٢، ص ٢٥٧؛ وابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢٧٨.

(١٠) الحراميّ: نسبته بالحراميّ إلى سكّة بني حرام. وبنو حرام قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكّة فنسبت إليهم. ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٧.

محمّد[١]. وُلد في حدود سنة ١٠٥٤/٤٤٦[٢]. وكان مولده ببلد "قريب من البصرة يُسمى المَشان[٣]، مولده ومنشؤه به، وسكن البصرة في محلّة بني حرام"[٤]، وهي قبيلة عربيّة. وتوفّي سنة ٥١٦/١١٢٢[٥]، وقيل ٥١٥/١١٢١ بالبصرة[٦].

وكان الحَريري أحد أئمّة عصره، و"كان غاية في الذكاء، والفطنة، والفصاحة، والبلاغة. وتصانيفه تشهد بفضله، وتقرّ بنبله، وكفاه شاهداً كتاب المقامات الّتي أبرَّ بها على الأوائل وأعجز الأواخر. وكان مع هذا الفضل، قذراً في نفسه، وهيئته، قصيراً ذميماً بخيلاً مبتلى بنتف لحيته"[٧]، "بحيث يتشوّه بذلك، فنهاه الأمير، وتوعده على ذلك، وكان كثير المجالسة له، فبقي كالمقيّد لا يتجاسر يعبث بها، فتكلّم في بعض الأيّام عند الأمير بكلام استحسنه منه، فقال له الأمير: سلني ما شئت حتّى أعطيك، فقال له: أقطعني لحيتي، فقال له: قد فعلت"[٨].

وروي أنّ رجلاً غريباً قصد زيارة الحَريري ليقرأ عليه مقاماته، "فاستدلّ على مسجده الّذي يقرأ فيه، فلمّا أراد الدخول رأى شخصاً ذميم الصورة، فاحتقره وقال لعلّه ليس هو هذا، فرجع ثمّ قال في نفسه: لعلّه يكون هذا، ثمّ استبعد أن يكون هو، والشيخ يلحظه، فلمّا تكرّر ذلك منه، تفرّس الشيخ منه ذلك، فلمّا كان في المرّة الأخيرة قال له: ارحل فأنا من تطلب، أكبر من قردٍ محنّك"[٩].

كان الحَريري رجلاً ثريّاً، كما "يقال إنّه كان له ببلدة مشان ثمانية عشر ألف نخلة"[١٠]. "وخلّف ولدين نجم الدين عبد الله، وضياء الإسلام عبيد الله قاضي البصرة"[١١].

---

(١) دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٠، ص ٤٩٦.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦١؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج٢، ص ٢٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٥، ص ٢١٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج ١٧، ص ٢١٤.

(٣) المَشان: بالفتح، هي بلدة قريبة من البصرة، كثيرة التمر، والرطب والفواكه. ومنها كان أبو محمّد القاسم بن عليّ الحَريري صاحب المقامات. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ١٥٤.

(٤) ياقوت الحموي، **م.س**، ج ١٦، ص ٢٦١؛ ابن تغري بردي، **م.س**، مج ٥، ص ٢١٩.

(٥) ابن خلّكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٧؛ سركيس، **معجم المطبوعات**، ج ١، ص ٧٤٨؛ ابن تغري بردي، **م.س**، ج ٥، ص ٢١٩؛ ابن الجوزي، **م.س**، ج ١٧، ص ٢١٤.

(٦) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٧.

(٧) ياقوت الحموي، **م.س**، ج١٦، ص٢٦٢، السيوطي، **م.س**، ج ٢، ص ٢٥٧؛ سركيس، **م.س**، ج١، ص٧٤٨.

(٨) ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢٨٠.

(٩) ابن الأنباري، **م.ن**، ص ٢٨٠؛ ابن خلكان، **م.س**، مج ٤، ص ٦٦ – ٦٧.

(١٠) ابن العماد، **شذارت الذهب**، ج ٤، ص ٥٣.

(١١) ابن العماد، **م.ن**، ج ٤، ص ٥٠.

لمّا أتمّ الحَريري مقاماته في بغداد لم يقم فيها طويلاً، فرجع إلى البصرة، و"عُيّن صاحبَ الخبر بها، وهي وظيفة تشبه وظيفة مصلحة الاستعلامات في عصرنا. واكتفى بهذه الوظيفة"[١] حتى آخر عمره. ثم يضيف ياقوت الحموي إليه وقوله: "وجدتُ هذا المنصب لأولاده"[٢].

وكان الحَريري يعتني بمقاماته ومحاضراته، "فكانت له حلقة، بمسجد حيِّه الّذي كان ينزل فيه هناك. وكان أحياناً يترك البصرة ويذهب إلى المشان، فيتبعه الطلاّب"[٣]. وليست لدينا أخبار كثيرة عن حياة الحَريري، على الرغم من شهرته الواسعة. كما نلاحظ هذا في تراجم أدباء الفرس أيضاً، على سبيل المثال سعديّ الشيرازيّ[٤]، وحافظ الشيرازيّ[٥]، فقلّما ذُكرت تفاصيل حياتهم.

وألف الحَريري كتبا منها: **درّة الغواص في أوهام الخواصّ**: بيّن فيه أغلاط الكتّاب فيما يستعملونه من الألفاظ بغير معناه أو في غير موضعه. **وملحة الإعراب**: أرجوزة في النحو أوّلها: (بحر الرجز)

أَقُولُ مِنْ بَعْدِ افْتِتاحِ القَولِ   بِحَمْدِ ذِي الطَّولِ شَدِيدِ الحَولِ

وشرحُ مُلْحة الإعراب، والمقامات: أو المقامات الحَريرية، وتُعرف بالمقامات الأدبيّة، وهي خمسون مقامة في ضروب مختلفة من الآداب[٦].

تليها رسالتان مشهورتان: الشينيّة[٧]، والسينيّة[٨]، وهما رسالتان من إنشاء الحَريري.

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٢.

(٢) ياقوت الحموي، م.ن، ج ١٦، ص ٢٦٢.

(٣) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٤٦.

(٤) سعديّ الشيرازيّ: أبو عبد الله مشرف بن مصلح أو مشرف الدين بن مصلح الشيرازي، ولد في مدينة شيراز حوالي سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤. وقد تخلص الشاعر بالسعدي، واختاره من اسم حاكم الوقت "سعد بن أبي بكر بن سعد بن زنكي" تكريماً له. وهذا الحاكم أرسله إلى المدرسة النظاميّة في بغداد لمتابعة دروسه واستيفاء تحصيله. ومن أهمّ مؤلفاته وأكثرها شهرة كتابيه **گلستان** الذي صنفه ٦٥٥/ ١٢٥٧، وكتاب **بوستان** الذي صنفه ٦٥٦/ ١٢٥٨، وله آثار أخرى قد جمعوه في كتاب باسم **كليات** أي مجموعة آثار تشتمل على قصائد عربيّة وفارسيّة، وملمّعات، ومراثي، وترجيعات، وغزليّات، ورباعيّات، وهزليات، ومضحكات، والنصائح وغير ذلك. قد مات في مدينة شيراز وقد جاوز المائة من عمره في سنة ٦٩١/ ١٢٩١. ملك الشعراء بهار، **سبك شناسى**، مج ٣، ص ١١٤ – ١١٥؛ دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٩، ص ٥٢٠ – ٥٢١؛ جامي، **نفحات الأنس**، ص ٦١٤.

(٥) حافظ الشيرازي: شمس الدين محمّد حافظ الشيرازي، الملقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار. سلك مسلك الصوفيين. وله **ديوان** شعر. وتوفي سنة ٧٩١/ ١٣٨٩. جامي، **م.ن**، ص ٦١٤.

(٦) **ياقوت الحموي، م.س**، ج ١٦، ص ٢٧٦ – ٢٧٨؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٦؛ ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ٢٧٨؛ سركيس، **معجم المطبوعات**، ج ١، ص ٧٤٨ – ٧٥٠.

(٧) الرسالة الشينيّة: كلّ كلمة من كلمات هذه الرسالة لا تخلو من حروف الشين كتبها لأحد أصدقائه باسم طلحة بن أحمدِ بن طلحةِ النعماني، ومدحه كما يلي: بإرشادِ المنشي، أنشي شغفي بالشيخِ شمسِ الشعراء ريشِ معاشهُ وفَشا ريشه، وأشرقَ شهابُه، واعشوْ شبت شعابُه، يُشاكل شغفَ المنتشي بالنشوَى، والمرتشِي بالرشوى، والشادن بشرخ الشبَّاب، والعطشانِ بشمِ الشراب، وشكرى لتجشمهِ ومشقتِه، وشواهدِ شفقتِه... الحَريري، **المقامات الأدبيّة**، ص ٤٤٤ – ٤٤٦.

(٨) الرسالة السينيّة: كتبها الحَريري على لسان الأمير أمينِ الملك أبي الحسن بن قطيسر المدائني رئيس ديوان الاستيفاء بالبصرة إلى الأمير الإسفهسلار النفيس، معاتباً له على اختصاصه بالدعوة للأمير الحسام، على النحو التالي: باسم السميعِ القدّوسِ أستفتحُ، وبإسعادهِ أستنجِحُ، سيرة سيدنا الإسفهسلار السيدِ النفيس سيد الرؤساء سيفِ السلاطين حُرست نفسهُ، وأستنارت شمسهُ، واتّسقَ أنسُه... وحسبنا السلام لرسول الإسلام. الحَريري، **م.ن**، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

"وله شعر كثير، وقصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً"[١].

- **مقاماته**

تعدّ **مقامات** الحَريري أعظم الآثار المقاميّة بعد **مقامات** بديع الزمان الهمذانيّ، وأشهر آثاره الأدبيّة الّتي وصلت إلى قمّة الفصاحة والبلاغة، وكسبت شهرة فائقة طغت بها على المقامات الهمذانيّة، بل أصبحت نقطة انطلاق لكتّاب المقامة شرقاً وغرباً، حتّى قال فيها ياقوت الحموي: " لقد وافق كاتب **المقامات** من السعد ما لم يوافق مثله كاتب عرفته فإنّه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتّسعت له الألفاظ وانقادت له جوامع البراعة، حتّى أخذ بأزمتها وملك ربقتها، فاختار ألفاظها وأحسن نسقها، حتّى لو ادّعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره، ولا يردّ في قوله، ولا يأتي بما يقاربها، فضلا عن أن يأتي بمثلها، ثم رزقت من الشهرة، وبعد الصيت، والإتقان في استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقّت وأكثر"[٢].

صحيح أنّ بديع الزمان الهمذاني مبتكر فنّ المقامات، غير أنّ الفضل في ذيوع فنّ المقامة وانتشاره يرجع إلى الحَريري، لأنّه يعّد أشهر من نظم المقامات، وصارت مقاماته مضرب المثل في الفصاحة والبيان، وانتشرت مقاماته في جميع أنحاء العالم، وقلّدوه. ولم يمض زمن لم تحفظ فيه هذه المقامات، إلاّ أنّنا لا نجد بعد الحَريري من استطاع أن يؤلّف مقامات مثله من حيث القوّة والمتانة، وأنّ يحلّق معه في الأفق الّذي صعد إليه، ولم تلحق مقامة بغبار **مقامات** الحَريري الّذي سار على نهج بديع الزمان الهمذاني من حيث:

- البناء الفنّي والالتزام بشخصيتّي الراوية والبطل، أي كما بنى بديع الزمان الهمذاني مقاماته على راوية واحد، وبطل واحد، بنى الحَريري مقاماته على راوية واحد اسمه الحارث بن همّام، وبطل واحد اسمه أبو زيد السروجي أيضاً. والحَريري استطاع أن يربط بينها برباط فنّي محكم.

- معالجة المسائل الفكريّة واللغويّة.

- موضوع الكدية: دارت **مقامات** الحَريري على الكدية، كما التزمها بديع الزمان الهمذاني. ولكنّ الحَريري زاد عنه إغراباً وافتناناً، وذكر المُعْجِبات الّتي فتن بها أدباء عصره، والعصور المتعاقبة. فلغة الحَريري تعدّ من أغرب نماذج النثر المصنوع، في حين أنّ لغة بديع الزمان الهمذاني خالية من التكلّف.

والحقيقة الّتي لا بدّ منْ أن نشير إليها هي أنّ **مقامات** الحَريري تميّزت بالأسلوب والصياغة البلاغيّة، وقد تفوّق الحَريري على بديع الزمان الهمذاني تفوّقاً ظاهراً في الصياغة الأسلوبيّة والأحكام

---

[١] ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٤، ص ٦٦.

[٢] ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٧.

الدراميّة، حتّى غدت مقاماته قمّة في ذاتها. واستطارت شهرتها، وأقبل العلماء والأدباء على روايتها ودراستها وشرحها في المشرق والمغرب.

وهكذا يمكننا القول إنّ الحَريري حافظ على الملامح الفنّيّة للمقامات الهمذانيّة وإن طوّر فيها تطويراً، إلاّ أنّ بعض النقّاد يعتبره سلبيّاً، لا سيّما في الجانب اللغوي الزخرفي.

يبدو أنّ الحَريري عبّر عن شعوره بالتفوّق بلغته الغريبة، كما نجد الجانب القاموسي أتى إثر اشتداد أزمة اللغة في عصره، ورغبة الأدباء في المحافظة عليها.

و- الزَمَخشري[(١)] (١١٤٣/٥٣٨)

لاحقاً حذا الزَمَخشري حذو الحَريري، ويبدو أنّه لم يقصد أن يقلّد **مقاماته**، إذ إنّنا لا نجد في مقاماته بطلاً ولا راوية. وهو يبدؤها بقوله: يا أبا القاسم؛ وليس أبو القاسم إلاّ الزَمَخشري نفسه، فهو يعظ نفسه، ويعظ القارئ والسامع من خلال أقواله الحكميّة أيضاً. وتحتوي **مقامات** الزَمَخشري على خمسين مقامة حول الحكمة، والوصايا، والأدب. وكتبها بلغة بليغة، وألفاظ حسنة، وعمد إلى شرح ما جاء فيها من بليغ اللغة وجمال اللفظ.

ولعلّ الغرض منها كان تهذيب النفوس وتطهير القلوب والنصح والإرشاد، ولم يقصد إلى إظهار مقدرته اللغويّة بقدر ما قصد إلى الوعظ والإرشاد والتعليم؛ فلذلك اشتهر بكتاب **النصائح الكبرى**. كما "يقول الزَمَخشري إنّه لبّى نداءً داخليّاً في نفسه حين أخذ بتدبيج هذه المقامات، إذ سمع وهو نائم صوتاً يدعوه: يا أبا القاسم، أجل مكتوب وأملٌ مكذوب"[(٢)].

والحقيقة، أنّ كلّ جملة من جُمله حكمة قيّمة، إذ يقول: "يا أبا القاسم، العمرُ قصيرٌ، وإلى الله المصيرٌ، فما هذا التقصيرُ، إنّ زِبرِج[(٣)] الدنيا قد أضلّك، وشيطان الشهوة قد استزلّك..."[(٤)].

---

(١) الزَمَخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد في زمخشر من أعمال خوارزم في سنة ٤٦٧/ ١٠٧٥. كان إمام عصره في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، وعلم البيان، والأدب، متقناً في علوم كثيرة. صنّف التصانيف البديعة، منها: **الكشاف** في تفسير القرآن العزيز، و**أساس البلاغة** في اللغة، و**المفصّل في النحو**، وغير ذلك. وكانت وفاته سنة ٥٣٨ / ١١٤٤. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٥، ص ١٦٨ – ١٧٤؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، مج ٢، ج ٢، ص ١١٨ – ١٢١؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٧٩١.

(٢) موسى سليمان، **القصص اللغوي والفلسفي**، ص ١٥٣.

(٣) زبرج: الزينة من وَشْي أو جوهر، والذهب. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ١، ص ٢٩٧، باب الجيم، فصل الزاي.

(٤) الزَمَخشري، **المقامات**، "مقامة التقوى"، ص ٢١.

للتعرّف على منهج الزَمَخشري نشير إلى إحدى مقاماته، على سبيل المثال: مقامة المراشد، بقوله: "يا أبا القاسم إنّ خصالَ الخير كتفّاح[١] لبنان. كيف ما قلّبتها دعتكَ إلى نفسها. وإنّ خصال السوء كحسَك السَّعْدان[٢] أنّى وجّهتَها نهتْكَ عن مسّها. فعليك بالخير... وإيّاك والشرّ فإنّ صاحَبه ملْتفٌ في أطمار[٣] الأذلِّ الأتعسْ. أقبِلْ على نفسك فسُمها النظرَ في العواقب. وبَصّرها عاقبةَ الحذر المراقبْ... وحاسِبها قبل أن تُحاسَبْ. وعاقبها قبل أن تُعاقب. وأخلص اليقين. وخالص المتّقين. وامشِ في جادّة الهادين الدالينْ... فعسيتَ[٤] بفضل اللهِ تنجو. وتفوزُ ببعض ما ترجو"[٥].

كتب الزَمَخشري **مقاماته** كلّها على هذا الأسلوب والطريقة نفسها، فلذلك يمكننا أن نخلص من هذه المقامات إلى ما يلي:

- اقتصرت **مقامات** الزَمَخشري على الوعظ والنصح، ولا نجد موضوعات أخرى، ولا بعداً فنّياً أو أدبياً إلاّ الوعظ والإرشاد. فلهذا غلب على **مقاماته** طابع الجدّ.
- لا تحتوي أيّ بناء دراميّ شبيه بما نجده عند بديع الزمان الهمذاني.
- لا تمثّل لوناً من ألوان القصصي، كما هو الشأن في المقامات الهمذانيّة والحَريرية.
- استعمل الصنعة البلاغيّة، والمحسّنات البديعيّة، كما نرى التزامه بالسجع في الجمل القصيرة، ولم يهمل الصنعة اللفظيّة أيضاً.
- ولم يلتزم الزَمَخشري عنصرَي الراوية والبطل.

ومن بعد الزَمَخشري ظلّ سيل المقامات يتدفّق، لا يكاد يمرّ عصر وقرن من دون ظهور مقامات جديدة. ومن ثمّ ظهرت المقامات الصوفيّة، وذلك بسبب المنحى الّذي سلكه الزمخشري، واختصّ موضوعات **مقاماته** بالوعظ لإصلاح النفس والزهد. ففي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ألّف الشيخ شهاب الدين السهروردي[٦] مقاماته وسمّاها **المقامات الصوفيّة**. وكثر المقلّدون في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وخاضوا في موضوعات شتّى كالفقه والنحو.

---

(١) تفّاح لبنان: موصوف بحسن اللون، وطيب الرائحة، والطعم، ويجلب في القوارير إلى الخلفاء. الزَمَخشري، **المقامات**، "مقامة المراشد"، ص ١٦ – ١٧.

(٢) السعدان: نباتٌ تغزر عليه ألبان الإبل، وفي المثل مرعى ولا كالسعدان، ويقال أطيب الأبل لحماً ما أكل السعدان، وينبت متفرشاً على الأرض. الزمخشري، م.ن، ص ١٧.

(٣) أطمار: الطمر: الثوب الصوّر. الزَمَخشري، م.ن، "مقامة المراشد"، ص ١٨.

(٤) عسيت: يقال عساك وعساني، مثل لعلّك ولعلّني. الزَمَخشري، م.ن، ص ٢٠.

(٥) الزَمَخشري، م.ن، ص ١٦ – ٢٠.

(٦) السهروردي: أبو الفتوح يحيى بن حبَش بن أميرك، المعروف بالشيخ الحكيم المقتول، ولد نحو سنة ٥٥١ / ١١٥٥. قرأ الحكمة وأصول الفقه بمدينة المراغة (أذربيجان). ثمّ تطوّف في البلاد، فأتى إلى بغداد، وفي سنة ٥٧٩ / ١١٨٣ غادر بغداد إلى حلب، وأخذ بنشر مذهبه فيها، فثار عليه العلماء من أهل السنّة، وشكوه إلى أمير المدينة، صلاح الدين، فأمر صلاح الدين ابنه الملك الظاهر بقتله، فقُتل في حلب سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م. كان السهروردي المقتول في أوّل أمره فقيهاً شافعيّاً وأصوليّاً، كما كان ملمّاً بعدد من علوم الأوائل، وخصوصاً في الفلسفة والكيمياء. ثمّ اتّخذ مذهباً صوفيّاً متطرّفاً. وأمّا عمدة السهروردي في تصوّفه فكانت الإشراق أو حكمة الإشراق. وله مصنّفات، منها: **التلويحات اللوحيّة والعرشيّة، المقامات، حكمة الإشراق، مقامات الصوفيّة ومعاني مصطلحاتهم**، وغير ذلك. عمر فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٣، ص ٤٠١ – ٤٠٢.

ز- السَّرَقُسْطِي[1] (٥٣٨/ ١١٤٣)

له مقامات سمّاها **المقامات اللزوميّة**، وعددها خمسون. فقد وضعها "في محاذاة **مقامات** الحَريري، وعلى غرارها، من اتّخاذ بطل لها من أبطال الشحاذة الأدبيّة هو الشيخ أبو حبيب في محاذاة بطل **مقامات** الحَريري: أبي زيد السروجي، واتّخذ له راوية هو السائب بن تمّام في محاذاة راوية **مقامات** الحَريري: الحارث بن همّام"[2]. و "لا تحمل كلّ واحدة من المقامات اسماً علماً عليها كما فعل الحَريري ومن قبله بديع الزمان الهمذاني"[3]، "ما عدا أربع عشرة منها فقط هي الّتي ميّزها بالألقاب"[4].

جاء نثر **مقامات** السَرَقُسطي في غاية الجودة، والحقّ أنّها أروع المقامات الأندلسيّة الّتي حاكت **مقامات** الحَريري بعده؛ وحافظ على أصول المقامة شكلاً، وموضوعاً وأسلوباً. كما نجد في **مقاماته** الراوية والبطل والمحسّنات البديعيّة بكثرة، والموضوعات الّتي طرقها الحَريري من قبل، بحيث لم تقدّم شيئاً جديداً. و"نجد عنده ضرباً من التقيّد لم نجده عند من سبقه من كتّاب المقامات، ويكفي أنّه أسمى مقاماته **بالمقامات اللزوميّة** ذلك أنّه التزم فيها ما لا يلزم"[5]، وبناها على السجع مثل **مقامات** الحريري.

لنتبيّن لنا قدرته على التفنّن في الوصف ونسج الكلام، نكتفي بذكر جزء صغير من مقاماته، إذ يقول في المقامة الثالثة: "أيّها الناس إنّما أنتم أنواع وأجناس، منكم الجليل، والحقير، والسفيه، والحليم، والجهول، والعليم، والخامل والعاطل، والعامـــل، والصحيح والسقيم، والظاعن، والمقيم، وإنّيّ فيكم لابن سبيل... وأنبّه منكم غافلاً وأديباً؛ كنت ابناً لبعض الأقيال، أسحب فضل الأذيال، وأهيم بذات الخال، وأشتمل ثوب الزهو والخال... حتّى إذا اخترمته يد الحِمام، وصار أمرنا إلى تمّام، رغب عنّي

---

(١) السَّرَقُسْطِي: محمّد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي المازني السرقسطي الأندلسي، أبو طاهر، المعروف بابن الأشتركوني. وزير من الكتّاب الأدباء، له شعر جيّد. اشتهر بالإنشاء. وعارض الحَريـري فـي مقاماتـه بخمسين مقامة سمّاها **المقامات اللزوميّة**، التزم فيها ما لا يلزم في النثر والشعر. مولده بسرقسطة، ووفاته بقرطبة سنة ٥٣٨/ ١١٤٣. السيوطي، **بغية الوعاة**، ج ١، ص ١٢٠؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٧، ص ١٤٩.

(٢) شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات**، ص ٥٢٣.

(٣) إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣١٨.

(٤) شوقي ضيف، **م.س**، ص ٥٢٣.

(٥) يوسف نور عوض، **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**، ص ٣١١.

الولي والحميم، وزهد فيَّ الوسيط والصميـــم، وقال في الأمر فيّ قائم، على حين نام منّي نائم، أخل بالعهود والذمم..." (١).

ح- الوَهْراني(٢) (٥٧٥/ ١١٧٩)

إنّ الوَهْراني "هو منشئ ظريف بارع في وجوه الصناعة اللفظيّة خاصّة، غير أنّه يتكئ على تعابير بديع الزمان الهمذاني كثيراً، وعلى تعابير الحَريري قليلاً. ولا ريب في أنّه أدنى في الإنشاء طبقة من الهمذاني والحَريري..." (٣). له ثلاث مقامات. وأمّا المقامة الثانية في شمس الخلافة، فقد نسب روايتها إلى شخص باسم عيسى بن حماد الصقلي، هاجر إلى دمشق، وهناك رأى رجلاً، سلّم عليه ثمّ قال: (بحر الطويل)

أجَارَتَنَا إنّـــا غَرِيبانِ هَـــا هُنَـــا وَكُـــلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيـــبَ نَسِيبُ(٤)

فادّعى الرجل أنّ مولده منوشهر، ولكنّ الراوي يشكّ فيه، فاستدلّ عليه برجل كان يأنس له، فأخبره عن أصله وأنّه دخل إلى دمشق، فساقه القضاء إلى عجوز تعلّم البنات الغزل، فوقعت العجوز في غرامه، فعقدت عقدة النكاح عليه، ثمّ أمرته أن يكون فقيهاً فكان. ثمّ تعجّب الراوي من هذه القصّة، وتساءل كيف يمكن لمثله أن يصبح فقيهاً، كما جاء في الرواية: "إنّه لمّا اجتمعت العجوز على تعليمه، ورده إلى المدرسة، وتسليمه تخوّف من ذلك الأمر، وبات ليلته على الجمر. فلمّا أصبح قال لها: يا هذه اعلمي أنيّ كنت في بلدي إسكافاً، وأصبحت اليوم في مرحاضك كنافاً، فكيف لي بالمدارس، وأنا كالطلل الدارس؟ ومن أين لي بالخير، وأنا مثل حمار العُزَيْرِ؟ والله ما أفرّق بين الحروف وبين قرون الخروف. فقالت: أنا أعلّمك العلم كلّه إلاّ أقلّه"(٥). وهكذا قد بدأت السيّدة في تعليمه؛ إلاّ أنّ البطل لم يستطع تحقيق حلمها فيه، فرجع إلى شغله، وعمل بالتجارة، وازدهرت تجارته حتّى سمّي بشمس الخلافة.

وهكذا يبدو أنّ الوَهْراني ترك الكدية والاستجداء في مقاماته الثلاث، ولكن عنصر القصّة سائد فيها، وإن تعمّد الظرف والهزل، غير أنّ غايته تعليميّة وأخلاقيّة ولا يهدف لأبعد من ذلك إلاّ قليلاً.

---

(١) السرقسطي، **المقامات اللزوميّة**، "المقامة الثالثة"، ص ٥٩.

(٢) الوهراني: محمّد بن محرز بن محمّد، أبو عبد الله الوهراني، منشئ، من أكابر الظرفاء. أصله من وهران بقرب تلمسان. سلك مناهج الهزل، فأقبل الناس على أقواله ورسائله. ثمّ تنقّل في بلاد الشام، وأقام في دمـــشق زمنـــاً، وتولّى الخطابة بداريا – من قراها – وتوفّي فيها سنة ٥٧٥/ ١١٧٩. له تصانيف، منها: **الرسائل**، و **رقعة عـــن مساجد دمشق**، و **المنامات**. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ٥١٨؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٧، ص ١٩.

(٣) عمر فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج ٥، ص ٤٤٦.

(٤) الوهراني، **منامات الوهراني ومقاماته ورسائله**، ص ٩٧.

(٥) الوهراني، م.ن، ص ٩٧ – ٩٨.

ط- ابن الصيقل الجزري[١] (٧٠١/ ١٣٠١)

إنّ ابن الصيقل الجزري من أدباء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، صنّف خمسين مقامة، وأسماها **المقامات الزينيّة**، نسب روايتها إلى القاسم بن جريال الدمشقي، وحوادثها إلى أبي نصر المصري. و "ألّفها سنة ٦٧٢/ ١٢٧٣"[٢].

تمثّل مقامات ابن الصيقل الجزري إحدى الحلقات المهمّة في مسيرة فنّ المقامة عبر العصور الأدبيّة. ولقد تبدأ مقاماته بالديباجة، ثمّ المقدّمة، ثمّ الخطبة، ثمّ المقامات الخمسين الّتي أوّلها: المقامة البغداديّة وآخرها اليمنيّة. والتزم فيها بكلّ قواعد فنّ المقامة شكلاً ومضموناً. ولمقاماته راوٍ واحدٌ اسمه القاسم بن جريال الدمشقي، وبطل واحد اسمه أبو نصر المصري.

وأمّا موضوعات مقاماته فمتعدّدة، وكما قال الجزري نفسه في الخطبة عنها: "تشتمل على كلّ رَجْبٍ من الجدّ الطريف، وكلّ ضرب من الهزل الظريف... وضمّنْتُها من الآيات المحكمات، والأخبار المسندات... ومن العظات ما يسيل الدموع... ومن الخطب اللطيفة... ومن محاس الأمثال... ومن النكت الفقهيّة، والأصول المتداولة النحويّة..."[٣].

وهدفه كان تعليميّاً، كما صرّح بذلك في مقدّمة مقاماته، قائلاً: "وما نفّحتها للفَطِن العليم، إلاّ على مَهْيَع[٤] التعليم"[٥].

وعلى الرغم من أنّ ابن الصيقل الجزري ادّعى وذكَرَ بسلاسة مقاماته، نجد العبارات العجيبة والغريبة في غاية التكلّف، وأسلوباً معقّداً، فهذا الأمر جعل مقاماته صعبة الفهم. وتزخر مقاماته بألوان البديع والبيان، والزخارف اللفظيّة، والفنون البلاغيّة، حتّى باتت عباراتها معقّدة، ومعانيها مغلقة؛ كما أنّها تتضمّن الآيات القرآنيّة نصّاً ومضموناً، والأمثال والأقوال المأثورة.

يبدو أنّ ابن الصيقل الجزري كتب مقاماته على نسق **مقامات** الحَريري، إعجاباً بها، إذ قال: "لله دَرُّ الحَريري، حيث راح بأرواح الفصاحة واعتزّ، وارتاح بأزواح..."[٦]. كما أنّه أورد اسم الحَريري مرّات عديدة، وذكره في مقدّمة **مقاماته**، بقوله: "... كتاب **المقامات** الّتي أنشأها أوحد زمانه... وأُمليتْ عن لسان أبي زيد السروجي، أسندت روايتها إلى الحارث بن همّام البصري..."[٧].

---

(١) ابن الصيقل الجزري: هو شمس الدين معد بن محمّد نصر الله بن رجب الجزري بن الصيقل. توفّي سنة ٧٠١/ ١٣٠١. بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، مج ٧، ج ١٢، ص ٥٦٢؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٧٨٥.

(٢) حاجي خليفة، م.ن، مج ٢، ص ١٧٨٥.

(٣) ابن الصيقل الجزري، **المقامات الزينيّة**، ص ٧٧ – ٧٨.

(٤) مهيع: طريق واسع واضح. ابن الصيقل الجزري، م.ن، "المقدّمة"، ص ٨٠.

(٥) ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ٨٠.

(٦) ابن الصيقل الجزري، م.ن، "المقامة السابعة: السنجاريّة"، ص ١٦٠.

(٧) ابن الصيقل الجزري، م.ن، "المقدّمة"، ص ٧٤.

فنجده سلك منهج الحَريري في **مقاماته**، إلاّ أنّ **مقامات** الحَريري أكثر وضـــوحاً، ومعانيهـــا أسهل فهماً، وأسلوبها أقلّ تعقيداً. وموضوعات **مقاماته** تشبه موضوعات **مقامات** الحَريري، كالكديـــة والوعظ والألغاز والأحاجي. وللتعرّف على منهج ابن الصيقل الجزري، وأسلوبه المتكلّف، وتلاعبـــه بمفردات اللغة وحروفها، تكفينا الإشارة إلى إحدى مقاماته، على سبيل المثال، المقامة الرابعة: الشينيّة، بقوله: "قال السيّد السكوب[١]، السند السكوبُ، السامقَ النسيبُ، السابقُ الحسيبُ القَـــسورُ[٢]، الـــسفاحُ الأسود[٣]، السحاحُ الباسل، السّنيُّ الناسل..."[٤].

فلا يخفى على القرّاء أنّ ابن الصيقل الجزري ركّز على حرف السين في هذه المقامة، كما نهج من قبلُ الحَريري هذا المنهج في الرسالة السينيّة. ويظهر في هذه المقامة قدرته على التلاعب بالألفاظ، كما أنّه يظهر مهارته اللغويّة في هذه المقامة مرّة أخرى، فيرتجل، ويستعمل حـــرف الـــشين، قـــائلاً: "أشعرُ الشجاعَ الشارخَ[٥]، والشراعَ الشامخَ... وشُكرتْ شِيَمُ شارق مناشدتِه، وشُهرتْ أشـــعّة شـــوارق شدّتِه، وشرقتْ شُهُبُ شهامته..." [٦].

لاحظنا أنّ مقامات ابن الصيقل الجزري كانت تقليداً ظاهراً للحريري، لأنّه سلك نهج الحَريـــري شكلاً ومضموناً وموضوعاً وأسلوباً. فلذلك نجد تشابهاً بين مقاماتهما كثيراً.

ولم نجد اختلافاً في غرض تأليف مقاماته، أو في صناعتها عمّا درج عليـــه كتّـــاب المقامـــات السابقون.

وتحتوي مقاماته العناصر الرئيسة، من بطل وراوية والكدية والحيلة وصنعة لفظيّة كما لا تخرج على أسلوب المقامات الفنيّة.

ولا غرو أنّ أسلوبه المعقّد أدّى إلى الإهمال لقراءة مقاماته أو شرحها، أو ترجمتها إلى اللغات الأخرى.

ي- القَلقشندي (٨٢١/ ١٤١٨)

كتب القَلقشندي فصلاً تحت عنوان المقامات، وما يهمّنا أنّه كتب في هذا الفصل مقامة واحدة، تشتمل على جملة جمّة من صناعة الإنشاء. وجعل لها راوياً هو الناثر ابن نَظّام، وبطلاً.

ولا ريب أنّ القلقشندي كتب هذه المقامة بهدف تعليم أصول كتابة الإنشاء؛ كما أنّها موجودة في كتابه **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**.

---

(١) السكوب: الكريم من غير حثّ. ابن الصيقل الجزري، **المقامات الزينيّة**، "المقامة الرابعة: الشينيّة"، ص ١٢٦.

(٢) القسور: الأسد الشجاع. ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ١٢٦.

(٣) الأسود: الرامي الحاذق. ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ١٢٦.

(٤) السني الناسل: الشريف المقدام. ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ١٢٦.

(٥) الشارخ: القوي، ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ١٢٦، ١٢٨.

(٦) ابن الصيقل الجزري، م.ن، ص ١٢٨.

فيبدأ مقامته: "حكي الناثر ابن نظّام، قال: لم أزَلْ من قبل أن يبلغ بريدُ عمري مركز التكليف، ويتفرّقَ جمعُ خاطري بالكُلَفِ بعد التأليف؛ أنْصُبُ لاقتناصِ العلم أشراك التحـصيل، وأنَـزِّه توحيـدَ الاشتغال عن إشراك التعطيل، مُشمّراً عن ساق الجدّ ذَيْل الاجتهاد، مستمراً على الوحـدة وملازمـة الانفراد... وقد استغنيتُ بكتابي على خِلّي ورفيقي..."[١].

فيوضّح الراوي كيف أنّه يصرف جهده لطلب العلم، قانعاً بأدنى العيش، إذ يسمع صوتاً يقرع سمعه، وهو يترنّم ويُنشد: (بحر الكامل)

إنْ كُنْتَ تَقْصِدُني بِظُلْمِكَ عامِـداً ... فَحُرِمْتَ نَفْعَ صَدَاقَـةِ الكُتّـابِ
السّائقينَ إلى الصَّديق ثَرَى الغِنَى ... والنّاعِشينَ لَعَثْـرةِ الأَصْحَـابِ
ولَئِـنْ جَحَدْتَهُمُ الثَّنـاءَ فَطَالَمـا ... جَحَدَ العَبِيـدُ تَفَضُّلَ الأَربَـابِ
والناهِضيـنَ بِكُـلِّ عِبْءٍ مُثْقِـلٍ ... والنّاطِقينَ بِفَصْلِ كُـلِّ خِطـابِ
والعاطِفينَ عَلى الصَّديقِ بِفَضْلِهِم ... والطَّيِّبينَ رَوائِـحَ الأَثْـوَابِ[٢]

يبدو أنّ القلقشندي يهدف إلى بيان أصول الكتابة والإنشاء من هذه المقامة، إذ إنّه يحكي بلسان راوية عن كتابة الإنشاء وأصولها، بقوله: "اعلم أنّ كاتب الإنشاء لا تظهر فصاحتُه وتَبينُ بلاغتُه... إلاّ بعد تحصيل جملة من العلوم، ومعرفة الاصطلاح والإحاطة بالرسوم، ثمّ أهمّ ما يبدأ بتحصيله، ويعتمد عليه في جملة الأمر وتفصيله، حفظ كتاب الله العزيز الّذي هو معدن الفصاحة، وعنصر البلاغـة..." [٣].

ثمّ يضيف: "على أن آكَدَ شيءٍ يجب تحصيله قبل كلّ حاصل، ويستوي فـي الاحتيـاج إلـى معرفته المفضولُ من الكتّاب والفاضل، العلم بالخطِّ وقوانينه: من الهجاء، والنقط، والشكل، والفرق بين الضاد والطاء المتخالفين في الصورة والشكل، مع المعرفة بآلات الكتابة وصفاتها، وتبـاين أنواعهـا واختلاف صفاتها"[٤].

فهو يعتقد أنَّ هذه هي الأصول الّتي يجب أن يُبنى عليها، والقواعد الّتي يجب أن يُرجَع إليها.

ثمّ يدخلُ آخِرَ المقامة في المدح والثناء، قائلاً: "قلتُ: فهل لهذه الرتبة الرئيسة، والمنقبة النفيسة، سمطٌ يلُمُّها، أو سلك يضمّها؟ فقال: سبحان الله: إنّ بيتها لأشهرُ من قفانبكِ[٥]... أيَخفَى من البدر ضوؤه

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ١٢٧.

(٢) القلقشندي، م.ن، ج ١٤، ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٣) القلقشندي، م.ن، ج ١٠٤، ص ١٣٥.

(٤) القلقشندي، م.ن، ج ١٤، ص ١٣٥.

(٥) قفانبك: مطلع قصيدة امرئ القيس: (البحر الطويل)

قِفانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوملِ

الباهر، ونوره الزاهر؟ إنّ ذلك لقاصرٌ على آل فضل الله[١] حقاً، ومنحصر في المقرّ البدريّ صـــدقاً؛ فهو قطبها الّذي تدور عليه"[٢].

وإن ختم القلقشندي مقامته بغرض شخصي وهو المدح، غير أنّنا من خلال قـــراءة مقامتـــه، عرفنا أنّه كتبها بقصد بيان أصول كتابة الإنشاء، وهي ذات فائدة أدبيّة.

يا- السُيوطي[٣] **(٩١١/١٥٠٥)**

ربّما كانت **مقامات** السُيوطي من أشهر المقامات الّتي ظهرت في العـــصور الوســـطى، إذ إنّ مقاماته عبارة عن دائرة معارف دينيّة ودنيويّة، حافلة بالأحاديث النبويّة، ومعلومات شتّى من جميـــع الفنون طبيّة وغير طبيّة.

وأمّا عدد مقاماته فهو تسع وعشرون، والبطل هو نفسه، فأبو بشر العلابي هو جـــلال الـــدين السُيوطي. وموضوعاتها متنوّعة وجديدة لم يطرقها كتّاب المقامات من قبل، نحـــو: ألـــوان الـــورود المختلفة والفواكه والخضروات والأحجار الكريمة، أو النقد السياسي والتاريخي والسيرة الذاتيّة.

وبالنسبة إلى الموضوعات المتعلّقة بالرياحين والفواكه والخضروات، هي في الحقيقة حـــوارٌ ومناظرات بين الرياحين والزهور أو الفواكه وذكر فوائدها، كالمقامة المسكيّة، والمقامـــة الياقوتيّـــة، ومقامة الرياحين، والمقامة التفاحيّة وغير ذلك وهو مجرّد "رموز لأمـــراء المماليـــك"[٤]، وأراد بهـــا دلالاتٍ أوسعَ في الحياة الاجتماعيّة والواقع المُعاش. وهدفه من ذكر هذه المقامات أخلاقـــي، وكـــشف الزيف، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وذلك بعبارات مَرِحةٍ ذات جاذبيّة.

وإلى جانب هذه المقامات نجد ألواناً أخرى في **مقامات** السيوطي، منها موضوعات تاريخيّـــة وفقهيّة وصوفيّة ونقديّة دقيقة وعميقة، تلك الّتي حصلت في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي.

ويبدو أنّ السُيوطي استوحى فكرتها من حوادث عصره، ووصف سلوك الناس. واستمّد مادّته من تراث زمنه في الفقه والحديث والأدب والتصوّف والطب والتاريخ. كما أنّه هدَفَ إلى النقد في مقامة "الكاوي على تاريخ السخاوي"، وقد خلص في آخر المقامة إلى قوله: "فالواجب على كلّ مسلم أن يطرح تاريخ هذا الرجل طرحاً، ويضرب عنه صفحاً، ولا يصغي إليه قدحاً ولا جرحاً، ويَمسح أثره ما استطاع مسحاً، ويتركه ومن يترجم له إلى أن يردّوا معه القيامة مخاصمين وينصفّهم الحقّ سبحانه

---

(١) آل فضل الله: تولّت أسرة "فضل الله العمري" لأكثر من قرن من الزمان وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، أو كاتب السرّ في دولتي المماليك البحريّة والبرجيّة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ١٤٠.

(٢) القلقشندي، **م.ن**، ج ١٤، ص ١٤٠.

(٣) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، ولد سنة ٨٤٩/ ١٤٤٥. إمام، حافظ، مؤرّخ أديب. له نحو ستّمائة مصنّف، منها **الكتاب الكبير**، و **الرسالة الصغيرة** و **الإتقان في علوم القرآن**، و **مقامات** وغير ذلك. وكان يلقّب بابن الكتب. كانت وفاته سنة ٩١١/ ١٥٠٥. حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج٢، ص ١٧٨٥ – ١٧٨٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٣، ص ٣٠١ – ٣٠٢.

(٤) سمير محمود الدروبي، **شرح مقامات جلال الدين السيوطي**، ج ١، ص ١١٧.

منه، لأنّه الحَكَمُ العدلُ الّذي يُنصف المظلومين من الظالمين، ويُصبح هو وأهلُ طريقته على ما سطروه في أعراض الناس نادمين، ويبيّن لهم – إن ظنّوا – أنّهم مأجورون وأنّهم إذن من الآثمين ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ[1]﴾[2]".

نجد نمطاً آخر من **مقامات** السيوطي المكتوبة على النمط الوصفي كالمقامة الطاعونيّة[3] والمقامة السندسيّة[4] والمقامة اللازورديّة[5] في التعزية عن الأولاد.

ومن أهمّ خصائص مقامات السُيوطي:

– **مقاماته** جديدة وموضوعاتُها، ذات أنماط مختلفة، بعضها أخذ طابع النقد، والآخر القصّة، أو المناظرة، ومادّتها مُستَمَدَّةٌ من تراث عصره. فلذلك لا نجد أثراً من الكدية في **مقاماته**.

– أنّها مرحلة انتقال بفنّ المقامة من حال إلى حال. لأنّ أغلب كتّاب المقامات بنوا مقاماتهم على ثلاث دعائم هي: الراوية والبطل وموضوع الكدية. بينما نجد **مقامات** السُيوطي، ليس لها بطل، ولا راوٍ، ولا أثر للكدية والاحتيال، فضلاً عن أنّها تشبه الرسائل.

– هدفه جديد، وهو إصلاح مجتمعه من خلال نقد علماء عصره، وقضّاته.

– تطوير صورة البطل، إذ إنّ البطل عالم يوضّح المشكلات والمعضلات، بينما بطل **مقامات** الحَريري كان شحّاذاً محتالاً ومخادعاً، ويتهافت على اللّذات.

– تطوير الطريقة التعليميّة، "والفرق يرجع إلى صور الثقافات في مختلف العصور، فبديع الزمان صوّر مشكلات عصره، والحَريري مثّل معضلات زمانه، والسيوطي فصّل أوهام الناس، وعلومهم في أيّامه"[6].

– و**لمقامات** السُيوطي قيمة أدبيّة، فضلاً عن قيمتها الطبيّة الّتي تلفت انتباهَنا إلى التداوي بالأعشاب والنباتات في دقّة علميّة.

– بدأت السُيوطي **مقاماته** كلّها بالآيات القرآنيّة، أو اكتفى ببسملة، وحَفَلت حافلة بالآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة.

* * *

يمكننا القول إنّ المقامات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تغيّرت بعض التغيير من حيث الشكل والمضمون، ولم يتمسك كتّاب المقامات بأصولها الّتي نهجها بديع الزمان الهمذاني، وأصّلها الحَريري وإن التزموا بالسجع. وقد تخلّص فنّ المقامة في هذا العصر من الراوية،

---

(١) **الزمر**، ٣٩/٧٥.

(٢) سمير محمود الدروبي، **شرح مقامات جلال الدين السيوطي**، ج ٢، ص ٩٥٦.

(٣) سمير محمود الدروبي، م.ن، ج ١، ص ٣٤٢ – ٣٦٩.

(٤) سمير محمود الدروبي، م.ن، ج ١، ص ٥٦٧ – ٦١٥.

(٥) سمير محمود الدروبي، م.ن، ج ٢، ص ٩٧٢ – ٩٩٥.

(٦) زكي مبارك، **النثر الفنّي**، ج ١، ص ٢٤٧.

واكتفى بالحكاية، إلاّ أنّه خرج من نطاق الأديب الشحّاذ المخادع المرتزق بأدبه إلى مضامين أخرى تتّصل بوصف رحلة، أو عرضٍ لآراء ومحاورات بين العلماء في الموضوعات الأدبيّة، والعلميّة والنقديّة. واستغلّ بعضهم فنّ المقامة للتعبير عن الأحداث، وهمومهم أو أفراحهم في ثوب قصصي، أو استغلّوه في الوعظ الديني.

ثانياً- المقامة في الأدب الفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عشَر/ الثامن عشَر

نذكر أشهر أصحاب المقامات الفارسيّة حتّى نهاية القرن الثاني عشَر/ الثامن عشَر حسب تسلسل وفياتهم نحو: سعدي الشيرازي، مَجْد الخَوافي، الجامي، أحمد الغفّاري الكاشاني.

أ- سعدي الشيرازي (٥٨٠ / ١١٨٤)

يعدّ سعدي الشيرازي، شاعر العشق والحياة، **أشهرَ** الكتّاب في الأدب الفارسي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حتّى يومنا هذا. وكما يقول ملك الشعراء بهار: "هو أوّل من كتب المقامة بعد الحَميدي"[١]. وما زال كتاباه **گلستان** أي الروضة و**بوستان** يعتبران فاتحة الدراسات الأدبيّة الّتي تقدّم لطلاّب الفارِسية.

وفي الواقع "كتاب **گلستان** يعتبر في مجمله ضرباً من فنّ المقامة في الأدب الفارسي، بعد أن دخلت عليه النزعة الصوفيّة. ويمكننا أن نسمّيه كاتب المقامات الثاني بعد الحَميدي، إلاّ أنّ **مقامات** الحَميدي تقليد محض **لمقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري، إذ إنّ **مقامات** سعدي الشيرازي أي **گلستان** من أوّلها إلى آخرها ابتكار سعدي وبعيدةٌ عن التقليد"[٢].

وگلستان حافل بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والحكم والأمثال بنثر مسجوع غنيّ بالألفاظ الجزلة وفنون الصناعة البديعيّة. وممّا يلفت النظر أنّ غرضه في هذا الكتاب لم يكن أخلاقياً تهـذيبيّاً فحسب، بــل كان تعليم فنّ الإنشاء والبلاغة وآداب المحاورة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ سعدي الشيرازي لم يشر في كتابه **گلستان** إلى الكدية قط، بل تحدّث عن الفقر واليتيم، ووصف الفقراء والدراويش والأيتام وحياتهم وحالاتهم. ولربّما كان غرضه تشجيع الأغنياء لمساعدة الفقراء والأيتام، أو انتقادهم لضعف المجتمع آنذاك.

ويتضمن قيمة أدبيّة كبرى وأهداف تربويّة، لذلك قلّده كثير من الكتّاب الّذين اختاروا أسماء أخرى لمقاماتهم، نحو: **بهارستان** أي حديقة الربيع للجامي، أو **روضه خلد** أي روضة الخلد لمجد الخوافي وإلخ.

سِمات گلستان

- إنّه مكتوب بنثر مسجوع، حافل بفنون الصناعة البديعيّة، وتتخلّله الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأشعار الفارِسية والعربيّة والأمثال والأقوال الحكميّة.

---

(١) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسي**، مج ٣، ص ١٢٦.

(٢) ملك الشعراء بهار، **م.ن**، مج٣، ص ١٢٧.

– وصل إلى قمّة الأدب من حيث أسلوبه الإنشائي ولغته؛ فشجّع المشاهير من الكتّاب الفرس وشعرائهم تقليدَه.

– وما يلفت النظر أنّ سعدي لم يقلّد كتّاب المقامات، من حيث عدد المقامات، ولم يكتف بخمسين مقامة أو أقلّ، بل كتب حوالي مائة وتسعين حكاية، وذلك في غاية الفصاحة والبلاغة، والبساطة. والتزم بالإيجاز إلاّ قليلاً جداً، كما أنّه لم يقيّد نفسه باستعمال الكلمات الصعبة، وتوخّى فيه على حدّ قوله الإيجاز والاختصار، حتّى لا يعقّب الملال كتابه **گلستان**، قائلاً: "امعان نظر در ترتيب كتاب وتهذيب ابواب ايجاز سخن مصلحت ديد تا بر اين روضه غنا وحديقه عليا چون بهشت هشت باب اتفاق افتاد از آن مختصر آمد تابه ملال نينجامد"[١].

ترجمة الشاهد

إنّ إنعام النظر لاحظ المصلحة في ترتيب الكتاب وتهذيب الأبواب باتباع الإيجاز في المقال، حتّى اتّفق أن تجلّت هذه الروضة والحديقة الغنّاء في ثمانية أبواب، كأبواب الجنّة، ولهذا السبب جاءت مختصرةً حتى لا تكون نهايتها مملّة.

– كتب سعدي لكتابه **گلستان** مقدّمة وخاتمة، وقسّمه إلى ثمانية أبواب على غرار أبواب الجنّة، وتدور الأبواب السبعة الأولى حول حكايات أخلاقيّة تهذيبيّة، والباب الثامن والأخير يعدّ من أعلى النماذج للمقامات الصوفيّة، ويشتمل على مجموعة من الحكم والنصائح والمواعظ والأمثال الحكميّة. وروح التصوّف والعرفان سارية في كلّ الأبواب، إلاّ أنّها أكثر وضوحاً وتجسيداً في الباب الثامن. وحكايات **گلستان** بأبوابه الثمانية، لها طابع إبداعي وابتكاري، تستمدّ مادّتها القصصيّة من خيال مبتكرها سعدي الشيرازي.

– بعض حكايات سعدي قصيرة جدّاً، ولكن ذات مغزى، نحو الحكاية التالية: "پادشاهى پارسايى را ديد گفت: هيچت از ما ياد آيد؟ گفت: بلى، وقتى كه خدا را فراموش مى كنم. سپس گفت: (وزن هَزَج مُثمّن اخرب مكفوف مجذوب = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

هرسو دود آن كس زبرخويش براند

وآن را كه بخواند به دركس ندواند[٢]

ترجمة الشاهد

رأى أحد الملوك تقيّاً، فقال له: ألا تتذكّرني؟ فأجابه: نعم في الوقت الّذي أنسى فيه ذكر ربّي!

– ثمّ قال: يسعى لِغَيْرِكَ مَطرودٌ لشَقْوَتِه، ومَن يُرَجّيك لا يَسْعَى إلى أحد.

- إنّ راوية حكايات سعدي وبطلها، في الأغلب، هو سعدي نفسه. والقارئ يظنّ أنّ هذه الحوادث وقعت لسعدي. وليس بعيداً أنّ بعض الوقائع حصلت حقيقة، إلا أنّه لا شكّ في أنّ بعض الوقائع كان

---

(١) سعدى، گلستان، "مقدّمة"، ص ٣٦.

(٢) سعدى، م.ن، "الباب الثاني: في أخلاق الدراويش، الحكاية الخامسة عشرة"، ص ٧٨.

خياليّاً، كالحكاية السابعة عشرة في الباب الخامس[١] الّتي وقعت في تركستان، لأنْ لا سند يدلّ على أنّ سعدي سافر إلى هذا البلد.

– استمدّ سعدي مادّة حكاياته من الوقائع الموجودة في حياته، أو وليدة فكره وخياله، فلذلك نلاحظ أنّ بعضها لا يطابق الواقع التاريخي. والهدف منها هو الإبداع، وإن قصد توظيف أدبه لغايات أخلاقيّة وتربويّة.

– يمثّل نثر **گلستان** سعدي النثر الفنّي المسجّع غير المتكلّف حيناً، والنثر الفنّي المرسل بعض الأحيان. وامتاز بالجمع بين النثرين في أسلوب السهل الممتنع. وقد جمع بين جمال العبارة ورشاقتها، وبين انسجام الموضوع وسلاسته في نثر السهل الممتنع إذ عرض لنا سعدي لوناً لم يعرفه الأدب الفارسي قبله بقدرته الفائقة.

– استلهم الأدب العربي، وتمثّله حتّى أصبح جزءاً من نسج خياله ووحي أدبه. فجاءت أشعاره العربيّة متأرجحة بين الأصالة والإبداع، وبين التقليد والمحاكاة. واصطبغ شعره العربي بصبغة عربيّة واتّسم بمسحة فارسيّة.

– تنتظم فيه القصص، والأمثلة، والأقوال الحكميّة، والنصائح الأخلاقيّة والاجتماعيّة في عبارات لطيفة متينة، حتّى يمكننا القول إنّ **گلستان** شعر منثور أو نثر مكثّف مضغوط مجرّد من الزوائد والحشو.

وامتاز نثر حكايات سعدي بميزات كثيرة، منها:

- وضوح الفكرة، وجودة العبارة.
- عدم التعقيد والتكلّف، والابتعاد عن استعمال الألفاظ والمفردات الصعبة والعجيبة والغريبة.
- التنوّع في الأساليب الخبريّة والإنشائيّة.
- الإكثار من السجع في عباراته القصيرة.
- لا إيجاز مخلّ، ولا إطناب مملّ. البلاغة في الإيجاز وخير الكلام ما قلّ ودلّ.
- نثر سعدي قريب من المقامات شكلاً، ومضموناً.

– ارتقى سعدي في أسلوبه النثري سلّم الفصاحة، وبلغ فيه ما لا يضاهيه فيه أديب إيراني آخر. وقد استقى معانيه من القرآن، وتأثّر به وكذلك بالأحاديث النبويّة، ونهج البلاغة، والتراث الإسلامي.

– واستطاع أن يدرج الأشعار العربيّة ويضمن الأبيات الفارسية، بشكل رائع، ولم يبلغ كتّاب المقامات الفرس حدّ نضجه وكماله، وعجزوا عنه وقصّروا عن اللحاق به.

– حكاياته من أوّلها إلى آخرها حافلة بالمضامين العرفانيّة، ولا سيّما الباب الثاني والثامن، كما أنّنا نجد أحياناً حكاية تختصّ بموضوع العرفان، وذلك في الباب الثاني، كالحكاية السادسة والعشرين، الّتي يصف سعدي فيها السماع عند العرفاء[٢].

---

(١) لمزيد من التفصيل أنظر: سعدي، **گلستان**، "الباب الخامس: العشق والشباب، الحكاية السابعة عشرة"، ص ١٠٤.

(٢) سعدى، م.ن، "الباب الثاني: في أخلاق الدراويش، الحكاية السادسة والعشرون"، ص ٧٦.

- دمج سعدي بين النثر والشعر، كما نراه في المقامات.

- مزج سعدي الجدّ بالفكاهة، كما أنّه نفسه عبّر عن هذا المعنى، بقوله: "غالب گفتار سعدى طرب انگيزست وطيبيت آميز"[1]، أي غالب مقال سعدي مطرب فكه ومداو.

- فالأمر المهمّ، والاختلاف الأساسي بين المقامات العربيّة و**گلستان** سعدي، هو أنّ سعدي الشيرازي لم يقصد من كتابه **گلستان** أن يُظهر قدراته الفنيّة، بل قصد به أن ينفع الناس، ونجح في ذلك.

- **موضوعات گلستان سعدي**

حكايات سعدي تشبه **مقامات** الحَميدي لا سيّما من حيث الموضوع، وفي الحقيقة قلّد سعدي **مقامات الحَميدي في الموضوع، لا في الأسلوب.**

تدور موضوعات حكايات سعدي حول الأدب والكدية والفكاهة والشتائم والمناظرة والفقه والدين والعرفان والعشق وغير ذلك. ويستفيد منها جميع الناس الدراويش والأغنياء، صغاراً وكباراً، وفي أيّ مرحلة من العمر. فنشير إلى بعض هذه الموضوعات وذلك باختصار، منها:

١ - الأدب

وأمّا الموضوعات الأدبيّة، فجميع موضوعات كتاب **گلستان** أدبيّة، ولا نجد مقامة في **گلستان** إلاّ وفيها نكتة أو لطيفة أدبيّة، كما أنّ بعض حكاياته مخصّصة لموضوع أدبي نحو الحكاية الأولى في الباب السادس، فنرى أنّ البطل رجل عجوز وفقير، وشاعر ينشد الشعر، ويسحر الراوي - سعدي نفسه هو الراوي - بكلماته، قائلاً[2]: بينما كنت مستغرقاً بالبحث مع طائفة من العلماء في المسجد الجامع بدمشق، دخل علينا شاب من الباب، وقال: أبينكم من يعرف اللغة الفارسية؟ فأشار الجماعة إليّ، فقلتُ له: إن شاء الله خير! قال: شيخ عمره مائة وخمسون سنة في حالة الاحتضار، وهو يقول باللغة الفارسية شيئاً، ونحن لا نفهمه. فلو أكرمتَ عليّ وجئت معي، لنلت أجراً عظيماً. ربّما أنّه يؤدّي وصيّة. فلمّا سرنا إليه، سمعته ينشد هذا:

- أريد لأنفاسي امتداداً وفسحة، وأردت أن أستفيد من الوقت وأستمتع، واحسرتا لا أقدر أن أتنفّس...

ترجمتُ للشاميّين معنى ما قاله بالعربيّة، فاستغربوا من طول عمره وتأسّفه على الحياة الدنيا. فسألته: كيف ترى نفسك في هذه الحالة؟ فأجاب: ماذا أقول؟ وأنشد:

- ألا ترى آلاماً تنال فتى، لمّا يقلعوا ضرساً من فمه؟

- قِسْ على هذا ساعةَ النزع، ولمّا تخرج الروح من البدن؟

---

(١) سعدى، **گلستان**، "خاتمة"، ص ١٩٣.

(٢) يجدر الذكر أنّنا اكتفينا بذكر ترجمة هذه الحكاية وما أشرنا إلى الفارسية، خوفاً من إطالة الكلام.

فقلتُ له: اطرد صورة الموت عن مخيلتك، ولا تسمح للوهم أن يستحوذ على طبيعتك، لأنّ الفلاسفة هم قالوا: مهما كان المزاج معتدلاً فلا يمكن الاعتماد على البقاء، والمرض مهما كان مخيفاً، فلا يدلّ دلالة قطعيّة على الهلاك. فلو أمرتَ فأدعو طبيباً ليعالجك. فضحك وأنشد:

- ييأس الطبيب إذ يرى الخَرف من المريض، ومزاجه انحرف.
- الأمير يُزخرف القصر، والقصر من أساسه مدّمر.
- كان يبكي رجل عجوز في الاحتضار لقرب الأجل، وزوجته كانت تدهنه... [١]

٢- الكدية

إنّ الحَميدي لم يلزم نفسه بتوصيف الكدية والشحّاذين، إلاّ أنّ سعدي التزم بالكدية، واعتدل فيها، وكتب عن الكدية ولكن بحسب ذوقه، وسمّاها الفقر. ولم يتأثّر بالكدية في المقامات العربيّة، بل كتب بحسب طبعه الإيراني، ولم ينظر إلى الفقير بالترحّم أو التحقير. فخصّص باباً للفقراء وسمّاهم الدراويش لا المكدّين. وعبّر عن فقرهم بالحاجة، ووجّة المسؤوليّة إلى المجتمع والحكومة، وكان رفيقاً معهم أيضاً، بقوله: "دزدى گدايى را گفت: شرم ندارى كه دست از براى جوى سيم پيش هرلئيم دراز ميكنى. گفت: (بحر السريع = مفتعلن مفتعلن فاعلن)

دست دراز از پى يك حبّه سيم

به كه ببرند به دانگىّ ونيم[٢]

ترجمة الشاهد

قال لصّ لمتسوّل: أما تستحي أن تمدّ يدك للطلب من كلّ لئيم، لأجل حبّة فضّة! فأجابه المتسوّل: لو أمدّ يدي لحبّة فضة أحسن، أو أقطعها لأجل ربع دينار؟!

٣- الفُكاهة

أغلب حكايات سعدي فكاهيٌ، صرّح سعدي بذلك في خاتمة كتابه **گلستان**، بقوله: "غالب گفتار سعدى طرب انگيزست وطيبيت آميز، وكوته نظران را بدين علّت زبان طعن دراز گردد..." [٣].

ترجمة الشاهد

غالب مقال سعدي مطرب فكه، وبهذا السبب تطول ألسنة طعن قصار النظر...

ومن مقاماته المضحكة: "يكى را زنى صاحب جمال جوان درگذشت، ومادر زن فرتوت به علّت كابين درخانه متمكن بماند، ومرد از محاورت او به جان رنجيدى وازمجاورت او چاره نديدى.

---

(١) أنظر: سعدى، **گلستان**، "الباب السادس: في الضعف والشيخوخة، الحكاية الأولى"، ص ١٤٧.

(٢) سعدى، م.ن، "الباب الثالث: في فضل القناعة، الحكاية السادسة والعشرون"، ص ١١٢.

(٣) سعدى، م.ن، "خاتمة"، ص ١٩٣.

تا گروهی آشنایان به پرسیدن آمدندش. یکی گفتا چگونه ای در مفارقت یار عزیز گفت: نادیدن زن برمن چنان دشخوار نیست که دیدن مادر زن!"[١].

ترجمة الشاهد

كانت لرجل امرأة جميلة وشابّة، فماتت، وبقيت في البيت أمّها العجوز الضعيفة بسبب صداق ابنتها المؤجّل، وتعب الرجل منها، ولم يجد بدّاً من مجاورتها - وذلك بحكم الصداق - حتّى جاء جماعة من الأقرباء لزيارته، فقال له أحد منهم: كيف حالك بفراق حبيبتك العزيزة؟ قال: إنّ عدم رؤية زوجتي لم يكن أصعب عليّ من رؤية أمّها!

٤- التشاتم

قلّد سعدي **مقامات** الحَميدي في هذا الموضوع أيضاً، وكتب حكايات متعلّقة بالتشاتم بين الزوجَيْن أو بين متسوّلَيْن. واجتنب استعمال الكلمات القبيحة والركيكة، مثلما فعل الحَميدي. فعلى سبيل المثال الحكاية التالية من أولّها إلى آخرها هزل، ويلعب سعدي نفسه دور الزوج، فترجمتها كما يلي: اعتراني مَلَلٌ من صحبة إخواني في دمشق، فخرجتُ هائماً على وجهي في بادية القدس، وأنِستُ بصحبة الوحش بعد صحبة الإنس، ولكنّي وقعتُ أسيراً بيد الإفرنج... حتّى مرّ بي أحد رؤساء حلب... فرحمني، ورقّ لحالي، وأنقذني من أسر الفرنجة بعشرة دنانير، وأخذني معه إلى حلب. وكانت له ابنة، فعقد لي نكاحها بمائة دينار. فبعد مدّة ظهر لي أنّها سيّئة الطبع، عنيدة، سليطة اللسان، فنغّصتْ عليّ عيشي... وذات مرّة أطالت بي لسانها واستمرّت تقول: ألستَ أنت ذاك الّذي اشتراك أبي فأعتقك من قيد الفرنجة بعشرة دنانير، فقلت: نعم، هو الّذي اشتراني بذلك المقدار، ولكنّه أوقعني بأسْرِ يديكِ بمائة دينار...[٢]

٥- المناظرة

له مناظرات قصيرة[٣] وطويلة[٤]. ويبدو أنّه كتب هذه المناظرات معارضة **لمقامات** الحَميدي والحَريري. فأطول المناظرات هي: جدال سعدي مع المدّعي في بيان الغنى والفقر، وهذه المقامة تشبه مقامتَيْن للحميدي، وتلك مناظرة بين السنّي والملحد، ومقامة: مناظرة بين الطبيب والمنجّم، من حيث أسلوب الإنشاء، والإطناب، والموازنة، والمجادلة والرجوع إلى القاضي للحكم.

فنكتفي بذكر ترجمة جزء صغير من حكاية: جدال سعدي مع المدّعي في بيان الغنى والفقر: رأيت رجلاً في هيئة الدراويش، وليس على سيرتهم، جالساً في محفل وأخذ يواصل الخطة الشنعاء،

---

(١) سعدى، **گلستان**، "الباب الخامس: في العشق والشباب"، ص ١٣٨.

(٢) سعدى، م.ن، "الباب الثاني: في أخلاق الدراويش، الحكاية الحادية والثلاثون"، ص ٨٧.

(٣) سعدى، م.ن، "الباب الثاني: في أخلاق الدراويش، الحكاية الأربعون"، ص ٩٤.

(٤) سعدى، م.ن، "الباب السابع: في التربيّة، ملحق إلى آخر الباب: جدال سعدي مع المدّعي في بيان الغنى والفقر"، ص ١٦٤.

فاتحاً دفتر الشكاية بذمّ الأغنياء، حتّى أنهى الكلام وقال: يد قدرة الفقراء مغلولة بالعجز، ورجل إرادة الأغنياء مكسورة بالشُح... فلم يعجبني منه هذا الهراء، فقلتُ: أيّها الصديق: الأغنياء مدخول الفقراء، وذخيرة المعتكفين، ومقصد الزائرين... فالقدرة على الجود والقوّة على السجود متيّسرة للأغنياء، لأنّ مالهم مزكّى، ولباسهم طاهر... وعبادة هؤلاء أقرب إلى محلّ القبول، لأنّهم مستجمعو الحضور... ولا مضطربي القلوب لانتظام أسباب معيشتهم لذلك تراهم مرتبطين بالأذكار... وفي الخبر عن سيّد البشر: الفَقْرُ سَوَادُ الوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ[١]. فقال عند ذلك: ألم تسمع ما قاله النبي الأكرم: الفَقْرُ فَخْرِي وَبِهِ أَفْتَخِرُ[٢]، فقلت له اسكتْ، فإنّ إشارةَ سيّد العالم لطائفة الفقراء المرادُ منها فرسان ميدان الرضى، المستسلمون للقضاء. لا أولئك المرتدون ثياب الأبرار... فبعد النزاع الطويل لم يبقَ له دليل فأطال يد التعدّي، وأخذ يهرف[٣] بما لا يعرف...

ونهاية القصّة، أنّنا رأينا أن نرفع هذا الخلاف إلى القاضي ونرضى بعدل حكمه... فلمّا رأى القاضي هيئتنا، وسمع منطقنا، أطرق متفكّراً، بعد التأمّل الطويل قال لي: يا من أثنيتَ على الأغنياء، واستحسنت جفوة الفقراء، اعلم أنّه لا بدّ في الروض من وجود الشوك مع الورد... فالمقرّبون من حضرة الحقّ عزّ وجلّ وهم الأغنياءُ الفقراءُ السيرة، والفقراءُ الأغنياءُ بالهمّة ... فعندما كرّ القاضي بجواد المبالغة عن حدّ قياسنا، رضينا بما قضى وتغاضينا عمّا مضى ... وقبّلنا بعضنا في الرأس والوجه... [٤]

موضوعات أخرى

لم يكتب سعدي مقامة فقهيّة مستقلّة لقصد تعليم الفقه أو دراسة المسائل الفقهيّة، بل تحدّث عن موضوعات فقهيّة من خلال بعض حكاياته.

ولنتعرّف عقائد سعدي الدينيّة، يكفينا أن نقرأ مقدّمة كتابه **كلستان**، فتدلّنا على أنّه كان شخصاً مؤمناً بيوم القيامة، وأصول الدين وفروعه. وحكاياته كلّها تشير إلى تَدَيُّنِه، واهتمامه بالدين، واليوم الآخرة، وخدمة الخلق، وصفاء قلبه، وطهارة باطنه.

والموضوعات العشقيّة كثيرة، وهو يزعم أنْ لا أحد يعرف رموز فنّ العشق. كما خصّص للعِشْق باباً، وذلك الباب الخامس، وسمّاه العشق والشباب.

يعدّ كتاب **گلستان** في الحقيقة من أقوى الحكايات في الأدب الفارسي للتدريس؛ لأنّ الكتاب من أوّله إلى آخره تعليم للأدب والثقافة والإنسانيّة والأخلاق الحسنة بأحسن الأسلوب الإنشائي.

---

(١) العجلوني، **كشف الخفاء**، مج١، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) العجلوني، **م.ن**، مج١، ج ٢، ص ١١٣.

(٣) يهرف: أهْرَف: أطرأ في المدح إعجاباً به، أو مدح بلا خبرة، يقال: لا تَهْرِف بما لا تعرفْ، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ٢، ص ١١٤٦، باب الفاء، فصل الهاء.

(٤) سعدي، **گلستان**، الباب السابع: جدال سعدي مع المدّعي مع بيان الغنى والفقر، ص ١٦٤ – ١٧٠.

- **أسلوب الإنشاء**

نلقي على أسلوب **گلستان** سعدي نظرةً عابرةً، وفي أثناء ذلك نحاول أن نقارن بين **مقامات** الحَميدي **وگلستان** سعدي أيضاً. فنشير إلى بعض وجوه الاختلاف والشبه بينهما كما يلي:

- اعتمد سعدي على الإيجاز، واجتنب الإطناب، واستعمال الألفاظ الصعبة والغريبة، فلا نجد الإبهام والتعقيد في كلامه. ونثر **گلستان** من حيث اللفظ مصنوع، ومرسل من حيث المعنى، بَيد أنّ نثر **مقامات** الحَميدي كلّه مصنوع ومتكلّف. واجتنب سعدي استعمال المفردات الصعبة، والنادرة، والألفاظ العربيّة الّتي نجدها عند كتّاب المقامات القدماء.

- أخذ سعدي جانب الاعتدال في التفنّن اللفظي. وهو رجل الفصاحة والبلاغة، واستعمل المحسّنات البديعيّة كثيرة، غير أنّها ليست مخلّة للفصاحة والبلاغة.

- ومن المعروف أنّ سعدي كان مسيطراً على اللغة العربيّة، وقد حفظ الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثلة العربيّة كثيراً، ولكنّه لم يصر على إدخال معلوماته العربيّة في نثر كتابه **گلستان**. وحاول أن يكتب بالفارسيّة على خلاف الحَميدي لأنّه أصرّ على إدخال معلوماته العربيّة في مقاماته نثراً ونظماً، وربّما سبب ذلك يرجع إلى أنّه وضع مقاماته معارضةً للحريري، فمن الضروري أن يستعرض عضلاته البيانيّة في العربيّة إظهاراً لسيطرته على هذه اللغة.

- بُنيت المقامات الهمذانيّة، والحَريرية، والحَميدية على السجع، وكذلك حكايات سعدي؛ إلاّ أنّ سعدي لم يكلّف نفسه إتيان السجع، إلاّ عند الضرورة. ومن العبارات المسجوعة لسعدي الشيرازي في كتابه كلستان: "پدرگفت: اى پسر، منافع سفر چنين كه گفتى بى شمارست وليكن مسلّم پنج طايفه راست. نخستين: بازرگانى كه با وجود نعمت ومكنت، غلامان وكنيزان دارد دلاويز، وشاگردان چابك، هر روز به شهرى، وهرشب به مقامى، وهر دم به تفرّج گاهى ازنعيم، دنيا متمتّع..."[1].

ترجمة الشاهد

قال الأب: أيّها الولد: منافع السفر على هذا النمط الّذي قلته لا تحصى، ولكن المسلَّمُ بفائدتها خمسة أصناف. الأوّل: تاجر لوفرة نعمته، وامتلاكه الغلمان والجواري الحسان، هو كلّ يوم في مدينة، وكلّ ليلة بمقام، وكلّ حين بمتنزّه يتمتّع بنعيم الدنيا...

- نجد في **گلستان** الوصف، بيد أنّه قليل وقصير ولكنّه كامل، على خلاف **مقامات** الحَميدي، لأنّنا بعض الأحيان نجد الوصف فيها كثيراً، غير أنّه زائد وبغير فائدة.

- إنّ موسيقى العبارات واضح، وعمّم سعدي هذا الأسلوب في كتابه **گلستان** كلّه، ووصل إلى ذروة القمّة.

وأمّا وجه الشبه بين **گلستان** سعدي **ومقامات** الحَميدي فهو: أنّ أسلوبهما السهل الممتنع، والقارئ لا يملّ قراءتَهُما.

---

[1] سعدى، **گلستان**، "الباب الثالث: في فضل القناعة، الحكاية السادسة والعشرون"، ص ١١٣.

– مزج سعدي نثره بالأشعار الفارسية والعربيّة، كما فعل الحَميدي في مقاماته. وفي الواقع أنشد سعدي نفسه الأشعار، ولم يأخذ من الآخرين ويعترف بذلك في خاتمة **گلستان** قائلاً: "... درين جملة چنانكه رسم مؤلّفانست از شعر متقدّمان به طريق استعارت تلفيقى نرفت"[١].

ترجمة الشاهد

ما ذكرتُ من أشعار الشعراء القدماء، ولم استشهد بأشعارهم، كما هو مرسوم عند المؤلّفين.

وفي الحقيقة أنّ سعدي قلّد **مقامات** الحَميدي في جميع النواحي، واختار جميع الصفات والأساليب الجميلة من **مقامات** الحَميدي، وطبقّها في كتابه **گلستان**؛ وأحيى اللغة الفارسية مرّة أخرى. وخالف المقامات العربيّة، لأنّه لم يجعل موضوع الكدية أساساً في كتابه **گلستان**، إنّما تحدّث عن حياة الفقراء والأيتام والدراويش لتحريك شعور الأغنياء أو نقد المجتمع في عصره. كما أنّه اعتدل في البهرحة اللفظيّة، فأعطى كتابه روحاً جديدة. كما اجتنب الحَميدي موضوع الكدية في كثير من **مقاماته.**

ب– مَجْد الخَوافي[٢] (القرن الثامن الهجري)

"كتب الخوافي كتاباًباسم **خارستان** أي روضة الشوك، تقليداًلكتاب **گلستان** لسعدي الشيرازي، وقد تمّ تأليفه سنة ١٣٣٢/٧٣٣"[٣]. ونثر **خارستان** قريب من نثر **گلستان** كثيراً؛ ويمكننا القول إنّه يشبه **مقامات** الحَميدي كثيراً.

يعتبر كتاب **خارستان** لمجد الخوافي من المقامات، ومن الآثار القيّمة في الأدب الفارسي، وقد لاقى شهرة عريضة في بلاد الهند خاصّة.

سِمات خارستان

نشير إلى أهمّ ميزات مقامات مجد الخوافي أي **خارستان**، كما نذكر بعض وجوه الشبه والاختلاف بين **خارستان وگلستان** سعدي.

– يتضمّن مقدّمةً قصيرةً، وستة عشر باباً.

– بداية كلّ باب مُزَيَّنَةٌ بحديث نبوي.

– تشتمل الأبواب حكايات قصيرة وطويلة، تقليداً لآثار الكتّاب الّذين عاشوا في القرون المتأخّرة، ويبلغ عددها مائتين وأربعاً وعشرين حكاية.

– ينقسم نثره إلى قسمين: القسم الأوّل نثر بسيط، والقسم الثاني نثر مرسل؛ اتباعاً وتقليداً لعصر المؤلّف، لأنّه ألّف كتابه في عصر نهضة تجدّد الفارسية في الهند، والأدباء كانوا يحبّون النثر المرسل

---

(١) سعدى، **گلستان**، "خاتمة"، ص ١٩٣.

(٢) مَجْدُ الخوافي: كان أستاذاً في النظم والنثر. وله تأليفات، منها: كتاب باسم **كنز الحكمة**، وله ديوان شعر، هذا الكتاب في الحقيقة ترجمة منظومة لكتاب **جواهر اللغة** للزمخشري. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٢، ص ٤٣٩؛ صفا، **تاريخ ادبيّات درايران**، مج ٣، ص ١٣١٩.

(٣) صفا، **تاريخ ادبيّات درايران**، مج ٣، ص ١٣١٩.

كثيراً. ثمّ أصبح النثر المرسل نثراً سائداً في إيران أيضاً، واتّجه الأدباء الفرس إليه. ونجد في القسم الثاني نجد حكايات نثرها مملوء بالعبارات المسجّعة والمحسّنات البديعيّة.

- مزج نثره بالنظم بشكل رائع.

ومن المعروف أنّ مجد الخوافي كتب مقاماته المعروفة **بخارستان أي** روضة الخلد. تقليداً ومعارضة لكتاب **گلستان** لسعدي الشيرازي. نشير إلى بعض وجوه الشبه والاختلاف بينهما.

فأمّا الصفات المشتركة بينهما فهي:

- أنّهما للوعظ والإرشاد، أخذا لوناً أدبيّاً وأخلاقيّاً معا. ويُعَدّ كلاهما من المقامات، ومن الكتب الدرسيّة أيضاً.

- الكتابان يعدّان من الكتب العرفانيّة، لأنّ مؤلّفيهما ذكرا كرامات الأولياء المعروفين، وأشارا إلى أقوال الصوفيين القدماء وأحوالهم.

- أسلوبهما رصين، وقلمهما عفيف أيضاً.

- الشخصيّات في حكايات **خارستان** إمّا نكرة، أو أحد الكبار والملوك القدماء، أو أحياناً مجد الخوافي هو نفسه، كما في **گلستان** سعدي هو نفسه الراوي أو البطل.

- نجد حكايات قصيرة في **خارستان**، مثلما نرى في **گلستان**، الّتي لا تتجاوز سطوراً معدودة.

- مزجا النثر بالنظم، وذلك غاية في جمال هذا الفنّ.

- كما أنّنا نجد حكايات في كتاب **خارستان** كلّها منظومة، أو على لسان الحيوانات مثلما نراه في كتاب **كلية ودمنة**، نجد نظيرها في **گلستان** أيضاً ولكن قليلاً.

وأمّا وجوه الاختلاف بينهما، فهي:

- إنّ مجد الخوافي لم يلتزم بالإيجاز كما التزم به سعدي.

- لم يصل كتاب **خارستان** إلى مستوى **گلستان** من حيث الأمثال، والعبارات الحكميّة القصيرة.

- استشهد مجد الخوافي بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة أكثر من سعدي ومال إلى مسائل دينيّة أكثر منه لأنّه خصّص بعض الحكايات لأخبار الأنبياء وأحوال الأئمة.

صحيح أنّ مجد الخوافي كتب كتاب **خارستان** تقليداً **لگلستان** سعدي، ولكنّه قلّد أسلوب **مقامات** الحَميدي. وألزم نفسه إيراد السجع والموازنة أكثر من الصناعات الأخرى، نحو: "وقتى در شهرى زنى را در نكاح آوردم ومَهر گران در كردم. خفتن او را كه ديدم، پنداشتم كه شبِ أوّل گور است ومن، أوّل شب، درگور..."[1].

ترجمة الشاهد

في يوم من الأيّام تزوّجتُ امرأةً في مدينة، وجعلتُ لها صداقاً كثيراً. ولمّا رأيتُها وقت النوم، ظننتُ أنّ الليلة الليلة الأولى في القبر، وأنا في أوّل ليلة في قبري...

---

(1) مجد خوافى، **خارستان**، "الباب الحادي عشر: في نكاح وأحوال النساء"، ص ١٣٣.

لقد رأينا أنّ كتاب **خارستان** لمجد الخَوافي يشمل ستّة عشر باباً، ومفعم بالحكايات القصيرة والطويلة تقليداً للكتّاب القُدامى، وانقسم نثره إلى النثر البسيط والنثر المرسل، والتزم السجع والمحسّنات البديعيّة.

كما رأينا وجوه الشبه بينه وبين **گلستان** سعدي: فهما يعدّان من الكتب العرفانيّة بسبب كثرة أقول الصوفيّة، والوعظ والإرشاد، والحكايات القصيرة. وكلاهما أسلوبُه رصين. ومن وجوه الاختلاف بينه وبين **گلستان** سعدي: لم يلتزم مجد الخَوافي بالإيجاز مثل سعدي، ومال إلى المسائل الدينيّة أكثر من سعدي لأنّه أفرد حكايات لأخبار الأنبياء والأئمة، وأحوالهم. **وگلستان** سعدي مفعم بالأمثال على خلاف **خارستان**. فمجمل القول أنّ مجد الخَوافي قلّد أسلوب **مقامات** الحَميدي.

ج- الجامي[١] (القرن التاسع الهجري)

يعدّ الجامي من كبار الشعراء والكتّاب الفرس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عَشَر الميلادي، له آثار عديدة باللغة العربيّة، وقــد كتب كتاباً باللغة الفارسية باسم **بهارستان** معناه بلاد الربيع، اقتفى فيه أثَرَ **گلستان** سعدي"[٢].

والجدير بالذكر أنّ الجامي هو أول من كتب مقاماته معارضاً فيها **گلستان** سعدي الشيرازي، ولو أنّه ابتعد عن أسلوب كتابة المقامة كثيراً. كما يختلف مضمونه عن مضمون **گلستان** سعدي كثيراً.

سِمات بهارستان

- المزج بين النثر والشعر، إذ اعتمد على الشعــر أكثر من اعتماده على النثــر، بينما كان سعدي يورد الشعر لتكميل المعنى والمفهوم أو للزخرفة. وأشعــاره ترجمة للنصوص الماضية.
- دَورانُ موضوعاته على التصوّف والعرفان والهزل ونقد الشعر، فلذلك أصبح كتابــه كتاباً علميّاً، بَيْدَ أنّ موضوعات كتاب **گلستان** تدور حول الموضوعات الاجتماعيّة والأدبيّة.
- تقليد الجامي سعدي في تقسيم كتابه أيضاً، فجعل له مقدّمة وخاتمة قسّمه إلى ثمانية أبواب، وسمّى كلّ باب روضة:

الروضة الأولى: خصّصها لأقوال مشاهير الصوفيّة، وأحوالهم وبعض أسرارهم وذكر أسماءهم أيضاً. كما أنّنا نجد سعدي يتحدّث عن الدراويش وسلوكهم وأحوالهم في الباب الثاني.

---

(١) الجامي: عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد بن محمّد الدشتي الفارسي الملّقب بالمولى الجامي، ولد في بلــدة جــام سنة ٨١٧/ ١٤١٤، ولم يذكر تاريخ وفاته. وله من المؤلّفات والآثار، منها: كتابه المسمّى بـــ **هفــت أورنــگ** المشتهر بسبعة جامي، وكتاب **نفحات الأنس** الّذي يعدّ من أهمّ الكتب الأدبيّة والحكميّة والعرفانيّة في القرن التاسع الهجري، وغير ذلك. الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٥، ص ٦٨ - ٦٩؛ هدايت، **مجمع الفــصحا**، مــج ٤، ص ١٧.

(٢) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسى**، مج ٣، ص ٢٢١.

الروضة الثانية: فيها معنى الحكمة، والحكيم من وجهة نظر الصوفيين. وتتضمّن الأقوال الحكميّة والمواعظ والإرشادات والحكايات المتعلّقة بالحكمة والحكماء وأحوالهم وسلوكهم.

الروضة الثالثة: أورد فيها حكايات قصيرة عن السلاطين القدماء ووزرائهم، وأشار إلى عدلهم وصبرهم، وذكر أسماء الملوك أيضاً. كما أنّ سعدي خصّص الباب الأوّل بالملوك وسلوكهم، غير أنّه لم ينسب الحكاية إلى شخص معلوم، بل نسبه إلى شخص نكره.

الروضة الرابعة: أشار فيها إلى كَرَم و جود بعض المشاهير القدماء، ونَقَل أقوالهم ورواياتهم.

الروضة الخامسة: تحدّث فيها عن العشق والعشّاق وتضحيّاتهم. يبدو أنّه كتب هذه الروضة لينافس باب العشق والشباب لسعدي، إلاّ أنّ حكاياتها أكثر جاذبيّةً من حكايات سعدي.

الروضة السادسة: تشتمل اللطائف والطرائف وحكاياتها لطيفة وجذّابة. واستعمل بعض الأحيان ألفاظاً ركيكة، خلافاً لسعدي لأنّه لم يستعمل مثل هذه الألفاظ قط.

الروضة السابعة: يدور موضوعها حول نقد الشعر وأحوال الشعراء الفرس الحاذقين، ولا نجد نظيرها في **گلستان**، واستشهد بأشعار الشعراء المعروفين كالرودكي(١) والفَرُخي(٢) والمُعزّي(٣) وناصرخسرو(٤) والأنوري وغيرهم.

والروضة الثامنة والأخيرة: تشتمل حكايات على لسان الحيوانات، كما نرى شبيه ذلك في كتاب **كليلة ودمنة ومرزبان نامه** معناها رسالة حارس الحدود، ولا نجد نظيرها في **گلستان** سعدي.

---

(١) الرودكي: اسمه جعفر بن محمّد الرودكي، وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو الحسن. ولد في قرية رودك قرب بخارا. وكان منذ الطفولة أعمى. ولكن اكتسب الكمالات، واشتهر في كلّ العلوم، وكان رجلاً ثرياً. وتوفيّ سنة ٣٠٤/ ٩١٦. هدايت، **مجمع الفصحا**، مج ٢، ص ٦٨١ – ٦٨٢.

(٢) الفرّخي السيستاني: علي بن جولوغ المكنّى بأبي الحسن. يعدّ من الشعراء الكبار في القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري، وفي تاريخ الأدب الفرس. ولد في مدينة سيستان. وهو من أحسن الشعراء في إنشاد القصيدة. ومن المعروف أن! كلامه سهل، سلس، مستحكم ومتين؛ وشبّهوا حلاوة بيانه ورقّة إحساسه بسعدي الشيرازي. وتوفّي سنة ٤٢٩/ ١٣٢٧. صفا، **تاريخ ادبيات درايران**، مج ١، ص ٥٣١ – ٥٣٩.

(٣) المعزّي: أمير الشعراء أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك المعزّي النيسابوري. من أساتذة الشعراء والفصحاء المعروفين في مدينة خراسان يصفه العوفي بأنّه: سلطان عالم البيان، وملك ساحة الفصاحة وأمير الكلام؛ وشعره عذب، وسلس، ووصل بيانه إلى غاية البلاغة. توفيّ بعد سنة ٥١٨ / ١١٢٤. صفا، **م.ن**، مج٢، ص ٥٠٨ – ٥١٢.

(٤) ناصر خسرو: ناصر بن خسرو بن حارث القباديانى البلخي المروزي المكنّى بـ "أبو معين"، والملّقب "بالحجّة". ولد في قباديان ضواحي مدينة بلخ، في سنة ٣٩٤/ ١٠٠٣. كان جامعاً لجميع العلوم الظاهريّة والباطنيّة، وصاحب اليد الباسطة في الفقه، والحديث، والمراتب الحكميّة والعرفانيّة. وتوفّي سنة ٤٨١/ ١٠٨٨. فروزانفر، **سخن وسخنوران**، ص ١٥٤ – ١٥٥؛ خوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٨، ص ١٦٢.

والجدير بالذكر أنّ في حكايات **بهارستان** شبه قريب بالمقامات، نكتفي بذكر حكاية منها: "بيماری برموت بود. شخص که از دهانش بویِ ناخوش می آمد، بربالين وی نشسته بود. سر نزديك وی می برد، وتلقين شهادت می كرد، ودر رویِ وی نفس می زد. هرچند بيمار رویِ خود می تافت، وی الحاح بيشتر می کرد، وسر نزديك تر وی می برد. چون کاربربيمار تنگ آمد گفت: ای عزيز می گذاری که من خوش وپاكيزه بميرم يا می خواهی که مرگ مرا به هرچه از آن ناپاك تر نيست بيالائی؟!"(١).

ترجمة الشاهد

كان مريضٌ في حالة الاحتضار. وقد جلس شخص قربه، كانت تفوح من فمه رائحة كريهة. كان يقترب منه دائماً، ويلقّن الشهادة، ويتنفّس في وجهه. وكلّما كان المريض يميل وجهه محاولاً عبثاً أن يبتعد عنه، ما كان يفيد، لأنّه كان يلحّ، ويزداد منه قُرباً، حتّى تعب المريض منه، وغضب عليه، فقال: أيّها العزيز أتسمح لي بأن أموت طاهراً، أم تريد أن توسّخ موتي بما لا يوجد أوسخ منه؟

فهذه الحكاية فكاهيّة وقريبة إلى فنّ المقامة. يعدّ كتاب **بهارستان** للجامي من الكتب القيّمة في الأدب الفارسي، ولكنّه لا يرتقي إلى مستوى **گلستان** من حيث الإنشاء وموسيقى وإيقاع العبارات لأنّ موضوع كتابه علمي، ولكن موضوع **گلستان** اجتماعيّ وأدبيّ.

لقد عرفنا أنّ الجامي في كتابه **بهارستان** اعتمد على الشعر أكثر من النثر. ويعتبر كتابه كتاباً علميّاً، لأنّ موضوعاته تدور حول التصوّف والعرفان والهزل ونقد الشعر. وقد قلّد سعدي من حيث تقسيم كتابه، حيث قسّمه إلى ثمانية أبواب، إلاّ أنّه سمّى كلّ باب روضةً. ويختلف كتابه **بهارستان** عن **گلستان** سعدي موضوعاً.

د- أحمد الغفّاري الكاشاني(٢) (٩٧٥/ ١٥٦٧)

يرتكز موضوع كتابه **تاريخ نگارستان** على القصص والنوادر، وفيه وقائع تتّصل بالتاريخ الإسلامي والإيراني حتّى سنة ٩٠٨/ ١٥٠٢. وقصصه ليست خياليّة، بل هي منقولة من الكتب المشهورة وأمّهات الكتب، كما أنّه يشير إليها في مقدّمة كتابه ويذكر ٣١ كتاباً، منها: **تاريخ الطبري، مروج الذهب، جامع التواريخ، نزهة القلوب، جهانكشاي، و تذكرة الشعراء** وغير ذلك.

ذكر الكاشاني في مقدّمة كتابه سبب تأليف كتابه **تاريخ نگارستان**، قائلاً: "قرّرت أن أستخرج النوادر والأمثال وأهمّ الوقائع التاريخيّة والحكايات الرائعة من أمّهات الكتب، وأجمعـــها كلّها في كتاب

---

(١) جامی، **بهارستان**، "روضه ٦"، ص ٧٢ – ٧٣.

(٢) أحمد الغفّاري الكاشاني: قاضي أحمد بن محمّد، له كتاب معروف باسم **تاريخ نگارستان**، ألّفه سنة ١٥٥١/٩٥٩. ويعدّ هذا الكتاب من الكتب المشهورة، ويشمل الحكايات التاريخيّة. توفّي سنة ١٥٦٧/٩٧٥..دهخدا، **لغت نامـــه**، مج ٣٤، ص ٢٥٨.

ليسهّل الأمر للقرّاء"[١].

سِمات تاريخ نگارستان

– صحيح أنّ الكاشاني اقتبس حكايات كتابه وقصصه وأمثالهِ ونوادره من كتب أخرى، ولكنّه كتبها بسبكه الخاصّ والبسيط.

– جعل للكتاب مقدّمةً، كما ختمه بخاتمةٍ، ومدح في الخاتمة سلطان عصره من آل الصفويّة.

– ثمّ بعد المقدّمة، كتب حكايات غريبة وعجيبة، وبعد الحكاية الأولى، ذكر نسب النبي محمّد، والأئمة الاثني عشر، وأولادهم كلّهم، وبعد ذلك كتب نوادر الوقائع التاريخيّة في إيران.

– زيّن نثره بأشعار الشعراء المعروفين كالأنوري وسعدي والجامي.

– يختلف أسلوبه عن أسلوب كتابي **گلستان** و **بهارستان** كثيراً.

– نثر كتابه سلس وبسيط فضلاً عن أنّه جذّاب ومزخرف بالأشعار.

– الآيات القرآنيّة والعبارات العربيّة في نثره قليلة جدّاً.

– لا نجد الراوي والبطل في كتابه.

– ربّما النقص الوحيد في نثره هو: استعمال الفعل في زمنِ الحال في غير موقعه، أو الحذف بلا وجودِ للقرائن.

ولا يمكننا أن نقارن بين نثره ونثر **گلستان**، لأنّ نثره مرسل، بَيْدَ أنّ أشعاره وطريقة استعمالها قريبة من طريقة سعدي، لأنّه أنشد الأشعار لقصد التزئين أو تكميل المعنى والمفهوم أو تأييد كلامه.

ويمكننا القول إنّ كتاب **تاريخ نگارستان** ليس مقامات، إذ إنّ موضوعه يدور على القصص والنوادر، وليس فيه راوية ولا بطل، ولكنّه اشتهر بالمقامات، لأنّ نثره متأثّر بنثر **گلستان** سعدي.

خلاصة إحدى حكايات **تاريخ نگارستان**: "در **روضه صفا**، از سعيد بن محمّد الصغير، منقول است كه يكبارى مستنصر[٢] مرا به يكى از اشغال ديوانى، به مصر ارسال داشت، ومن در آنجا بركنيزى كه در حسن وملاحت رشگ حور العين بود ودر حسن صوت بى نظير وبى قرين، مفتون شده، وبه مقام خريدارى او در آمدم، وصاحب چون بركمال نيازمندى من واقف شد، قيمت رابجائى رسانيد كه دست همگنان بدان نميرسيد. بالضرورة، بعد از اتمام مهامّ، به صوب دار السلام شتافتم. امّا سوداى آن غيرت حور، به من زور آورده نزديك بود كه ازحليه خرد مهجور مانم... القصّه،

---

(١) أحمد غفّارى كاشانى، **تاريخ نگارستان**، ص ٦.

(٢) المستنصر بالله: أحمد المستنصر بن محمّد الظاهر ابن الناصر المستضيء، أبو القاسم العبّاسيّ: أوّل الخلفاء العبّاسيين بمصر. قيل: قتل في المعركة قريباً من هيت. ويعدّونه الثامن والثلاثين من خلفاء بني العبّاس. مات سنة ٦٦٠/ ١٢٦٢. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص ٢٠٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ٢١٩ – ٢٢٠.

چون به ملازمت مستنصر رسیده نیکو خدمتی من، مقرون به استحسان گردید، پرسید که چه حاجت داری؟ ومن از غایت بی تابی، حکایت آن پری پیکر را به مستنصر گفتم واو اغماض کرده هیچ نگفت... تا آنکه روزی به خدمت مستنصر رسیده مراگفت: بنشین! در آن اثنا آوازی از پس پرده به گوش من رسیده نزدیك بود که مدهوش شوم. پس روی به من آورده گفت: آواز را می شناسی؟ گفتم: آری! گفت: به صاحب آواز توقّع دمسازی داری؟ گفتم: حالا قطع طمع کردم. گفت: ای سفیه! به خدا سوگند که این جاریه نخریده ام مگر برای تو... وبیش از یك نظر سوی او نیفکنده ام. پس بفرمود که او را باحلی وحلل وزر وزیوری که در سر وبر داشت، به من تسلیم نمودند"[١].

ترجمة الشاهد

قد ورد في **روضة الصفاء** عن سعيد بن محمّد الصغير أنّ المستنصر أرسلني مرّةً إلى مصر للمهمّة، فعشقت هناك جارية كانت تحسدها حور العين لجمالها وملاحتها، ولا نظير لها في صوتها الجميل أيضاً، فقرّرت أن أشتريها، بيد أنّ صاحبها لمّا اطّلع على عشقي، أغلى السعر إلى حدٍّ ما كان يقدر أن يشتريها أحد. فبالضرورة، رجعت إلى دار السلام بعد إنهاء مهمّتي بسرعة، إذ إنّ حبّها وهواها ضغط عليّ وكدتُ أن أصبح مجنوناً. خلاصة القول إنّه لمّا أخبروا المستنصر بأنّني أشتغل بأحسن صورة، استحسن، وسألني ماذا تحتاج؟ فشرحتُ له قصّتي مع تلك الحسناء، سكت ولم يقل شيئاً... حتّى في يومٍ من الأيّام ذهبت عند المستنصر فقال لي: اجلس! في ذلك الحين سمعت صوتاً من وراء الستار، وكدتُ أن أفقد الوعي. فالتفت إليّ وقال: هل تعرف هذا الصوت؟ قلت: نعم! قال: هل تتمنّى أن تكون صاحبة هذا الصوت رفيقة عمرك؟ قلت: قطعت الطمع الآن! قال: أيّها السفيه! أقسم بالله أنّني ما اشتريت هذه الجارية إلاّ لأجلك... وما نظرتُ إليها إلاّ نظرة واحدة. فأمر أن يسلّموها إليّ، من دون أن يخلعوا حلِيها ومجوهراتها.

إنّ موضوع كتاب **تاريخ نگارستان** يدور حول القصص التاريخيّة. وحكاياته مأخوذة من كتب أخرى، يختلف أسلوبه عن أسلوب كتابَي **گلستان وبهارستان** كثيراً، نثره سلس وبسيط، ولا نجد الراوي والبطل فيه. يحتوي هذا الكتاب على الكثير من الحكايات القصيرة والنوادر تسبقها أسنادها التاريخيّة الّتي يفترض فيها الصحة ممّا يخرجها من نطاق بحثنا هذا. ولذلك لا يُعَدُّ هذا الكتاب من المقامات.

* * *

ولقد ركّزنا بحثنا في الفصل الثاني على دراسة أشهر أصحاب المقامات في الأدبَيْن العربي والفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عشَر / الثامن عشَر، فظهر لنا أنّ **مقامات** بديع الزمان الهمذاني كانت هي المرتكز الّذي انطلقت منه المقامات الأخرى. فقد قلّده كتّاب كثيرون في المشرق والمغرب

---

[١] أحمد غفارى كاشانى، **تاريخ نگارستان**، ص ١١١.

حتّى جاء الحريري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عَشر الميلادي فقلّد، وطوّر الصياغة المقاميّة، لا سيّما من حيث البناء اللغوي.

وانطلاقاً من هذا الواقع جعلنا دراستنا في هذا الفصل تتركّز على تتبّع أشهر كتّاب المقامات الّذين ظهروا بعد الهمذاني في العالم العربي. فقد رأينا بعض كتبة المقامات احتفظوا بالعناصر الرئيسة في المقامة، كالراوي والبطل وموضوع الكدية والمحسّنات البديعيّة.

فأمّا الخصيصة الأولى، وهي ذكر الراوية والبطل، فقد ظلّتْ ملازمة للمقامات – بشكل عام – منذ نشأتها حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر، وقلّد كتّاب المقامات بديع الزمان الهمذاني والحَريري في الأزمنة المختلفة حين كتبوا مقاماتهم، فعلى سبيل المثال: الراوي عند بديع الزمان الهمذاني عيسى بن هشام، وعند الحَريري الحارث بن همّام، وعند ابن الصيقل الجزري القاسم بن جريال الدمشقي، وعند السيوطي هاشم بن القاسم. وما يلفت النظر أنّ كتّاب المقامات القدماء اختاروا اسماً لراوي مقاماتهم شبيهاً وقريباً لراوي بديع الزمان الهمذاني والحَريري.

وأمّا البطل فهو في **مقامات** بديع الزمان الهمذاني أبو الفتح الإسكندري، وعند ابن ناقيا البغدادي اليشكري، وعند ابن الصيقل الجزري أبو نصر المصري، وعند الحَريري أبو زيد السروجي. ويمتاز البطل في معظم المقامات باحتياله وسرعة بديهته.

والخصيصة الثانية هي موضوع الكدية، الّذي تدور المقامات حوله. وقد يبقى كما هو عند بعض كتّاب المقامات بغير تبديل **كمقامات** الحَريري؛ أو يتغيّر الموضوع عند بعضهم، وذلك حسب الأزمنة، فتارة يكون الموضوع وعظيّاً بحتاً كما نجد ذلك في **مقامات** الزمخشري، حيث اكتفى بموضوع الوعظ وحده، وقد يكون الموضوع علميّاً أو جدليّاً كما في بعض **مقامات** السيوطي، ومقاماته حافلة بألوان من المناظرات والمفاضلات، وجاء بعضها في شكل مقامات وصفيّة نقديّة أيضاً.

والخصيصة الثالثة، هي ملازمة المقامة للسجع والمحسّنات البديعيّة. وفي الواقع التزم كتّاب المقامات أنفسهم بالسجع والمحسّنات اللفظيّة والبديعيّة، وتقيّدوا بها في مختلف العصور.

وقد لاحظنا أنّ كلّ ما كتب من المقامات في هذه المرحلة، يرجع في جوهره وأصله إلى مبتكر فنّ المقامة بديع الزمان الهمذاني، غير أنّ كتبة المقامات لم يرقوا إلى مستواه، لاهتمامهم البالغ بإحياء الغريب من مفردات اللغة العربيّة، ولم يرقوا إلى قمّته أو يوازوه سوى الحَريري.

وأمّا صورة المقامة عند كتّاب المقامات فهي واحدة من حيث السجع والازدواج، وطريقة القصص واحدة، والافتتان في الموضوعات هو كذلك من إبداعات بديع الزمان الهمذاني، وفي الواقع، الطريقة التعليميّة الّتي عرفت في مقامات القلقشندي والسيوطي، هي أيضاً ممّا أبدع بديع الزمان الهمذاني، والفرق يعود إلى صور الثقافات في مختلف العصور، فبديع الزمان الهمذاني صوّر مشكلات عصره، والحَريري مثّل معضلات زمانه، والسيوطي فصّل أوهام الناس وعلومهم في أيّامه.

وأشرنا إلى أصحاب المقامات الأندلسيّة الّذين ظهروا في الأدب الأندلسي، كابن شُهيد، وابن شَرَف القِيرواني، والقُرطبي، والسَّرَقُسطي والوَهْراني، وتبيّنت لنا النتائج التالية:

- أكثر المقامات الأندلسيّة تقوم على الوصف للرحلات في داخل بلاد الأندلس، كما نجده في أدب الرحلات.

- يمثّل بعضها الاتّجاه النقدي.

- يؤدّي بعض موضوعاتها إلى أغراض شعريّة كالمدح.

- تلتبس المقامات بالرسائل أحياناً، حتّى لَتفقِدُ العقدةَ والراويةَ والبطلَ فيها، وتصبح على لسان كاتبها. كما أنّها ربّما تفقد العناصر الدراميّة أيضاً.

- معظم كتّاب المقامات الأندلسيين لم يُنْشِئوا أكثر من مقامة أو مقامتين أو بضع مقامات، إلاّ السرقسطي فإنّه أتبع الحَريري، حتّى في الناحية العدديّة، وكتب خمسين مقامة، وأثبت مقدرته الفنّيّة في هذا المجال.

وأمّا النتائج التي وصلنا إليها من خلال دراستنا المقامة في الأدب الفارسي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر، فهي:

- يعدّ سعدي الشيرازي الرائد الثاني للمقامات الفارسيّة. ولم يقلّد كتّاب المقامات من حيث عدد المقامات، ولم يعتمد الألفاظ الصعبة والغريبة، والتزم بالايجاز. وقلّد **مقامات** الحَميدي موضوعاً لا أسلوباً.

- قلّد مجد الخوافي **گلستان** سعدي، ولكنّه لم يلتزم بالإيجاز والمحسّنات البديعيّة خلافاً لسعدي.

- كتب الجامي مقاماته معارضةً **لگلستان**سعدي، إذ إنّه ابتعد عن أسلوب فنّ المقامة كثيراً.

- يتركّز موضوع كتابات أحمد الغفّاري الكاشاني على القصص والنوادر، وقصصه ليست خياليّة هي منقولة من أمّهات الكتب. فلهذا ليس كتابه مقامات.

- تُعَدُّ **گلستان** سعدي، **وخارستان** مجد الخوافي **وبهارستان** الجامي من الكتب الصوفيّة، لأنّ موضوع مقاماتهم يدور حول التصوّف والعرفان.

- إنّ الراوي والبطل في **گلستان** سعدي هو نفسه، وكذلك في مقامات مجد الخوافي وأحياناً الشخوص في مقاماته نكرة وأحياناً أخرى أحد الملوك القدماء. ولا نجد الراوي والبطل لا في مقامات الجامي ولا في كتابات أحمد الغفّاري الكاشاني. ورغم أنّ الأدباء الفرس يسمّونها مقامات، فأنا أرى أنّها ليست من فنّ المقامة، لأنّها تفتقر إلى عناصر تكوين المقامة، كالكدية والمحسّنات اللفظيّة والراوي والبطل؛ كلّ هذه العناصر ليست متوفّرة في ما يُسمّى مقامات أحمد الغفّاري الكاشاني.

ومجمل القول أنّ هذه المقامات تختلف عن المقامات الّتي نقصدها لأنّ موضوعها التصوّف والعرفان أو التاريخ.

الفصل الثالث

المقامة في الأدبَيْن العربي والفارِسي حتّى العصر الحديث (القرن الثالث عَشَر – التاسع عَشَر / القرن الرابع عَشَر – العِشرين)

لقد عالجنا في الفصل الثاني المقامة في الأدبَيْن العربي والفارِسي حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر، وقد ذكرنا أصحاب المقامات العربيّة والفارِسيّة في هذه المرحلة أيضاً، فينبغي الآن أن نتعرّف على أصحاب المقامات العربيّة والفارِسيّة في العصر الحديث. فيتناول هذا الفصل مبحثَين؛ المبحث الأوّل: المقامة في الأدب العربي في العصر الحديث (القرن الثالث عَشَر / التاسع عَشَر – القرن الرابع عَشَر / العِشرين)، والمبحث الثاني: المقامة في الأدب الفارِسي حتّى العصر الحديث (القرن الثالث عَشَر / التاسع عَشَر – القرن الرابع عَشَر / العِشرين). ونشير في هذين المبحثَين إلى أشهر كتبة المقامات في الأدبَين العربي والفارِسي، وكذلك إلى أهمّ سمات مقاماتهم. وترمي محاولتنا هذه إلى اكتشاف مراحل تطوّر المقامة في الأدبَين العربي والفارِسي في العصر الحديث، كما نقصد بذلك أن نعرف مدى تطوّر المقامة منذ ظهورها حتّى العصر الحديث، أو بعبارة أخرى نريد أن نعرف هل تطوّرت المقامة منذ ظهورها حتّى العصر الحديث أو بقيت على شكلها القديم ولا نلاحظ إلاّ التقليد المحض؟ فنحصل على إجابات عن هذه الأسئلة في أثناء هذا الفصل.

أوّلاً– المقامة في الأدب العربي في العصر الحديث (القرن الثالث عَشَر / التاسع عَشَر – القرن الرابع عَشَر / العِشرين)

من الغريب أنّ فنّ المقامة ظلّ حيّاً على مرّ القرون والعصور، حتّى لَنَجِدُ كثيرين من الكتّاب المحدثين تناولوا هذا الفنّ في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد، فعرف فنّ المقامة شرقاً وغرباً.

ولم يكن القرن التاسع عشر الميلادي إلاّ مرحلة الإرهاص بالتطوّرات الحقيقيّة الكبيرة الّتي سيشهدها الأدب العربي في القرن العشرين، ولم يتجاوز ما تمّ إنجازه فيه حدود تمهيد الأراضي لزروع التجديد الّتي ستؤتي أكلها ناضجة أو شبه ناضجة في القرن العشرين، لسائر أنواع الأدب، أو أجناسه حسبما هو معروف في الآداب العالميّة. ومن حيث الأسلوب كان النثر في القرن التاسع عشر مثقلاً بالمحسّنات البديعيّة وبالسجع، بل إنّ محاولات لإحياء فنّ المقامة قد جرت على يد ناصيف اليازجي.

إنّنا نتحدّث في هذا المبحث عن أشهر كتّاب المقامات العربيّة في العصر الحديث، وعن سمات مقاماتهم. وقد رتّبنا أسماءهم بحسب تسلسل وفياتهم، وهم: أحمد البربير، ناصيف اليازجي، محمّد المُويلِحي، أحمد فارس الشِّدياق، عبد الله فكري.

أ– أحمد البربير[1] (١٢٢٦ – ١٨١١)

(١) البربير: أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربير الحسني، أبو الفيض، ولد سنة ١١٦٠/ ١٧٤٧ بدمياط، وتعلّم بها وبالقاهرة، بيروتي الأصل، وعالم بالأدب. انتقل إلى بيروت سنة ١١٨٣/ ١٧٦٩، فتولّى قضاءها مدّة، واستعفى ورعاً، وتحوّل إلى دمشق سنة ١١٩٥/ ١٧٨٠. فتوفّي فيها سنة ١٢٢٦/ ١٨١١. من كتبه: **شرح الجلي على بيتي الموصلي**، **مقامات البربير**، **المفاخرة بين الماء والهواء**، وله **ديوان شعر**، وغير ذلك. البيطار، **حلية البشر**، ج ١، ص ٢١٧ – ٢١٨؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٥٥.

بين أيدينا من **مقامات** البربير مقامتان تبتدئ الأولى بالرحلة على سنّة المقاميين القدماء، والثانية باسم مفاخرة بين الماء والهواء تبدأ بوصف دقيق للروض الّذي يجول فيه المؤلّف في أثناء إحدى رحلاته الخياليّة قائلاً: "قال الهواء: أمّا بعدُ، فَمَنْ عَرَفَني فقد اكتفى، ومَن جَهلَني فسأبدو له بعد الخفا. وأنا الهواء الّذي أؤلّفُ بين السحاب، وأنقل ريحَ الأحباب، وأهبّ تارةً بالرحمة وأخرى بالعذاب. نصرَ اللهُ بي محمّداً وصحبه الأمجاد، وأهلك اللهُ بي قوم عاد. وأنا الّذي تمّ بي ملك سليمان... وأطار بي في الجوّ كلّ ذات جناح"[١]. ثمّ التفت إلى الماء، وقال: "وأمّا أنت فحسبك عيباً قولُ بعض الأدباء: فلان كالقابض على الماء. وبالله قل لي: أيّ فخر لمن يعزُّ مفقوداً، ويهون موجوداً؟ ومَن إذا أطالَ مكثُه، ظهر خبثُه. وإذا سكن متنُه؛ تحرّك نتنه"[٢]. نهض الماء فقال: "أنا أوّل مخلوق ولا فخر، وأنا لذّة الدنيا والآخرة ويوم الحشر... أحيي الأرض بعد مماتها، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها. وأكسو عرائس الرياض أنواع الحلل، وأنثر عليها لآلئ الوَبْل والطَلّ؛ حتّى يُضرَب بحسنها المثل"[٣].

تقوم هذه المقامة على المناظرة بهدف الإقرار بالفضل لأولي الفضل. ويبدو أنّ هدف البربير كان أخلاقيّاً.

ب- ناصيف اليازجي (١٢٨٨ / ١٨٧١)

يعدّ ناصيف اليازجي من أعلام كتّاب المقامات في العصر الحديث، ولعلّ من أشهر كُتُبِ المقامات – في العصر الحديث – كتابه **مجمع البحرين** نثراً وشعراً. وكان أقرب إلى الحَريري وتأثّر به في مقاماته من حيث النهج، والموضوع، واستعراض المعلومات الطريفة، وعرض النوادر الأدبيّة، والميل إلى الألاعيب البيانيّة. وقلّد أسلوبه معنىً ومبنىً، إلاّ أنّه لم يصل إلى مكانة الحَريري الأدبيّة. و"لا نبالغ إذا قلنا إن مقامات اليازجي تقليد دقيق **لمقامات** الحَريري، فهي تطابقها مَن جميع الوجوه"[٤]، و"كأنّ اليازجي يتخلّى عن كلّ شيء فيه ليصنع المقامة بالذوق الحَريري وعلى السنن الّتي وضعها لها"[٥].

سمات مقاماته السّتين

– تقوم كلّها على الكدية، وقد اتّسع نطاق الاحتيال. ورتّب مقاماته ترتيباً زمنيّاً؛ كما أنّه يبدأ المقامة الأولى تحت عنوان: البدويّة.

– يبدأ مقاماته دائماً بأفعالٍ نحو: حكي، أو قال، أو حدث، أو أخبر أو روى.

---

(١) محمّد حسّان الطيّان، **المفاخرات والمناظرات**، ص ٢٩.

(٢) محمّد حسّان الطيّان، م.ن، ص ٣٠.

(٣) محمّد حسّان الطيّان، م.ن، ص ٣٢ – ٣٣.

(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٨٧.

(٥) شوقي ضيف، م.ن، ص ٨٨.

– صدَّر مقاماته بمقدّمة شبيهة بمقدّمة الحَريري، أشاد فيها بفضل الحَريري وبديع الزمان الهمذاني، وأقرّ بعجزه عن مجاراتها قائلاً: "هذا، مع اعترافي بأنّ ذلك ضرب من الفضول، بعد انتشار ما أبرزه أولئك الفحول. غير أنّني تطاولت عليه مع قِصَر الباع... وأنا ألتمس من أولي الألباب أن يقابلوني بالمعذرة، ويعاملوا ذنبي بالمغفرة"(١).

– اتّخذ لمقاماته راوية هو سهيل بن عبّاد، وبطلاً هو ميمون بن خزام؛ وأديبٌ شحّاذٌ من نوع أبي زيد السروجي بطل **مقامات** الحَريري، وأبي الفتح الإسكندري بطل **مقامات** بديع الزمان الهمذاني.

– حافظ على المضامين الاجتماعيّة للمقامة القديمة، خاصّة التكدّي والاحتيال. وسرد قصصاً وعرض فيها حياة العرب، وحضارتهم، وأدبهم في المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرانيّة وبغداد والكوفة والبصرة ودمشق وحلب وغيرها. واللافت للنظر أنّه لم ينتقّل من لبنان ولكنّه أدار مقاماته في البلدان المختلفة، كأنّه اكتفى بالتقليد.

– "تمتاز مقاماته بالسلاسة نظماً ونثراً وحسن تسلسل الحوادث ووفرة المصطلحات اللغويّة والأوضاع الطبيّة والفلكيّة"(٢).

– وكانت غايته من وضع المقامات لغويّة تعليميّة.

اتّخذ ناصيف اليازجي في **مجمع البحرين** شكل المقامـــة القديمة، وعاش في أدبه مع كبار القدماء كالحَريري، فتأثّر به، وبالغ في عنايته بالغريب والسجع والألعـــاب البلاغيّـــة، واحتذى أسلوبه في مقاماته.

على سبيل المثال: المقامة الرمليّة(٣) فيها منظومات بديعة من جناسات الخط، والمقامة البصريّة(٤) فيها الأبيات الّتي لا تستحيل بالانعكاس، تلك اللعبة الّتي ابتكرها الحَريري، وهي تجري على هذا المثال: (بحر الرمل)

رَشَّ ماءَ دَمْعُ طَرْفٍ يَرْمُـقُ　　　قَمَـرٌ يُفرِطُ عَمْـداً مُشْـــرِقُ(٥)

إذ يمكننا أن نقرأ البيت من آخره كما نقرأه من أوّله، بدون أن تختلف الألفاظ أو المعنى.

واليازجي أضاف إلى اللعبة الحَريرية البيتين اللذين طردهما مديح وعكسهما هجاء، نحو: (بحر مجزوء الكامل)

بَاهِـــي المَرَاحِـــــم، لابِسٌ　　　كَرَمَـــــاً، قَـــــديــرٌ مُسْنِدٌ
بـــــابٌ لِكُـــــلِّ مُؤَمَّـــــلٍ　　　غُنْـــمٌ لِعُمْـــرك مُرْفِـــدُ(٦)

---

(١) ناصيف اليازجي، **مجمع البحرين**، ص ٩ – ١٠.

(٢) أنيس المقدسي، **تطوّر الأساليب النثريّة في الأدب العربي**، ص ٣٩٩.

(٣) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة الخامسة عشر: الرمليّة"، ص ٨٧.

(٤) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة العشرون: البصريّة"، ص ١٢٠.

(٥) ناصيف اليازجي، **م.س**، ص ١٢١.

(٦) ناصيف اليازجي، **م.س**، ص ١٢١.

فإذا عسكناهما وقرأناهما من آخرهما إلى أولهما يصبح هجاءً على النحو التالي: (بحر مجزوء الكامل)

دَنَسٌ مَـــريـــــدٌ[1] قامِـــــرٌ كَسْـبَ المَحَـارِمِ لا يُهَـــابْ
دَفِـرٌ[2] مِكَـــــرٌ مُعَلَّـــمٌ[3] نَغِـلٌ[4] مُؤَمِّــلُ كُــلِّ بَــابْ

ثمّ كرّر هذه اللعبة في المقامة الرجبيّة[5]. وحاول أن يبرهن مقدرته الفنّيّة، وأخرج من صندوقه اللغوي اللعب، وأثبت أنّه لا يقلّ عن الحَريري افتناناً ولعباً بالألاعيب البيانيّة، كما نجد في كثير من مقاماته، من مثل: المقامة البدويّة، فأودعها قصيدة، حروف الشطر الأول كلّها مهملة من النقط، وحروف الشطر الثاني كلّها معجمة، بقوله: (بحر السريع)

لا لِعُهُـــودِ الـــــوُدِّ رَاعٍ وَلا في شَجَــنٍ ذِي فِتْنَةٍ يُشْفِـقُ[6]

كما أنّه بنى مقامة على الوعظ اتباعاً للحريري، وذلك في المقامة المعرّيّة، ودعا الناس إلى الزهد، والعمل الصالح، والتوبة، وانتظار الثواب ورضوان الله، كما يقول على لسان ميمون بن خزام بطل مقاماته: "اعلموا أنّ الله قد أرسلني إليكم نذيراً، وأقامني بينكم سراجاً منيراً، لأُذكركم يوماً عبوساً قمطريراً[7]، فلا تغفلوا عن ذكر شُرب تلك الكأس، وهَول ذلك اليوم المجموع له الناس، واتّعظوا بمن تقدّمكم من القرون والأقران... وتوبوا إلى بارئكم... فليس البرّ أن تولّوا وجوهكم شطر المسجد الحرام، ولكن البرّ من اتّقى"[8].

والجدير بالانتباه أنّ ناصيف اليازجي اقتبس من القرآن، وذكر الأمثال الحكميّة ونسج على منوال الحَريري. ونجــده في المقامة الحكميّــة[9] الّتي تتضمّن وصيّة الخزامي لغلامه، والقصيدة الحكميّة.

---

(١) مريد: عاتي. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج١، ص ٤٦١، باب الدال، فصل الميم.

(٢) دفر: نَتِن. الفيروزآبادي، **م.ن**، ج ١، ص ٥٥٤، باب الراء، فصل الدال.

(٣) معلم: عليه سمة الحرب أي أنّه يريد الشرّ دائماً. ناصيف اليـازجي، **مجمـع البحـرين**، "المقامـة العـشرون: البصريّة"، ص ١٢١.

(٤) نغل: فاسد. الفيروزآبادي، **م.س**، ج ٢، ص ١٤٠٤، باب اللام، فصل النون.

(٥) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة الثامنة عشرة: الرجبيّة"، ص ١١١.

(٦) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة الأولى: البدويّة"، ص ١٤.

(٧) قمطرير: شديد. الزبيدي، **تاج العروس**، مج٩، ص ٤١٦، باب الراء، فصل القاف.

(٨) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة الرابعة والعشرون: المعرّيّة"، ص ١٤٨.

(٩) ناصيف اليازجي، **م.س**، "المقامة السابعة عشر: الحكميّة"، ص ١٠٤ – ١١١.

وقد عرض في مقاماته مسائل نحويّة وأثبت مقدرته على نظم قواعد النحو في المقامة الدمشقيّة[١] فأنشد أرجوزة في علم النحو، أو في المقامة البغداديّة[٢] والكوفيّة[٣] والبحريّة[٤] حول مسائل نحويّة، والمقامة السودانيّة[٥]، وفيها مسائل في دقائق النحو والصرف. كما أنّه عرض مسائل فقهيّة وفكاهيّة وهزلية وطبيّة ولغويّة وألغاز نثريّة ومسائل شتّى.

فمحصّلة القول إنّ ناصيف اليازجي ألزم نفسه طريقة الحَريري، وقصد إلى تقليده، لا سيّما من حيث الموضوعات، بيد أنّ مقامات اليازجي لا ترتفع إلى مراقي **مقامات** الحَريري، "لأنّه ضلّ اللغة الّتي يستعملها، فلم ينقل من كتب الأدب، وإنّما نقل من المعاجم، واختار خاصّة أن ينقل من مهجورها ووحشيّها... وبذلك أصبحت صحف مقامته أشبه ما تكون بصحف الأدب التعليمي"[٦]، فلم يقلّدها المحدثون، لأنّهم لم يجدوه ملائماً لأذواقهم. في حين في **مقامات** الحَريري أثر الحضارة العبّاسيّة، وقلّدها القدماء والمحدثون.

و"قام ناصيف اليازجي بإحياء المقامة العربيّة القديمة بدون تصرّف، وبغير مراعاة التطوّر ومقتضيات العصر، فجاءت مقاماته نسخة مشوهة من **مقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري"[٧]. وإذا أردنا أن نقارن بين مقامات اليازجي ومقامات سابقيه، يمكننا القول إنّه كان متكلّفاً، واكتفى في مقاماته بالتقليد.

ج- محمّد المويلحي[٨] (١٣٤٨ / ١٩٣٠)

ختم محمّد المويلحي مقامات القرن الثالث عشر/ التاسع عشر **بحديث عيسى بن هشام**، وامتزج فيه تأثير فنّ المقامة بالتأثير العربي من حيث العناية بالأسلوب. و"استفاد من الشكل القديم للمقامة، وحرص على أن يطوّره لكي يستوعب القضايا الّتي تولّدت عن التغيير الاجتماعي. واجتهد أن

---

(١) ناصيف اليازجي، **مجمع البحرين**، "المقامة الواحدة والعشرون: الدمشقيّة"، ص ١٢٧.

(٢) ناصيف اليازجي، م.ن، "المقامة الثامنة: البغداديّة"، ص ٤٦.

(٣) ناصيف اليازجي، م.ن، "المقامة العاشرة: الكوفيّة"، ص ٥٦.

(٤) ناصيف اليازجي، م.ن، "المقامة الثالثة والأربعون: البحريّة"، ص ٢٤٥.

(٥) ناصيف اليازجي، م.ن، "المقامة الرابعة والخمسون: السودانيّة"، ص ٢٩٤.

(٦) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ١٠٩.

(٧) محمّد رُشدي حسن، **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**، ص ٧٣.

(٨) محمّد المويلحي: هو ابن إبراهيم بك المويلحي. ولد سنة ١٨٥٨/١٢٧٥. له مقامات سمّاها حديث عيسى بن هشام. ومن ميزات كتابه: هو ضرب من التخييل والتصوير، وحقيقة منبرحة في ثوب الخيال. ويصف الناس وأخلاقهم والفضائل الّتي يجب التزامها. توفّي سنة ١٣٤٨/١٩٣٠. سركيس، **معجم المطبوعات**، ج٢، ص ١٨٢٠ – ١٨٢١؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ٣٠٥ – ٣٠٦.

يكشف طاقاته الإبداعيّة من خلال استثمار الموروث. ووجد نفسه منسجماً مع الشكل القديم للمقامة، وحاول أن يتحرّر من الوظيفة القديمة للمقامة بحيث يجعلها قادرة على استيعاب مرحلة الإحياء الّتي يمرّ بها المجتمع"[١].

حديث عيسى بن هشام ليس حديثاً واحداً، بل هو تتابع متّصل ينتقل بنا من مشهد إلى مشهد آخر، ويصوّر لنا مظاهر الحياة الحديثة في مصر، والمظاهر الدخيلة على حياة المصريين في العصر الحديث. ويحاول (فيها المويلحي) أن يعرض لمفارقات الحياة الاجتماعيّة في مصر خلال قرن من الزمان تقريباً. ويبدأ الحديث بالحوار بين عيسى بن هشام واحد من الباشوات مات منذ زمن بعيد، ثمّ حين يقوم من القبر، يرى أنّ الحياة قد تغيّرت كثيراً، والمظاهر الّتي درج عليها قديماً لا أثر لها؛ فيسيران معاً في القاهرة.

ولنعرف مدى براعته في تخطيط الصورة الّتي رسمها قلمه لمحام شرعي في بيته، نكتفي بالمثال التالي وذلك باختصار: "... وجدناه جالساً على سجّادة الصلاة، وعن يساره أمرأةٌ كأنّها السعلاةُ[٢]. فسمعناه يقول لها في تسبيحه: أتستكثرين – أدرّ الله عليك خيرَه، وأبدلكِ زوجاً غيره – ما أخذتُه منكِ لاستنباط الحليةِ في التفريق، واستخراج الحكم بالتطبيق، فأبعدتُ عنكِ زوجاً تكرهينه، لتبدّلي منه زوجاً تحبّينه؟ ثمّ إنّه أحسّ بدخولنا من ورائه، فارتدّ إلى اتّصال تسبيحه ودعائه، وانتفضت المرأة فتنقّبتْ بخمارها، وتلفّحَتْ بإزارها، وخرجتْ وتركتنا مع رجل يخدع الأنام بطول صلواته، ويتلو سورة الأنعام في ركعاته: (بحر الطويل)

إذَا رَامَ كَيْـداً بِالصَّـلاةِ مُقيمُها　　　فَتارِكُهـا عَمْـداً إِلَى اللهِ أَقْرَبُ

وجلسنا مدّةً ننتظر خَلاصه من هذا الرياء... وخلاصَنا من هذا الكرب والعَناء، وكنّا نشاهد منه في خلال ذلك نظراتٍ مختلَساتٍ نحو البابِ، كأنّه هو أيضاً في انتظار وارتقابٍ، إلى أن دخل علينا غلامٌ يصيح به: إلى متى هذه العبادة، فقد بُليَت السجادة، وحاجاتُ الناس موكولةٌ إليك، وقضاءُ مصالحهم موقوفٌ عليك!...

فجلس غلام الشيخ، وهو يمسح العرق، واشتدّ بنا الضجر والقلق، فقلنا من يضمن لهذه الصلاة انتهاءً، ولهذا التسبيح انقضاءً. وهَمَمْنا بالقيام، فالتفت الشيخ للغلام، وأشبعه من التأنيب والملام، ثمّ حيّانا بألطف سلام، وقال: بارك الله فيكم وعليكم، وأنا في الخدمة بين يديكم، فقلنا: عِلْمنا أنّك رجل عدل عَفٌّ، فجئناك لقضيّة في وقفٍ، فقال الغلامُ: أتطلبونَ ريعَه، أم تريدون بَيْعَه؟ فقلتُ: سبحان الله!

---

[١] أحمد إبراهيم الهواري، **نقد المجتمع في حديث عيسى بن هشام**، ص ١٣٦ – ١٣٧.

[٢] السعلاة: أخبث الغيلان، ويقال للمرأة صعلاة، إذا كانت قبيحة سليطة. محمّد المويلحي، **حديث عيسى بن هشام**، ص ٥٧.

وهل تُباع الأوقاف؟ قال: نعم، ويباع جبلُ قافٍ. ثمّ تنحنح الشيخ وسعَل، وبصق وتفل، وتسعَّطَ، ثمّ تَمَخَّطَ، واقترب منّا ودنا..." (١).

ويمكننا القول إنّ أوضح مثل للتأثّر بفنّ المقامة في العصر الحديث هو مقامات المويلحي ذات النزعة القصصيّة، والّتي تمثّل مرحلة من مراحل التدرّج نحو فنّ القصّة والرواية. وأكمل المويلحي محاولات كتّاب المقامات الغابرين، وقد جدّد كثيراً في جوانب مِن فنّ المقامة، أهمّها:

- تغيير في شكل المقامة، حتّى لقد اعتبر بعض النقّاد **حديث عيسى بن هشام** رواية لا مقامة. إلاّ أنّه احتفظ بالأركان الأصليّة للمقامة.

- المضمون الإصلاحي إذْ كان المويلحي يخضع الحدث والشخصيّات في كتابه للهدف الإصلاحي، ويتجلّى ذلك في الناحيّة الاجتماعيّة الإيجابيّة. ومن أهمّ مظاهره التطرّق إلى نقد هياكل الدولة، كالشرطة، والقضاء، والإدارة. وقد استمدّ المويلحي صوره من واقع مجتمعه، وتكشف هذه الصورة عن يقظة.

وفي **حديث عيسى بن هشام** للمويلحي، يظهر التأثّر بالرواية التعليميّة في القرن التاسع عشر من جهة، وبالتطوّرات الّتي ظهرت في القرن العشرين من جهة أخرى.

سِمات مقامات المويلحي

- سار المويلحي على نهج بديع الزمان الهمذاني والحَريري، فاستعار شخصيّة عيسى بن هشام من بديع الزمان الهمذاني. واتّخذ لقصّته هذا الإطار القديم، فراوي قصّته هو عيسى بن هشام - وهو المؤلّف نفسه - ونفسه راوي **مقامات** بديع الزمان الهمذاني. وأمّا البطل فاتّخذه من شخصيّة تاريخيّة مصريّة، هو أحمد الباشا المنيكلي(٢)، غير أنّ بطل **مقامات** بديع الزمان الهمذاني هو من أصحاب الكدية، وبطل مقامات المويلحي من أصحاب الجاه والمال.

- "واقتدى المويلحي بصنيع الحَريري في مقدّمة مقاماته. فصدّر كتابه بكلمات شبيهة في مضمونها بما سبق أن ذكره الحَريري في مقدّمته"(٣). ومقدّمة المويلحي وإن شابهت مقدّمة الحَريري غير أنّها أكثر طموحاً حينما تجعل شرح أخلاق الناس، وأطوارهم وأوصافهم في زمنه، وظيفة أصليّة

---

(١) محمّد المويلحي، **حديث عيسى بن هشام**، ص ٥٧ - ٥٩.

(٢) أحمد الباشا المنيكلي: كان من أشهر القوّاد المصريين. اشترك في حرب سوريا مع إبراهيم باشا، وتولّى منصب ناظر الجهاديّة سنة ١٢٧٩/ ١٨٦٢، وقد أسند إليه قيادة الحملة البريّة المصريّة الّتي أرسلت في عهد سعيد باشا، لمساعدة تركيا في حرب القرن ١٨٥٣ - ١٨٥٦م. أحمد إبراهيم الهواري، **نقد المجتمع في حديث عيسى بن هشام**، ص ١٣٨.

(٣) أحمد إبراهيم الهواري، م.ن، ص ١٣٩ - ١٤٠.

للعمل الفنّي الروائي. ويشير في هذه المقدّمة القصيرة إلى قضايا مهمّة، نحو: مسؤوليّة الأديب والكاتب، وأمانة الكلمة، وعلاقة الأديب بجمهور الناس وبالحقيقة.

- ظهر الاحتيال والمحتال في الأدب العربي الحديث من جديد، كما نلاحظ ذلك في شخصيّة عيسى بن هشام بطل مقامات المويلحي. غير أنّ الهدف لا يقتصر على الاحتيال والمحتالين، بل على استعراض مظاهر الحياة في القاهرة.

أدخل المويلحي تعديلاً واضحاً على صيغة الاحتيال في **مقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري، حيث لم يكتف بتثبيت المحتال، بل جعل له شريكاً ثابتاً. والمحتال عند المويلحي، يساير محتالي بديع الزمان الهمذاني والحَريري في الجرأة، وفقدان الضمير، وعدم الندم على أفعاله الشائنة.

- طرافة الشخصيّات وتعدّدها، وتنوّع المشاهد، وتغيير الأماكن كلّها، حوّلت حديث عيسى بن هشام إلى رواية فنيّة.

- اختار المويلحي موضوع مقاماته من مجالات الحياة المختلفة، ولم يلتزم أسلوباً مسجوعاً. فلهذا نجد رائحة القصّة القصيرة والرواية في بعض فصول حديث عيسى بن هشام.

- كان المويلحي يرمي إلى هدفين: النقد الاجتماعي، والتهذيب الخلقي.

د- أحمد فارس الشِّدياق[١] (١٣٠٥/١٨٨٧)

له أربع مقامات كتبها في كتابه **الساق على الساق** بأسلوب قصصي فنّي ظريف. وقد ساقها على لسان الهارس بن هشام رواية عن الفارياق - فارس الشدياق - وجعل أسلوبها السجع، ووشّحها بالشعر مستعيراً لها قالب المقامة.

وأمّا موضوعات مقاماته الأربعة، فهي: في الأولى[٢] - لم يُسمّها شيئاً - يوازن بين حالّتي بؤس المرء ونعيمه، وفي المقامة الثانية[٣] الّتي سمّاها مقامة مقعدة، موضوعها الزواج، وفي المقامة الثالثة: مقامة مقيمة[٤]، وهي أروع مقاماته، والعنصر القصصي فيها واضح قوي، والمقامة الرابعة:

---

(١) أحمد فارس الشدياق: أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، ولد سنة ١٢١٩/ ١٨٠٤ بعشقوت (كسروان). وأنشأ بالقسطنطينيّة **جريدة الجوائب** المشهورة الّتي خدم بها اللغة العربيّة. وقد امتاز أحمد فارس بمعرفته الواسعة في مواد اللغة وسهولة أسلوبه في الإنشاء. مات بالقسطنطينيّة سنة ١٣٠٥/ ١٨٨٧، ونقل جثمانه إلى بيروت. سركيس، **معجم المطبوعات**، مج ١، ص ١١٠٤.

(٢) الشدياق، **الساق على الساق**، ص ١٤١.

(٣) الشدياق، م.ن، ص ٢٧٢.

(٤) الشدياق، م.ن، ص ٤٧٥.

مقامة ممشيّة[١]، وهي بحث في الزواج والعزوبيّة. فأخذ أحمد فارس الشدياق موضوعات مقاماته الأربعة من مشكلات عصره وحياته الاجتماعيّة.

فعلى سبيل المثال نذكر جزءاً من مقامة مقيمة: "حدّث الهارس بن هشام قال: سوّل لي الخنّاس – أعوذ بالله من هذا الافتتاح – الّذي يوسوس في صدور الناس... إن تزوّجت امرأة خرّاجة ولاّجة[٢]... وتقترح عليّ أشياء يعجز عنها الدينار، وترميني في مهالك دونها النار... خرجت من بيتي كئيباً، ساخطاً على جميع النساء. فبينا أنا في بعض الطريق، إذ مرّ بي سرب منهنّ يخطر بالثوب الصفيق[٣]، والحلي ذي البريق... فرأيت من بينهنّ الهيفاء والبدين... ثمّ أضاف: أرى للنساء الماشيات حلاوة فهل هنّ حلوات كذا في المقاصير[٤] فابتدرت[٥] إليّ واحدة منهنّ لها عنق كعنق الغزال، وحاجب كالهلال... ثمّ مالت إليّ الثانية عشرة، وكانت قصيرة حادرة[٦]، تارّة حارّة..." [٧].

سمات مقاماته

وإذا أردنا أن نلخّص خصائص مقامات أحمد فارس الشدياق، فهي كما يلي:

– لها بطل مشتقّ من اسم المؤلّف يدعى الفارياق، ولها راو يدعى الهارس بن هشام. "والظاهر أنّ المؤلّف وازن بين النطقين فاختار نطقاً له رنين في أذنه ولو كان مملوءاً بأخطاء كتابيّة على نطق صحيح ولكن ليس له رنين"[٨].

– تدلّنا الموضوعات المعالجة فيها إلى تأثّر أحمد فارس الشدياق بعصره السياسي والاجتماعي في لبنان.

– تتضمّن مقاماته أسلوب المقامة العلميّة؛ واختار الشدياق "شكلا روائيّاً يجمع في جزئيّاته بين المقامة والمقالة، لا سيّما المقامة القصصيّة"[٩]. ولا شكّ في أنّها ليست مقالات خالصة بمفهومها

---

(١) الشدياق، **الساق على الساق**، ص ٥٩٩.

(٢) خرّاجة ولاّجة: امرأة كثيرة الظرف والاحتيال. الزبيدي، **تاج العروس**، مج ٣، ص ٣٤٣، باب الجيم، فصل الخاء.

(٣) الصفيق: الجلد. ابن منظور، **لسان العرب**، مج ٧، ص ٣٦٧، باب القاف، فصل الصاد.

(٤) مقاصير: العشايا. ابن منظور، **م.ن**، مج ١١، ص ٨٨، باب الراء، فصل القاف.

(٥) ابتدر: تبادرت إلي. ابن منظور، **م.ن**، مج ١، ص ٣٤٠، باب الراء، فصل الباء.

(٦) حادرة: سمينة. ابن منظور، **م.ن**، مج ٣، ص ٨٣، باب الراء، فصل الحاء.

(٧) الشدياق، **م.س**، "المقامة الثالثة: مقيمة"، ص ٤٧٥ – ٤٨٣.

(٨) محمّد رُشدي حسن، **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**، ص ١٠٢.

(٩) إبراهيم السعافين، **تطوّر الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام**، ص ٣٨.

الكامل. ولهذا اتّخذت المقامة شكل القصّة حيناً، وصورة المقالة حيناً آخر، على أنّها في كلا الوجهين لا تعبّر عنهما في وضوح المصطلح الفنّي. وكتبها الشدياق بأسلوب قصصي فنيّ طريف.

– تأثّر ببديع الزمان الهمذاني والحَريري في بناء المقامة، غير أنّه لم يلتزم شكل المقامة التزاماً تاماً.

– "وقد سار الشدياق بالمقامة إلى مدى أرحب وأوثق صلة بالفنّ القصصي والروائي، ولعلّ لطبيعة حياته أثراً كبيراً في ذلك"[١].

– ولعلّ أوجه الشبه بين مقامات الشدياق ومقامات القدماء هي في طريقة السرد.

– وأمّا هدف الشدياق من إنشاء مقاماته فهو اختبار قريحته، بقوله: "فلا بدّ من أن أختبر قريحتي في هذا الفصل، فإنّه أولى به من غيره"[٢]، كما أنّه أبرز الهدف من تأليف كتابه **الساق على الساق**. بقوله: "وبعد فإنّ جميع ما أودعته في هذا الكتاب فإنّما هو مبنيٌّ على أمرين: أحدهما إبراز غرائب اللغة ونوادرها، فيندرج تحت جنس الغريب، نوع المترادف والمتجانس... والأمر الثاني: ذكر محامد النساء ومذامهنّ..." [٣]. فالغاية التعليميّة في مقاماته واضحة جدّاً، كما أنّ مؤلّفها عني بالفوائد اللغويّة عناية كبيرة.

فيدلّ كتاب أحمد الشدياق **الساق على الساق** على أنّ عقليّة القصصيّة ناضجة إلى حدٍّ كبير، وإن لم يستغلّها في هذا الفنّ. وتعدّ مقاماته الأربع تطوّراً في فنّ المقامة، خرج بها التكلّف اللغوي والعبث البياني إلى المقالة القصصيّة الّتي تعالج موضوعاً اجتماعيّاً.

هـ– عبد الله فكري[٤] (١٨٨٩/١٣٠٧)

كتب ثلاث مقامات: الأولى في حسن الوفاء، والثانية في العمّال والبطّال، والثالثة في الفكريّة في المملكة الباطنيّة.

المقامة الأولى تتّجه نحو القصّة القصيرة بمفهومها الحديث. يرويها المؤلّف في أسلوب قصصي، بهدف أخلاقي، وله راو. يبدأ المؤلّف مقامته بقوله: "حدّثني صاحب مبارك ليس في فضله يشارك، قال كان ببعض الأمصار فيما مضى من الأعصار رجل من التجّار ذو شرف، وتجّار قد

---

(١) إبراهيم السعافين، **تطوّر الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام**، ص ٣٧.

(٢) الشدياق، **الساق على الساق**، ص ١٤١.

(٣) الشدياق، م.ن، ص ٦٥.

(٤) عبد الله فكري: عبد الله باشا بن محمّد بن عبد الله الفكري، ولد سنة ١٨٣٤/١٢٥٠ في مكّة. له كتاب باسم **الآثار الفكريّة** وهو عبارة عن أعمال مجموعة من الشعر، والرسائل، والمقامات والخطب. وتوفّي بالقاهرة سنة ١٣٠٧/ ١٨٩٠. بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج ١٠، ص ١٧.

رزق سعة في الغنى، وجنى ثمرات المنى، وكان حسن المعاملة، كثير المجاملة، سليم الفؤاد، حلو الوداد، فطار صيته في الأقطار، وصار في جميع الأمصار..." (١).

يتّضح من هذه البداية وأحداث المقامة، أنّها ليست مقامة، لأنّها لم تنطلق من بدايات شبيهة بالمقامات، كما عرفنا ذلك من خلال مقامات القدماء، والمؤلّف لم يلتزم بعناصر المقامة خاصّة من حيث الأسلوب، والاعتماد على الصنعة اللفظيّة؛ بل هي نوع من القصّة القصيرة في الأدب العربي الحديث.

أمّا المقامة الثانية: في العمّال والبطّال(٢)، فهي تدور حول اثنين أحدهما يدعى العمّال والآخر البطّال. بُنيت المقامة على أسلوب المناظرة.

وأمّا المقامة الثالثة: في الفكريّة في المملكة الباطنيّة(٣)، فهي رحلة خياليّة تشبه السياحة الفلسفيّة لاستكشاف المعرفة الحقيقيّة.

"فتظهر أهميّة عبد الله فكري باشا في صياغته للقصّة على شكل مقامة ممّا دلّ على أنّ المقامة القديمة في إطارها كانت صالحة للقصّة الحديثة"(٤).

*   *   *

من خلال ما تقدّم اتّضحت لنا الأمور الآتية:

– كانت غاية أحمد البربير أخلاقيّة.

– كانت غاية ناصيف اليازجي لغويّة تعليميّة. وقلّد الحَريري أسلوباً وموضوعاً، ولكنّه لم يصل مكانة الحَريري الأدبيّة، لأنّه نقل من المعاجم والكتب الأدبيّة مهجورها ووحشيّها، ولذلك لم يقلّدها المحدثون.

– كانت غاية محمّد المويلحي النقد الاجتماعي. وأكمل محاولات كتبة المقامات القدماء، وجدّد فنّ المقامة، ولكنّه احتفظ بأركانه الأصليّة. وسار على نهج بديع الزمان الهمذاني والحَريري، لأنّه استعار شخصيّة عيسى بن هشام من بديع الزمان الهمذاني، وتأثّر بالحَريري من حيث المقدّمة. كما يشبه بطل مقاماته بطل **مقامات** الهمذاني والحَريري من حيث صنعة الاحتيال.

– كانت غاية أحمد فارس الشدياق اختبار قريحته. وتأثّر ببديع الزمان الهمذاني والحَريري من حيث بناء المقامة، إلاّ أنّه لم يلتزم شكل المقامة التزاماً تامّاً.

---

(١) فكري باشا، **الآثار الفكريّة**، "المقامة الأولى: في حسن الوفاء"، ص ٣٠٣.

(٢) فكري باشا، م.ن، "المقامة الثانية: في العمّال والبطّال"، ص ٣١٠.

(٣) فكري باشا، م.ن، "المقامة الثالثة: في الفكريّة في المملكة الباطنيّة"، ص ٢٨١.

(٤) محمّد رُشدي حسن، **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**، ص ٧٣.

- وأمّا عبد الله فكري فهو لم يلتزم بعناصر المقامة، لا سيّما الأسلوب، وفي الحقيقة كتاباته المعروفة بالمقامات تعدّ نوعاً من القصّة القصيرة.

ثانياً- المقامة في الأدب الفارسي حتّى العصر الحديث (القرن الثالث عَشَر / التاسع عَشَر – القرن الرابع عَشَر/ العِشرين)

نتحدّث في هذا المبحث عن أشهر كتّاب المقامات الفارسيّة عند الأدباء الفرس في العصر الحديث، وعن سمات مقاماتهم. رتّبنا أسماءهم حسب تسلسل وفياتهم هم: قاآني، عبد الرزّاق دَنْبُلي، فاضل خان كروسي، أديب الممالك فراهاني.

أ- عبد الرزّاق دَنْبُلي[١] (١٨٢٧/١٢٤٣)

"يعدّ عبد الرزّاق دنبلي من كبار الأدباء الفرس في النثر والنظم، وقد ألّف في مدّة إقامته في مدينة شيراز كتاباً باسم **حدائق الجنان**. وموضوعه تاريخي، وتحدّث عن مصيره، وترجمة علماء عصره؛ وذكر أهمّ الحوادث الواقعة في عهد السلاطين القاجاريين الأُول، وأنسابهم؛ ثمّ غيّر اسم الكتاب وسمّاه **تجربة الأحرار وتسلية الأبرار**. يعدّ من أحسن الكتب في القرن الثاني عشر الهجريّ، لأنّه يحتوي جميع المحاسن الفنيّة، والصنائع البديعيّة على نحو المقامات. وقد اقتفى طريق **گلستان** وطريق الأدباء القدماء"[٢].

ومن أهمّ سمات كتابه هو: مَزَجَ بين النظم والنثر، وقلّد سعدى من حيث السبك، وذكر حكايات في مطاوي التاريخ، ولا نجد في هذا الكتاب لا مقدّمة ولا خاتمة، وأورد الآيات القرآنيّة والأمثال والأشعار والعبارات العربيّة، ونثره حافل بالصنعة البديعيّة كالمقامات، ونثره قريب من **مقامات** الحَميدي أسلوباً.

إنّ عبد الرزاق دَنْبُلي ليس من كتّاب المقامات وفاقاً لخصائص هذا الفنّ المتعارَف عليها، بل تأثّرت كتابته وسبكه بسبكهم، وقلّد فنّ المقامة إنشاءً، كما أنّ الحكايات الواردة في كتابه شبيهة بالمقامات، لا سيّما **مقامات** الحَميدي.

نذكر نموذجاً من **حكايات حدائق الجنان**: "يكى از معارف اصفهان از عوارف بيكران او حكايت كرد، كه چون طايفه افغان بدار السلطنه اصفهان غالب شد، وسلوت ازقلوب ساكنان آن خطّه

---

[١] عبد الرزاق دنبلي: عبد الرزاق بيك ابن نجفقلي خان ولد سنة ١٧٦٢/١١٧٦ في مدينة خوي في أذربيجان. كان أديباً وخطّاطاً وخطيباً وعالماً. وكتب تاريخ القجر في كتاب باسم **مآثر خاقاني**. وتوفي سنة ١٢٤٣/ ١٨٢٧. هدايت، **مجمع الفصحاء**، مج ٢، ص ٤٨٣؛ ملك الشعراء بهار، **سبَك شِناسى**، مج ٣، ص ٣١٣.

[٢] ملك الشعراء بهار، م.ن، مج ٣، ص ٣١٣ – ٣١٤.

سالب، جمعی از خوف نواصب ببلاد بعیده هارب وبرخی ازتیغ بیدریغ آن از زمره احیاء غرب گردید. یکی از افاغنه مرا از نسوان وبنات وبنین اسیر کرده بود، ومرا آه شبگیربه چرخ اثیر پیوسته... چندانکه او را الحاح و زاری وعجز وسوگواری کردم وخواندم: أوتيت ملكاً لترعانا فتأكلنا أكل الذئاب. أ ذئب أنت أم راعي؟.. هرچه به وی گفتم... گوش استماع بناله عجز آمیزم نداد.. پس از غایت ضجرت درون وغلبه اندوهِ دلِ پرخون. برمظلومی خود می نگریستم، وبربیچا رگی خود وحالت صعب می گریستم..."[1].

ترجمة الشاهد

حكى أحد الأصفهانيين، أنّ طائفة من الأفغان هجموا على دار السلطنة في مدينة أصفهان، وسلبوا الهدوء، والسلوة والسكينة من قلوب الناس في تلك المنطقة؛ فهرب جمع غفير من الناس خوفاً منهم إلى بلاد بعيدة، وبعض آخر هرب إلى غرب المنطقة وسكن هناك. فأسر أحد الأفغان زوجتي وأولادي، فكنت أبكي ليلاً ونهاراً. فكلّما أصررتُ، وبكيتُ وقلت: أوتيت ملكاً لترعانا فتأكلنا أكل الذئاب. أ ذئبٌ أنت أم راعي؟ توسّلت إليه، ولكنّه لم يدر بالاً لعجزي وبكائي... فمن شدّة القهر والغضب والغم، نظرت إلى مظلوميّتي، وبكيت على حالي المهموم ومسكنتي. ثمّ ذهب هذا الرجل وتوسّل إلى نادرشاه، وطلب منه أن ينتقم من الأفغان، وتعاد إليه زوجته وأولاده. حتّى احمرّ سيف نادر شاه بدم الظالمين في الحرب ضدّهم، وانتصر، وأمر الجلاّد بقطع رأس الرجل الّذي خطف أهل الرجل الأصفهاني. ثمّ سافر الرجل مع أهله إلى أصفهان.

واللافت للنظر أنّ عبد الرّزاق دُنبُلي استعمل الكلمات العربيّة، والأشعار العربيّة كثيراً.

ب- قا آني[2] (القرن الثالث عشَر الهجري / التاسع عشر الميلادي)

ألّف قاآني كتاباً على طريقة فنّ المقامة، وسمّاه **پريشان** بمعنى مضطرب، وكلّه حصيلة أفكاره وطبعه وذوقه كما نرى ذلك عند الحَريري؛ ولم يقتبس من الآخرين إلاّ نادراً. وهو خير من قلّد سعدي أسلوباً وسبكاً.

---

(١) عبد الرزاق دنبلی، **حدائق الجنان**، ص ٥١.

(٢) قا آني: ميرزا حبيب الله قا آني الشيرازي ابن ميرزا محمّد علي گلشن، ولد سنة ١٨٠٧/١٢٢٢ في مدينة شيراز في زمن حكومة فتحليشاه. سافر إلى خراسان في عنفوان شبابه، واكتسب العلم والأدب هناك، وبدأ بإنشاد الشعر، وتخلّص باسم حبيب. واشتهر شيئاً فشيئاً ومدح الملوك وأبناء الملوك القجريّة. ثمّ جاء إلى طهران واشتهر أكثر فأكثر. وكما قيل هو أوّل شاعر إيراني تعلّم اللغة الفرنسيّة. له **ديوان شعر** وكتاب منثور باسم **پريشان**. توفّي سنة ١٢٧٠/١٨٥٣. هدايت، **مجمع الفصحا**، مج٢، ص ٤٠٢؛ دهخدا، **لغت نامه**، مج ٣٦، ص ٢ – ٣.

سمات پريشان

- يتضمّــن حكايــات قصيرة وطويلة مليئة بالآداب والنصائح والمواعظ والنكت وغير ذلك.

- كتب مقدّمــة على طريقة مقدّمة **گلستان** سعدي، واستعمل عبارات شبيهة بعبارات سعدي.

- قلّد الحَريري والحَميدي في مقدّمته، وأشار إلى سبب تأليف كتابه، وقال إنّه وضع **پريشان** طلباً لأحد أصدقائه لمّا اعتزل عن الناس، ووعد نفسه ألا يتكلّم ولا يكتب شيئاً. حتّى طلب صديق عزيز منه أن يكتب كتاباً، ويحتذي فيه حذو **گلستان**. فلبّى هذا الطلب. واستلهم اسم الكتاب من شَعره المشوّش، وسمّاه **پريشان**.

- وفي خاتمة المقدّمة يمدح محمد شاه القاجار، أحد الملوك في عهد القاجاريين.

- مزج قاآني النظم والنثر معاً بمهارة تامّة، وكلّها حصيلة ذوقه وأفكاره كما فعل الحريري.

- أنشد الأشعار في غاية الجمال، والسلاسة، كما أنّه أنشد قصائد طويلة متضمّنة المحسّنات اللفظيّة والعبارات المسجّعة والجناس.

- سبك الكتاب وأسلوبه قريبان من **مقامات** الحَميدي كثيراً، بسبب اعتماد السجع، والجناس والمحسّنات البديعيّة.

وجـوه الاختــلاف بيــن **پريشان و گلستان**، هي:

- أنّ كتاب **پريشان** ليس مبوّباً ولا مرتّباً، وأهمل قاآني ترتيب كتابه، ويتناسب هذا مع اسم الكتاب أي **پريشان** بمعنى مضطرب.

- اعتمد قاآني الصناعة اللفظيّة بمهارة خاصّة، والكتاب مملوء بالمفردات الصعبة. غير أنّ نثر **گلستان** معتدل وبعيد عن التعقيدات اللفظيّة.

- النصوص العرفانيّة في كتاب **پريشان** أقلّ من النصوص العرفانيّة في كتاب **گلستان**. فهذا الأمر يرجع إلى عصر المؤلّف.

- أكثر قاآني في استعمال العبارات القبيحة والركيكة، والهزل في كتابه، وتجاوز عن الحَريري أيضاً.

- ووجوه الشبه بينهما هي:

- يشبه كتاب **پريشان** كتاب **گلستان** كثيراً، حيث إنّ القارئ يظنّ أنّه يقرأ **گلستان**. لأنّ أسلوب قاآني في كتابة الإنشاء قريب من أسلوب سعدي.

- بطل مقامات قاآني هو نفسه، كما فعل سعدي ذلك.

- قلد قاآني سعدي في الموضوعات الفكاهيّة والعرفانيّة والتاريخيّة والأدبيّة والمناظرة والاستجداء.

التزم قاآني بالعناصر الأساسيّة للمقامات منها: الشخصيّات والكدية والسجع؛ لذلك يعدّ كتابه مقامات. نذكر نموذجاً من كتابه **پريشان**، وهو مقامة موضوعها فكاهي وحول الكدية: "گدائى بر در خانه منعمى رفت چندانكه رشته طمع پيچ داد، هيچش ندادند، اگر پاره نانى سؤال كرد، سقطش گفتند كه به دكّه خبّاز شو! اگرمشتى برنج طلب نمود، برآشفتند كه به دكّان رزّاز رو. اگرلختى گوشت خام خواست لعنتش كردندكه اينجا مسلخ نيست، واگر برخى طعام پخته طلبيد، طعنش زدند كه اين سرا مطبخ نيست... آورده اند كه چون بيچاره مأيوس شد، بدرون خانه رفت، ودرگوشه اى دامن از عقب برانداخت وشكم خالى كرد. اهلِ خانه پيشش رفتند وريشش گرفتند... گفت: اى ظالمان! ازخدا شرم داريد. نه خود گفتيد كه درينجا هيچ نباشد؟ گفتند: چرا. گفت: پس اينجا ويرانه است نه خانه، ولا شك، ويرانه قابل ريستن است نه لايق زيستن..."[1].

ترجمة الشاهد

ذهب متسوّل إلى منزل رجلٍ ثريّ، وطمع كثيراً، ولكن أهله لم يعطوه شيئاً، فإذا كان يطلب قطعة خبز كانوا يشتمونه، ويقولون له: اذهب إلى الفرن! وإذا كان يطلب قليلاً من الرز، كانوا يغضبون عليه، ويقولون له اذهب إلى السمانة. وإذا كان يطلب قطعة لحم غير مطبوخ، لعنوه، وكانوا يقولون له هنا ليس مسلخاً، ولو طلب طعاماً مطبوخاً، طعنوه، إنّ هذا البيت ليس مطبخاً... وزعموا: أنّ المتسوّل المسكين، لمّا يئس، دخل المنزل وجلس في زاوية وبطنه خال. فذهب إليه أهل المنزل واستهزؤوا به... فقال: أيّها الظالمون! اخشوا الله. أما قلتم: لا يوجد شيء في المنزل؟ قالوا: نعم. قال: فهنا ليس منزلاً، هنا خرابة، ولا شكّ في أنّ الخرابة ليست صالحةً للحياة والسكن بل صالحةً للبكاء...

ج- فاضل خان كروسي[2] (١٢٥٣/١٨٣٧)

هو من الأدباء والكتّاب المشهورين في عهد فتحعليشاه القاجار. وقد تبع عبد الرزاق دنبلي أسلوباً. وقد وجدت منه رسالة في كتاب **سبك شناسي**. تعدّ هذه الرسالة مقامة من حيث الأسلوب والموضوع؛ والرسالة من أوّلها إلى آخرها وصف. ومزخرف بالمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة. وكتبها

---

(١) قاآنى، **پريشان**، ص ٢١.

(٢) فاضل خان كروسي: اسمه محمد، ولقبه فاضل، وأصله من طائفة بايندري تركمان، وتخلّصه راوي ومسقط رأسه گروس في همذان. ولد سنة ١١٩٨/ ١٧٨٣. هاجر إلى العراق والبلاد الأخرى واكتسب العلم، ثمّ رجع إلى طهران. وله رسائل ومكتوبات في نهاية البلاغة. وتوفّي سنة ١٢٥٣/ ١٨٣٧. هدايت، **مجمع الفصحا**، مج ٤، ص ٣١٩.

لأحد الملوك القاجاريين وهو كريم خان زند، وبعد الحمد والمدح يكتب: "دراوايل دولت كريم خان زند كه عالم همه بازار شكر وقند بود دختری، خوش منظری، سيمين بری، عشوه گری، سحّاره ای، مكّاره ای، غدّاره ای... ازشيراز به همدان آمده، وآتش خرمن پيروجوان شده... زاهدان را گرفتار بندخود، وعارفان را مگس قند وبسته كمند نمود. هزار تاجر را با خود فاجر كرد... خلاصه، پنجاه سال، در بلده وبلوك، ازآزاد ومملوك، ازحاكم ومحكوم، ازامام ومأموم، بخرج بذره هاگرفت... تا دكّانها رابسته كرد وطلبكاران را خسته، پس از سفيدی موی... بزيارت رفته، بسلامت آمده، طيّب وطاهر گشته وكربلائی ننه طيّبه شده وهم اكنون، درجنب مسجد جامع خانه ای گرفته... وبنماز پنچگانه، دردنبال امام است..."[١].

ترجمة الشاهد

في أوائل حكومة كريم خان زند، كان العالَمُ سُوقَ السُّكَرِ، وكانت فتاة جميلة، وسيمة، ساحرة، مكّارة... جاءت من شيراز إلى همدان، وكان الرجال يحبّونها كلّهم فِتيةً وعجائز فأحرقت بيادر الشيب والشبان... وأسرت الزهاد، والعرفاء، والتجّار، وجعلتهم من الفاسقين الفجّار... وخلاصة القول هو: أنّها حوالي خمسين سنة تمشي في المدن والأحياء المختلفة وتستدين من الحاكم والمحكوم، والحرّ والعبد، والإمام والمأموم... حتّى أغلقت الدكاكين وأتعبت الدائنين. فلمّا شاخت وأصبحت امرأة عجوزاً سافرت إلى كربلاء ورجعت بالسلامة، وأصبحت طاهرة طيّبة، وخاطبها الناس "السّيدة الكربلائيّة". والآن اشترت بيتاً جنب المسجد، وتسكن هناك... وتصلّي وراء إمام المسجد...

والجدير بالذكر أنّني لم أحصل على كتاب فاضل خان كروسي المسمّى **بالمقامات**، رغم جهدي الكثير الّذي بذلته، إذاً، لا أقدر أن أبدي رأيي من مدى قدراته الفنّيّة واللغويّة في **مقاماته**، وكذلك أسلوبه الأدبي، كما أنّني غير قادرة أن أقوم بالمقارنة بينه وبين كتّاب المقامات الآخرين في الأدب الفارسي. فلذلك اكتفيت بذكر قسم من الرسالة المذكورة، وفاءً لهذا الأديب المعروف وللأدباء الّذين يعتبرونه من كتّاب المقامات.

د- أديب الممالك فراهاني[٢] (١٩١٧/١٣٣٦)

---

(١) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسي**، مج ٣، ص ٣٣٥ - ٣٣٨.

(٢) أديب الممالك فراهاني: محمّد صادق بن ميرزا حسين الملقّب بأديب الممالك، ولد سنة ١٢٧٧/ ١٨٦٠. تعلّم العلوم والأدب عند كبار الأساتذة، كان شاعراً، لقّب بأمير الشعراء. وكان أستاذاً بارعاً في الخطابة، ومسيطراً على تواريخ العرب والعجم، واللّغات المختلفة، ولا سيّما اللغة العربيّة والفارسية. له **ديوان شعر** يحتوي على اثنين وعشرين ألف بيت، كان صاحب جريدة الأدب، ومسؤول جريدة مجلس في طهران. توفّي سنة ١٣٣٦ / ١٩١٧. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٥، ص ١٥٨٥.

"ومن الّذين عملوا مقامات باللغة الفارِسية أيضاً الصحافي أديب الممالــك"[1]، إلاّ أنّ مقاماتــه مفقودة. ويعتبر آخر كتّاب المقامات في الأدب الفارِسي.

والجدير بالذكر أنّ الأدباء الفرس ألّفوا كتباً عديدة تحت عنوان مقامة في الأدب الفارِسي مِن دون أن يظهر فيها أيّ ملمح من ملامح هذا الفنّ، وأكثرها لم يتبع أسلوب **مقامات** الحَميدي. وقد أطلق اسم المقامة على المواقف الصوفيّة، وكتاباتهم ترتبط بالمسائل العرفانيّة والصوفيّة، ومن حيث أسلوب الكتابة لا تشبه المقامات العربيّة، منهم خواجة عبد الله الأنصاري[2]، وكلباسي[3] صاحب مقامات العارفين، لهما مقامات الصوفية.

محصلّة القول أنّنا لم نعثر في الأدب الفارِسي على كتاب قد أُلفّ على نمط مقامات الحَميدي قط، كما أنّنا لم نجد كاتباً قلّد الحَميدي، إلاّ من حيث الأسلوب. فبعض الكتّاب والأدباء الفرس من عهد الحَميدي إلى العصر الحديث اعتنوا بتأليف كتب تعني بالصناعة اللفظيّة، واستعمال البديع، والمزج بين الشعر والنثر على طريقة المقامات، وذلك تقليداً أو معارضة لكتاب **گلستان**.

* * *

لقد اتّضحت لنا من خلال حديثنا عن أشهر كتّاب المقامات في الأدب العربي في العصر الحديث، الأمور التالية:

– لم تستغنِ المقامات في العصر الحديث عن بعض الخصائص الرئيسة المتعلّقة بمعظم المقامات. فكتّاب المقامات المحدَثين ككتّاب المقامات القدماء احتفظوا ببعض العناصر الرئيسة كالراوية والبطل والسجع والمحسّنات البديعيّة.

فقد قلّد هؤلاء الكتّاب المعاصرون **مقامات** الهمذاني والحريري، وقد ألزموا أنفسهم بذكر الراوية والبطل، واختاروا أيضاً اسماً لراوي مقاماتهم شبيهاً وقريباً لراوي **مقامات** الهمذاني والحريري – كما ألزم بهذا الأمر كتّاب المقامات العربيّة حتّى نهاية القرن الثاني عَشَر / الثامن عَشَر – فعلى سبيل المثال: الراوي عند ناصيف اليازجي سهيل بن عبّاد، وعند أحمد فارس الشدياق الهارس بن

---

(١) عمر فرّوخ، **الرسائل والمقامات**، ص ٧٥.

(٢) خواجه عبد الله الأنصاري: هو من أحفاد أبي أيوب الأنصاري الصحابي، ولد سنة ٣٩٧/ ١٠٠٦ في مصر. وهو كان ابن أربع سنين وكان ينشد الشعر. هو صاحب رسالة المناجاة الفارِسية. وتوفّي سنة ٤٨١/ ١٠٨٨. الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٥، ص ١١٥ – ١١٦.

(٣) كلباسي: أبو المعالي، ابن محمّد إبراهيم بن محمّد حسن الخراساني، من علماء عصره، وصاحب كتاب **ريحانة الأدب**. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٣٨، ص ٧٥.

هشام، وعند المويلحي عيسى بن هشام. وأمّا البطل عند ناصيف اليازجي فهو ميمون بن خزام، وعند أحمد فارس الشدياق الفارياق، وعند المويلحي أحمد الباشا المنيكلي.

- وأمّا بالنسبة إلى السجع والمحسّنات البديعيّة، فنحن أنّ كتّاب المقامات في العصر الحديث التزموا بالسجع والمحسنات البديعية أيضاً، إلاّ أننا نجد بعضهم تخلّى عن هذا التكلّف، ولم يتقيّد بقيود السجع والبديع كالمويلحي.

- وأمّا موضوع مقامات الكتّاب المحدثين، فهو يخضع لعصر هؤلاء الكتّاب، وأفكارهم. فلذلك نجد أحياناً موضوعاً خياليّاً في مقامات البربير، وعبد الله فكري باشا.

وكذلك درسنا في هذا الفصل، المقامة في الأدب الفارسي في العصر الحديث، وتعرّفنا إلى أشهر كتّاب المقامات الفارسيّة، وحصلنا على النتائج التالية:

- قلّد قاآني أسلوب سعدي الشيرازي، وقيل لم يقلّد أحد سعدي الشيرازي كما فعل قاآني. وأسلوبه قريب من **مقامات** الحميدي، لأنّه اعتمد السجع والجناس والمحسّنات البديعيّة كثيراً. والتزم بالعناصر الأساسيّة للمقامات أي الشخصيّات وموضوع الكدية والسجع والمحسّنات البديعيّة. فلذلك يعدّ كتابه مقامات.

- قد اقتفى عبد الرزّاق دَنبُلي أسلوب **گلستان** سعدي الشيرازي. ونثره قريب من **مقامات** الحميدي أسلوباً.

- قد تبع فاضل خان كروسي أسلوب عبد الرزّاق دَنبُلي.

- ويعتبر أديب الممالك فراهاني آخر كتّاب المقامات في الأدب الفارسي، ومقاماته مفقودة.

تعقيب

انتشار فنّ المقامة في الأدب العربي وانحساره في الأدب الفارسي

بعد دراستنا المقامة وتطوّرها منذ ظهورها حتّى العصر الحديث في الأدبَين العربي والفارسي في الفصول الماضيّة، يلفت النظر أنّ المقامة انتشرت في الأدب العربي ولكنّها انحسرت في الأدب الفارسي. فللكشف عنّ سرّ انتشار المقامة في الأدب العربي وانحسارها في الأدب الفارسي، خصّصنا بحثاً للحديث عن هذه الأسباب، فسمّيناه التعقيب. فقد قسّمناه إلى مبحثين؛ المبحث الأول: دواعي انتشار المقامة في الأدب العربي، والمبحث الثاني: دواعي انحسار المقامة في الأدب الفارسي.

أوّلاً- دواعي انتشار المقامة في الأدب العربي

لمّا ظهر فنّ المقامة، في العصر العبّاسي عظم شأن هذا الفنّ، وأصبح مادّة أدبيّة غزيرة لقي كثيراً من الرواج في العصر العبّاسي وما بعده، لأنّه امتاز بأسلوبه المسجّع وإغراقه في الصناعة اللفظيّة، والمحسّنات البلاغيّة، وكثرة الزخارف. فاهتّم الكتّاب بكتابة المقامات، إمّا لقصد التعليم إمّا لإظهار قدراتهم الفنيّة، وغير ذلك. وأقبل الناس على قراءتها أيضاً.

واتّسع فنّ القصص والمقامات في العصر العبّاسي وعبّر عن اتّساعه بأساليب متنوّعة، وأغراض مختلفة،نحو: النصح والموعظة، أو إبراز مقدرة فنّيّة، أو لتسلية جمهور الناس. وربّما كان الأدباء يقصدون بهذه القصص والمقامات السرد، كما نلاحظ ذلك في **أحاديث** ابن دريد.

فبدأ فنّ المقامة في الانتشار في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وكثر المقلّدون لهذا اللون من الأدب. وقد عرف الأندلسيون فنّ المقامة، واطّلعوا على هذا الفنّ الأدبي، ثمّ رحلوا إلى بغداد وأقاموا فيها، وعادوا إلى بلدهم ونشروا هذه المقامات. فلقيت قبولاً من طرف الأدباء والكتّاب شرقاً وغرباً، ونالت حظّها من التقليد والمعارضة، والشرح، والنقد، والتعليق، والتدريس في المدارس والقراءة، ونسجت على منوالها مقامات مشهورة كما ذكرناها في الفصل السابق.

وقد تبوّأ فنّ المقامة مكانة مهمّة في النثر العربي، مع الاعتراف مسبقاً أنّ العرب لم يهتمّوا بفنّ أدبيّ كعنايتهم بالشعر، ولذلك ظلّ متقدّماً على النثر في الوجدان العربي، لارتباط الشعر العربي بالغناء، ولأنّه ديوان العرب عبر التاريخ وحافظ شخصيتّهم، حيث يجد القرّاء ومع ذلك وجد الباحثون في فنّ المقامة صوراً عن حياتهم الاجتماعيّة، والفكريّة والأدبيّة.

وفي الحقيقة مسيرة فنّ المقامة الطويلة الّتي نيّفت على ألف عام، وكثرة كتّاب المقامات، وانتشارها منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتّى العصر الحديث تدلّ على أهميّة هذا الفنّ، وخطورته في الأدب العربي.

كما أنّ إقبال الطلاّب على حفظ المقامات، والعلماء على قراءتها، وانكباب الأدباء على كتابتها وتدارسها لم يقتصر على البلاد العربيّة، إنّما تعدّى إلى بلاد أخرى.

ومن أهمّ أسباب انتشار فنّ المقامة في المشرق والمغرب، وفي البلاد الأوروبيّة:

أ- الإعجاب بالمقامات (الناحية الجماليّة)

ب- التقليد والمعارضة

ج- إظهار القدرات اللغويّة

د- الجانب التعليمي

هـ- جانب التسلية

أ- الإعجاب بالمقامات (الناحية الجماليّة)

لمّا ذاع صيت بديع الزمان الهمذاني و**مقاماته**، وازداد السجع في الكتابة رغم أنّ السجع كان موجوداً قبل عند الكهّان في الجاهليّة، والقرآن يعتمد كثيراً على السجع وخُصوصاً في السور المكيّة، حاول الأدباء والكتّاب الأندلسيون أن يساهموا في تأليف المقامات، وحاكوا أهل المشرق، وامتلأت كتاباتهم بأنواع البديع. وقد شغف أهل الأندلس بفنّ المقامات، وأعجبوا بها، فألّفوا مقامات على نهج بديع الزمان الهمذاني، ونشروها في بلادهم، بعد أن أضافوا إليها بعض التغييرات، وأخرجوها عن جمود قوالب المشرق العربي، وحرّروها من حذلقة اللغويّين، وأصبحت المقامة عندهم قصصيّة الطابع.

ولم يرسخ كتاب **مقامات** الحَريري في أرض معيّنة. ولقد عرفه الشرق والغرب، إذ لم يكن متعلّقاً بأرض خاصّة. ونقلت أشعّتها النيّرة من المشرق إلى المغرب. "ولا نجد كثيراً من المؤلّفات الّتي مارست تأثيراً أدبيّاًبمثل سعة تأثير **مقامات** الحَريري... كانت هي نموذج عشّاق الأدب والأسلوب الرفيع عندكلّ الشعوب الّتي تقبّلت الإسلام ومعه لغة محمّد رسول الله"(1).

أعطى الحَريري فنّ المقامة شهرة واسعة، لأنّه تجلّى فيه أدبه الفنّي، وإبداعه اللغوي؛ وقد أعجب الناس بمقامات الحَريري إعجاباً شديداً بما صنع، فحاكاه كثير من العرب وغير العرب بعدد المقامات وطريقة صنعها وأسلوبها. فترجموا مقاماته إلى عدّة لغات، وشرحها عشرات الأدباء، وكتبوا عليها الحواشي، كما عُني بها الرسّامون، ورسموها، ونالت اهتماماً واسعاً عند أدباء العرب كغيرهم في الشرق.

ولا شكّ في أنّ نصّ الحَريري في مقاماته ليس سهل المنال على العموم، هو بحاجة إلى الشرح، لأنّه من إنتاج القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكلّنا يعرف أن لغة الأدب في ذلك العصر كانت عتيقة ومتحجّرة غامضة، تبتعد عن لغة حياتنا اليوميّ. ومن ثمّ تأتي ضرورة

---

(1) E, Renan, *Les Se'ances de Hariri,* p. 297 – 298.

الشارح الّذي جعل النص بشرحه في متناول الناس. وأوّل شارح للمقامات الحَريرية كان الحَريري نفسه، ويحمل الكتاب أثراً من ذلك: ثماني مقامات مفسّرةً سواء في صلب النصّ كالمقامة الثانية والثلاثين: الطيبيّة[١]، والمقامة الرابعة والأربعين: الشتويّة[٢]، أو في صورة ملحق بالنصّ كالمقامات التاسعة عشرة: النصيبيّة[٣]، والرابعة والعشرين: النحويّة[٤]، والسابعة والعشرين: الوبريّة[٥]، والسادسة والثلاثين: الملطيّة[٦]، والأربعين: التبريزيّة[٧]، والرابعة والأربعين: الشتويّة[٨]، السابعة والأربعين: الحجريّة[٩]. يتناول الشرحُ الغريبَ من الألفاظ، والأحاجيَ، والتوريات والأمثال، وأسماء الأعلام الّتي صارت أمثالاً وكنايات.

فلم تقف مسيرة فنّ المقامة عند مرحلة الإبداع، بل إنّها أثارت إعجاب الأدباء، وقد حظيت مقامات الحَريري باهتمام العلماء وعنايتهم، فأقبلوا على شرحها، لما زخرت به من الألفاظ والأمثال والأحاجي والألغاز والقضايا الفقهيّة والنحويّة والبلاغيّة.

وأمّا الأندلسيون فأعجبوا بمقامات الحَريري واهتمّوا بها اهتماماً كثيراً، وقاموا بشرحها. وأنتجوا الكثير من المقامات سواءً لمعارضة بديع الزمان الهمذاني أو للحريري. وقد ذكر صاحب كتاب **تاريخ الأدب الأندلسي** أسماء واحد وعشرين مقامياً أندلسياً[١٠].

كما أشرنا إلى أهمّ كتّاب المقامات الأندلسيين المنسوبين إلى عصر الطوائف والمرابطين، في الفصل الثاني، وهم: ابن شُهيد، وابن شَرَف القيرواني، والسَّرَقُسطي والوَهراني، وتعرّفنا إلى مقاماتهم باختصار.

وإذا أردنا أن نعرف مدى أهميّة **مقامات** الحَريري وعناية العلماء بها، يكفينا أن نرجع إلى كتاب **كشف الظنون** لحاجي خليفة، فنجد أنّه أحصى أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً لمقامات الحَريري،

---

(١) الحريري، **المقامات**، ص ٣٣٨ – ٣٥٦.

(٢) الحريري، م.ن، ص ٤٩٩ – ٥٠٧.

(٣) الحريري، م.ن، ص ١٩٢.

(٤) الحريري، م.ن، ص ٢٤٥ – ٢٤٨.

(٥) الحريري، م.ن، ص ٢٨٢ – ٢٨٥.

(٦) الحريري، م.ن، ص ٤٠٣ – ٤٠٥.

(٧) الحريري، م.ن، ص ٤٥٠ – ٤٥٢.

(٨) الحريري، م.ن، ص ٥١١ – ٥١٣.

(٩) الحريري، م.ن، ص ٥٥٦.

(١٠) لمزيد من التفصيل انظر: إحسان عبّاس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣٠٥ – ٣٠٧.

أهمّهم الشريشي، و المطرّزي[١]، والعُكبري[٢]. فكثرة الشرّاح (**لمقامات الحَريري**) تدلّنا على منزلة المقامات الحَريرية.

وهناك من كان يعجب **بمقامات** الحَريري، ويدرسها دراسة عميقة نحو: ابن الخشاب[٣]، وابن بَرّي[٤]. فقد ألّف ابن الخشاب رسالة سمّاها **الاعتراض على الحَريري في مقاماته**، وردّ عليه ابن بري برسالة مماثلة سمّاها **الانتصار للحريري**، وكتب عبد اللطيف البغدادي[٥] كتاباً باسم **الانتصاف بين ابن برّي وابن الخشاب في كلامهما على المقامات**. دارت حلقة التأليف حول مقامات الحَريري، وأصبحت النموذج الّذي يحتذى فيما بعد.

وبلغ من اتّساع انتشار المقامات وعناية الكتّاب بها أن أحصى بعض الباحثين عدد الّذين مارسوا تأليفها، فوجدهم تجاوزوا الثمانين مؤلّفاً بدءاً من بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وانتهاءً بناصيف اليازجي في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[٦].

---

(١) المطرّزي: ناصر بن عبد السيّد بن علي، أبو الفتح المطرّزي، الأديب الخوارزمي؛ من أعيان مشايخ خوارزم في علم الأدب. ولد سنة ٥٣٨ /١١٤٣. وصنّف شرحاً للمقامات الحَريرية، وكتاب **المعرب**، و **الإقناع** وغير ذلك. ووفاته سنة ٦١٠/ ١٢١٣. الكتبي، **فوات الوفيات**، مج ٤، ص ١٨٢ – ١٨٣.

(٢) العُكبري: أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين، العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار، الفقيه الحنبلي، النحوي الضرير. ولد سنة ٥٣٨/ ١١٤٣. أخذ النحو عن أبي محمّد ابن الخشاب، ومن مشايخ عصره ببغداد، وصنّف في النحو مصنّفات مفيدة، وشرح كتاب **الإيضاح**، و **ديوان المتنبّي**، و **المقامات الحَريرية** وغير ذلك. وتوفّي ٦١٦/١٢١٩ ببغداد. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٣، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٣) ابن الخشاب: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب، أبو محمّد المعروف بابن الخشاب النحوي اللغوي، حجّة العرب، ولد سنة ٤٩٢/ ١٠٩٨. برع في فنون العلوم وانفرد بعلم النحو والعربيّة، حتّى فاق أهل عصره. توفّي سنة ٥٦٧/ ١١٧١. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٦، ص ٦٥؛ ابن خلّكان، **م.ن**، مج ٣، ص ١٠٢ – ١٠٤.

(٤) ابن بَرّي: عبد الله بن برّي بن عبد الجبّار بن برّي المقدسي الأصل، المصري، الشافعي، نحوي، لغوي. ولد بمصر في سنة ٤٩٩/ ١١٠٦، وبها نشأ، وقرأ الأدب، وانتفع به صورّ كثير. من تصانيفه: **حواش على درّة الغواص في أوهام الخواصّ للحريري** ... و ردّ على ابن الخشاب في استدراكه على الحَريري. وله شعر. كحالة، **معجم المؤلّفين**، مج ٢، ص ٢٣١ – ٢٣٢.

(٥) البغدادي: موفّق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، المتوفّى سنة ٦٢٩/١٢٣١. حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ١، ص ١٧٤.

(٦) على سبيل المثال أنظر: فيكتور الكك، **بديعيّات الزمان**، ص ١٢٩ – ١٣٧.

ولم تنحصر شهرة المقامات عامّة، و**مقامات** الحَريري خاصّة في العالم العربي، بل تعدّته إلى أمم أخرى فترجمت إلى العبريّة والسريانيّة. فدخل فنّ المقامة اللغة العبريّة بفضل اليهودي الرّباني يهود ابن شلومو الحريزي[١] الّذي ترجم **مقامات** الحَريري إلى العبريّة. وقلّده، و "أنشأ على نمطها خمسين مقامة أيضاً وسمّاها **سفر تحكموني**، أو **تحكيموني**، أي كتاب الحكمة، وضمّنها كثيراً من التوراة"[٢].

"وقد نظم أسقف نصيبين عبد يشوع[٣] خمسين قصيدة، قلّد فيها الحَريري في الصناعة اللفظيّة"[٤]، و "ضمّنها جملة من العظات والأخلاق، في لغة مثقلة بالزخارف والتهاويل"[٥].

"نُضيف إلى مجد الحَريري أنّ **مقاماته** المترجمة قافية بقافية وتورية بتورية من قبل شاعر من أشهر شعراء ألمانيا، فردريك ريكرت، تُقرأ باهتمام واحتفاء في الضفة الأخرى لنهر الراين"[٦]. هكذا اعتنى المستشرقون منذ وقت مبكر بفنّ المقامة وتنبّهوا إلى أهميّة هذا الفنّ، وقاموا بترجمة المقامات إلى اللغات الأوربيّة، كالإنجليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة.

وأغرى الحَريري كذلك رسّامي المنمنمات، "وقد حظيت مقامات الحَريري بعناية الرسّامين الإسلاميين في العصور الوسطى، إذ يتّضح من النسخ المزوّقة بالتصاوير الّتي وصلتنا منها أنّها كانت أكثر الكتب العربيّة تزويقا وتوضيحاً بالصور، وقد بلغ عدد النسخ المعروفة منها أكثر من عشر نسخ"[٧]. وأعجبتْ الرسّامين المقامات الحَريرية بصفة خاصّة، ونجحوا في ترجمة لغة المقامات إلى تصاوير لا تقلّ في مستواها الفنّي عن قيمتها الأدبيّة، كما فهموا طبيعة المقامات ووضّحوها بأسلوب يتّفق مع أسلوبها اللغوي تماماً.

و"ينسب إلى القاهرة مجموعة من نسخ المقامات المزوّقة بالتصاوير"[٨]، كما أنّ رسّامي العراق قد اهتمّوا بأن تكون منمنماتهم صوراً للمقامات وبيئة كتّاب المقامات، فقاموا بتصوير ورسم المقامات.

---

(١) يهود ابن شلومو الحريزي: هو شاعر عبري عاش في الأندلس، في النصف الأوّل من القرن الثالث عشر، بدأ حياته الأدبيّة بأن نقل مقامات الحَريري من العربيّة إلى العبريّة. عمر فرّوخ، **الرسائل والمقامات**، ص ٧٤ – ٧٥.

(٢) زكي مبارك، **النثر الفنّي**، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٣) نصيبين عبد يشوع: توفّي سنة ٧١٨/ ١٣١٨. عمر فرّوخ، **م.س**، ص ٧٥؛ زكي مبارك، **م.ن**، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٤) عمر فرّوخ، **م.س**، ص ٧٥.

(٥) زكي مبارك، **م.س**، ج ٢، ص ٢٤٩.

(6) E. Renan, *Les se'ances de Hariri*, p. 300.

(7) H, Buchthal, *Early Islamic Miniatures From Baghdad*, p. 5.

(8) R. Ettinghausen, *Arab Painting*, pp. 147 – 153.

و "أشهر مخطوط أنجزه الرسّام يحيى بن خالد الواسطي[١]"[٢]، الّذي رسم **مقامات** الحَريري بشكل تشكيلي تفصيلي أقرب إلى الواقع. واستعمل كافة التقنيات، وابتدع أسلوباً خاصّاً به. وعبّر عن أحاسيس الرسّامين وخيالاتهم ومناهجهم، إلى جانب تمثيلها لمشاركة فنّ الرسم للأدب في تصوير الحقائق.

عمد الحَريري إلى إظهار البراعة اللغويّة، وإلى استعراض عضلاته البيانيّة حتّى في التعقيدات اللفظيّة واللغويّة، وبالغ بعض الرسّامين في اللعب بالخطوط إلى حدّ التعقيد، أو بالغوا في استعمال الأسلوب الزخرفي سواء في الشكل أم في اللون.

فقد ظلّ القرّاء العرب وغير العرب على مدى القرون يعجبون بالمقامات عامّة و**مقامات** الحَريري خاصّة، وتلميحاتها، وتشبيهاتها البليغة، وفنّ البلاغة فيها، فعكفوا على قراءة المقامات واجتذبوا إلى الصفات اللغويّة الجذّابة فيها. "وربّما من بين كلّ مؤلّفات الأدب العربي كانت **مقامات** الحَريري هي الأكثر إثارة لدهشة القارئ الأوروبي"[٣].

ب- التقليد والمعارضة

يعدّ فنّ المقامة من أهمّ الفنون الّتي عرفها الأدب العربي. وكانت المقامات الهمذانيّة فتحاً كبيراً في عالم الأدب العربي، إذ سرعان ما حاكاه فيها جمهور من كبار الأدباء، ولعلّ أشهرهم الحَريري، فوضع **مقاماته** تقليداً لبديع الزمان الهمذاني، ورغبةً في التفوّق عليه، وقد ذاعت **مقاماته** ذيوعاً عظيماً في حياته حتّى يومنا هذا.

ويلزم الذكر أنّ **مقامات** الحَريري تعتبر صورة طبق الأصل، للمقامات الهمذانيّة، بمعنى أنّه قلّد بديع الزمان الهمذاني من حيث الصياغة الدراميّة، وفاق عليه من حيث الصناعة، بَيْدَ أنّه لم يبتكر. كما أنّ الحَريري يعترف نفسه في مقدّمة **مقاماته** بهذا التقليد، قائلاً: "... ذِكرُ المقاماتِ الّتي ابتَدَعها بديعُ الزمان وعَلاّمةُ هَمَذان رَحمَه اللهُ تعالى... إلى أنْ أنشئَ مقاماتٍ أتْلُو فيها تِلوَ البديع وإنْ لَم يُدرك الظالعُ شَأْوَ الضّلّيع"[٤].

---

(١) الواسطي: يحيي بن خالد الواسطي، الفنّان العراقي. ينتمي إلى مدرسة بغداد، ومن خصائص هذه المدرسة هي أنّها مدرسة تغلب عليها الرسوم الآدميّة بما فيها من حياة وقوّة غير ملقية بالاً لتفاصيل أجزاء الجسم، ولا بتفاصيل التشريح. لمزيد من التفصيل أنظر: ثروت عكاشة، **فنّ الواسطي**، ص ٩ – ١٠.

(2) R. Ettinghausen, *La Peinture arab*, pp. 104 – 105.

(3) E. Renan, *Les Se'ances de Hariri*, p. 290.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٥.

"إنّ التقليد هو في المركز من الكلاسيكيّة"[1]، يجعل المقلّد تابعاً طريقاً موازياً للّذي كان قد سلكه المؤلّف السابق، ويجدّد التجربة، ويحاول أن يصوّر التأليف من جديد، ويتفوّق عليه. ومن هنا يدخل المقلِّد في تنافس مع النموذج ويسعى إلى التفوّق عليه، معناه أن يظهر تواضعاً وكبرياء في آنٍ واحد. وتوافر هذا الأمر في الحَريري، ومع إظهاره التقدير الكبير لبديع الزمان الهمذاني، فقد تفوّق عليه في نفس الوقت.

ولا ننسَ أنّ الحَريري ليس أوّل من قلّد بديع الزمان الهمذاني في صُنع المقامات، ومن قبله حاول ذلك ابن نباتة السعدي[2] وهو أوّل من تأثّر **بمقامات** الهمذاني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وحاول تقليده، ولم تحفظ عنه إلاّ مقامة واحدة وابن ناقيا البغدادي. ثمّ جاء بعد الحَريري جمع غفير من الأدباء الكبار القدماء والمحدَثين، فقاموا بوضع المقامات تقليداً ومعارضة **لمقامات** الحَريري، فأنشأوا خمسين مقامة على نسق المقامات الحَريرية؛ كما نجد ذلك عند السَّرَقُسطي، والزَمَخشري، وابن الصَيْقل الجزري، والسُيوطي، ومحمّد المُويلِحي، وناصيف اليازجي وغيرهم، غير أنّهم لم يستطيعوا أن يصعدوا إليه أسلوباً وصياغة.

ولا يزال يستقبل الأدب العربي هذا اللون الأدبي، ويحاول الكتّاب أن يؤلّفوا مقامات بطريقة الحَريري. وقد نجد مقامات سلكت نفس النمط الّذي صاغه الحَريري في **مقاماته**، عند أهل فارس والعراق والشام ومصر واليمن والحجاز والأندلس والمغرب. ويبدو أنّ كتّاب المقامات في هذه البلاد قرؤوا **مقامات** الحَريري، وتأثّروا بها، وبرعوا في فنّ المقامة.

وممّا يستلفت الذهن، هو الشبه العظيم بين **مقامات** الحَريري، وقصص الصعاليك في الأدب الإسباني، وهذا الموضوع جدير بالدراسة. ويدلّ على أنّ **مقامات** الحَريري ذاعت ذيوعاً عظيماً، إلى حدّ أنّ المؤلّفين الإسبان قاموا بتقليد **مقامات** الحَريري أيضاً.

كما أنّ النصارى اهتمّوا **بمقامات** الحَريري، وقلّدوها، ونسجوا على منوالها مقامات، فنجد ابن ماري النصراني[3]، الّذي اشتهر **بمقاماته** الستّين ولمؤلّفه أهميّته الكبيرة، لا لقيمته الأدبيّة واللغويّة

---

(1) G. Von, Grunebaum, *Le Concept de Classicisme culturel*, p. 2.

(٢) ابن نباتة السعدي: أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمّد بن أحمد بن نباتة، التميمي السعدي، ولد في بغداد سنة ٣٢٧ / ٩٣٩. كان شاعراً مجيداً، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى. طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء، وله في سيف الدولة بن حمدان غُرّ القصائد ونخب المدائح. توفّي سنة ٤٠٥/ ١٠١٤ ببغداد. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٣، ص ١٩٠ – ١٩٢؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) ابن ماري النصراني: أبو العبّاس يحيى بن سعيد ابن ماري النصراني، البصري، الطبيب، مات في رمضان سنة ٥٨٩/ ١٢٢٥. ونسج في مقاماته على منوال الحَريري. قال ياقوت الحموي: أجاد فيها. حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مج ٢، ص ١٧٩١.

والتاريخيّة فحسب، بل لكون صاحبه المسيحيّ الوحيد – في ذلك العصر – الّذي كتب في هذا الجنس الأدبي.

وحاول كثير من الأدباء والكتّاب تقليد المقامات لأغراض مختلفة، ولكن لم يبلغ أحد في هذا المجال ما بلغه الهمذاني والحَريري في الأدب العربي. واحتذى نهجها الأدب العبري، والأدب السرياني، وتركت تأثيراً واضحاً في الآداب الإسبانيّة.

ج- إظهار القدرات اللغويّة

لمّا كتب بديع الزمان الهمذاني **مقاماته**، وعرضها على عالم الفنّ والأدب، عرض معجماً من الألفاظ الغريبة والتراكيب والأساليب البلاغيّة؛ وأصبحت متناً لغويّاً وانتشرت في كلّ مكان. وظلّت **مقاماته** عملاً فريداً لا نظير لها، حتّى جاء الحَريري، ووضع **مقاماته** الخمسين، فراجت **مقاماته**، وطغت على **مقامات** بديع الزمان الهمذاني.

كتب الحَريري **مقاماته** بأسلوب لغويٍّ معقّد لإظهار مقدرته اللغويّة، وبقيت من أجمل تراث لغوي وصل إلينا من أدب العرب، نستفيد منه لغةً عربيّة مشرقةً وبياناً عربيّاً فصيحاً. وامتازت **مقاماته** بأنّها خزائن مشحونة بالتعابير اللغويّة العربيّة العويصة الّتي كان يتعلّق بها معاصرو الحَريري في ذلك العصر. كما تكثر الألغاز اللغويّة، وألوان البديع المختلفة، والأساليب النثريّة المزوّقة.

كما أنّ كتّاب المقامات القدماء والمحدثين ألّفوا مقامات، لإظهار قدراتهم الفنّيّة واللغويّة. واختاروا ألفاظاً وعبارات حسنة الجرس، وجعلوا المقامات فنّاً لغويّاً عربيّاً قائماً بذاته، بهذا الأسلوب المنمّق المزوّق. ولعلّ هذا السبب كان من أهمّ أسباب انتشار فنّ المقامة في الشرق والغرب.

وصحيح أنّ الأدباء اتّبعوا المقامات الهمذانيّة والحَريرية، وأعجبوا بها إعجاباً شديداً، وأصبح فنّ المقامة النمط الجديد للبلاغة النثريّة بعد الرسائل، غير أنّ بعض الأدباء لم ينجحوا من الناحيّة القصصيّة في مقاماتهم، إنّما كانت عنايتهم بالقوالب اللفظيّة. فلهذا نلاحظ أنّ بعض المقامات ظلّت حكايات وأحاديث في ثياب أنيقة إلى العصر الحاضر.

د- الجانب التعليمي

لقد عكف بعض الأدباء على كتابة المقامات، وقصدوا من ذلك تعليم الناشئين، وتدريسها في المدارس. "وإلى اليوم لا تزال تُدرَّس المقامات في جميع المدارس الإسلاميّة في آسيا وخاصّة في الهند[١]" وفي إيران.

---

(1) E. Renan, *Les Se'ances de Hariri*, p. 298.

وفي الواقع كان عكوف الأدباء على شرح المقامات، لا سيّما مقامات الحَريري، وتعليمها في بلاد المشرق والمغرب، يدلّ على عظم تداول المقامات، وانتشارها بغرض التعليم أو المذاكرة.

هـ- جانب التسلية

وقد أراد بعض الأدباء القُدامى والمحدَثين من فنّ المقامة أن يكون أدب تسلية، حتّى نجد الكثير من الأدباء الّذين وضعوا مقامات، ولم يراعوا القواعد اللغويّة، واستعمل بعضهم المفردات العاميّة إلى درجة تكاد تجعله أدباً شعبيّاً. وبعضهم لم يلتزم بمقوّمات المقامة وعناصرها الرئيسة، كما فعل بديع الزمان الهمذاني والحَريري.

ونجد بداية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، عديداً من مؤلّفي المقامة، ألّفوا مقامات بهدف التمرّن على مذاهب الإنشاء أو التسلية، وبعضهم لا علاقة له بالأدب.

لقد رأينا أنّ المقامة بدأت بالانتشار في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في العالم شرقاً وغرباً، وقد تبوّأت مكانةً مهمّةً في النثر العربي، بين الأدباء والكتّاب. وقد أشرنا إلى أهمّ أسباب انتشارها في العالم الإسلامي والعربي والأوروبي، وعرفنا أنّ السبب الرئيس لانتشار المقامة كان إعجاب الأدباء بالمقامات، فقاموا بكتابة المقامات تقليداً أو معارضةً للمقامات الهمذانيّة والحريريّة خاصةً، وأظهروا قدراتهم اللغويّة. كما اعتنى العلماء بشرح المقامات، ورَسَم الرسّامون **مقامات** الحريري. كما أنّنا نرى المقامات الحريريّة تُدَرَّس في المدارس الإسلاميّة. وأخيراً وجدنا بعض الأدباء القُدامى والمحدَثين وضع مقامات للتسلية، ولم يلتزموا بالمقوّمات والعناصر الأساسيّة للمقامة.

ثانياً- دواعي انحسار المقامة في الأدب الفارسي

إنّ الحَميدي كتب **مقاماته** باللغة الفارسية، بأجمل صورة فنّيّة، وأثبت أنّ الإيرانيين قادرون على كتابة المقامة بالفارسية، كما يكتب العرب المقامة العربيّة؛ وأثبت كذلك أنّ الإيرانيين ليسوا عاجزين عن الإتيان بالمفردات الصعبة واللعب بالألفاظ وخَلْق العبارات المسجّعة والموزونة، لأنّ اللغة الفارسية مليئة بالكلمات والمضامين والمعاني اللطيفة والجميلة. فصاغ الحَميدي **مقاماته** كالمقامات العربيّة في قوالب فنّيّة، وامتاز أسلوبه بالتصنّع والتكلّف، لأنّه قلّد الحَريري، أسلوباً ومضموناً.

قد أُلّفت كتب عديدة في الأدب الفارسي باسم المقامات، إلاّ أنّها تختلف عن المقامات الّتي نقصدها، لأنّ موضوعها التصوّف.

يعدّ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بداية لكتابة المقامات الفارسيّة على يد الحَميدي. فلم يكتب أحد مقامات مثل الحَميدي، ولو أنّ الأدباء الفرس يعتقدون بأنّ **گلستان** سعدي و**بهارستان** جامي وغير ذلك مقامات، وكتبها أصحابها إمّا تقليداً ومعارضةً لمقامات الحَميدي، وإمّا تقليداً لكتاب **گلستان** سعدي.

فلا شكّ في أنّ سعدي خَلَق خلقاً عظيماً بكتابه **گلستان**، وعيّن طريقة وأسلوباً جديداً لكتابة المقامات الفارسيّة، وأصبح ناسخاً للمقامات الحميديّة. كما أنّه مزج المقامات بمعناها الخاصّ بمقامات الصوفيّة. وهذّب فنّ المقامة وأعطاها لوناً فارسيّاً، واجتنب التكلّفات اللفظيّة والمعنويّة. فدخل **گلستان** في قلوب الشعب الإيراني، وذلك بسبب أنّه كان قريباً إلى ذوق الفرس؛ فلذلك قلّده كثير من الأدباء. وأصبح جوهراً ثميناً من بدء تأليفه، واحتلّ مكانة المقامات الحميديّة في المكتبات والمدارس وبين الأدباء والشعراء.

وفي الواقع، أنّ سعدي مهّد الطريق لفنّ المقامة في الأدب الفارسي للأدباء الفرس حتّى العصر الحديث، ومن رغب فيه وأعجبه، قلّد سبكه وأسلوبه.

ثمّ تحوّل النثر الفارسي في العصر الحديث، وتغيّر قلم الكتّاب المعاصرين، ولم يكتبوا مثل سعدي، أو مثلما كتب الحَميدي، بل صوّروا وقائع عصرهم نثراً وشعراً، وابتعدوا عن البهرجة اللفظيّة، واستعمال المفردات المتكلّفة. وسمّوا كتاباتهم قصّة أو حكاية. وخرج نثر كتبهم عن حدود النثر الفنّي، فأصبح فنّ المقامة في العصر الحديث منسوخاً.

وأمّا لماذا انحصر هذا اللون من الأدب في مقامات الحَميدي فقط، ولم يكتب الفرس مقامات كما فعل الحَميدي، مع أنّهم أهل ذوق أنيق وحضارة معروفة؟ فربمّا من أهمّ أسباب انحسار فنّ المقامة في الأدب الفارسي: اختلاف الذوق، واختلاف المقوّمات اللغويّة.

أ- اختلاف الذوق (الناحية الذوقيّة الجماليّة)

يبدو أنّ المقامات العربيّة لا تروق أذواق الإيرانيين من حيث الأسلوب، لأنّهم يحبّون الكتابات والآثار الّتي تؤثّر على قلوبهم وأرواحهم، فلهذا لا يهتمّون بآثار متكلّفة ومتصنّعة. أعني الصناعة اللفظيّة الّتي تحتاج إلى غزارة في القاموس اللفظي عند الكاتب، ولكن في المنحى العام الإيرانيون في أدبهم كالعرب يجنحون إلى التأثّر الوجداني عبر الأدب، لأنّه التاريخ الداخلي لأرواحهم. وقد عبّر كلا الأدبَيْن العربي والفارسي عن الهدف نفسه ولكن بأسلوبَيْن مختلفين.

أسلوب المقامة في الأدب العربي متكلّف ومتصنّع، لذا يتطلّب السيطرة على اللغة العربيّة والتبحّر في علومها البلاغيّة وعلوم اللغة أيضاً.

كما أنّ المقامات العربيّة لا تروق أذواق الإيرانيين من حيث الموضوع أيضاً. لأنّ العرب كالفرس يحبّون القيم الخالدة سواء بسواء، وحين كتبوا عن الحيلة، والاستجداء، والكدية ليس إعجاباً بهذا السلوك، بل تعبيراً عن الظرافة وللتسلية، فقد ظهرت طائفة العيّارين والنشالين والظرفاء، وكان هذا يؤدّى في المقامات بأسلوب فيه تهكّم ومرح، وكانت المقامات صورةً عن الواقع الاجتماعي في العصر العبّاسي بكلّ ما فيه من اختلاط من أممّ كثيرة. فكانت المقامات تعبيراً عن ظرافة الواقع الجديد، وهذا يستهوي الشعوب تماماً كقصّة "هزار ويك شب" أي ألف ليلة وليلة التي استهوت شعوب

العالم بأساطيرها وخيالها المجنّح البعيد عن الواقع. إضافة لذلك "الذوق القصصي الفارسي يهدف بالحكاية إلى أغراض تهذيبيّة، وصور تمثيليّة للأفكار والمعاني لا تحقّقها المقامة على هذه الصورة"[١].

ولا شك في أنّ اللغة الفارسية مملوءة بالاستعارات والتشبيهات والوصف والصناعة البديعيّة، ولكنّها متطابقة مع ذوق الإيرانيين واعتقاداتهم.

ب- اختلاف المقوّمات اللغويّة

تختلف مقوّمات كلّ لغة عن مقوّمات لغة أخرى، لأنّ كلّ لغة لها سماتها الخاصّة (الّتي لا نجدها في لغة أخرى). فحالة من يحاول أن يكتب مقامات بالفارسيّة تقليداً ومعارضةً أو إعجاباً بالمقامات العربيّة، لا سيّما المقامات الهمذانيّة والحريريّة، تشبه حالة من يحاول أن يكتب مقامات بالفرنسيّة أو الألمانيّة، ويحتذي حذو بديع الزمان الهمذاني والحريري! فمن الطبيعي أنّ المجال أمام كتّاب المقامات في الأدب العربي أوسع ممّا هو عليه الحال أمام كتّاب المقامات في الأدب الفارسي، لأسباب كثيرة منها:

– أنّ اللغة العربيّة لغة القرآن، فهي أكمل اللغات في العالم، فهي تتضمّن مترادفات كثيرة، وكلمات مسجّعة؛ فالكاتب العربي يحصل على العبارات الموزونة بالسهولة، إلاّ أنّ الكاتب الفارسي لا يجد الكلمات المسجّعة إلاّ بصعوبة.

– العلماء الفرس لعبوا دوراً كبيراً في تدوين علوم اللغة وعلوم البلاغة باللغة العربيّة، ودوّنوا قواعد اللغة العربيّة، غير أنّهم لم يبذلوا جهداً مماثلاً في تدوين قواعد لغتهم؛ فبما أنّ كتابة المقامة بُنيت على اللغة، لم يزدهر فنّ المقامة في اللغة الفارسية.

– فنّ المقامة "في صياغته يقوم قبل كلّ شيء على السجع والجناس، وذلك يتطلّب وفرة في المترادفات والكلمات المتشابهة الأواخر، وهي غير ميسورة في اللغة الفارسية الإسلاميّة"[٢].

والأسجاع العربيّة متكلّفة وصعبة، وأحياناً غير مأنوسة، لا سيّما لمّا قلّد الأدباء العرب الحَريري، وقاموا بمعارضته، فاختاروا الكلمات الشاذة، والألفاظ الغريبة، وبعض الأحيان الكلمات بدون معنى، ليظهروا قدراتهم الفنّيّة واللغويّة في الكتابة والإنشاء. غير أنّ الأسجاع الفارسية ليست متكلّفة، والكاتب الفارسي لا يبحث عن المفردات الصعبة والجافّة والشاذة أو المنسيّة أحياناً، ويكتفي باختيار الكلمات السهلة والقريبة إلى الأذهان.

تجدر الإشارة إلى أنّ الأدباء الفرس القدماء لم يستحسنوا السجع كالأدباء العرب. "وفي عهد السامانيين والغزنويين لم يعتمد الكتّابُ السجعَ، إلاّ في الخطب والرسائل الرسميّة، حتّى ظهر النثر الفنّي في عهد السلجوقيين، وازدهرت مدارسه، حينئذٍ رغب الأدباء والكتّاب في السجع وتأثّروا بالأدب

---

(١) أمين عبد المجيد بدوي، **القصّة في الأدب الفارسي**، ص ٣٦٧.

(٢) أمين عبد المجيد بدوي، م.ن، ص ٣٦٧.

العربي نحو: خواجه عبد الله الأنصاري والحَميدي صاحب **المقامات الفارسية**"[١]؛ فأخذت **مقامات الحَميدي** لوناً عربيّاً.

وكان هدف الكتّاب في عهد السلجوقيين من العناية بكتابة الكلمات والعبارات المسجّعة، إظهار قدراتهم الفنيّة، أو تقليداً للمقامات العربيّة كما فعل الحَميدي بإنشاء **مقاماته**.

فلم يكرّر أحد محاولة الحَميدي، لأنّ اللغة الفارسية بالقياس إلى لغة الضاد فقيرة في الكلمات المترادفة والمسجوعة، ومن ثمّ لا تصلح كثيراً لكتابة المقامات الّتي تقوم أساساً على السجع والمحسّنات البديعيّة.

* * *

من خلال ما تقدّم نستنتج الأمور التالية:

– أنّ المقامات العربيّة اشتهرت شهرة واسعة، وانتشرت في جميع العالم في المشرق والمغرب، وفي البلاد الأوربيّة، منذ نشأتها حتّى العصر الحديث. وقد رغب الأدباء والعلماء في كتابة المقامات، وشرحها، وترجمتها، كما أعجبت الرسّامين المقامات العربيّة، وأقبل الطلاّب في المدارس والجامعات على حفظها أيضاً.

– لاحظنا أنّ المقامات الحريريّة من بين المقامات العربيّة كلّها، أثارت إعجاب الأدباء والعلماء والرسّامين. وأقبل على شرحها أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً، وأهمّهم الشريشي والمطرّزي والعُكبري. كما عُنيَ بها المؤلّفون الكبار كابن الخشاب وابن بَرّي، وكتبا رسالتَين في نقد مقامات الحريري. فإقبال الشرّاح، والنقّاد، والرسّامين والمترجمين على **مقامات** الحريري خاصّة، تدلّنا على أهميّة المقامات الحريريّة في العالم ومنزلتها.

– أهمّ دواعي انتشار المقامات العربيّة في العالم: إعجاب الأدباء والعلماء بالمقامات الهمذانيّة والحريريّة، والتقليد والمعارضة لمقاماتهما، وإظهار القدرات الفنّيّة واللغويّة تجاه المقامات الهمذانيّة والحريريّة، وتعليم الناشئين والتسلية.

ولقد رأينا أنّ فنّ المقامة قد انحسر في الأدب الفارسي، ويرجع ذلك إلى اختلاف المقوّمات اللغويّة وخصائص كلّ لغة من جهة، ومن جهة أخرى عدم تطابق هذا الفنّ وأذواق الفرس أسلوباً وموضوعاً.

وعرفنا أنّ نثر المقامات العربيّة متصنّع ومتكلّف، وبُنيت حكاياتها على الكدية والشحّاذة، وزخرفت بالصناعة اللفظيّة؛ فلا ينطبق كلّ هذا على طبع الفرس وروح الأدب الفارسي، لا سيّما من حيث الموضوع. وفي الحقيقة، محاولة الحَميدي هي الأولى والأخيرة.

---

(١) زرّين كوب، **ازگذشته ادبى ايران**، ص ١٦٦ – ١٦٧.

الباب الثاني

مضامين المقامة في مقامات الحريري والحَمِيدي

الفصل الأوّل

بناء مقامات الحَريري والحَميدي

بعد معالجة معنى المقامة اللغوي والاصطلاحي، ودراسة نشأة المقامة وتطوّرها حتّى العصر الحديث في الأدبين العربي والفارسي، ينبغي لنا أن ندخل في القسم الّذي يتعلّق بموضوع بحثنا بشكل خاصّ، وهو دراسة **مقامات** الحَريري والحَميدي من حيث المضامين، لذلك قد خصّصنا الباب الثاني بهذا الموضوع، وقسّمناه إلى أربعة فصول. أمّا الفصل الأوّل فقد سمّيناه بناء مقامات الحَريري والحَميدي، ويشتمل ثلاثة مباحث؛ المبحث الأوّل: مقدّمة المقامات وخاتمتها عند الحَريري والحَميدي، والمبحث الثاني: صُلب مقامات الحَريري والحَميدي، ونركّز هنا على البناء القصصي للمقامات الحريريّة والحَميدية، لا سيّما العُقدة والمكان والزمان. والمبحث الثالث الأخير: دور الشواهد في **مقامات** الحَريري والحَميدي، وندرس فيه دور الشواهد كالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثال، ونقصد بهذا الفصل معرفة البناء الداخلي للمقامات الحريريّة والحَميدية، ومدى تأثير **مقامات** الحَريري في **مقامات** الحَميدي فكريّاً وفنّيّاً، والكشف عن الصلة والاختلاف بين **مقامات** الحَريري والحَميدي أيضاً.

أولاً- مقدّمة المقامات وخاتمتها عند الحَريري والحَميدي

من أركان المقامة عند الحَريري والحَميدي المقدّمة والخاتمة. فنعالج في هذا المبحث كيفيّة كتابة المقدّمة والخاتمة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، لمعرفة الصلة والاختلاف بين **مقامات** الحَريري والحَميدي، ومدى تأثّر الحَميدي بالحَريري في كتابة المقدّمة والخاتمة.

أ- مقدّمة المقامات

نشير إلى مقدّمة **المقامات** عند الحَريري ثمّ الحَميدي.

١- عند الحَريري

كتب الحَريري **لمقاماته** مقدّمة عامّةً تضمّنت العناصر الآتية:

- الحمدُ والثناءُ على الله، على ما أعطاه من البيان وتفهّم المعنى، وشكره على كلّ ما أعطاه، بقوله: "اللهمّ إنّا نحمدك على ما علّمتَ من البيان، وألهمت من التبيان، كما نحمدك على ما أسبغت[١] من العطاء، وأسبلت[٢] من الغِطاء..." [٣].

- الاستعاذة بالله من شرّ اللسان وحدّته، وكثرة الكلام بغير فائدة: "ونعوذ بك من شِرّة اللّسَن[٤]، وفُضول الهَذَر[٥]، كما نعوذ بك من معرّة اللُّكن[٦]".

---

(١) أسبغت: أتممت وكثرت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، مج ١، ص ٥.

(٢) أسبلت: أطلت. وأراد به ستر الله على عبده. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٢.

(٤) شرّة اللسن: حدّة اللسان. الشريشي، م.س، "المقدّمة"، مج ١، ص ٥.

(٥) فضول الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٥.

(٦) الحريري، م.س، "المقدمة"، ص ٤؛ معرّة: شدّة وصعوبة. واللكن: احتباس اللسان عند الكلام. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٥.

– طَلَبُ الهداية والرشد، بقوله: "... وأن تُسعِدَنا بالهداية إلى الدراية، وتَعْضُدَنا[١] بالإعانة على الإبانة[٢]، وتعصِمَنا من الغَواية في الرواية ..."[٣].

– الصلاة على النبي محمّد، وأصحابه، ومدحهم: "فَصَلِّ عليه وعلى آله الهادين، وأصحابه الّذين شادُوا الدين، واجعلنا لهَدْيه وهَدْيهم مُتّبعين..." [٤].

– الإشارة إلى سبب تأليف **مقاماته**، وذلك بحسب طلب أحد الكبار في عصره[٥]، بقوله: "فأشار مَن إشارته حكمٌ وطاعته غُنمٌ[٦]".

– الإشارة إلى بديع الزمان الهمذاني **ومقاماته**، والاعتراف بأنّه مبدع فنّ المقامة، والإقرار بفضله، قائلاً: "هذا مع اعترافي بأنّ البديعَ رحمه اللهُ سبّاق غاياتٍ وصاحبُ آياتٍ، وأنَّ المُتَصدّي بعدَه لإنشاء مقامة..." [٧]؛ والتصريح بأنّه أنشأ مقاماته تقليداً لبديع الزمان الهمذاني، بقوله: "... إلى أن أُنشئَ مقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البديعِ وإنْ لَمْ يُدْرِكِ الظالعُ[٨] شأْوَ الضليعِ[٩]".

– ذكر عدد المقامات الّتي وضعها، ومحتوياتها: "وأنشأتُ على ما أُعانيه من قَريحةٍ جامدةٍ... خمسينَ مقامةً تحتوي على جدِّ القولِ، وهزلِه، ورقيقِ اللفظِ... إلى ما وَشَّحْتُها به منَ الآياتِ، ومحاسن الكنايات، ورَصّعته فيها من الأمثالِ العربيّة..."[١٠].

– الإشارة إلى اسم راوية **مقاماته** وبطلها: "ممّا أمْلَيْتُ جميعَه على لسانِ أبي زيد السروجي، وأسندتُ روايتَه إلى الحارثِ بنِ هَمّام البصري"[١١].

– ذكر احتذائه عمل بديع الزمان الهمذاني، وما طلب منه أن ينشئ مقامات يصوغها على مثال المقامات الهمذانيّة. وهو يلبّي هذه الدعوة، ويقول في نهاية التواضع: "بذلتُ في مطاوعته جهدَ المستطيعِ، وأنشأتُ على ما أعانيه منْ قريحةٍ جامدةٍ، وفطنةٍ[١٢] خامدةٍ، ورَويّةٍ

---

(١) تعضدنا: تقوّينا. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، مج ١، ص ٦.

(٢) الإبانة: البيّنة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦ – ٧.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٣.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٤.

(٥) أنظر: الباب الأوّل الفصل الأوّل، ص ٣٦ – ٣٩.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقدّمة"، ص ٥؛ غنم: غنيمة. الشريشي، م.س، "المقدّمة"، مج ١، ص ٩.

(٧) الحَريري، م.ن، ص ٧.

(٨) الظالع: الّذي يغمز في مشيته. والمائل عن الطريق القويم. الحَريري، م.ن، ص ٥.

(٩) الضليع: السمين القوي. والضلاعة: قوّة الأضلاع. الحَريري، م.ن، ص ٥.

(١٠) الحَريري، م.ن، ص ٦.

(١١) الحَريري، م.ن، ص ٧.

(١٢) فطنة: ذكاء. والفطن: الذكي. الشريشي، م.س، "المقدّمة"، مج ١، ص ١٠.

ناصبةٍ[١]، وهمومٍ ناصبةٍ[٢] خمسينَ مقامة"[٣]. وقد كرّر هذا التواضع الجميل في آخر المقامات أيضاً.

– تأكيده في خاتمة مقدّمته أنّه لم يستشهد بأشعار الشعراء ما عدا بيتين منفردين، وذلك بقوله: "وما قَصَدْتُ بالإحماض[٤] فيه، إلاّ تنشيطَ قارئيه، وتكثيرَ سَواد[٥] طالبيه، ولم أودِعْه[٦] من الأشعار الأجنبيّة إلاّ بيتَيْن فذَّيْن"[٧].

– والشكوى من الحاقدين، العائبين، ومن العلماء الّذين يظهرون له عداوتهم وحسدهم، فيعوذ إلى الله من شرّهم، قائلاً: "لا أكادُ أخلُصُ من غُمْرٍ[٨] جاهلٍ أو ذي غمرٍ[٩] متجاهل، يَضَعُ منّي[١٠] لهذا الوضع[١١] ويُندّدُ[١٢] بأنّه من مناهي الشرع"[١٣].

– خَتْمُ المقدّمة بالاستعانة بالله، والتوكّل عليه: "وباللهِ أعتضدُ[١٤] فيما أعتضد، وأعتصمُ بما يَصِمُ[١٥]، وأسترشدُ إلى ما يُرشِدُ، فما المفزَعُ[١٦] إلاّ إليه، ولا الاستعانةُ إلاّ به، ولا التوفيقُ إلاّ منه، ولا الموئل إلاّ هو عليه، توكّلتُ وإليهِ أُنيبُ، وبه نستعينُ، وهو نعمَ المعين"[١٧].

وأمّا ميزات مقدّمة كلّ مقامة من **مقامات** الحَريري بشكل عام فهي:

---

(١) رويّة ناضبة: تدبّر جافّ. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقدّمة" مج ١، ص ١٠.

(٢) ناصبة: متعبة. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٠.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٦.

(٤) الإحماض: الانتقال من شيء إلى شيء. وأراد به تنقلّه في المقامات من حكاية فائقة إلى قضيّة رائقة. الشريشي، م.س، "المقدّمة"، مج ١، ص ١١.

(٥) سواد: أشخاص. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١١.

(٦) أودعه: أضمنه. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١١.

(٧) الحَريري، م.س، "المقدّمة"، ص ٧.

(٨) غمر: الجهل. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٤.

(٩) ذي غمر: صاحب عداوة. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٤.

(١٠) يضع منّي: يحطّ من منزلتي. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٤.

(١١) الوضع: الكتاب. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٤.

(١٢) يندّد: يشهر العيب، وندّد به إذا أسمعه المكروه. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٤.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقدّمة"، ص ٨.

(١٤) أعتضد: أستعين. الشريشي، م.س، "المقدّمة"، مج ١، ص ١٥.

(١٥) يصمّ: يعيب. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٥.

(١٦) المفزع: الملجأ وكذلك الموئل. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٥.

(١٧) الحَريري، م.س، "المقدّمة"، ص ٩ – ١٠.

– كل مقامة من **مقامات** الحَريري لها عنوان ورقم ترتيبيٌّ مؤطَّرة بمقدّمة وخاتمة.

– ونسب الحَريري أكثر مقاماته بالمدن والأراضي، ومن بين خمسين مقامة، اسـتثنى عـشر مقامات عن هذا الموضوع فقط، فهي: الديناريّة، والفرضـيّة، والقهقريّـة، والفاروقيّـة، والـشعريّة، والرقطاء، والبريّة، والبكريّة، والشتويّة والساسانيّة. كما أنّ الحَريري عمد إلى اختيار أسـماء بعيـده، كالمقامة الصنعانيّة، والدمياطيّة، والإسكندرانيّة، والدمشقيّة والمكيّة.

– وأخذت المقامة عند الحَريري أحياناً شكلاً واحداً لا يتغيّر في مقدّمتها يحكي عـن رغبـة الحارث بن همّام في فعل شيء ما، أو سفره إلى بلد ما، أو احتياجه إلى شيء ما. فيمكن مَن لا يرغب في قراءة هذا الجزء من المقامة أن يستغني عنه تماماً أو متابعته، ويبدأ من حيث تبـدأ القـصّة فـي المقامة، وهي تبدأ بظهور شيخ فصيح، لا يتعرّف عليه الحارث بن همّام ولو مرّة واحدة.

– وتؤلّف كلّ مقامة وحدة مستقلّة، بحيث يمكن اعتبار السلسلة الكاملة رواية تـضمّ حـوادث منفصلة في حياة البطل، وهي مزيج من النثر والشعر، حيث تأتي الحكاية في درجةٍ ثانية، والأسـلوب في درجةٍ أولى.

– رتّب الحَريري مقاماته بشكل خاصّ، كأنّ القصّة تبدأ من المقامة الأولى وتنتهي في المقامة الأخيرة. نرى ذلك مثلاً في المقامة الأولى: الصنعانيّة، أنّ المقامة تبدأ بلقاء بين الحارث بن همّام وأبي زيد السروجي – وهما بطلا **مقامات** الحَريري – في صنعاء[١]، وهما في ريعان الشباب وربيع العمر، وخلاصة القصّة هي: أنّ الحارث بن همّام سافر إلى مدينة صنعاء، وهناك لقي أبا زيـد الـسروجي خطيباً واعظاً في جمع من الناس، واستغرب فصاحته وبلاغته، فتبعه متوارياً بعد ختام وعظه، حتّـى دخل إلى دكّان، وأمر التلميـذ أن يحضر له اللحـم المشوي والخمـر... ثمّ اقتـرب الحـارث منـه وسألــه، يـا هذا! ما كان ذاك الوعظ والخطابة؟ وما هذا؟ ومن أنتَ؟ وما هذا النفاق؟ فعرفه مخادعاً كذّاباً[٢].

ثمّ أنشد أبو زيد السروجي الشعر التالي: (بحر المتقارب)

---

(١) صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، والنسبة إليها صنعانيّ على غير قياس. صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفّق مياهها فيما قيل. هو بلد في خط الإستواء، وهي مـن الاعتـدال مـن الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان من مكان طول عمره صيفاً ولا شتاء، وتتقارب بها ساعات الـشتاء والـصيف. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٣، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

(٢) أنظر: الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٦.

لَبِستُ الخَمِيصَةَ[١] أَبْغي الخَبِيصَه[٢] ... وَأَنْشَبْتُ شِصِّي[٣] في كُلِّ شِيصَة[٤]
وصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أُحْبُولَةً[٥] ... أُرِيغُ[٦] القَنِيصَ بها والقَنِيصَة[٧]
وألجأني الدهرُ حتّى ولَجْتُ[٨] ... بِلُطْفِ احتيالي عَلَى اللَّيْثِ عِيصَه[٩]
على أنّني لمْ أَهَبْ[١٠] صَرْفَهُ ... ولا نَبَضَتْ لِيَ منه فَرِيصَة[١١]
ولا شَرَعَتْ[١٢] بي على[١٣] مَوْرِدٍ[١٤] ... يُدَنِّسُ عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصَة
ولو أنْصَفَ الدهرُ في حُكْمِهِ ... لما مَلَّكَ الحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَة[١٥]

ثمّ يطلب الحارث بن همّام من تلميذه أن يُخبره من هو سيّده؟ فقال: "هذا أبو زيد السروجي سراجُ الغرباء، وتاجُ الأدباء"[١٦]. وعلى هذا اللقاء بنى الحَريري المقامة الأولى، وأطلق عليها المقامة الصنعانيّة.

ثمّ أخذ الحارث بن همّام يجوب البلاد ويواصل الأسفار، ليلقى أبا زيد السروجي. لكنّه كان يظهر على هيئات مختلفة، مرّة على هيئة رجل عجوز متسوّل، مرّة على هيئة واعظ، مرّة على هيئة

---

(١) الخميصة: كساء فيه خطوط. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ٢٢.

(٢) الخبيصة: نوع من الحلواء. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٣) الشص: حديدة معوّجة يصاد بها الحوت وتسمّى الصنارة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٤) شيصة: ثمرة رديئة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٥) أحبولة: آلة يصاد بها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٦) أريغ: أطلب ما يصعب أخذه كأنّه يروغ من كذا. وأصل راغ من كذا أي عدل عنه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٧) القنيص والقنيصة: الذكر والأنثى ممّا يصاد من الوحش، وهذا مثل، وإنّما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(٨) ولجت: دخلت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(٩) عيصه: بيته، وأصله الشجر الملتف. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٠) أهب: أخف. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١١) فريصة: بضعة في آخر الكتف تتحرك عند الفزع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٢) شرعت: دخلت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٣) على: بمعنى في نحو قولك، كان ذلك على عهد فلان أي في عهده. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٤) مورد: موضع الماء. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٥) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٦؛ النقيصة: الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٣.

(١٦) الحَريري، م.ن، ص ١٦.

امرأة عجوز متسوّلة... وكان محتالاً مخادعاً كذّاباً. ولا يعرفه الحارث في اللقاء الأوّل، إلاّ بعد أن يهرب.

وهكذا كان الحارث بن همّام يلاقيه في أماكن مختلفة، وفي ساحات القضاء، ومجالس الولاة، وأندية الأدباء. وتستمرّ هذه الحالات حتّى المقامة الثامنة والأربعين. فنجد أبا زيد السروجي في المقامة التاسعة والأربعين وقد كبر سنّاً وهرم، فأحضر ابنَه، وقال له: "يا بُنيَّ قد دنا ارتحالي من الفِناء... وأنت بحمد الله وليُّ عهدي"[1]. ويقول له إنّني مارست الحرف الأربع: الزراعة، والصناعة، والتجارة، والإمارة، فما رأيت فيها خيراً، ولا نفعاً ولا بركة، إلاّ حرفة التكدّي الّتي أسّسها ساسان، فلا تعب فيها ولا مشقّة، بل ينتفع بها صاحبها ما دام شاباً قويّاً[2].

ثمّ يلتقي أبو زيد السروجي الحارثَ بن همّام في مسجد البصرة – في المقامة الخمسين – وقد تقدّم بهما العمر، وهدّ جسدهما طول الزمن، فإذا بأبي زيد السروجي يقف في حشد من الناس يعلن توبته، ويندم على ما قدّم من ذنوب وآثام، ثمّ يعزم على العودة إلى بلده سروج، وينصرف إلى العبادة والصلاة. أمّا الحارث بن همّام فيتوقّف عن السفر والترحال، ويجنح إلى الراحة، ويكون هذا هو آخر لقاء بينهما، وبه تنتهي المقامات الخمسون آخر المقامات الحَريرية[3].

٢- عند الحَميدي

كتب الحَميدي **لمقاماته** مقدّمة عامّة مسجّعة بالعربيّة وبالفارِسية أيضاً، ومن أهمّ ما ورد فيها، هي:

- جعل مقدّمة **لمقاماته** باللغة العربيّة، وزخرفها بالآيات القرآنيّة، بعد حمد الله والثناء عليه وعلى ما أعطاه من العلم، والدين، ومعرفة حقائق الأحكام، وغير ذلك. ثمّ شهد بأنّ محمّداً رسول الله خير العباد وسيّد البشر، ومدحه، وصلّى على آله المعصومين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، كما فعله ذلك الحَريري، بقوله: "الحمدُ للهِ الّذي شرَّفنا بالعلم الراسخ، وعرَّفنا بالدينِ الناسخ، وعلّمنا حقائق الأحكامِ وحَمّلنا دقائقَ الحلالِ والحرام، ميَّزنا من طبقاتِ الأنعام، وخَصّصنا بمزايا الإنعامِ الّذي أنشأ في الهواءِ منَ المعُصيراتِ ماءً ثجّاجاً، دارتِ الأفلاكُ بتدويرهِ، وسارت الأملاكُ بتقديره. له الفضلُ والإفضالُ والقدرةُ والكمالُ... ونشهدُ أنَّ محمّداً خيرُ العباد، وسيّدُ البشر في البلاد... راكبُ البُراق إلى

---

[1] الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩.

[2] الحَريري، م.ن، ص ٥٧١.

[3] الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩١.

المعراجِ السبّاقُ الّذي أنقذنا مِنْ تيهِ الحيرةِ بمصابيح جبينِه... صلّى اللهُ عليه وآلهِ وعلى الذاهبينَ في سبيل اللهِ والمهاجرينَ والأنصارَ وسلّمَ تسليماً كثيراً كثيراً"[١].

- ثمّ ترجم المقدّمة العربيّة نفسها إلى الفارسية، وأضافها بعد المقدّمة العربيّة مباشرةً.

- حدّد تاريخ تأليف **مقاماته**، قائلاً: "تهيجّ اين بحر زاخر در آخر جمادى الآخر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بود"[٢].

ترجمة الشاهد

كان تهيُّج هذا البحر الزاخر في أواخر جمادى الآخرة في سنة خمسمائة وإحدى وخمسين للهجرة.

- وبعد ذلك أشار إلى سبب تأليف **مقاماته**، وفي هذا القسم ذكر اسم بديع الزمان الهمذاني والحَريري، وعظّمهما، وأشار إلى صيتهما في العالم. وبيّن سبب تأليف كتابه نظير ما قاله الحَريري، بقوله: "بفرمود مرا، آن كه امتثال امراو برجان من فرض عين بود، وانقياد حكم او بر ذمّه من فرض ودين، كه اين هردو مقامه سابق ولاحق كه به عبارت تازى ولغت حجازى ساخته وپرداخته شده است، اگرچه برهر دو مزيد نيست امّا عوام عجم را مفيد نيست... اهل عجم از آن نكات غريب بى نصيب اند..."[٣].

ترجمة الشاهد

فَأشَارَ مَنْ إشَارتُه حُكْمٌ وطاعَتُه واجبَةٌ عَلَيَّ أن أنشئَ مقامات باللغة الفارِسية، لأنّ مقامات الهمذاني والحَريري باللغة العربيّة واللغة الحجازيّة، على الرغم من أنّني لم أزد شيئاً على بديع الزمان الهمذاني والحَريري، مع ذلك لا بدَّ من الكتابة بلا ألفاظ غريبة ليستفيد منها عوامّ العجم.

- شرح أسلوبه في مقاماته، بأنّه مزج الفارِسية بالعربيّة ليظهر قدراته الفنّيّة واللغويّة تجاه الهمذاني والحَريري فاعتنى بفصاحة الكلام وبلاغته كثيراً.

- اعترف الحَميدي بأنّه لم يستشهد بأشعار الشعراء القدماء أو المعاصرين إلاّ قليلاً جدّاً وعدد الأشعار المستشهد بها أقلّ من عشرة أبيات. واعتقد بأنّ الاستشهاد بأشعار الشعراء الكبار، وأقوال الأدباء، والأمثال، يدلّ على عدم قدرة الكاتب الفنّيّة على الكتابة، وضعف ذوقه وقريحته الأدبيّة، فالكاتب يجب أن يكتفي بقدراته اللغويّة ورأس ماله الفنّيّ، قائلاً: "شرط اوفق وركن اوثق آن است

---

(١) حميدى، مقامات، "مقدّمة"، ص ١٩.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٢٠.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٢١.

كه... در جمله اين تصنيف باسرمايه خود بسازم الاّ مصراعى چند بر سبيل شهادت، نه بر وجه افادت. وجمله اين ابيات كه رفيق اين ره باشد، به عدد از ده كم باشد..."[١].

ترجمة الشاهد

إنّ الشرط الأوفق والركن الأوثق... في معظم هذا التأليف هو أن أكتفي برأس مالي الفنّي والأدبي ما عدا بضعة أبيات وذلك على سبيل الاستشهاد بها لا على سبيل الإفادة، وهذه الأبيات جميعها أقلّ من عشرة أبيات...

ثمّ أنشد البيت التالي: (وزن هزج مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

با مايه خود بسازچون بى هنران

سرمايه به عاريت مخواه از دگران[٢]

ترجمة الشاهد

اكتفِ برأسمالك الفنّي ولا تستعر الأدب من الآخرين. كالّذين ليس لديهم شيء من الفنّ ويستشهدون بأقوال الآخرين فقط.

والجدير ذكره أنّ الحَميدي بقوله هنا ظلم الشعراء الكبار، لأنّنا نعرف أنّ الاستشهاد بأشعارهم لا يدلّ على ضعف الكاتب وعدم قدرته على الكتابة الفنيّة، أو ضعف ذوقه الفنّي، بل بالعكس تماماً، يضاعف جمال كلام الكاتب، ويزيد في تأثير أقواله على القرّاء والسامعين.

- وفي خاتمة مقدّمة **مقاماته** خَتَمَ كلامه بالعربيّة، وتَوكّل على الله بالدعاء، واستعان به، بقوله: "وباللهِ العونُ والتوفيقُ في هذا الجمع والتفريق إنّه حَسبُنا ونِعْمَ الرفيق"[٣].

وأمّا سمات مقدّمة **مقامات** الحَميدي بشكل عام فهي:

أنّ المقامات الحَميديّة الّتي تعدّ نموذجاً للبلاغة وجودة الأسلوب، هي ثلاث وعشرون مقامة. وأطلق على كلّ مقامة اسماً[٤] مشتقاً من الفكرة الّتي تعالجها تلك المقامة. والمقامات الحَميدية كمثيلاتها العربيّة، ذات عناوين لها دلالتها على موضوعاتها، إلاّ أنّها تختلف عنها من حيث طريقة روايتها.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٢.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٢٣.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٢٣.

(٤) تجدر الإشارة إلى أنّ ترتيب المقامات الحَميدية يختلف عن بعضها، وفقاً لاختلاف النسخ، كما أنّ أسماءها تختلف عن نظائرها في النسخ المخطوطة.

- تبدأ المقامات كلّها بعبارة واحدة، ومن لسان صديق مجهول دائماً، ويصفه وفق موضوع كلّ مقامة؛ فالقارئ يشعر بأنّها قصّة حقيقيّة، نحو: "حكايت كرد مرا دوستی كه در سفر انيس همّ وغم بود ودر حَضر جليس وهمدم..." (١).

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان أنيس الهمّ والغمّ في السفر وجليساً مؤنساً في الحضر.

"حكايت كرد مرا دوستی كه دل در متابعت اوبود وجان در مشايعت او..." (٢).

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان قلبي وروحي رهينَيْن باتباعه ومشايعته.

"حكايت كرد مرا دوستی كه سينه مهرجوی داشت وزبان راستگوی كه..." (٣).

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان له قلب حنون ولسان صادق.

"حكايت كرد مرا دوستی كه در مروّت، يگانه بود در دهـر، ودرفتّوت نشـانه درشهر..." (٤).

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان وحيداً في المروءة، وعلَماً للمدينة في الفتوّة...

"حكايت كرد مرا دوستی كه مودّت أو ثباتی داشت ومحبّت او حياتی..." (٥).

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كانت مودّته ثابتة ومحبّته حياة.

- واللافت للنظر أنّ الحَميدي كتب مقدّمة وصفيّة لجميع مقاماته.

يشير الحَميدي في المقامة التاسعة عشرة، في سمرقند، إلى قلّة المطر في أرض خراسان، وجفاف الأنهار، والبساتين، وعطش الأرض، وصعوبة الحصول على الطعام.

---

(١) حميدی، مقامات، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.

(٢) حميدی، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٣) حميدی، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنيّ والملحد"، ص ٩٣.

(٤) حميدی، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦١.

(٥) حميدی، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٣.

وبعد ذلك يقول بعدما تحيّر الناس في أمرهم، وازداد الجوع والعطش، وقلّ الزاد في بلدهم، قرروا أن يسافروا ليحصلوا على الأكل. هنا يذكّرُ الحَميدي القارئ بأنّ الإنسان ورث هذه المصيبة من آدم، ومشكلاته جميعها ترجع إليه. لأنّه لو لم يأكل من تلك الشجرة الممنوعة ما كنّا احتجنا إلى الأكل، قائلاً: "اين نكبتى است در ذرّيّت آدم"(١).

ترجمة الشاهد

هذه مصيبة في ذرّيّة آدم.

* * *

ما يلفت النظر في **مقامات** الحَميدي أنّه قلّد الحَريري في مقدّمة **مقاماته** وكتب مقدّمة شبيهة بمقدّمة مقاماته، من حيث بدايتها، وخاتمتها، والألفاظ والعبارات المسجوعة، وموضوعها وأسلوبها. فقد تضمّنت مقدّمة **مقامات** الحَريري والحَميدي العناصر الآتية:

- حمد الله والثناء عليه.

مدح النبي محمّد، والثناء عليه، والصلوات عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

- سبب تأليف **المقامات**.
- التأكيد على أنّهما لم يستشهدا بأشعار الشعراء الآخرين ما عدا بضعة أبيات.
- التوكّل على الله والاستعانة به.

ب- خاتمة المقامات

نذكر خاتمة **المقامات** عند الحَريري ثمّ عند الحَميدي.

١- عند الحَريري

كتب الحَريري خاتمةً قصيرةً لمقاماته في نهاية التواضع، وتدلّنا مضامينها على خُلقه المتين، وطبعه الظريف، وكرامته وديانته. وقد كرّر هذا التواضع في بدايتها، فقال: "إنّها من سقَط المتاع، وممّا يستوجب أن يُباع ولا يُبتاع، ولو غشيَني نُور التوفيق، ونظرت لنفسي نظر الشفيق، لسترتُ عَواريَ الّذي لم يزَلْ مستوراً؛ ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وأنا أستغفر الله تعالى ممّا أودعتُها

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٤.

من أباطيلِ اللغو، وأضاليلِ اللهو؛ وأسترشدُه إلى ما يَعصم من السهو، ويُحْظِي بالعفو، إنّه هو أهلُ التقوى، وأهلُ المغفرة، ووليُّ الخيرات في الدنيا والآخرة"[١].

وينبغي لنا أن نعرف أنّ هذا التواضع الّذي افتتح به مقاماته، واختتمها به لم يكن صادقاً كما يبدو، إذ إنّه كان مؤمناً بعلمه، وبلاغته وفصاحته، وروعة كلامه، وقد أجرى على لسان أبي زيد السروجي بطل مقاماته عبارات شتى تؤكّد تفوّقه، حتّى ليقول في المقامة الحجريّة: (بحر الرجز)

إنْ يَكُنِ الإسْكَنْدَرِيُّ[٢] قَبْلِـي ... ويَعْجِـنُ الجِدَّ بِمَـاءِ الهَـزْلِ

فَالطَّـلُّ قَدْ يَبْدُو أَمَـامَ الوَبْـلِ[٣] ... والفَضْلُ لِلوابِـلِ لا لِلطَّـلِّ[٤]

وما يلفت النظر في هذه الأبيات هو أنّ الحَريري يقدّم أبا زيد السروجي على أبي الفتح الإسكندري بطل **مقامات** بديع الزمان الهمذاني.

ومن ميزات خاتمة كلّ مقامة من **مقامات** الحَريري:

- أنّ المقامات الحريريّة لها بداية ونهاية. فتُصوّر المقامة الأولى اللقاء الأوّل بين الراوي والبطل؛ وتصوّر المقامة الأخيرة فراقهما النهائي.

ويتوالى إيقاع اللقاء، والافتراق مع انقطاع منتظم في ختام كلّ مقامة. والقفزة الهائلة الّتي تحصل من مقامة لأخرى تجعلنا نَعبرُ دون مقدّمات من مدينة إلى مدينة أخرى. ونلاحظ وحدة المعنى، مثلاً: اللقاء والتعرّف في البداية، والافتراق للشخصيّتين الرئيستين في خاتمة كلّ مقامة. وما تنبغي ملاحظته هو أنّ كلّ مقامة تنتهي بافتراق الراوي والبطل، ولهما حديث خاصّ قبل أن يفترقا. كالمقامة الكوفيّة التي تتضمّن وقوف البطل أبي زيد السروجي بباب دار يطلب من صاحبها القِرى ومجاوبته له، ففي نهاية المقامة يقول الراوي الحارث بن همّام: "إنّه ودّعني ومَضَى..."[٥]، أو نرى هذا الافتراق في المقامة الطيبيّة الّتي تتضمّن قيام أبي زيد السروجي فقيهاً بمائة مسألة فقهيّة ملغزة. فبعد إجابة أبي زيد السروجي على الأسئلة الفقهيّة، يصف الافتراق بينه وبين البطل أبي زيد السروجي: "غَرَّبَ وشَرَّقْتُ"[٦]، أي توجّه أبو زيد السروجي إلى المغرب، وسرتُ أنا إلى جهة المشرق. وهلمّ جرّا.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "الخاتمة"، ص ٦٠٣.

(٢) الإسكندري: قد عني به أبا الفتح الإسكندري الّذي عزا بديع الزمان الهمذاني إليه رواية مقاماته.

(٣) الوبل: أشدّه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، مج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٥.

(٥) الحريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٩.

(٦) الحريري، م.س، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٦٢.

وبين البطل والراوي صلة وثيقة، ومعرفة قديمة، فالبطل يرى الراوي في كلّ حادث.

مّما تقدّم نستنتج أنّ الحَريري صنع **مقاماته** بشكل بناء متكامل، له بداية وخاتمة.

٢- عند الحَميدي

كتب الحَميدي خاتمة **لمقاماته** باللغة الفارسية، ونظم أشعاراً بالعربيّة والفارسية أيضاً، واعتمد المفردات العربيّة – كالعادة – كثيراً، وتحدّث فيها عن الأمور التالية:

– حدّد عدد مقاماته بنفسه، وسبب عدم تأليف خمسين مقامة على منوال الحَريري ونَهجه، قائلاً: "چون اين مقامه بيست وسوّم تحرير افتاد... ساقى نوايب دردادن آمد، وعروس مصايب در زادن. نه دل را راى تدبّر ماند، ونه طبع راجاى تفكّر..."[١].

ترجمة الشاهد

لمّا بدأت بكتابة المقامة الثالثة والعشرين... سيل النوائب داهمني وعروس المصائب قرعت بابي، فما بقي لي قلب للتدبّر، ولا عقل للتفكّر...

ثمّ أنشد شعراً: (بحر الخفيف)

عَنْ هَوَى كُلِّ صاحِبٍ وخَليــلِ   شَغَلَتْنِـي نَوائِــبٌ وخُطــوبُ[٢]

– واعترف بالأخطاء النحويّة الواردة في **مقاماته**، وفي أصول أفاعيل العروض، بقوله: "من دراين مكتوب در ترجمه پارسى بر پى نظم ونثر تازى رفته ام ودرآن مضايق به ضرورتِ موانع وعوايق، لحنى وزحفى روداشته ام كه به نزديك شعرا مجوّز است، چون تأنيث وتذكيرى، وتقديـم وتأخيرى، وصرف ولا ينصرفى. واين چون جُستــه شود، در اشعار قدما آن رانظير يافتــه آيد والفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سقطاتُه وأُحْرِزَت مُلْتَقَطاتُه"[٣].

ترجمة الشاهد

أنا في هذه المكتوبات – المـقامـات – ذهبتُ إلى النظم والنثر العربي كثيـراً، فبحـسب الضرورة كانت عندي أخطاء في اللــحن والإعراب، فذلك عند الشعراء قريب مــن الجــواز، مثــل: الأخطاء في التذكير والتأنيث، والتقديم والتأخير، والمنصرف وما لا ينصرف. فإذا وُجد من مثل ذلــك ليس عجيباً، فقد وجد مثلُهُ عند الشعراء القدماء، والفاضلُ مَنْ عُدّت سقطاتُه وأحرزتْ ملتقطاتُه.

– وفي الأخير طلب من الله أن يصفح عن هذه الأخطاء والعيوب، بقوله: "ايزد تعالى ما را و دوستان ما را ازعيب جستن ياران وطعن وقدح همكاران نگاه دارد، وهذيانات اين افسانه هاى نابوده وسرگذ شتهاى ناشنوده درگذراناد"[٤].

---

[١] حميدى، **مقامات**، "خاتمة"، ص ٢١٣.

[٢] حميدى، م.ن، ص ٢١٣.

[٣] حميدى، م.ن، ص ٢١٤.

[٤] حميدى، م.ن، ص ٢١٥.

ترجمة الشاهد

يحفظنا الله تعالى أنا وأصدقائي من تعيّب زملائي وطعنهم ويزيل خرافات هذه الحكايات وليتجاوز الله عمّا لم يُسمع منها أيضاً.

ومن السمات المهمّة لخاتمة كلٍّ من مقامات الحَميدي:

ختمها كلّها على طريقة واحدة، وهي أنّ البطل في خاتمة مطافه يغيب فجأة ويترك المدينة دون أن يعرف أحد كيف ذهب وإلى أين ذهب؟ ويختم الحميدي هذا الموضوع بعبارة: "ندانستم كجا رفت" أي ما عرفتُ أين ذهب؟ وكذلك يختم ببيتين دائماً، ويكون هذان البيتان متّفقين من حيث الوزن والمعنى. فأدّى هذا الالتزام، إلى إنشاد أشعار ركيكة ومتكلّفة وحافلة بالحشو والزوائد أحياناً، نحو ما جاء في المقامة الثانية: وبعد از آن براقدام ايشان بسيارى بشتافتم، جزگرد راه ازايشان درنيافتم.

ثمّ ينشد الشعر التالي: (وزن هزج مثمّن اخرب مكفوف مجبوب = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فَعَلْ)

معلوم من نشد كه برايشان جهان چه كرد
درحــقّ هردوان فلك اندرنهان چه كــرد
با آن جوان وپير در اثناى كرّ وفـــــــرّ
گردون سِفله طبع وخرف ناگهان چه كرد[١]

ترجمة الشاهد

وبعد ذلك ركضت وراء البطلين كثيراً، ولم أحصل إلاّ على غبار الطريق.

– ولم أدرِ ماذا فعل العالَم معهما؟ وماذا أخفى لهما الفلك الدوّار.

– ماذا فعل هذا الفلك الدنيء والأحمق بشكل فجائي مع ذلك الشيخ والفتى أثناء الكرّ والفرّ؟

وكقوله في مقامة التعزيّة:

چون بادبه هر طرفى بتاختم، از پير فصّال اثر نيافتم.

ثمّ ينشد الشعر التالي: (وزن هزج مثمّن اخرب مكفوف مجبوب = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فَعَلْ)

معلوم من نشد كه بر آن پيرخوش زبـــان
ناگه چه كرد بى سبب از ناخوشى جهـــان
اندر كدام خطّه شد از چرخ دون نگـــون
وندر كدام خاك شد از بخت بد نهـــــــان[٢]

---

[١] حميدى، مقامات، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٧.

[٢] حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ٢٠٢.

ترجمة الشاهد

ركضت وراءه كالريح إلى كلّ مكان، ما وجدت أثراً من الشيخ الفاضل.

- لم يتبيّن لي أين ذهب ذلك الشيخ حلو اللسان، وماذا وقع عليه فجأة من هذا العالم الرديء بلا سبب.

- وإلى أين ذهب بسبب هذا الفلك الدنيء، واختفى في أيّ مكان من خبايا حظّه السيء.

وهلمّ جرّا.

لقد اتّضح لنا أنّ الحَميدي كالحَريري صنع **مقاماته** بشكل بناء متكامل أيضاً، لها بداية وخاتمة. واعترف في خاتمة **مقاماته** بأخطائه. واستغفر الله لما أودعها من الأباطيل، وطلب العفو والمغفرة أيضاً.

ثانياً- صُلب مقامات الحَريري والحَميدي

رأينا من الضروري أن نشير إلى العلاقة بين المقامة والقصة القصيرة أوّلاً، لأنّ بعض الأدباء يعتبر المقامة شكلاً من أشكال القصّة القصيرة، ثمّ نشير إلى العُقدة، وزمن الحَدَث والمكان في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

"أمضى فنّ المقامة طفولته الأولى في الأساطير، والحكايات الشعبيّة القديمة للعرب، ثمّ في الروايات والأحاديث القصصيّة"(١). ولم تنقطع كتابة المقامات من عهد بديع الزمان الهمذاني مروراً بالحَريري إلى العصر الحديث. **فمقامات** بديع الزمان الهمذاني تعيّن بدء ظهور القصّة الفنيّة الاجتماعيّة التحليليّة؛ ولا ننكر أن يكون بعض **أحاديث** ابن دريد أساساً للقصّة في الأدب العربي.

يرتبط فنّ القصّة العربيّة بفترة الازدهار الحضاري العربي، ولعلّ **مقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري وما شاكلها من هذا اللون من فنون الكتابة، هي أولى تجارب كتابة القصّة في تاريخ الأدب العربي. وقد مهّدت المقامة المجال لظهور فنّ القصّة القصيرة، لأنّ فنّ المقامة لون من ألوان القصص الأدبي. وكلّما تحدّثنا عن القصّة القصيرة، استوجب ذلك الوقوف عند المقامة. وفي الحقيقة تعدّ المقامة المصدر الرئيسي للقصّة القصيرة.

"ولا شكّ في أنّ المقامة عاشت في أدبنا الحديث فترة، ومهّدت بمضمونها وتطوّرها وتنوّعها على مدى التطوّر، إلى كثير من معالم القصّة القصيرة الحديثة"(٢). ولذلك فمن الضروري أن نتحدّث عن مفهوم القصّة، والقصّة القصيرة تحديداً ونشأتها، وخصائصها، والمقارنة بين فنّ المقامة والقصّة القصيرة، ووجوه الشبه والخلاف بينهما.

---

(١) يوسف الشاروني، **القصّة القصيرة**، ص ٤٤.

(٢) أحمد المديني، **فنّ القصّة القصيرة بالمغرب**، ص ٧٠.

عن مفهوم القصّة، والقصّة القصيرة تحديداً ونشأتها، وخصائصها، والمقارنة بين فنّ المقامة والقصّة القصيرة، ووجوه الشبه والخلاف بينهما.

- القصة

تعتبر القصّة وثيقة الصلة بحياة الإنسان منذ نشأته، ولا تخلو حياة الإنسان منها، منذ خلق الله آدم وحوّاء، وهذا معروف عند كلّ الشعوب والأمم ومنهم العرب من الجاهليّة إلى العصر الحديث. كما نجد عناية القرآن بالقصص، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ قصص القرآن كان يهدف إلى تربية الروح الإنسانيّة وتساميها ولم يهتمّ بعناصر القصّة كالزمان والمكان أحياناً كثيرة، فقصّة يأجوج ومأجوج وأهل الكهف لا تشير إلى الزمان والمكان.

إنّ القصّة عمل أدبي ومرآة لأيّ عصر وزمن، شكلاً، ومضموناً، ولفظاً ومعنى، وقد عرفت على نحو ما في الأدب العربي القديم، على غرار ما عرفته مختلف الشعوب من حكاية، وخرافة، وأسطورة. و "القصّة تراث إنساني شائع في كلّ الأمم قديماً وحديثاً. وقد عرف العرب القصّة منذ أقدم العصور، وخلّفوا لنا آثاراً باقية تدلّنا على ما كان لديهم من القصص والأساطير"[١]. و "هي الحديث الّذي له بداية ونهاية، وفيه رمز مفهوم، وعبرة متناولة"[٢].

وانتشرت القصّة في البلاد العربيّة، لأنّها أكثر مناسبة لطبيعة المجتمع العربي من سائر الفنون ما عدا الشعر الّذي كان متقدّماً على كافة الفنون الأدبيّة عند العرب.

- القصّة القصيرة

تعدّ القصّة القصيرة خير تعبير عن العصر الّذي يعيش فيه الكاتب. وفيها الخيال والإبداع، وفيها من الواقع ما يجعل متلقّيها يتعرّف على شخصيّاتها، ويشعر بأنّه يعرف تفاصيل حياتهم. وهي فنّ جميل "يجمع من كلّ الفنون، ففيها من القصيد بناؤه وتماسكه، وفيها من الرواية الحدث والشخوص، وفيها من المسرح الحوار ودقّة اللفظ واللغة، وفيها من المقال منطقيّة السرد ودقّته، وهي بذلك تأخذ من كلّ فنّ أدقّ وأجمل ما فيه، لتقدّم لنا إمتاعاً فنّيّاً راقيّاً، يضعها في مصاف فنون الكتابة الّتي ازدهرت في القرن الأخير"[٣].

والوصول إلى تعريف شامل للقصّة القصيرة يعدّ محاولة غير ذات جدوى، لأنّها دائماً في حالة التطوّر، فلهذا تتعدّد أشكالها وتتكاثر، فمن ثمّ لا نجد تعريفاً واحداً وشاملاً لها. لأنّ القصّة

---

(١) محمّد زغلول سلام، **دراسات في القصّة العربيّة الحديثة**، ص ٦٣.

(٢) سمحي ماجد الهاجري، **القصّة القصيرة في المملكة العربيّة السعودية**، ص ٢٥١.

(٣) محمود تيمور، **القصّة العربيّة**، ص ٦.

القصيرة أصعب أنواع الأدب، ولا يستطيع أحد أن يحدّد بطريقة جامعة ماهيّة هذه القصّة"[1]، لكنّها تحتفظ بالبناء الحدثي في كلّ أشكالها.

- نشأة القصّة القصيرة

كان الإنسان منذ القديم يحبّ القصّة، وصوّر حياته وعقائده ومغامراته وبطولاته في قالب القصص. واتّخذ موضوعات مختلفة مجالاً للتعبير عن شجاعته وبطولته. ولعلّ أقدم الفنّ القصصي عند العرب يلاحظ في القصص الشعريّة، كما أنّ شعراء الجاهليّة اتّخذوا موضوعات شتّى، وعبّروا بها عن شجاعتهم وبطولاتهم، وقصّوا علينا في أشعارهم كثيراً من وقائعم اليوميّة في البيئة.

إنّ القصّة لم تكن موجودة قديماً بمعناها اليوم، ولو ألقينا نظرة سريعة على تاريخ القصّة في الأدب العربي خاصّة، لتبيّن لنا أنّ العرب منذ العصر الجاهلي كانت لهم قصص وأخبار تدور حول الوقائع الحربيّة. ولمّا ظهر الإسلام جاءهم بأحسن القصص في تثبيت العظة والعبرة أو في نشر معاني الدعوة الإسلاميّة. ويعتبر اعتماد القرآن في بعض قصصه على الحوادث الأسطورية بعثاً للحياة الأدبيّة وسُمُوّاً بالروح الإنسانيّة.

ظلّ هذا شائعاً حتّى جاء بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وابتكر شكلاً من أشكال القصّة القصيرة سمّاها المقامات. "ففنّ القصّة القصيرة الّذي ظهر كعمل أدبي عالمي رائع عند الشعوب المتمدّنة، هو فنّ عربي قديم، يتمثّل في المقامات الرائعة الّتي تمثّل أدباً إنسانيّاً، وأنموذجاً عالميّاً أثّر في الآداب الأخرى أيّما تأثير"[2]. فالقصّة القصيرة هي نتاج تطوّر طبيعي لشكل المقامة.

وأمّا القصّة القصيرة العربيّة الحديثة، فقد تأخّر الكتّاب العرب في كتابتها، وفي الحقيقة نشأت في القرن الثالث عشر للهجرة /التاسع عشر للميلاد ومرّت بمراحل عديدة، وتطوّرت بسرعة. وأوّل قصّة قصيرة مصريّة حديثة مستكملة للعناصر الأساسيّة في هذا الفنّ كتبها محمود تيمور[3] سنة ١٣٤٩/ ١٩١٧ وسمّاه "في القطار". ولعلّ أحد أسباب هذا التأخير هو أنّ الكتّاب أكثرهم كانوا مقلّدين

---

(١) حسين القباني، **نظرات في القصّة القصيرة**، ص ٧.

(٢) علي نجيب عطوي، **تطوّر فنّ القصّة اللبنانيّة العربيّة**، ص ٤٥.

(٣) محمود تيمور: محمود بن أحمد بن إسماعيل تيمور. ولد في القاهرة سنة ١٣١١/ ١٨٩٤. هو كاتب قصصي ونابغة مصري، بدأ كتابة القصّة بالعاميّة ١٣٣٨/ ١٩١٩، وتقدّم في لغته حتّى كان من حملة لواء الفصحى. وكتب كثيراً. وآثاره متنوّعة منها القصّة والمسرحيّة والبحث. ومنها: **قال الراوي، دنيا جديدة، والنبي الإنسان** إلخ. توفيّ سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣، ودفن في القاهرة. الزركلي، **الأعلام**، مج ٧، ص ١٦٥.

لمقامات بديع الزمان الهمذاني والحَريري، وكان همّهم الوحيد أن يسيروا على نمطها، ويجيدوا فنّ المقامة، فلهذا لم يأتوا بشيء جديد، حتّى العصر الحديث، وقاموا بكتابة قصص تمثيليّة أو أقصوصة حديثة.

ثمّ انتشرت القصّة القصيرة بمفهومها الحالي والمتطوّر، وازدهرت بفضل الصحف والمجلاّت الّتي تعني بعرض القصص على صفحاتها، وبسبب إقبال الناس على قراءتها.

- خصائص القصّة القصيرة

القصّة القصيرة قريبة من الواقعيّة كثيراً، وتعالج أحوال الناس العاديين، وتلتفت إلى العناصر الكادحة في المجتمع. فلذلك نرى الإطار العام لدى كتّاب القصّة القصيرة الحديثة هو الواقعيّة. فخطت القصّة القصيرة خطوات فسيحة في طريق التطوّر، لأنّ الكاتب يعتمد على معطيات الواقع الخارجي، ويتّجه نحو الحقيقة، ويتأثّر بالمجتمع. و"القصة القصيرة الحديثة تستمد وتتمثّل ألوانها، وأجواءها وبنيتها من الجوّ العصري"[(١)]. ولها أصول، وقواعد، وعناصر فنّيّة، ومضمونيّة وطرق التعبير الّتي تميّزه عن بقيّة الفنون الأدبيّة. يجتمع في القصّة القصيرة بعض العناصر ليعمل معاً متضافرة متآزرة، وإن يتغيّر في كلّ عصر وزمن، ويضيف إليها كلّ مبدع شيئاً جديداً. ومن أهمّ العناصر الّتي تقوم عليها القصّة القصيرة: الأسلوب، اللغة، العُقدة، الشخصيّات، الموضوع، الحوار، البداية والنهاية. فسنقوم بشرح هذه العناصر باختصار:

أ- الأسلوب

الأسلوب هو أساس فنّ الأدب، ويتطوّر هذا الأسلوب بتطوّر أفكار الكاتب. فالكاتب بأسلوبه الخاصّ يترك الأثر على ذهن القارئ. فلا ريب أنّ هناك أساليب مختلفة موجودة بعدد كتّاب القصّة القصيرة، وكلّ كاتب له أسلوبه الخاصّ، فنجد أساليب كثيرة بتعدّد القصص القصيرة الّتي نُشرت.

فاختيار الأسلوب المشوب بالبهرجة اللفظيّة والمحسّنات البلاغيّة وألوان البديع والبيان الّتي يستهدف بها الكاتب استعراض عضلاته البيانيّة والبلاغيّة يفسد القصّة ذات الموضوع الجيّد والصياغة الفنّيّة"[(٢)]. كما أنّ استعمال المحسّنات البلاغيّة كالتشبيه والاستعارة والتورية مفسدة للقصّة، إلاّ أن "تخدم القصّة فإنها عندئذه تكون ضرورة لازمة لازدياد جمال القصّة"[(٣)].

---

(١) عبد الرحمن أبو عوف، **مقدّمة في القصّة المصريّة القصيرة**، ص ٧.

(٢) حسين القباني، **نظرات في القصّة القصيرة**، ص ٥٧.

(٣) حسين القباني، م.ن، ص ٥٧.

ب- اللغة

تختلف اللغة في كلّ عصر عن اللغة في عصر آخر، فاللغة في عصر الجاهليّة غير اللغة في عصر المماليك، أو غير اللغة في العصر الحديث. وتعدّ اللغة أداة للكاتب، "ولا يكفي معرفة قواعد اللغة فحسب، بل لا بدّ من توافر ثروة لغويّة تتيح للكاتب أن يختار لفظاً دون آخر لأنّه أدقّ أداء في نقل انطباعه"[١].

ج- العُقدة

العنصر الثالث في القصّة القصيرة هو العقدة، أي الحبكة أو المأزق، والعقدة هي "تتابع زمني يربط بينه معنى السببيّة، أي أنّ عقدة القصّة تجيب أساساً على سؤالين: وماذا بعد؟ ولماذا؟" [٢]. وتأتي العقدة بعد أن يختار الكاتب الموضوع والشخصيّة الرئيسة الّتي ستدور حولها أحداث القصّة، فلمّا اختار الكاتب الموضوع والبطل، لا بّد من أن يدفع الشخصيّة في المأزق أو في الحبكة الّتي ستتكون منها العقدة.

د- الشخصيّات

إنّ شخصيّات القصّة القصيرة إمّا من إبداع الكاتب أو من خيالاته أو مبنيّة على تجربته الخاصّة، أو مأخوذة من التاريخ. فيبني الكاتب القصّة القصيرة على الاهتمام بشخص واحد، والتركيز على دوره المعيّن، ثمّ يهتم بالشخصيّات الأخرى. و"يفضّل الكاتب أقلّ عدد ممكن من الشخصيّات، خلافاً للقصّة والرواية حيث يكثر الأشخاص. لأنّ القصّة القصيرة ليست فرصة لرسم عدد كبير من الشخصيّات، لضيق الحيز من جهة، ولأنّ القصّة ذاتها لم تنشأ لتحليل عدد كبير من الشخصيّات من جهة أخرى"[٣]. فالكاتب الناجح هو الّذي ينجح في رسم شخصيّات القصّة في ذهن القارئ بوضوح. فرسم الشخصيّات في القصّة القصيرة يستلزم مزيداً من الجهد والبراعة والخبرة.

هـ- الموضوع

إنّ الموضوع الجيّد الأصيل المبتكر يلفت نظر القارئ ويثير إعجابه ويحرّك مشاعره بين الحين والآخر ويجعله يتساءل: كيف ستنتهي القصّة؟ كيف سيحلُّ البطل المشكلة؟

يستطيع الكاتب أن يجد موضوعات قصصه حواليه، أو يستغل قدرته على التخيّل في تطوير الموضوع وتحويله إلى القصّة، ويمزج بين الحقيقة والخيال. فعلى الكاتب أن يدوّن موضوعات قصصه من مشاهداته وملاحظاته وأحاديثه مع الآخرين.

---

(١) حسين القباني، **نظرات في القصّة القصيرة** ، ص ٦٤.

(٢) حسين القباني، م.ن، ص ٦٧.

(٣) عزّ الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه**، ص ١٧٥.

و- الحوار

من البديهي أنّ الحوار يكون من أهمّ العناصر في القصّة القصيرة. والكاتب يعبّر عن آرائه بلسان الشخصيّات. و "الحوار يساعد على رسم شخصيّات القصّة، وعلى تصوير موقف معيّن في القصّة، أو حالة نفسيّة، مثل: الخوف، أو الفرح، أو الوفاء، أو الشجاعة والجبن ..."(١).

ز- البداية والنهاية

تعدّ البداية والنهاية من عناصر القصّة. أمّا "البداية فلا بدّ من أن تثير اهتمام القارئ وتشدّه إلى القصّة، وربّما كان عنوان القصّة هو بدايتها، وهو الّذي يجذب القارئ إليها أو يجعله لا يكترث لقراءتها"(٢). وأمّا النهاية فلا تقل عن البداية أهميّة، لأنّها ليست مجرّد ختام لأحداث القصّة، بل هي التنوير النهائي، واللمسة الأخيرة الّتي تمنح الكشف عن شخصيّات القصّة، كمالها ونهايتها"(٣).

فمن عوامل نجاح القصّة القصيرة هي أن يشدّ الكاتب انتباه القارئ منذ بداية القصّة وافتتاحها، ويجعله يتعلّق بالقصّة وينجذب إليها، وإلاّ فلا فائدة من الاستمرار؛ لأنّ القارئ حين لا تعجبه القصّة من البداية لا يستمر في قراءتها. فلهذا يجب أن يهتم الكاتب بالأسطر الأولى ويكون حريصاً عليها. لأنّ البداية المؤثّرة تعتبر جوهريّة ومهمّة للقصّة القصيرة وتجبر القارئ على متابعة القصّة.

للقصّة القصيرة عناصر مهمّة تتضافر وتتشابك لتخرج في النهاية هذه التركيبة الإبداعيّة الإنسانيّة. وقد حاولنا الوقوف على أهمّ عناصر وتراكيب فنّ القصّة القصيرة الّذي يضفي مزيداً من الجمال على تكوينها.

- بين المقامة والقصّة القصيرة

اختلف الأدباء المعاصرون حول وجود علاقة بين المقامة والقصّة القصيرة؛ فالبعض يرى أنّ "المقامة أُريد بها التعليمُ منذ أوّل الأمر، ولعلّه من أجل ذلك سمّاها بديع الزمان مقامة، ولم يسمّها قصّة ولا حكاية، فهي ليست أكثر من حديث قصير، وكلّ ما في الأمر أنّ بديع الزمان حاول أن يجعله مشوّقاً فأجراه في شكل قصصي"(٤). وليست لها أيّة قيمة قصصيّة وإن كانت قد وضعت في القالب القصصي. والهدف من تأليفها كان التعليم، أو الموعظة، أو النكته، أو الألغاز اللغويّة والنحويّة،

---

(١) حسين القباني، **نظرات في القصّة القصيرة**، ص ٩٨.

(٢) حسين القباني، م.ن، ص ٧٠.

(٣) حسين القباني، م.ن، ص ٧٠ - ٧١.

(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٨.

فالمقامة في نظر هؤلاء مجرّد حديث أدبيّ قصير. لكن في مقابل هذا الرأي نجد أنّ كثيراً من الكتّاب والأدباء المعاصرين يقومون بالمقارنة بين المقامة والقصّة القصيرة، ويعتقدون أنّ المقامات تكاد في بعض نماذجها أن تقارب القصّة القصيرة، وإن كان أكثرها لا يحتوي إلاّ على زخرفة لفظيّة وألفاظ غريبة. ويحسبون المقامات من أوّل بذور النثر القصصي في الأدب العربي، ويعتبرونها "صوراً للقصّة القصيرة، ونموذجاً لها، وفيها من القصّة القصيرة العقدة وتحليل الشخصيّات"[١].

- وجوه الشبه والخلاف بين المقامة والقصّة القصيرة

تعتبر **مقامات** بديع الزمان الهمذاني في الأدب العربي تمهيداً لظهور القصّة الفنّيّة الاجتماعيّة التحليليّة. فمن أهمّ الفنون الأدبيّة المرتبطة بالقصّة القصيرة ارتباطاً وثيقاً، هي فنّ المقامة. ووجه الاشتراك بينهما في البناء الحدثي والحوار والحبكة والسرد والحلّ والزمان والمكان. فأشبه الأجناس بالقصّة القصيرة في الأدب العربي هو المقامة. وكانت المقامة هي الإرهاصة الأولى لفنّ القصّة القصيرة العربيّة بشكلها المتعارف عليه الآن.

وأمّا وجوه الخلاف فهي أنّ "المقامة تخلو من أهمّ مقوّمات القصّة القصيرة، وهي الحادثة الواحدة، الحسيّة أو الروحيّة الّتي تدور حولها أعمال الأشخاص، كما أنّها تخلو من الشخصيّات القصصيّة الحيّة، الّتي يعرضها الكاتب، ويحلّلها، ويدرس أجزاء نفسها"[٢]. كما أنّ "الطاقة في المقامات موجّهة أكثرها إلى المحسّنات اللفظيّة، والأسلوب المصطنع، والألغاز اللغويّة وما إليها، ممّا يطغى على مضمونها القصصي، ويحول دون تأثيره في نفس القارئ"[٣]. ولكن أيضاً في المقامة شخصيّات حيّة، والكاتب هادف من تصويرها إلى أغراض معيّنة، أقلّها الفكاهة، وأهمّها التوجيه والإرشاد على خلاف رأي الكاتب "خضر"، والفرق فقط في إغراق المقامة في المحسّنات اللفظيّة.

وأمّا من خلال قراءاتي **لمقامات** بديع الزمان الهمذاني والحَريري والحَميدي وغيرها، فقد تبيّن لي أنّ المقامات ليست قصّة بالمعنى المفهوم من القصّة القصيرة. كما أنّ أصحاب المقامات لم يسمّوا مقاماتهم القصص، إذ إنّ هدفهم من كتابة المقامات كان التعليم أو الوعظ بأسلوب قصصي، ومع ذلك فالمقامة هادفة فهي تصوّر الحياة العباسيّة تصويراً دقيقاً في الأفكار والسلوك والمجتمع.

فإذا قابلنا بين القصّة القصيرة والمقامة لنجد أنّ:

- القصّة القصيرة عادةً لا تبني على الكدية، أو الوعظ والإرشاد، كما نجد ذلك في المقامة.

---

(١) زكي مبارك، **النثر الفنّي**، ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) محمّد يوسف نجم، **القصّة في الأدب العربي الحديث**، ص ٢٤٣.

(٣) عبّاس خضر، **القصّة القصيرة في مصر**، ص ١٨ – ١٩.

– القصّة القصيرة تتّجه إلى دراسة شخصيّة أبطال القصّة دراسة عميقة، بحيث تقدّم صورة كاملة منها للقرّاء، ولكن لا نرى مثيلاً لذلك في المقامات.

– أسلوب القصّة يتمايز عن أسلوب المقامة لأنّ أسلوب المقامة مزخرف بالسجع والجناس والمحسّنات اللفظيّة والبديعيّة، بهدف إظهار القدرات الفنيّة على الكتابة. وكتّاب المقامات منذ نشأتها حتّى العصر الحديث متأثّرون بهذا الأسلوب، ويعتبرونه الوسيلة الأولى للتأثير على نفوس الناس. إلاّ أنّ الكتّاب المحدثين للقصّة القصيرة ابتعدوا عن المحسّنات البلاغيّة والبيانيّة، والبهرجة اللفظيّة والزخارف السطحيّة، واتّجهوا إلى البساطة القائمة على الفهم الحقيقي، باعتماد الكلمات البسيطة والمتلائمة مع اتّجاهات القرّاء الفكريّة. كما أنّ المقامة تعتمد على الاستشهاد بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثال والأشعار أحياناً، ولا نرى ذلك في القصّة القصيرة.

– غلبت الصنعة البيانيّة في المقامة على القصّ والحكاية، ولذلك كانت المحسّنات البلاغيّة أهمّ مقاتل العنصر القصصي في المقامة رغم وضوح هدفها وغايتها.

أ– العُقدة في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بدراسة موضوع العُقدة في **مقامات** الحَريري، ثمّ الحَميدي.

١ – العُقدة في مقامات الحَريري

قبل أن ندخل في صُلب موضوعنا، لا بدّ من الإشارة إلى مفهوم العُقدة الاصطلاحي، ودورها في القصّة. فالعُقدة في مفهومها الاصطلاحي تعني "القيمة الّتي تلتقي عند جميع الأنهار المتفرّعة في أحداث القصّة لتصبّ أخيراً في مجرى المضمون الكبير، وهي لا تنفصل عن الحبكة في شيء لأنّ الحبكة هي المعمار الشامل بما فيها العُقدة نفسها"[1]. وقد سُمّيت عُقدة لأنّها قمّة الأزمة في القصّة.

تُعتبر العُقدة أحد عناصر ثلاثة – الحوار، الشخصيّات، العُقدة – تتكوّن منها القصّة. ولكلّ قصّة ثلاث مراحل، فالعُقدة مرحلة وسطى بين بداية القصّة أي مرحلة أولى وبين نهاية القصّة أي المرحلة الثالثة. وفي الحقيقة تحلّ العُقدة في نهاية القصّة وتنفرج الأزمة وتنتهي القصّة في هذه المرحلة.

فيمكننا القول: إنّ بداية القصّة أي المقدّمة خبر ينمو شيئاً فشيئاً، وحين يصل إلى ذروة نموّه ويتطوّر نسمّي هذه الذروة بالعُقدة، ثمّ نصل إلى الحلّ.

تجدر الإشارة إلى أنّ العُقدة في مقامات الحَريري والحَميدي ترتبط بالمراحل، وبالمقوّمات، وتتّصل بالشخصيّات وحوارها وبالموضوع وفكرته وغايته. فبسبب هذا الامتزاج بين الموضوع وبين

---

(١) يوسف نور عوض، **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**، ص ٦١ – ٦٢.

الشخصيّات من الصعب أن نفصل بين هذه المقوّمات أو العناصر، والعُقدة ومراحل القصّة في كلّ مقامة. فلذلك حين نتحدّث عن العُقدة لا حيلة لنا إلاّ أن نُشير إلى عناصر أخرى كالشخصيّات أو الحوار.

وأمّا الحَريري في حديثه عن الكدية والتكدّي، فقد أوقع بطله أبا زيد السروجي في مأزق الفقر والجوع، ولم ينجُ منه إلاّ بعد أن يختار حيلة يحتال بها على جمع من الناس، ويستعطف عواطف الناس، ويسلب عقولهم ببراعة كلامه نثراً ونظماً[١].

فالعُقدة في هذه المقامات تجعل القارئ متشوّقاً إلى معرفة النتيجة. وفي ذلك سرعان ما يكتشف أمره الراوية الحارث بن همّام تماماً، لكنّه يتركه يذهب[٢]، رُغم أنّ البطل أبا زيد السروجي كان بارعاً وموفّقاً في أداء دوره. وهذا هو الحلّ المفاجئ لأنّه لم يكن متوقّعاً.

وعلى سبيل المثال تظهر العُقدة في المقامة البغداديّة[٣] حين عَلِم الراوية الحارث بن همّام أنّ المتكدّية ليست إمرأةً بل إنّها أبو زيد السروجي، فيطّلع على حقيقة حاله ويكشف سرّه، ويلومه. وذلك في يوم من الأيّام خرج الحارث بن همّام مع جماعة من الشيوخ إلى ضواحي بغداد فيرون امرأةً عجوزاً متكدّية ومعها صبيان. فحيّرتْ المتكدّية العقولَ ببراعة عبارتها، وفصاحة كلامها واستعاراتها نثراً ونظماً. فتؤثّر في قلوب الناس بجمال كلامها، فأعطاها كلٌّ من الناس شيئاً. وتحلّ هذه العقدة على أساس أنّ الحارث بن همّام يتبعها، حتّى تدخل في مسجدٍ خالٍ، وتزيل ثوبها، وتكشف البرقع، فحينئذٍ يطّلع الحارث بن همّام على أنّه أبو زيد السروجي.

وأمّا في المقامات الوعظيّة فتظهر العقدة في المقامة الصنعانيّة[٤] حين نلتقي بالبطل أبي زيد السروجي في جمع من الناس، وقد وقف يعظهم فبلغ من التأثير غاية التأثير، وحين ينصرف يتبعه الحارث إلى أن يدخل مغارةً فيتطلّع إليه، ويراه مع غلامه وقد وضعا الطعام والخمر، فيغضب على فعلته هذه، ويستغرب ممّا رآه.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٦، و "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٤٩ – ٢٥٤، و"المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٢ – ٣٦٧.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٦ – ١٢٧، و "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٤، و"المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٩.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٨.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٦.

وتظهر العقدة في المقامة الساويّة[١] حينما نجد أبا زيد السروجي قد وقف في المقابر واعظاً الناس كي يتدبّروا حالهم وليعملوا لمثل هذا اليوم، فيناله عطاء كثير. ويكتشف الحارث بن همّام أمره كالعادة.

أو في المقامات الّتي وضعها لغرض التعليم فقد أوقع الحَريري بطله في مآزق نحويّة وفقهيّة وأدبيّة، ثمّ يُنجيه بسرعة وبسهولة، فتأتي الحلول بكشف المعميّات النحويّة والفقهيّة وإنشاء الأشعار المتضمنّة لشيء من الصنعة. ففي المقامة القطيعيّة[٢] نرى جماعة الناس وقد جلسوا يتسامرون فأنشد مغنّيهم: (بحر الوافر)

فإنْ وَصْلاً أَلَذُّ بِهِ فواصلْ   وإنْ صَرْماً فَصَرْمٌ كالطَّلاق

فيسأله الجمع لمَ نصب الأول ورفع الثاني، فأقْسَم بتُربة أبويه أنّه نَطَق بما اختاره سيبوَيه، فتشعّبت الآراء حوله في تجويز النصب والرفع. وفي النهاية يكشف أبو زيد السروجي عن معمّياته بعد أن ينال من العطاء.

أو في المقامة الطيبيّة[٣] تظهر العُقدة حين يجتمع الناس حول أبي زيد السروجي ويسألونه مسائل شتّى أو مسائل فقهيّة، فهو يجيب عليها بطلاقة. أو في المقامة الحلبيّة[٤] تظهر العقدة حين يجتمع جماعة من الصبيان حول أبي زيد السروجي، وهو يعلّمهم ويطلب منهم إنشاد بعض الأشعار المتضمّنة لشيء من الصنعة، فينشد الطلاّب تباعاً على النحو الذي اشتملت عليه بلاغته في مقاماته.

من خلال هذه الجولة في **مقامات** الحَريري حول العُقدة، اتّضحتْ لنا الأمور التالية:

- أوقع الحَريري بطله أبا زيد السروجي في مآزق كثيرة، فمثلاً في المقامات الوعظيّة أوقعه في مأزق الفقر والجوع، ولم ينجُ منه إلاّ بعد اختيار الخدعة والحيلة، واستعطاف قلوب الناس وعواطفهم، وذلك بفصاحة كلامه وبلاغته. وفي المقامات التعليميّة، أوقعه في مأزق نحويٍّ أو فقهيّ أو أدبيّ، ولكنّه يُنقذه بسرعة، فيأتي الحلّ بكشف المعمّيات النحويّة والفقهيّة.

- بطل **مقامات** الحَريري الرئيس هو أبو زيد السروجي، إذ تدور حوله العقدة في كلّ مقامة، وتأتي الحلول بطريقة علميّة، أو أدبيّة، أو فقهيّة، أو إغماض نظر الراوية عن أخطاء البطل أبي زيد السروجي.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٧ – ١٠٦.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٩.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٧ – ٣٥٧.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٢ – ٥٤٠.

٢ – العُقدة في مقامات الحَميدي

تظهر العُقدة في مقامات الحَميدي بصور مختلفة بسبب تنوّع موضوعاتها. فالعقدة تكون طريفة ورتيبة أحياناً كالمقامة السادسة[١]، وتُثير أحياناً أخرى شعور القارئ كثيراً لمعرفة النتيجة كالمقامات المتعلّقة بالمناظرات[٢] بين الشخصيّات المختلفة، أو تكون معدومة كالمقامة الخامسة[٣] بسبب تراكم الأحداث المختلفة في مقامة واحدة، فيؤدّي ذلك إلى التعقيد، ويستلزم الدقّة والتركيز على الموضوع لكي لا تضيع العقدة. لأنّ الحَميدي يهتمّ بالوصف كثيراً ويصف الرياض والرياحين والأزهار وبعد ذلك يظهر شيخ في ثياب مندرسة، ثمّ نسمع ألغازاً على لسان شخص مجهول بين الناس، ويترك الجواب للقارئ. ثمّ يقوم الشيخ ويتحدّث عن أنواع الشعر وفجأة يستجدي، وبعد ذلك يُكمل حديثه عن الشعر وأنواعه ويشرح أنواع الشعر، ثمّ يأخذ الأموال والعطايا من الناس ويترك المدنية.

سنحاول أن نُلقي نظرة سريعة على العقدة في بعض مقامات الحَميدي، لنعرف مدى تأثّره بالحَريري أيضاً.

وأمّا العُقدة في المقامة السكباجيّة[٤] فهي طريفة لأنّها تَستَرعي نظر القارئ وتشجّعه على معرفة النتيجة. والأحداث كثيرة متراكمة متشابهة، لكنّها بعيدة عن التشابك والتعقيد، وتزيد في التشوّق. وتعتبر من أجمل مقامات الحَميدي وأطولها وأفكهها وأدقّها وصفاً. وبناها الحَميدي على حادثةٍ عرضها بطريقة التسلسل والتتابع. وجعل بذلك القارئ يرافقها من البداية حتّى النهاية. فتظهر العقدة حين دُعي الشيخ أي البطل إلى الوليمة، ولمّا رأى الشيخ إناء السّكباج رجف من الخوف وهرب كالريح. فمن هنا تبدأ العُقدة، والقارئ يتابع القصّة بحرصٍ شديدٍ ليعرف النتيجة وسبب هذا الخوف والفرار. ولكنّ الحَميدي يُطيل الحديث ويصف الأحداث المختلفة، بَيْدَ أنّه يجمع بين مشاهد غير مترابطة مع براعة في ذلك. فعلى سبيل المثال يصف لنا زوجة التاجر وأصالتها وجمالها وطاعتها ورقّتها وبراعتها في الطهي، وكذلك أولاده وجمالهم، ثمّ يتحدّث عن داره وعن كلّ جزء من أجزائها، كيف اشتراها، وحيطانها، وأثاثها من الإبريق والطست وغير ذلك. وبعد ذلك يُخبر التاجرُ الشيخَ بأنّ هذه الدار كانت في قديم الزمان سجناً كبيراً، ورؤوس آلاف أشخاص مدفونة تحت تراب هذه الدار. ويخاف الشيخ من

---

(١) حَميدي، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٤ – ٧٣.

(٢) حَميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢ – ٣٦، و "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٤ – ١٠٢، و"المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠ – ١٢٥، و"المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠ – ١٥٣، و"المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجم"، ص ١٨١ – ١٨٧.

(٣) حَميدي، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥١ – ٥٩.

(٤) حَميدي، م.ن، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٤ – ٧٣.

حديث التاجر ويعزم على الفرار بقوله: "لَيلُ الطالبِ صبحٌ ساطع وفرصةُ الغالبِ سيفٌ قاطع. لا غرو أنْ أكون مِن المُبلسين، والفرارُ عن هذا المقام من سُنن المرسَلين"(١).

وأمّا الحلّ فكان مفاجئاً لأنّ المقامة تنتهي بدخول الشيخ السجنَ، وبعد ذلك إخراجه من السجن. وهذا هو الحلّ المفاجئ لأنّه لم يكن متوقّعاً. ورغم ذلك فقد كان بارعاً وناجحاً.

أو في المقامات الوعظيّة نحو المقامة الأولى(٢) والمقامة الرابعة(٣) والمقامة العاشرة(٤) تظهر العقدة حين يخطب شيخ غريب خطبةً وعظيّة في غاية الفصاحة والبلاغة، ويخاطب العلماء والأدباء أيضاً، ويدعوهم إلى العلم والحلم معاً، والإيمان، ويذكّر الناس بالموت والبعث والآخرة وثوابها وعقابها، ويدعوهم إلى الإحسان، والتفكّر في الخلق والبعث، وإحياء الأموات... وفي المقامة الأولى(٥) يتحيّر القارئ حين يسمع نصائح وإرشادات الواعظ بلغات مختلفة، فمرّة يعظ الناسَ باللهجة العاميّة أي بلغة أهل الحِلّة والحلّة اسم مدينة قرب بغداد، ومرّةً أخرى بلغة أهل الكِلّة أي الأعراب، وتارةً بالعربيّة الفصحى، وتارةً أخرى بالفارسيّة. وفي نهاية هذه المقامات الوعظيّة يفاجئ القارئ حين يتسوّل الشيخ الواعظ(٦).

أو في المقامات الّتي تتعلّق بموضوع المناظرات بين شخصَين(٧)، فقد أوقع الحَميدي بطلَيْه في مآزق كثيرة لم ينجُ منها أحد إلاّ بعد مناظرات طويلة، فينتصر أحدهما على الآخر بالاستناد إلى الآيات القرآنيّة، أو الأحاديث النبويّة، أو القصص القرآنيّة، أو المعلومات العلميّة حول موضوع المناظرة. ويفاجئ القارئ أحياناً في نهاية بعض المقامات حين يلاحظ استجداء الأبطال كما في المقامة الثانية(٨)،

---

(١) حَميدي، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٧٢.

(٢) حَميدي، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٩.

(٣) حَميدي، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥ – ٥٠.

(٤) حَميدي، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٥ – ١٠٩.

(٥) حَميدي، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.

(٦) حَميدي، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٩، و"المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٥٠، و"المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٨.

(٧) حَميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢ – ٣٦، و"المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٤ – ١٠٢، و"المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠ – ١٢٥، و"المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠ – ١٥٣، و"المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨١ – ١٨٧.

(٨) حَميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٦.

والمقامة الثانية عشرة[١]، أو يفاجئ أحياناً أخرى حين يجد المناظِر المنتصِر يحتضن المناظِر الثـاني، ويمجّده ويكرمه، ويعترف بصحة كلامه[٢] أيضاً.

نجد أنّ هذه المقامات كلّها في نهاية الأمر تدور حول عقدةٍ واحدةٍ هـي اخـتلاف الآراء فـي المسائل العلميّة أو الفقهيّة أو الأخلاقيّة. وجاء الحلّ المفاجئ على أساس أنّ مَنْ معه الحقّ ينتصر.

وتظهر العُقدة في المقامة الأخيرة الثالثة والعشرين[٣] حين يسأل فتـىً شـيخاً – مـن أبطـال المقامات – غريباً أن يذكر له أسماء الخلفاء منذ عهد النبي إلى زمنه. فيُنشد الشيخ قـصيدةً بالعربيّـة، ويذكر فيها اسم كلّ خليفة من عهد النبي إلى عهده أي زمن الخليفة المستنجد بالله. ثمّ ينـشد القـصيدة نفسها بالفارسيّة. ويستغرب القارئ في نهاية المقامّة حينما يستجدي الفتى والشيخ.

من خلال ما تقدّم نستنتج الأمور التالية حول العُقدة في مقامات الحَميدي:

– تظهر العُقدة بأشكال مختلفة بسبب تنوّع الموضوعات. فتكون العقدة أحياناً طريفـةً ورتيبـةً كما لاحظنا في المقامة السكباجيّة، وتكون العُقدة أحياناً أخرى مثيرة لأنّهـا تحـرّك أحاسـيس القـرّاء ليعرفوا النتيجة سريعاً كالمقامات التي تجري فيها المناظرات بين الشخصيّات.

– وتظهر العُقدة في المقامات الوعظيّة حين يخطب شيخ غريب خطبـة وعظيّـة فـي غايـة الفصاحة والبلاغة، وتنتهي المقامة باستجداء الواعظ.

– كما أنّ العقدة تظهر في المقامات التعليميّة حين يعلّم الشيخ الفقيه الحاضرين بعض المـسائل الفقهيّة من خلال الأسئلة والأجوبة. وكذلك في المقامة الأخيرة تظهر العُقدة حين يذكر البطـل أسـماء الخلفاء منذ زمن النبي حتّى عصره، وفي الواقع هو يعلّم الحاضرين التاريخ.

* * *

ورأينا وجوه الشبه بين **مقامات** الحَريري والحَميدي من حيث العُقدة كما يلي:

– ترتبط العقدة في **مقامات** الحَريري والحَميدي بالمقوّمات والعناصر الأساسيّة أي الشخصيّات وحوارها.

– البطل هو الأساس فلذلك تدور العقدة حوله.

– فقد أوقع الحَريري والحَميدي بطليهما في مآزق كثيرة، ويُنقذانهما في نهاية المقامـة بطـرق مختلفة، وذلك إمّا بحيلهما وخدعهما، واستلاب عقول الناس، أو بواسـطة مقـدرتهما اللغويـة وسـعة معلوماتهما في مجالات شتّى.

---

(١) حَميدي، **مقامات**، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٥.

(٢) حَميدي، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجم"، ص ١٨٧.

(٣) حَميدي، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥ – ٢١٠.

- يأتي الحلّ أحياناً سريعاً، وأحياناً أخرى بعد حلول الحوادث والمناظرات الطويلة.

فممّا تقدّم يمكننا القول: إنّ الحَميدي تأثّر بمقامات الحَريري حتّى من حيث العُقدة في مقاماتـه، وكذلك تأثّر بمقامات الهمذاني من حيث العُقدة أيضاً، وذلك في المقامة السادسة: في السكباج لأنّها تعـدّ صورة طبق الأصل للمقامة المَضيريّة.

ب- الزمان في مقامات الحَريري والحَميدي

تجري حوادث **مقامات** الحَريري والحَميدي أحياناً ببطء ملحوظٍ في حركة الزمن داخل المشهد، بما يتناسب مع أهميّة الموضوع، وأحياناً أخرى بسرعة لا تستغرق دقائق. فنقوم بشرح الحدث الروائي في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

١- الزمان في مقامات الحَريري

تواجه في **مقامات** الحَريري كلّها سرداً لاحقاً. فنحاول أن نكشف ملامح المخطّط الزمني الّـذي اعتمده نصّ **المقامات**، وذلك من خلال الحوادث الّتي تجري في **المقامات**.

لا شكّ في أنّ هناك نجد العلاقة بين زمن الحوادث أو المتن الروائي، وزمن المبنـى الروائـي أي الزمن الّذي يظهر في البناء القصصيّ، والبطل أبو زيد السروجي نفسه جزء مشارك فـي صـنع المخطّط الزمني للنصّ، بغضّ النظر عن صدق هذه الروايات أو كذبها.

أمّا حوادث **مقامات** الحَريري فهي تنقسم إلى قسمين في القسم الأوّل: حـوادث لا تـستغرق دقائق، ويتصوّر وقوعها دون أن يتعرّض النصّ لذكرها، وبذلك تكون السرعة القصوى الّتي يتّخـذها السرد. يتّضح ذلك في المقامة الصنعانيّة حين يقول الراوية الحارث بن همّام: "أنـأتني المَتْرَبَـةُ عَـنِ الأتراب، طَوَّحَتْ بي طَوائحُ الزَّمَن، إلى صَنعاء اليمن"[١]. إنّ ما حدث للحارث بن همّام منذ أبعدَه الفقرُ من موطنه حتّى وصوله صنعاء اليمن غير مذكور، والمدّة الزمنيّة محذوفة. وفي المقامة المكيّـة مـا يوضّح ذلك حيث يقول الحارث بن همّام: "نَهَضْتُ مِنْ مدينةِ السلام، لحِجَّةِ الإسلام، فلمّا قَضَيْتُ بِعَـوْنِ اللهِ التَّفَث..."[٢]. فإنّ ما حدث للحارث بن همّام منذ ترك بغداد لمناسـك الحـجّ أي تقلـيم الأظفـار، والحلق، وأشباه ذلك محذوف، وتبدو المدّة الزمنيّة المحذوفة كومضة خاطفة أشار الـنصّ فقـط إلـى وجودها دون أن يحدّدها بأيّ شكل. وفي المقامة الزبيديّة يقول الحارث بن همّام: "لمّا جُبْتُ البِيـد إلـى زَبِيد، صَحِبَني غُلامٌ قَدْ كُنْتُ رَبَّيْتُه"[٣]. هنا لا نجد المدّة الزمنيّة الواقعة بين خروجه من البيـداء وهـي

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٢٨.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٠.

الفلاة من الأرض ووصوله زَبيد، ولم يشر الراوي إلى الزمن قط. وفي المقامة الحلبيّة يقول الحارث بن همّام: "نَزَعَ بي إلى حَلَب، شَوقٌ غَلَب"[١]. وفي هذه المقامة لا نرى أيّ إشارة إلى الفترة الزمنيّة الّتي هيّجتْ شوق الحارث بن همّام إلى مدينة حلب حتّى وصوله حلب.

وفي القسم الثاني حوادث تجري ببطء، ولا تكاد تخلو مقامة من مشهد يتمّ تفصيل دقائقه، بما يكسب الإيقاع الزمني في السرد تباطؤاً ملحوظاً. ويتّضح ذلك في المقامة البكريّة حيث يغلب إيقاع المشهد على المقامة كلّها، فهو مستخدم في وصف لقاء الحارث بن همّام بالناقة، وفي وصف لقاء الحارث بأبي زيد، وفي وصف أبي زيد السروجي ناقته الضالّة، ثمّ مدح البكر والثيّب وذمّهما، وأيضاً ذمّ الأدب. ويمكن الاكتفاء بموقف واحد كأنموذج للمشهد، وهو قول أبي زيد السروجي في وصف ناقته: "قالَ إنّ لهذه الناقةِ، خَبَراً حُلْوَ المَذاقَةِ، مَليحَ السياقة... لا يَلْحقُها العَناء، ولا تُراهِقُها وَجْناء[٢]، ولا تَدري ما الهِناء[٣]، فأرْصَدتُها[٤] للخير والشرِّ، وأحَلَلتُها مَحَلَّ البَرِّ السرِّ... وما لي سِواها قُعْدَة..."[٥].

وربّما يصح اعتبار **مقامات** الحَريري سرداً مشهديّاً بالدرجة الأولى؛ إذ تتكوّن المقامة الواحدة غالباً من مشهدٍ واحدٍ يتخلّله الحوار. كما نجد في المقامة الطيبيّة أبا زيد السروجي في هيئة شيخ فقيه، قائلاً: "سلوني عن المعضلات، واستَوضِحُوا منّي المشكلاتِ"[٦]، ويقوم فتىً فصيح اللسان من بين الحاضرين ويسأله مائة مسألة فقهيّة، ويجيب أبو زيد السروجي على أسئلته الفقهيّة ملغزاً، وهكذا يدور بينهما حوار طويل[٧]. نلاحظ أنّ هذا البطء في الإيقاع الّذي يحقّقه مشهد **مقامات** الحَريري، يمنح القارئ إحساساً قويّاً بالمشاركة في الأحداث. ونستنتج من ذلك أنّ الزمن في **مقامات** الحريري أحياناً لا يستغرق دقائق، وأحياناً أخرى بطيء جدّاً.

٧٠٠٨٧٠

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٢.

(٢) لا تراهقها وجناء: لا تقاربها ناقة قويّة غليظة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، مج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) لا تدري ما الهناء: ليس بها داء، فهي لا تعرفه. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٢٠.

(٤) أرصدتها: أعددتها. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٢٠.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٧٧ – ٤٧٨.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٦.

(٧) الحَريري، م.س، ص ٣٣٧ – ٣٥٧.

٢ – الزمان في مقامات الحَميدي

إنّ الزمن الّذي يمكن أن نستشعره في **مقامات** الحَميدي ونحلّله هو مجرّد تقنية تعتمد على إيهام القارئ والسامع بإحساس ما بالزمن، قياساً بما نعرفه في حياتنا اليوميّة.

تجري أحداث **مقامات** الحَميدي – **كمقامات** الحَريري – تارةً بسرعة كلمحة البصر، وتارةً أخرى ببطء وصولاً إلى الحدث الرئيس. كما نجد أحياناً تبدأ الحكاية من وسط المتن الروائي، ولعلّ المقامة السكباجيّة خير مثلٍ على ذلك؛ حيث يبدأ السرد من لحظة يكشف المدعوون معاداة الشيخ للسكباج ويسألونه عن سرّ تلك المعاداة، فيحكي لهم قصّة حدثت له قبل اجتماعه بهم مفسّراً من خلالها موقفه من السكباج[١].

كثيرٌ من الأحداث في **مقامات** الحَميدي تجري بسرعة، للوصول إلى الحدث الأساسي. يتّضح ذلك في المقامة الخامسة: في اللغز حين يروي الراوية: "في وقت من الأوقات عزمت على السفر إلى كشمير وقندهار، فلمّا رأيت المزارع والحدائق والأنهار، عرفت أنّ هذا المكان للراحة والهدوء، فقرّرت أن أسكن فيها"[٢]. هنا نجد حذف الزمن الروائي، فلم يشر الراوية إلى المدّة الزمنيّة الواقعة بين وصوله كشمير وقندهار ويوم خروجه من مسقط رأسه. وفي المقامة الثانية عشرة: المسائل الفقهيّة الّتي تدور حول تعلّمه الفقه، ما يوضّح ذلك حيث يقول الراوية: "في وقت من الأوقات أردت أن أتعلّم العلوم الفقهيّة فبينما كنت أركضُ يميناً ويساراً، وصلت إلى مدينة همذان"[٣]. فهنا نجد حذف الفترة الزمنيّة حذفاً صريحاً، فلم تتمّ الإشارة إلى الزمن الّذي قطعه حتّى الوصول إلى همذان. وفي مقامة أوصاف بلخ يقول الراوية: "في وقت من الأوقات عزمتُ على السفر، فاغتربت اسبيجاب[٤]، ووصلت إلى بلخ"[٥]. إنّ ما حدث للراوية منذ عزم على السفر حتى وصوله بلخ غير مذكور، ولم يحدّد الراوية المدّة الزمنيّة بأيّة طريقةٍ. وفي مقامة النسّابة أي المقامة الأخيرة يقول الراوية: "في أيّام الشباب عَزَمت على السفر باعتبار قول: سيِرُوا تعلّموا وسافِرُوا تَصحّوا وتغنموا. وصبّرت قلبي على شدائد السفر ومشكلاته، واتّجهتُ إلى مدينة نيسابور، فبعد طيّ الطريق وصلت إلى مدينة أرمينيّة"[٦]. نجد هنا حذفاً صريحاً، فلم يحدّد الراوية الفترة الزمنيّة حتّى وصوله إلى أرمينيّة.

---

(١) حَميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٦ – ٧٣.

(٢) حَميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٤.

(٣) حَميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١١٩ – ١٢٠.

(٤) اسبيجاب: من بلاد ما وراء النهر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ٤٦.

(٥) حَميدى، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ، ص ١٦١.

(٦) حَميدى، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

وأمّا الأحداث الّتي تجري ببطء ملحوظ وتستمرّ حتّى آخر المقامة، فهي مثلما نرى في المقامة الثانية: في الشيب والشباب[1]، حيث تتكوّن هذه المقامة من مشهد واحد يتخلّله الحوار. يسرد الحَميدي المناظرة بين شيخ وفتى، والمشهد مملوء بالجدل بينهما، فمرّةً ينصح الشيخُ الفتى باحترام المسنّين وعدم الجدل مع العلماء الكبار، ومرّةً أخرى يردّ الفتى عليه ردّاً قاسيّاً، ويرفض نصائحه وإرشاداته، ويحقّر الشيخُ الفتى وبالعكس. وتنتهي المقامة بالاستجداء ومعرفةِ الناس أحوالَهما بأنّهما كانا الأب والابن.

رصد التفاصيل في الحقيقة يؤدّي إلى الإحساس ببطءٍ ملحوظٍ في حركة الزمن داخل المشهد بما يتناسب مع أهميّة الحدث.

قد نلاحظ أحداثاً كثيرةً تقع في مقامة واحدة، ويتوازى زمن وقوع الأحداث مع زمن حكايتها؛ أي إنّ عمليّة الرواية تراعي الترتيب الزمني للأحداث كما يتصوّر أنّها وقعت. ويمكن التمثيل لذلك بالمقامة السابعة. حيث تتخلّص الأحداث على النحو التالي:

- يظهر شيخ فقير وطفله في حضنه.
- تحضر جماعة لاستماع الخطبة الوعظيّة.
- يدّعي الشيخ أنّه يعرف كلّ شيء، ويخاطب الناس أن يسألوه عن المغيبات والأسرار والأخبار.
- يقوم فتى من بين الجماعة، ويردّ على الشيخ، بقوله: "ما هذا الكلام العبث، وادّعاء الباطل"[2].
- يُنشد الفتى أشعاراً ملغزة، ليظهر معلوماته، ومقدرته الشعريّة.
- يردّ الشيخُ على الفتى بأشعار ملغزة.
- فجأةً يستجدي الشيخ.
- يطلب الفتى من الشيخ أن يمدح الدينار شعراً، فينشد الشيخ أشعاراً في مدح الدينار.
- يطلب الفتى من الشيخ مرّةً أخرى أن يذمّ الدينار شعراً، فينشد الشيخ أشعاراً في ذمّ الدينار[3].

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا المشهد الأخير، أي طلب الفتى من الشيخ إنشاد الأشعار في مدح الدينار وذمّه، يُذكّرنا بالمقامة الديناريّة[4] للحَريري.

---

(١) حَميدى، **مقامات**،"المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٣٢ – ٣٦.

(٢) حَميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٨.

(٣) حَميدى، م.ن، ص ٧٧ – ٨٠.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة: الديناريّة"، ص ٢٧ – ٣٠.

إنّ هذا البطء في الإيقاع الّذي يحقّقه المشهد، يجعلنا نشعر بطول الفترة الزمنيّة الّتي تعرضها الجمل الواردة في النصّ.

* * *

نخلص من تحليل الزمن الروائي في مقامات الحَريري والحَميدي إلى أنّ الأحداث تجري على حالتين هما:

- بعض المشاهد قد يستغرق عرضها وسردها دقائق لا يتجاوز سطرين، وتمرّ الأحداث بسرعة البرق، ويختصر الراوية الأحداث في جملتين أحياناً.
- بعض المشاهد قد يستغرق عرضها وسردها زمناً طويلاً يتجاوز الصفحات.

نستنتج أنّ الحَميدي تأثّر بالحَريري حتّى من حيث الزمن الروائي في مقاماته.

ج- المَكان في مقامات الحَريري والحَميدي

ندرس المكان في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

١- المكان في مقامات الحَريري

تدور حوادث **مقامات** الحَريري في أماكن مختلفة، فمرّةً في مكان ضيّق النطاق تحت السقف وبين الحيطان، كالمجلس والنادي[١]، أو المأدبة[٢]، أو المدرسة[٣]، أو المسجد[٤]، أو المصلّى[٥]، أو الدار[٦]، أو المحكمة[٧]، أو السوق[٨]، أو السفينة[٩]، أو الفندق[١٠]، ومرّة أخرى في

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١، و"المقامة الثالثة: الديناريّة"، ص ٢٥، و"المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٤٩، و"المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٣، و"المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ١٩٩، و"المقامة الخامسة والثلاثون: الشيرازيّة"، ص ٣٨٤، و"المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٢.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة، ص ١٦٩.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٠.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٠، و"المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٧، و"المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٢، و"المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤، و"المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٨٢.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة: البَرقَعيديّة"، ص ٦١.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠، و"المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٣٦، و"المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٨٤، و"المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٣، و"المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٤٩٧، و"المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩.

(٧) الحريري، م.ن، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٦٩، و"المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة، ص ٧٨، و"المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٠٦، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤.

(٨) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧١.

(٩) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١١.

(١٠) الحريري، م.ن، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٢٩٦.

مكان واسع تحت السماء، كالمقابر[١]، أو الحديقة[٢]، أو الصحراء[٣]، أو على قارعة الطريق[٤]، أو في أرض مُبْتَلَّةٍ بالنَّدى[٥]. فنذكر أمثلةً لمكان ضيّق النطاق أوّلاً، ثمّ لمكان واسع.

نلاحظ أنّ المقامة الصنعانيّة[٦] مثلاً كلّها تدور في نادٍ محتوٍ على زحام، حيث يظهر أبو زيد السروجي واعظاً، ثمّ يكشف حاله الحارث بن همّام. والمقامة البَرقَعيديّة[٧] يكون مجلسها في المُصلّى فيتعامى أبو زيد السروجي ويبيع مع زوجته الرقاع المكتوبة، فيكشف الحارث بن همّام في نهاية المقامة مكرَه وخداعَه، ويغضب من مكره غضباً. وفي المقامة الفراتيّة[٨] يكون مجلسها في السفينة حيث يتحدّث أبو زيد السروجي عن موضوعي الإنشاء والحساب والتفضيل بينهما، وفي نهاية المقامة لا يقدر أن يفضّل أحدهما على الآخر. وفي مقامة الرقطاء[٩]، يكون مجلسها في السوق تحت ظلّ الخيمة، ويكتب أبو زيد السروجي رسالةً رقطاء أي حروفها على نوعين، نوع منها منقوط، والآخر من غير نقط. والمقامات المعريّة[١٠] والإسكندرانيّة[١١] والصعديّة[١٢] والتبريزيّة[١٣] والرمليّة[١٤] يكون مجلسها في المحكمة حيث يتخاصم أبو زيد السروجي مرّة مع ابنه وذلك في المقامة المعريّة، ومرّةً أخرى مع زوجته وذلك في المقامات الإسكندرانيّة، والتبريزيّة، والرمليّة. ويخدَع أبو زيد السروجي القاضيَ، ويعطيه القاضي مالاً من بيت المال، ثمّ في نهاية المقامة يكشف القاضي مكره وخداعه، ويحذّره ألا يُماكر بعد ذلك الحاكمين والقضاة، فَيَعِدهُ أبو زيد السروجي بالكفّ عن الخداع وتلبيس قصّته.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٧.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، ص ٢٣٦.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧١.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠، و"المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٤٩، و"المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٤.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٣.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠ – ١٦.

(٧) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة: البَرقَعيديّة"، ص ٦٠ – ٦٨.

(٨) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢٠٩ – ٢١٩.

(٩) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٥٨ – ٢٦٨.

(١٠) الحريري، م.ن، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٦٩ – ٧٦.

(١١) الحريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٧ – ٨٨.

(١٢) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥ – ٤١٥.

(١٣) الحريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥١.

(١٤) الحريري، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢١.

وأمّا الأمثلة لأماكن واسعة في **مقامات** الحَريري، فهي كما في المقامة الساويّة[١] فتدور حوادثها في المقابر حيث يقف أبو زيد السروجي في المقابر واعظاً، ثمّ يستجدي في خاتمة وعظه، ويعرفه الحارث بن همّام. والمقامة النحويّة[٢] يكون مكانها في الحديقة حيث يلقي أبو زيد السروجي على جلسائه المسائل النحويّة على سبيل الألغاز، ثمّ يكشف عن أسرار ألغازه. وحين يترك الحديقة يعرفه الحارث بن همّام بأنّه سراجُ سروج. والمقامة الوبريّة[٣] تكون حوادثها في الصحراء حيث يطلب الحارث بن همّام ناقته الضالّة في الصحاري، وحين يستريح تحت شجرةٍ، يأتي أبو زيد السروجي ويحصل بينهما حوار حول ناقته الضالّة، وفي النهاية يجد الحارث بن همّام ناقته. والمقامة البغداديّة[٤] تدور حوادثها في ضاحية مدينة الزوراء حيث يخرج الحارث بن همّام مع أصحابه خارجَ البلد يستريحون ثمّ يرجعون، فتظهر امرأة عجوز مستجديّة ومعها صبيان. وهي تستجدي ببراعة وكان كلامها في غاية الفصاحة والبلاغة، فتحيّر العقول ببراعة عبارتها، واستعاراتها. ثمّ تأخذ الأموال والعطايا من الناس وتذهب إلى مسجدٍ خالٍ، فيتبع أثرها الحارث بن همّام ويطّلع على حقيقة حالها، ويعرف أنّها أبو زيد السروجي. وهكذا في مقامات أخرى.

من خلال ما تقدّم عرفنا أنّ حوادث **مقامات** الحريري تحدث في أماكن مختلفة، فتارةً في أماكن ضيّقة النطاق: كالمجلس والمسجد والمدرسة والدار والمحكمة والسوق والفندق وغير ذلك. وتارةً أخرى في مكانٍ واسع مثل: الحديقة والصحراء والطريق وإلخ. وتقع غالبية الوقائع في مكان ضيّق النطاق.

٢ – المكان في مقامات الحَميدي

تدور حوادث **مقامات** الحَميدي – **كمقامات** الحَريري – تارةً في مكانٍ ضيّق النطاق تحت السقف وبين الحيطان مثل: المجلس[٥]، أو المسجد[٦]، أو السوق[٧]، أو الدار[٨]،

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٧ – ١٠٤.
(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، ص ٢٣٦ – ٢٤٨.
(٣) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٠ – ٢٨٥.
(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٨.
(٥) حَميدى، **مقامات**، "المقامة العاشرة: في الوَعظ"، ص ١٠٦، و"المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠، و"المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥.
(٦) حَميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦، و"المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨١.
(٧) حَميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢، و"المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠ – ١٥١.
(٨) حَميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٤ – ٦٥، و"المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٣، و"المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٠.

أو الخانقــاة[١]، أو المستشفى[٢]، أو المحــكمة[٣]، وتارةً أخــرى فــي مكــــان واسع تحت السمـــاء كالحديقـــة[٤]، والمعركة[٥]، أو على قارعة الطريق[٦]، أو في حيٍّ من الأحياء[٧]، أو في المدينـــة[٨].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَميدي غالباً لم يحدّدْ الأماكن الّتي تقع فيهـــا حـــوادث المقامـــات، فالقارئ يجب أن يعرف هذه الأماكن من خلال القرائن الموجودة في النصّ. فنـــذكر نمـــاذج للأمـــاكن الضيّقة، ثمّ الأماكن الواسعة.

المقامة الأولى[٩] مثلاً كلّها تدور في المسجد حيث يخطب شـــيخ غريـــب خُطبـــةً وعظيّـــة باللغتَين العربيّة والفارِسيّة، ثمّ يستجدي ويترك المسجد. والمقامة الثانية عشرة[١٠] يكـــون مكانهـــا فـــي المجلس حيث يجيب شيخ فقيه على أسئلة فقهيّة مطروحة مِنْ قِبَل فتىً ببراعة، ثـــمّ يـــستجدي ويتـــرك المجـــلـــس.

والمقامة السادسة[١١] يكون مجلسها في منزل تاجرٍ حيث يستضيف التاجر جماعةً لأكل الـــسّكباج فـــي داره، فيدعو المدعوون شيخاً غريباً لهذه الوليمة أيضاً، وحين يرى الشيخ إناء السّكباج يرجف ويخـــاف ويهرب. وتنتهي المقامة بدخول الشيخِ السجنَ وإخراجه من السجن. والمقامة الثامنة[١٢] تحدث حـــوادث المقامة كلّها في تكيّة الدراويش حيث يســـأل الـــراوية الأسئلة الّتي أشـــكـــلت عليـــه حول التصوّف. ويجيب الشيـــخ الصـــوفي أسئلتَه ببراعة تـــامّة. والمقـــامة السابعة عشرة[١٣] يـــكون مجـــلســـها في

---

(١) حَميدي، مقامات، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.

(٢) حَميدي، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٣) حَميدي، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦ – ١٥٧.

(٤) حَميدي، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٤، و"المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والمُلحـــد"، ص ٩٥.

(٥) حَميدي، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغَزو"، ص ٤٠.

(٦) حَميدي، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٧ – ١٢٨، و"المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٦.

(٧) حَميدي، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف البلخ"، ص ١٦٩.

(٨) حَميدي، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥، و"المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧، و"المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٤ – ١٧٥، و"المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٨.

(٩) حَميدي، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٩.

(١٠) حَميدي، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠ – ١٢٥.

(١١) حَميدي، م.ن، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٤ – ٧٣.

(١٢) حَميدي، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤ – ٩٠.

(١٣) حَميدي، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦ – ١٥٩.

المحكمة حيث يتخاصم زوجان ويشتكيان للقاضي، وتنتهي المقامة بحصولهما على المال من بيت المال.

وأمّا أمثلة الأماكن الواسعة فهي في المقامة الثالثة[١] ويكون مجلسها في المعركة حيث يصف الراوية الغَزْوَ والمقاتلين والسيوف والرماح والسهام والقتال. ثمّ يبحث عن أحد المقاتلين الّذي كان يقاتل بالشجاعة غير أنّه لا يجده. والمقامة الثالثة عشرة[٢] يكون مكانها في الطريق حيث إنّ الراوية يسافر، ويتعرّف في الطريق على شيخ، فيتحدّثان عن السفر، وشروطه، ومحاسنه، وعن تجارب السفر أيضاً، وتنتهي المقامة باختفاء الشيخ فجأةً، ويبحث عنه الراوية كثيراً ولكنه لم يجده. والمقامة الثامنة عشرة[٣] تدور حوادثها في حيٍّ من أحياء مدينة البلخ حيث ازدحم الناس حول خرابة وأطلال، ويبكي شيخ غريب بكاءً شديداً. ثمّ يشرح الشيخ الغريب للراوية الحوادث الّتي جَرَتْ في قديم الزمان وسالف الأيّام في هذه الخرابة والأطلال، ويقول إنّ هذه الأطلال كانت مساجد ومقابر ومعابد. وكالعادة تنتهي المقامة باختفاء الشيخ فجأة. والمقامة التاسعة عشرة[٤] يكون مكانها في المدينة حيث يجد الراوية جمعاً غفيراً، وشيخاً فقيراً ينادي: "أيّها الناسُ ابتغوا فضل الله ومرضاته واتّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه"[٥]. ثمّ يستجدي ويتكلّم عن النجوم والأبراج، ويشتكي عن الدهر والعَوَز، وحين يستعطف قلوب الناس، ويأخذ العطايا، والأموال، يترك المدينة.

لاحظنا أنّ حوادث **مقامات** الحَميدي تحدث في مكانين، فأحياناً في مكان ضيّق النطاق، وأحياناً أخرى في مكان واسع النطاق.

* * *

محصّلة القول: إنّ الحَميدي تأثّر **بمقامات** الحَريري حتّى من حيث المكان في **مقاماته**، وقد قلّد الحَريري تقليداً تامّاً، لأنّنا لاحظنا أنّ حوادث **مقامات** الحَميدي كحوادث **مقامات** الحَريري تدور في مكانَيْن، مرّة في مكان ضيّق النطاق تحت السقف وبين الجدران، ومرّة أخرى في مكان واسع تحت السماء.

ثالثاً– دور الشواهد في مقامات الحَريري والحَميدي

تتميّز **مقامات** الحَريري والحَميدي بكثرة الاستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة والأمثال منها:

---

(١) حَميدي، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغَزو"، ص ٤٠ – ٤٣.

(٢) حَميدي، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٧ – ١٣٢.

(٣) حَميدي، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف البلخ"، ص ١٦٢ – ١٧١.

(٤) حَميدي، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٤ – ١٧٧.

(٥) حَميدي، م.ن، ص ١٧٥.

أ- الآيات القرآنيّة في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بذكر هذه الشواهد في **مقامات** الحَريري أوّلاً، ثمّ الحَميدي.

١- الآيات القرآنيّة في مقامات الحَريري

لقد وشّح الحَريري **مقاماته** بالآيات القرآنيّة تصريحاً أو إشارة، وليس عددها كثيراً، ومن ذلك: قال الحَريري في وصف النبي محمّد: "... الّذي ختمتَ به النبيّين، وأعلَيتَ دَرَجَتَهُ في عِلّيّين، ووصفته في كتابك المبين، فقلتَ وأنت أصدقُ القائلينَ، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١]..."[٢]. ثمّ يضيف الحَريري: "اللهمّ فَصلّ عليه وعلى آله الهادين، وأصحابه الّذين شادّوا الدين... ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٣]..."[٤].

وفي المقامة الثامنة الّتي تتضمّن مخاصمة أبي زيد السروجي وابنه، يصف أبو زيد السروجي مملوكته بقوله: "كانت لي مملوكةٌ رشيقةُ القدّ... فأَخْذَمْتُه إيّاها بلا عِوَض، على أن يَجتنيَ نفعَها، ولا يكلّفَها إلاّ وُسعَها"[٥]. فيشير الحَريري إلى هذه الآية الكريمة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[٦].

وفي المقامة الخامسة عشرة، يصف الحارث بن همّام بيت أبي زيد السروجي، قائلاً: "أدخلني بيتاً أحْرَجَ من التابوت، وأوْهَىَ من بَيْتِ العنكبوت"[٧]. فمن الواضح أنّ الحَريري قد قصد، الآية القرآنيّة: ﴿ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ ﴾[٨].

ويستشهد في المقامة الحادية والعشرين بالآية القرآنيّة نصاً[٩]:﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴾[١٠].

وفي المقامة التاسعة والأربعين، نرى أنّ أبا زيد السروجي لمّا شاخ قد أوصى ابنه بمهنة الاستجداء، ثـمّ يقول: "ولا تيأس من رَوحِ الله إنّه لا ييأسُ من روح الله إلاّ القـومُ الكافرون"[١١].

---

(١) **الأنبياء**، ١٠٧/٢١.
(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٤.
(٣) **آل عمران**، ٢٦/٣؛ **التحريم**، ٨/٦٦.
(٤) الحَريري، م.س، "المقدّمة"، ص ٤.
(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعرّيّة"، ص ٧١.
(٦) **البقرة**، ٢٨٦/٢.
(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٣.
(٨) **العنكبوت**، ٤١/٢٩.
(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الواحدة والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٢.
(١٠) **النجم**، ٥٣/ ٣٩ – ٤٠.
(١١) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٨.

فهو يستشهد بنصّ هذه الآية القرآنيّة: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[١].

كما أنّ الحَريري في خاتمة **مقاماته** يستغفر ويسترشد إلى ما يعصم من الأخطاء، ويطلب من الله أن يعفو عنه، ويقول: ﴿ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾[٢].

ومن المعروف "أنّ رسول الله لمّا قرأ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ قال: قال عزّ وجلّ أنا أهلٌ أنْ أُتّقَى، فلا يُجْعَلْ معي إلهٌ آخرُ، فَمَن اتّقى أن يَجْعَل معي إلهاً آخرَ فأنا أهلٌ أنْ أغفِرَ له"[٣].

لاحظنا أنّ الحَريري استشهد بالآيات القرآنيّة نصًّا ومضموناً، ليظهر سعة معلوماته، ومعرفته الآيات القرآنيّة وثقافته الدينيّة.

٢- الآيات القرآنيّة في مقامات الحَميدي

إنّ الحَميدي كسائر الأدباء الإسلاميين في الأدب العربي والفارسي زيّن مقاماته بالآيات القرآنيّة ليزيد فصاحة كلامه وبلاغته. فاستشهد بالآيات القرآنيّة نصّاً ومضموناً، وذلك حوالي خمس وسبعين آية قرآنيّة نصّاً، ومقاماته حافلة بالآيات القرآنية مضموناً أيضاً، منها: "الّذي أنشأ في الهواء من السُّحُب أمواجاً وأبدع في السماء من الشُّهُب أفواجاً"[٤]. من المحتمل أنّ الحَميدي يقصد به الآية القرآنيّة: ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾[٥].

- "وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجاً"[٦]. أشار الحَميدي إلى الآية القرآنيّة: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾[٧].

- "چون آدم عالم اسماست"[٨]. أي كآدم عالم الأسماء. فأشار إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٩].

- "آدم تا در مهد بدايت بود، مسجود بود، چون به عهد نهايت رسيد، محسود شد"[١٠].

---

(١) **يوسف**، ١٢/ ٨٧.
(٢) **المدثّر**، ٧٤/٥٦.
(٣) النووي، **الأحاديث القدسيّة**، ص ٣٤٣.
(٤) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ١٩.
(٥) **الجن**، ٧٢/٨.
(٦) حميدى، م.س، "مقدّمة"، ص ١٩.
(٧) **النبأ**، ٧٨/١٤.
(٨) حميدى، م.س، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.
(٩) **البقرة**، ٢/٣١.
(١٠) حميدى، م.س، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣.

ترجمة الشاهد

كان آدم إلى يوم ولادته مسجوداً له، ولمّا وصـــل إلى مقـــام كمالــه صـــار محسوداً.

أشار إلى الآيات القرآنيّة الّتي تتعلّق باللحظة الّتي صورّ الله الإنسان وأمر إبليس أن يسجده، وامتنع عن ذلك، وقال أنا أفضل منه لأنّني من النار، كما جاء في القرآن: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[١].

- "يا شبّانَ العجمِ والعربِ ويا فتيانَ الحسبِ والنَسَبِ... **ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهبُ ريحكم**"[٢]. أخذ الحَميدي عبارة ولا تنازعوا... من القرآن:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣].

- "... فمنهم مَن يَرثّى، ومنهم مَن يفتخرُ، ومنهم مَن يخذُلُ، ومنهم مَنْ ينتصرُ **ومنهم من قَضى نحبَه ومنهم مَنْ ينتظرُ**"[٤]. هذا من وصف الحَميدي نتيجة الحرب، ثمّ أخذ من القرآن: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾[٥].

ورد نصّ الآية القرآنيّة: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[٦]، و﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٧].

ثمّ أضاف: "آن كه اين نبات اموات را نشرداند كرد، **عظام رُفات** راحشر تواندكرد؛ وآن كه از گِل سياه گلُ وگياه بردماند، احياى اين اجسام هم تواندوداند ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٨]..."[٩].

---

(١) **الأعراف**، ٧/١١ – ١٢.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤١.

(٣) **الأنفال**، ٨/ ٤٦.

(٤) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٣.

(٥) **الأحزاب**، ٣٣/٢٣.

(٦) **الروم**، ٣٠/٥٠.

(٧) **الأعراف**، ٧/١٨٥.

(٨) **يس**، ٣٦/٧٩.

(٩) حميدى، م.س، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

ترجمة الشاهد

إنّ من يقدر أن يحيى هذا النبات الميّت، قادر على إعادة إحياء العظام والرفات؛ وإنّ من يقدر أن يُنبت من الطين الأسود الورود والنباتات، عالم وقادر على إحياء هذه الأجسام أيضاً: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾. فتركيب عظام رُفات مأخوذ من الآية القرآنيّة: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا ﴾[١].

- "... نَعَم والّذي فَلَقَ الحَبَّ والنّوى..."[٢]. هذه العبارة مأخوذة من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[٣].

* * *

رأينا أنّ الحَميدي زيّن **مقاماته** بالآيات القرآنيّة، واستشهد بها كثيراً، ليظهر لنا سعة معلوماته القرآنيّة من جهة، وثقافته الدينيّة من جهة أخرى، تقليداً للحَريري ومتأثّراً به.

ب- الأحاديث النبويّة في مقامات الحَريري والحَميدي

ومن أركان المقامة عند الحَريري والحَميدي الاستشهاد بالأحاديث النبويّة أيضاً. وسنبدأ بذكر نماذج من هذه الأحاديث النبويّة في **مقامات** الحَريريّ ثمّ ننتقل إلى **مقامات** الحَميدي.

١- الأحاديث النبويّة في مقامات الحَريري

روى الحَريري الأحاديث النبويّة الّتي تلقّاها من أساتذته، ومزج الأدب بالمعارف الإسلاميّة، واستفاد من الأحاديث النبويّة لإظهار فصاحة كلامه وتأييده، وذلك نصّاً وإشارةً. ومن ذلك: "وقَدَعْتَ نفسَك فهي أكبرُ أعدائك"[٤]، فيشير الحَريري إلى قول النبي محمّد: "أعْدَى أعْدَائِكَ نَفْسُكَ الّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ"[٥].

أو بقوله: "أرْعَى الجَارَ وَلَوْ جَارَ"[٦]، أي أحفظ الجار ولو تعدّى ومال عن الحقّ. هو في الحقيقة، يريد أن يؤكّد على أهميّة الجيران وحسن التعامل معهم، فأخذ هذا القول من مضمون أحاديث رسول الله، بقوله: "الجَارُ قَبْلَ الدَّارِ"[٧]، أو "جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِالدَّارِ"[٨].

---

(١) **الإسراء**، ١٧/٤٩ و ٩٨.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين العنّي والملحد"، ص ٩٦.

(٣) **الأنعام**، ٦/٩٥.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٢.

(٥) العجلوني، **كشف الخفاء**، مج ١، ج ١، ص ١٤٣.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٤٩.

(٧) العجلوني، م.س، مج١، ج١، ص ٣٢٧.

(٨) العجلوني، م.س، مج ١، ج ١، ص ٣٢٨.

أو: "وأخْرِجني من ظُلمات الظالمين"[١]، إشارة إلى قول النبي محمّد: "الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ القِيامَةِ"[٢].

وكذلك: "تتصوّر بالصوّر الّذي يجانب الإيمان"[٣]، أي ينافيه وهو الكذب؛ وهذا تلميح إلى قول النبي محمّد: "الكِذْب مُجانِبٌ لِلإيمانِ"[٤].

يدلّنا استشهاد الحَريري بالأحاديث النبويّة في **مقاماته** على سعة معلوماته وثقافته الدينيّة.

٢- الأحاديث النبويّة في مقامات الحَميدي

استشهد الحَميدي بالأحاديث النبويّة, ووشّى مضامين **مقاماته** بها، والغاية الرئيسة من ذلك ازدياد فصاحة وبلاغة كلامه وأصالته. كما يقول بديع الزمان فروزانفر[٥] في هذا المجال: "لا شكّ في أنّ الأدباء الفرس قد قرؤوا كتب الأحاديث وحفظوها، في حين كانوا يتعلّمون اللغة والأدب لأنّهم كانوا يعتبرون الأحاديث النبويّة نموذجاً من الكلام العربيّ الفصيح"[٦].

من المعلوم، أنّ تأثّر الأدباء بمضامين الأحاديث النبويّة في العصور المختلفة كان مختلفاً. فأمّا الحَميدي فقد استند إلى الأحاديث النبويّة في مقاماته من أوّلها إلى آخرها بأجمل صورة وأبهى حلّة. وكثرة الأحاديث النبويّة في مقاماته تدلّنا على معرفته الواسعة بالحديث والعلوم الدينيّة. كما أنّه ذكر حوالي ثلاثين حديثاً نبويّاً في مقاماته، وهذا الرقم دالّ على مستوى إحاطة الحَميدي بكتب الأحاديث والروايات الإسلاميّة، وقدرة حفظه للأحاديث النبويّة الشريفة. فعلى سبيل المثال نذكر نماذج من هذه الأحاديث النبويّة في مقاماته.

- "ونصّ قول رسول الله: "لَوْ دُعيتُ إلى كُراعٍ لأجَبْتُ"[٧]، بَرْ وى بخواندم..."[٨].

ترجمة الشاهد

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٠.

(٢) العجلوني، **كشف الخفاء**، مج ١، ج ٢، ص ٥١.

(٣) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٤.

(٤) العجلوني، **م.س**، مج ١، ج ٢، ص ١٠٨.

(٥) بديع الزمان فروزانفر: كان عميد كلّيّة المعقول والمنقول، وأستاذ الأدب الفارسي في جامعة طهران، وقام هذا الأستاذ الإيراني المعاصر بالتحقيق والدراسة حول مولانا جلال الدين الرومي وكرّس أبحاثه هذه لأكثر من ٣٠ سنة.

(٦) فروزانفر، **أحاديث وقصص مثنوى**، ص ١.

(٧) أحمد، **مسند**، ج ٢، ص ٤٧٩؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج ٧، ص ٢٧٣؛ القرطبي، **تفسير**، ج ١٩، ص ٦٨.

(٨) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٤.

قرأت لـــه نصّ حديث رسول الله: "لو دُعيتُ إلى كُراعٍ لأجَبْتُ".

- "تو نشنيده اى كه "الفقرُ سوادُ الوجه في الدارَيْنِ"[١]..."[٢].

ترجمة الشاهد

أما سمعت "أنّ الفقرَ سواد الوجه في الدارين".

- "خامـــوش باش كه الصمتُ مفتاحُ بابِ الإيمانِ، وآهسته باش كه العجلةُ مِنَ الشيطانِ"[٣].

ترجمة الشاهد

اصمت لأنّ الصمتَ مفتاحُ بابِ الإيمان وأبطئْ لأنّ "العجلة من الشيطان"[٤].

- وفي المقامة السادسة عشرة جاءت: "تناكحوا تُكثِروا"[٥].

- "... خواستم سفرى كنم ودراطرافِ عالم نظرى كنم... وسرّ سافروا تَصِحّوا وتغنموا بازجويم..." [٦].

ترجمة الشاهد

أردت أن أسافر وأتجوّل في العالم وأتأمّل فيه، لأفهم سرّ "سافروا تَصحُّوا وتَغنموا"[٧].

* * *

لا شكّ في أنّ الحَميدي استشهد بالأحاديث النبويّة ليزيد فصاحة كلامه أوّلاً، ويظهر سعة معلوماته الدينيّة تجاه الحَريري ثانياً.

ج- الأمثال في مقامات الحَريري والحَميدي

استشهد الحَريري والحَميدي في مقاماتهما بالأمثال. فنذكر الأمثال الواردة في **مقامات** الحَريري، وبعد ذلك في **مقامات** الحَميدي.

١- الأمثال في مقامات الحَريري

تُعتبر الأمثال من أقدم وسائل التعبير الأدبيّة؛ لأنّ المثل هو صورة الحياة الشعبيّة من جميع نواحيها الأخلاقيّة والعقليّة. والمثل موضع مفاخرة العرب مع غيرهم. وبسبب أهميّة المثل في تاريخ

---

(١) العجلوني، **كشف الخفاء**، مج ١، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٦.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٢.

(٤) العجلوني، م.س، مج ١، ج ٢، ص ٥٦.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠؛ أنظر: العسقلاني، **تلخيص الحبير**، ج ٣، ص ١١٥؛ العجلوني، م.س، مج١، ج ١، ص ٣٨٠.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٥.

(٧) المناوي، **فيض القدير**، ج ٤، ص ٨٢؛ القضاعي، **مسند الشهاب**، ج ١، ص ٣٦٤.

الفكر العربي نظر العرب إليه واهتمّوا بجمعه وتفسيره، كما عني به الأدباء القدماء والمحدثون، واستشهدوا به في تآليفهم؛ واعتنى به الحَريري أيضاً. وقد حفلت مقاماته بالأمثال ليزيد فصاحة كلامه، ويدلّ على سعة معلوماته.

– ومن ذلك: "ولا تَلْوُوا على خضراء الدِّمنِ"[(١)]، وهذا المثل مأخوذ من قول النبي: "إيّاكم وخضراءَ الدمنِ"[(٢)]، "ضربه مثلاً للمرأة الحسناء في منبت السوء"[(٣)].

– "فَرُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غير رامٍ"[(٤)]، يضرب هذا المثل للمخطئ يصيبُ أحياناً.

– "قَلَبَتْ له ظهر المِجَنّ"[(٥)] وهو "قَلَبَ له ظَهرُ المِجَنّ"[(٦)]، أي انقلب عمّا كان عليه من مودّته. وهذا مثل يضرب لمن كان صاحبه على مودّة ورعاية ثمّ حال عن عهده.

– "يا هذا ما ذَهَبَ مِنْ مالك ما وَعَظَك"[(٧)]، ويقول صاحب **كتاب جمهرة الأمثال**: "لم يذهبْ من مالك ما وَعَظَك، والفرس تقول في أمثالها: كلّ خسرانٍ كَيْس"[(٨)].

– "الفِرارُ بقُراب أكْيَسُ"[(٩)]: مثل يضرب في تعجيل الفرار عمّن يدلّك به، وقُراب اسم الفرس.

– "ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ"[(١٠)]: هذا مثل يضرب لتشابه الأشياء.

أكثر الحَريري من الاستشهاد بالأمثال في مقاماته، ليظهر فصاحته من جهة، وسعة معلوماته من جهة أخرى.

٢– الأمثال في مقامات الحَميدي

إنّ المثل كان موجوداً عند الفرس منذ القدم، والفصول الّتي زادها الفرس على **كليلة ودمنة** – وهي مجموعة من الحكايات على ألسن الحيوانات ومشتملة على الحكم والأمثال – تؤيّد هذا الرأي. ودراسة الأمثال مع شروح وشواهد كثيرة من النظم والنثر مستمرّة حتّى الآن. وجمع العلماء الفرس الأمثال الفارِسية ودوّنوها في كتب مستقلّة ليستفيد منها الناس.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٩.

(٢) القضاعي، **مسند الشهاب**، ص ٩٥٧.

(٣) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج ١، ص ٢١.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٢؛ أنظر: العسكري، م.ن، ج ١، ص ٣٩٩.

(٥) الحَريري م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٤.

(٦) العسكري، م.س، ج ٢، ص ١٠٦.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٨٠.

(٨) العسكري، م.س، ج ٢، ص ١٦٧.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥٢٠؛ أنظر: العسكري، م.س، ج ٢، ص ٨٢.

(١٠) الحَريري، م.س، المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة، ص ٥٨١؛ أنظر: العسكري، م.س، ج ٢، ص ١٨٥٨.

يعدّ المثل أشهر وسيلة للاستدلال بين عوام الناس؛ لأنّ أكثر الناس يفهمون الحقائق بالأمثال ويدركونها بشكل أسهل. فالحَميدي فارس الفصاحة الفارِسية رصّع مقاماته بالأمثال العربيّة والفارِسية، للتعبير عن المعنى المقصود، وقد أورد حوالي خمسين مثلاً. فورد في المقامة الثانية بضعة أمثال حول الشباب: "الشبابُ داءٌ دويٌّ"[١]، و"الشبابُ مطيّةُ الشيطان"[٢]. وجاء في **مجمع الأمثال** أنّ: "الشباب مطيّة الجهلِ"[٣].

– وذكر مثل آخر بالفارِسية، وهو: "شَباب، شُعبه اى ازديوانگى است"[٤].

ترجمة الشاهد

الشبابُ شعبةٌ مِنَ الجنونِ. هذا المثل معروف عند العرب أيضاً.

– وفي المقامة السادسة نرى أمثالاً مختلفة، نحو: "ورُبَّ أكلةٍ تمنعُ أكلاتٍ"[٥]، وهذا المثل قد ورد في ذمّ الحريص على الطعام. وأشار إلى هذا المثل صاحب **مجمع الأمثال**، قائلاً: "يضرب مثلاً للخصلة من الخير تُنال على غير وجه الصواب، فتكون سبباً لمنع أمثالها"[٦].

– و "الأقَاربُ كالعقاربِ"[٧]. قد قصد الحَميدي بهذا المثل، المثل المعروف: "أقارِبُكَ عقارِبُك".

– وفي المقامة الحادية عشرة: "ضيّعتَ اللبنَ في الصيفِ"[٨]. هذا مأخوذ من قول الأقدمين "يا منْ تريد وصالنا الصيفَ ضيّعتْ اللبنْ".

– وفي المقامة الرابعة عشرة: "المحتالُ خائنٌ"[٩]، و "المقدّرُ كائنٌ"[١٠].

– وفي المقامة العشرين: "المرء يقتبس من قرينه، والليث يفترس في عرينه"[١١].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٤.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٣٤.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٣٤.

(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج ١، ص ٥٦٥.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٧.

(٦) الميداني، م.س، ج ١، ص ٣٩٩.

(٧) حميدى، م.س، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٠.

(٨) حميدى، م.س، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٤.

(٩) حميدى، م.س، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٤.

(١٠) حميدى، م.س، ص ١٣٤.

(١١) حميدى، م.س، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٤.

- أو "الاستعجالُ بريدُ الآجالِ"(١).

- وقد ذكر أحد الأمثال المعروفة عند العرب: "لكلِّ قومٍ يومٌ"(٢).

استشهد الحَميدي بالأمثال العربيّة والفارسيّة، ليعبّر عن المعنى المقصود، ومحاكاة الحَريري بخاصّة.

* * *

ممّا تقدّم نستنتج الأمور الآتية:

- وضع الحَريري والحَميدي مقدّمةً وخاتمةً لمقاماتهما، وقلّد الحَميدي الحَريري في مقدّمة **مقاماته**، وكتب مقدّمةً شبيهةً بمقدّمة **مقامات** الحَريري من حيث بدايتها وخاتمتها، وموضوعها وأسلوبها، وحتّى الألفاظ والعبارات المستعملة فيها. كما أنّ الحَميدي قلّد الحَريري في خاتمة مقاماته، وأقرّ فيها بالأخطاء الواردة في مقاماته تواضعاً، واستغفر الله لما أودعها من الأباطيل، فطلب العفو والمغفرة، كما فعل الحَريري في خاتمة مقاماته.

- أنّ البطل في **مقامات** الحَريري والحَميدي هو الأساس فلذلك العُقدة تدور حوله. أوقع الحَريري والحَميدي بطليهما في مآزق عديدة، وينقذانهما نهاية المقامة بطرق مختلفة بذكاءٍ ولَوْذعيّةٍ، وذلك بحيلهما، أو استعطاف قلوب الحاضرين، أو بسعة معلوماتهما المختلفة. ويأتي الحلّ تارةً سريعاً، وتارةً أخرى بعد حلول وقائع كثيرة، أو مناظرات طويلة.

- تجري أحداث **مقامات** الحَريري والحَميدي تارةً ببطء ملحوظٍ، وتارةً أخرى لا تستغرق دقائق. والبطل نفسه جزء مشارك في صنع الزمن الروائي لنصّ المقامات.

- تدور حوادث **مقامات** الحَريري وكذلك الحَميدي في مكانَيْن، فمرّة في مكان ضيّق النطاق، ومرّة أخرى في مكان واسع.

- استشهد الحَريري والحَميدي كلاهما بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثال في مقاماتهما، فيدلّنا هذا الأمر على ثقافتهما الدينيّة وسعة معلوماتهما فضلاً عن وظيفة الشواهد في المقامات.

(١) حميدى، **مقامات**،"المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٨٠.

تبيّن لنا أنّ الحَميدي تأثّر بالحَريري من حيث وضع المقدّمـــة والخاتمـــة والعُقـــدة والـــزمن الروائي والمكان والاستشهاد بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثال في مقاماته إظهـــاراً لقدراتـــه الفنيّة وسعة معلوماته ومعارضةً للحَريري.

الفصل الثاني

شخصيّات مقامات الحَريري والحَميدي

تتوافر في المقامة بعض الخصائص، ومنها الشخصيّات. ولا مجال للتفرقة بينها وبين الحدث، "لأنّ الحدث هو الشخصيّة، ووحدة الحدث لا تتحقّق إلاّ بتصوير الشخصيّة وهي تعمل"[١]. وتدور المقامة حول الشخصيّة لأنّها المحور الأساس، وبدونها لا معنى للمقامة.

والشخصيّات الرئيسة في المقامة هي الراوي والبطل. ويرسمهما المؤلّف بخبرته وجهده. ويتعرّف القارئ عليهما من خلال تفكيرهما، وسلوكهما، ومظهرهما، وحركاتهما في المقامة. لذلك جعلنا هذا الفصل وقفاً على **مقامات** الحَريري والحَميدي، وقد قسّمناه إلى ثلاثة مباحث: الأوّل هو الراوية في مقامات الحَريري والحَميدي، ونذكر أهمّ خصائص الراوية ودوره في المقامات. والمبحث الثاني: البطل في مقامات الحَريري والحَميدي، ونعالج مقوّمات شخصيّة البطل وأهمّ صفاتها، ونتعرّف عليه من خلال أفكاره، وسلوكه ومظهره. والمبحث الثالث: سائر الشخصيّات في مقامات الحَريري والحَميدي، ونذكر أهمّ خصائصها. ونقصد بهذا الفصل الكشف عن مدى تأثّر الحَميدي بالحَريري في اتّخاذ الشخصيّات، وتفكيرها وحركاتها وأسلوبها، وكذلك الإلمام بأبعاد مقامات الحَريري والحَميدي ومراميهما من خلال دراسة شخصيّتي الراوية والبطل خُصوصاً، وسائر الشخصيّات عموماً لنتبيّن الفلسفة الكاملة من وراء ذلك.

أولاً– الراوية في مقامات الحَريري والحَميدي

سنتطرّق إلى شخصيّة الراوي وأهمّ خصائصها في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

أ– الراوية في مقامات الحَريري

إنّ الراوية في جميع **مقامات** الحَريري شخص واحد لا يتغيّر هو الحارث بن همّام، كما صرّح الحَريري نفسه في مقدّمة **مقاماته** باسم راويها، قائلاً: "أنشأتُ خمسين مقامةً... وأسندتُ روايتها إلى الحارثِ بن همَّام البصري"[٢]، وهو شخصٌ وهمي.

فقد نسب الحَريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همّام، وعَنَى بهذا الاسم نفسه، ومن المحتمل رمز به إلى نفسه الواعية. فهو الّذي يروي أخبار المقامات كلّها. يقول ابن خلّكان: "سبب تسميّة الراوي بالحارث بن همّام، فإنّما عنى به نفسه، وهو مأخوذ من قول رسول الله: "كُلُّكُمْ حارثٌ

---

[١] أحمد المديني، **فنّ القصّة القصيرة بالمغرب**، ص ٣٧.

[٢] الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٧.

وكُلُّكُمْ همّام"[١] فالحارث: الكاسب، والهمّام الكثير الاهتمام بأموره"[٢]. والبصرة هي مدينة الراوي والمؤلّف.

وأمّا الحارث بن همّام فهو "ابنُ كُلِّ تُرْبَةٍ، وأخو كُلِّ غُرْبَةٍ"[٣] أي رجل رحّالة، في سبيل الرزق والعيش[٤] تارةً، وفي سبيل التلّهي[٥] تارةً أخرى، وأبيّ النفس بعيد عن مسالك اللصوصيّة في المقامات كلّها.

والحارث بن همّام يقصّ في كلّ مقامةٍ قصّةً من مغامرات البطل، ويصادفه في مدينة أو مكان على غير ميعاد، ولم يعرفه إلاّ عند خاتمة الواقعة، وبعد طول تأمّل[٦].

وقد أكثر الحَريري على لسان الراوي من وصف افتتان أبي زيد السروجي بالبلاغة ومقدرته على حَوْك الكلام، وبلاغته الرائعة، وبديهته المطاوعة، والغوص في لُجج البيان، في المقامات كلّها.

وشخصيّة الحارث بن همّام قريبة من شخصيّة الراوي عيسى بن هشام في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ووجه الشبه بينهما هو: أنّ دورهما كان رواية الأحداث والتمهيد للمقامة بالتنقّل من مكان إلى مكان ووضع عنصر الاغتراب فيها. ووجه الخلاف بينهما هو أنّ بديع الزمان الهمذاني كان يشارك عيسى بن هشام في الأحداث أحياناً، كما شاركه في بطولة المقامة البغداديّة[٧] حيث احتال فيها على أحد البغداديين، كما وصل إلى مرتبة ولاية البصرة في المقامة الخلفيّة[٨]؛ غير أنّ الحَريري لم يشارك راويه في أحداث المقامة.

ويراقب الحارث بن همّام أبا زيد السروجي دائماً، ويكتشف الصورة الثانية لأبي زيد. وهو حاضر دائماً بين المستمعين متوارياً في ركن، يستمتع سرّاً بالمشهد الّذي يشترك فيه جمع غفير من

---

(١) العجلوني، **كشف الخفاء**، مج ٢، ص ١١٥.

(٢) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج٤، ص ٦٥.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٦١.

(٤) أنظر: الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠.

(٥) الحَريري، م.ن، المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٦، و"المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٦، و"المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٢، و"المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٦٠.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٦، و"المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٤، "والمقامة الثالثة: الديناريّة"، ص ٣١، و"المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٨، و"المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٨، و"المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢٢، و"المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥١٠.

(٧) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة البغداديّة"، ص ٥٩ – ٦١.

(٨) بديع الزمان الهمذاني، م.ن، "المقامة الخلَفيّة"، ص ١٩٧ – ١٩٨.

الناس من دون أن يرتابوا بأيّ شيء. صحيح أنّه يبطئ في التعرّف على أبي زيد السروجي ولكنّه في خاتمة المقامة يتعرّف عليه، ويكشف احتياله[١].

ويبحث الحارث بن همّام عن الأدب والشعر أحياناً[٢]، وينتسب بالكامل إلى عالم الأدب. ونجده في المقامات كلّها هو في عالم معروف، وليس بحاجة إلى بذل جهد ليقبله الناس، إذ يقبله الناس فوراً، والأدب الّذي يجمعهم يجعل بينهم قرابة ويماثلون "أسنان مشط"[٣].

ويتّفق الحارث بن همّام مع أبي زيد السروجي من حيث التمكّن من اللغة واعتماد الأسلوب نفسه، ولكنّه يختلف عنه من حيث الخلق والطباع: ففي حين نجد أبا زيد السروجي رجلاً خارجاً على التقاليد، والعرف والعادات، والأخلاق السائدة في المجتمع، نجد الحارث بن همّام رجلاً عادياً طبيعيّاً، يحافظ على تقاليد مجتمعه، ولو أنّه يُخفي إعجابه بأبي زيد السروجي في كثير من الأحيان.

رأينا أنّ راوية **مقامات** الحَريري الحارث بن همّام، هو الّذي يروي مغامرات البطل دائماً. وهو رجل رحّالة ويتردّد إلى البلدان المختلفة ويغترب عن الأوطان. ويصف فصاحة البطل وبلاغته. ومن أهمّ ميزات الراوية، بلاغته الرائعة في وصف أفانين البطل، وتمكّنه في اللغة.

والجدير بالذكر أنّ شخصيّة الراوية الحارث بن همّام ذات أهميّة خاصّة في **مقامات** الحَريري لأنّه يمهّد المجال لظهور البطل، ويتابعه حيثما وجد. ولا يقتصر دور الراوية الحارث بن همّام على رواية الأحداث فقط، إذ إنّه يلعب دوراً إيجابيّاً أو سلبياً في تكوين الصورة الشاملة لأبي زيد السروجي. لقد استطاع الراوية بقوّة بيانه وبراعته وفصاحته أن يقدّم النموذج الفنّي للبطل أبي زيد السروجي.

ب- الراوية في مقامات الحَميدي

إنّ الراوية في كلّ مقامة من **مقامات** الحَميدي هو أحد الأصدقاء المخلصين، من غير أنْ يُذكر اسمه، إنّما يظهر تحت عنوان صديق مخلص وفيّ، فهو شخصيّة مجهولة ينعتها الحَميدي بأوصاف عديدة متتالية في صدر كلّ مقامة؛ فعلى سبيل المثال تبدأ المقامة الأولى بقوله: "حكايت كرد مرا دوستى كه در حَضَر مرا جليس وهمدم بود ودر سفرانيس هم وغم"[٤].

ترجمة الشاهد

---

(١) على سبيل المثال أنظر: الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٦، و"المقامة الحادية والعشرين: الرازيّة"، ص ٢٠٨، و"المقامة الخامسة والعشرين: الكرجيّة"، ص ٢٥٤.

(٢) على سبيل المثال أنظر: الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ١٧، و"المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٠، و"المقامة الثامنة والثلاثين: المرويّة"، ص ٤١٦.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٢.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.

حكي لي صديق كان جليسي ومؤنسي في الحضر، وأنيس همّي وغمّي في السفر.

- "حكايت كرد مرا دوستى كه مونس خلوت بود وانيس سلوت"[١].

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان مؤنس الخلوة، وأنيس السلوة.

- "حكايت كرد مرا دوستى كه دل درمتابعت اوبود وجان درمشايعت"[٢].

ترجمة الشاهد

حكي لي صديق كان قلبي في متابعته وروحي في مشايعته.

وهكذا نرى في صدر كلّ مقامة من مقاماته الأوصاف والنعوت، ما يتألّف منها فصل طويل من الصفات الّتي استغنى بها في تعريف بطل مقاماته عن الأسماء.

فالراوي عند الحَميدي لا بدّ له من أن يغترب. ويبدأ كلّ مقامة بسفرة الراوي، أو عزلته في الغربة. ولم يذكر الحَميدي موطن راويه، ويبدو أنّ موطنه خراسان لأنّه يشير أحياناً إلى خراسان، كما قال في مقامة اللاطي والزاني: "واز خراسان روى به كاشان نهادم"[٣].

ترجمة الشاهد

توجّهتُ من خراسان إلى مدينة كاشان.

* * *

استقى الحَميدي **مقاماته** من العربيّة وأدبها، وقلّد بديع الزمان الهمذاني والحَريري في كثير من النواحي الفنّيّة المتعلّقة بها، منها شخوص المقامات. فراويها في الحقيقة هو الحَميدي نفسه.

ومن أهمّ خصائص الراوية أنّه رجل رحّالة، يسافر ويتجوّل في المدن الإيرانيّة أو البلدان العربيّة دائماً. هو رجل الفصاحة والبلاغة، ويصف البطل والطبيعة بأجمل الصور. وفي خاتمة كلّ مقامة يترك المدينة بحثاً عن البطل، وفي نهاية المطاف يرجع إلى مكانه بدون أن يجد أثراً له.

ثانياً – البطل في مقامات الحَريري والحَميدي

نشير في هذا المبحث إلى مقوّمات شخصيّة البطل، وصفاتها في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

أ- مقوّمات شخصيّة البطل في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر أهمّ مقوّمات شخصيّة البطل في **مقامات** الحَريري والحَميدي. ومن خلال حديثنا عن البطل نتعرّف على تفكيره وعقائده.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣١.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٤٩.

١- مقوّمات شخصيّة البطل في مقامات الحَريري

إنّ البطل في جميع **مقامات** الحَريري شخص واحد لا يتغيّر هو أبو زيد السروجي. كما أشار الحَريري في تصدير **مقاماته** إلى بطل مقاماته: "أنشأت خمسين مقامة... ممّا أملَيتُ جميعَه على لسانِ أبي زيد السروجيّ..."[١].

وتختلف الروايات في حقيقة أبي زيد السروجي، فمن قائل إنّه شخصيّة حقيقيّة وكان من طلاّب الحَريري، أو استوحاه من صورة الشحّاذ الّذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة، في حين ذَهَبَ البعض إلى أنّه اسم خيالي وضعه الحَريري.

زعم القفطي أنّ أبا زيد السروجي كان أحد تلامذة الحَريري، واسمه الحقيقي كان "المطهر بن سلام، وكان بصريّاً نحويّاً لغويّاً، صحب الحَريري المذكور، واشتغل عليه بالبصرة وتخرّج به"[٢]. وجعل الحَريري مقاماته رواية على لسانه.

ويقول ياقوت الحموي إنّ الحَريري رسم هذه الشخصيّة من واقع الحياة بقوله: "كان أبو زيد السروجي شيخاً شحّاذاً بليغاً ومُكدياً فصيحاً، وردَ علينا البصرة، فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلّم، ثمّ سأل الناس، وكان بعض الولاة حاضراً، والمسجد غاصٌ بالفضلاء فأعجبتهم فصاحته وحسن صياغة كلامه وملاحته. واجتمع عندي عشيّة ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها، فحكيتُ لهم ما شاهدت من ذلك السائل، وسمعتُ من لطافة عبارته في تحصيل مراده، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده... فأنشأت المقامة الحراميّة، ثمّ بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أول شيء صنعته"[٣].

وتحاول هذه الروايات كلّها أن تثبت أنّ أبا زيد السروجي كان شخصيّة حقيقيّة. وقيل: "قد يكون المطهر بن سلام شخصيّة حقيقيّة، وأنّه أحد تلامذة الحَريري كما تقول كتب النحاة، أمّا أنّه أبو زيد السروجي فهذا هو الوهم الّذي وقعوا فيه"[٤].

فالأقرب إلى الصواب أنّ أبا زيد السروجي كان عند الحَريري – كأبي الفتح الإسكندري عند بديع الزمان الهمذاني – شخصيّة نسجها خيال الحَريري، ليحوك من حولها حيل أديب متسول، مثلما اتّخذ بديع الزمان الهمذاني من أبي الفتح الإسكندري بطلاً لمقاماته. وتعتبر شخصيّته صورة طبق الأصل أبي الفتح الإسكندري بطل المقامات الهمذانيّة.

وأمّا مقوّمات أبي زيد السروجي بطل **مقامات** الحَريري فهي:

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٧.
(٢) القفطي، **إنباه الرواة**، ج ٣، ص ٢٧٦.
(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج ١٦، ص ٢٦٣.
(٤) شوقي ضيف، **المقامة**، ص ٥٠.

- كان أبو زيد السروجي أستاذاً في صناعة الكدية، كثير الاحتيال، كثير التلوّن في نسبه، وفصيح اللسان، وكان أحياناً ينتمي إلى آل ساسان وأحياناً إلى مدينة سروج، ويعتزّ بمدينته ومسقط رأسه، بقوله: (بحر مجزوء البسيط)

أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِـي خَصائصِــهِ عَيْــبٌ وَلا فِـي فَخَــارِهِ رَيْبُ
سَرُوجُ دارِي الّتي وُلِــدتُ بِهَــا وَالأَصْــلُ غسّانُ حِيــنَ أَنْتَسِبُ

ويتذكّر أبو زيد السروجي مدينته الّتي انطلق منها بشعور صادق، وشوق وحنين قائلاً[1]: (بحر مجزوء الرمل)

مَسْقَــطُ الــرَّأْسِ سَــــرُوجُ وَبِهَــا كُنْــتُ أَمُــــوجُ
وِرْدُهَــا مِـــنْ سَلْسَبِيـــلِ وَصَحَارِيهَـــا مُـــــرُوجُ
لَيْـــتَ يَومِــي حُــمَّ[2] لَمَّـــا حُــمَّ لِــي مِنْهَــا الْخُــرُوجُ[3]

- كان رجلاً غنيّاً، ولكنّ الدهر غيّر أيّامه فأصبح فقيراً. واحترف التسوّل، وكانت وسيلته الكبرى في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه، وله مقدرة لغويّة عالية، ويقرّ نفسه بذلك، بقوله: (بحر المنسرح)

وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الكَلامِ الّــذي مِنْهُ يُصاغُ القَرِيضُ[4] وَالخُطَبُ[5]

- ويعرف كيف يسلب الناس أموالهم بجمال منطقه، ويبيّن فيها كلّ خصائصه الأدبيّة، وما يتعمّد من ألفاظ غريبة، وله قدرة على التلاعب بالألفاظ بصورة عديدة لأنّه كان أديباً.

- ويستعمل ذكاءه وقوّة بيانه في جذب اهتمام الناس واستلاب عواطفهم واستدرار أموالهم واستمالة عقولهم ليمنحوه صدقاتهم.

- وكان رجل الأسفار وينتقل من مكان إلى مكان دائماً، ويتجوّل من بلد إلى بلد يستجدي. وقد اتّخذ التسوّل حرفة له.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢١ – ٣٢٢.

(٢) يومي حم: يوم موتي. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٧.

(٣) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨١.

(٤) القريض: الشعر. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، مج ١، ص ١٠٦.

(٥) الحَريري: م.س، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨١.

- كان أبو زيد السروجي شاعراً وخطيباً ولغويّاً مدقّقاً وعالماً فقيهاً وحاضر البديهة وماهراً لبقاً وحاذقاً ذكيّاً وقديراً على أن يؤثّر في الناس، أو على شخصيّة خاصّة كالسلطان أو القاضي، وهو في نفس الوقت كان لصّاً محتالاً وشحّاذاً محترفاً وسكّيراً فاسقاً.

- هو "شخص وقح غريب الأطوار، ماهر على التساوي في دقائق النحو، وفي أنواع النصب والاحتيال، لا يستعمل معارفه الأدبيّة إلاّ لكي يبتزّ عشاء أو صدقةً ما، وقد يجعلنا نتبسم، غير أنّه لا يوحي لنا مع الوقت إلاّ بالتقزز"[(١)].

- هو ليس مثل الحارث بن همّام، فهو مقبول أحياناً ومرفوض أحياناً أخرى، يثير الإعجاب بكلامه، ويحقّرونه أحياناً بأسماله.

- وقد يظهر مرّة فقيهاً متضلّعاً من المسائل الدينيّة أو المسائل اللغويّة، وكما في المقامة الديناريّة، والمقامة الطيبيّة أو الحربيّة، وقد يكون ناقداً اجتماعيّاً أو سياسيّاً، كما نجده في المقامة الإسكندرانيّة، والمقامة التبريزيّة، والمقامة الرمليّة، والمقامة البصريّة. والأدب ليس لديه إلاّ وسيلة لكسب الرزق.

- وهو أديب واعظ يرتجل الكلام المطابق لمقتضى الحال، منثوراً ومنظوماً، ويستشهد بالمأثورات من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأمثال الحكميّة والأقوال والأشعار. ويلقي في كلّ مكان بعلمه الواسع باللغة، ويدلّ على ظرفه وتوقّد ذهنه.

- يتخذ أشكالاً كثيرة، ويظهر في أحوال مختلفة، فإنّه "على التوالي أعرج وأعمى ومعلّم ومُرتجِل وواعظ متنقّل ودرويش مُزيّف وطبيب وزاهد وماجن"[(٢)]، ولكنّه دائماً محتال متسوّل يحصل على المال بالخداع والاحتيال ليوفّر لنفسه المتعة واللّذة.

ويجعل الحَريري من أبي زيد السروجي نموذجاً للأديب البائس في ذلك العصر، يحتال لكسب المال بأدبه. فقد اتّخذ أبو زيد السروجي الحيلة وسيلة لكسب رزقه، كما يصف نفسه، في المقامة الوبريّة، قائلاً: (بحر الخفيف)

قُلْ لمُستَطْلِعٍ[(٣)] دَخيلَةَ أمْـرِي[(٤)] لَـكَ عِنْـدِي كَرامَـةٌ وَعَزازَهْ[(٥)]
أنَا مَا بَيْنَ جَوْبِ[(٦)] أرْضٍ فَأرْضٍ وَسُـرًى في مَفَازَةٍ فَمَفَـازَهْ[(٧)]

---

(1) E. Renan, *Les Séances de Hariri*, p. 292.
(2) E. Renan, *Ibid, p.* 292.
(٣) المستطلع: الّذي يحبّ أن يطّلع على الأمر. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، مج ٢، ص ٤٢.
(٤) دخيلة أمري: باطنه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.
(٥) عزازة: عزّة ورفعة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.
(٦) جوب: قطع. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.
(٧) مفازة: قال الأصمعي: هي المهلكة، سمّيت بذلك تفاؤلاً لسالكها بالفوز. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.

زَادِيَ الصَّيْدُ وَالمَطِيَّــةُ(١) نَعْلــي   وَجِهَازِي(٢) الجِرَابُ والعُكَّازَهْ(٣)
فإذا مَا هَبَطْتُ مِصْــراً فَبَيْتــي   غُرْفَةُ الخانِ والنَّدِيمُ جُــزَازَهْ(٤)
لَيْسَ لي ما أساءُ إنْ فاتَ أوْ أحْزَنُ   إنْ حــاوَلَ الزَّمــانُ ابْتِزازَهْ(٥)
غَيْرَ أنّي أبِيتُ خِلْواً مِــنَ الهَــمِّ   وَنَفْسِي عَنِ الأسَى مُنحــازَهْ(٦)

فتدلّنا هذه الأبيات على أنّ أبا زيد السروجي عالم متشرّد وجوّال قد أخنى عليه الدهر، فاتّخذ من الحيلة وسيلة لكسب العيش والرزق. كما أنّ الحَريري صوّر من خلال هذه الأشعار صورة للحياة الاجتماعيّة في العصر العبّاسي.

ولا غرو أنّ الحيلة والخدعة من أبرز صفات أبي زيد السروجي، والمقامات الحَريرية حافلة بخُدعه واحتيالاته. ومن نماذج هذه الحيل ما نراه في المقامة الخامسة والأربعين: الرمليّة. فيتظاهر أبو زيد السروجي وزوجته بأنّهما يتخاصمان فيذهبان عند القاضي ليحكم بينهما بالعدل. فيخطــب كلُّ منهما شكواهما على القاضي بلسان فصيح. وبعد أن يسمع القاضي شكواهما، يعجبه خطبهما، فيعطيهما من الدراهم، ويثني على أدبهمــا، فيشكران وينطلقــان. وبعد انصرافهمــا يســأل القاضي هل يعرفهما أحد، فقال له أحد: "أمّا الشيــخ فالسروجي المشهود بفضله، وأمّا المــرأةُ فَقَعِيدةُ(٧) رَحْلِهِ، وأمّا تَحاكُمُها فمكيدةٌ(٨) مِنْ فعلِه، وأُحْبُولَةٌ(٩) مِنْ حَبائــلِ خَتْلِه(١٠). فَأَحْفَظَ(١١) القاضي ما سَمِع، وتَلَهفَ(١٢) كَيْفَ خُدِعَ"(١٣).

---

(١) المطيّة: العرب تسمّي النعل مطيّة مجازاً، حيث يستعان بها على قطــع المفــازة. الشريــشي، شــرح مقامــات الحريري، مج ٢، ص ٤٢.

(٢) جهاز: ما يحتاج إليه المسافر من العدّة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.

(٣) العكّازة: العصا. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.

(٤) جزازة: قيل إنّها خليع مشهور عندهم... وقيل إنّها القراطيس الصغار، يكتب للناس فيها بما يجلــب ممّــا يؤكــل ويشرب، والجزازة ما يسقط من الشيء تجزّه كالقصاصة... والجزازة ما يقطع من الشيء. الشريشي، م.ن، مــج ٢، ص ٤٢ – ٤٣.

(٥) ابتزازه: تجريده وإزالته. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٤٣.

(٦) الحَريري، المقامات، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٤؛ منحازة: متنحيّــة: ومنعزلــة، منقبــضة. وانحاز: انعزل. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٤٣.

(٧) قعيدة رحله: زوجته وصاحبة بيته. الشريشي، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، مج ٢، ص ٢٥٢.

(٨) مكيدة: مكر. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٢.

(٩) أحبولة: شبكة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٢.

(١٠) ختله: خداعه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٢.

(١١) أحفظ: أغضب. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٢.

(١٢) تلهف: تندّم فصاح يا لهفي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥٢.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٨ – ٥١٩.

- وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَريري صوّر أحياناً شخصيّة أبي زيد السروجي تصويراً ضعيفاً بالضرورة، لأنّه لا يعنيه منه سوى أن يتّخذه وسيلة لخدمة أهدافه اللغويّة. ولهذا فإنّ الاحتيال الّذي يبديه أبو زيد السروجي هنا احتيال ضعيف، كما يحدث في المقامة الفارقيّة[١]، حينما تنهال العطايا على الشيخ بعد أن أعمل في سامعيه مخالب فصاحته، ويقنعهم بأنّه يريد المال، لتجهيز ميّت ثمّ يتبيّن الحارث بن همّام أنّ هذا الميّت هو غُرمُول[٢] أبي زيد السروجي.

ويذكر أبو زيد السروجي خصائصه وفضائله، وما يختصّ به من الأفعال المحمودة بأجملها، في المقامة الإسكندرانيّة، بقوله: (بحر المنسرح)

أنــا امْــرُؤٌ لَيْسَ في خَصائِصِه	عَيْــبٌ ولا فِــي فَخــارِهِ رِيَــبُ
سَــرُوجُ دارِي الّتي وُلِدْتُ بِهَــا	وَالأَصْــلُ غَسَّــانُ حيــنَ أَنْتَسِبُ
وَشُغْلِيَ الدَّرْسُ والتَّبَحُّرُ فِي الـ	ـعِلْمِ طِلابِي[٣] وَحَبَّــذا الطَّلَــبُ
وَرَأْسُ مالــي سِحْرُ الكلامِ الّذي	مِنْه يُصاغُ[٤] القَرِيضُ[٥] والخُطَبُ
أَغُوصُ في لُجَّةِ[٦] البيانِ فأخــ	ـتارُ اللّآلي[٧]مِنْهــا وأَنْتَخِــبُ[٨]

والحَريري حريص على إدخال الكدية وعناصرها في **مقاماته**، وصوّر هذا الجانب تصويراً رائعاً في سلوك بطله.

فيصوّر الحَريري أبا زيد السروجي شخصيّة ذات دهاء، ضليعاً في اللغة، متمكّناً من أسرارها، ملمّاً بعلوم شتّى، يطوف بالبلدان المختلفة يتّخذ من دهائه وعلمه، وتمكّنه من اللغة وسيلة إلى الرزق. وكان يلجأ في سبيل ذلك إلى المخادعة والتسوّل والاستغلال أحياناً، فتقوم حياته على الاستجداء. ويكره أبو زيد السروجي التكدّي ولا يستجدي عن رغبة، إنّما ظروفه الصعبة تدفعه إلى التسوّل والتكدّي.

تأثّر أبو زيد السروجي في الحقيقة بمجتمعه، وأخذ السلبيّات والأخطاء الّتي ظهرت في سلوك الناس في عصره.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٣ – ١٩٨.

(٢) غرمول: ذكر. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، مج ١، ص ٢٤٣.

(٣) طلابي: أي طلبي إنّما هو للعلم. الشريشي، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، مج ١، ص ١٠٦.

(٤) يصاغ: يصنع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٠٦.

(٥) القريض: الشعر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٠٦.

(٦) اللجّة: معظم الماء، جعله للبيان مجازاً. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٠٦.

(٧) اللآلي: جمع لؤلؤة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٠٦.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨١.

واللافت للنظر أنّ الحَريري قد خرج عن أصول الكدية، لأنّه وصف بطله أبا زيد السروجي بالكرم والبرّ بالناس، وإطعام الضيوف، وذلك في المقامة النصيبيّة[١]، وخلاصتها أنّ أبا زيد السروجي يمرض ثمّ يبل، فيأتي الحارث بن همّام رُفَقاءه ليعودوه فيتمسّك بهم ويطلب إليهم أن يمكثوا عنده، ويأمر ابنه بأن يقدّم للضيوف الطيّبات.

والكرم ذاته يبديه أبو زيد السروجي في المقامة الرقطاء[٢]، وفيها يستدين أبو زيد ويلح عليه دائنه، ويقتاده إلى القاضي، فيتقدّم أبو زيد إلى القاضي برسالة عجيبة، هي الرسالة الرقطاء، وكلّ كلمة فيها منقوطة، فيعجب الوالي بهذه المهارة، ويقضي عن أبي زيد السروجي دَيْنَه، ويستبقيه معزّزاً مُكرماً، سنين ثمّ يتركه لحاله حيث يعثر به الحارث بن همّام، ويستوهبه الرسالة الرقطاء، فيعطيه إيّاها مضافاً إليه بعض ما تخلّص له من عطايا الأمير.

بل نرى كرمه وعطاءه أكثر من هذا، وهو في المقامة الرازيّة[٣]، لمّا يهب لنجدة مظلوم حاول عبثاً أن يسترعي أنظار الوالي إلى ظلامته. ولكنّ الوالي يشغل بالظالم عن المظلوم.

فكلّنا نعرف أنّ الكرم والبرّ بالناس، وإغاثة الملهوفين ليست من صفات المكدين والمحتالين، وقد خرج الحَريري عن أصول مهنة الكدية والاستجداء.

– ومن سمات أبي زيد السروجي الأخرى الانتقامُ من الأشرار كما يحدث في المقامة الرحبيّة[٤]، حيث ينتقم أبو زيد من قاضٍ كان يريد مواقعة ابنه، بأن يخيّب ظنّه، ويسلبه ماله معاً.

– الفصاحة والبلاغة في الشعر والخطابة، وعالم بالفقه والنحو. ويمتاز بقدرة خارقة على الاحتيال، ويتظاهر بالورع ويشكو البؤس والفقر، ويقصد من وراء ذلك إثارة شعور الناس بالعطف عليه، واستغلالهم. كما يستغلّ خلافاته العائليّة لكسب الأموال.

– وقد تحصل الخلافات العائليّة، والخصام بين أبي زيد السروجي وبين أهله بسبب الفقر والجوع. وقد استغلّ أبو زيد السروجي هذا العنصر، ويعتقد بأنّ الكدية تعود إلى الفقر والمشكلات الاقتصاديّة في البلد. ونلاحظ ذلك في المقامة المعرّية[٥]، والإسكندرانيّة[٦] والتبريزيّة[٧]. ويقاضي أبو

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٨٣ – ١٩٢.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٥٨ – ٢٧٠.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ١٩٨ – ٢٠٩.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٧.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة: المعرّية"، ص ٧٠ – ٧٦.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٨ – ٧٦.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥٠.

زيد السروجي أحياناً، لعلّ أهمّها المقامة التبريزيّة[١]، حيث يتقدّم السروجي إلى قاضي تبريز شاكياً زوجته، زاعماً أنّها لا ترعاه، ولا تقوم على شؤونه، وأنّه لهذا يتّهمها بالنشوز[٢]. فيلتفت إليها القاضي موبّخاً، ومنذراً بأنّ النشوز يغضب الربّ ويوجب الضرب... فيتبادل بين الزوجين أقبح النعوت، وأقذع الكلمات ممّا يحرج القاضي، فيوصيهما بالتراضي.

- ولأبي زيد السروجي وصيّة، أوصى بها ابنه هي االكدية في المقامة الساسانيّة: "أحضرَ ابنَه، بعدما استجاش[٣] ذهنَه، وقال له: يا بُنيَّ إنّه قد دَنا ارتحالي من الفِناء، واكتحالي بمروَدِ الفَناء، وأنتَ بحمدِ اللهِ وليُّ عهدي، وكَبْشُ الكتَيبة[٤] الساسانيّة من بعدي... احفظْ وصيَّتي، وجانِبْ معصيتّي، واحْذُ مثالي، وافقَهْ أمثالي، فإنّك إن استَرْشَدْتَ بنُصحى، واستَصبَحتَ بصُبحي، أمْرَعَ خانُك، وارتفَعَ دخانُك[٥]... يا بُنيَّ إنّي جرَّبتُ حقائقَ الأمور، وبَلَوْتُ تصاريفَ الدهور، فرأيتُ المرءَ بنشَبه لا بنسَبه، والفحص عن مكسبه، لا عن حسبه. وكنت سمعت أنّ المعايشَ إمارة وتجارة وزراعة وصناعة، فمارستُ هذه الأربع، لأنظرَ أيُّها أوفَقُ وأنفع، فما أحمدتُ منها معيشة، ولا استرغَدْتُ فيها عيشة"[٦].

واستمرّ الحَريري يتحدّث عن هذه الأوجه الأربعة للمعايش أي الإمارة والتجارة والزراعة والصناعة، ثمَّ يقول إنّ أحسن الحِرَف هي حِرفة الكدية لأنّها المتجر الّذي لا يكسد، والمصباح الدائم النور. ثمّ يشرح لابنه كيف يعيش عن طريق الكدية، عارضاً لفنون التكدّي والاحتيال والمكر.

فيودّع أبو زيد السروجي حرفة التكدّي في هذه المقامة، ويحضر ابنه ليتلقّي عنه وصيّته، ويذكر فيها خبرته وتجربته في هذه الحرفة.

وفي المقامة الخمسين وهي الأخيرة، يعرض الحَريري علينا أبا زيد السروجي وتوبته إلى الله من صنعته وندمه على ما تقدّم من ذنوبه ومعاصيه فيها وينشد: (بحر مخلّع البسيط)

---

(١) الحَريري، **المقامات**،"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥٢.

(٢) النشوز: قال أبو إسحق: النشوز يكون بين الزوجين، وهو: كراهة كلّ واحد منهما لصاحبه. ونشزت المرأة بزوجها على زوجها: ارتفعت عليه وأبغضته وخرجت عن طاعته. لمزيد من التفصيل أنظر: **الموسوعة الفقهية**، ج ٤٠، ص ٢٨٤.

(٣) استجاش: استجمد وحشد. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٨٨.

(٤) الكتيبة: الجيش. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٨.

(٥) أمرع خانك: أخصب الفندق، وهذا مثل لرفاهة العيش. وارتفع دخانك: كثر خيرك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩ – ٥٧١.

أستَغفِـرُ اللهَ مِـــنْ ذُنُـــوبٍ   أفرَطْتُ فيهِــنَّ واعتَدَيْــتُ
كَـمْ خُضتُ بَحْرَ الضَّلالِ جَهْلاً   وَرُحْـتُ في الغَيِّ واغتَدَيْـتُ
وكَـمْ تَناهَيْـتُ فـي التَخَطـيِّ   إلَـى الخَطايَا ومَـا انْتَهَيْـتُ
فَلَيْتَنِـي كُنْـتُ قَبْـلَ هَـذا   نَسِيـاً وَلَمْ أجْنِ مـا جَنَيْـتُ
يـا ربِّ عَفْـواً فَأنْـتَ أهْـلٌ   لِلعَفْوِ عَنِّـي وإنْ عَصَيْـتُ[١]

فنهاية حياة أبي زيد السروجي في المقامات الحَريرية: أنّه ترك الكدية والاستجداء في أواخر عمره وتاب عنها لأنّه وصل إلى مرحلة النضج والكمال. ويمكننا القول إنّ توبته كانت متوقّعة لأنّه لمّا يعظ الآخرين ويرشدهم تظهر روحه الصادقة.

وهكذا يبدي لنا أبو زيد السروجي نوعاً من التطوّر، إذ يرفض شرب الخمر في المقامة القطيعيّـة[٢]،ويظهر ندمه وتوبتـه في المقامة الرمليّة[٣]، ثمّ يندم في المقامة البصريّة[٤] أي المقامة الأخيرة ويثوب إلى الرشد. ويتوب ويعبّر من موقف دنيء إلى موقف جدير بالتقدير، ويصبح سلوك أبي زيد في المقامة الخمسين إيجابيّاً بعد أن كان سلبيّاً في تسع وأربعين مقامة. "وفي أواخر حياته يعود الدين الّذي طالما تلاعب به، لتأكيد حقوقه؛ فيتوب ويعود إلى مدينة سروج"[٥].

٢ – مقوّمات شخصيّة البطل في مقامات الحَميدي

يتعدّد أبطال **مقامات** الحَميدي بعدد مقاماته، والبطل يتغيّر دائماً في كلّ مقامة بحسب المواقف، وهو ذو طبيعة مستترة. ويكون في معظم حالاته على هيئة شيخ مسنّ يتّجه إلى الناس واعظاً، أو خطيباً، أو شاعراً، أو قاضياً، أو محتالاً يخدع الناس بحيله، ويشغل الناس بأمره وبأشعاره ونثره، ويثير شعور الناس، ويستغلّ عواطفهم لكسب المال والرزق.

– ويظهر أحياناً في ثياب الرجال، وأحياناً في ثياب النساء، أو على هيئة رجل عجوز، أو على هيئة رجل شاب أو شيخ مجنون وغير ذلك، ولا يعرفه الناس.

– فلم يقيّد الحَميدي نفسه ببطل واحد ومعيّن كالمقامات العربيّة، إنّمـا اختـار بطـلاً يناسـب الموضوع، ولكنّه غير معروف ومجهول الهويّة. هكذا أعطى الحَميدي روحاً جديدة لمقاماته، والقارئ

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩١ – ٥٩٢.
(٢) الحَريري، م.ن، المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٢.
(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٣٢ – ٣٣٣.
(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩١.
(5) E, Renan, *Les Se'ances de Hariri*, p. 293.

يشعر أنّه أمام قصّة حقيقيّة، والشخصيّات موجودة حقيقة، ولها وجود في الخارج. فعلى سبيل المثال نراه في المقامة الملمّعة، واعظاً وخطيباً وأديباً، ويخطب باللغة العربيّة نثراً ونظماً، ويعظ الناس – أهل الحجاز – ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، قائلاً: "فاستمعوا يا رُفقةَ المسلمين ونُخبةَ المؤمنين فأنا لكم ناصح، أمين[١].

ثمّ يضيف: "يا فتيانَ العرب، وخلصان الأدب، وأبناءَ السيف والقلم، وأهلَ العِلْمِ والعَلَمِ، فو الّذي حلاّكم بالحِلْمِ الراجح، وقوّاكم بالعلمِ الناجح، إنّ هذا الدهر قَدْ فسدَ وإنّ السوقَ قَدْ كسَدَ، والكرامَ قد خَلَتْ عِراصُها وزُمَّتْ لِلْبَينِ قِلاصُها وانقطتْ جوائزُها واستُعجلَتْ جَنائزهُا... (بحر الطويل)

فَأَيْنَ الكِرامُ البيضُ مِنْ آلِ هاشمٍ فـــلا هاشـــمٌ بـــاقٍ ولا أَنّهمْ بَقُوا
فَبدّدَهُمْ أَيـــدي البَـــلا فَتَبَـــدَّدُوا وَفَرَّقَهُـــمْ رَيْبُ المنَـــى فَتَفَرَّقُـــوا

فلا رُعْتُمْ يا مَعشرَ الكرام ولا هُنْتُم فَلقد كُنّا واللهِ كما كنتم ناعمَ البالِ، ساحِبَ الأذيال، لنا في المعرك أقدامٌ... فارحموا صائماً بينَ أيديكم قائماً ومُناجياً لمنا يحِكُم راجياً... فرَحِمَ اللهُ امرءاً بَسَط كفَّ النوالِ وزَيَّن صفَّ الرجال... فلا تَقْطَعُوا عن اعتياضِ الإحسانِ أمَلاً، فإنّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً"[٢].

ثمّ يكمل نصائحه وإرشاداته باللغة الفارسية، والأشعار الملمّعة، وينصح العجم، بأنّ هذه الدنيا ليست منزلاً أبديّاً، وكلّ شيء فيها له حساب، وسنحاسَب لأجله. ويدعو السنّة والشيعة للاتّحاد، قائلاً: (بحر المضارع الفارسي = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

قَدْ قَامَتِ القِيامةُ يَا أَيُّها النِّيـــامْ هُبُّوا عَنِ المَنامِ وكُفُّوا عَنِ الحَرامْ
فَالشَّيْبُ قَدْ تَبَلَّجَ وَالصُّبحُ قَدْ بَدا يا قَوْمِ قَدْ نَصَحْتُكُم اليَوْمَ والسَّلامْ[٣]

وفي الأخير يختم خطبته بالدعاء ويترك أرض الحجاز، بدون أن يعرف أحد من أين جاء، وإلى أين ذهب، وما كان اسمه. والراوي يسافر ويبحث عنه كثيراً ولا يجده.

– كما نجد البطل شيخاً واعظاً يخطب بلسان فصيح وبيان صريح، ويدعو الناس إلى الأعمال الحسنة ويقوم بالإنذار والتبشير، و ينشد أشعاراً: (بحر السريع)

يا عارفَ الدنيا وأسرارَهـــــا مَن عرف الدنيـــا لمَا اختارها
لا تَلْــزمِ النفسَ إذا ما اشْتَهَـــتْ إذْ هـــي لا تَعلَــمُ أخطارَهـــا

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.

(٢) حميدي، م.ن، ص ٢٦ – ٢٧.

(٣) حميدي، م.ن، ص ٢٩ – ٣٠.

مـــا التفـــتتْ نفسٌ إلـــى راحـــةٍ   لو عَـــرَفَ الأنفسُ مقدارَهـــا[١]

- والبطل في **مقامات** الحَميدي يظهر على هيئة شيخ فقير أديب مرّة، ويشير إلى أنواع النظم ويشرحها قائلاً: "نظم را طبقات است وشعر را درجات. بعضى ملمّع است وبعضى مبهم، وبعضى مقفّل وبعضى مغفّل. نوعى آن است كه اورا ذو الشرفين خوانند وجنسى آن است كه آن را ذو الطرفين دانند؛ وشعرى است كه آن را متشابهة الاجزاء ومتناسبة الاعضاء گويند"[٢].

ترجمة الشاهد

النظم له طبقات والشعر له درجات. بعض منه ملمّع وبعض مبهم، وبعض مقفّل وبعض آخر مغفّل. ونوع آخر اسمه ذو الشرفين، وجنس آخر يسمّونه ذا الطرفين، وشعر آخر معروف بتشابه الأجزاء وتناسب الأعضاء.

أو في المقامة السابعة حيث يظهر شيخ فقير وهو يحتضن طفله ويعظ الناس في خطة دمشق. ثمّ يستجدي بعد أن يلغز ويقول: "يا قوم قد شَغَلَني السؤالُ عنِ الجدالِ وألهاني الحُطام عنِ الخِصام"[٣]. فيطلب من الناس أن ينظروا إليه بالكرم والمسامحة قائلاً: "كه را افتد كه بى ملافظه به چشم كَرَم ملاحظة كند، بى مكاوحت مسامحتى نمايد وآنچه دارد از بند بسته دراين رسته گشايد؟!"[٤].

ترجمة الشاهد

من يقدر أن يوجّهني بكرم العين دون القول، ويمنحني السماح دون الذلّ والمنّ، ويعطيني كلّ ما يملك ويداه مغلولتان.

ثمّ يأخذ ديناراً وينظر إليه ويَدَعُ الناس ويترك المدينة.

كما نجد البطل يظهر على هيئة شيخ في ثياب رثّة، وينادي الناس قائلاً: "أيّها الناسُ ابتغوا فضلَ اللهِ ومرضاته واتّقوا اللهَ حقّ تُقاته"[٥]، ثمّ ينشد الشعر التالي: (بحر البسيط)

إِنْ شِئْتَ فَاطْوِ أَحاديثي أَوِ افْتَرِشِ   فَرُبَمّـــا عَلِـــقَ البَازِيُّ بِالكَرَشِ[٦]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٧.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٩.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٧٩.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١٧٥.

أو في المقامة الثانية والعشرين، البطل هو شيخ فقير أيضاً ويخطب خطبا أدبيّة ووعظيّة وينشد أشعاراً: (بحر مخلّع البسيط)

يـــا قَـــوْمِ قَـــدْ سَاعَتِ الظُّنُـــونُ وَاضْطَـــرَبَ الصَّبْرُ وَالسُّكُونُ
وَأَدْبَـــــرَ العَقْـــلُ وَالتَّأَنِّـــــي وَأَقْبَـــلَ الحُمْــــقُ والجُنُـــونُ
أَمَـــــا عَلِمْتُــــمْ بِــأَنَّ فِيكُـــــمْ يَنْتَظِـــــرُ المَــوْتُ وَالمَنُـــونُ
وَحَـــادِثُ المَـــوْتِ وَهُوَ حَـــقٌّ يُدْرِكْكُـــمُ أَيْنَمَـــا تَكُـــونُـــوا[1]

– نجد البطل أحياناً شاعراً مرتجلاً في المقامة السابعة[2]، أو نجده صوفيّاً في المقامة الثامنة[3]، أو عالماً فقيهاً في المقامة الثانية عشرة[4]، أو نجد بطلين في مقامة واحدة نحو المقامة العشرين[5]، وهما شيخان، أحدهما شيخ طبيب، والثاني منهما شيخ منجّم، وتدور هذه المقامة حول المناظرة بينهما.

– في المقامة الخامسة عشرة فتًى عاشقٌ مجنونٌ يقيّد نفسه بسلاسل العشق، وينقذ نفسه من سلاسل وأغلال العقل. وهو في الحقيقة يتظاهر بالجنون ليهرب من العقل وهموم الدنيا، قائلاً: (بحر الطويل)

إلامَ يُراعي العَقْلَ والحِجْرَ والنُّهى فُــؤادٌ بِذِكْرِ العامِرِيَّةِ مَفْتُـــونُ
أَيَا مُدَّعِي العَقْلِ المُبَرَّزِ فِي الوَرَى أَلا فَاجْتَنِبْ دَعْواكَ إِنَّكَ مَغْبُـــونُ
ولَمَّـــا رَأَيْـــتُ العَقْلَ أَخْلَقَ بُرْدَهُ تَجَانَنْـــتُ حَتَّى ظَنَّ أَنِّيَ مَجْنُونُ[6]

ويصبح هذا البطل المجنون في نهاية القصّة عاقلاً.

– يظهر البطل على هيئة قاض، مؤمن، عالم، فاضل، أصيل، متواضع، ويحكم في المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين[7] بالعدل. ويشبّه الحَميدي القاضي بشريح القاضي[8] من حيث قطع العداوة بين الطرفين، وبعلي بن أبي طالب من حيث الحكم والاستناد إلى البيّنات والحجج.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزية"، ص ١٩٩.
(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة، في السيّاح"، ص ٧٧.
(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة، في التصوّف"، ص ٨١.
(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢١.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.
(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٥.
(٧) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦ – ١٦٠.
(٨) شريح القاضي: شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أميّة. من أشهر القضاة والفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمرّ طويلاً. ومات بالكوفة سنة ٧٨/ ٦٩٧. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ١، ص ٢٢٤؛ الزركلي، **الأعلام**، مج٣، ص ١٦١.

– وتحصل الخلافات العائليّة بين البطل وزوجته بسبب الفقر في المقامة السابعة عشرة[١].

– وفي النهاية نجد البطل شيخاً غريباً عالماً بعلم الأنساب، يذكر أسماء من حاز صدر الخلافة من عهد النبي إلى عهدنا في المقامة الأخيرة الثالثة والعشرين، ويذكر أسماء الخلفاء في قالب قصيدة منها: (بحر الطويل)

أَيَا رُفْقَةَ الفِتيانِ ذِي العَقْلِ والبَصَرْ قِفُوا واسْمَعُوا قَوْلي فَقَوْلي مُعْتَبَرْ

أُعَدّدُ مَنْ قَدْ حازَ صدرَ خلافــةٍ إلىَ عَهْدِنا مِنْ عَهدِ مُفْتَخَرِ البَشَرْ.[٢]

– إنّ البطل رجل رحّالة، ويختم كلّ مقامة بسفرته وتركه البلد من دون أن يعرف أحد مكانه نحو: "معلوم من نشد كه پای افزار غربت كجا گشاد وبار كربت كجا نهاد"[٣].

ترجمة الشاهد

ما عرفت أين وكيف ذهب!؟ وأين وضع أحمالَ كربته؟

أو "معلوم من نشد كه سرانجام اوچه بود..." [٤].

ترجمة الشاهد

ما عرفت ماذا حلّ به؟

أو "... روی عزيمت رابه راه كرد وبَعْدَ ما تَفَرَّقْنا غَرَّبَ الشيخُ وشَرَّقْنا. معلوم من نشدكه زمانه كجاش برد..." [٥].

ترجمة الشاهد

قصد الطريق وبعدما تفرقنا غرّب الشيخُ وشرقنا.. وما عرفت أين ذهب به الدهر...

أو پير آفتاب وار روی سوی مغرب كرد وقصد ديار يثرب كرد، ثمّ ينشد الأبيات التالية: (وزن مضارع مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

از بعد آن زمانه ندانم كزوچه خواست

چرخش زحادثـات بيفـــزوديابكاســـت

در بندِ روزگار به عزّ ماند يـــا به ذلّ

درجستجوی رزق به چپ رفت يابه راست[٦]

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٧ – ١٥٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٦.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٩.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٣.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٥١.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

ترجمة الشاهد

توجّه الشيخ إلى الغرب كالشمس، قاصداً أرض يثرب.

- وما عرفت أين ساقه الدهر، وهل مرور الأيّام زاد في متاعب حياته أو خفّفها؟

- أأبقته الأيّام عزيزاً أم ذليلاً في قيدها؟ وما عرفت أين ذهب باحثاً عن رزقه إلى اليمين أو إلى اليسار؟

* * *

تحدّثنا عن مقوّمات البطل في **مقامات** الحَميدي واستنتجنا الأمور التالية:

- لم يذكر الحَميدي اسماً خاصًّا لبطل **مقاماته**، وذلك على خلاف الحَريري.

- على خلاف **مقامات** الحَريري يتعدّد أبطال **مقامات** الحَميدي بعدد **مقاماته**، واختار الحَميدي لكلّ مقامة بطلاً يناسب موضوعها دون ذكر اسمه.

- يظهر البطل على هيئة شيخ واعظ أحياناً، أو خطيب، أو شاعر، أو قاض أحياناً أخرى، كما رأينا ذلك في مقامات الحَريري أيضاً.

- يستجدي البطل بعض الأحيان ويحتال على الناس ويثير شعور الناس بكلامه، ويستغلّ عواطفهم لكسب المال والرزق، كما شاهدنا ذلك عند بطل مقامات الحَريري.

- يسيطر البطل على اللغتَين العربيّة والفارِسيّة، لأنّه يخطب بالعربيّة تارةً، ويخطب بالفارِسيّة تارةً أخرى. وقصد الحَميدي بذلك إظهار مقدرته الفنّيّة واللغويّة تجاه الحَريري.

- يخطب بلسان فصيح، كما فعل ذلك بطل **مقامات** الحَريري أيضاً.

- يترك المدينة في كلّ مقامة، ويغرب فجأة، دون أن يعرف أحد عنه شيئاً، مثلما رأينا في مقامات الحَريري.

فمجمل القول: قلّد الحَميدي **مقامات** الحَريري، وقام بمعارضة الحَريري من حيث البطل، واختار أكثر خصائص بطل **مقامات** الحَريري لبطل مقاماته، إلاّ أنّ بطله يسيطر على علوم أخرى نحو: التصوّف والعرفان والطبّ والنجوم والتاريخ. وذلك لإظهار مقدرته الفنّيّة واللغويّة، وسعة معلوماته تجاه الحَريري.

ب- صفات شخصيّة البطل في مقامات الحَريري والحَميدي

بعد حديثنا عن مقوّمات شخصيّة البطل في **مقامات** الحَريري والحَميدي، نتحدّث الآن عن أهمّ صفات البطل في **مقامات** الحَريري والحَميدي أيضاً. فنبدأ بالحديث عن صفات البطل عند الحَريري ثمّ الحَميدي.

١- صفات شخصيّة البطل في مقامات الحَريري

تجتمع صفتان أساسيتان في بطل **مقامات** الحَريري أبي زيد السروجي، هما: الفصاحة والبيان والحيلة والدهاء. وتبدو كلّ واحدة منهما في مظاهر وأشكال، منها: الخَطابة والوَعظ والعِلم والمعرفة والعَوَز. فنقوم بشرح هذه الصفات بإيجاز.

- الخَطابة

من الصفات الرئيسة لأبي زيد السروجي أنّه رجل الفصاحة ويخطب ببلاغة وفصاحة ويختار الألفاظ العذبة وعجيبة التأليف. والمقامة البغداديّة[(١)] نموذج من الخطبة الفصيحة الّتي جاءت على لسان أبي زيد السروجي.

تعدّ الفصاحة والبلاغة والحيلة من أبرز صفات أبي زيد السروجي. فلذلك نراه يتحدّث بالفصاحة بمختلف مظاهرها من خطبة، أو قصيدة شعريّة، أو موعظة؛ ويحتال احتيالاً في غاية الذكاء، ويصف نفسه بالكثير الحيلة بين العرب والعجم في المقامة الدمشقيّة، بقوله: (بحر مجزوء الخفيف)

وَأَنَــــا الحُــــوّل الَّــذي احْــــ تـــالَ فِـــي العُـــرْبِ والعَجَـــم[(٢)]

٢- الوَعظ

لا تخفى علينا أهميّة هذا العنصر عند المستجدين لأنّهم كانوا يكسبون به. ونلاحظ أنّ أبا زيد السروجي يعظ الناس بفصاحة تامّة، ويزهّدهم في دنياهم، ويخوّفهم أهوال يوم القيامة. ومن مقاماته في الوعــظ: الصنعانيّــة[(٣)] والساويّة[(٤)] والرازيّة[(٥)] والرمليّــة[(٦)] والتفليسيّــة[(٧)] والبصريّة[(٨)]. ويفتتن الناس جميعاً ببراعة عباراته، ونظمه ونثره ممّا يسحر القلوب. فعلى سبيل المثال في المقامة الصنعانيّة نجد أبا زيد السروجي أديباً واعظاً، يقول في ذمّ الكِبْر والعُجْب: "أيُّها السادرُ[(٩)] في غُلَوائهِ[(١٠)]، السادلُ[(١١)] ثوبَ خُيلائه[(١٢)]، الجامحُ[(١٣)] في جَهالاتِه، الجانحُ إلى خُزَعبلاته[(١٤)]، إلامَ تستمرُّ على غَيّك،

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٧.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقية"، ص ١١٨.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٦.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨ – ١٠٤.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٠ – ٢٠٨.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٥ – ٣٣٠.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٣ – ٣٦٦.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٨٤ – ٥٩٢.

(٩) السادر: الراكب هواه لا يردّه شيء استطالة وبغيا. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٧.

(١٠) في غلوائه: ارتفاعه للشرّ ولجاجة فيه، وهو من غـلا يغلـو فـي الأمـر إذا جـاز الحـدّ. الشريـشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١١) السادل: المرخى. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١٢) خيلائه: كبره. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١٣) الجامح: الجاري إلى غير غاية، ويريد أنّه أكثر الفساد حتّى جرى منه في غير طريق. الشريشي، م.ن، مـج ١، ص ١٧ – ١٨.

(١٤) خزعبلات: الأباطيل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٨.

وتَستَمرئُ[١] مَرْعَى بَغْيك، وحتّامَ تَتَناهَى[٢] في زَهْوِك[٣]، ولا تَنتهي عن لهوك... وتَتَوارَى عن قريبك... أتظنُّ أن ستنفَعُك حالُك، أو يُنقذُك مالُك، حينَ تُوبقُك[٤] أعمالُك، أو يُغني عَنك نَدَمُك. إذا زلَّتْ قدمُك، أو يَعطف عليك معشرُك[٥]... وقَدَعَتْ[٦] نفسَك، فهي أكبرُ أعدائك..."[٧].

ثم يذمّ الدنيا. ويمدّ يده مستجدياً يطلب النوال والعطاء. كما يحدث ذلك في المقامة الرمليّة[٨]، ويصبح واعظاً ومبشّراً ونذيراً، حينما يعثر الحارث بن همّام أبان الحج بشيخه، يقف بين الحجيج واعظاً ومبشّراً ونذيراً. وحين تنتهي موعظته وإرشاداته، يتهجّد وينقطع عن الناس.

- **العِلم والمعرفة**

يظهر أبو زيد السروجي في هيئة عالم يعرف العلوم المختلفة، فهو فقيه نحويّ لغويٌّ، ناقد، عالم بالسحر والتنجيم. ونراه كيف يجادل الفقهاء في الفقه، أو الأدباء في الشعر والنثر وينتصر.

ونراه في المقامة القطيعيّة[٩] يُظهر معلوماته في النحو ورموزه، وفي المقامة الطيبيّة[١٠] يكون فقيهاً، وفي المقامة الفراتيّة[١١] يبدي لنا قدراته الفنّيّة واللغويّة في كتابة الإنشاء. ونجده في المقامات الفرضيّة[١٢] والملطيّة[١٣] والنجرانيّة[١٤] كيف يلغز السامعين فيها ويستغلّ علمه ومعرفته باللعب مع الألفاظ.

---

(١) تستمرئ: تستطيب من المرئ، وهو ما يلتذّ به من الطعام. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**،"المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٨.

(٢) تتناهى: تبلغ النهاية، ونهاية الشيء آخره. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٨.

(٣) زهو: كِبر وعُجب. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٨.

(٤) توبقك: تهلكك. يقال أوبقته الذنوب: أهلكته، الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٨.

(٥) معشرك: قومك. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٩.

(٦) قدعت: كففت. قال النبي (ﷺ): ليس عدوك الّذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنّة، ولكن عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٩.

(٧) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ - ١٢.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٣ - ٣٣٣.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٩ - ٢٤١، و٢٤٥ - ٢٤٨.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٦ - ٣٥٧.

(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٢ - ٢١٧.

(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٢ - ١٤٧.

(١٣) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٤ - ٤٠٣.

(١٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٣ - ٤٧٣.

- العَوَز

لا شكّ في أنّ الجوع والفقر أصبحا عنصراً متمّماً للاستجداء وحيل المتسوّلين، كما يتعمّد أبو زيد السروجي إبراز الفقر والجوع في عدّة مقاماتٍ منها: المقامة البغداديّة[١] والمغربيّة[٢] والتفليسيّة[٣] يشكو إلى الله تقلّب الدهر وعدوانه، ويشكو فقره، وكذلك يشكو من زمنه، ومن الناس وحمقهم وغبائهم، وسوء توزيع الثروة في مجتمعه، فلذلك يقوم بالانتقام من الأشرار؛ كما يحدث في المقامة الرحبيّة[٤]، حيث ينتقم أبو زيد السروجي من قاضٍ كان يريد أن يسلب ماله.

لقد اتّضح لنا من خلال دراسة صفات أبي زيد السروجي بطل المقامات، أنّه رجل الفصاحة والبلاغة في الشعر والخطابة، وعالم بالفقه والنحو. ويمتاز بقدرة خارقة على الاحتيال، ويتظاهر بالورع، ويشكو البؤس والفقر، ويقصد من وراء ذلك إثارة شعور الناس بالعطف عليه، واستغلالهم.

ولا بدّ من القول إنّ الحَريري أحكم ربط المواضيع المختلفة الّتي تطرّق لها من خلال شخصيّة البطل. ورأينا شخصيّة أبي زيد السروجي تكشف عن ذاتها في مجال عبقريّته.

٢ - صفات شخصيّة البطل في مقامات الحَميدي

تجتمع صفات كثيرة في بطل **مقامات** الحَميدي أهمّها: الخَطابة والوَعظ والعِلم والمعرفة والعَوَز. فنشير إلى هذه الصفات باختصار.

- الخَطابة

تعتبر الفصاحة والبلاغة من أبرز صفات بطل **مقامات** الحَميدي، لأنّه يخطب باللغتَين العربيّة والفارسيّة، وذلك في غاية البلاغة، ويختار الألفاظ العذبة والمأنوسة. كما نرى في المقامة الأولى[٥] والمقامة العاشرة[٦] والمقامة العشرين[٧] والمقامة الثانية والعشرين[٨]، فالبطل يتحدّث بفصاحة وينشد أشعاراً عربيّة وفارسيّة أيضاً ويخطب خطباً أدبيّة.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢١.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥١.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٩٣ - ٩٧.

(٥) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٦ - ١١٠.

(٧) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجم"، ص ١٨١ - ١٨٩.

(٨) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزية"، ص ١٩٩ - ٢٠٢.

- الوَعظ

قد اعتنى الحَميدي بالوَعظ كثيراً، فلذلك نرى البطل في أكثر مقاماته يقوم بدور الواعظ ويعظ الناس ويرشدهم وينصحهم بالأعمال الحسنة. ونجد ذلك في المقامة الأولى[١] والمقامة العاشرة[٢] والمقامة الثانية والعشرين[٣].

- العَوَز

ويتحدّث الحَميدي عن الفقر والجوع، فلذلك نرى البطل بعض الأحيان يظهر على هيئة شيخ فقير في ثياب رثّة يستجدي ويثير شعور الناس بفصاحة كلامه ولسانه البليغ، ويكسب المال في المقامة الخامسة[٤] والمقامة السابعة[٥] والمقامة التاسعة عشرة[٦].

* * *

لقد عرفنا أنّ بطل **مقامات** الحَميدي متّصف بالصفات التالية:

- هو خطيب وواعظ، وشاعر وفقيه كبطل **مقامات** الحَريري.
- عالم بعلوم شتّى كالطب والنجوم والتاريخ خلافاً لبطل **مقامات** الحَريري، لأنّه لم يكن عالماً بهذه العلوم.
- هو شيخ فقير يستجدي أحياناً كبطل **مقامات** الحَريري.

ثالثاً- سائر الشخصيّات في مقامات الحَريري والحَميدي

مقامات الحَريري والحَميدي كسائرِ المقامات تبنى بالدرجة الأولى على الاهتمام بشخصٍ واحدٍ أي البطل، والتركيز على دوره المعيّن في المقامة، ثمّ التركيز على شخصيّات أخرى. وأشرنا إلى الشخصيّات الرئيسة أي الراوية والبطل في كُلٍّ من **مقامات** الحَريري والحَميدي في بداية هذا الفصل، فأمّا الآن نذكر سائر الشخصيّات في **مقامات** الحَريري، ثمّ الحَميدي.

أ- سائر الشخصيّات في مقامات الحَريري

تدور **مقامات** الحَريري على حادث يسند إلى شخص معيّن المسمّى بالبطل، ثمّ يروي الراوية هذه الحوادث لنا، ويتحدّث عن شخصيّات أخرى في المقامات بشكل جيدٍّ أو رديءٍ، بتعاطفٍ أو نفورٍ قبل أن تظهر في المشاهد.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ٢٦ – ٢٧.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٦ – ١١٠.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٩ – ٢٠٢.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٤، ٥٦ – ٥٧.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧، ٨٠.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥ – ١٧٧.

تتكوّن **مقامات** الحَريري من شخصيّات مختلفة، وبوجه عام هذه الشخـصيّات محـدّدة ملموسـة، فبعضها ينتمي الطبقة الخاصّة أي الأمراء[١]، أو وزراء الملوك والفصحاء[٢]، أو القضاة[٣]، أو الأدبـاء والشعراء[٤]، أو ناظورة الديوان[٥]، وبعضها الآخر من عائلة البطل أبي زيـد الـسروجي كابنـه[٦] أو أولاده[٧]، أو زوجته[٨]، أو خطيبته[٩]، وبعضها من أصحاب ورُفقة[١٠] الراوية الحارث بن همّام.

كما نجد شخصيّات سريعة الظهور سريعة الاختفاء وبعبارة أخرى مجهولة الهويّة ونكـرة، لأنّ الحَريري ما أشار إلى أوصافها قط، واكتفى بقوله: "فقال أحدُهم"[١١]، أو "أحد التجّار"[١٢]، أو "كان لـي

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٠.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٠.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة: المعرّيّة"، ص ٧٠، و"المقامـة التاسـعة: الإسـكندرانيّة"، ص ٨٤، و"المقامـة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٩٠، و"المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٦، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٩، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠، و"المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٠.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٢.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٤، و"المقامة الثامنة: المعرّيّة"، ص ٧١، و"المقامة العاشـرة: الرحبيّة"، ص ٨٩، و"المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٢٨ – ١٢٩، و"المقامة التاسعة عـشرة: النـصيبيّة"، ص ١٨٦، و"المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢١، و"المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّـة"، ص ٣٧٢، و"المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٧، و"المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٨، و"المقامـة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٤٤، و"المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة: البَرقَعيديّة"، ص ٦١ و"المقامة التاسـعة: الإسـكندرانيّة"، ص ٧٨، و"المقامـة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٨ – ٣١٩.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٢، و"المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠، و"المقامـة الثانيـة عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٧، و"المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٢٨، و"المقامة السادسة عشرة: المغربيّـة"، ص ١٥٠، و"المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٦٩، و"المقامة التاسـعة عـشرة: النـصيبيّة"، ص ١٨٦، و"المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٣، و"المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّـة"، ص ٣٢٤، و"المقامـة الثانيـة والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٤.

(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٣.

(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٦٩.

جارٌ نمّام"[١]، أو "كانت عندي جارية"[٢]، أو "بَرَزَ فتى"[٣]، أو "ابْتَدَرَ خادم"[٤] أي أسرع ونحو ذلك. ولا بدّ من القول إنّ الشخصيّة أحياناً تكون ناقة، كما نرى ذلك في المقامَتَين الوبريّة[٥] والبكريّة[٦].

وممّا يثير الانتباه أنّ الحَريري لا يذكر أسماء هذه الشخصيّات، فيكتفي بذكر ألفاظ فتىً، أحد، شخص، غلام، جارية، خادم، جار، رفقة، يا بُنَيَّ، امرأة عجوز (زوجته) وإلخ.

وأحياناً شخصيّات **مقامات** الحَريري بسيطة، عارية من الأوصاف، بريئة من كلّ تضخم أو تعظيم، فعلى سبيل المثال حين يشير إلى رفقة الحارث بن همّام، لا نجد سمات خاصّة لهم، ويركّز على العبارات التالية: "فرافقتُ صُحْباً... حتّى لاحوا كأسنان المُشْط"[٧]، أو "نَهَضْتُ مِن مدينة السلام، لحجّة الإسلام... مع رُفْقَةٍ ظِراف"[٨]، أو "مع رُفْقَةٍ مُوافقين"[٩]، أو "انتظمتُ مَعَ رُفْقَةٍ كنجوم اللّيل، لهم في السَيْر جَرْيَةُ السيل[١٠]، وإلى الخير جَرْي الخَيل"[١١]. وكذلك لا يشير إلى سمات خاصّة للجمهور، بقوله: "أدّتْني خاتمةُ المطاف إلى نادٍ رحيبٍ محتوٍ على زحامٍ ونحيب"[١٢]، أو "قَحارَ الحاضرون لبداهته[١٣]" أو "الْتَأَمَ جَمْعُ المُصَلّى وانتظم"[١٤]، أو "رأيتُ جمعاً على قبرٍ يُحْقَر"[١٥]، أو "رأيتُ بها ذات بُكْرَة زُمْرَةً في إثْرِ زُمرةٍ، وهم منتشرونَ انتشارَ الجَراد، ومُستنّون استنان الجِياد، ومُتواصِفونَ واعظاً يقصدونه"[١٦]، وهَلُمَّ جَرًّا.

---

(١) الحَريري، **المقامات**،"المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٧٢.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٢٩٨، و"المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٦.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والثلاثون: العمانيّة"، ص ٤٣١.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٤.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٧٤.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٢.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٢٨.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٣.

(١٠) جَرْيَةُ السيل: انصبابه. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ج ٢، ص ٨١.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٤.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٠.

(١٤) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة: البَرقعيديّة"، ص ٦١.

(١٥) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٧.

(١٦) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ١٩٩.

فمن الشخصيّات المتكرّرة في **مقامات** الحَريري شخصيّة الجمهور، وأناس قريبين من الراوية أي أصحابه، وعائلة أبي زيد السروجي، والقاضي. وأحياناً يشير الحَريري إلى حقيقتهم وواقعهم الخاصّ، وأحياناً لا يشير إلى حقائقهم قط. فمن هنا بسبب كثرة هذه الشخصيّات في مقامات الحَريري، وتركيز المؤلّف عليها، قمنا بتقسيم هذه الشخصيات حسب أهميتها وكثرتها في مقامات الحَريري على النحو التالي:

١- الجمهور وأصحاب الراوية

٢- عائلة البطل (زوجته وابنه)

٣- القاضي

وسنقوم بشرح هذه الشخصيّات في **مقامات** الحَريري باختصار.

١ - الجمهور وأصحاب الراوية

ممّا يلفت النظر في **مقامات** الحَريري من حيث الشخصيّات هو حضور الجمهور في غالبيّة المقامات أي في ثلاثين مقامة[١]، ذلك بسبب فحوى المقامات، لأنّ موضوع هذه المقامات يتطلّب حضور الجمهور، كما نرى في المقامات الوعظية[٢] حضور جماعة من الناس، أو في المقامات التعليميّة[٣] حضور عشرة صبيان[٤]، أو جمعاً غفيراً[٥]، أو حين يستجدي أبو زيد السروجي نرى جمعاً كثيفاً حوله فيسلب أبو زيد عقول الناس، ويستعطف قلوبهم بكلامه، ويأخذ ما يشاء[٦].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَريري لم يذكر لنا سمات خاصّة للجمهور، واكتفى بالأوصاف التالية: في المقامة المراغيّة يصفهم أصحاب الكمال بقوله: "روى الحارث بن همّام قال حَضَرْتُ ديوانَ

---

(١) الصنعانيّة، الحلوانيّة، الديناريّة، المراغيّة، البَرقَعيديّة، الساويّة، البغداديّة، القهقريّة، الرازيّة، الفراتيّة، الشعريّة، القطيعيّة، الكرجيّة، الرقطاء، السمرقنديّة، الواسطيّة، الصوريّة، الرمليّة، التفليسيّة، الشيرازيّة، الملطيّة، الصعديّة، العمانيّة، التبريزيّة، التنيسيّة، النجرانيّة، الشتويّة، الحلبيّة، الحراميّة، البصريّة.

(٢) الصنعانيّة، الساويّة، الرازيّة، السمرقنديّة، الرمليّة، التنيسيّة.

(٣) الفراتيّة، القطيعيّة، الحلبيّة.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٣.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ١٩٩، و"المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٧.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٤، و"المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ١٠٤، و"المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٥، و"المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٥، و"المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٧، و"المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٨.

النظر بالمراغة، وقد جَرى به ذكرُ البلاغة، فأجمع مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرسان اليراعة، وأرباب البراعَة"[١]. في المقامة القهقريّة يصف جمالهم وعقولهم قائلاً: "حَدَثَ الحارث بن همّام قال: لَحَظْتُ[٢] في بعض مطارح البين[٣]... فِتْيَةً عليهم سيما الحِجا[٤]، وطِلاوَةُ نُجوم الدُّجَى"[٥]. وفي المقامة الفراتيّة يصف براعتهم وأخلاقهم بقوله: "فلقيتُ بها كُتّاباً أبْرَعَ مِنْ بني الفُرات، وأعْذَبَ أخلاقاً من الماء الفرات"[٦]. أو في المقامة القطيعيّة يصف وجوههم وأخلاقهم وألفاظهم بقوله: "حكي الحارث بن همّام قال: عاشرتُ بقطيعة الربيع، في إبّان الربيع، فِتْيَةً وجوهُهم أبلج[٧] من أنواره، وأخلاقُهم أبْهَجُ[٨] من أزهاره، وألفاظهم أرقّ من نسيم أسْحارِه"[٩]. أو في المقامة التفليسيّة يشير إلى عَوَز الجمهور بقوله: "صلّيتُ مع زُمْرَةٍ مفاليس"[١٠].

ويحدّد الحَريري لنا عدد الجمهور أحياناً، نحو: عُصبَة[١١] ورَهْط[١٢] وعشرة صبيان بقوله: "رأيتُ على جُرْدٍ[١٣] مِنَ الخَيْلِ عُصْبَةً كمصابيح اللّيل"[١٤]. أو "رأيتُ تسعةَ رَهْطٍ قد سَبَوْا قَهْوَةً[١٥]، وارتَبَوْا رَبْوَةً[١٦]، ودَماثَتُهم قَيْدُ الألحاظ، وفُكاهَتُهُمْ حَلْوَةُ الألفاظ"[١٧]. أو "لَمَحَ رَفي[١٨] شيخاً قد أقْبَلَ هَريرةُ[١٩]، أدْبَرَ غَريره[٢٠]، وعنده عَشْرَةُ صبيان، صنوانٌ وغَيْرُ صِنوان"[٢١].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٤٩.

(٢) لحظت: نظرت. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، مج ١، ص ١٩٧.

(٣) مطارح البين: يريد بمطارح البين البلاد الّتي طرحه فيها البين ورماه إليها. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٩٧.

(٤) سيما الحِجا: علامة العقل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٧.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، ص ١٦٠؛ طلاوة: حسن. والدجا: الظلمة. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٩٧.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٠.

(٧) أبلج: أحسن لوناً وأنعم. الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، مج ٢، ص ٢.

(٨) أبهج: أحسن لوناً، والبهجة: حسن اللون. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٦.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٢.

(١١) عُصْبَة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. الحريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٣.

(١٢) رهط: الجماعة من ثلاث إلى عشرة. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، مج ٢، ص ١٣٠.

(١٣) جُرْد: ملس، والأجرد: القصير الشعر. الشريشي، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٠.

(١٤) الحَريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٣.

(١٥) سبوْا قهوة: اشتروا الخمر. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، مج٢، ص ١٣٠.

(١٦) ارتبوْا ربوة: طلعوا كدية. الشريشي، م.س، مج٢، ص ١٣٠.

(١٧) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٠.

(١٨) لمح طرفي: أبصرت عيني. الشريشي. م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الملطيّة"، مج٢، ص ٢٥٤.

(١٩) هريرة: صياحه. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٥٤.

(٢٠) غريره: شبابه. ومعناه: أقبل شرّه سوء خلقه. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٥٤.

(٢١) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٣؛ الصنو: الأخ الشقيق وأصل الصنو في النخيل والشجر، وهي الّتي تجتمع أصولها وتفترق أجسادها. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٥٥.

ويشير بعض الأحيان الحَريري إلى فئة أعمار الجمهور نحو: فِتْيَة جمع فَتى، أو غِلْمَـة جمـع غُلام بقوله: "لَحَظْتُ في بعض مطارح البين... فِتْيَةً عليهم سيما الحِجا، وطِلاوةُ نجـوم الـدُّجَى"[١]. أو "عاشرتُ بقطعةِ الربيع، في إبّان الربيع، فِتْيَةً وجوهُهم أبْلَجُ مِنْ أنواره، وأخلاقهم أبْهَجُ من أزهـاره"[٢]. أو "حَلَلْتُ سوقَ الأهواز... فلمّا انتهيتُ إلى ظِلِّ الخَيْمة رأيتُ غِلْمَةً رُوقَةً[٣]، وشارَةً مَرْمُوقَةً"[٤].

وقد يشير الحَريري إلى مراكز الجمهور العلميّة مثل: الكتّاب، الشعراء، الروّاة فـي المقامـات التالية: "قال الحارث بن همّام: نَدَوْتُ بِضَواحي الزَّوراء مَع مَشيخة مِنَ الشعراء"[٥]. أو "فَلَقِيتُ بها كُتّاباً أبْرَعَ مِنْ بني الفرات، وأعذبَ أخلاقاً من الماء الفُرات"[٦]. أو "سألتُ نحاريرَ الرُّوَاة"[٧].

وفي كثير من الأحيان لا يحدّد الحَريري إن كان الجمهور رجـالاً أو نـساءً، إلاّ فـي ثـلاث مقامات، إذ إنّه يذكر كلمة الرجال، أو الرهط وهي تعني ما دون العشرة ليس فيهم إمـرأة، أو النـساء بقوله: "فَبَرَزْتُ يوماً إلى الحريم لأُرَوِّضَ طِرْفي[٨]... فإذا فُرْسانٌ مُتتـالون، ورجـالٌ مُنْثـالون"[٩]. أو "رأيتُ تسقطَ رَهْطٍ، قد سَبَوْا قَهْوَةً"[١٠]. أو "ألْفَيْتُ بها أبا زيد السروجي مُلْتَفًّا بكساء، ومُحْتَفًّا بنساء"[١١].

مجمل القول إنّنا نجد جمعاً غفيراً في غالبيّة المقامات بسبب طبيعة موضوع كلّ مقامة، فمـثلاً من الضروري أن نجد جماعة في المقامات الوعظيّة لاستماع الخطـب، أو فـي المقامـات التعليميّـة للتعليم، أو في المقامات المتعلّقة بالكِدية ليأخذ المستجدي من الناس الأموالَ والأطعمةَ والثيابَ.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، ص ١٦٠.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٦.

(٣) روقة: حساناً. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٢٨.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٥٨ – ٢٥٩؛ شارة مرموقة: شارة: هيئة حسنة يشار إليها. مرموقة: محبوبة. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٨.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٠.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥.

(٨) أروّض طرفي: أعلّم وأسوس فرسي. الشريشي، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج١، ص ٢٦٥.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢١؛ منثالون: منصبون لكثرة جريهم. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢٦٥.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٠.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٠.

ونجد حضور رفقاءَ وأصحاباً للراوية الحارث بن همّام في عشر مقامات[1]، من دون أن يشير الحَريري إلى سماتهم الخاصّة إلاّ قليلاً، فعلى سبيل المثال يصف فصاحتهم (أصحاب الراوية) قائلاً: "حكى الحارث بن همّام قال: سَمَرْتُ بالكوفة... مع رُفْقَةٍ غُذوا بلبان البيان"[2]، أي كلّهم ذوو فصاحة. أو يشير إلى أنّهم أهل غنى وثروة. بقوله: "حكي الحارث بن همّام قال: قَفَلْتُ ذاتَ مَرّةٍ من الشام، أنحو مدينة السلام، في رَكْبٍ من بَني نُمَيْر، ورُفْقَةٍ أولى خَيْرٍ ومَيْر"[3]. كما أنّه أحياناً يحدّد نسب رُفقة الحارث بن همّام، بقوله: ".... مع رُفقةٍ من بني شَيْبَه"[4].

لاحظنا أنّ الحَريري لم يذكر أوصافاً جسميّة أو وظائف اجتماعيّة للجمهور ورُفقة الحارث بن همّام. ولا نعرف شيئاً خاصّاً عن سمات الجمهور وكذلك عن أصحاب الحارث بن همّام، إلاّ أنّه يشير بعض الأحيان إلى أنّهم ذوو فصاحة وبلاغة، أو أهل غنى وثروة، أو أصحاب الكمال، والجمال.

٢ – عائلة البطل (زوجته وابنه)

ممّا يثير الانتباه أنّ كثيراً من شخصيّات المقامة الواحدة ترتبط معاً بعلاقات عائليّة، ولقد أفرد الحَريري مقامات لأبي زيد السروجي وعائلته، فمثلاً يدور موضوع اثنتي عشرة مقامة[5] حول أبي زيد السروجي وابنه أو أولاده[6]، وخمس مقامات[7] حول أبي زيد السروجي وزوجته أو خطيبته.

فمن الشخصيّات المتكرّرة في هذه المقامات شخصيّة الوالد أو الزوج، أو الوالد والابن، وهي ليست علاقات ثانوية في المقامات، بل علاقات جوهريّة وفي أكثر الأحيان لا تُظهر هذه العلاقة إلاّ في نهاية المقامة[8].

وتختلف شخصيّة الوالد أو الزوج من مقامة إلى أخرى، فالوالد في المقامة الشعريّة غاضب على ابنه، لأنّ الوالد أي أبا زيد السروجي يدّعي أنّ ابنه سرق شعره بقوله: "... وهَلْ عَيْبٌ أفْحَشُ مِنْ عَيْبِك، وقد ادّعَيْتَ سِحْري، واستحلقته[9]، وانتحلت[10] شعري واستَرَقْتَه"[11]. أو في المقامة الصعديّة، يغضب الوالد أي أبو زيد السروجي على ابنه، وينسبه إلى العقوق أي مخالفة الولد أمر والده، ويشتكي

(١) الدمياطيّة، الكوفيّة، الدمشقيّة، المكيّة، المغربيّة، السنجاريّة، النصيبيّة، الفارقيّة، الرمليّة، الطيبيّة.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٦٩.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٤.

(٥) الدمياطيّة، المعريّة، الرحبيّة، المكيّة، النصيبيّة، الشعريّة، الزبيديّة، الصعديّة، التنيسيّة، الحجريّة، الساسانيّة.

(٦) البغداديّة.

(٧) البَرقَعيديّة، الإسكندرانيّة، الصوريّة، التبريزيّة، الرمليّة.

(٨) المعريّة، الرحبيّة، التنيسيّة.

(٩) استحلقت: ألحقته بنفسك. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج ١، ص ٢٦٦.

(١٠) انتحلت: ادّعيت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٦٦.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

للقاضي، قائلاً: "إنّ ابني هذا كالقلم الرّدي، والسّيْفِ الصّدِي[١]، يَجْهَلُ أوصاف الانصاف، ويَرْضَعُ أخْلافَ[٢] الخِلاف، إنْ أقْدَمْتُ أحْجَم[٣]، وإذا أعْرَبْتُ[٤] أعْجَم[٥]، وإنْ أذْكَيْتُ[٦] أخْمَد[٧]، ومتّى سَوَّيْتُ رَمَّدَ..." [٨]. وفي المقامة الساسانيّة نجد الوالد أبا زيد السروجي حين يشيخ يحضر ابنه ويوصيه بأنّ أحسن صناعة وأنفعها الكدية بقوله: "يا بُنَيَّ؛ إنّي جَرّبتُ حقائق الأمور، وبَلوْتُ تصاريفَ الدُّهور... وكنتُ سَمِعتُ أنّ المعايش: إمارة، وتِجارة، وزِراعة، وصِناعة، فمارَسْتُ هذه الأرْبَع، لأنظُرَ أيُّها أوْفَقُ، وأنفعُ... ولم أرَ ما هُوَ باردُ المَغْنَم، لذيذُ المطعم، وافي المَكْسَب، صافي المَشْرَب، إلاّ الحرفةَ الّتي وَضَعَ ساسانُ أساسَها، ونَوَّعَ أجناسَها"[٩]. وفي المقامة المكيّة[١٠] والمقامة التنيسيّة[١١] نجد الوالد يستجدي برفقة ابنه، أو في المقامة البغداديّة[١٢] يستجدي الوالد مع أولاده.

ونرى شخصيّة الزوج أي أبي زيد السروجي تختلف من مقامة إلى أخرى، ففي المقامة البرقعيديّة[١٣] يتعامى أبو زيد السروجي وتقوده زوجته وتُوزّعُ له الرقاع بمصلّى العيد. وفي المقامات الإسكندرانيّة[١٤] والتبريزيّة[١٥] والرمليّة[١٦]، نجد الزوج يتخاصم مع زوجته ويشتمها، فيشتكيان للقاضي، وتنتهي المقامات هذه بأن يأخذان من القاضي مالاً، ثمّ يكشف القاضي مكرهما، ويحذّرهما بألا يخدعا الحاكم.

---

(١) الصدي: الّذي علاه الصدأ، وهو وسخ السيف. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، مج ٢، ص ١٣٨.

(٢) الأخلاف: جمع خلف، وهو ما يحلب منه اللبن ويقبض عليه الحالب. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٣) أحجم: تأخّر. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٤) أعربت: أوضحت. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٥) أعجم: أبهم ولبس. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٦) أذكيت: أوقدت. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٧) أخمد: أطفأ. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٨.

(٨) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٧.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧١ – ٥٧٣.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٢٨ – ١٣٥.

(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤ – ٤٥٨.

(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٧.

(١٣) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٩ – ٧٦.

(١٤) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٧ – ٨٩.

(١٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥٢.

(١٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢١.

وأمّا من حيث صفات عائلة أبي زيد السروجي فلا نلاحظ سمات كثيرة، إلاّ فصاحة الكلام[١] والمكر[٢] والعَوَز[٣]، كما نرى في المقامة الرحبيّة دعوى أبي زيد السروجي على غلام مليح، ويدّعي أنّه قتل ابنه فيترافعان إلى قاضي البلد، فيخدع ابن السروجي القاضي بفصاحة كلامه وبلاغته، فيتأثّر القاضي بكلامه الفصيح والبليغ ويطلب من الشيخ دليلاً أقوى، وفي نهاية المقامة يخدعان القاضي، ويأخذان خمسين درهماً[٤]. أو نجد في المقامة الإسكندرانيّة فصاحة زوجة أبي زيد السروجي، حين تتحدّث عن نفسها وتفتخر بنسبها بقولها: "إنّي امرأةٌ مِنْ أكرمِ جُرثومَةٍ[٥]، وأطْهرِ أرُومَةٍ، وأشرفِ خُؤُولَةٍ وعُمُومَةٍ، مِيْسَمي الصَّوْن[٦]، وشيمَتي الهَوْن[٧]، وخُلُقِي نِعْمَ العَوْن، وبيني وبين جاراتي بَوْن..."[٨].

لاحظنا أنّ الحَريري قد أفرد مقامات كثيرة لعائلة البطل أبي زيد السروجي، وأحياناً أخبرنا عن بعض أوصافها كالفصاحة، والحيلة والعَوَز، وأحياناً أخرى لم يُخبرنا بشيءٍ خاصٍ من سماتها.

٣- القاضي

لشخصيّة القاضي في **مقامات** الحَريري دور مهمّ في حلّ الخلافات العائليّة بين أبي زيد السروجي وزوجته مرّة[٩]، وبين أبي زيد السروجي وابنه[١٠] مرّة أخرى.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٨ – ٨٨، و"المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٧، و"المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٨.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة: البَرقعيديّة"، ص ٦١ – ٦٩، و"المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٠ – ٧٧، و"المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٧، و"المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٠ – ٣٨١، و"المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٨ – ٤٥٩.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠، و"المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢١.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٦.

(٥) جرثومة: أصل وكذلك أرومة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، مج١، ص ١٠٤.

(٦) مَيْسَمي الصون: علامتي الصيانة. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٠٤.

(٧) شيمتي الهون: طبيعتي الرفق. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٠٤.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة التاسع: الإسكندرانيّة"، ص ٧٨؛ بون: بُعد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٠٤.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٨ – ٨٨، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥٠، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢١.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٦٩ – ٧٧، و"المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٦، و"المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥ – ٤١٢.

وفي الواقع، لا نجد صفات خاصّة للقاضي في **مقامات** الحَريري، إلاّ في المقامتَيْن الصعديّة والرمليّة، فقد يصف الحَريري القاضي بقوله: "نُعِتَ لي قاضٍ بها رَحيبُ الباع[١]، خصيب الرباع[٢]، تميمي النَّسَبِ والطِباع"[٣]. أو "حَضَرْتُ قاضيَ الرملة، وكانَ مِنْ أرباب الدولة والصولة"[٤]. وأمّا في سائر المقامات فلم يشر الحَريري إلى صفةٍ معيّنةٍ للقاضي، إذ إنّ القارئ هو الّذي يستنتج من خلال قراءاته أنّ هذا القاضي: عادل بحكمه وسخي بعطائه حين يعطي أبا زيد وابنه أو زوجته مالاً من بيت المال، وذكيّ حين يكتشف حيلة أبي زيد وعائلته ويعرف كنههم الحقيقي[٥].

رأينا أنّ القاضي يلعب دوراً كبيراً في بعض مقامات الحَريري، وله دور أساسي فيها ويصفه الحَريري مباشرة بكرمه وكثرة أمواله وأصالته، كما يصفه غير مباشرة بعدالته وسخائه وذكائه.

نستنتج ممّا تقدّم حول سائر الشخصيّات في **مقامات** الحَريري القضايا التالية:

– تتكوّن مقامات الحَريري من شخصيّات مختلفة، وهي موجودات نصيّة لازمة لتكوين المشهد السردي، من دون أن يكون لملامحها الخاصّة كشخصيّات أيّة أهمّيّة. ولذلك لم ينشغل النصّ بإطلاق أسماء عليها، أو وصف سماتها الشكليّة أو النفسيّة أو اهتماماتها أو غير ذلك ممّا يصنع للشخصيّة خصوصيّة. تكون هذه الشخصيات الهامشيّة مهمّة في سير الحدث، نحو: الأمراء والوزراء والتُّجار والقضاة والأدباء والأغنياء والفقراء وأفراد العائلة كالزوجة والابن والخُلاّن والجيران والرفقاء.

– لا يذكر الحَريري أسماء هذه الشخصيّات أبداً، ويكتفي بذكر ألفاظ خاصّة مثل: فتىً، أحد، غلام، جارية، جار نمّام، رفقة، امرأة عجوز، بنيٌّ وغير ذلك.

– في معظم الأحيان لا نجد أوصافاً لشخصيّات **مقامات** الحَريري إلاّ نادراً، أو إشارةً عابرةً.

– أهمّ الشخصيّات في **مقامات** الحَريري هي: الجمهور وأصحاب الراوية وعائلة أبي زيد السروجي والقاضي.

---

(١) رحيب الباع: طويل الباع، وكريم الباع، والباع والبوع: بَسْطُ اليد بالمعروف. ويقال للبخيل: قصير الباع. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، مج٢، ص ١٣٦.

(٢) خصيب الرباع: كثير المال. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٣٦.

(٣) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٦.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٠ – ٧٧، و"المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٧ – ٨٩، و"المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٨٩ – ٩٧، و"المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥ – ٤١٧، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٤٨، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢٠.

- يُكرِّر الحَريري بعض الشخصيّات في **مقاماته** كما نلاحظ حضور الجمهور المشاركين دائماً لاستماع الخطب الوعظيّة، أو اجتماع الناس في الشوارع حول المستجدي، أو حضور المصلّين في المساجد وإلخ.

- قد يشير الحَريري إلى عدد الجمهور، وفئة أعمار الناس، أو مراكز الشخصيّات العلميّة والاجتماعيّة.

- تختلف شخصيّة الوالد أو الزوج من مقامة إلى أخرى، فأحياناً نراه غاضباً على عائلته، وأحياناً أخرى يستجدي مع ابنه أو أولاده، أو مع زوجته. ويذكر أحياناً الحَريري سمات لعائلة أبي زيد السروجي أهمّها فصاحة الكلام، والحيلة والعَوَز.

- يذكر الحَريري أهمّ سمات القاضي أي العدالة والكرم والذكاء.

ب- سائر الشخصيّات في مقامات الحِميدي

لا يعتمد الحَميدي على الشخصيّات الهامشيّة بخلاف الحَريري، بل يركّز على الشخصيّتَيْن المحوريّتَيْن (في **مقاماته**) اللّتَيْن تديران دفّة الأحداث الراوية والبطل.

وأمّا الشخصيّات الثانوية فهي الجمهور وأصحاب الراوية وعائلة البطل أي زوجته وابنه والقاضي. سنتكلم عن هذه الشخصيّات.

نجد شخصيّات سريعة الظهور سريعة الاختفاء (في **مقامات الحَميدي**) ولكنّها قليلة جدّاً، منها أحد المشاهير[١] الّذي دعا أخوان الصفاء إلى الوليمة لأكل السكباج، والأديب[٢] الّذي يتحدّث معه الراوية قليلاً. فتلعب هذه الشخصيّات أدوارها ثمّ تختفي سريعاً كما جاءت سريعاً، ولذلك لم نضعها مع الشخصيّات الثانويّة، ولا نتحدّث عنها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَميدي تقليداً للحَريري لا يذكر لنا أسماء هذه الشخصيّات الثانويّة.

وقد قسّمنا هذه الشخصيّات إلى ثلاثة أقسام نشير إليها وإلى صفاتها في **مقامات الحَميدي** على النحو التالي:

١- الجمهور وأصحاب الراوية

٢- عائلة البطل (زوجته وابنه)

٣- القاضي

وسنقوم بشرح هذهِ الشخصيّات باختصار.

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٤.

(٢) حميدي، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨١.

١- الجمهور وأصحاب الراوية

نجد حضور الناس في جميع **مقامات** الحَميدي إلاّ ثلاث مقامات هي المقامة الثالثة والمقامة الثالثة عشرة والمقامة الرابعة عشرة[١].

ويحدّد الحَميدي أحياناً مستواهم العلمي والاجتماعي كما نرى ذلك في المقامة التاسعة بقوله: "رأيت جمعاً منتظراً على الأقدام، من الخطباء الفصحاء"[٢]، أو في المقامة الحادية عشرة بقوله: "رأيتُ جمعاً في زِيّ التصوّف أي في هيئة الصوفيين"[٣]، أو في المقامة الثانية عشرة بقوله: "وصلتُ إلى مكانٍ كان معروفاً لزُمرة الفقهاء والعلماء"[٤]، أو في المقامة الثالثة والعشرين بقوله: "كنتُ أتحدّث مع الفضلاء والعلماء عن تواريخِ القدماء وأيّام العلماء السالفين"[٥].

إنّ الحَميدي في معظمِ الأحيان لا يصف لنا هؤلاء الناس ولا يشير إلى سمات خاصّة لهم، ويكتفي بالأقوال التالية: "رأيتُ جمعاً غفيراً وخلقاً عديداً"[٦]، أو "وصلتُ إلى حلقةٍ مجتمعةٍ لاستماع خطبة شيخٍ صوفيّ"[٧]، أو "رأيتُ جمعاً في زيِّ التصوّف"[٨] أي هيئة الصوفيين، أو رأيتُ جمعاً كثيراً وخلقاً عديداً كان يركض إلى جهةٍ معيّنة، ويتحدّث كلّ منه مع بعض"[٩]، وهكذا دواليك.

وأمّا في بعض المقامات فنحن نرى أنّ الحَميدي قام بوصف الناس المشاركين لاستماع الخطب الوعظيّة، أو للحضور في المناظرات، ولو سطراً أو أكثر، ووصف ثيابهم وحالاتهم بقوله: "رأيتُ أناساً منتظرين على الأقدام، من الخطباء الفصحاء، وهم جالسون في كُلِّ طرف، فئةٌ منهم في خرقة العبّاسيين أي في ثياب سوداء، وفئة أخرى في ثياب الأشياع أي في ثياب بيضاء، وفرقة في رداء أهل البيت وهم خير الناس، وبعض منهم كوردة البنفسج لابس ثياباً سوداء، وجمع كالزهرة في ثياب بيضاء. ولم يكن أحد يتجرّأ أن يتكلّم: صموتٌ كالحيطان"[١٠]. أو بقوله: "رأيتُ جماعةً كبَنَات النَعْش[١١]

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، و"المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاق"، و"المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب".

(٢) حميدي، م.ن، "المقامة التاسعة: المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٥.

(٣) حميدي، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٤) حميدي، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠.

(٥) حميدي، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥.

(٦) حميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢، و"المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥، و"المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧، و"المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٢، و"المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦، و"المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥.

(٧) حميدي، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.

(٨) حميدي، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٩) حميدي، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٢.

(١٠) حميدي، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٥.

(١١) بَناتُ نَعْشٍ: سبعةُ كواكب: أربعة منها نَعْشٌ لأنّها مُربّعة، وثلاثةٌ بناتُ نَعْشٍ؛ الواحدُ ابن نَعْشٍ لأنّ الكواكب مذكرٌ فيُذَكّرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بناتُ نَعْشٍ الصُغرى. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص ٣٥٥، باب الشين، فصل النون.

بعيدة عن بعض، ومجتمعة حول شيخ"[١]. كما يصف أحزان وآلام الناس بسبب وفاة إمامهم، قائلاً: "رأيتُ جمعاً جالساً وواقفاً، واضعاً العمائم على الأرض، يبكي ويتأوّه من شدّة الألم والحزن"[٢].

وأمّا بالنسبة إلى رفقاء الراوية، فنحن نجدهم في ثماني مقامات[٣]، بَيْدَ أنّه لم يشر إلى سمات خاصّة لهم إلاّ نادراً. ونرى أنّ الحَميدي يصف رفقاء الراوية بأنّهم أدباء[٤]، أوفياء ومخلصون[٥]، كما يشير إلى معلوماتهم الواسعة حين يستشير الراوية ويسألهم عن أنواع السفر قائلاً: "كنتُ أستشير أصدقائي لأختيار سفر، فكلٌّ منهم عيّن سفراً وشجّعوني على عزيمة. فقال واحد منهم: إنّ سفر التجارة سفر مبارك وميمون لأنّ الإنسان يهُذّب فيه ويكتسب المال الحلال منه. وقال آخر: إنّ سفر الحجّ هو الأهمّ لأنّه ركن من أركان الإسلام وعمود من أعمدة الإيمان وأداؤه دَيْنٌ وقضاؤه فرض على المسلمين. وقال آخر: هذه الأسفار والأعمال كلّها للزُّهاد والعابدين، فسفر الشباب سفر الجهاد؛ لأنّ سفر التجارة شغل البُخلاء، واختيار الحجّ شغل المرضى، أمّا القتال في ساحة المعركة فهو شيء آخر، والجولة في طواف الكعبة شيء آخر..."[٦].

٢- عائلة البطل (زوجته وابنه)

لا نلاحظ حضور عائلة البطل كثيراً اللهمّ إلاّ في المقامتَيْن هما: المقامة السابعة الّتي يستجدي فيها الأب أي البطل مع ابنه، ولكنّنا لا نجد أيّ صفة لابنه إلاّ أنّنا يمكننا أن نعرف من فحوى الكلام أنّ الابن هو صغير جدّاً بقوله: "رأيتُ شيخاً فقيراً وطفله في حضنه"[٧]. وفي الحقيقة، تأتي هذه الشخصيّة أي ابن البطل سريعاً وتختفي سريعاً أيضاً، ولا نرى أثراً له حتّى نهاية المقامة. والمقامة السابعة عشرة الّتي يتخاصم فيها الزوج مع زوجته، ويشتكيان لقاضي البلد. فيتّهم الزوج أي البطل زوجته بأنّها مكّارة مخادعة بقوله: "الخُدعة بِدْعَةٌ والاعتزازُ إضرارٌ"[٨]، ويتّهمها بأنّها خدعته، لأنّها ليست عزباء. ثمّ يغضب القاضي عليها ويقول لها: "لِمَ بِعْتِ ما ليسَ عندكِ"[٩] فتجيب الزوجة: "أيّها القاضي

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٨.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الوعظ"، ص ٢٦، و"المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩، و"المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٣، و"المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٤، و"المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣، و"المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف البلخ"، ص ١٦٨، و"المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٨، و"المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٤.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الوعظ"، ص ٣٢.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٤.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩ – ٤٠.

(٧) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

(٨) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٧.

(٩) حميدى، م.ن، ص ١٥٨، إنّ النصّ الوارد أصله بالعربيّة.

لا تَقْضِ على أحدِ الخَصْمَيْنِ إذا لم تَسْمَعْ كلامَ الثاني"[١] ثمّ تضيف: "إنّ البيّنةَ على المُدَّعي واليمينَ على مَنْ أنكرَ"[٢]. وتقول: "أنا أنظف من الوردة وأطهر من البُرعُم، وأكثر عذباء من الدُرّ في الصدف، ولم يلمسني أحد..."[٣]. وتقول أيضاً: "إنّ المشكلة من مكانٍ آخر لا تتعلّق بي..."[٤]. ثمّ يغضب القاضي على الزوج، ويخاطبه: "أيّها الكذّاب اللئيم، وأيّها النّمام الزنيم سبحانك هذا بُهتانٌ عظيم"[٥]. وفي نهاية المقامة يُصلح القاضي بينهما على التراضي ويعطيهما مالاً من بيت المال.

فنلاحظ أنّ سعة معلومات الزوجة من أهمّ صفاتها كالمعلومات الدينيّة والفقهيّة وفصاحة كلامها وبلاغتها. إلى حدٍّ أنّ الراوية يشبه الزوجين بسحبان بن وائل فصاحةً[٦]. كما تثير الانتباه سيطرتها على اللغة العربيّة لأنّها تخاطب القاضي باللغتين العربيّة والفارسيّة.

٣- القاضي

نجد شخصيّة القاضي في **مقامات** الحَميدي مرّةً واحدةً وذلك في المقامة السابعة عشرة. يصف الحَميدي شخصيّة القاضي بقوله: "سمعتُ من ثقات الرواة أنّ في هذه المدينة – الأهواز – يوجد قاضٍ متديّنٌ، عالمٌ، ورعٌ، يشمل فضله جميع الناس، ينتمي إلى عائلة أصيلة، ومع وجود هذه الفضائل كلّها لا بِجُدُودِهِ يَفْتَخِر ولا بِعَوْدِهِ يَتَبَخّر، مع أنّه هاشميّ الأصل أباً وعاصميّ الوصل فتوّةً"[٧]. كما أنّ القاضي حين يتكلّم ويحكم يكشف شخصيّتها الحكميّة المعروفة عنها.

فمّما تقدّم حول سائر الشخصيّات في **مقامات** الحَميدي حصلنا على الأمور التالية:

– لم يعتمد الحَميدي على شخصيّات كثيرة، واكتفى بالجمع الحاضر في المجالس، ورفقة الراوية في السفر والحَضَر، وعائلة البطل أي زوجته وابنه، والقاضي.

– لم يذكر أسماء هذه الشخصيّات قط.

– حضور الناس في أكثر **مقامات** الحَميدي. كما وصف الحَميدي أحياناً ثيابهم، أو أحزانهم، أو سكوتهم.

---

(١) حميدي، **مقامات**، ص ١٥٨، إنّ النصّ الوارد أصله بالعربيّة.

(٢) حميدي، م.ن، ص ١٥٨، إنّ النصّ الوارد أصله بالعربيّة.

(٣) حميدي، م.ن، ص ١٥٨ – ١٥٩.

(٤) حميدي، م.ن، ص ١٥٩.

(٥) حميدي، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٩. إنّ النصّ الوارد أصله بالعربيّة.

(٦) حميدي، م.ن، ص ١٥٩.

(٧) حميدي، م.ن، ص ١٥٦.

– حضور رفقاء الراوية في عدّة مقامات، ووصفهم بأنّهم أوفياء ومخلصون وأهل العلم والأدب.

– قلّة حضور عائلة البطل. يأتي ابن البطل بسرعة ويختفي بسرعة، ولا نعرف شيئاً عنه إلاّ أنّه كان طفلاً صغيراً. وأمّا شخصيّة زوجة البطل فهي تأتي مرّة واحدة في المخاصمة بين الزوجين، ويشير الحَميدي إلى سعة معلوماتها وفصاحة كلامها وبلاغتها وسيطرتها على اللغة العربيّة أيضاً.

* * *

ومن خلال ما قلناه حول سائر الشخصيّات في **مقامات** الحَريري والحَميدي، نلاحظ وجوه الشبه والخلاف بين مقامات الحَريري والحَميدي من حيث الشخصيّات الثانويّة. فأمّا وجوه الشبه بينهما فهي كما يلي:

– حضور جمهور الناس، وأصحاب الراوية، وعائلة البطل، والقاضي.

– حضور شخصيّات سريعة الظهور سريعة الاختفاء.

– عدم الاهتمام بذكر أوصاف جمهور الناس، وأصحاب الراوية وعائلة البطل الجسميّة وكذلك وظائفهم الاجتماعيّة.

وأمّا وجوه الاختلاف بينهما فهي:

– تتكوّن **مقامات** الحَريري من شخصيّات عديدة نحو الأمراء ووزراء الملوك والقضاة والأدباء والشعراء وغير ذلك، بخلاف مقامات الحَميدي.

– ويحدّد الحَريري أحياناً عدد جمهور الناس، أو أعمارهم، أو جنسهم إن كانوا رجالاً أو نساءً، بيد أنّ الحَميدي لم يُشِرْ إليها قط.

– أكثر الحَريري في ذكر عائلة البطل أبي زيد السروجي، وتكرّر ذكر هذه الشخصيّات في مقاماته، كما اهتمّ بوصفها أحياناً، غير أنّ الحَميدي ذكر ابن البطل مرّة واحدة وأشار إليه إشارةً بسيطةً وسريعةً جداً، وكذلك ذكر مرّة واحدةً زوجة البطل، في المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين.

ونخلص في نهاية تحليل سائر الشخصيّات إلى أنّها تنقسم في مقامات الحَريري والحَميدي إلى مركزيّة وهامشيّة، تتميّز المركزيّة بوجود اسم علم – في مقامات الحَريري – يدلّ عليها، وإن اختلفت من حيث الوجود التاريخي أو عدمه، وهي في الوقت نفسه شخصيّات مسطحة لم يقدّم النصّ أبعادها الداخليّة أو تحوّلاتها، مكتفياً بإعطاء صورة ثابتة لها يسهل من خلال تلك الصورة أن نتوقّع أفعال الشخصيّة. وأمّا الشخصيّات الهامشيّة فتبدو مجرّد أدوار داخل السرد، لا توجد أيّة خُصوصيّة للعوامل القائمة بها.

* * *

نستخلص من حديثنا عن شخصيّات مقامات الحَريري والحَميدي في نهاية هذا الفصل بعد المقارنة بينهما ما يلي:

- إنّ الراوي والبطل في **مقامات** الحَريري والحَميدي يتكرّران في كلّ مقامة، وهما الرابط الوحيد والمهمّ بين المقامات كلّها.

- إنّ بطل **مقامات** الحَريري نموذج أدبي يمثّل ذوق الوسط الأدبي في ذلك العصر. ويقوم الإطار الفنّي لمقامات الحَريري على شخصيّتين رئيستين مختلفتين هما: شخصيّة الراوي وشخصيّة البطل. فالراوي الحارث بن همّام الّذي ينتمي إلى طبقة اجتماعيّة متوسطة يمهّد – غالباً – لظهور البطل، ويتابعه حيثما حلّ، وهو في هذا كلّه يُحسن طريقة تقديم البطل الّذي يكون عادة شخصيّة ساخرة فصيحة ذكيّة بليغة تنتمي إلى طبقة اجتماعيّة متدنيّة، ولديه قدرة عجيبة على التنكّر، فهو يجيد لبس الأقنعة، فتارةً نراه ناسكاً واعظاً، وأخرى نديم كأس، ومرّة ثالثة فقيهاً عالماً وهكذا. هو في هذه الأحوال كلّها يعتمد على الفصاحة والذكاء والحيلة والخداع لنيل أهدافه ممّن يُخدعون بمظهره.

والبطل واحد ينتقل من مكان إلى مكان ومن موقف إلى آخر مغيّراً هيئته في كلّ مرّة، متّخذاً الاستجداء وسيلة لكسب ما يقيم حياته، إلى أن تنتهي الحكاية بانكشاف حقيقة حاله، وافتضاح أساليب مكره وخداعه الّتي يلجأ إليها لتحصيل مطعمه ومشربه. وكلّ ذلك في لغة بديعيّة، لإظهار البراعة اللغويّة.

ويمتاز أبو زيد السروجي في معظم المقامات باحتياله وبسرعة بديهته وسعة علمه ومقدرته في الفقه والنحو والدين واطّلاعه على الفنون الأدبيّة من شعر ونثر وخطابة وذهنه القوي في حلّ الألغاز، وكشف الشبهات، وهو مرح طروب في اجتياز العقبات وسلوك المصاعب، وعليه تقوم حوادث المقامات.

وتتمحور **مقامات** الحَريري الخمسون حول شخصيّة أبي زيد السروجي، ويتكرّر ظهوره في المقامات كلّها ليكشف عن جوانب نفسيّة متعدّدة لشخصيّة البطل، وهذا نوع من التعمّق في التصوير يقرب من النضج الفنّي في القصص الحديث.

فإذا قابلنا شخصيّات **مقامات** الحَريري بشخصيّات **مقامات** الحَميدي، وجدنا أنّ الحَريري قد جعل بطله أبا زيد السروجي رجلاً أديباً فقيراً محتالاً، استعمل ذكاءه وقوّة بيانه في استدرار عطف الناس عليه، وينتقل من مكان إلى مكان، ويستجدي دائماً ويتّخذ السؤال والاستجداء حرفةً له. ويصفه الحَريري بأنّه شاعر بليغ وخطيب مفوّه أيضاً. أمّا الحَميدي فقد اختار لكلّ مقامة بطلاً يناسب موضوعها دون ذكر اسمها، كما جعل بطله رجلاً غريباً غير معروف، وأديباً خطيباً واعظاً فقيراً، كما وصفه بأنّه شاعر بليغ ممتاز في اللغة العربيّة الفصحى والعاميّة واللغة الفارسية؛ إلاّ أنّ الحَميدي لم يجعل السؤال والاستجداء حرفة لبطله.

- وممّا يثير الإعجاب أنّنا عندما ننظر بدقة إلى شخصيّة أبي زيد السروجي في المقامات الحَريرية إنساناً، نشعر بالكراهيّة، لأنّ حياته كلّها قائمة على الخدعة والحيلة والاستجداء، ولكن كراهيتنا لبطل الحَريري ليست عميقة بسبب ظرافته وجمال حيلته وبلاغة نطقه، وإذا نظرنـــا إليه من موضع فنّي، نراه قد وصل إلى قمّة النضج الفنّي لشخصيّة المستجْدي. ولكنّنا لا نشعر بهذا الشعور تجاه بطل **مقامات** الحَميدي، لأنّه في أكثر حالاته يظهر على هيئته شيخ مسنّ يتّجه إلى الناس خطيباً واعظاً أو شاعراً يُنشد أشعاراً. وفي الحقيقة البطل عند الحَريري أكثر حضوراً في النفس من بطل الحَميدي لأنّ مهمّة الأدب هي الإثارة. إنّ الرواية الّتي لا تثير المشاعر القابلة أو الرافضة ليست رواية. إنّنا حين نقرأ "تاجر البندقيّة" لشكسبير تملؤنا الكراهيّة لشخصيّة شايلوك، وهذه الكراهيّة هي مبعث إعجابنا بروعة المسرحيّة. مهمّة الأدب إيقاظ العواطف وتحريضها وفق ميول الأديب المبدع.

- ولا شكّ في أنّ الحَميدي قد قلّد الحَريري في وضع شخصيّات مقاماته، لقد جعل بطله كبطل **مقامات** الحَريري رجلاً فقيراً ومحتالاً وأديباً وشاعراً وعالماً وفقيهاً وخطيباً ومسيطراً على علوم أخرى أيضاً ليظهر سعة معلوماته وقدراته الفنيّة تجاه الحَريري.

- والراوية **لمقامات** الحَريري والحَميدي له سمات محدّدة منها: يحلّ بمدينة ويتعرّف على البطل، وأحياناً على البطل المحتال متخفيًا ويكشف تخفّيه، ثمّ يغادر المدينة في خاتمة المطاف في كلّ مقامة.

- وكذلك بطلا **مقامات** الحَريري والحَميدي لهما صفات خاصّة تميّزهما عن غيرهما من أبطال سائر الأشكال القصصيّة، فهما يجولان العالم الإسلامي بحثاً عن المعرفة، ومعالم شخصيّة ثابتة لا تتغيّر في كلّ مقامة، وتتّسم بالسمات التالية: البطل يبدأ مغامراته ويروي حكايته في تلك المدينة، ثمّ يغادرها إلى مدينة أخرى، وتتكرّر الدائرة من جديد.

- تتكوّن **مقامات** الحَريري من شخصيّات مختلفة، وكذلك **مقامات** الحَميدي، إلاّ أنّ تنوّع هذه الشخصيّات في **مقامات** الحَريري أكثر من شخصيّات أخرى في **مقامات** الحَميدي. ومن الشخصيّات المشتركة في مقاماتهما هي حضور جماعة من الناس لاستماع خطبة الواعظ الوعظيّة، أو للتعلّم، وحضور رفقة الراوية في الطريق والسفر، وحضور عائلة البطل أي زوجته وابنه، وحضور القاضي في المحكمة. كما لاحظنا أنّهما أحياناً قاما بوصف هذه الشخصيّات، وأشارا إلى فصاحة كلامها وبلاغتها خاصّة.

الفصل الثالث

موضوعات المقامة في مقامات الحَريري والحَميدي

سنتطرّق في هذا الفصل إلى الموضوعات الواردة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، فلذلك قسّمنا الموضوعات حسب أهميّتها وكثرتها. وجعلناها ثمانية مباحث: الأوّل: الموضوعات الاجتماعيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونتحدّث فيه عن أهمّ الموضوعات الاجتماعيّة في مقامات الحَريري والحَميدي أي الاستجداء، والوعظ والإرشاد. والمبحث الثاني: الموضوعات الأدبيّة واللغويّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونتحدّث فيه عن الألاعيب اللفظيّة لدى الحَريري والحَميدي. والمبحث الثالث: الموضوعات العلميّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ويحتوي هذا المبحث ثلاثة مواضيع، الموضوع الأوّل: الفقه في **مقامات** الحَريري والحَميدي، والموضوع الثاني: موضوعات علميّة خاصّة بالحَريري أي النحو والأحاجي النحويّة، وتجدر الإشارة إلى أنّنا لم نذكر الحَميدي لأنّه لا يشير إلى علم النحو والأحاجي النحويّة، والموضوع الثالث: يضمّ موضوعات علميّة خاصّة بالحَميدي أي الطب والنجوم، والتصوّف، وكذلك لم نذكر الحَريري لأنّه لم يتطرّق لهذه العلوم ربّما لجهله أو عدم ملاءمتها لموضوعه. والمبحث الرابع: الموضوعات الفكاهيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي. والمبحث الخامس: موضوع المناظرات في **مقامات** الحَريري والحَميدي. والمبحث السادس: الموضوعات اللغزيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي. والمبحث السابع: موضوع الشتائم في **مقامات** الحَريري والحَميدي. والمبحث الثامن والأخير: موضوعات خاصّة بمقامات الحَميدي، ونتحدّث فيه عن الموضوعات التاريخيّة، والوصفيّة لدى الحَميدي.

(ولا يفوتنا أن نذكر أنّ) هذا الفصل سيكون أكبر حجماً من الفصول الماضية (وسبب ذلك) لأنّنا نقوم بالمقارنة بين **مقامات** الحَريري والحَميدي فلذلك يتطلّب الأمر أن نعرف موضوعات المقامات كلّها حتّى نتمكّن من المقارنة وتحديد مدى التأثير والتأثّر، والمحاكاة والمعارضة لدى الحَميدي، واكتشاف وجوه الشبه والاختلاف بين مقاماتهما أيضاً.

أوّلاً: الموضوعات الاجتماعيّة في مقامات الحَريري والحَميدي

يتضمّن هذا المبحث الاستجداء والوعظ والإرشاد. فاهتمام الحَريري خاصّة بموضوع الاستجداء، وثمّ اهتمام الحَريري والحَميدي بالوعظ والإرشاد، وكثرة الخطب الوعظيّة في مقاماتهما، جعلنا نهتمّ بموضوع الاستجداء والوعظ والإرشاد أكثر من موضوعات اجتماعيّة أخرى في مقاماتهما.

أ- الكِدية في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بموضوع الكدية في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

١ – الكِدية في مقامات الحَريري

من أهمّ الموضوعات الاجتماعيّة المعالجة في **مقامات** الحَريري: الكِدية والوعظ والإرشاد. وصرّح في مقدّمة **مقاماته** بموضوعات مقاماته قائلاً: "أنشأت خمسين مقامةً تحتوي على جِدّ القول وهزله، ورقيق اللفظ وجَزْله، وغُرَر البيان ودُرَره، ومُلَح الأدب ونوادره، إلى ما وَشَّحتها به من الآيات، ومحاسنِ الكناياتِ، ورَصَّعْته فيها من الأمثال العربيّة، واللطائفِ الأدبيّةِ، والأحاجي النحويّة، والفتاوى اللغويّةِ، والرسائلِ المبتكرَة، والخُطَب المحبَّرة، والمواعظ المُبْكِيَةِ، والأضاحيكِ المُلْهِيَة"[(١)].

وكان الاستجداء ظاهرة اجتماعيّة متميّزة، فيها الكثير من الطرافة والغموض. وأشهر المصطلحات الّتي أطلقت على هذه الحرفة هي: الكدية، والشحّاذة، والساسانيّة[(٢)].

إنّ الاستجداء مظهر من مظاهر الفقر في المجتمع، وعدم التكافل الاجتماعي بين الناس، ولم يظهر الاستجداء فجأة في العصر العبّاسي، بل كان معروفاً قبل الإسلام، ولكنّه بلغ أرفع مستوى لها في العصر العبّاسي، وانتشرت انتشاراً واسعاً لأسباب كثيرة منها الصراعات الداخليّة والمشكلات الاقتصاديّة، والاختلافات الفقهيّة أو العقائديّة والدينيّة.

لمّا اندلعت اضطرابات سياسيّة وفتن داخليّة، أدّت إلى فساد اقتصادي وسوء توزيع للثروة بين الناس، وانقسم الناس إلى أقوياء وضعفاء. ثمّ انعكس الواقع السياسي على الحياة الاقتصاديّة سلبيّاً، "وقد استغلّ المستجدون الواعظ الديني عند أفراد المجتمع، وظهر ذلك في الأدب الّذي عبّر عن حياتهم وفي طريقة استجدائهم"[(٣)]. ويصوّر لنا أبو زيد السروجي بطل **مقامات** الحَريري هذا المنحى عندهم بقوله: "الحمدُ لله المبتدئ بالإفضال، المُبتَدِع للنَّوالِ، المتقرَّب إليه بالسؤال، المُؤَمَّلِ لتحقيقِ الآمال، الّذي شَرعِ الزكاةَ في الأموال، وزَجَر عَنْ نَهرِ السؤال، ونَدَبَ إلى مواساةِ المُضطَرّ"[(٤)].

الكدية مهنة مريحة ولا تحتاج إلى جهد أو رأسمال، لذا انتشرت بسرعة، كما أوصى أبو زيد السروجي بطل **مقامات** الحَريري ابنه بالكدية قائلاً: "ولم أرَ ما هو باردُ المَغنَم، لذيذُ المَطعم، وافِي المكسَب، صافي المشرَب، إلاّ الحِرفَةَ الّتي وَضَع ساسانُ أساسَها، ونَوَّعَ أجناسَها، وأوضح لبني غبراء منارَها، فشهدتُ وقائعَها معلِماً، واخترتُ سيماها لي ميسَماً، إذ كانت المتجَرَ الّذي لا يَبُور، والمَنْهَلَ الّذي لا يَغُور"[(٥)].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٦ – ٧.

(٢) أحمد الحسين، **أدب الكدية في العصر العبّاسي**، ص ١٣.

(٣) أحمد الحسين، م.ن، ص ٣٧.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٦ – ٣١٧.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٢ – ٥٧٣.

وكانت الكدية والاستجداء على رأس موضوعات **مقامات** الحَريري، وهي الصفة الرئيسة الملازمة للبطل في **مقاماته**، إلاّ أنّه لم يقف بها وأشرك معها موضوعات أخرى. وفي الواقع أصبحت الكدية شكلاً ظاهراً **لمقامات** الحَريري، لأنّها كانت منتشرة في عصره، فأخذها موضوعاً **لمقاماته**، وجعلها سلسلة متّصلة الحلقات لحياة بطل مقاماته أبي زيد السروجي. وكان دقيقاً جدّاً في الموضوع هذا.

وأمّا المقامات الّتي أنشئت جميعها في الكدية فهي: المقامة الصنعانيّة[١] والدمياطيّة[٢] والكوفيّة[٣] والبرقعيديّة[٤] والإسكندرانيّة[٥] والدمشقيّة[٦] والبغداديّة[٧] والفارقيّة[٨] والصوريّة[٩] والتفليسيّة[١٠] والمرويّة[١١] والساسانيّة[١٢].

ويطلعنا الحَريري في مقاماته على طريقة المكدّين في حرفتهم، وسوء وضعهم الاقتصادي، ويكشف لنا أساليب خداعهم وصفاتهم. بل إنّه يُعنى بالكدية عناية خاصّة حتّى كانت المحور الرئيس الّذي تدور عليه معظم المقامات.

ويحدّثنا عن الكدية حديثاً طريفاً، ويعرض علينا الأساليب المتبعة عند المكدّين والشحّاذين المعاصرين له، وبطلها أبو زيد السروجي هو من أهل الكدية الّذين احترفوا التكدّي، ووسيلته فيها فصاحة لسانه وسحر بيانه. وردت هذه الأساليب في المقامة البرقعيديّة، فنجد أبا زيد السروجي يحتال ويبرع في الاحتيال والخدعة، ويبتزّ الأموال بذكاء خاصّ وشطارة. ويدخل المسجد – وقت الصلاة وفي ازدحام الناس – وهو "محجوبُ المُقلَتين[١٣]، وقد اعتَضَدَ[١٤] شِيَه المِخلاة، واستقاد لعجوز

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٤ – ١٥.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة الدمياطيّة"، ص ٣٧ – ٣٨.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٤.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٣ – ٦٤.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨٠ – ٨١.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٨.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢١.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٤ – ١٩٥.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٦ – ٣١٨.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٤ – ٣٦٦.

(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤١٨ – ٤٢٠.

(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩ – ٥٨١.

(١٣) محجوب المقلتين: مستور العينَين، أراد أنّه أعمى. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٣.

(١٤) اعتضد: علّقها في عضده. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

كالسّعلاة[١]، فوقف وَقْفَةَ مُتهافِت[٢]، وحيّا تحيّة خافِت[٣]... فأبرز[٤] من وِعائه رِقاعاً قد كُتِبْنَ بألوان الأصباغ؛ فناوَلَهُنَّ عجوزَه الحَيْزَبُون[٥]، وأمَرَها بأنْ تَتَوَسَّمَ[٦] له الزَّبُون..."[٧] وفي إحدى الرقاع نقرأ أن الوجع قد أضرّه، فنادى: (بحر الهَزَج)

فَهَـــلْ حُرٌّ يَـرَى تَخفيـــــفَ أثْقالـي بمِثْقَـــالِ
ويُطْفِـــي حَــرَّ بِلْبَالِـــي[٨] بسِرْبَـــالٍ[٩] وَسِـــرْوَالِ[١٠]

فاغترّ به الناس، وجاد عليه الحارث بن همّام، بقميص وطعام. فعاد أبو زيد السروجي، والبؤس قد زال، والعمى قد ارتفع.

كما أنّ أبا زيد السروجي يدخل إلى مسجد وبه لقوة ويقوم في المسجد مكدياً وينشد بصوت ضعيف ويشتكي فقره وحزنه، منها: (بحر السريع)

أشْكُــو إلَــى الرَّحْمَن سُبْحانَهُ تَغَلُّــبَ الدَّهْــرِ وعُدْوانَـــهُ
وحادثـاتٍ قَرَعَـــتْ مَرْوَتـــي وقَوَّضَتْ مَجْـــدِي وبُنيانَهُ
وَاهْتَصَــرَتْ عُودِي ويا وَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الأحْـدَاثُ أغصانَـــهُ
وَغادَرَتْنِـــي حائِـــراً بائِـراً أكابِـدُ الفَقْـــرِ وأشْجانَـــهُ
مِنْ بعـد ما كنــتُ أخـا ثَرْوَةٍ يَسْحَبُ فــي النعمـةِ أردانَـهُ[١١]

ويعرّف الحَريري شخصيّة بطل مقاماته في المقامة الصنعانيّة بأنّه شيخ فصيح بليغ يخطب للناس ويعظهم، ويستغرب من استعداده للتكدّي. يقول إنّ أبا زيد السروجي بعد خطبة وعظيّة فصيحة

---

(١) السعلاة: أنثى الغول. والغول جنّ مسكنها الصحاري تتراءى للإنسان كأنّها إنسان فلا يزال يتبعها حتّى يضلّ الطريق فيهلك. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٣.

(٢) متهافت: متساقط لضعفه، وتهافت الشيء في يدي تناثر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٣) خافت: خفي الصوت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٤) أبرز: أخرج. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٥) الحيزبون: المسنة القوية الصورّ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٦) تتوسّم: تنظر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٧) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦١ – ٦٣؛ الزبون: المنخدع عن ماله. وهو من ألفاظ أهل المشرق، وأراد به الكثير الصدقة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٨) بلبال: حزن، والبلبال: وسواس الهموم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٩) سربال: قميص. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(١٠) الحريري، م.س، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٣.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

يستجدي ويستلب عواطف الناس حتّى "أدخل كلٌ منهم يدَه في جَيبه، فَأفْعَمَ له سَجْلاً من سَيبه[١]، وقال: اصرِفْ هذا في نفقتِك أو فرّقْهُ على رُفقتك، فقَبِلَه منه مُغْضياً[٢]، وانثَنى[٣] عنهم مُثْنياً"[٤].

ويصوّر الكدية والتكدّي والمتكدّي ببراعة، ويصف أساليب المكدّيـن وحيلهم وخدعهم بأشكال مختلفة. ونــرى أبا زيد السروجي يتحوّل عن المساجد إلى المقابـر، ويقف على القبور "مُتَخَصِّراً[٥] بهِراوَة[٦]، وقد لَفَّع[٧] وجهَه بردائه، ونكَرَ شخصَه لِدَهائه"[٨]. فيعظ كثيراً، ويقول: "فاذكُروا أيّها الغافلون، وشَمِّرُوا أيّها المقَصّرون، وأحْسِنُوا النظرَ أيّها المتبصّرون، مالَكُم لا يحزُنُكم دَفْنُ الأتراب، ولا يَهُولُكم هَيْلُ التراب... ولا تَستَعْبِرون لعينٍ تدْمَع، ولا تَعْتَبِرون بِنَعْيٍ يُسْمَع..." [٩].

فيستمر أبو زيد السروجي بالوعظ، ويذكر أحوال الدنيا وما فيها ومآلها والآخرة وعذاب يوم القيامة ونعيم الجنّة، ثمّ يسأل الناس أموالاً. حتّى يترع[١٠] كمّه وينحدر فرحاً مسروراً.

وقد نجده يهجر المساجد والمقابر ويتجوّل في الشوارع والأزقّة، يطرق أبواب المنازل سائلاً، يطلب الطعام فيخلب الناس بعذوبة نطقه، ويفتحون الأبواب له ويرحّبون به بكلّ سرور، فيستضيفونه ويأكل ويشرب حتّى يشبع، ثمّ يبكي بكاء حزيناً ويشكو حياته وفقره، فيثير شفقة الناس ببكاءه وكلامه. فيجود الناس عليه بالأموال[١١].

ونراه يقف أمام الناس وينادي أنّ صديقه مات ويطلب منهم أن يشاركوا في دفع ثمن كفن الميّت بقوله: "فَمَنْ يَرْغَبُ في تكفينِ ميّتٍ غريب"[١٢]، ويبكي له بكاء المحبّ على الحبيب، ثمّ يرضيه الناس بعطائهم.

---

(١) أفعم سجلاً من سيبه: ملأ دلواً من عطائه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مـج ١، ص ٢٢.

(٢) مغضياً: مستحيياً، وأصل أغضى: كفّ بصره وضمّ جفنيه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٣) انثنى: انعطف عن طريقه، رجع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٢.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٤ – ١٥.

(٥) متحضّر: أي جاعلها ممّا يلي خصره. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية عشرة: الساوية"، مج ١، ص ١٣٧.

(٦) هراوة: عصا. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٣٧.

(٧) لفّع: غطى. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٣٧.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨.

(٩) الحَريري، م.س، ص ٩٨.

(١٠) أترع: ملأ. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، مج ١، ص ١٤٢.

(١١) أنظر: الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠ – ٤٩.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٥.

ويستجدي أحياناً مع ابنه، ويحتال على الناس ويملأ كيسه ثمّ يهرب في المقامة الدمياطيّة[١] يقول الراوي: "لَمَحتُ[٢] أبا زيدٍ وابنَه يتحادثان، وعليهما بُردان رثّان[٣]... وَطفِقْتُ أُسَيّرُ بين السيّارةِ[٤] فضلَهما، وأهُزُّ الأعواد[٥] المثمرةَ لهما، إلى أن غُمرا[٦] بالنُّحلان[٧]، واتُّخذا مِن الخُلاّن[٨]،... فلّما رأى أبو زيد امتلاءَ كيسه، وانجلاء بوسِه[٩]، قال لي إنّ بدني قد اتّسَخَ، ودَرَني[١٠] قد رَسَخ[١١]، أَفَتَأْذَن لي في قصد قريةٍ لأستحمَّ، وأقضيَ هذا المهمَّ[١٢]... وقال لابنه بَدارِ بَدار[١٣]، ولَمْ نَخَلْ أنّه غرّ[١٤]، وطَلَب المَفرَّ، فَلَبثنا نَرقُبُه... فلمّا طالَ مدى الانتظار، ولاحت الشمسُ في الأطمار[١٥]، قلتُ لأصحابي قَدْ تناهَينا في المُهلَة[١٦]... وبانَ[١٧] أنّ الرجلَ قَدْ مانَ..."[١٨].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٧ – ٣٩.

(٢) لمحتُ: رأيت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، مج ١، ص ٥٢.

(٣) بردان رثّان: ثوبان صوران. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٤) السيارة: القوم الّذين يسيرون في الأسفار. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٥) أهزّ الأعواد: استعارة وأراد أنّه يستعطف لهما أصحاب الأموال فيواسونهم، فكنّى عنهم بالأعواد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٦) غمرا: أعطيا. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٧) النحلان: العطايا. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٨) الخلاّن: الأصحاب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(٩) انجلاء بؤسه: انكشاف فقره. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(١٠) درني: وسخي. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(١١) رسخ الشيء منه رسوخاً: غاب فيها، ورسخ العالم في العلم: دخل فيه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(١٢) أقضي هذا المهم: أراد به فرض الصلاة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٣.

(١٣) بدار بدار: أي سبقا سبقا وهو معدول عن أبدر، فيقول لابنه أبدر بالجرى وأسبق إلى الحمّام. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٥.

(١٤) غرّ: خدع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٥.

(١٥) لاحت: ظهرت. الأطمار: الثياب الصورّة، أراد أنّ ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغيّر عند الغروب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٥.

(١٦) تناهينا: أي بلغنا النهاية. والمهلة: التراخي يقول قد تراخينا في انتظاره حتّى بلغنا الغاية في ذلك. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٦.

(١٧) بان: تبيّن. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٦.

(١٨) مان: كذب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٦.

ومن الأساليب الأخرى الّتي يكشف عنها الحَريري الاستجداء، تقدّم الخصمَيْن وهما شيخ وفتى إلى القاضي، ومخاصمتها في الميل والإبرة في المقامة المعريّة[١]. فيذهبان إلى القاضي ويشتكيان بكلمات عذبة وعبارات فصيحة نثراً ونظماً. وفي النهاية يطلبان من القاضي أن ينظر إليهما بعين الشفقة والرحمة ويصلح بينهما ويتكرّم عليهما. وحين يسمع القاضي حديثهما يُخرج من تحت مصلاّه ديناراً، ويطلب منهما أن يقطعا به الخصام. فيأخذان الدينار، ويخرجان من عنده فرحين بعطائه. أمّا القاضي فهو يشكّ بهما، ويستغرب من ذكائهما وحديثهما الفصيح، فيطلب من شخص أن يتبعهما ويكشف سرّهما وحقيقة أمرهما. فلمّا أرجعهما إلى القاضي، قال لهما القاضي: "لكما الأمانُ مِنْ تَبعةِ مكرِكمُا"[٢]. فقال الشيخ: (بحر الرجز)

أَنَــا السَّروُجِــيُّ وَهَذا وَلَــدي ... والشِّبْلُ فِي المَخْبَرِ مِثْلُ الأَسَدِ
وَمَــا تَعَــدَّتْ يَــدُهُ ولا يَــدي ... في إِبْرَةٍ يوماً ولا في مِــرْوَدِ[٣]
وإِنّمــا الدهرُ المسيُءُ المُعتَدي ... مــالَ بنا حَتّى غَدَوْنا نَجْتَــدي[٤]
كُلَّ نَدِي الرّاحَةِ[٥] عَذْبِ المَوْرِدِ ... وكُلَّ جَعْدِ الكَفِّ[٦] مَغلولِ اليَدِ
بِكُــلِّ فَــنٍّ وبِكُــلِّ مَقصِــدِ ... بِالجِدِّ إِنْ أَجْدَى[٧] وإلاّ بالــدَّدِ[٨]
لِنَجْلِبَ الرَّشْحَ إِلى الحَظِّ الصَّدِي[٩] ... ونُنْفِــدَ العُمــرَ بعَيْشٍ أَنْكَــدِ[١٠]
والموتُ مِنْ بَعْدُ لنا بالمَرْصَــدِ ... إِنْ لَمْ يُفاجِ[١١] اليَوْمَ فاجَى في غَدِ[١٢]

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٥ – ٧٦.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٧٥.

(٣) المرود: الميل وحديدة تدور في اللجام، ومحور البكرة إذا كان من الحديد. الوتد. ابن منظور، **لسان العرب**، مج ٩، ص ١٣٥، باب الدال، فصل الراء.

(٤) نجتدي: نسأل الناس الجدوى وهو العطاء. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثامنة: المعريّة"، مج ١، ص ٩٨.

(٥) ندي الراحة: كريم الكفّ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٨.

(٦) جعد الكفّ: قبض الكف، ومثله مغلول اليد، أي كأنّ يده محبوسة بغلّ للؤمها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٨.

(٧) أجدى: نفع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٩.

(٨) الدد: ضدّ الجدّ، وهو اللهو واللعب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٩.

(٩) الصدي: العطشان. وأراد أنّ حظّه في الدنيا قليل، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظّه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٩.

(١٠) أنكد: مشؤوم، وكلّ ما جلب شرّاً فهو أنكد ونكد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٩.

(١١) يفاج: يأت على غفلة، وأصل فاجأ بالهمز فسهله. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٩.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٥.

ثمّ ينذره القاضي ويحذّره على مثل هذا المكر والخداع قائلاً: "لولا خِداعُ فيك، وإنّي لك لَمن المنذِرين، فلا تُماكر بعدَها الحاكمين، واتّقِ سَطوةَ المتحكّمين، فما كلُّ مسيطِرٍ يُقيل، ولا كلُّ أوانٍ يُسْمَعُ القيل"[١]. فعاهده أبو زيد السروجي على الكفّ عن المكر والاحتيال!

هكذا يكشف القاضي السرّ، ويتبيّن أنّ الشاكيَين هما أبو زيد السروجي وابنه، ولم تكن المخاصمة قط، إنّما كان هذا مكر أبي زيد السروجي واحتياله، وأسلوبه الآخر لكسب المال والقوت[٢].

ويستجدي مع زوجته في المقامة الإسكندرانيّة[٣]، أو يلبس ثياب الرهبان ويعظ الناس ويحتال ويخدع الآخرين وذلك في المقامة الدمشقيّة[٤].

أحياناً أخرى نجده في ثياب الفقراء ويتكلّم ببلاغة وفصاحة، وهو يستجدي في المقامة المرويّة[٥] وهو يدخل مستجدياً إلى الوالي فلم يجبه ويعترض أبو زيد السروجي له بذلك ويقول للوالي: "إنّي شَيْخٌ تَرِبَ[٦] بعدَ الإتراب[٧]، وعَدِمَ الإعشابَ[٨]، حين شاب، قصدتُك من مَحَلَّةٍ نازِحة[٩]، وحالةٍ رازحة[١٠]، آمُلُ مِن بحرك رِفْعَة، ومن جاهِك رَفْعة... فأوجِبْ لي ما يجب عليك، وأحسِنْ كما أحسنَ اللهُ إليك، وإيّاكَ أن تَلوي عذارَك[١١] عمّن ازدارك[١٢]... وامتارَ[١٣] سَمَاحَك[١٤]، فوَ اللهِ ما مَجَدَ مَنْ جَمَدَ..." [١٥].

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٦.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٧٥.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٨.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤١٩ – ٤٢٠.

(٦) ترب: أفتقر، فلم يبق له ما يقعد عليه غير التراب. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، مج٢، ص ١٤٨.

(٧) الإتراب: الاستغناء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(٨) الإعشاب: أراد به المال. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(٩) نازحة: بعيدة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١٠) رازحة: ضعيفة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١١) تلوي عذارك: تعرض بوجهك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١٢) ازدارك: زارك، واستعمل قصدك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١٣) أمتار: أستجلب منك الرزق. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١٤) سماحك: جودك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٨.

(١٥) الحريري، م.س، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤١٩ – ٤٢٠؛ جمد: بخل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

فأعجب الوالي بكلامه وأراد أن يعرف أكان حَفِظَه من قبل أو ارتجله، وبعبارة أخرى أراد أن يعرف هل له قدرة على أن يزيد على ما قاله من ظريف الكلام، فطلب منه الزيادة؛ حينئذٍ غضب أبو زيد السروجي غضباً شديداً وأنشد مرتجلاً منها: (بحر البسيط)

لا تَحْقِرَنَّ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ[١]، ذا أَدَبٍ لأنْ بَدا خَلَقَ السِّرْبَالِ سُبْرُوتَـا[٢]

وَانْفَحْ بِعُرْفِكَ[٣] مَنْ وافاكَ مُخْتَبِطاً[٤] وَانْعَشْ بِغَوثِكَ[٥] مَنْ أَلْفَيْتَ مَنكوتَا[٦]

ولمّا شاخ أبو زيد السروجي أوصى ابنه بحرفة الاستجداء نَصَحه بأنّه لا توجد صناعة أنفع من الاستجداء، وذلك في المقامة الساسانيّة[٧]. ويشير الحَريري في هذه المقامة إلى أهميّة حرفة الاستجداء وفوائدها ومضرّات من لم يتمسّك بها وصفاتها وشروطها على لسان أبي زيد السروجي لابنه في قالب وصيّة. فلمّا قارب أبو زيد السروجي عمره المائة، وكبر سنّه، أحضر ابنه "وقال له: يا بُنيَّ إنّه قد دَنا ارتحالي من الفِناء، واكتحالي بمرود الفَناء[٨]، وأنتَ بحمد الله وليّ عهدي، وكَبْشُ الكتيبةِ[٩] الساسانيّة من بعدي، ومثلُك لا تُقْرَعُ له العصا[١٠]... وإنّي أوُصيك بما لم يوصِ به شيثُ الأنباط[١١]... فاحفظ وصيّتي..."[١٢].

---

(١) أبيت اللعن: تحيّة ملوك الجاهليّة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، مج ٢، ص ١٤٩.

(٢) سبروتا: فقيراً محتاجاً، والسبروت: الفقير الّذي لا ثياب له. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

(٣) انفح بعرفك: ارم بمعروفك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

(٤) وافاك: أتاك. مختبطاً: سائلاً لمعروفك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

(٥) انعش بغوثك: ارفع بعطيّتك. والغوث: المبادرة بالنصرة لمن جاء يستغيثك. والانعاش: أن ترى رجلاً قد أهوى للسقوط فترفعه، أو افتقر فتجبره. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

(٦) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤٢١؛ منكوتاً: ملقى على رأسه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٩.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧١ – ٥٧٣.

(٨) الفِناء: ما حول الدار. والفَناء بالفتح: الموت. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٨٨.

(٩) كبش الكتيبة: رئيس الجيش وحاميها. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٨٨.

(١٠) تقرع له العصا: الّذي كانت العصا تقرع له عامر بن الظرب العدواني حكم العرب في الجاهليّة، ولمّا أسنّ كان يزل في حكمه وكانت له بنت حكيمة فأمرها أن تقعد وراء ستر لتنظر حكمه، فإذا أنكرت منه شيئاً قرعت له العصا، فمتى سمع صوت قرعها علم أنّه زلّ فرجع. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٨٨.

(١١) شيث: هو ولد آدم (عليه السلام)، وكان أجمل بنيه، وأحبّهم إليه، وإليه ترجع الأنساب. الأنباط: قيل سمّوا أنباطاً لاستنباطهم البناء. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٨٩.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون"، ص ٥٦٩ – ٥٧٠.

ثمّ يوصيه بأن يحتذي حذوه في الاستجداء مثله، ويذكر له فوائد حرفة الاستجداء ومضرّات من لم يتمسّك بها قائلاً: "احذُ مثالي[١]... فإنّك إن استرشَدْتَ[٢] بنُصحي، واستصبَحتَ[٣] بصُبحي، أَمْرَعَ خانُك[٤]، وارتَفَعَ دخانُك، وإنْ تناسَيْتَ سُورَتي، ونَبَذْتَ[٥] مشورتي، قلَّ رمادُ أثافيك[٦]، وزهِدَ[٧] أهلُك، ورهطُك فيك"[٨].

ثمّ يبيّن الحَريري أهميّة حرفة الاستجداء ونفعها بين الحرف الأخرى قائلاً: "إنّي جَرّبتُ حقائقَ الأمور، وبَلَوْتُ[٩] تصاريفَ الدهور، فرأيتُ المرء بنشبه[١٠] لا بنسبه، والفحصَ عن مكسبه لا عن حسبه، وكنتُ سمعت أنّ المعايش إمارة، وتجارة، وزراعة وصناعة. فمارستُ هذه الأربع لأنظرَ أيّها أوفَقُ وأنْفَع... ولم أرَ ما هو باردُ المَغنَم[١١] لذيذ المطعم، وافيّ المكسَب، صافيّ المشرَب إلاّ الحرفة الّتي وضعَ ساسانُ أساسَها، ونوّع أجناسَها، وأضرَمَ في الخافقين[١٢] نارَها..."[١٣].

ويذكر صفات حرفة الاستجداء، ويشبهها بالمتجر مرّة، وبالمصباح مرّة أخرى بقوله: "... إذا كانت المتجَر الّذي لا يَبُور[١٤]، والمنهلَ الّذي لا يَغُور[١٥]، والمصباحَ الّذي يَعشَو[١٦] إليه الجمهور، ويَستصبح به العُمْيُ والعُور[١٧]. وكان أهلُها أعَزَّ قبيل وأسعَدَ جيل لا يَرْهَقُهم[١٨] مَسُّ حَيْف[١٩]، ولا

---

(١) احذ مثالي: امش على طريقي وافعل بفعلي. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) استرشدت: استدللت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) استصبحت: استضأت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٤) أمرع: أخصب. الخان: الفندق، وهذا مثل لرفاهة العيش. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٥) نبذت: طرحت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٦) الأثافي: أحجار القدر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٧) زهد: لم يرغب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٩.

(٨) الحَريري: **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٠ – ٥٧١.

(٩) بلوت: اختبرت. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ٢٨٩.

(١٠) نشبه: ماله. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٨٩.

(١١) بارد المغنم: السهل منه وهو الّذي يؤخذ بغير قتال. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٢) الخافقين: المشرق والمغرب. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧١ – ٥٧٣.

(١٤) يبور: يكد ويهلك أهله. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٥) يغور: يغوص في الأرض. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٦) يعشو: ينظر. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٧) العور: جمع أعور. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٨) يرهقهم: يدركهم ويغشاهم. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

(١٩) حيف: ظلم. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠.

يَقْلِقُهُمْ سَلٌّ سيف... وقلوبُهم مُرَفَّهة، وطعمُهم مُعَجَّلَة، وأوقاتهم غُرٌّ مُحَجَّلة[١]، أينما سَقَطُوا، لقطوا[٢]، وحينما انخرطوا، خَرَطوا، لا يتّخذون أوطاناً، ولا يتّقون سُلطاناً..."[٣].

ويقول أيضاً إنّ المستجدي يجب ألاّ يكون غافلاً عن بعض الصفات نحو: النشاط والفطنة والسعي لا سيّما الطلب والإصرار عليه، ويستشهد بفعل شيخ المستجدين وإمامهم ساسان بقوله: "لا تَسأمِ الطلب فقد كان مكتوباً على عصا شيخِنا ساسان مَنْ طَلَب جلَب ومن جالَ[٤] نال"[٥].

ثمّ يحذّر المستجدي من الكسل بشدّة ويقول إنّ الكسل يؤدّي إلى الشقاوة والفقر والعجزة والفشل والضعف والحيرة وهو مخيبة للآمال قائلاً: "وإيّاك والكسلَ، فإنّه عُنوانُ النحوس، ولبُوسُ ذوي البؤس... وشيمةُ العَجَزَة الجهلَة... وسببُ الفشَل، ومَبْطَأَةٌ للعمل ومَخْيَبَةٌ للأمل"[٦].

كما أنّ الحَريري يضيف إلى هذه الصفات: الجرأة والحيلة والمكر والحرص والطمع والصبر والتلطّف والتلوّن والدهاء واللطف والفطنة والمجانة وعذوبة الكلام وسحر البيان وعدم اليأس من رزق الله[٧].

وفي نهاية المقامة الساسانيّة نجد أساليب الاستجداء، وهي من لسان أبي زيد السروجي في وصيّته لابنه قائلاً: "قَيِّدِ الدرهمَ بالرَّبط، وشُبِّ البذلَ بالضبط[٨]، ولا تجعلْ يدَك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسُطْها كلَّ البَسْط... ولا تَكْرَهنَّ النُّقْلَة، فإنّ أعلامَ شريعتِنا[٩]، وأشياخَ عشيرتنا، أجمعوا على أنّ الحركةَ بركةٌ... وإذا أزْمَعْت على الاغتراب[١٠]، وأعْدَدْتَ له العَصا والجِراب[١١]، فتخيَّر الرفيق المُسْعِد[١٢] مِنْ قَبل أن تَصْعد، فإنّ الجارَ قبلَ الدار، والرفيقَ قبلَ الطريق..."[١٣].

وهكذا يتجوّل أبو زيد السروجي من مدينة إلى مدينة ويستجدي ويظهر على هيئات مختلفة، وفي أكثر الأحيان يلبس الثياب البالية. ويسرق عقول الناس بحيله وخدعته، ويفرغ جيوبهم ثمّ يهرب.

---

(١) محجّلة: مشهورة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٩٠.
(٢) لقطوا: جمعوا الرزق وأصله للطير. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٩٠.
(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٣ – ٥٧٤.
(٤) جال: تصرّف ومشى في البلاد. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، مج ٢، ص ٢٩١.
(٥) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٥.
(٦) الحَريري، م.س، ص ٥٧٥ – ٥٧٦.
(٧) لمزيد من التفصيل أنظر: الحَريري، م.س، ص ٥٧٦ – ٥٧٨.
(٨) شبّ: اخلط. البذل: العطاء. الضبط: الحبس. قصده: احفظ دراهمك. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٣.
(٩) أعلام شريعتنا: مشايخ طريقتنا. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٣.
(١٠) أزمعت: عزمت. الاغتراب: الجولان والغربة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٣.
(١١) الجراب: الوعاء للزاد. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٣.
(١٢) المسعد: الموافق القليل الخلاف. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٣.
(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٩ – ٥٨٠.

ويتنوّع في أساليب وطرق اكتساب المعيشة، ويتقلّب في قوالب الانتساب، ويدّعي حيناً أنّه من ملوك الفرس، وحيناً آخر ينتسب نفسه إلى ملوك قبيلة غسّان باليمن، ويظهر حيناً على هيئة الشعراء، أو يتلوّن حاله ويتحلّى منظره.

من خلال موضوع الاستجداء في **مقامات** الحَريري تبيّن لنا اهتمام الحَريري بالاستجداء في **مقاماته**، كما لاحظنا أنّه اختصّ اثنتي عشرة مقامة بالاستجداء، وعرض علينا صفات الشحّاذين وأساليبهم المتبعة. وصورةً لنا عن الاستجداء والمستجْدين في مجتمعه آنذاك.

٢- الكِدية في مقامات الحَمِيدي

لا يعالج الحَميدي الاستجداء في **مقاماته** كما عالجها الحَريري، وهي ليست المحور الأساسي والصفة الرئيسة الملازمة للبطل. وينتهي موضوع مقامات الحَميدي العشر إلى الاستجداء فهذه المقامات: المقامة الأولى: في الملمّعة[١]، والمقامة الثانية: في الشيب والشباب[٢]، والمقامة الرابعة: في الربيع[٣]، والمقامة الخامسة: في اللغز[٤]، والمقامة السادسة: في السكباج[٥]، والمقامة السابعة: في السيّاح[٦] المعروفة باللغز الدمشقيّة، والمقامة العاشرة: في الوعظ[٧]، والمقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة[٨]، والمقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب[٩]، المشهورة بالمعزم، والمقامة التاسعة عشرة: في سمرقند[١٠]. والمقامات الأخرى بعيدة عن الاستجداء تماماً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المستجدي في هذه المقامات ليس وقحاً كالشحّاذين في المقامات الهمذانيّة والحَريرية، ولا يحتال ولا يخدع الناس كما كان شائعاً في العصر العبّاسي، بل هو ينتظر الناس أن يعطوه كما يريدون برضا النفس والقلب. وهكذا يعطي الحِمَيدي روحاً خاصّة ومميّزة للمقامات الفارِسية.

---

(١) حميدى، **مقامات**، ص ٢٧ – ٢٩.
(٢) حميدى، م.ن، ص ٣٥– ٣٦.
(٣) حميدى، م.ن، ص ٥٠.
(٤) حميدى، م.ن، ص ٥٩.
(٥) حميدى، م.ن، ص ٧٣.
(٦) حميدى، م.ن، ص ٧٩ – ٨٠.
(٧) حميدى، م.ن، ص ١٠٨ – ١٠٩.
(٨) حميدى، م.ن، ص ١٢٥.
(٩) حميدى، م.ن، ص ١٣٨.
(١٠) حميدى، م.ن، ص ١٧٦ – ١٧٧.

ولا شكّ في أنّ قول ابن الطِّقْطَقي حول المقامات وروح الاستجداء: "المقامات تصغّر الهمّة، إذ هو مبنيّ على السؤال والاستجداء والتحيّل القبيح على النزر الطفيف"[1]، لا يشمل المقامات في الفارِسية.

أمّا في المقامة الأولى، فنحن نرى أنّ البطل يخطب خطبة بالعربيّة والفارِسيّة، ويعظ الناس ويرشدهم إلى الثواب والعمل الصالح، ثمّ يستجدي فجأة قائلاً: "رَحِمَ اللهُ امْرَءاً، بَسَطَ كفَّ النوالِ، وزَيَّنَ صَفَّ الرجالِ، وحلَّ عنّي عُقَدَ هذا العِقالِ، حتّى أُحيلَه بالمكافات على مليٍّ غنيٍّ، وَأُدَلُّه في المجازاتِ على غُصنٍ طَريٍّ، فلا تَقطعوا عَن اعتياضِ الإحسان أَمَلاً فإنّ الله لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً"[2].

وبعد ذلك "دست به دعا برداشت، چون از آن قوم، قوت اليوم بيافت، روى برتافت وچون باد بشتافت"[3].

ترجمة الشاهد

دعا للناس، ولمّا أخذ قوته اليومي من أولئك القوم، ترك المدينة وذهب كالريح.

ويعرض الحمَيدي في المقامة الثانية نموذجاً للاستجداء واحتيال وخدعة المستجدين وأسلوبهم. فيدور موضوع هذه المقامة حول المناظرة بين شيخ وفتى، وهما يتجادلان بشدّة. وبعد المناظرة بينهما يتأثّر الناس بكلامهما ويبذلون لهما أموالاً وثياباً كثيرة، إعجاباً بمناظرتهما وكلماتهما العذبة. وبعد ذلك يتبيّن مكرهما واحتيالهما لأنّهما كانا الأب والابن، ويظهران بهذه المناظرة أيضاً كما يلي: "پس چون دلها به آتش جدال بجوشيدند، وآن قوم را به ابتدا وانتها به يد استقصا واقتراح بدوشيدند، وخواستنى بخواستند، وخود را چون طاووس به زر و جامه بياراستند، وبساط هنگامه درنَوَشتند، وپيروجوان هردو برگشتند... گفتند آن هردو اگرچه به وقت مخاصمت تيغ وسپرند، به هنگام مسالمت پدر وپسرند. فقلتُ: واللهِ ما هُما إلاّ شمسُ الضُحى وبدرُ الظُلَم ومَنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَم"[4].

ترجمة الشاهد

فلمّا غليت القلوب بنار الجدال، وخلبا أولئك القوم بالمكر، وأخذا منهم كلّما كان عندهم، زيّنا نفسَيْهما كالطاووس بالذهب والثياب، جمعا بساط المناظرة فرجع الشيخ والفتى كلاهما.. قالوا: ولو أنّهما بوقت المخاصمة كالسهم والترس، بيد أنّهما بوقت المسالمة كالأب والابن. فقلتُ: واللهِ ما هُما إلاّ شمسُ الضُحى وبدرُ الظُلَم ومَنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَم.

---

(1) ابن الطقطقي، **الفخري**، ص ٢١.

(2) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٧.

(3) حميدى، م.ن، ص ٢٩.

(4) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: بين الشيب والشباب"، ص ٣٦.

أو في المقامة الرابعة نرى أن البطل يظهر على هيئة أديب يصف فصل الربيع والأزهار ثمّ يتكدّي فجأة في غاية الأدب بقوله: "خدايش بيامرزاد كه بى آنكه در طاعت رعونتى كند در اسباب استطاعت، اين غريب را معونتى كند. هريك آنچه داشتند بدان شيخ گذاشتند"[١].

ترجمة الشاهد

يرحم الله من يساعد هذا الغريب بحسب استطاعته طاعةً لله، فكلٌّ منهم منحه كلّ ما كان عنده.

أو في المقامة السابعة يستجدي الشيخ – وطفله معه – بعد المناظرة والجدال مع الفتى، ويأخذ ديناراً، ويقبّله ويترك المدينة. قال الشيخ: "كه را افتد كه بى ملافظه به چشم كرم ملاحظه كند، بى مكاوحت مسامحتى نمايد وآنچه دارد ازبند بسته دراين رسته گشايد؟"[٢].

ترجمة الشاهد

من يقدر أن يوجّهني بكرم العين دون القول، ويمنحني السماح دون الذلّ والمنّ، ويعطينني كلّ ما يملك ويداه مغلولتان.

وفي نهاية المقامة الوعظيّة يستجدي البطل بعد أن يعظ الناس وينصحهم بالحلم وحلاوة الإيمان بقوله: "هركه رابر دستارچه مروّت عقدى است يا در كيسه فتوّت نقدى، آن عقد ببايد گشاد وآن نقد ببايد داد كه هر آينه ببايد مكافات آن سخا ومجازات آن عطا: يومُ الحشر والجزاء واللهُ يضاعِفُ لِمَنْ يشاء"[٣].

ترجمة الشاهد

من يملك عقداً في ثياب المروءة أو مالاً في كيس الفتوّة، عليه أن يفتح ذلك العقد ويعطي ذلك المال، فمن الواجب أن يكافأ ذلك السخاء ويُجزئ ذلك العطاء: يوم الحشر والجزاء والله يضاعف لمن يشاء.

ويستجدي الشيخ الواعظ في المقامة الخامسة، ويطلب الناس الطعام والثياب قائلاً: "الغوث في البؤس، والعون في المطعوم والملبوس، عينُ الله عليكم وأحسنوا كما أحْسَنَ الله إليكم"[٤].

ولمّا أنهى الشيخ خطبته الوعظيّة، أعطاه الناس كلّ ما كان عندهم، فأخذه الشيخ وترك المدينة.

واللافت للنظر أنّ البطل غالباً لا يستجدي على طريقة المستجدين في **مقامات** الهمذاني والحَريري، بل يكتسب الأموال والثياب، والطعام من دون أن يطلب شيئاً أو يتسوّل، كما وجدنا ذلك في المقامة الثانية[٥]. فبعد المناظرة بين الشيخ والفتى، وتبادل الوعظ والنصح بينهما، نلاحظ كيف كان الناس يبذلون لهما كثيراً من الذهب والثياب والقوت.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٥٠.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٦.

وفي المقامة السادسة[١] نرى أنّ الحرس في السجن يجبرون السجين - البطل - وهو شيخ أديب، على الاستجداء خارج السجن، ويُلبسونه ثياب المستجدين أي ثياباً دارسة وبالية.

وفي المقامة الثانية عشرة يُجيب الشيخ الواعظ عن أسئلةٍ فقهيّة بأحسن صورة يُعجب الناس به وبإجاباته الجيّدة، ثمّ يشجّعونه ويعطونه الأموال والثياب: "پس چون پير واعظ به ترتيب وترتيل، اين مسائل را جواب گفت وآنچه گفت صواب گفت همه را، ازچپ وراست نعره احسنت وزه بخاست، وخلق در جوش وخروش آمد، وهركه را خرقه اى بود درانداخت وهركه را كيسه اى بود بپرداخت"[٢].

ترجمة الشاهد

فلمّا أجاب الشيخ الواعظ على هذه الأسئلة بالترتيب، وكان كلُّ ما قاله صحيحاً وصواباً، صرخ الناس يميناً ويساراً وقالوا له أحسنت أحسنت وشجّعوه كثيراً والتهب الحضور التهاباً شديداً، وكلّ من كان له ثوبٌ أعطاه، ومن كان له مالٌ أعطاه أيضاً.

ويستجدي شيخ واعظ في ثياب رثّة في المقامة التاسعة عشرة بلسان فصيح وبيان بليغ ويقول: "أيها الناس ابتغوا فضل الله ومرضاته واتقوا اللهَ حقّ تُقاته"[٣]. ويضيف: "ببخشا ييد بركسى كه بى عزيمت روزه دار است وبى مصيبت سوگوار"[٤].

ترجمة الشاهد

أعطوا لمن صام وهو خائر القوى، ويُعزّى في مصيبَة.

ثمّ يشتكي الدهر والناس وحياتهم، وحين تنتهي شكواه: "جوانى صيرفى بندكيسه بگشاد ومشتى غدرفى به وى داد؛ پس گفت: اى پير خوش حكايت واى مرد صاحب شكايت، تا تو در اين شهرى، ما را با تو نان وهميان درميان است وحكم تو در سود وزيان روان. خانه، آنِ تو و ما، در فرمانِ تو"[٥].

ترجمة الشاهد

فتح فتى صرّاف كيسه، وأعطاه قبضة من الدراهم؛ ثمّ قال له: أيّها الشيخ الحاكي ويا أيّها الشاكي، كلّ شيء نملكه ملكك، ونحن نأكل ونشرب معك، وحكمك جار سواء فيه ضرر أو ربح. وبيتنا بيتك ونحن تحت أمرك، ما دمت في هذه المدينة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٣.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٥.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٧٥.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٧٦.

* * *

ما يلفت الانتباه أنّ الحَميدي لم يخصّص مقامةً للاستجداء بل أشار إلى الاستجداء قليلاً أو كتب عنها سطراً أو سطرين فقط محاكاةً ومعارضةً للحَريري. وقد أصبح التسوّل من الصفات الملازمة للمقامات الحريريّة، خلافاً للمقامات الحَميديّة.

ب- الوَعظ والإرشاد في مقامات الحَريري والحَميدي

وأمّا القسم الثاني من الموضوعات الاجتماعيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، فهو الوعظ والإرشاد.وسندرس موضوع الوعظ والإرشاد في **مقامات** الحَريري أوّلاً، ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

١- الوَعظ والإرشاد في مقامات الحَريري

اهتمّ الحَريري به لأنّهِ يتّصل بالحياة الاجتماعيّة أيضاً. وقد عرّفنا من خلال هذه المواعظ والنصائح، على أنماط مختلفة من الوعّاظ. فهنالك الواعظ الّذي يحثّ الناس على الالتفات إلى العمل الصالح وثواب الآخرة[١]، هناك مَن يعظ الناس إلى ذكر الموت والاعتبار بمشهد الجنائز[٢]، أو يخبّئ حقيقته وراء ثياب الوعظ[٣].

اختصّ الحَريـري أكثر من عشر مقامـات بالوعظ والإرشاد والديـن والأخـلاق وفيها تحذير للجهّال، وازدراء الدنيا ومتاعها، وحثّ على الأعمال الحسنة، وحضّ على نعيم الآخرة وثوابها والدعوة إلى الهدى. وهذه المقامات: المقامة الصنعانيّة[٤] والحلوانيّة[٥] والساويّـة[٦]، الدمشقيّـة[٧] والرازيّـة[٨] والكرجيّة[٩] والرمليّة[١٠] والتفليسيّة[١١] والتنيسيّـة[١٢]والحراميّة[١٣] والبصريّة[١٤].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.
(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨.
(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٥.
(٤) الحَريري، م.ن، ص ١١ – ١٤.
(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢١ – ٢٢.
(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨ – ١٠٤.
(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٨ – ١١٧.
(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٠ – ٢٠٨.
(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٠ – ٢٥٧.
(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٥ – ٣٣٣.
(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٣ – ٣٦٩.
(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤ – ٤٦٠.
(١٣) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٦٩ – ٥٨٠.
(١٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٨٤ – ٦٠٢.

ومن أفضل النماذج الوعظيّة المقامة الصنعانيّة، فقد عرض الحَريري فيها أبا زيد السروجي واعظاً يصنع الأسجاع، ويزيّنها بجواهر لفظه، ويقرع الآذان بزواجر وعظه بقوله: "أيّها السادرُ في غُلَوائه، السادلُ ثوبَ خُيَلائه، الجامح في جَهالاته، الجانِح إلى خزعبلاته، إلام تستمرّ على غيِّك، وتستمرئُ مَرْعَى بغيك، وحتَّامَ تتناهَى في زهوِك، ولا تنتهي عن لهوك، تُبارزُ بمعصيتِك، مالكَ ناصيتِكَ، وتَجترئُ بقُبح سيرتك، على عالم سريرتك... أتظنُّ أن ستنفَعُك حالُك، إذ آنَ ارتحالُك، أو يُنقذك مالُك، حينَ تُوبِقُك أعمالُك، أو يُغني عنك نَدَمُك، إذا زلّت قدمك، أو يَعطِف عليك معشرُك، يوم يضُمُك محشرُك"[١].

"صحيح أنّ أبا زيد السروجي ليس نموذجاً للفضيلة، وأقواله وأفعاله تُخِلّ بأوامر الشريعة، غير أنّه قد يحدث أن ينطق بخطابات مفعمة بالتقوى ويسلك سلوك الإنسان النزيه"[٢]. ويتضمّن فحوى كلامه مغزىً مفيداً أحياناً. كما رأيناه في هذه المقامة والمقامات الوعظيّة الأخرى الّتي سنتحدّث عنها قريباً.

أطرف ما صنعه الحَريري في الوعظ والإرشاد كان في المقامة الدمشقيّة، حين يقدّم لنا أبا زيد السروجي خفيراً لقافلة، ونراه يخفرها لا بعينه، بل بدعوات طيّبات تطرّد على النسق التالي: "اللهمّ يا محييَ الرُفات[٣]، ويا دافعَ الآفات، ويا واقيَ المخافات، ويا كريمَ المكافات، ويا مَوئلِ[٤] العُفاة[٥]، ويا وليَّ العفو والمُعافاة، صلّ على محمّدٍ خاتَم أنبيائك... وأعِذْني من نَزَغات[٦] الشياطين... وحيلِ المحتالين... وأجِرْني اللهمَّ مِنْ جَوْرِ المجُاورين، ومجاورةِ الجائرين، وسطوة الجبّارين... وأخرِجني من ظلماتِ الظالمين، وأدخِلْني برحمتك في عبادك الصالحين، اللهمّ حُطْني في تُربتي[٧]، وغُربَتي، وغَيْبتي... واجعلْ لي من لدنك سلطاناً نصيراً..." [٨].

لاحظنا أنّ الحَريري ينحو نحو الوعظ والدعاء برشاقة عباراته وأسلوبه الخفيفة؛ ويتأثّر القارئ بقراءة هذه المواعظ والأدعيّة.

والمقامة الساويّة تتضمّن وقوف أبي زيد السروجي بالمقابر واعظاً، وتشتمل الخطبة الوعظيّة الّتي ألقاها أبو زيد السروجي في المقبرة، ودعوة الناس إلى ذكر الموت والاعتبار بمشهد الجنائز،

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٢.

(٢) عبد الفتّاح كيليطو، **المقامات**، ص ٢٠٩ – ٢١٠.

(٣) الرفات: العظام البالية. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، مج ١، ص ١٤٧.

(٤) موئل: ملجأ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٧.

(٥) العفاة: جمع عافٍ، وهو سائل العفو. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٧.

(٦) نزغات: الإفساد نزغ لشيطان بين القوم، أي أفسد ذات بينهم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٧.

(٧) حطني في تربتي: احفظني في بلدتي. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٧.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٠ – ١١١.

استغرابه من بعض الناس كيف لا يبكون على أمواتهم، ولا يحزنون على فقدان أحبّائهم، ولا يعتبرون بموت أعزّائهم؛ ثمّ يحذّر أبو زيد السروجي الإنسان من الموت، ويدعوه إلى فعل الخير بقوله: "فاذكروا أيّها الغافلون، وشمّروا أيّها المقصّرون وأحسِنوا النظرَ أيّها المتبصّرون، ومالكم لا يحزُنكم دفنُ الأتراب[١]، ولا يهولُكم[٢] هَيل[٣] التراب، ولا تَعبَئون[٤] بنوازل[٥] الأحداث، ولا تستعدُّون لنزول الأجداث[٦]، ولا تستعبرون[٧] لعينٍ تَدْمَع، ولا تَعتبرون بنعيٍ يُسْمَع..." [٨].

واعتنى الحَريري بموضوع الوعظ أيضاً في المقامة الرازيّة، وقام بوعظ الأمير، التعريض به ونهيه عن الجور والظلم، والرشوة والاغترار بعزّة ودعاه إلى التقوى والخوف من الله قائلاً: "ابن آدمَ ما أغراكَ بما يَغرُّك وأضراك بما يَضرُّك، وألْهَجَك[٩] بمن يُطغيك، وأبْهجَك بما يُطريك[١٠]... وتَرتَدي الحرص الّذي يُرْديك، لا بالكِفاف تَقتنع، ولا من الحرام تمتنع، ولا للعظات تستمع... يُعجبك التكاثـرُ بما لديـك... ولا تُبالي ألك أم عليك، أتظنّ أنْ ستُتْرَكُ سُدىً[١١]... كلاّ والله لا يدفعَ المنون[١٢] مالٌ ولا بنون، ولا ينفع أهلَ القبور، سوى العملِ المبرور... وأنّ ليس للإنسان ما سعَى وأنّ سعيَه سوف يُرى..." [١٣].

ونرى أبا زيد السروجي كيف يعظ الناس في المقامة الكرجيّة، ويخبرهم عن بؤسه وفقره، ومنزلته الرفيعة وماله ومكانته قبل فقره، ويحذّرهم من الدنيا وخداعها، ويطلب منهم أن يتّعظوا بحاله لأنّ السعيد من يتّعظ بـسـواه ويستعد لمثواه بقوله: "... فاعتبِروا بما بَدا مِن ضُرّي، باطنَ حالي وخَفيَّ

---

(١) الأتراب: الأصحاب المتقاربون في الموالد. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الحادية عـشرة: الـساويّة"، مج١، ص ١٣٧.

(٢) يهولكم: يفزعكم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٣) الهيل: الصبّ الكثير من أعلى إلى أسفل في مثل كدس الرمل، وعند صبّ التراب على الميّت تطير القلوب إشفاقاً وتسيل العيون رحمة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٤) تعبئون: تبالون وتهتمون. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٥) النوازل: جمع نازلة، وهي المصيبة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٦) الأجداث: القبور. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٧) تستعبرون: تبكون. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٧.

(٨) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨.

(٩) ألهجك: أشدّ حبّك. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، مج ١، ص ٢٤٥.

(١٠) يطريك: يمدحك في وجهك. والنفس ميّالة كثيرة الانخداع بمن يعظّم شأنها ويثني عليها، فـرارة ممّـن يحقّرهـا ويذمّها. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢٤٥.

(١١) سُدىً: مهمل. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢٤٧.

(١٢) المنون: المنيّة. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢٤٧.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٠ – ٢٠٢.

أمري... فإنّني كنتُ نبيهَ القدر... وتشتكي كومي[١] غداةَ أقْري[٢]، فَجرّدَ الدهرُ سيوفَ الغَدْر، وشَنّ غاراتِ الرزايا[٣] الغُبَرِ[٤]، ولمْ يَزَلْ يَسْحَتُني[٥] ويَبْري[٦] حتّى عَفَتْ[٧] داري وغاضَ[٨] دَرّي[٩]، وبارَ[١٠] سِعري[١١] في الوَرَى وشِعرِي، وصِرتُ نِضْوَ[١٢] فاقةٍ[١٣] وعُسْرٍ[١٤]... فليتعظِ العاقلُ بحالي، ولْيُبادرْ صَرْفَ الليالي، فإنّ السعيدَ مَنِ اتّعظَ بسواه واستعدَّ لمَسراه[١٥]..."[١٦].

كما تتضمّن المقامة الرمليّة وعظ أبي زيد السروجي للحجّاج في حال مسيرهم، وكونه حجّ في ذلك العام ماشياً. فيبيّن شروط وجوب الحجّ نحو: التوبة وإخلاص النيّة واجتناب الخطايا والحرام وإصلاح فعل العبد بينه وبين ربّه... ويدعو الحجّاج إلى العمل الصالح وأفعال البرّ الّتي تقرّب إلى الله والتواضع... كقوله: "يا معشرَ الحجّاج، الناسلين[١٧] من الفِجاج[١٨]، أتعقلون ما تواجهون، وإلى من تتوجّهون، أم تَدرون على مَن تَقْدَمون، وعلامَ تُقدِمون، أتخالون أنّ الحجّ هو اختيارُ الرواحل[١٩]، وقطعُ المراحل[٢٠]، واتّخاذ المحامل[٢١]... كلاّ واللهِ بل هو اجتنابُ الخطيئةِ[٢٢] قبل اجتلاب المطيّة، وإخلاصُ النيّةِ، في قصد تلك البنيّة..." [٢٣]. ويسحر الناس بكلامه.

---

(١) كومي: إبلي. والكوماء: الناقة العظيمة السنام. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٢.

(٢) أقري: أطعم الأضياف، أي تشتكي إبلي من كثرة ما أنحرها للضيفان. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٣) الرزايا: المصائب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٤) الغبر: الآتية في الزمان المحل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٥) يسحتني: يستأصل مالي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٦) يبري: يقطع لحمي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٧) عفت: درست. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٨) غاض: ذهب وجف. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(٩) دري: لبن إبلي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١٠) بار: كسد وضاع. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١١) سعري: سوقي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١٢) نضو: هزيل. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٢.

(١٣) فاقة: حاجة وفقر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١٤) عسر: ضيق حال. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١٥) مسراه: مثواه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٢.

(١٦) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٠ – ٢٥٢.

(١٧) الناسلين: المسرعين. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، مج٢، ص ٨١.

(١٨) الفجاج: الطرق. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(١٩) الرواحل: الإبل. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(٢٠) المراحل: المواضع يرحل إليها وينزل فيها. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(٢١) المحامل: آلات من خشب يركب عليها واحدها محمل. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(٢٢) الخطيّة: الذنب. يريد أنّ أوّل ما يجب على الحجاج أن يقدّموا التوبة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(٢٣) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٥ – ٣٢٦؛ البنيّة: الكعبة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

رأينا الأنماط المختلفة من الوعّاظ في العصر العبّاسي، فمنهم الواعظ الّذي لا يقصد بوعظه وإرشاداته سوى نيل العطاء الدنيوي، وهنالك الواعظ الّذي لا يرجو شيئاً إلاّ ثواب الآخرة ومثل ذلك.

محصّلة القول: إنّ الحَريري قد خصّص أكثر من عشر مقامات للوعظ والإرشاد. وتدلّنا كثرة المقامات الوعظيّة على أمرين، أوّلاً: قد يقصد الحَريري أن يخبرنا عن كثرة الجهّال في زمنه، وابتعاد الملوك والناس عن الله، والأعمال الحسنة، وتمسّكهم بالدنيا وما فيها. فلذلك كَثُر عدد الوعّاظ في العصر العبّاسي واهتمّوا بالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الهدى والتوجّه إلى الله. ثانياً: ثقافة الحَريري الدينيّة، لا سيّما في المقامة الرمليّة.

٢- الوَعظ والإرشاد في مقامات الحَميدي

اهتمّ الحَميدي بالموعظة والإرشاد كالحَريري، ونجد الوعظ في ثلاث مقامات: المقامة الأولى: في الملمّعة[١]، والمقامة الثانية: في الشيب والشباب[٢]، والمقامة الرابعة: في الربيع[٣]. وأفرد مقامة للوعظ وسمّاها الوعظ أيضاً وهي المقامة العاشرة[٤].

وفي المقامة الأولى يخطب باللغة العربيّة والفارسية ويعظ الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. ويدّعي أنّه ناصح أمين بقوله: "فاستمعوا يا رُفقةَ المسلمين ونُخبةَ المؤمنين فأنا لكم ناصح أمين"[٥].

ثمّ يخطب بلسان فصيح وبيان مليح، ويتكلّم عن حرام الله وحلاله، ويحذّر من نار العذاب والغفلة، ويدعو الناس إلى الوحدة، ويقول لهم إنّ الوقت ضيّق وعليهم أن يقدّروا لحظات عمرهم، وينشد أشعاراً ملمّعة منها: (بحر المضارع الفارسي = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

قَــدْ قامــتِ القيامةُ يا أيُّها النيامْ — هُبُّوا عَنِ المَنَامِ وكُفُّوا عَنِ الحَــرامْ
فالرمحُ حينَ يَختَلِسُ القِرنَ في اهتزازْ — والليثُ حينَ يَفتَرِسُ الصَّيْدَ فِي ابتِسامْ
فَالشَّيْبُ قَدْ تَبَلَّجَ والصُّبْحُ قَــدْ بَدا — يا قومُ قَــدْ نَصَحْتُكُمُ اليومَ والسَّــلامْ[٦]

وتدور المقامة الثانية حول المناظرة بين شيخ وفتى، ينصح الشيخ الفتى باحترام الشيوخ والكبار في العمر، وعدم الجدال مع العلماء والفضلاء، ومساعدة الفقراء والأسراء. ثمّ ينشد أشعاراً وينصح فيها الفتى قائلاً: (بحر السريع)

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٨.
(٢) حميدي، م.ن، ص ٣٣ – ٣٥.
(٣) حميدي، م.ن، ص ٤٤ – ٥٠.
(٤) حميدي، م.ن، ص ١٠٥ – ١٠٨.
(٥) حميدي، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.
(٦) حميدي، م.ن، ص ٢٨ – ٢٩.

اِسْمَعْ نِدائي فَندائِــــي مَلِيــــحْ وَمَنْطِقِي جَزْلٌ ولَفظي فَصيــحْ
وَاستَمِعِ الشَّيْـبَ إذا مَـــا دَعــا بِلَفظَـــةٍ فِيهــا نِــداءٌ صَرِيــحْ
أَنْذَرَك الشَّيْبُ فَخُــــذْ نُصْحَـــهُ فإنّمــا الشيــبُ نذيــرٌ نَصيــحْ
وعِلّةُ الشَّيْبِ إذا مَـــا اعتَــدَتْ أَعيَتْ وَلَوْ كانَ المُداوي المَسيحْ
لا تَحسَبِ الشَّيْبَ صُموتَ اللُّهَــى بَعْدَ الّذي فيعارِضَيْكُم يَصيــحْ
وداوِ بالعــــذرِ قُبَيْـــلَ الــرَّدى وآخِــرُ الأدواءِسَيْــفٌ مُرِيــحْ[١]

ويعظ الحِمَيدي الإنسان في المقامة الرابعة ويدعوه إلى التفكّر في الصورّ والبعث، وقدرة الله، ويتمثّل صورّ الإنسان وبعثه مرّة أخرى بالنباتات ويستشهد بالآيات القرآنيّة: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[٢].

ويدعو الإنسان إلى النظر في السماوات والأرض والاعتبار بها: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣]. ويقول: "آن كه اين نبات اموات را نشرداند كرد، عِظام رُفات را حشر تواند كرد؛ وآن كه از گِل سياه گلُ وگياه بردماند، احياى اين اجسام هم تواند وداند"[٤].

ترجمة الشاهد

مَن يقدر أن يُحيي هذه النباتات الميتة، قادر على إحياء العظام الرفات؛ ومن ينبت من الطين الأسود الزهور والنباتات، قادر على أن يحيي هذه العظام أيضاً وعليم بها.

ويستشهد بالآيات القرآنيّة أيضاً منها: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٥]، ثمّ يقول: "فإن الّذي يحيي الأرض بعد موتها يُنشئ العظام بعد فوتها"[٦]. ويضيف في آخره: "غلام آنم كه چشم عبرت گيردارد ودل پند پذير"[٧].

ترجمة الشاهد

أنا عبدٌ لمن يعتبر بالعين ويقبل قلبه النصيحة.

وأمّا في المقامة العاشرة فنجد البطل يظهر على هيئة شيخ واعظ ويعظ الناس ويدعوهم بألاّ يرضوا بذلّة النفس والاحتقار أمام الآخرين. وأن يحتفظوا بكرامة أنفسهم وألاّ يكونوا مغرورين أمام زخرفات الدنيا. ثمّ ينصح في قالب شعري بالعربي والفارسي قائلاً: (بحر الكامل)

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٥.
(٢) الروم، ٣٠/٥٠.
(٣) الأعراف، ٧/١٨٥.
(٤) حميدى، م.س، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.
(٥) يس، ٣٦/٧٩.
(٦) حميدى، م.س، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.
(٧) حميدى، م.س، ص ٤٦.

الحُـرُّ لا يَرْضَـى بِذِلّةِ نَفْسِهِ ... وبِمَا يُؤَخِّرُ يَومَه مِن أمْسِهِ
وقَذاةِ مَشْربِه وكُدْرةِ حالِه ... وأُفُولِ كَوكبِه وكِسْفَةِ شَمْسِهِ
وبِخَوفِ نازِلةِ المَذَلّةِ بَغْتَةً ... ولَرُبّما نَزَلَ الكريمُ بِرَمْسِهِ[1]

ثمّ يضيف بلسان فصيح وبيان صريح: "اى مسلمانان هركه را در سر سودايى است بدانيد كه امروز را فردايى است. بدان خدايى كه اين افلاك را برپاى بداشت واين املاك را برجاى، كه هرحَسَنه رامكافاتى است وهر سيّئه را مجازاتى. هر حلالى را حسابى وهر حرامى را عذابى، وهر يك را مرجعى ومآبى..." [2].

ترجمة الشاهد

أيّها المسلمون اعلموا أنّ هناك عَالَمٌ آخَرَ بعد هذه الدنيا، وأقسم بمن استوى على هذا العرش، ورفع هذه الأفلاك، وبنى هذا الملك، كلّ حسنة لها ثواب، وكلّ سيئة لها عقاب، وكلّ حلال له حساب، وكلّ حرام له عذاب، ولكلّ منه مرجع ومآب...

ويُردِف وبقوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[3]. ثمّ ينشد: (بحر السريع)

يا عارفَ الدُّنيا وأسرارِها ... مَنْ عَرَفَ الدُّنيا لَمَا اختارَها
لا تَلْزَمِ النفسَ إذا مَا اشتَهَتْ ... إذْ هِيَ لا تَعْلَمُ أخطارَها
مَا التَفَتَتْ نفسٌ إلى راحةٍ ... لَوْ عَرَفَ الأنفُسُ مقدارَها[4]

وأخيراً ينصح الفقراء بعدم الاهتمام بالأكل، ويدعوهم إلى الفرح قائلاً: "اى تهى شكمان بى روزه، خوش باشيد كه أجوع يوماً وأشبع يوماً صفت انبيا ونعت اولياست... فرعون لينم روزى هزار برّه بر خوان مى نهادى وموسى كليم از گرسنگى نداى ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[5] در مى دادى، كه نه از آن عزّت، هزتّى تقاضا مى كرد ونه از اين قلّت، ذلّتى"[6].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٥.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٣) **النجم**، ٥٣/٣١.

(٤) حميدى، م.س، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٧.

(٥) **القصص**، ٢٨/٢٤.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٧.

يا أيّها الفقراء الفارغو البطون الصائمون بلا صيام، افرحوا لأنّ الحكمة تقول أجوع يوماً وأشبع يوماً كان صفة الأنبياء ونعت الأولياء... وفرعون اللئيم كان يضع على مائدته ألف خروف مشوي كلّ يوم، وموسى كليم الله كان ينادي الله من شدّة الجوع: ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. فلا تلك الوفرة والنعمة تدلّ على العزّة، ولا هذه القلّة والنقمة تدلّ على الذلّة.

* * *

من خلال ما تقدّم نستنتج الأمور التالية:

– أنّ الحَميدي قام بتقليد ومعارضة الحَريري، فوضع مقامتين وعظيّتين: المقامة الأولى والمقامة العاشرة. كما أنّه وعظ الناس وأرشدهم إلى الأعمال الحسنة واحترام الشيوخ والكبار والالتزام بالأدب، خلال المناظرة بين الشيخ والفتى في المقامة الثانية. كما اهتمّ بالوعظ والإرشاد مرّة أخرى في المقامة الرابعة وذلك خلال وصف الطبيعة.

– قد أفرد الحَريري أكثر من عشر مقامات للوعظ والإرشاد، ولكنّ الحَميدي قد اختصّ مقامتَين بالوعظ. وفي سائر مقاماته أو في المقامة الثانية وعظ الناس أثناء المناظرة بين الشيخ والفتى، كما وعظ الناس في المقامة الرابعة أثناء وصفه للطبيعة. وهذا الأمر يدلّنا على أنّ الحَميدي قد قصد بهذه المواعظ والإرشادات محاكاة الحَريري.

ثانياً– الموضوعات الأدبيّة واللغويّة في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر الحَريري أوّلاً ثم ننتقل إلى الحَميدي.

أ– الموضوعات الأدبيّة واللغويّة في مقامات الحَريري

شغف الحَريري بموضوع آخر يتّصل بالحياة الأدبيّة واللغويّة، وقد خصّه باثنتي عشرة مقامة، ولعب فيها بالألفاظ بأشكال مختلفة، وبطريقة مدهشة. وأثبت مهارته البيانيّة، وقدرته البلاغيّة فيها بأجمل صورة؛ كإنشاء رسالة تُقرأ من أوّلها بوجه، ومن آخرها بوجه، أو رسالة تتكوّن من كلمات معجمة وأُخرى مهملة، أو رسالة يراعي تأليفها تتابع الإهمال والإعجام بين الحروف من غير إخلال، إلى مثال ذلك.

وفي الحقيقة، "من الصعب تصوّر أيّة مشاق في التأليف قد كلّفتها هذه الحذلقات العسيرة، وإنّه يَشقّ على الإنسان الجادّ أن يرى كلّ هذه الجهود تُهدر عبثاً كي لا يكون المرء سوى أضحوكة. لكن معاصري الحَريري لم يكونوا يحكمون على الأمور مثلنا"(1). من هذه الألاعيب اللفظيّة كلّها في مقامات الحَريري:

---

(1) E, Renan, *Les Se'ances de Hariri*, p. 299.

– التزم الحَريري في المقامة المراغيّة أن تكون حروف كلمةٍ منقوطةً وحروفها الثانية غير منقوطة، كقوله: "الكَرَم ثَبّتَ اللهُ جيشَ سُعودِك يَزين، واللُّؤمُ غَضَّ الدهرُ جَفْنَ حسودِك[١] يَشين"[٢].

– ثمّ انحرف عن هذه اللعبة الصعبة، وعرض لعبة جديدة لا تكاد تخطر ببال أحد، وهي لعبة ما لا يستحيل بالانعكاس، وتلك في المقامة المغربيّة، على هذه الشاكلة: "ساكِبُ كاس"[٣] فيمكننا أن نقرأ طرداً وعكساً بدون أن تتغيّر حروفها، وعرض أمثلة نثريّة وشعريّة علينا. وأمّا الأمثلة النثريّة، فمنها: "لُمْ أخاً مَلّ"[٤] أو "كَبّرْ رَجاءَ أَجْرِ رَبّكَ"[٥]. وأمثلة شعريّة، نحو: (بحر مجزوء الرجز)

أُسْ أرْمَلاً إذا عَرَا وَارْعَ إذ المَرءُ أسَا[٦]
أسْنِدْ أخَا نَباهَةٍ أبِنْ إخاءً دَنّسَا[٧]
أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ مُشاغِبٍ إنْ جَلَسَا[٨]
أُسْرُ إذا هَبَّ مِراً وارْمِ بِهِ إذا رَسَا[٩]
اسْكُنْ تقَوَّ فَعَسى يُسْعِفُ وقتٌ نَكَسَا[١٠]

لقد اختار المفردات الصعبة والمتكلّفة، وأبدع إبداعاً فنيّاً في النثر وليس في الشعر. أمّا هذه التركيبات القائمة على التلاعب بالألفاظ فليس لها علاقة بالأدب أبداً، غير أنّها كانت مقبولة في بعض المجتمعات الّتي تؤخذ بظاهر الأشياء. وهو يعدّ من أمهر اللاعبين بالألفاظ في الأدب العربي.

---

(١) قوله غضّ الدهر جفن حسودك: يقال غضّ جفنه أي سدّ عينه، دعاء عليه بالعمى، يقول الكرم يزين صاحبه، واللؤم وهو البخل يشينه ويعيبه، ثمّ دعا له بدوام السعد وثبوته، وبعمى عين الحسود، حتّى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٧٣ – ٧٦.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٥.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٢.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ١٥٣.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ١٥٣.

(٦) معنى البيت: أعطِ الفقير إن قصدك، وإن أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حقّ الصحبة. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩١.

(٧) صاحِبْ من يشرفك بذكره الجميل، وباعِدْ من يدنّس عرضك. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٩٢.

(٨) لا تقرّب منزل ظالم ومسارع للشرّ. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٩٣.

(٩) معنى البيت: إذا تعلّق بك وهبّ عليك جدال، من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة، وباعِد المراء، وفارق موضع الجدال وباعده، وإذا سكن الخلاف بين القوم، فارمِ أنت به، واتركه. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٩٣.

(١٠) الحريري، م.س، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٤ – ١٥٥؛ معنى البيت: لا تبادرْ إلى الجدال، والزم السكون، حتّى يتقوّى نظرك ويظهر لك صوابك، فعسى يوافقك على الإصابة يحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب، لو التزمت الجدال. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٩٣ – ١٩٤.

– أظهر مهارته البيانيّة مرّة أخرى في المقامة القهقريّة، وألّف مقامة ذات وجهين، وتقرأ على طريقين، وهي رسالة تُقرأ كلماتها من آخرها إلى أوّلها كما تُقرأ من أوّلها إلى آخرها. أو بعبارة أخرى تقوم على الطرد والعكس. وهي تعدّ مقامة حكميّة تشتمل مائة كلمة على النحو التالي: "الإنسانُ صنيعةُ الإحسان"[1]، فيمكننا أن نقرأها: الإحسان صنيعة الإنسان.

وأمثلة أخرى نحو: "صدقُ الحديثِ حليةُ اللسانِ"[2]، فيمكننا أن نقرأها: حلية اللسان صدق الحديث، أو "خلوص النيّــة خُلاصةُ العطيّة"[3]، فيمكننا أن نقرأها: خلاصة العطيّة خلوص النيّــة، أو "فضــلُ الصدر سَعةُ الصدر"[4]، فيمكننا أن نقرأها: سعة الصدر فضل الصدر.

والجدير ذكره أنّ هذه المقامة تقوم على الطرد والعكس في الكلمات لا في الحروف، كما لاحظنا ذلك.

– عبّر الحَريري عن قدرته ومهارته اللغويّة مرّة أخرى في المقامة الرقطاء، ونثّر حيناً ونظم حيناً آخر، ولعب بالألفاظ في هذه المقامة الّتي تتكوّن من كلمات راعى فيها تواليَ حروفها بالتبادل بين النقط وعدم النقط. ويبدو أنّ الحَريري سمّى هذه المقامة بالرقطاء بسبب نوع الفنّ المستخدم فيها. وهي على النمط التالي: "أخلاق سيّدنا تُحَبُّ[5]، وبِعَقْوَتِه يُلَبّ[6]، وقربُه تُحَف[7]، ونأيُه تَلَفَ[8]، وخُلَّتُه نَسَب[9]، وقطيعته نَصَب[10]، وغَرْبُه ذَلِق[11]، وشُهُبُه تَأْتَلِق[12] ...وبقوله: (بحر الخفيف)

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، ص ١٦٣.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ١٦٤.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ١٦٤.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ١٦٤.

(٥) أخلاق سيّدنا تحبّ: حسن أخلاق الإنسان من كمال سعادته وكرم فضيلته. وكان رسول الله (ﷺ) يقول: اللهمّ كمـا حسنت صورّي فحسّن صورّي؛ مع أنّ الله عزّ وجلّ يقول فيه: وإنّك لعلى صورّ عظيم. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٣٢.

(٦) بعقوته يلبّ: بمنزلة يقام لحماية الممدوح، من يلوذ به وإكرامه له. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٢.

(٧) قربه تحف: من قرب منه أتحفه وهاداه، ومن بَعُد منه فقد الأمن فهلك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٢.

(٨) النأي: البعد، ولمّا كان القرب سبباً للتحف، والنأي سبباً للتلف. جعل نفس القرب والبعد همـا الحيـاة والمـوت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٢.

(٩) خلّته: صداقته. ونسب: هو للصديق بمنزلة النسيب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٢.

(١٠) قطيعته نصب: عدواته همّ وتعب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.

(١١) غربه: حدّه. ذلق: حاد. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.

(١٢) شهبه: نجومه يعني أخلاقه ومكارمه. تأتلق: تضيء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.

سَيِّـدٌ قُلَّـبٌ سَبُـوقٌ مُبِـرٌّ[١]   فَطِنٌ مُغْرِبٌ[٢] عَزوفٌ[٣] عَيوفُ[٤]
مُخْلِـفٌ مُتْلِـفٌ أغَـرُّ فَرِيـدٌ   نابهٌ[٥] فاضِـلٌ ذَكيٌّ أنُـوفُ[٦]

– استعمل الحَريري فناً رائعاً في المقامة السمرقنديّة، وفيها يرتقي أبو زيد السروجي منبر مسجد، ويخطب للناس خطبة، كلّ كلماتها غير منقوطة قائلاً: "الحمد لله الممدوح الأسماء، المحمودِ الآلاء، الواسع العطاء، المدعوّ لِحَسْم اللأواء[٧]، مالكِ الأمم، ومصوّر الرمم، وأهل السماح والكرم... أحمده حمد موحّدٍ مُسْلمٍ، وأدعوه دعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّم، وهو الله لا إله إلاّ هو الواحد الأحد، العادل الصمد، لا ولد له، ولا والد... اعملوا رحمكم الله عَمَلَ الصُّلحاء، واكدَحُوا[٨] لمعادكم كدْحَ الأصحّاء، واردَعوا[٩] أهواءكم رَدْعَ الأعداء، وأعدّوا للرحلة إعداد السعداء... وأسأله الرحمةَ لكم ولأهل ملّة الإسلام، وهو أسمحُ الكرام، والمسلِّم، والسلام"[١٠].

كما أنّه يجرّب هذه اللعبة أيضاً في المقامة الواسطيّة، في قالب خطبة عسيرة على هذا النحو: "الحمدُ لله الملكِ المحمود، المالكِ الودود، مصوّر كلِّ مولود، ومآل كلّ مطرود، ساطح المِهاد[١١]، ومُوَطِّد الأطواد، ومرسِل الأمطار، ومسهّل الأوطار[١٢]، عالِم الأسرار ومُدركها، مُدمّر الأملاك[١٣]... وهو الله لا إله للأمم سِواه، ولا صارع[١٤] لما عَدَّ لَه وسَوّاه، أرسل محمّداً علماً للإسلام، وإماماً

---

(١) مبر: غالب لأعدائه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٣٣.
(٢) مغرب: يأتي بالغرائب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.
(٣) عزوف: نزيه النفس، بعيد من الريب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.
(٤) عيوف: كاره للدنايا. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٣.
(٥) نابه: رفيع الذكر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.
(٦) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٤ – ٢٦٥؛ أنوف: كثير الحميّة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.
(٧) حسم اللأواء: قطع الشدة. الشريشي، م.ن، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، مج٢، ص ٤٩.
(٨) اكدحوا: اعملوا، والكدح: عمل إنسان من خير وشرّ، واكتسابه للدنيا والآخرة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٥٠.
(٩) اردعوا: كفوا. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٥٠.
(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٧ – ٢٩٢.
(١١) ساطح المهاد: باسط الأرض. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٤.
(١٢) الأوطار: الحاجات. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٦٤.
(١٣) مدمّر الأملاك: مهلك الملوك. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٦٤
(١٤) صادع: مفسد. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٦٥.

للحكّام... اعملوا رعاكم الله، أصلحَ الأعمال، واسْلكوا مسالك الحلال، واطّرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعُوه..."[١].

– وأبدع الحَريري فنّاً آخر في المقامة الحلبيّة، وعرض نماذج مدهشة شعريّة، فعشر مقطعات من الأبيات في كلّ مقطعة تلاعب لفظيّ، فبعضها منقوط، وبعضها غير منقوط، ومن مثال المنقوطة قوله: (بحر الخفيف)

فَتَنَتْنـي فَجَنَّنَتْني[٢] تَجَنّـى[٣] بِتَجَـنٍّ يَفْتَـنُّ غِـبَّ تَجَنّـي[٤]

أو في الشعر التالي: (بحر مخلّع البسيط):

إسْمَـحْ فَبَـثُّ السّمـاحِ زَيْـنٌ ولا تُخِـبْ آمِـلاً تَضَيَّـفْ[٥]

ثمّ أضاف نموذجاً آخر إليه يقوم على التجنيس الخطّي بين الكلمات، بحيث لو نحذف النقط منها تراءت متماثلة نحو: (بحر الخفيف)

زَيَّنَـتْ زَيْنَـبٌ بِقَـدٍّ يَقُـدُّ[٦] وتَـلاهُ وَيْـلاهُ نَهْـدٌ يَهُدُّ[٧]

ونظم بيتين تتجانس فيهما بدايتهما ونهايتهما إذ قال: (بحر السريع)

سِـمْ سِمَـةً تَحْسُـنُ آثـارُهـا واشْكُرْ لِمَنْ أعطَى ولو سِمْسِمَهْ[٨]

والمكرُ مَهْما اسْطَعْـتَ لاَ تأتِـهِ لِتَقْتَنـي السُّـؤْدَدَ والمكرُمَـهْ[٩]

---

[١] الحريري: **المقامات**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠٢ – ٣٠٤؛ عوه: احفظوه. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٥.

[٢] فتنتني: عذبت قلبي. الشريشي، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٥٩.

[٣] جنّنتني: صيّرتني مجنوناً. تجنّى: اسم امرأة: الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥٩.

[٤] الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٦.

[٥] الحريري، م.س، ص ٥٢٨؛ تضيّف: طلب منك أن تضيّفه. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦١.

[٦] يقدّ: إنّما أراد بقد ينقد أي ينقطع لرقّة خصره، فعرض منه يقدّ لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٢.

[٧] الحريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٩؛ تلاه: تبعه. يلاه: دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهد ألاّ يصبر عنه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٢.

[٨] سم: علم. سمة: علامة. سمسمة: حبّة جلجلان. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٥.

[٩] الحريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣١؛ تقتني: تكتسب. السؤدد: الشرف. المكرمة: الكرامة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٥.

- أنشد الحَريري عشرة أبيات في قالب قصيدة في المقامة الشعريّة، وحذّر الناس فيها من الدنيا، ولعب بالألفاظ في الأشعار، والتزم في داخلها قافية غير القافية الخارجيّة. والقارئ لا يفهم شيئاً من ظاهر القصيدة، إلاّ أنّ هذه القصيدة تدلّ على قدرة الكاتب الفنيّة في النظم. وفي الواقع دلَّلَ الحَريري على مقدرته في النظم بقوله: (بحر الكامل)

يا خاطِـبَ الدُّنيـا الدَّنيَّـةِ إنَّها ... شَرَكُ الرَّدَى وقَرارَةُ الأكْـدارِ (١)
دارٌ مَتَى مَا أضْحَكَتْ في يَوْمِها ... أبْكَتْ غَداً بُعْداً لهـا مِـنْ دارِ
غاراتُهـا مَـا تَنْقَضِي وَأسيرُها ... لا يُفْتَـدَى بِجَلائـلِ الأخْطـارِ
وَاقْطَـعْ عَلائِقَ حُبِّها وطَلابِهـا ... تَلْـقَ الهُدَى ورَفاهَـةَ الأسرارِ (٢)
وَاعلَمْ بِأنَّ خُطُوبَها تَفْجَا ولَـوْ ... طالَ المَدَى وَوَنَتْ سُرَى الأقْدارِ (٣)

فيمكن أن تنشد القصيدة كلّها على هذا النمط: (بحر مجزوء الكامل)

يـا خـاطِـبَ الدُّنْيـا الدنيَّـ ... ـةِ إنَّهـا شَـرَكُ الرَّدى
دارٌ مَتَـى مَـا أضْحَكَـتْ ... في يَوْمِهـا أبْكَـتْ غَـداً
غاراتُهـا مَـا تَنْقَضِـي ... وَأسيـرُهـا لا يُفْتَـدَى
وَاقْطَـعْ عَلائِـقَ حُبِّهـا ... وطَلابِهـا تَلْـقَ الهُـدَى
وَاعلَـمْ بِـأنَّ خُطُوبَها ... تَفْجَـا ولَـوْ طالَ المَـدَى

لقد حشا الحَريري **مقاماته** بهذه الألاعيب اللفظيّة الّتي تذهب ببراعة الاستدلال، وقوّة التعمّق في الموضوع، وأظهر براعته اللغويّة ومقدرته الفنيّة، فحلاّها بأغرب أنواع البديع، وملأها بضروب عجيبة غريبة من أنواع الكلام. ولعلّه تفوّق على الخطباء المشهورين في عَصْرِهِ، أو قبله، وأثبت أنّه ليس أقلّ منهم شأناً في اللعب بالألفاظ.

أتى الحَريري في **مقاماته** من التلاعب بالصناعات اللفظيّة، بما يتضمّن مشقّة من الصناعة، بيد أنّه خارج على باب الفصاحة والبلاغة، لأنّ "الفصاحة هي ظهور الألفاظ مع حسنها، وكذلك البلاغة،

---

(١) الردى: الهلاك. قرارة: موضع يستقرّ فيه الماء. الأكدار: ما يتكدّر به الماء الصافي. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج ١، ص ٢٧١.

(٢) الأسرار: البواطن. يريد أنّ سرّ الإنسان وخاطره إذا قطعَ علائق الدنيا كان مترفهاً خالي السرّ والبال. الشريشي، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ١، ص ٢٧١.

(٣) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٣ – ٢٢٥؛ خطوبها: أمورها. تفجأ: تأتي على غفلة. ونت: فترت. السرى: مشي الليل. الأقدار: ما يقدّره الله على العبد من خير أو شرّ، فيقول: إذا أمنتك الدنيا من مكرها، فلا تأمنها، فخطوبها تأتي على غفلة بعد أمد طويل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٧١.

فإنّها الانتهاء في محاسن الألفاظ والمعاني"[١]. فهذه الألاعيب اللفظيّة لا تفيد، ولا يجدي معناها شيئاً أو اللفظ أيّ جدوى، اللهمّ إلاّ التكلّف، وإنّما تأتي ومعانيها غثّة باردة، وإن تضمّنت مشقّة في صناعتها ورصفها في قوالب ذكيّة بارعة الشكل.

- تدلّنا هذه المقامات الأدبيّة واللغويّة على مقدرة الحَريري الفنّيّة وبراعته اللغويّة، وتفوّقه على كتّاب المقامات القدماء والمحدثين.

- لا جدوى من هذه الألاعيب اللفظيّة سوى التكلّف.

وما هو حريّ بالذكر أنّ الناس ابتعدوا عن قراءة المقامات الحَريريّة بسبب هذه الألاعيب اللفظيّة والكلمات الصعبة والعجيبة والغريبة.

ب- الموضوعات الأدبيّة واللغويّة في مقامات الحَميدي

ألّف الحِمَيدي مقامات حول الموضوعات الأدبيّة واللغويّة، بيد أنّه لم يهتم بالألعاب اللفظيّة كالحَريري. وأظهر قدرته الفنّيّة في الإنشاء، وذوقه وقريحته في اللعب بالألفاظ كالحَريري، واكتفى بذكر نموذج واحد عن لعبة ما لا يستحيل بالانعكاس الّذي ليس له معنىً، وذلك في المقامة الخامسة على النحو التالي: "تزكين مرك يار راى كرم نيك زن"[٢]، فيمكننا أن نقرأ هذه العبارة طرداً وعكساً بدون أن تتغيّر حروفها. ولم يعرض الحِمَيدي أمثلة أخرى نثريّة أو شعريّة.

واعتنى الحَميدي في أغلب مقاماته الأدبيّة بالشعر والجمل الخياليّة كثيراً، وغلب النظم على النثر، كما نلاحظ ذلك في المقامة الرابعة: في الربيع[٣]، والمقامة الخامسة عشرة: في المجنون[٤]، والمقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ[٥]. فنذكر نماذج من هذه المقامات الأدبيّة، نحو: "بنفشه خطيب جامه سبز پوشيده وعمامه نيلوفرى بر سر نهاده، چون متفكّران سربر زانو نشسته، وچون معيوبان سر در گريبان كشيده..."[٦].

ترجمة الشاهد

لبست وردة الثالوث – البنفسج – رداء أخضر كالخطباء، ووضعت على رأسها عمامة نيلوفريّة، وجلست كالمتفكّرين ورأسها على ركبتيها، ووضعت رأسها على تلابيبها كالمشلولين...

---

(١) ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ٣، ص ٢١١.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٤٧ – ٤٩.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٤١ – ١٤٥.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٥٩ – ١٧١.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٧.

"وگل سرخ چون گوهر درفشان ازكان بدخشان سر برآورده وياقوت رمّانى وجوهر عمّانى را زبون كرده، زبان به سؤال وجواب گشاده واين خطاب درداده كه: آتش در نفت زنيد كه دولت، دولت ماست ونوبت باغ هفت زنيد كه نوبت، نوبت ماست. بستان بى روى ما اغبراست وچمن بى بوى ما ابتر است..."(١).

ترجمة الشاهد

ظهرت الوردة الحمراء من منبتها كالجوهر المضيء، وحقّرت الياقوت الرمّاني والجوهر العمّاني، وبدأت بالسؤال والجواب، فقالت: احتفلوا وزيّنوا الأزقّة والشوارع، لأنّ السعادة، سعادتنا، وجاء دورنا. والحديقة بدون وجهي كَدِرَة والخضرة بدون رائحتي بتراء.

أو "اگرچه، هشيارى مقرّ فضلاست، ديوانگى مفرّ عقلاست كه آن كه از صحبت دل بپرهيزد، در حريم عقل چگونه آويزد؛ باعقيله ديوانگى نشستن به از آنك پيرايه عقل برخود بستن..." (٢).

ترجمة الشاهد

على الرغم من أنّ العقل مقرّ الفضلاء، ولكنّ الجنون مفرّ العقلاء، ومن يجتنب صحبة القلب، كيف يمكنه أن يعيش بعقله؛ ومصاحبة عقليّة المجانين أحسن من الإدّعاء بالعقل.

كما ينشد شعراً، بقوله: (بحر البسيط)

يا غُلّةَ الشّوقِ في أثناءِ أغلالي   لا تُرخصيني فَمثلي يُشترَى غَالي
هذا الغُلوُّ إلى كَمْ في احتِساءِ دَمي   فإنّني في هَواكُم عاشِقٌ غالي(٣)

أو حين يصل الراوي إلى مدينة بلخ، ويرى جمالها ويعجبه هواؤها وأشجارها وأزهارها وتربتها ونسيمها يصفها شعراً بأسلوب أدبي، ويشبّهها بالجنّة قائلاً: (بحر البسيط)

حسبتُها جَنّةً في الحُسنِ طَيِّبةً   أغصانُ أشْجَارِها مَوْشيَّةُ الوَرَقِ
رَأيتُ أزْهارَها بالطّلِّ مُمتَزِجاً   كَأنّهَا خَدُّ حَوْرٍ حُفَّ بالعَرَقِ
نَسيمُ سُحْرَتِها مِسكٌ وتُربَتُها   كَأنّها مُزِجَتْ بالعنبرِ العَبِقِ(٤)

فلا نلاحظ في هذه العبارات مفرداتٍ صعبةً ومتكلّفةً، خلافاً للمقامات الحَريرية الّتي مُلِئت بالمفردات الصعبة، إنّما استعمل الحَميدي المفردات السلسلة، واجتنب استعمال المفردات الغريبة والعجيبة. فلهذا أسلوبه في الإنشاء سهل ممتنع.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٤.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٤٣.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦١.

وقد تجسّم هذا الأديب الفارسي بعض المشاهد والمناظر بالإيجاز، وفي قالب تشبيهات جميلة وتعابير مليحة، وفي غاية الفصاحة والبلاغة. والقارئ حين يقرأ هذه الأوصاف، يستحضر هذه المشاهد والمناظر الطبيعيّة، ويحسّها إحساساً عميقاً. كما أنّه يصف دخول البطل على النحو التالي: "شيخ از حجره به در آمد، عصايي درمشت وانحنايي درپشت، كوژتر ازهلال وسياه تر از بلال، در نهايت ضعيفي وغايت نحيفي. به آوازى نرم ونفسى گرم برقوم به سلام مبادرت كرد"[1].

ترجمة الشاهد

خرج الشيخ من الدكّان، وبيده عصا، وكان ظهره مُحْدَوْدِباً، وأكثر انحناء من هلال القمر، وأكثر سواداً من بلال الحبشي، وفي غاية الضعف. سلّم على القوم بصوت ناعم ونفس حارّ.

- لا نجد في **مقامات الحَميدي** الألاعيب اللفظيّة، إلاّ لعبة ما لا يستحيل بالانعكاس، وتلك عبارة واحدة بدون معنى، تقليداً ومعارضةً للحَريري.

- اعتمد الحَميدي المفردات السلسة، واجتنب استعمال الألفاظ الصعبة على خلاف الحَريري.

ثالثاً- الموضوعات العلميّة في مقامات الحَريري والحَميدي

يتناول هذا المبحث الموضوعات العلميّة لدى الحَريري والحَميدي، فنتحدث فيه عن الفقه، ثمّ عن موضوعات علميّة خاصّة بالحَريري أي النحو والأحاجي النحويّة، ونعرض موضوعات علميّة خاصّة بالحَميدي أي الطب والنجوم، والتصوّف. والجدير بالذكر أنّ الحَميدي لم يتحدّث في النحو والأحاجي النحويّة، وكذلك الحَريري ليس لديه مقامة خاصّة بالطب والنجوم والتصوّف. [وخصّصنا القسم الثاني لموضوعات علميّة خاصّة لدى الحَريري، وكذلك خصّصنا القسم الثالث والأخير لموضوعات علميّة خاصّة لدى الحَميدي.]

أ- الفقه في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بالمقامات الفقهيّة لدى الحَريري، ثمّ الحَميدي.

١- الفقه في مقامات الحَريري

أفرد الحَريري مقامتين للمسائل الفقهيّة، هما المقامة الفرضيّة والطيبيّة. وأمّا المقامة الفرضيّة[2] الّتي تعدّ المقامة الخامسة عشرة، فهي ترتبط بمشكلة الإرث، والميراث وحصص الورثة، ويقوم أبو زيد السروجي نفسه بحلّها أيضاً. والمقامة الثانية والثلاثون الّتي سمّاها الحَريري الطيبيّة، تحتوي على مائة مسألة فقهيّة ملغزة، وأجوبتها الّتي يتلقّاها أبو زيد السروجي؛ لأنّه يدّعي أنّه فقيه عالم بالشؤون الدينيّة ويقول: سلوني عن المعضلات، واستوضِحُوا منّي المشكلات، فوالّذي فَطَرَ السماءَ،

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٢ – ١٥٠.

وعلَّم آدمَ الأسماءَ، إنّي لَفقيهُ العربِ العَرباء..." [١]. فيلقي عليه فتى طليق اللسان مائة مسألة فقهيّة، فيجيبها أبو زيد السروجي جميعها من فوره، في حين يفسّر في أثنائها الكلمات العجيبة والغريبة، على النحو التالي:

أ- سأل فتى: "أيجوزُ الوضوءُ ممّا يقذفُه الثعبان"؟

أجاب السروجي: "وهل أنظفُ منه للعُريان. والثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي" [٢].

ب- "قال: أيُستباحُ ماءُ الضَّرير؟ قال نعم، ويُجتنبُ ماءُ البصير. والضرير: حرف الوادي، والبصير: الكلب" [٣].

ج- "قال: ما تقول في بيع الكُمَيْت؟ قال: حرام كبيع الميْت. والكميت الخمر" [٤].

د- "قال: أيَحِلّ التكسُّبُ بالطَّرْق؟ قال: هو كالقِمار بلا فرق. والطرق: الضرب بالحصى، وهو من أفعال الكهنة" [٥].

فجمع الحَريري المسائل الفقهيّة، والإجابة عنها، ورصّها رصّاً. كما ذكر في هذه المسائل كلّها كلمة لها معنى معروف، وأراد بها معنى لغويّاً غير معروف، فواضح أنّه احتال في السؤال حيلة لغويّة.

وفي المقامة الفرضيّة يُسأل عن موجبات التوارث وقد كملت لوارث ومع هذا لم يرث أخوه، ويفتي أبو زيد السروجي في هذه القضيّة كما يلي: (بحر الخفيف)

رَجُلٌ مَــاتَ عَنْ أخٍ مُسْلِمٍ حُـــ ـــرٍّ تَقِــيٍّ مِــنْ أُمّــهِ وأبيهِ [٦]

ولَهُ زَوْجَــةٌ لَهــا أيُّهَـــا الحِبــ [٧] ـــرُ أخٌ خالِصٌ بِلا تَمْوِيـــهِ [٨]

---

[١] الحريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّـــة"، ص ٣٣٦؛ فقيـــه العـــرب: أي عـــالمهم. والعربـــاء: الخالصة، الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، مج ٢، ص ٨٨.

[٢] الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

[٣] الحَريري، م.ن، ص ٣٣٨.

[٤] الحَريري، م.ن، ص ٣٤٦.

[٥] الحَريري، م.ن، ص ٣٤٩.

[٦] قوله رجل مات عن أخ...: فائدة ذكر الأخ إثبات النسب، لأنّ الأجنبي لا يرث، وفائدة ذكر المسلم أنّ أهل دينَـــين لا يتوارثان، وفائدة ذكر الحرّ أنّ العبد لا يرث الحرَّ. الشريشي، م.س، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، مـــج ١، ص ١٨٠.

[٧] الحبر: العالم. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٨٠.

[٨] تمويه: شكّ وكذب. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٨٠.

فَحَـوَتْ[١] فَرْضَهاوحازَ أَخُوها ما تَبَقَّـى بِالإرثِ دُونَ أَخيهِ[٢]

وهكذا عرفنا أنّ الحَريري عارف بالفقه. وقد أظهر سعة معلوماته الفقهيّة في هاتين المقامتين.

٢- الفقه في مقامات الحَميدي

أفرد الحَميدي للمسائل الفقهيّة المقامةَ الثانية عشرة الّتي سمّاها المسائل الفقهيّة وتحتوي مسائل فقهيّة وأجوبتها الّتي يتلقّاها شيخ واعظ يدّعي أنّه فقيه عالم بالأمور الدينيّة والمغيبات؛ فيقول أثناء موعظته على المنبر: "سلوني عن المغيبات ولا تكتموا عنّي المخبيات"[٣]، ويطلب مرّة أخرى: "سلوني عن كلّ شاردٍ ومارد، وعن كلّ غائب وطاردٍ، فإنّي مسؤول مأمول، ولستُ بسائلٍ عائلٍ"[٤]. فيردّ عليه شيخ قائلاً: "اى داعى ملول واى طبيب معلول، اين چه لاف است بدين شگرفى! لا تجاوز حدّ المضمار فدون ذا نهيق الحمار"[٥].

ترجمة الشاهد

يا أيّها الداعي الملول ويا أيّها الطبيب المعلول، ما هذا الكلام العابث الّذي طرحت بهذه المهارة! لا تجاوز حدّ المضمار فدونَ ذا نهيق الحمار.

ويلومه ويستغرب منه كيف يدّعي أنّه عالم بكلّ الأمور، والله يقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٦].

ثمّ أُلقي عليه أربع مسائل فقهيّة، فيجيبها العالم الفقيه جميعها نظماً، مرّة بالعربيّة ومرّة أخرى بالفارسيّة منها: "چه گويى در مردى كه درحريم احرام كاردى از ديگر مُحرِمى عاريت خواست وحلق صيدى بدان ببريد، جزاى صيد بركه واجب آيد وگرفتن به بدل خون كه راشايد؟ واگر به جاى كارد، تيغ وسنان وتيروكمان به وى دهد ودر جادّه شكاريى نهد چنانكه، اگرچه صيد دور بود واز مردم نفور بود، مُحرِم، تيروكمان به وى دهد تا آن صيد را قيد كند وبزند، جزاى آن ازاين دو مُحرِم بركدام مُحرم واجب بود؟"[٧].

ترجمة الشاهد

---

(١) حوت: حازت. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، مج ١، ص ١٨٠.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٣) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٢٤.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٢٠.

(٦) **الإسراء**، ٨٥/١٧.

(٧) حميدى، م.س، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢١.

ماذا تقول عن رجل مُحرم استعار من مُحرم آخر سكيّناً وذبح صيداً به، هل غرامة الصيد على المستعير أو على المعير؟ وإذا استعار بدلاً من السكين سيفاً أو رمحاً أو سهماً وقوساً وركض وراء الصيد ليصطاده، أو أعطاه المُحرم سهماً وقوساً ليصطاد ذلك الصيد، ما هو جزاء هذين المُحرمين؟

فأجاب الشيخ: (بحر الرجز)

ومُحْــرِمٌ أعَــارَ وَسْــطَ الحَــرَمِ   مِنْ مُحــرِمٍ سَيْفاً لِذبْحِ الغَنَــمِ
لو كانَ غيرُ السَّيْفِ يُعْطِي مُحْرِماً   قَوْساً معــاراً واصلاً بأسْهُــمِ
فَكَــانَ فِــي السّكينِ يَغْرمُ ذابِحــاً   وَفِي مُعيرِ القَوْسِ كُلُّ المَغْرَمِ
ومُستَعيرُ السَّيْــفِ أيْضَــاً غــارِمٌ   إذْ هُوَ بِالتَّسبيبِ مِثْــلُ المُحْرِمِ[1]

أو "چه گويى در مردى كه هشت زن را گفت كه هرگاه كه دوتن را از شما به زنى كنم، يكى از آن هشتگانه را طلاق نهم. پس هرهشت را درپس يكديگر بخواست ودرنكاح هشتگانه دخول درميانه نبود، حال اين نكاحها چيست؟ وحِلّ وحرمت اين هشت مطلّقه تا كيست؟"[2].

ترجمة الشاهد

سأل سائل الشيخ الواعظ، ماذا تقول في رجل قال لثمان من النساء: إذا تزوّجت منكنّ اثنتين، سأطلّق إحداهنّ. ثم تزوّج كلّاً منهنّ، فما هي حال هذه الزيجات؟ وأيّ منهنّ حرام على الرجل، وأيّ منهن حلال له؟ فأجابه الشيخ كالبحر الزاخر، قائلاً: اسمعوا كلاماً قريباً إلى الإعجاز، لا يفهم دقائقه عوام الناس، ولا يدرك حقائقه خواصّ الناس: (بحر الطويل)

ثَمانٍ مِنَ النِّسْوانِ قَدْ قِيــلَ كُلَّما   تَزَوَّجْتُ مِنْكُنَّ اثْنَتَيْــنِ مُقَــدَّرا
مُطَلَّقَــةٌ إحْداهُمــا ثُــمَّ بَعْدَ ذَا   تَزَوَّجَهُنَّ الكُلَّ جَهْــراً ومُظْهِرا
تَحِــلُّ لَــهُ الأولى وثامِنَةٌ غَدَتْ   حَراماً وفي الثِّنْتَيْنِ صارَ مُخَيَّرا[3]

ولمّا أجاب الشيخ الواعظ هذه المسائل بالترتيب، وما قاله كلّه كان صواباً، رفعت أصوات الناس يميناً ويساراً وشجّعوه وقالوا له: أحسنت أحسنت، تأثّراً بإجاباتها الفقهيّة الصحيحة.

* * *

نستنتج أنّ الحَميدي قد وضع هذه المقامة الفقهيّة تقليداً ومعارضةً للحَريري، وأظهر معلوماته الفقهيّة تجاه الحَريري.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٤.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٢١ – ١٢٢.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٢٥.

ب- موضوعات علميّة خاصّة بالحَريري

وأمّا بعض الموضوعات العلميّة الّتي اعتنى بها الحَريري فهي النحو والأحاجي النحويّة الّتي نذكر نموذجاً منها.

١- النحو والأحاجي النحويّة في مقامات الحَريري

اعتنى الحَريري بموضوعات علميّة أيضاً، فجعل النحو موضوعاً لمقاماته، بيد أنّه لم يتوسّع في ذلك، فقد خصّص النحو بمقامة واحدة هي المقامة القطيعيّة، وتحدّث فيها عن الأحاجي النحويّة أي اثنتي عشرة مسألة نحويّة، وأجاب أبو زيد السروجي إلى غوامضها. وهذه المقامة تتضمّن إلقاء أبي زيد السروجي على جلسائه مسائل في علم النحو، على سبيل الألغاز.

فلنعرض نموذجاً ممّا أودعت هذه المقامة من الأحاجي النحويّة بقول الحَريري: "فإنْ وصْلاً أَلَذُّ به فَوَاصِلْ"[١]، فاختلف الحاضرون، في تجويز النصب والرفع، حتّى قام أبو زيد السروجي وقال: "يا قوم أنا أنبّئكم بتأويله، وأميِّزُ صحيحَ القول مِن عَليله"[٢]، ويقوم بحلّ المسألة قائلاً: "إنّه ليجوز رفعُ الوصلين ونصبُهما، والمغايَرةُ في الإعرابِ بينهما، وذلك بحسب اختلاف الإضمار، وتقدير المحذوف في هذا المضمار[٣]".

والحَريري نفسه يقوم بتفسير هذه المسألة النحويّة في الملحق الّذي دوّنه خصيصاً له في آخر المقامة القطيعيّة قائلاً: "أمّا صدر البيت الأخير من الأغنية الّذي هو: فإنْ وصلاً أَلَذُّ به فوصلُ فإنّه نظير قولهم: المرء مجزيّ بعمله، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه، وجوّز في إعرابها أربعة أوجه: أحدها وهو أجودها أن تنصب خبراً في الأوّل، وترفع في الثاني وتنصب شرّاً في الأوّل، وترفع في الثاني، ويكون تقديره: إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير وإن كان عمله شرّاً فجزاؤه شرّ، فتنصب الأوّل على أنّه خبر كان وترفع الثاني على أنّه خبر مبتدأ محذوف، وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الّذي هو إن على تقديرهما وحذف أيضاً المبتدأ لدلالة الفاء الّتي هي جواب الشرط عليه، لأنّه كثيراً ما يقع بعدها. والوجه الثاني: أن تنصبهما جميعاً، ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيراً فهو يجزي خيراً وإن كان عمله شرّاً فهو يجزي شرّاً، فينتصب الأوّل على أنّه خبر كان، وينتصب الثاني انتصاب المفعول به. والوجه الثالث: أن ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خير فجزاؤه خير، فيرتفع خبر الأوّل على أنّه اسم كان ويرتفع خبر الثاني على ما بيّن في شرح الوجه الأوّل، وقد يجوز أن يرتفع خبر الأوّل على أنّه فاعل

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٣٩.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٣) المضمار: الموضع يختبر فيه جري الخيل. والمراد هنا الاختلاف الحاصل. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، مج ٢، ص ١٥.

كان، وتجعل كان المقدّرة ههنا هي التامة الّتي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج إلى خبر... والوجه الرابع: وهو أضعفها أن ترفع الأوّل على ما تقدّم شرحه في الوجه الثالث، وتنصب الثاني على ما بيّن ذكره في الوجه الثاني، ويكون التقدير إن كان عمله خير فهو يجزي خيراً، وعلى حسب هذا التقدير والمقدّرات المحذوفات فيه يجري إعراب البيت الّذي غني به"(١).

لا شكّ في أنّ الحَريري أراد بهذه المقامة النحويّة إظهار معلوماته النحويّة تجاه أدباء عصره.

ج- موضوعات علميّة خاصة بالحَميدي

نتحدّث في هذا القسم عن موضوعات علميّة خاصّة بالحَميدي، لا نجدها لدى الحَريري وهي: الطب والنجوم والتصوّف. فلنبدأ بالطب والنجوم ثمّ التصوّف.

١ - الطب والنجوم

يبيّن الحَميدي المصطلحات العلميّة المتعلّقة بعلوم الطب والنجوم في المقامة العشرين: بين الطبيب والمنجّم، ويشير إلى أصول هذين العلمين. ومن الميزات الرئيسة لهذه المقامة أنّ القارئ لا يشعر بالتعب من قراءة هذه المصطلحات، والمناظرة والحوار، بل يشعر بالسرور والفرح، بسبب روح الفكاهة الحاكمة فيها.

موضوع هذه المقامة هو المناظرةُ والجدالُ والحوارُ بين طبيب كرماني(٢) ومنجّم يوناني. ويحكي الطبيب عن الدواء والشفاء وعلم الأبدان، ويحكي المنجّم عن النجوم والأفلاك والأُصطرلاب. وكلّ منهما يتّهم الآخر بالكذب والكلام العابث. وأمّا المنَجم اليوناني فهو الّذي يبدأ الحوار بالآية القرآنيّة: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾(٣).

ثمّ ينكر الطبيب وعلمه وفضله، ويتّهمه بأنّه يكذب والله يعلم ما في السرائر ويدرك ما في الضمائر. ويقول: "اگرتوانايى بجوى تابيابى، واگربينايى بنگرتابيبنى. اين سقف مكلّل مزيّن، واين چتر منقّش ملوّن باچندين عجايب قدرت وغرايب فطرت ازگزاف برپاى نداشته اند: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. اى پير دارفروش، گوش به من دار وهوش به من سپار تا صفحه اى ازاين علم درتو آموزم وشمع معرفت دردلت افروزم... پس گفت: اى شيخ تو ندانسته اى كه ركن اعظم، وعروه احكم، وشرط اهمّ، ومقدّمه اتمّ در باب طبيبى، معرفت نجوم است ولا بدّ همه علوم است"(٤).

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٥.

(٢) كرماني: منسوب إلى مدينة كرمان، إحدى المدن المعروفة في إيران. وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة، كثيرة النخل، والزرع، والمواشي. وتشبّه بالبصرة في التمور وجودتها وسعة الخيرات. واجتمع فيها البرد والحرّ. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٤، ص ٤٥٤.

(٣) **الفرقان**، ٦١/٢٥.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨١ – ١٨٢.

ترجمة الشاهد

إذا أنت قادر ابحث لتجد، وإذا أنت بصير انظر لترَ. لم يُرفع هذا السقف المزخرف المزيّن، وهذه المظلّة المنقوشة الملوّنة مع بضعة عجائب القدرة وغرائب الفطرة عبثاً، لأن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. أيّها الشيخ يا بائع الأدوية، استمع إليّ بدقّة لأعلّمك صفحة من هذا العلم، وأُشعل شمع المعرفة في قلبك... ثمّ قال: أيّها الشيخ أنت لا تعلم أنّ الركن الركين والعروة الوثقى والشرط الأهمّ، والمقدّمة التامّة في باب الطبّ، هو معرفة النجوم، وهو لا بدّ منه لكلّ العلوم، وكلّ العلوم يحتاج إلى معرفة علم النجوم.

ثمّ يربط الأمراض وعلاجها بالنجوم، ويحكي عن علّة الداء في الرأس حتّى يصل إلى القدم بقوله: "هر علّت كه در سر و دِماغ افتد به وقت آن معالجت بايد كردن، كه حَمَل را قوّتى بود، كه سر آدمى به حَمَل منسوب است. وهر چه درگردن افتد بايد كه معالجت آن به برج ثور كنند وثور قوى حال باشد كه گردن به وى مضاف است... وهرچه در قدم افتد، بايد كه حوت راحركتى باشد. وهر عضوى از اعضاى آدمى به طبيعتى مايل است وهر برجى از بروج، عضوى را قابل"[١].

ترجمة الشاهد

أيّ داء في الرأس والدِماغ يجب أن يُعالج في وقته، ووقته في برج الحَمَل، حيث توجد علاقة بين الرأس وبرج الحمل، والحمل كالرأس له قوّة خاصّة، فلهذا رأس الإنسان منسوب إليه؛ وأيّ داء في الرقبة يجب أن يعالج في برج الثور، حيث توجد علاقة بين الرقبة وبرج الثور، والثور كالرقبة قويّ، والرقبة منسوبة إليه... وأيّ داء في القدم، يجب أن يعالج في برج الحوت. وكلّ عضو من أعضاء الإنسان له طبيعة، وكلّ برج من الأبراج له علاقة بعضو من الأعضاء.

ثمّ يتحدّث عن خصائص الأبراج العلاجيّة، وطبيعتها، وألوان النجوم وعلاماتها، ويختم كلامه بالشعر التالي: (بحر مخلّع البسيط)

يــا مَعْشَــــرَ المسلمينَ قُومُوا   لا تَعْذِلُــونــي ولا تَلُومُـــوا
عِندي مِــنَ السّابِحاتِ عِلـــمٌ   تَسْحَبُ فيــه بِــكَ العلـــومُ
الفَلَكُ المُستديــرُ سَقْـــــفٌ   وَهْــوَ بأرجائِهـــا يَحُـــومُ
يُدرِكُـــهُ ناظِــرٌ بَصيــــرٌ   وخاطِـــــرٌ باتِـــرٌ سَليــمُ
أَمَـا تَرَى الاختِلافَ فيـــه   وَذَرْوَةَ الخَـــطِّ مُستقيـــمُ[٢]

فحينئذ يقوم الشيخ الكرماني ويعترض على ما قاله المنجّم ويعتبر كلامه هذياناً وعبثاً وغير معقول، ويقول: (بحر الكامل)

---

[١] حميدى، **مقامات**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٢ – ١٨٣.

[٢] حميدى، م.ن، ص ١٨٤.

يا مَنْ يرومُ مِنَ الأنـــامِ مَعيشةً لِمَ لا تَرُومُ مِنَ النُّجـــومِ النَيّرةْ
شَهِدتْ عليكَ إذاً بِأنّــك كـــاذِبٌ أقوالُــكَ المُختَلَّـــةُ المُتَغَيِّـــرَةْ
أنْكَرْتَ يا أعْمَى البَصيرةِ قُــدْرَةً هِيَ فِي النُّجومِ السائراتِ مُسَيَّرَةْ
يا عارِفَ الأفلاكِ هَلْ لكَ حاصِلٌ مِنْ شَمْسِها أوْ خَمْسِها المُتَحيِّرةْ[(١)]

ويطلب منه أن يتحدثا عن آلة الكلام ويكشفا عن أسرارها، وخواصّها، ودقائقها وحقائقها بقوله:

"بيا تا سخن از آلت سخن گوييم ودقايق وحقايق آن باز جوييم كه چه خاصيّت است دراين گوشت پاره كه درديگر اعضا نيست؛ كه قوّت ناطقه كه از خواصّ انسان است دراو موجود است تا به صد لغت مختلف واسامى نامؤتلف سخن مفهوم معلوم مى راند كه از هيچ عضوى ديگر آن خاصيّت در وجود نيايد... وهركه مجمل ومفصّل ﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾[(٢)] بداند، بشناسد كه عجايب وغرايب كه در تركيب قالب انسانى است درترتيب هفت آسمان نيست"[(٣)].

ترجمة الشاهد

تفضّل لنتحدّث عن آلة الكلام – اللسان – ونبحث عن دقائقها وحقائقها لنعرف ما هي الميزة في هذا اللحم الّتي لا نراها في أعضاء أخرى؛ وهذه القوّة الناطقة الّتي تعدّ من ميزات الإنسان وموجودة فيه، والإنسان ينطقُ ويتحدّث بهذا اللحم بمائة لغة مختلفة ومفهومة ومعلومة عن أسماء كثيرة ومعانٍ عديدة، وهذه القدرة والميزة غير موجودة في أعضاء أخرى... ومن يعرف مجمل ومفصّل ﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾، سوف يعرف أنّ العجائب والغرائب الموجودة في جسد الإنسان غير موجودة في ترتيب السماوات السبع.

فلمّا انتهى حديث الطبيب الكرماني عن دقائق وحقائق علم الأبدان، اقترب المنجّم اليوناني إليه، واحتضنه وقال له: "اى پيرحكيم و﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ ﴾[(٤)] اين دُر نيكو سُفتى واين سخن نيكو گفتى كه هر علم را كه رواج بود به قدر احتياج بود؛ وحاجت مردمان بدين علم بيشتر تعلّق دارد، وبدين حرفت احتياج زيادتر"[(٥)].

ترجمة الشاهد

أيّها الشيخ الحكيمُ ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ ﴾، نسجتَ الكلام كالدرّ، وقلتَ كلاماً جيّداً إنّ كلّ علم في هذا العالم محتاجٌ إليه؛ وحاجة الناس إليه أكثر، ويحتاجون إلى هذه الحرفة أكثر.

---

(١) حميدى، مقامات، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"،ص ١٨٥.
(٢) الروم، ٢٢/٣٠.
(٣) حميدى، م.س، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٦.
(٤) يوسف، ٧٦/١٢.
(٥) حميدى، م.س، ص ١٨٧.

إنّ الحَميدي قصد بهذه المقامة إظهار سعة معلوماته في الطب والنجوم، وتفوّقه على الحَريري، لأنّ الحَريري لم يذكر هذه الموضوعات العلميّة في مقاماته قط. وتعليم الناشئين المصطلحات المتعلّقة بالطب والنجوم.

٢- التصوّف

أطلق الحَميدي اسم التصوّف على إحدى مقاماته، وقد خصّ موضوعها بالتصوّف والصوفيّة، بسبب انتشار علم التصوّف في إيران في تلك الفترة. وقد ورد فيها كثير من المصطلحات والتعابير الصوفيّة. كما أنّ المقامة السكباجيّة تجري إثر المقامة المَضيريّة للهمذاني إذ يوجد فيها شيخ ومريدون.

وأمّا الحَميدي فهو اعترف في المقامة الثامنة بأنّه لا يفهم كثيراً من كلمات الصوفيين وعباراتهم وحركاتهم ورموزهم بقوله: "من چه دانم كه حال وقال چه باشد؟ من چه دانم كه مشاهده ومجاهده را معنى چيست؟... من چه دانم كه كثرت الأكل والشرب كه مَنهى شرع است، ازچه مندوب است، ورقص وغنا كه محظور دين است ازچه محبوب؟"[1].

ترجمة الشاهد

أنا لا أدري ما هي الحال[2] والقال؟ ولا أدري ما معنى المشاهدة[3] والمجاهدة[4]؟... ولا أدري لماذا نُهيت كثرة الأكل والشرب في الإسلام، ولكنّ الأمر مقبول وجائز عند الصوفيّة، وكيف الرقص والغناء حرام ومحظور في الإسلام، إلاّ أنّه جائز ومحبوب عند الصوفيّة؟..

ثمّ يضيف لو أنّني أعرف مفهوم هذه المصطلحات الصوفيّة، سأخدم الصوفيين روحاً ومالاً. ويتكلّم الحِمَيدي عن الصوفيّة ومصطلحاتهم وطرقهم وعقائدهم وأفكارهم وأهدافهم كأنّه كان مغرماً بهم.

يصف الحِمَيدي شيخاً صوفيّاً على لسان الراوي قائلاً: "پيرى را ديدم چون مَلَك لطيف صوَر وچون فلك كبود دلق، محاسنى به بياض نور دل، مخضوب، و ردايى مقبول وجايى محبوب... وپير چون ماه درپرتو نور خود نشسته، وچون ماهى دهانِ گفت بربسته"[5].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٣.

(٢) حال: هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض. وقيل الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربّه. وقيل الحال هو الذكر الخفيّ. عبد المنعم الحفني، **معجم مصطلحات الصوفيّة**، ص ٧٣.

(٣) المشاهدة: تعني المحاضرة والمداناة، وقيل هي رؤية الحقّ ببصر القلب من غير شبهة، كأنّه رآه بالعين. عبد المنعم الحفني، م.ن، ص ٢٤٤.

(٤) المجاهدة: صدق الافتقار إلى الله تعالى بالانقطاع عن كلّ ما سواه، وقيل بذل النفس في رضاء الحق، وقيل فطام النفس عن الشهوات، ونزع القلب عن الأماني والشبهات. عبد المنعم الحفني، م.ن، ص ٢٣٦.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.

ترجمة الشاهد

رأيت شيخاً خلقته كالملك اللطيف، وكالفلك ثوبه أرزق، لحيته مخضوبة كبياض نور القلب، ورداؤه مقبول ومنزلته عند الناس محبوبة... والشيخ كالقمر في شعشعة ضوء نفسه وكالسمك صامت.

وبعد أن يصف الحِمَيدي صمت وسكوت الشيخ الصوفي بصور شتّى، يصف حضور الناس لاستماع مواعظ الشيخ وإرشاداته، وكيف طلبوا الشيخ يميناً ويساراً أن يخطب بهم، وينادون: "أرِحْنا يا بلالُ"[(١)]، ثمّ ينشدون الشعر التالي: (بحر البسيط)

أَمِطْ عَنِ الدُّرَرِ الزُّهِـــرِ اليَواقِيتا وَاجْعَلْ لِحَجِّ تَلاقِينَـــا مَواقِيتَا[(٢)]

ويطلب الناس منه أن يكسّر هذا الصمت والسكوت، فيضحك لهم ويتحدّث معهم ويحدّد لهم موعداً للقاء.

فحينئذٍ نرى الشيخ الصوفي يبدأ بالكلام ويقول للجماعة: "سلوني عن عُبابِ[(٣)] هذا البحر وعـــن لُبابِ هذا الأمر"[(٤)]. ويطلب منهم أن يسألوه أيّ سؤال حول التصوّف وحقيقته، والصوفيين وطريقتهم.

فمن هنا يبدأ الحوار بين الفتى والشيخ الصوفي، فيجيب الشيخ لأسئلته قائلاً: "سَلْ ما بـــدا لـــك وهاتِ سؤالكَ"[(٥)]. فيطرح الشاب شبهاته وأسئلته حول التصوّف والدراويش وثيابهم، والرقص ومعنـــاه وسرّه، والسماع وسرّ إباحته. وفي النهاية يجاب الفتى، ويفرح ويقرّر أن يكون في خدمة الشيخ ويذهب إلى التكيّة. فعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من شبهات وأسئلة الفتى وإجابات الشيخ الصوفـــي له: قـــال الفتى: "مرا بيان كن كه علّت كبود پوشيدن واز رنگها اين رنگ برگزيدن چيست؟ پيرگفت: اين بارى سؤال مبتديان شارع طريقت است نه واقعه منتهيان كوى حقيقت. قد اشْتَبَه البـــدرُ المـــضيءُ وخَفَـــيَ المسكُ الذكيُّ. تونشينده اى كه الفقرُ سوادُ الوجهِ في الـــدارَيْن[(٦)]، ســـياه روىِ دو عـــالم را از كبـــود پوشيدن چاره نيست؛ هركه را درصف ماتم، اطلس مُعَلّم پوشـــد، نظارگيـــان بـــروى خندنـــد... أوّل صوفى مجرّد را جبرئيل امين، كه پير خانقاه فردوس بود،خرقه ملوّن در سرافكند، آدم بود و﴿طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[(٧)]. چون به سَرَنديب[(٨)] فرارسيد، گفت به سر ولايت تو مى روم

---

(١) حميدى، مقامات، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.
(٢) حميدى، م.ن، ص ٨٤.
(٣) عباب الماء: أوّله ومعظمه. والموج. وكثرة الماء. ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص ٧، باب البـــاء، فـــصل العين.
(٤) حميدى، م.س، ص ٨٥.
(٥) حميدى، م.س، ص ٨٥.
(٦) العجلوني، كشف الخفاء، مج١، ج ٢، ص ٨٧.
(٧) طه، ٢٠/١٢١.
(٨) سرنديب: هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. وفيها الجبل الّذي هبط عليه آدم (عليه الـسلام)، يقال له الرَّهُون. وفيها نبت طيّب الريح لا يوجد بغيرها. ياقوت الحموي، معجم البلـــدان، مـــج ٣، ص ٢١٥ – ٢١٦.

خرقه را به آبى فرو برم؛ خود خرقه ازچشمه سرنديب نيلى برآمد..."[١].

ترجمة الشاهد

قال الفتى: اشرح لي لم اختار الصوفيون لون الأزرق الغامق مائلاً إلى السواد ولم هذا اللون من بين الألوان كلّها؟ قال الشيخ: هذا السؤال ليس للواصلين إلى باب الحقيقة، بل هو سؤال مبتدئي سبيل الطريقة! وقد اشتَبَه البدرُ المضيءُ وخفي المِسك الذكيُّ. وأنت أما سمعت أنّ الفقرَ سوادُ الوجهِ في الدارَيْنِ، والّذي وجهه سواد في العالمين لا حيلة له إلاّ لبس الثوب الأزرق الغامق؛ ومن يلبس الأطلس الفاخر، وهو في العزاء، يضحك عليه الناظرون... وألبس شيخُ تكيّةِ الفردوس جبريل الأمينُ آدمَ خرقةً ملوّنة ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾. ولمّا أكل آدم من شجرة ممنوعة، طُرِدَ إلى أرض سرنديب، فوضع آدم خرقته الملوّنة في ماء عين في سرنديب؛ فغيّر لون الخرقة وأصبحت الخرقة زرقاء سوداء. فقالوا له: هذا اللون يناسبك بعد هذه الهموم الكثيرة، وهذا العزاء الّذي أنت فيه، والخوف الّذي يزيد دائماً.

ثمّ يذكر الشيخ أسباباً أخرى لاختيار هذا اللون عند الصوفيين ويقول: إنّ الصوفيين والسالكين هم يعتقدون بأنّهم كانوا مجبرين لاختيار هذا اللون؛ لأنّ الألوان لمّا وُزّعت، اختار الفضلاء والعلماء البياض، لأنّ البياض أفضل، واختار الأمراء والنقباء والرؤساء السواد، لأنّ السواد أهيب، واختارت إناث العالم لون الصفرة والحمرة، لأنّ الصفرة والحمرة أعجب. فبقي لون الأزرق الغامق المائل إلى الأسود فلم يقبله أحد، فأعطوا هذا اللون للدراويش، وقالوا: "لكلّ ناسٍ لباسٌ ولكلٍّ شرابِ كأسٌ"[٢].

* * *

من الواضح أنّ المقارنة بين سابقٍ لم يكتب ولاحقٍ كتب عن التصوّف أمر مستحيل، ولكن يبدو أنّ الحَميدي قصد بهذه المقامة تعليم الناشئين المصطلحات والتعابير الصوفيّة وطرق الصوفيين وعقائدهم وأفكارهم من جهة، وتفوّقه على الحَريري من جهة أخرى، لأنّ الحَريري ليس لديه مقامة عن التصوّف؛ فكأنّ الحَميدي أراد أن يظهر سعة معلوماته تجاه الحَريري مرةً أخرى.

رابعاً- الموضوعات الفكاهيّة في مقامات الحَريري والحَميدي

وضع الحَريري مقاماتٍ فكاهيّةً محاكاةً للهمذاني، كما وضع الحَميدي مقامة فكاهيّة محاكاةً للهمذاني والحَريري. فنشير إلى هذه المقامات لدى الحَريري أوّلاً، والحَميدي ثانياً.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٦.

(٢) حميدى، م.ن ، ص ٨٧.

أ- الموضوعات الفكاهيّة في مقامات الحَريري

تحدّث الحَريري عن الهزل في مقامتين هما المقامة البغداديّة[١] والصوريّة[٢]. ورمى بهما إلى الفكاهة، والمداعبة، فجاءتا حافلتَيْنِ بأقسام الكلام الفكه والنوادر المستملحة.

والحَريري ألّف مقاماته الفقهيّة وبعضها ملغّز ذو فكاهة أيضاً، كالمقامة الطيبيّة [ويتلقّى أبو زيد السروجي مائة مسألة فقهيّة ملغزة هزلية، وأجابها] جميعها نحو: "قال: ما تقول فيمن توضأ ثمّ لَمَسَ ظهر نَعْلِه؟ قال: انتقض وضوؤه بفعله. والنعل: الزوجة"[٣].

وتتجلّى الفكاهة أقوى ما تكون في المقامة الثلاثين وهي المقامة الصوريّة، وفيها نرى الراوية الحارث بن همّام يشهد عقد زواج عروس من آل ساسان أصحاب التسوّل والشحاذة، ويعقد العقدَ أبو زيد السروجي.

وتجري هذه الخطبة الهزليّة في النكاح على النمط التالي: "فلمّا فَرغَ الشيخُ من خُطْبته، وأَبْرمَ[٤] للخَتَنِ[٥] عقْد خِطْبته، تَساقَطَ من النِّثار[٦]، ما استغرقَ حدَّ الإكثار، وأغْرَى الشحيحَ بالإيثار[٧]، ثمّ نهضَ الشيخُ يَسْحَبُ ذَلاذِلَه[٨]، ويَقْدُمُ أراذلَه[٩]. فقال الحارثُ بنُ همّام: فَتَبِعتُه لأنظرَ عُرْجَةَ[١٠] القوم، وأُكمِلَ بَهْجَةَ اليوم، فعاجَ[١١] بهم إلى سِماطٍ[١٢] زيَّنته طُهاتُه[١٣]، وتناصَفَت[١٤] في الحسن جِهاتُه، فحينَ رَبَع[١٥] كلُّ شخصٍ في رِبْضَتِه[١٦]، وطَفِـق يَرْتع[١٧] في روضته[١٨]، انْسَلَلْتُ من الصفّ، وفررتُ من

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠ – ١٢٧.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٩ – ٣٢٢.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٧.

(٤) أبرم: أحكم، وسدد. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٥.

(٥) الختن: ولي الزوجة مثل الأب، والأخ، وابن العمّ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٥.

(٦) النثار: ما نثر عليه من الدراهم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٥.

(٧) أغرى الشحيح بالإيثار: حرّضه على أن يتكرّم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٥.

(٨) ذلاذله: أطراف ثوبه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٥.

(٩) الحريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٩ – ٣٢٢؛ أراذل: جمع أرذل، وهو الدنيء، والرذل، والمرذل، والرذيل: الدون. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٠) عرجة: تعريج، ويقال ما عليه عرجة ولا تعريج: أي إقامة وبهجة الشيء حسنة ونضارته. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١١) عاج: مال. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٢) السماط: كلّ مستو على نسق وصف الناس سماط، وأراد به المائدة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٣) الطهاة: الطبّاخون من الناس. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٤) تناصفت: اعتدلت، والتناصف: اعتدال الحسن. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٥) ربع: جلس. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٦) ربضته: موضعه الذي يقعد فيه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٧) يرتع: يأكل، وفلان يرتع أي هو مخصب لا يعدم شيئاً يريده. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٨) الروضة: موضع العشب، وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام، الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

الزَّحفِ[١]. فحانتْ من الشيخِ لَفْتَةٌ[٢] إليّ، ونظرةٌ هَجَم[٣] بها طَرْفُه عليّ: فقال: إلى أين يا بَرَم[٤]؟ هلاّ عاشرت معاشرةَ من فيه كرَم، فقلت: والّذي صوّرها طِباقاً[٥]، وطَبّقَها إشراقاً[٦]، لا ذُقتُ لَماقاً[٧] ولا لُستُ رُقاقا[٨]... وقال لي أرْعِني السَّمع: (بحر مجزوء الرمل)

مَسقَطُ الرَّأسِ سَرُوُجُ ... وَبِها كُنتُ أمُوجُ

بَلْدَةٌ يُوجَدُ فيها ... كُلُّ شَيءٍ ويَرُوجُ[٩]

ليتَ يومي حُمَّ[١٠] لمّا ... حُمَّ لي منها الخروجُ

كما نجد العبارات الفكهة والكلمات المليحة في المقامة البغداديّة، وفيها يدخل أبو زيد السروجي اجتماع الشعراء على هيئة امرأة عجوز، يتبعها أطفال وهي تستجدي لليتامى باكية أهلها وبعلها، وتتكلم بلسان فصيح وبيان مليح، نثراً ونظماً. ويصف الحَريري هذه المشاهد على الشكل التالي: امرأة "عجوزاً تُقبِلُ من البُعد، وتُحْضِر[١١] إحضارَ الجُرْد[١٢]، وقد استتلت[١٣] صبيةً أنحفَ من المغازل، وأضعفَ من الجوازل[١٤]... قالت حَيّا اللهُ المعارف، وإن لم يكن معارف[١٥]، اعلموا يا مآل الآمِل، وثِمالَ الأرامل[١٦]، أنيّ من سَرَوات[١٧] القبائل، وسَرّياتِ العقائل[١٨]، لم يزَلْ أهلي وبعلي يَحُلّون الصدر، ويسيرون القلب،

---

(١) الزحف: الضرب. وأراد أنّه لمّا جلس كلّ إنسان أن يأكل خشي هو إن جلس للأكل أن يغرم ويشتهر بأنّه طفيلي فيحتاج أن يتدافع وأن يتواثب مع صاحب الحانوت في ثمن ما أكل ففرّ من ذلك، والزحف: مشي الأعمى. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٦.

(٢) لفتة: نظرة بالتواء، كأنّه يلوي عنقه فينظر ولفت إليه لفتاً، والتفت: صرف وجهه إليه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٣) هجم: دخل عليه بغتة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٤) برم: بخيل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٥) طباقاً: السماء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٦) إشراقاً: نوراً وضوءاً. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٧) لماقا: هو ما يشرب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٨) لست رقاقاً: أكلت خبزاً مرققاً. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(٩) يروج: يتعجّل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٦.

(١٠) يومي حم: يوم موتي. أراد ليت أنيّ مت ولا أرى خروجي منها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٧٧.

(١١) تحضر: تجري. الشريشي، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، مج ١، ص ١٦٨.

(١٢) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٣) استتلت: جعلتهم تلوها يتبعونها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٤) الجوازل: واحدها جوزل، فراخ الحمام، الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٥) وإن لم يكن معارف: وإن كنت لا أعرفها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٦) ثمال الأرامل: ملجأ المساكين. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٧) سروات: سادات، واحدها سراة، والسريّ: السيّد الكبير ذو المروءة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٨) سريات: سيّدات. العقائل: كرائم النساء. تريد أنّ أباها وأمها من السادات. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

ويُمطُون الظهر[١]،ويُولُون اليد[٢]. فلّما أَرْدَى[٣] الدهرُ الأعضاد[٤]، وفَجّعَ[٥] بالجوارح الأكباد، وانقلب ظهراً لِبَطْنٍ[٦]... وازْوَرَّ[٧] المحبوبُ الأصفرُ، اسودَّ يومي الأبيض... حتّى رثّى لي العدوُّ الأزرق[٨]، فحبّذا الموتُ الأحمر..."[٩].

رأينا أنّ الحَريري عارض **مقامات** الهمذاني، ووضع هاتين المقامتين محاكاةً للمقامة المَضيريّة للهمذاني من جهةٍ، ومن جهة أخرى أراد أن يتنوّع مقاماته بالتحدّث عن الكلام الفكه والنوادر المستملحة، إظهاراً لقدراته الفنيّة.

ب- الموضوعات الفكاهيّة في مقامات الحَميدي

تجلّت روح الفكاهة والهزل في **مقامات** الحَميدي كلّها تجلّياً يدلّ على طبعه اللطيف. وأحسن وأحلى نموذج من مقاماته الفكاهيّة هو المقامة السكباجيّة الّتي وضعها الحَميدي تقليداً للمقامة المَضيريّة[١٠] لبديع الزمان الهمذاني وتأثُّراً بها. وكما نعلم ألّف بديع الزمان الهمذاني المقامة المضيريّة بشكل فكاهي، انتقد الأثرياء البخلاء حديثي النعمة. وتعتبر المقامة السكباجيّة للحميدي من أحلى المقامات البديعيّة.

عارض الحَميدي **مقامات** الحَريري مرّة أخرى، ووضع مقامة فهقيّة ملغزة فكاهيّة، وسأل على لسان شخص مجهول عن البطل دائماً[١١].

---

(١) يمطون الظهر: يهبون الإبل بأوقارها. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، مج ١، ص ١٦٨.

(٢) يولون اليد: يهبون النعمة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٣) أردى: أهلك. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٤) الأعضاد: جمع عضد، وهو الغليظ الذراع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٥) فجع: أحزن، وجاء بفجيعة. وهي الرزيّة تتفجع عليها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٦) ظهر البطن: كناية عن الخلاف، أي بعد أن كان مستقيماً انقلب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٧) ازورّ: انقبض. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(٨) العدّو الأزرق: أراد الروم، وهم أعداء العرب. والروم زرق العيون. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٩) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٣٠ - ١٣١؛ الموت الأحمر: الشديد. وقيل معنى الموت الأحمر القتل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٦٨.

(١٠) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة المضيريّة"، ص ١٠٤ - ١١٧.

(١١) أشرنا إلى هذه المقامة الفقهيّة في قسم الموضوعات العلميّة، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

وأمّا خلاصة المقامة السكباجيّة: يقرّر أحد المشاهير أن يتعرّف على أفكار وعقائد طائفة إخوان الصفاء وأحوالهم وأفانينهم صغيراً وكبيراً؛ فدعاهم لأكل السكباج في الليلة المربعانيّة[١]. فلمّا سمع أصحاب إخوان الصفاء لبّوا الدعوة إلى الوليمة وكلّهم طمعٌ بأكل ما لذّ وطاب، لم يأكلوا شيئاً لمدّة أسبوع. حتّى حلّت تلك الليلة الموعودة، فانطلق المدعوون إلى دار الضيافة، وهم فارغوالأحشاء معدةً وبطناً، أي أنّهم ذوو مُعَدٍ مدبوغة وبطون فارغة. واصطحبوا معهم شيخاً أديباً مصادفةً، فدعوه إلى الضيافة ليأكل معهم من السكباج، فرفض الشيخ الدعوة قائلاً: "أيّها السادةُ ما لي به عهدٌ ولا عادةٌ"[٢].

وبعدما أصرّوا عليه كثيراً قبل الشيخ الدعوة بقوله: (بحر البسيط)

إنْ راقَ خَلُّكـمُ أو رَقَّ خَمْرُكُـمُ   سِيّانَ خَلُّكـمُ عِنْـدِي وخَمرُكمُ
قولوا مقالاً صريحاً ما بـدا لكُمُ   فَالحُكْمُ حُكْمُكُمُ والأمْـرُ أمرُكمُ[٣]

ثمّ يصف المائدة الّتي هيّأها المضيف من أحسن وأحلى المأكولات والمشروبات واللحوم البريّة والبحريّة، كما يصف كاسات السكباج: (بحر مخلّع البسيط)

يَلُـوحُ فِـي هـالَـةِ الإنـاءِ   تَـلأْلُؤ الشَّـمسِ بالضِّيـاءِ
كَأنَّهـا النَّـارُ فِـي التَّجَـلِّـي   كَـأنَّها الـمَـاءُ فِـي الصَّفاءِ[٤]

فلمّا نظر الشيخ إلى وعاء السكباج رجف رجفة شديدة، واختار الفرار على القرار، وأنشد هذه الأبيات بلسان فصيح: (بحر الوافر)

أُوَدِّعُكُـمْ إلـى يَـوْمِ القِيامَـه   وَسُحْبُ العَيْنِ هاطِلَةُ الغَمامَهْ
لَقَـدْ أكْرَمْتُـمُ ضَيْفـاً كَرِيمـاً   ولَكنْ فـي الحَقِيقةِ لا كَرامهْ
وَإنِّـي قَدْ فَـرَرْتُ وكَمْ فـرارٍ   إذا فَكَّرْتَ أحْسَنُ مِـنْ إقامَـةْ[٥]

دار حوار طويل بين الشيخ والجماعة، الّذين قرّروا ألا يأكلوا السكباج ويتحمّلوا الجوع. فقد سألوا الشيخ: "أيّها الشيخُ نَغَّصْتَ حياتَنا فَعَوِّضْنا عمّا فاتنا"[٦]. فأخبرهم الشيخ عن القصّة الّتي حصلت له في أيّام شبابه في مدينة نيسابور، وكيف تعرّف على صاحب محلّ بيع الأقمشة، والصداقة الحاصلة

---

(١) الليلة المربعانيّة: يسمّى الفرس الليلة الأولى من ليالي الشتاء الليلة المربعانيّة، أو ليلة يلدا وتعتاد الأسر الإيرانيّة أن تتناول في هذه الليلة الفواكه ولاسيّما البطيخ والرمان، والبزورات وغير ذلك.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٥.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٦٥.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٦٦.

(٥) حميدى، م.ن، ص ٦٦.

(٦) حميدى، م.ن، ص ٦٨.

بينه وبين صاحب المحلّ واستحكام هذه الصداقة والمودّة، حتّى دعاه صاحب المحل إلى بيتــه لأكــل السكباج وألحّ على ذلك كثيراً، فقبل دعوة المضيف.

ثمّ أضاف الشيخ أنّ المضيف في ليل بهيم جاء إلى بيته ودعاه إلى الضيافة، وقال المضيف له: "اى جوان غريب بدانَ كه شب بيگاه است وتا به خانه ما ميلى راه. كدبانو حجره وخانه مىآرايد وآمدن ما را مى پايد... وامروز ازمَبادى صباح تا تمادى رواح در ترتيب كار وتركيب خورش نهار تو بوده است..."[١].

ترجمة الشاهد

أيّها الفتى الغريب، إعلَمْ أنّ الليل بلا حدود وبقي حتّى منزلنا طريق طوله ميل واحد. وربّة البيت تنظّف البيت وتنتظرنا... واليوم اشتغلت في البيت منذ الصباح الباكر حتى الليل ورتّبت أمور المنزل وطبخت السكباج لأجلك...

وقال الشيخ كنّا نتحدّث حتّى وصلنا إلى حيٍّ، فبشّرني المضيف بأنّنا وصلنا إلى بيته، بقولــه: "بشارت باد ترا كه به مقصد اصل رسيديم وموقف وصل ديديم. دل خوش دار كه تا سراى ما بــسى نيست ودرراه خوف كسى نه؛ كه اهل اين محلّت هم كيشان منند وبيشتر خويشان منند"[٢].

ترجمة الشاهد

أبشّرك بأنّنا وصلنا إلى المقصد ورأينا موقف الوصال. وافرحْ لأنّه ما بقي شيء حتّى منزلنــا ولا خوف من أحد في الطريق؛ لأنّ أهل هذه الحيّ كلّهم من مواطنيّ وأكثرهم من أقاربي.

وأنشد أيضاً: (بحر الوافر)

فَقَدْرُ المرءِ يَظْهــرُ بالأقــاربْ فلا تَقُلِ الأَقَــاربُ كَالعَقاربْ

إذا مَا المَــرْءُ ســاعَــدَهُ بَنُوه فَقَدْنالَ المَطالِــبَ والمَــآرِبْ[٣]

وأضاف الشيخ بأنّهما لمّا وصلا إلى زقاق ضيّق مظلم، قال المضيف: "قِــفْ مكانــك وخُــذْ عنانَك"[٤] و"به شرفات جنّات رسيدى درنگر..."[٥].

ترجمة الشاهد

قِفْ مكانك وخُذْ عنانَك وانظرْ بدقّة إلى شرفات الجنّة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٩.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٧٠.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٧٠.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٧١.

(٥) حميدى، م.ن، ص ٧١.

قال الشيخ: "چون هردو از شارع قديم به حريم آمديم، مرا درگوشه اى راند ودر بيغوله اى بنشاند. خود با عروس به بازى وبا كودكان به طنّازى مشغول شد. پس چون زمانى ببود، آمد كه بدان وآگاه باش وغُربا را چون من پشت وپناه باش كه اين سراى من كه مى بينى ودر او بى رنج وخوف مى نشينى، در عهد قديم زندانى عظيم بوده است. خونيان را دراين حجره نشاندندى وسرهاى بزرگان را دراين خاك فشاندندى، وهنوز درزير اين خاك هزار سر بى باك وشخص ناپاك هست... واين بدان مى گويم تا نصيحت پذيرى وپند بگيرى وبدانى كه كسب مال بى غصب وبال نتوان كرد..."[١].

ترجمة الشاهد

حينما دخلنا من الشارع القديم إلى البيت، أجلسني المضيف في زاوية مظلمة. ولعب هو مع زوجته وأولاده ودلّلهم. وبعد مدّة، جاء وقال لي: اعلم وكن ملجأً للغرباء مثلي، لأنّ هذا البيت الّذي تراه وجلست فيه دون غمّ وخوف، كان في زمن القديم سجناً عظيماً. وكان يُقتل في هذه الغرف كثير من الناس، ويُدفن في هذا التراب رؤوس الكبار منهم. ولا تزال مدفونة تحت هذا التراب رؤوس آلاف الأشخاص مذنبين وغير مذنبين... واعلمْ أنيّ أطلعت على هذا السرّ لتتّعظ به ولتعرف أنّ المال لا يُدّخر ولا يُكتسب إلاّ اغتصاباً...

وشرح المضيف للشيخ أنّه اكتسب أمواله وجمعها من أمانات الفقراء وودائع الضعفاء عنده، ثمّ دعاه لأكل السكباج، قائلاً: "باش تا ساعتى بچرخيم وسكباى موعود بخوريم..."[٢].

ترجمة الشاهد

كن هكذا لنتجولَ ساعةً ونأكل السكباج الموعود...

فلّما ذهب المضيف لتجهيز وترتيب المائدة، قال الشيخ لنفسه: "ليلُ الطالبِ صبحٌ ساطِعٌ وفرصةُ الغالبِ سيفٌ قاطعٌ. لا غَرْوَ أَنْ أكونَ منَ المُبْلِسين والفِرارُ عن هذا المقامِ مِنْ سُننِ المرسلين"[٣]. فقرّر الشيخ أن يهرب ويُنقذ نفسه من شرّ المضيف ومن خزعبلاته، وبعد ما نجح وهرب، قال: فلمّا نَجَوْتُ مِنْ هذا الحَبْلِ المَسَدْ، فَرَرْتُ فِرارَ الذِّئْبِ مِنَ الأسَدِ. وأنشد: (بحر الرجز)

فَقُلْتُ للقلبِ تَسَلَّ واسْتَرِحْ　　فَمَنْ نجا بِرأسِهِ فَقَدْ رَبِحْ[٤]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧١.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٧١.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٧٢.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٧٢.

وفي النهاية هرب الشيخ وأنقذ نفسه من المضيف، أمّا الحرس فقد وجدوه في الشارع وألقوا القبض عليه وضربوه كثيراً وأدخلوه السجن لمدّة شهرين وعاش مع اللصوص والمجرمين. وما كان يعرف أحد من أصدقائه وأقاربه عنه شيئاً. إلى أن أخرجوه يوماً إلى باب السجن للتسوّل، وثيابه كانت رثّةً وبالية، وفي يده وعاء للتسوّل على عادة الشحّاذين. وكان من حسن حظّ الشيخ أنْ وصل إليه أحد مواطنيه ورآه، وعرفه؛ واستغرب كثيراً وبكى عليه، فظنّ أنّه ارتكب جريمة أو قتل أحداً. ولمّا شرح الشيخ له القصّة، ذهب وأخبر أصدقاءه، وأخرجوه من السجن.

ثمّ أضاف الشيخ: "چون از آن سختى رهايش يافتم واز آن رنج به آسايش رسيدم، از مسجد آدينه آغاز كردم وشكرانه را دو ركعت نمازكردم واوّل عهد مؤكّد ونذر مخلّد كه بكردم، اين بود كه هرگز با اناء اباء سكباج درهيچ خانه ننشينم ودرمستى وهشيارى روى هيچ ميزبان بازارى نبينم"[1].

ترجمة الشاهد

ولمّا نجوتُ من السجن ووصلت إلى الراحة بعد ذلك التعب، بدأت من المسجد الجامع وصلّيت ركعتين شكراً لله تعالى، وعاهدتُ نفسي عهداً مؤكّداً ونذرتُ نذراً مخلّداً ألاّ أنظر إلى وعاء السكباج ولا أنظر إلى وجه أيّ مضيف سوقيّ عاقلاً أو سكراناً.

فلمّا سمع أصحاب إخوان الصفاء قصّة الشيخ الأديب، تعاهدوا وأقسموا ألاّ يأكلوا السكباج ولا ينظروا في وعائه أيضاً. وأعطوا السكباج إلى الحارس. وتحدّثوا عمّا جرى للشيخ حتّى الصبح فبكوا عليه أحياناً وضحكوا أحياناً أخرى.

تجدر الإشارة إلى أنّ من يقرأ المقامة المضيريّة لبديع الزمان الهمذاني، ثمّ يقرأ المقامة السكباجيّة للحميدي، يعترف بأنّ مقامة السكباج ترجمة للمقامة المضيريّة، وتقليداً لها وذلك لكثرة الشبه بينهما، إلاّ أنّ الهمذاني كالعادة بعد مقدّمة قصيرة ومختصرة يدخل في صلب الموضوع، ويبدأ قصّته، في حين أنّ الحمَيدي دائماً يطيل إذا أراد أن يصف شيئاً أو مكاناً أو شخصاً أيضاً.

وبما أنّ موضوع بحثنا ليس المقارنة بين **مقامات** الهمذاني و**مقامات** الحَميدي، فإنّنا لن ندخل في هذا الأمر أكثر من هذا، ونكتفي بهذا القدر القليل.

خامساً- موضوع المناظرات في مقامات الحَريري والحَميدي

نشير إلى هذه الموضوعات في **مقامات** الحَريري، ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ- موضوع المناظرات في مقامات الحَريري

كتاب **مقامات** الحَريري تركيب حواريّ يجعل كلّ موقفٍ من جدال يدخل في موقف آخر، وكلّ لحظة من لحظات النصّ مُشبَعة في الواقع بالمناظرة. فعلى سبيل المثال في المقامة البكريّة[2]، يتواجد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٣.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٨٤ – ٤٩٠.

أبو زيد وفتى يافع في نقاش حول الزواج: أينبغي الزواج من بكر أم من ثيّب؟ ويطلب أبو زيد النصيحة من أوّل شخص يصادفه في طريقه، وكان أوّلَ من التقاه فتى يافعٌ. راح يمتدح البكرَ والثيّب، إلاّ أنّه لما كانت مزاياهما متساويّة، ظلّ أبو زيد في حيرة ولا يعرف مَن يختار منهما. ولا يمكنه الاختيار بين امرأتين تتوازن محاسنهما ومساوئهما؟ وكان أبو زيد يفكّر، أنّه بعد الاستشارة يمكنه حسم المسألة الّتي تُقلقه، غير أنّه بعد المناقشة ظلّ أكثر تردّداً، لا يقدر أن يقرّر أيّهما ينبغي أن يختار.

والمناظرة في نهاية الأمر، لا تُفضي إلى شيءٍ، بل تُفضي إلى طريق مسدود، ولا يُنتج عنها أيّ تقدّم وأيّ انفتاح ربّما لأنّها ليست مواجهة جدليّة لكي تؤدّي إلى حلٍّ.

وفي المقامة الفراتيّة تجري مناظرة حول الموازنة بين كتّاب الإنشاء وكتّاب الحساب. فالبعض يفضّل كتّاب الإنشاء، والبعض الآخر يميل إلى تفضيل كتّاب الحساب. ويمتدّ الجدال واللجاج حتّى يقول أبو زيد السروجي: "اعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع، وصناعَة الحساب أنفع، وقلم المكاتبة خاطِب[١]، وقلم المحاسبة حاطِب[٢]، وأساطيرَ[٣] البلاغة تُنْسَخ لِتُدْرس، ودساتيرَ[٤] الحُسباناتِ تُنسَخ وتُدْرَس. والمنشئُ جُهَيْنَةُ الأخبار[٥]، وحقيبةُ الأسرار، ونجيُّ العُظَماء، وكبيرُ الندماء، وقلمُه لسان الدولة... وهو البشير والنذير، والشفيع والسفير..."[٦].

فأمّا أبو زيد السروجي فهو يمنح الأفضليّة لكتّاب الإنشاء مرّة، ثمّ يُغيّر رأيَه مرّة أخرى ويمنح الأفضليّة لكتّاب الحساب. فكأنّه عاجز عن إعلان تفوّق واحدة على الأخرى. لأنّه حين ينتهي من خطابه ويلاحظ حبّاً وبغضاً من لمحات القوم، يغيّر كلامه، قائلاً: "إلاّ أنّ صناعةَ الحساب موضوعةٌ على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنيّة على التلفيق، وقلم الحاسب ضابط، وقلم المنشئ خابط... إنّ الحسبة حَفَظة الأموال، وحَمَلةُ الأثقال... وهو يد السلطان، وقطب الديوان... ولولا قلم الحسّاب، لأودَتْ ثمرة الاكتساب... والمحاسِب مُناقش، والمنشئ أبو بَراقش[٧]، ولكليهما حُمَةٌ[٨] حين يَرقَى... إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هُمّ"[٩].

---

(١) خاطب: جامع للكلام. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، مج ١، ص ٢٥٩.

(٢) حاطب: جامع للحطب. يريد أنّ المنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالي كاتب الحساب بما كتب. ويكون حاطب بمعنى مجمّع للمال. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٥٩.

(٣) أساطير: أحاديث. الشريشي، م.ن، مج١، ص ٢٥٩.

(٤) دساتير: أزمة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٥٩.

(٥) جهينة الأخبار: العارف بها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٥٩.

(٦) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٣ – ٢١٤.

(٧) أبو براقش: أي يأتي بأنواع مختلفة، وأبو براقش: طائر فيه ألوان شتّى. الشريشي، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، مج ١، ص ٢٦٠.

(٨) حُمة: بالتخفيف سمّ شرّ. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٦٠.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٤ – ٢١٧.

فيبدو أنّ الوظيفتين تتساويان في نظره، وهو لا يقدر أن يعطي رأيه في تفوّق وفضل واحدة على الأخرى. وكان يمكنه أن يعدّد محاسن ومساوئ كلّ منهما وينقذ نفسه من هذا التردّد.

لاحظنا أنّ **مقامات** الحَريري حافلة بالمناظرة والمحاورة بين الشخصيّات، وما يلفت النظر هو أنّ الحَريري في نهاية هذه المناظرات في هاتين المقامتين، عاجز عن إعطاء رأيه وتفوّق البكر على الثيّب وكتّاب الإنشاء على كتّاب الحساب. ويمكننا القول إنّ الحَريري ترك الجواب والتفوّق بين البكر والثيّب، أو بين كتّاب الإنشاء وكتّاب الحساب للقارئ عن عمد، أو حقيقةً كان عاجزاً عن الجواب والتمييز والتفضيل بينهما.

ب- موضوع المناظرات في مقامات الحَميدي

وضع الحَميدي مقامات في المناظرة هي المقامة الثانية: في الشيب والشباب[١]، والمقامة السابعة: في السيّاح[٢]، والمقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد[٣]، والمقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني[٤]، والمقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم[٥].

يدور موضوع المقامة الثانية حول شيخٍ ينصح فتى متكبّراً بأن يحترم الكبار في العمر، والعلماء؛ أمّا الفتى فهو يغترّ بنفسه وشبابه ولا يسمع كلام الشيخ. فينصح الشيخ الفتى باحترام الشيوخ، وألاّ يتجادل مع العلماء والفضلاء أيضاً، قائلاً: "اى جوان! پيران را حرمت دار تا ثمرات جوانى بيابى، وبا بزرگان بساز تا در دولت زندگانى بيابى. باپيران پيشى مجوى كه پايمال گردى... وهركه پيران را حرمت ندارد به پيرى نرسد"[٦].

ترجمة الشاهد

أيّها الفتى! احترم الشيوخ لتجد ثمرات الشباب، واحترم الكبار في العمر لتجد السعادة الدنيويّة. لا تحاول أن تسبق الشيوخ فتتعثّر، ومن لم يحترم الشيوخ لا يعيش طويلاً.

فأجاب الفتى: "اى پير شحّاذ واى قَلاّب استاذ، اى همه زبان لختى گوش باش وچون همه گفتى، ساعتى خاموش باش. أيّ شيء هذه التصاوير وما هذه المعاذير؟ أما سمعتَ إذا حلّتِ المقادير، ضلّت التدابير؟"[٧].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢ – ٣٥.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٧٨ – ٨٠.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٩٤ – ١٠٢.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٥١ – ١٥٣.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٨١ – ١٨٧.

(٦) حميدى، م.ن، ص ٣٣.

(٧) حميدى، م.ن، ص ٣٣.

ترجمة الشاهد

أيّها الشيخ الشحّاذ، وأيّها الأستاذ المزوّر، يا من كلّه لسان! استمع إليّ لحظة، لأنّك قلت كلّ ما كان عندك، فاصمت ساعةً. أيّ شيء هذه التصاوير وما هذه المعاذير؟ أما سمعت هذا القول إذا حلّت المقادير، ضلّت التدابير؟

ثمّ أضاف: "بدان كه نه پيرى مجرّد، علّت توقير است ونه جوانى، موجب ذلّت وتحقير... بياض پيرى، نشانه روز زوال است وسواد جوانى، عنان شب وصال... ابليس تا در اوان جوانى بود مقبول حضرت بود، چون در زمان پيرى شد، مخذول خدمت گشت. آدم تا در مهد بدايت بود، مسجود بود، چون به عهد نهايت رسيد، محسود شد. اگر پيرى، علّت احترام بودى، موسى چهارده روزه دست درمحاسن فرعون چهار صد ساله نزدى، واگر بزرگترى سبب نجات ورفع درجات بودى، عيسى دو روزه برتخت نبوت يحيى زكريّا ننشستى﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[1]... اگربزرگ را برخُرد ترجيح بودى وقاعده اين سخن صحيح بودى، نوح از محمّد فاضلتر بودى ولقمان از آدم گزيدة تر آمدى؛ پس معلوم شدكه اين باب مسدود است واين اصل مردود؛ وزيورى كه فخر را شايد، در آدمى، علم وفرهنگ است..."[2].

ترجمة الشاهد

إعلم أيّها الشيخ أنّ الشيخوخة وحدها ليست سبباً للعزّة والوقار، والشباب وحده ليس سبباً للذلّة والتحقير... بياض الشيخوخة، علامة يوم الزوال، وسواد الشباب، عنان ليلة الوصال... إبليس كان محبوباً عند الله تعالى حين كان في عنفوان الشباب، فلمّا جاءت أيّام شيخوخته أصبح مخذولاً. وآدم، كان مسجوداً، حين كان في بداية الصورة، فلمّا وصل إلى الكمال أصبح محسوداً. ولو كانت الشيخوخة، سبباً للاحترام، لم يكن يلمس موسى وعمره أربعه عشرة يوماً، لحية فرعون وعمره أربعمائة سنة، ولو كان الكبر في العمر، سبباً للإنقاذ ورفع الدرجات، لم يصعد عيسى وعمره يومان على سرير نبوّة يحيى زكرياء و﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾... ولو كان فضل للكبار على الصغار وأساس هذا الكلام كان صحيحاً، فنوح كان أفضل وأعلم من محمّد النبي – لأنّه كان أكبر من محمّد النبي سنّاً – ولقمان كان أحسن من آدم؛ فتبيّن الآن أنّ هذا الباب مسدود وهذا الأصل مرفوض؛ والزينة الّتي يجب أن يعتزّ بها الإنسان، هي العلم والثقافة...

ولمّا وصل دور الشيخ للحديث والمناظرة، قال الشيخ: "اى جوان گزافگوى لا فجوى، الشبابُ داءٌ دويٌّ والصبيُّ صَبَيٌّ وَإنْ لَقِي النبي. چون ازسر كودكى نه از ذهن ذكى، بيهوده اى چند گفتى...

---

[1] مريم، ١٩/١٢.

[2] حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣ – ٣٤.

اكنون بيا تا سخن ازعالَم جدّ وطريقت گوييم وازميدان لاف وگزاف به ايــوان انــصاف وانتــصاف پوييم..."[١].

ترجمة الشاهد

أيّها الفتى الّذي تجرأ وتجاسر في الكلام، وأيّها المتبجّح، الشباب داء دويّ والصبيّ صـــبيّ وإنْ لقي النبي. فتكلّمت كثيراً كالأطفال لا كالأذكياء والعقلاء، وقلت كلاماً عبثاً كثيراً... فتفــضّل لنتحــدّث عن عالم الجدّ والطريقة بالعدل، ونخرج من ساحة المماحكة والتبجّح وكلام العبث...

ثمّ أضاف: "الشيبُ عطيّة الرحمن والشبابُ مطيّة الشيطان"[٢].

وأنشد الشعر التالي: (بحر الوافر)

إذَا غَلَبَ المَشيــبُ عَلَى الشَّبابِ ... هُديتَ إلى خَفيَّاتِ الصّـــوابِ
فَأهْــلاً بِالمَشيــبِ فَــإنَّ فـيــهِ ... مُزاولَــةَ الخَلاعةِ والتّصابـــي
وَمَا سَــادَ الفَـتَــى إلاّ إذا مَــا ... يُخلِّصُهُ البَياضُ عَنِ الخِضَابِ[٣]

وأنشد أيضاً: (بحر السريع)

إسْمَــعْ نِدائــي فَندائــي مَليــحْ ... ومَنطقي جَزْلٌ ولَفظــي فَصيحْ
وَاستَمِــعِ الشَّيْــبَ إذا مَــا دَعَا ... بِــلَفْظَــةٍ فيهــا نِــداءٌ صَرِيحْ
أنْذَرَكَ الشيــبُ فَخُــذْ نُصْحَـهُ ... فَإنّمـا الشَّـيْبُ نَذيــرٌ نَصيحْ
وَعِلَّةُ الشَّيْــبِ إذا مَــا اعتَــدَتْ ... أعْيَتْ وَلَوْ كَانَ المُداوِي المسيحْ
لا تَحْسَبِ الشَّيْــبَ صُمُوتَ اللُّهَى ... بَعْدَ الّذي فِي عارِضَيْكُم يَصيحْ
وَدَاوِ بِــالعُــذْرِ قُبَيْــلَ الــرَّدَى ... وَآخِــرُ الأدواءِ سَيفٌ مُرِيــحْ[٤]

ثمّ منحهما الناس الأموال والثياب، وتبيّن أنّهما ليسا متخاصمين، إنّما هما الأب والابن وتظاهرا بهذه المناظرة أيضاً.

وفي المقامة السابعة: في السيّاح[٥] المعروفة باللغز الدمشقيّة، نجد المناظرة بين فتــى طليــق اللسان وبين شيخ فقير يخطب بلسان فصيح وبليغ في دمشق للجماعة على سبيل الألغاز.

وفي المقامة التاسعة[٦] يناظر الشيخ السنّي الشيعي الرافضي، حول أصول الــدين وفروعــه، وينتصر الشيخ السنّي.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٥.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٣٤.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٣٥.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٣٥.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والمُلحِد"، ص ٩٤ – ١٠٢.

ويتحاور شيخ وفتى في المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني، ويلوم الشيخ تابعي قوم لوط، ويوبّخهم بأفعالهم ويخاطبهم بالضالّين، ويدعوهم إلى الزواج بالنساء. أمّا الفتى فقد راح يظهر كره الرجال للنساء ويصفهنّ بأنّهنّ ماكرات وغير وَفِيّات، ولا خير في الزواج بهنّ، وينشد الشعر التالي: (بحر الكامل)

دَعْ ذِكْرَهُـنَّ فَما لَهُـنَّ عُهُـودٌ ... أَقْصِرْ فَمَـا لِلْوافِيـاتِ وُجُودُ

إِنِّـي إذا جَـرَّبْتُـهُـنَّ بِخِبْرَةٍ ... مَا لاحَ لي إلاَّ النَّوَى وَصُدُودُ[١]

وينشد أيضاً: (بحر البسيط)

دَعْ حُبَّهنَّ فَـإِنَّ الحُبَّ أَشْـرَاكٌ ... وَإِنَّهُنَّ لِقَلْبِ الصَّبِّ أَتْـرَاكُ

إِذا تَأَمَّـلْتَ ما فِيهِنَّ مِنْ خُلُـقٍ ... فَلَيْسَ يَجْمَعُها حَدْسٌ وَإِدْرَاكُ[٢]

وأمّا المناظرة بين الطبيب والمنجّم في المقامة العشرين[٣]، فهي عن علم الأبدان وعلم النجوم. فالطبيب يتكلّم عن الدواء والشفاء، والمنجّم اليوناني يتكلّم عن النجوم والكواكب والأفلاك. وكلّ منهما يعتقد بأنّه على الصواب، والآخر كلامه عبث. وينتصر الطبيب الكرماني في هذه المناظرة، ويعترف المنجّم اليوناني بفضله وبعلمه.

* * *

عارض الحَميدي **مقامات** الحَريري فوضع مقامات حول المناظرة بين طبقات مختلفة من الناس، وأظهر سعة معلوماته في مجالات شتّى.

سادساً- الموضوعات اللغزيّة في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بذكر هذه الموضوعات لدى الحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- الموضوعات اللغزيّة في مقامات الحَريري

جعل الحَريري الألغاز موضوعاً لبعض مقاماته[٤]، فاختصّ الألغاز بثلاث مقامات، وهي المقامة الملطيّة[٥] والنجرانيّة[٦] والشتويّة[٧]. وقد شرح الحَريري بنفسه هذه المعاني الخفيّة إمّا في نص المقامة، أو في هامش ألحقه بها كقوله: (بحر البسيط)

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة السادسة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٢.

(٢) حميدي، م.ن، ص ١٥٣.

(٣) حميدي، م.ن، "المقامة العشرون: المناظرة بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨١ – ١٨٧.

(٤) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٠ – ٤٠١.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٤ – ٤٧١.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥٠٠ – ٥١٠.

(٧) وأشرنا في قسم الموضوعات العلميّة إلى أنّ الحَريري في المقامة النحويّة ألّف مسائل في النحو، على سبيل الألغاز، وكذلك نجد في المقامة الفرضيّة والمقامة الطبيبيّة، بعض مسائل فقهيّة ملغزة أيضاً، أنظر: ص ٢٤٤ – ٢٤٥، ٢٤٧ – ٢٤٨.

وقادرينَ متَى ما ساءَ صنْعُهُـمُ   أوقصّرُوا فيهِ قالُوا الذّنْبُ للحطَبِ[١]

توجد في هذا البيت صنعة الإيهام، وألغز في كلمة قادرين، لأنّه قصد بها الطابخين بالقدور بقوله: (بحر البسيط)

وكاتبيــنَ ومَــا خَطّتْ أناملُهُــمْ   حَرْفاً ولاقَرأوُا مَاخُطَّ في الكُتُبِ[٢]

فقد ألغز الحَريري في كلمة كاتبين، لأنّه قصد بها الخرازين بقوله: (بحر البسيط)

وراكباً وهو مَغْلُولٌ عَلَــى فَرَسٍ   قَدْ غُلَّ أيضاً وما يَنْفَكُّ عَنْ خَبَبِ[٣]

وألغز في كلمة المغلول، وقصد بها العطشان.

وتتضمّن المقامة الملطيّة ألغاز أبي زيد السروجي بالمقايضة، أي ما يماثلها من الكلام، على سبيل المثال: "إذا عَنَيْتَ به الكَرامات، ما مِثْل النوم فات..."[٤]، فقد أراد الحَريري أنّ هذا النوم من الألغاز هو أن يؤتى بلفظ عوضاً من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد، والمماثلة الّتي بينهما إنّما هي موافقة المعنى.

أو "جُوعٌ أُمِدَّ بزادٍ، فمثله طوامير"[٥]، والمماثلة هنا: جوع أمدّ بزاد، فتقابله بطوامير، فتقسم هذه اللفظة وتقابل القسم الأوّل، وهو طوى بمعنى جوع، فنجده مثله في المعنى ويقابل في القسم الثاني، وهو مير. قوله أمدّ بزاد فنجده مثله في المعنى، والمير: الإمداد بالزاد، ومير الرجل: أعطى نفقة وقوتاً لأهله.

أو "وأمّا ظَهرٌ أصابَتْهُ عَيْنٌ، فمثله مطاعين"[٦]، وكذلك يقابل ظهر أصابته عين بقول مطاعين، فنجد المطا الظهر، وعين الرجل أصيب بالعين.

ويلقي أبو زيد السروجي في المقامة النجرانيّة ألغازاً في بعض الأشياء، ويدعو الناس إلى إلقاء الألغاز بقوله: "هلّم إلى أن نُلغز"[٧].

ثمّ يلغز في حابول النخل[٨]: (بحر مجزوء الوافر)

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥٠٠.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٥٠٠.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٥٠٢.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٢.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٤٠٣.

(٦) الحَريري، م.ن، ص ٤٠٣.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٤.

(٨) حابول: حبل يُصعد به على النخل. يُعمل من ليفها وهو حبل يُعقد حلقة ويدخل فيها الرجل ويدرّجه على النخلة... وقيل له حابول لأنّه لا يستعمل إلاّ للصعود على النخلة. فرقاً بَينه وبين الحبل المستعمل لكلّ شيء، ولمـا كـان يصنع من ليف النخل جعل النخلة أمه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثانية والأربعون، النجرانيّة"، مج ٢، ص ٢١٣.

ومُنتَسِــبٍ إلــــــــى أمّ تَنَشّـــا أصلُـــهُ مِنهَـــا
يُعانقهـــا وقـــد كانــت نَفَتـــهُ بُرْهَـــةً عَنْهَـــا
بــــه يتوصّـــلُ الجانــي ولا يُلْحَـى[١] ولا يُنْهَـــى[٢]

فقد ألغز في كلمة الجاني وأوهم القارئ أنّه الّذي يجني جناية، وإنّما الجاني هنا بمعنى الّذي يجني الثمر.

وقد أدهش الحَريري معاصريه بألغازه اللغويّة ومَعَمَّياتِهِ؛ وبقيت خير مثال للأسلوب اللغوي، وأدب الألفاظ المنتقاة المصقولة فأقبل على كتابته الكثيرون من الكتّاب والمقلّدين.

ألّف الحَريري هذه المقامات الثلاثة للتحاجي وامتحان الألمعيّة في استخراج المعاني الخفيّة. وكان الكتّاب والشعراء يتسابقون في صنعها مقياساً للذكاء. وأظهر مهارته البيانيّة، وسعة معلوماته أيضاً.

ب- الموضوعات اللّغزيّة في مقامات الحَميدي

لقد أفرد الحِمَيدي مقامتين للغز هما المقامة الخامسة[٣] الّتـي سـمّاها اللغـز، وكتبهـا تقليـداً للحريري ومعارضة له والمقامة السابعة: في السيّاح[٤] الّتي اشتهرت باسم اللغزيّة الدمشقيّة، تتـضمّن إلقاء الألغاز شعراً نحو: (وزن خفيف مسدّس مخبون محذوف - فعلاتن مفاعلن فعِلن)

چيست آن آسمان پر زنجـــوم انجم او بــه شكــل ديگرگون
لذّت عيش در بـــرش موقوف ديده عقــل بــر رُخش مفتون
سرخ وزرد وسياهوسبزوبنفش بى قلم نقش او چو بو قلمـــون
ماهومهرش از آنِ گردون بيش كوكبش نيز از آن چرخ فزون[٥]

ترجمة الشاهد

- ما تلك؟ تلك سماء حافلة بالنجوم، ونجومها بأشكال مختلفة.
- لذّة العيش أمامها لا شيء، وعيون العقل أمام وجهها مفتونة.
- وألوان الأحمر والأصفر والأسود والأخضر والبنفسج بدون قلمه كالحبش.
- وقمرها وشمسها أكثر ممّا في الفلك، ونجومها أكثر ممّا في الفلك أيضاً.

---

(١) يلحى: يلام ويسبّ. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، مج ٢، ص ٢١٣.
(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٥.
(٣) حميدى، **مقامات**، ص ٥٦.
(٤) حميدى، م.ن، ص ٧٨ - ٧٩.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٦.

وتتضمّن المقامة السابعة المناظرة والجدال والحوار بين شيخ وفتى على سبيل الألغاز. ونرى الشيخ وهو بطل هذه المقامة كأبي زيد السروجي يدّعي أنّه يعرف الخبايا والأسرار، فيخبر الناس عن المغيبات وعن الإنس والجان. كما ادّعى أبو زيد السروجي في المقامة الثانية والثلاثين: الطيبيّة[١]، أنّه فقيه عالم بالشؤون الدينيّة وطلب من الناس أن يسألوه عمّا يريدون ليستوضح لهم مشكلاتهم الفقهيّة. فليغز الحِمَيدي على لسان الشيخ والفتى فيقول الشيخ: (وزن رَمَل مثمَّن محذوف = فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)

چيست آن معشوقة كورانه خاص است ونه عام

باحريفان سربه سريكسان بود درابتسام

گاه در تيماريـاران گاه درديدار خويش

خوش همى خندد مقيم وزار مى گريد مدام

هركجا ديدار او باشد خجل ماند ضياء

هر كجا رخسار او باشد نهان ماند ظلام[٢]

ترجمة الشاهد

- من هي؟ هي كالمعشوقة عمياء بين الخواصّ لا العوام، تساوي بين منافسيها من حيث توزيع الابتسام.

- أحياناً مشغولة بمراقبة مرضاها – عشّاقها – وأحياناً أخرى مشغولة بنفسها، أحياناً تضحك وأحياناً تبكي.

- يستحي الضوء من لقائها، ويختفي الظلام حين تظهر.

ويلغز الفتى وهو يستهزئ بالشيخ وبلغزه: (وزن هَزَج مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

آن چيست چو رخساره عشاق مذهّب

مجلس بـه وى آراسته وبزم مرتّب

تابنده چوماه است ودرخشنده چوخورشيد

رخشنده چوبرق است ونمانيده چوكوكب

ناساخته از آتش وازآب وليكن

هم آتش وهم آب در اجزاش مركّب[٣]

---

(١) الحريري، **المقامات**، ص ٣٣٧ – ٣٥٧.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٨.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٧٨ – ٧٩.

ترجمة الشاهد

– ما هو؟ وجهه كالعشّاق مُذَهّب، والمجالس متحلّيّة به.

– متلألئ كالقمر، ومضيء كالشمس، وسريع كالبرق وظاهر كالكوكب.

– غير مصنوع من النار ولا من الماء، ولكن أجزاءه مصنوعة من النار والماء.

وترك الحَميدي الإجابة عن اللغز، وحولّها إلى القارئ، خلافاً للحريري.

* * *

لاحظنا أنّ الحَميدي حاكى مقامات الحَريري وعارضها مرّة أخرى، ووضع مقامتين للغز، ليظهر قدراته الفنيّة تجاهه، بيد أنّه يترك الإجابة للقارئ على خلاف الحَريري، لأننا رأينا أنّ الحَريري يطرح مائة مسألة فقهيّة ملغزة، ويجيبُ نفسُه عن الأسئلة مباشرة.

سابعاً– موضوع الشتائم في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر موضوع الشتائم لدى الحَريري ثمّ لدى الحَميدي.

أ– موضوع الشتائم في مقامات الحَريري

ألّف الحَريري مقامات حول المخاصمة بين الزوجين نحو: المقامة الإسكندرانيّة(١) والتبريزيّة(٢) والرمليّة(٣)؛ والمخاصمة بين الابن وأبيه، نحو: المقامة المعرّيّة(٤) والصعديّة(٥). واستعمل الحَريري في بعض منها الألفاظ الركيكة المبتذلة إلى حدٍّ أنّ الإنسان يستحي أن يذكرها أو يشرحها أو يكتب مثلها.

وأمّا المقامة الإسكندرانيّة فتحتوي على المخاصمة بين الزوجين أبو زيد السروجي وزوجته، وقيامه على بيع أثاثها وجهازها.

وتتضمّن المقامة التبريزيّة تخاصم أبي زيد السروجي وزوجته عند القاضي زاعماً أنّها لا ترعاه، ولا تهتم بشؤونه فيتّهمها بالنشوز. فيوبّخها القاضي ويقول لها: "وَيْحَك أما علمتِ أنّ النُشوزَ يُغْضِبُ الربَّ، ويُوجبُ الضربَ"(٦). ويتبادل الزوجان أقبح الشتائم وأقذع الكلمات، ويقول أبو زيد

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٧ – ٨٧.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٨ – ٤٥٠.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢١.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الثامنة: المعرّيّة"، ص ٦٩ – ٧٦.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٦ – ٤١٥.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٠.

السروجي لزوجته أنت "أقبح من قردة... وأخشن من ليفة[١]، وأنتن من جِيفة... [٢]. حتّى يوصيهما القاضي بالتراضي، ويأخذان منه دينارين.

وتشتمل المقامة الرمليّة[٣] على مخاصمة أبي زيد وزوجته، إذ تشتكي المرأة جور بعلها إلى القاضي ويتبادلان أقبح الكلمات أيضاً.

لاحظنا أنّ الحَريري أفرد مقامات للمخاصمة بين الزوجين أو بين الأب والابن، ويتبادلون أقبح الشتائم بينهم أحياناً.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ الموضوع الرئيس في هذه المقامات هو الاستجداء، ودخل الحَريري في هذا الموضوع عبر المخاصمة بين الزوجين أو بين الأب والابن واحتالت هذه الشخصيّات، وخدعت القاضي بهذه المخاصمة والشكوى والدعوى لكسب المال والرزق.

ب- موضوع الشتائم في مقامات الحَميدي

اشتهرت **مقامات** الحَميدي منذ تأليفها بعفة قلم الكاتب، وعلو طبعه، وجمال أسلوبه. لأنّه لم يعتمد الألفاظ الركيكة المبتذلة، ولم ينزلق قلمه إلى الشتائم إطلاقاً حتّى في مقامة المخاصمة بين الزوجين[٤]؛ لم يخرج عن الأدب، وكتبها في نهاية الأدب. واللافت للنظر أنّ الحِميدي لا يذكر الشتائم المتبادلة بين الزوجين في المحكمة أو قبلها، إنّما يشير إلى أنّ هذين الزوجين كان يشتم واحدهما الآخر ويتشاجران في المحكمة، ويكتفي بذكر ألفاظ كالخدعة، والطمع، وخلف الوعد، والكذّاب والنمّام ومثل ذلك.

وأمّا خلاصة المقامة السابعة عشرة: مخاصمة بين الزوجين، فهي كما يلي: يسافر الراوي إلى مدينة الأهواز[٥]، ويسمع هناك عن قاض عادل عالم فاضل مؤمن من عائلة أصيلة، متواضع، كان يرجع نسبه إلى الهاشميين ومع هذا "لا بِجُوده يَفْتَخِرُ ولا بِعَودِهِ يَبْتَخِرُ"[٦].

---

(١) الليفة: واحدة ليف النخل، وهي الّتي تكون بين الجرائد. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٦٥.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤١؛ الجيفة: معروفة جُثّة الميّت. وقيل: جثّة الميّت إذا أنْتَنَت. ابن منظور، **لسان العرب**، مج ٢، ص ٤٣٦، باب الفاء، فصل الجيم.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤ – ٥٢٢.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٧ – ١٦٠.

(٥) الأهواز: هي جمع هَوْز، وأصله حَوْز، فلمّا كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة، غيّرتها حتّى أذهبت أصلها جملةً، لأنّه ليس في كلام الفرس حاء مهملة. وعلى هذا يكون الأهواز اسما عربيّاً، سمّي به في الإسلام، وكان اسمها في أيّام الفرس خوزستان. والأهواز اسم للكورة بأسرها. وأمّا البلد الّذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامّة اليوم فإنّما هو سوق الأهواز. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ١، ص ٢٨٤.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٧.

فيشتاق الراوي أن يرى القاضي، فيذهب إلى محكمته، فيشاهد جمعاً غفيراً والقاضي جالس في مقام الحكم وهو يستمع إلى كلمات وضيعة وقبيحة وأحياناً عبارات حسنة وشريفة.

ويشبّه الراوي القاضي بشريح القاضي في قطع العداوة، ويشبّهه بعلي بن أبي طالب في الحكم والاستناد إلى البيّنات والحجج. ثمّ يصف أحوال الزوجين اللذين كانا في المحكمة يتخاصمان ويتشاتمان بقوله: "زنى ومردى را ديدم درهم فتاده، هريك از عِرض يكديگر مى چشيدند وگريبان جدال يكديگر مىكشيدند. پرده حشمت از ميان برداشته وراه شرم وآزرم فرو گذاشته"[١].

ترجمة الشاهد

رأيت رجلاً وامرأة كانا يتخاصمان، ويشتم واحدهما الآخر، دون أن يستحيا من أحد.

فالحمَيدي هنا بدون أن يشير إلى الألفاظ المتبادلة بينهما والشتائم، يضيف أنّ القاضي جاء وطلب منهما أن يسكتا وألاّ يتخاصما ويخبراه عمّا وقع بينهما.

فقال الرجل: "أيّها القاضي إنّ أمري أشدُّ الأمور وإنّ خصمي ألدُّ الجمهور"[٢]. وأضاف أنّه غريب في هذا البلد وهو من بلاد اليمن والحجاز، وطلب منه أن يحفظ حقوقه، وأنشد الشعر التالي: (بحر الطويل)

ألا إنّ أمْرِي فِي الزّمانِ عَجيبُ   وَخَصْمِي ألَدُّ فِي الخِصامِ مُرِيبُ
وإنِي غَريبٌ في نَواحي بِلادِكُمْ   ومِثْلِيَ في كُلِّ البِلادِ غَريبُ[٣]

وادّعى أنّه صاحب فنون شتّى وهو رجل مؤدّب وقانع، ومظلوم أمام زوجته، وأسير في فخّ زوجته وخدعته قائلاً: "الخُدْعةُ بِدْعةٌ والاغترار إضرار، اين زن مرا به طمع طعمه در دام افكند.. وگندم فروخته است ودر عوض جو داده وكهن تسليم كرده است وعده نو داده..."[٤].

ترجمة الشاهد

الخُدْعةُ بِدْعةٌ والاغترار إضرار، أوقعتني هذه الإمرأة في فخها ووقعت في فخّها طمعاً، وباعت الحنطة وأعطتني الشعير بدلها، وسلّمتني القديم ووعدتني بالجديد...

وأنشد: (بحر السريع)

الجَرْحُ قَدْ بَزَّ على ضبطِه   والخَرْقُ قَدْ عَزَّ عَلَى الرّاقِعِ[٥]

فلمّا انتهى كلام الرجل وشكواه قال القاضي للامرأة: "اى زن اين چه بد معاملتى است؟"[٦].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٧.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٥٧.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٥٧.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٥٧.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٥٨.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١٥٨.

ترجمة الشاهد

أيتها الامرأة! ما هذا التعامل السَّيِّئ؟

وأضاف: "لمَ بعتِ ما ليس عندكِ؟"[١]. فقالت المرأة: أيّها الحاكم في أرض المسلمين: "لا تَقْضِ على أحدِ الخَصْمَيْنِ إذا لَمْ تَسْمَعْ كلامَ الثاني... والبيّنة على مَنِ ادّعي واليمينُ على مَنْ أنْكَر"[٢]. فأصلح القاضي بينهما على التراضي، وأعطاهما شيئاً من بيت المال.

* * *

رأينا أنّ الحَميدي قلّد الحَريري وألّف مقامة حول المخاصمة بين الزوجين، وأشار إلى الشتائم المتبادلة بين الزوجين، غير أنّه لم يتجاوز حدود الأدب ولم يستعمل الألفاظ المبتذلة على خلاف الحَريري.

ثامناً- موضوعات خاصّة بمقامات الحَميدي

نجد أحياناً موضوعات عند الحَميدي غير موجودة عند الحَريري، كالموضوعات التاريخيّة، والوصفيّة. فنشير إلى هذه الموضوعات التاريخيّة والوصفيّة.

أ- الموضوعات التاريخيّة في مقامات الحَميدي

وضع الحِميدي مقامة عن تاريخ الخلفاء منذ عهد النبي محمّد حتّى زمنه، واختصّ المقامة الأخيرة بهذا الموضوع وسمّاها النسّابة. ومن ابتكاراته وإبداعاته أنّه نظم أسماء الخلفاء مرّة بالعربيّة ومرّة أخرى بالفارسية. وفي الواقع أنشدها بالفارسية للّذين لا يعرفون اللغة العربيّة.

وأمّا المقامة الثالثة والعشرون فهي تدور حول علم الأنساب، وذكر تواريخ القدماء، وأيّام العلماء القدماء، وذلك في اجتماع جمع غفير من الناس؛ فيقوم فتى من بينهم يسأل شيخاً غريباً كان عالماً بعلم الأنساب والتاريخ، ويطلب منه أن يذكر له أسماء الخلفاء منذ عهد النبي حتّى زمنهم بالترتيب. وقال الشيخ له: "مَرحَباً بهذا السؤال وأهلاً بهذا المقال"[٣]. ثمّ يذكر له هذه الأسماء من الأوّل حتّى الأخير شعراً في قالب القصيدة تضمّ سبعة وثلاثين بيتاً منها: (بحر الطويل)

ايا رُفْقةَ الْفِتيانِ ذي الْعَقلِ والبَصَرْ	قِفوا واسْمَعوا قَولي فقَولِيَ مُعتَبَرْ
أُعَــدِّدُ مَنْ قَدْ حازَ صَدْرَ خِلافةٍ	إلى عَهْدِنامِن عَهدِ مُفْتَخَرِ الْبَشَرْ
أبــو بكرٍ الصِّدّيقُ ابْنُ قَحافَــةٍ	تَوَلّاه زُهْداً ثُمّ مِنْ بَعْــدِهِ عُمَرْ

---

(١) حميدى، مقامات، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٨.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٥٨.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٦.

ومِنْ بَعْدِه عُثمانُ ثُمَّ إذا مَضَى حَوَاهُ عليٌّ صاحبُ القَدْرِ والخَطَرْ.[١]

تدلّنا هذه المقامة التاريخيّة على أمرين أوّلاً: معلومات الحَميدي التاريخيّة، ثانياً: سيطرته على اللغتين العربيّة والفارسيّة، لأنّه ذكر أسماء الخلفاء منذ عهد النبي حتّى زمنه في قالب قصيدة مرّة بالعربيّة، ومرّة أخرى بالفارسيّة. علاوة على أنّه وضع هذه المقامة معارضةً للحَريري ليظهر سعة معلوماته التاريخيّة أيضاً.

ب- الموضوعات الوصفيّة في مقامات الحَميدي

وأمّا موضوع بعض مقامات الحَميدي فهو أقرب إلي الوصف مِمّا إلى المقامة، وعرض مهارته البيانيّة مرّة أخرى، ووضع موضوعات وصفيّة نحو المقامة الثانية: في الشيب والشباب[٢]، المقامة الثالثة: في الغزو[٣]، والمقامة الرابعة: في الربيع[٤]، والمقامة السادسة: في السكباج[٥]، والمقامة الحادية عشرة: في العشق[٦]، والمقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب[٧]، والمقامة الخامسة عشرة: في المجنون[٨]، والمقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ[٩]، والمقامة التاسعة عشرة: في سمرقند[١٠]، والمقامة الحادية والعشرين: في صفة الشتاء[١١]. فنذكر نماذج منها قوله في وصف الشيب والشباب: "بياض پيرى، نشانه روز زوال است، وسواد جوانى، عنان شب وصال. صباح پيرى، معاد زندگانى است ورواح جوانى، ميعاد شادمانى. پيرى پيرايه اى است كه روى در كساد دارد وجوانى سرمايه اى است كه قدم در ازدياد دارد..."[١٢].

ترجمة الشاهد

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٦ – ٢٠٨.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٣٣ – ٣٥.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٤٠ – ٤٣.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٤٥ – ٥٠

(٥) حميدى، م.ن، ص ٦٤ – ٧٢.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١١٢ – ١١٦.

(٧) حميدى، م.ن، ص ١٣٣ – ١٣٨.

(٨) حميدى، م.ن، ص ١٤١ – ١٤٦.

(٩) حميدى، م.ن، ص ١٦١ – ١٧١.

(١٠) حميدى، م.ن، ص ١٧٣ – ١٧٧.

(١١) حميدى، م.ن، ص ١٨٩ – ١٩٤.

(١٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣.

بياض الشيخوخة علامة يوم الزوال، وسواد الشباب عنان ليلة الوصال. صباح الشيخوخة معاد الحياة، ورواح الشباب ميعاد السرور. الشيخوخة زينة تنقص دائماً، والشباب رأس مال يزيد دائماً...

وقوله في العربيّة: "الشبابُ داءٌ دويٌّ والصبيُّ صبيٌّ وإنْ لقي النبيّ"[١]. أو "الشيبُ عطيّةُ الرحمنِ والشبابُ مطيّةُ الشيطانِ"[٢].

ويصف الحَميدي المقاتل في مقامة الغزو، بقوله: "يمانى برميان وعقيلى درزيرران، داودى در بر وعادى برسر..."[٣].

ترجمة الشاهد

متحلّي بالسيف اليماني، والراكب على الفرس العقيلي، والمدَّرع، والخوذة على الرأس...

ثمّ يصف مشهد وداع المقاتلين شعراً: (بحر الوافر)

يُعانقُ بعضُهــم بعضَــاً وِداعــاً   وداعَ مُفــارقٍ عَدَمَ اجتماعــا[٤]

واتّسع الوصف في مقامات الحَميدي في الطبيعة شعراً ونثراً، وأكثر الحَميدي في وصف الرياض والأزهار والأشجار بقوله: "نركس چو اسخيا زر بردو دست نهاده، سوسن چو اوليا بر يك پاى ايستاده..."[٥].

ترجمة الشاهد

وضعت وردة النرجس الذهب على أيديها كالأسخياء، ووقفت وردة السوسن على رِجْل واحدة كالأولياء.

ويصف الحِميَدي المائدة والأطعمة والأشربة بالإطناب: "خوانى بنهاد از روى عروسان آرا سته تر وازرلف شاهدان پيراسته تر... انايى در هرگوشه اى، وظرفى بر هر طرفى. إبا از إنا لطيفتر وظرف از مظروف نظيفتر. حيوان برّى وبحرى راشامل والوان عتيق وطرى را حامل..."[٦].

ترجمة الشاهد

وضع مائدة أجمل من وجه العروس وأكثر زينةً وتزئيناً من شعرات المشاهدين... إناء في كلّ الزوايا، ووعاء في كلّ الجهات. والسكباج ألطف من الإناء والإناء أنظف من الأكل. المائدة حافلة بلحوم الحيوانات البريّة والبحريّة والأطعمة المختلفة والطيّبة الطريّة...

---

(١) حميدى، مقامات، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٤.
(٢) حميدى، م.ن، ص ٣٤.
(٣) حميدى، م.ن، ص ٤٠.
(٤) حميدى، م.ن، ص ٤٠.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٨.
(٦) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٦.

ثمّ أنشد الشعر التالي: (بحر مخلّع البسيط)

يَلُـوحُ فِـي هـالَـةِ الإنــاء تَلألُـؤ الشَّمْـسِ بِالضِّيــاء
كَأنّهـا النّـارُ فِـي التَّجَـلِّـي كَأنّـهـا المَاءُ فِـي الصَّفَـاء[١]

وأنشد أشعاراً جميلة جداً في وصف الربيع أيضاً، وله تشبيهات وقطع فريدة في نوعها في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين نحو: (وزن هزج مثّمن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

دوران گـل ولالـه وايّـام بهارسـت
عالم چـورخ خوبان پرنقـش ونگارست
نرگس به چمن در صنمى سبزلباس است
سوسن به صف اندر پسرى سيم‌عذارست[٢]

ترجمة الشاهد

– وصل موسم الورود والشقائق النعمانيّة وأيّام الربيع، والدنيا حافلة بالنقوش والألوان كوجوه الحسناوات.

– وردة النرجس في الخضرة كالصنم خضراء ثيابه، ووردة السوسن بين الورود كفتىً جميل.

ويقول في وصف العشق: (بحر الكامل)

"الحُبُّ مَا مَنَحَ الكَلامَ الأخْرَسَـا لا ما يَظُـنُّ الألْمَعِـيُّ الأكْيَسَا[٣]

ويصف العشق في مقامة المجنون بقوله: "دركوى عشق نخست زبان دركفت وگوى آيد، پس قدم درتك وپوى. قدم اول گفت وگوى است كه العشقُ أوّله تذكّر، پس بدين صفت باز آيد كه العشق آخرُه تفكّر..."[٤].

ترجمة الشاهد

في حيّ العشق يتكلّم اللسان أوّلاً، ثمّ يحاول القدم. القدم الأوّل هو الحوار لأنّ العشق أوّله التذكّر، ثمّ يتفكّر لأنّ العشق آخره التفكّر.

كما أنّه يصف مدينة بلخ ومتنزّهاتها وأزهارها وورودها وأنهارها وأشجارها ويشبّهها بالجنّة قائلاً: (بحر البسيط)

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٦٦.
(٢) حميدي، م.ن، ص ٤٧.
(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٢.
(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٥.

حَسِبْتُــها جَنَّةً فــي الحُسْنِ طَيِّبَةً   أَغْصَانُ أَشْجَارِها مَوْشِيَّةُ الوَرَقِ
رأيتُ أَزْهَارَهَا بِالطَّلِّ مُمْتَزِجَــاً   كَأَنَّهــا خَــدُّ خَوْدٍ حُفَّ بِالعَرَقِ
نَسيمُ سُحْرَتِها مِسْــكٌ وَتُرْبَتُهَــا   كَأَنَّها مُزِجَتْ بِالعَنْــبَــرِ العَبِقِ[١]

ويقول في وصف مدينة سمرقند: "چه گويم درشهرى كه ديار خير وطاعت است ومزار سنّت وجماعت. ماؤها نميرٌ وترابُها عبيرٌ؛ ازخاك او نسيم عبير آيد... ساحت او راحت خلد برين است... باره او اسلام را حصن حصين است ورجال او غُزات حوزه دين..."[٢].

ترجمة الشاهد

ماذا أقول في مدينة أرضها أرض الخير والطاعة، ومقابرها مقابر أهل السنّة والشيعة. ماؤها نميرٌ وتُرابُها عبيرٌ؛ يأتي من ترابها نسيم محمّلٌ بالعبير... أرضها أرض الراحة والجنّة الخالدة... جدرانها حصن حصين للإسلام ورجالها مقاتلو الإسلام...

نظم أبياتاً في وصف المرأة منها: (بحر الكامل)

هَيْفاءُ إِنْ خَطَرتْ فَغُصْنٌ مَائِــلٌ   حَوْرَاءُ إِنْ نَظَــرتْ فَجَفْنٌ فاترُ
فالقَدُّ فِي الأثــوابِ رُمْــحٌ ناعِمٌ   وَالطَّرْفُ فِي الأَجْفَانِ سَيْفٌ باترُ[٣]

إن عذوبة اللفظ والمعنى في هذه الأبيات واضحة.

ونجد الأبيات الّتي أنشدها الحمَيدي معارضة لبديع الزمان الهمذاني في وصف البرد في الشتاء، بقوله: (بحر من جوازات الخفيف)

مِــنْ حكايــاتِ بَــرْدِ لَيْلَــتِها   خَمَــدتْ في الشتــاء[٤] مقلوبَةْ
وهَمَمْــنــا بِشُرْبِــــهَــا فَإِذا   جَمِدَتْ فِــي الإنــاءِ مَشْرُوبَــةْ[٥]

تدلّنا هذه المقامات الوصفيّة على مهارة الحَميدي البيانيّة في الوصف، ولا شكّ في أنّه قصد إظهار مقدرته البيانيّة إزاءَ الهمذاني والحَريري خاصّةً.

* * *

لاحظنا أنّ عدد **مقامات** الحَميدي أقلّ من **مقامات** الحَريري، ومع هذا يمكننا أن نقارن بينهما من حيث موضوعات.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦١.
(٢) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٧.
(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥١.
(٤) مقلوب كلمة شتا: آتش ومعناها النار.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٣.

فقد تناول الحَريري موضوعات مختلفة كالاستجداء والوعظ والفقه والأدب واللغز واهتمّ بالاحتيال والتشاتم والألاعيب اللفظيّة كثيراً. كما أنّ الحَميدي كتب موضوعات شتّى، مثل التسوّل والوعظ والطب والنجوم والفقه والأدب واللغز والتشاتم. وقلّد الحَريري في الألاعيب اللفظيّة واللغزيّة والفكاهيّة. وفضلاً عن ذلك ابتكر موضوعات لم يكتب عنها شيئاً الحَريري، كالمقامات التاريخيّة، والصوفيّة والوصفيّة، والطب والنجوم.

ولا ريب أنّنا نجد جذور قصص المقامات الحَميديّة في المقامات العربيّة. فقد قلّد الحَميدي المقامات العربيّة بشكل تامّ وذلك في المقامة السكباجيّة، ومقاماته الأخرى تشتمل مفهوم المقامات العربيّة لا سيّما مقامات الحَريري.

ومن الموضوعات الّتي انعكست في المقامات الفارسية من المقامات العربيّة، المخاصمة بين الزوجين عند القاضي، ونجدها عند الحَريري في المقامات: الإسكندرانيّة والتبريزيّة والرمليّة وهي حافلة بالألفاظ الركيكة المبتذلة في التشاتم. وقام الحَميدي بمعارضة الحَريري، وألّف مقامة في المخاصمة بين الزوجين عند القاضي، وقلّده في التشاتم أيضاً، غير أنّه لم يتجاوز حدود الأدب، ولم يستعمل الألفاظ الركيكة المبتذلة على خلاف الحَريري.

واتّسمت المقامات العربيّة بالتسوُّل، لا سيّما **مقامات** الحَريري، وأصبح التسوّل من أهمّ موضوعات مقاماته، إلاّ أنّها ليست الموضوع الأساسي لها، وإن كانت صنعة ملازمة للبطل في المقامات كلّها. وقد عالجها الحَميدي في مقاماته أيضاً، إلاّ أنّه حاول أن يجتنبها قدر الإمكان. فلم يتعرّض فيما يقارب نصف المقامات لموضوع الاستجداء، ولعلّ سبب ذلك يرجع إلى منصب الحَميدي ومركزه، لأنّه كان قاضي القضاة في مدينة بلخ. ويختلف المتسوّلون والشحّاذون في **مقامات** الحَميدي عن المتسوّلين والشحّاذين في **مقامات** الحَريري، لأنّهم لا يسلكون طريق الخدعة والحيلة، ولا يلحّون لأخذ شيء من الناس، خلافاً للشحاذين في **مقامات** الحَريري، بل هم ينتظرون الآخرين ليمنحوهم.

فالفرق شاسعٌ بين **مقامات** الحَريري وبين **مقامات** الحَميدي في موضوع التسوّل، لأنّها ليست المحور الأساس في **مقامات** الحَميدي.

وقد كتب الحَميدي مقامته الثانية: المناظرة بين الشيب والشباب، تقليداً لمقامة الحَريري الثامنة الّتي تعرف بالمعرّية. وتتضمّن هذه المقامة مخاصمة شيخ وفتى عند القاضي في الميل والإبرة. ويشتكيان عند القاضي بألغاز وبلسان فصيح، ويتظاهران بالإفلاس والفقر. فيعطيهما القاضي المال، ثمّ يشكّ في أمرهما ويتحيّر من ذكائهما، فيرسل أحداً وراءهما، فيعترف الشيخ بأنهما أبو زيد السروجي وابنه – وهما بطلا المقامة – ولا توجد مخاصمة بينهما بل أظهر على التخاصم احتيالاً لكسب المال.

وقلّد الحَميدي الحَريري في هذا الموضوع، وكتب المقامة الثانية: في المنــاظرة بــين الــشيب والشباب معارضةً له. وقد تناظر شيخ وفتى مناظرة شديدة في هذه المقامة، ثمّ يعطيهما الناس أمــوالاً وثياباً إعجاباً بكلامهما. وبعد ذلك يتبيّن أنّهما كانا أباً وابناً، ولم تكن مخاصــمة بينهمــا بــل أظهــرا التخاصم احتيالاً لكسب الأموال.

عارض الحَميدي **مقامات** الحَريري مرّة أخرى، وكتب مقامة فهقيّة ملغــزة فكاهيــة، وســمّاها المسائل الفقهيّة، وهي تشتمل على الأسئلة الفقهيّة وأجوبتها. ونجد مثلهــا فــي المقــامتين: الفرضــيّة، والطبيبيّة للحريري.

ووضع الحَميدي مقامات أدبيّة معارضةً للحريري، إلاّ أنّه لم يهتمّ مثلــه بالألاعيــب اللفظيّــة وأظهر قدراته اللغويّة وقريحته معارضةً له. وقلّده في موضوعات أخرى كالوعظ واللغز والفكاهيّــات أيضاً.

ويدلّنا نصّ المقامات الحَميدية على أنّ الحَميدي لم يكن كاتباً وشاعراً لَحَسْبُ، بل كان عالماً بالتاريخ واللغة والنجوم والطب والعرفان والفلسفة والعلوم البلاغيّة ومتمكّناً من اللغة العربيّة، فانعكس ذلك على مقاماته. وبذل الحَميدي غاية جهده في كتابة موضوعات **مقاماته**، وكتبها بأحسن صورة، وحاول أن يجعل القصّة مترابطةً من أوّلها إلى آخرها.

فمحصّلة القول هي أنّنا نجد فرقاً شاسعاً بين المقامات الحَريرية والمقامات الحَميدية موضوعاً، لأنّ الموضوع الرئيس والأساسي في **مقامات** الحَريري هو التسوّل، إلاّ أنّ الحَميدي يهتمّ بموضــوعات شتّى؛ أغلبها أدبيّ، فيتناول في بعضها موضوعات صوفيّة ودينيّة وفي بعــضها يكتــب فــي الــوعظ والخطابة أو الهزل، ويتميّز بعضها بالروح النقديّة ويضمّ بعض آخر جوانب علميّة وتاريخيّة.

الفصل الرابع

أغراض المقامة في مقامات الحَريري والحَميدي

يتناول الفصل الرابع الأخير من الباب الثاني أغراض المقامات لدى الحَريري والحَميدي. فقد قسّمناه إلى أربعة مباحث؛ ورتّبنا المباحث حسب الأهميّة. فأمّا المبحث الأوّل فهو: غرض المحاكاة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونتحدّث فيه عن الغرض الرئيس والأساسي لوضع المقامات عند الحَريري والحَميدي أي التقليد والمعارضة، كما اعترفا بذلك في مقدّمة مقاماتهما. والمبحث الثاني: الغَرض التعليمي والأخلاقي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ولا شكّ في أنّ الحَريري والحَميدي قد قصدا أيضاً بكتابة المقامات تعليم الناشئين مفردات اللغة، فلذلك نتحدّث في هذا المبحث عن هذا الغرض. والمبحث الثالث: الغرض اللغوي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، فيتناول هذا المبحث الغرض الثالث لكتابة المقامات لدى الحَريري والحَميدي وهو إظهار القدرات الفنّيّة واللغويّة. والمبحث الرابع والأخير: الغَرض الاجتماعي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، فنشير إلى الغرض الأخير والّذي هو أقلّ أهميّة عند الحَريري والحَميدي، أي الغَرض الاجتماعي.

وقد قصدنا بهذا الفصل المعرفة والكشف عن الغايات الرئيسة لدى الحَريري والحَميدي من كتابة مقاماتهما. كما نقوم بالمقارنة بين أغراض المقامات الحريريّة والحميديّة أيضاً.

أوّلاً – غَرَض المُحاكاة في مقامات الحَريري والحَميدي

كتب الحَريري **مقاماته** إمّا تقليداً وإمّا معارضةً **لمقامات** الهمذاني، وكذلك الحَميدي كتب **مقاماته** تقليداً ومعارضةً **لمقامات** الهمذاني والحَريري خُصوصاً. وسنتطرّق في هذا المبحث إلى هذا الغرض لدى الحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- غَرَض المُحاكاة في مقامات الحَريري: تقليد بديع الزمان الهمذاني

لا شك في أنّ الحَريري ألّف **مقاماته** تقليداً ومعارضة **لمقامات** الهمذاني، ليظهر قدراته الفنّيّة، والبيانيّة. فاستعمل على هذا الأساس المفردات الصعبة والمتكلّفة، لأنّ بديع الزمان الهمذاني كان مبتكر هذا الفنّ وأستاذه، وكتب مقاماته لغرض التعليم واستعمل ألفاظاً قليلة الاستعمال والاستعارات والكنايات والمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة أيضاً. وقد قلّده الحَريري واستعمل المفردات الغريبة معارضةً له.

وبعبارة أخرى كانت كتابة الألفاظ الحوشية الغريبة والتعقيدات الأسلوبيّة من إبداعات بديع الزمان الهمذاني، أمّا الحَريري فهو انتقى الألفاظ اللغويّة، وبحث وراء المفردات الغريبة والاستعارات، والكنايات والتشبيهات وأفرط في استعمالها تقليداً ومعارضةً لبديع الزمان الهمذاني.

وضع بديع الزمان الهمذاني أساس فنّ المقامة، وأسلوبه، وعيّن حدوده، والحَريري أكمل هذا الفنّ، وأعطاه نظماً وترتيباً معيّناً. وسار على نهجه في استعمال المحسّنات اللفظيّة، إلاّ أنّه تأنّق في اختيار الألفاظ واستعمال المحسّنات البديعيّة، فوصل بها إلى غايتها في مقاماته. وقد قلّد **مقامات** الهمذاني في كثير من الموضوعات أهمّها:

١- الكِدية

عارض الحَريري الهمذاني وقلّده في موضوع الاستجداء، لأنّ التسوّل كان منتشراً في عصريهما، وكما كانت الكدية الصفة الرئيسة الملازمة للبطل في **مقامات** الهمذاني، فقد كانت في نفس الأهميّة في **مقامات** الحَريري، إلاّ أن الاستجداء عند الهمذاني كان قمّة المأساة بالنسبة لبطله أبي الفتح الإسكندري، أمّا الحَريري فقد اهتمّ بحيل بطله أبي زيد السروجي وذكائه كثيراً. كما أنّ أساليب أبي زيد السروجي في الاستجداء كانت شبيهة بأساليب الإسكندري. ومواقف الاستجداء عند أبي زيد السروجي كثيرة ويتبع فيها جميعها ألوان الحيل الشبيهة بتلك الّتي كان يستعملها أبو الفتح الإسكندري. فقد أضفى بديع الزمان الهمذاني من ذاتيته على موضوع التسوّل، أمّا الحَريري فقد قلّده ولم تظهر ذاتيته في موضوعه.

ومن نماذج هذه الحيل ما نراه في المقامة الرابعة عشرة: المكيّة حيث يفِدُ شيخ هرم على الحجّاج ومعه ابنه أيضاً، ويسلّم عليهم سلام أديب عاقل، فيعجب الحجّاج بكلامه، فيسألونه عن حاله، فيدّعي الفقر والفاقة ويشتكي عن ضيق ذات اليد بسبب الأدب ويقول: (بحر مجزوء الرجز)

فَلَوْ بَلَوتُم[١] عيشَتِي ... في مَطْعَمِي ومَشْرَبِي
لَساءَكُمْ ضُرِّيَ الَّذي ... أسلَمَنِي لِلْكُرَبِ
ولَوْ خَبَرتُمْ حَسَبِي ... ونَسَبِي ومَذْهَبِي
وما حَوَتْ[٢] مَعْرِفَتِي ... مِنَ العُلُومِ النُّخَبِ[٣]
لَمَا اعْتَرَتْكُمْ[٤] شُبْهَةٌ ... في أنَّ دَائِي أَدَبِي
فَلَيتَ أنّي لَمْ أكُنْ ... أرْضِعْتُ ثَدْيَ الأَدَبِ
فَقَدْ دَهانِي[٥] شُؤْمُهُ ... وعَقَّنِي[٦] فيهِ أَبي[٧]

ويدّعي ابنه أنّ سبب كربه هو الجوع، وأنشد قصيدة طويلة. ثمّ يعطيهما الناس راحلة وزاداً.

---

(١) بلوتم: جرّبتم. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، مج ١، ص ١٧٣.
(٢) حوت: جمعت. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٧٣.
(٣) النخب: المختارة. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٧٣.
(٤) اعترتكم: قصدتكم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٣.
(٥) دهاني: أهلكني وضرّني. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٧٣.
(٦) عقني: قطعني، وأساء إليّ بتعليمه فهو يتطير بأدبه والتطيّر بالأدب مذهب قديم متداول. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٧٣.
(٧) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة عشرة: المكيّة"، ص ١٣٢.

٢- الوعظ

وتلتقي المقاماتُ الحَريريَّةُ المقاماتِ الهمذانيّة في غرض مهمّ هو الوعظ ليظهر أفكاره الحكميّة، وينصح الناس ويرشدهم إلى العمل الصالح، وإلى التوجّه إلى الله. ويقدّم الحَريري لنا أنماطاً من الوعّاظ، والوعظ والإرشاد والنصح في المقامات الوعظيّة كالمقامة الأولى: الصنعانيّة[١]، والمقامة الحادية عشرة: الساويّة[٢]، والمقامة الحادية والعشرين: الرازيّة[٣]. ففي المقامة الساويّة نلتقي أبا زيد السروجي وهو واقف في المقابر واعظاً الناس ليتدبّروا أحوالهم، قائلاً: "أيّها المتبصّرون، ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب... ولا تستعدّون لنزول الأجداث، ولا تستعبرون لعين تَدمع، ولا تعتبرون بِنَعْيٍ يُسْمع"[٤].

٣- الألغاز

وكما استعمل بديع الزمان الهمذاني اللغز في المقامة المِغزليّة[٥] وفي المقامة الإبليسيّة[٦] بغرض إظهار البراعة، فقد قلّده الحَريري أيضاً وعارضه في المقامة الثامنة: المعريّة[٧]. ويتخاصم شيخ وفتى عند القاضي، فيدّعي الشيخ وهو أبو زيد السروجي أنّه كانت له جارية رشيقة القد، أسيلة الخدّ، صبورة على الكدّ فاستعارها منه ابنه لكنّه لمّا أعادها خرق عينها وبذل عنها قيمة لا أرضاها. فيسأل القاضي الوالدَ عن حقيقة أمرهما ويطلب منهما الإفصاح عمّا يكنيان به. فيشرح أبو زيد السروجي بأنّ الجارية إبرة أعارها أبو زيد السروجي لغلامه. كما قال الغلام:أعارني إبرةً لأرفوَ أطماراً عفاها البِلَى وسَوَّدَها: (بحر المنسرح)

فَانْخَرَمَتْ[٨] في يدي على خطأ منّيَ لَمَّا جَذَبْـتُ مِقْوَدَهـــا[٩]

فأعجب القاضي بفصاحتهما وأنالهما ديناراً من تحت مصلاّه. فهكذا يلغز الحَريري تقليداً ومعارضة للهمذاني بقصد إظهار مهارته اللغويّة.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، ص ١١ – ١٦.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٩٨ – ١٠٥.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٢٠٠ – ٢٠٩.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨.

(٥) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة المغزليّة"، ص ١٦٥ – ١٦٦.

(٦) بديع الزمان الهمذاني، م.ن، "المقامة الإبليسيّة"، ص ١٨١ – ١٨٥.

(٧) الحَريري، م.س، ص ٣٩٥ – ٤٠٢.

(٨) انخرمت: انكسرت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثامنة: المعريّة"، مج ١، ص ٩٧.

(٩) الحريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٢؛ مقودها: خيطها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٧.

٤- الأحاجي

كما استعمل بديع الزمان الهمذاني الألغاز[١] على نحو الأحاجي[٢] لغرض التعليم والتسلية، فقد قلّده الحَريري واستعمل الألغاز في **مقاماته** على نفس النحو الّذي استعمله الهمذاني، بغرض التعليم والتسلية أيضاً. فعلى سبيل المثال نرى هذا النوع في المقامة السادسة والثلاثين: الملطيّة[٣] والمقامة الثانية والأربعين: النجرانيّة[٤] والمقامة الرابعة والأربعين: الشتوية[٥]. في المقامة الملطيّة أنّ أبا زيد السروجي قد حضر مجلساً يتحاجون فيه. فقال لهم: "اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبيّة، والشّمولِ الذهبيّة، أنّ وَضْعَ الأُحجيّة، لامتحان الألمعيّة، واستخراج الخَبيّة الخفيّة، وشرطُها أن تكون ذاتَ مماثَلةٍ حقيقيّة، وألفاظ معنويّة، ولطيفة أدبيّة... ولم أرَ كُم حافظتم على هذه الحدود"[٦].

فاعترف له الجمع وطلبوا منه أن يكيل لهم من بحر علمه فقال لكبيرهم: (بحر المجتثّ)

يا مَنْ سَما بِذَكاء ... في الفَضْلِ وارِى الزنادِ

مَاذا يُماثِلُ قَولي ... جُوعٌ أُمِدَّ بِزَادِ[٧]

واستمرّ حتى وصل إلى التاسع من الجماعة وقال له: (بحر مجزوء الكامل)

يا مَنْ يُشار إليه في الـ ... قلبِ الذّكي وفِي البَراعَة

أوْضِحْ لَنا مَا مِثْلُ قَوْ ... لِكَ للمُحاجِي دُسْ جَماعَة[٨]

ولمّا فرغ منهم جميعاً شرع يفسّر ما عناه.

---

(١) الألغاز: اللَّغْزُ، واللُّغْزُ، واللُّغَزُ: ما يُعَمّى به. وألْغَزَ كلامَهُ، وفيه: عَمّى مُرادَه. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مج ١، ص ٧٢١، باب الزاء، فصل اللام.

(٢) الأحاجي: أو الأحجيّة هي: مخالفة المعنى للفظ. الفيروزآبادي، م.ن، مج ٢، ص ١٦٧١، باب الألف، فصل الحاء.

تجدر الإشارة إلى أنّ المقصود من الأحاجي أنّ الّذي يطرح الأحجيّة على الآخر يغلّف المعنى المقصود بألفاظٍ مموّهة لحقيقته، ولكنّها تدلّ عليه عبر قرائن تؤخذ منه المعنى وتوضع على اللفظ.

والفرق بين الأحاجي والألغاز هو: أنّ الأحاجي كما يُستَدَلّ من التعريف في **القاموس المحيط**، تحتفظ ببعض القرائن من المعنى المقصود الّذي تريد الأحاجي الإفصاح عنه. أمّا اللغز فهو تعمية المقصود بشكل كامل، وقد استعمله الفرس في النثر والشعر بكلمة "معمّا"، وهو يعطي نفس الدلالة لكلمة اللغز.

(٣) الحَريري، **المقامات**، ص ٣٩٥ – ٤٠٥.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٤٦٤ – ٤٧١.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٤٩٩ – ٥١٠.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٤.

(٧) الحَريري، م.ن، ص ٣٩٥.

(٨) الحَريري، م.ن، ص ٣٩٧.

ب- غرض المُحاكاةفي مقامات الحَميدي: تقليد بديع الزمان الهمذاني والحَريري خُصوصاً

تعدّ **مقامات** الحَميدي نموذجاً مميّزاً وفريداً في نوعه للتقليد في النثر العربي تقليداً للمقامات الهمذانيّة والحَريريّة بحسب اعترافه بذلك في مقدّمة مقاماته. فانشغل باله بكتابة المقامات مثلما كَتَبَاها فعارضهما. فوضع المقامة السِكباجيّة[١] تقليداً للمقامة المَضيريّة[٢] لبديع الزمان الهمذاني، ولو أنّها تعتبر تقليداً غير تامّ وناقصاً له. كما أنّه قلّد **مقامات** الحَريري موضوعاً ومضموناً وأسلوباً، وزيّن مقاماته بالأشعار العربيّة والفارسية تقليداً ومعارضة للحريري.

إنّ المقامة الخامسة: في اللغز[٣]، والمقامة التاسعة: المناظرة بين السني والملحد[٤] تثبيت وتأييد لقيام الحَميدي بتقليد الهمذاني والحَريري ومعارضتهما (لا سيّما الحَريري) كما ذكر اسم الحَريري مرّتين في المقامة الخامسة[٥] وصرّح بمعارضته له واعترف بأنّه قلّده، وكتب مثله الأبيات المقلوبة، واعتقد أنّ الحَريري استعمل الألفاظ الصعبة والمتكلّفة على خلافه لأنّه أسلوبه سهل ممتنع ولا يستعمل المفردات الصعبة.

سبق أن أشرنا بالتفصيل في الباب الثاني الفصل الثالث إلى أنّ الحَميدي قلّد الحَريري في موضوعات كثيرة، كالموضوعات الوعظيّة والفقهيّة واللغزيّة والفكاهيّة، وموضوع المناظرات والمخاصمة بين الزوجين، فنشير إلى بعضها باختصار:

١- الوعظ

لقد قلّد الحَميدي الحَريري في المقامات الوعظيّة، ووضع مقامات وعظيّة معارضةً لمقاماته الوعظيّة كالمقامة الأولى[٦] والمقامة الثانية[٧] والمقامة الرابعة[٨] والمقامة العاشرة[٩]. وعارضه في خطبه الوعظيّة بلسان فصيح وبيان مليح.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٣ – ٧٤.

(٢) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة المَضيريّة"، ص ١٠٤ – ١١٧.

(٣) حميدى، م.س، ص ٥٦ – ٥٧.

(٤) حميدى، م.س، ص ٩٤ – ١٠٢.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٩.

(٧) حميدى، م.س، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢ – ٣٥.

(٨) حميدى، م.س، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥ – ٥٠.

(٩) حميدى، م.س، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٦ – ١٠٨.

٢- الألغاز

ولاحظنا – في الباب الثاني، الفصل الثالث – كيف قلّد الحَميدي الحَريري في إنشاء الألغاز والتعميّة أيضاً في المقامة الخامسة[١] والمقامة السابعة[٢].

٣- الفقه

كما عارض الحَميدي الحَريري في المقامة الثانية عشرة[٣] وأظهر معلوماته الفقهيّة ومهاراته البيانيّة.

٤- المخاصمة

كما أنّه قلّد الحَريري في المقامة السابعة عشرة: في مخاصمة بين الزوجين[٤].

لا شكّ في أنّ الحَميدي كتب **مقاماته** تقليداً **لمقامات** الهمذاني والحَريري ومعارضةً لهما بحسب إقراره بذلك في مقدّمة **مقاماته**. ويدلّنا نصّ **مقامات** الحَميدي من حيث الموضوع والمضمون والأسلوب على أنّه قلّد **مقامات** الهمذاني والحَريري. كما رأينا أنّ المقامة السكباجيّة صورة طبق الأصل للمقامة المَضيريَّة للهمذاني، وكذلك قلّد الحَريريَ في الوَعظ والألغاز والفقه، والفكاهة والمناظرات في المخاصمة بين الزوجين.

ثانياً- الغَرَض التعليمي والأخلاقي في مقامات الحَريري والحَميدي

وضع الحَريري والحَميدي مقاماتهما لتعليم اللغة وتدريس العلوم البلاغيّة. فنبدأ بهذا الغَرض لدى الحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- الغَرَض التعليمي والأخلاقي في مقامات الحَريري

ليست **مقامات** الحَريري مجرّد حكايات، فلها أغراض أخلاقيّة وتعليميّة باعتماد الملح للتنبيه والتهذيب، والجانب الأخلاقي الحيّز الأكبر في موضوعات المقامات. ويدافع عن نفسه وعن **مقاماته** أمام الجهلاء الّذين يعيبون عليه فيقول: "على أنّي وإن أغْمَضَ[٥] لي الفَطِنُ المُتغابي[٦]، ونَضَحَ[٧]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٦ – ٥٧.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٨ – ٧٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠ – ١٢٥.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦ – ١٥٩.

(٥) أغمض: سامح، وسدّ عينيه عمّا لم يرض. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، مج ١، ص ١٤.

(٦) المتغابي: المتجاهل عن الشيء وهو عارف به. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٧) نضح: بالماء غسل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

عنّي المحبُّ المُحابي[١]، لا أكادُ أَخلُـصُ مِنْ غُمْرٍ جاهـل، أو ذي غِمر[٢] متجاهل، يَضَعُ منّي[٣] لهذا الوضع[٤]، ويُندّد[٥] بأنّه مِن مَناهي الشرع، ومَن نَقَدَ الأشياء بعين المعقول، وأنعمَ النظر في مباني الأصول، ونظم هذه المقامات في سلك الإفادات، وسلكها مسلك الموضوعات، عن العجماوات[٦] والجمادات، ولم يُسمَع بمن نبا سَمْعُه[٧] عن تلك الحكاياتِ، أو أثَّم[٨] رُوّاتَها في وقتٍ من الأوقات، ثمّ إذا كانت الأعمالُ بالنيّات، وبها انعقادُ العقودِ[٩] الدينيّات، فأيّ حرج على من أنشأ مُلَحاً للتنبيه، لا للتمويه، ونَحى بها منحَى[١٠] التهذيب، لا الأكاذيب. وهل هو في ذلك إلاّ بمنزلة من انتدب[١١] لتعليم، أو هدىً إلى صراط مستقيم..."[١٢].

فأقرّ الحَريري في هذا النصّ بأنّ هدفه من إنشاء مقاماته كان تعليميّاً تهذيبيّاً دينيّاً وأخلاقيّاً. وقد قصد تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله واكتسابه تجارب الدنيا عبر حكايات أبي زيد السروجي. وأراد بالمقامات تعليم الناشئين صنعة الكتابة والإنشاء والشعر، بأساليب أنيقة. ومن هنا غلب اللفظ على المعنى، وأصبح خيطاً رقيقاً يَسْلك الغرض التعليمي.

ويدلّ النص المذكور على أنّ المقامات تتضمّن مغزىً مفيداً وتمتلك هدفاً تعليميّاً يفسّر الصورة الّتي تظهر بها. وكأنّ الحَريري في هذا النصّ يطلب ممّن يروي أحداث المقامة أن يرويها وينقلها بأمانة ويسردها بالصدق على مستوى النيّة. ويقول إنّه لم يستهدف التمويه بل منحى التهذيب. فهو يؤكّد على المقصد التعليمي لكتابه.

---

(١) المحابي: الّذي يفضّلني على غيري. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقدمة"، مج ١، ص ١٤.

(٢) غمر: الجاهل. ذي غمر: صاحب عداوة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٣) يضع منّي: يحط من منزلتي. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٤) الوضع: الكتاب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٥) يندّد: يشهر العيب. وندّد به إذا أسمعه المكروه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٦) العجماوات: البهائم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٧) نبا سمعه: ارتفع. وأصله في السيف إذا ارتفع فلم يمض في الضربة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤.

(٨) أثّم: جعلهم أصحاب إثم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥.

(٩) انعقاد العقود: ارتباط العقائد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥.

(١٠) نحى منحى: قصد مقصد. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٥.

(١١) انتدب: أجاب. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٥.

(١٢) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٨ – ٩.

وأشار الحَريري إلى عدّة طرق في التعليـم، كما في المقامة النحويّة؛ جماعة من الناس جلسوا يتسامرون فينشد مغنّيهـم: (بحر الوافر)

فَـإنْ وَصْـلاً أَلَـذُّ بِـهِ فَوَاصِلْ وَإِنْ صَرْماً فَصَرْمٌ[١] كالطَّلاقِ[٢]

فيسأل الجماعة: لم نصب الوصل الأوّل ورفع الثاني فأقسم بتربة أبويه أنّه نطق بما اختاره سيبويه فتشعّبت الآراء حوله في تجويز النصب والرفع.

فانبرى أبو زيد السروجي بقوله: "إنّه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الإعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الإضمار وتقدير المحذوف في هذا المضمار"[٣].

فرغب بعض الجماعة في منازلته. فعندئذٍ أجابهم: "فما كلمةٌ هي إن شئتم حرفٌ محبوب، أو اسمٌ لما فيه حرفٌ[٤] حلوب[٥]، وأيّ اسم يتردّد بين فردٍ حازم، وجمعٍ ملازم، وأيّةُ هاء إذا التحقتْ أماطَتِ[٦] الثِقل، وأطلَقتِ المُعتَقَل..."[٧].

وفي نهاية المقامة يكشف عن معمّياته بعد أن ينال العطاء، وهذه طريقة من طرق التعليم الّتي يعلّمها الحَريري الطلاّب من خلال هذه المقامة.

وفي المقامة الطيبيّة يتبع الحَريري طريقة فقيه العرب الّذي يجتمع الناس حوله ويسألونه المسائل الفقهيّة، وهو يجيب عنها جميعها بطلاقة، ولسان فصيح. فيسأل فتى طليق اللسان فقيه العرب أي أبا زيد السروجي مائة مسألة فقهيّة منها: "ما تقول فيمن تيمّم ثمّ رأى رَوْضاً؟ قال: بَطَلَ تيمُّمُه فَلْيتوضأ. الروض ههنا جمع روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض"[٨].

ونرى طريقة أخرى في التعليم في المقامة الحلبيّة أنّ أبا زيد السروجي حوله جماعة من الصبيان وهو يعلّمهم الإنشاء في فنون مختلفة. فيطلب من الصبيان إنشاد الأبيات الّتي لا نقط فيها ولما فيها من التزئين بالنقط، وينشد الطلاّب دون تأخير و تباعاً على النحو الّذي تشتمل عليه بلاغته في مقاماته نحو: (بحر السريع)

---

(١) صرم: قطيعة، ويستقبح عندهم مجازاة الحبيب على إساءته. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، مج ٢، ص ١١.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، ص ٢٣٩.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٢٣٩.

(٤) حرف: ناقة. الشريشي: م.س، "المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، مج ٢، ص ١٥.

(٥) حلوب: لها لبن. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٥.

(٦) أماطت. أزالت. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٥.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والعشرون، النحويّة"، ص ٢٤٠.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٩.

أعْــدِدْ لِحُسَّــادِكَ حَــدَّ السِّلاحْ   وَأَوْرِدِ الآمِــلَ وِرْدَ السَّمَــاحْ[(١)]

كما ينظم شعراً أحرف جميع كلماته معجمة نحو: (بحر الخفيف)

فَتَـنَـتْنِـي فَجَنَّنَتْنِي تَجَــنِّــي   بِتَــجَنٍّ يَفْــتَــنُّ غِبَّ تَجَــنِّي[(٢)]

وأحياناً يعتمد الحَريري الألغاز وغرضه التعليم، كما أنّه في المقامة الفرضيّة يقصد تعليم بعض أصول الشرع في إطار من الملاحة البلاغيّة. وفيها يلتقي أبو زيد السروجي برجل يتأوّه ويتحسّر على انقطاع العلم ودروسه فيسأله عن خطبه فيقول إنّ له رقعة لم يعرف أحد سرّها، وحين يستظهرها أبو زيد السروجي يجد مكتوباً فيها: (بحر الخفيف)

أيُّــها العالِــمُ الفَقِيــهُ الَّذي فَا   قَ ذَكَــاءً فَما لَهُ مِــنْ شَبِــيهِ
أفْتِنَــا فــي قَضِيَّــةٍ حادَ عَنْها   كُــلُّ قــاضٍ وحارَ كُــلُّ فَقيهِ
رَجُــلٌ مَــاتَ عَن أخٍ مُسْلِــمٍ   حُــرٌّ تَقــيٌّ مِنْ أمِّــهِ وأبيــهِ
ولَــهُ زَوْجَــةٌ لَها أيُّها الحِبْــرُ   أخٌ خَــالِــصٌ بِــلا تَمْــوِيــهِ
فَحَــوَتْ فَرْضَها وَحَازَ أخُوها   مــا تَبَــقَّى بالإرْثِ دُونَ أخيهِ
فَاشْفِنا بِالجَــوابِ عَمّــا سَألْنا   فَهْوَ نَصٌّ لا خُلْــفَ يُوجَدُ فِيهِ[(٣)]

ثمّ يطلب أبو زيد السروجي منه أن يكرم مثواه حتّى يسمعه فتواه فيقبل الرجل وينشد حلّ هذا اللغز في الأشعار التالية: (بحر الخفيف)

قُــلْ لِمَــنْ يُلْغِــزُ المَسائِلَ إنّي   كاشِــفٌ سِــرَّها الَّذي تُخْفِيــهِ
إنَّ ذَا المَيِّــت الَّذي قَــدَّمَ الشَّر   عُ أخا عِرْسِــهِ عَلَــى ابْنِ أبِيهِ
رَجُــلٌ زَوَّجَ ابْنَــهُ عَنْ رِضاه   بِحَماةٍ لَــه ولا غَــرْوَ فِيـــهِ
ثُــمَّ مــاتَ ابْنُه وقَدْ عَلِقَتْ مِنْه   فَجاءَتْ بِابْــنٍ يَسُــرُّ ذَوِيـــهِ
فَهُــوَ ابْــنُ ابْنِــهِ بِغَيْــرِ مِرَاء   وَأَخُو عِرْسِــهِ بِـــلا تَمْوِيــهِ
وَابْــنُ الابْــنِ الصَّرِيحُ أدْنَــى   إلى الجَدِّ وَأَوْلَى بِإرْثِهِ مِنْ أخيهِ[(٤)]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَريري استعمل الألغاز في **مقاماته** على الطريقة نفسها الّتي استعملها بديع الزمان الهمذاني في **مقاماته**، بغرض التعليم والتسلية.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٤.
(٢) الحَريري، م.ن، ص ٥٢٦.
(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٢ – ١٤٣.
(٤) الحَريري، م.ن، ص ١٤٦ – ١٤٧.

[ونجد ضرباً آخر من الألغاز في المقامات الحَريرية يُعرف بالأحاجي] وقصده التسلية والتعليم نحو المقامة الملطيّة. فقد ألغز أبو زيد السروجي بالمقايضة، أي بما يماثلها من الكلام لجماعة من الناس يتحاجون فلمّا نضب معينهم، قال لهم: اعلموا يا ذَوي الشمائل[١] الأدبيّة، والشّمول الذهبيّة[٢]، أنّ وضعَ الأُحجيّة، لامتحان الألمعيّة[٣]، واستخراج الخبيّة الخفيّة، وشرطُها أن تكون ذاتَ مماثلةٍ حقيقيّة، وألفاظٍ معنويّة، ولطيفةٍ أدبيّة..."[٤]. فاعترف له الجماعة، وقالوا له: اقض علينا من عُبابك[٥]، فقال: أفعلُ لئلاّ يرتابَ المبطلون، ويظنّون بي الظُنون، ثمّ قابلَ ناظورةَ القوم[٦] وقال لهم: (بحر المجتثّ)

يـا مَـنْ سَمـا بِـذَكَـاءٍ   فـي الفَضْلِ واري[٧] الزّنَـادِ
مـاذا يُمـاثـلُ قَـولـي   جُـوعٌ أمِـدَّ بِـزَادِ[٨]

ثمّ ضَحك إلى الثاني وأنشد: (بحر المجتثّ)

يـا ذَا الّذي فَـاقَ فَضْـلاً   ولَـمْ يُـدَنِّسْـه شَـيْـنُ
مـا مِثْـلُ قَـولِ المحاجِـي   ظَـهْرٌ أصـابَـتْـه عَـيْـنُ[٩]

وهكذا يستمر في قوله حتّى يفرغ منهم جميعاً ثم يبدأ بتفسير ما يعنيه ويعلّمهم ما لم يعلمونه، يُزيل عنهم الالتباس، فينال استحسان القوم وإعجابهم به بعد أن سلاّهم وعلّمهم.

وكذلك يفعل أبو زيد السروجي في المقامة النجرانيّة حيث يلقي ألغازاً في بعض الأشياء أمام جمع غفير من الناس، ويلغز في مروحة الخيش[١٠] وحابول النخل[١١] والقلم وغير ذلك. فيقول ملغزاً في مروحة الخيش: (بحر الطويل)

---

(١) الشمائل: الخلائق والطبائع. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، مج ٢، ص ١٣٣.

(٢) الشمول الذهبيّة: الخمر الحمراء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٣٣.

(٣) الامتحان الألمعيّة: لاختبار الفطنة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٣٤.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٤ – ٣٩٥.

(٥) عباب: بحر. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٣٤.

(٦) ناظورة القوم: كبيرهم الّذي ينظرون إليه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٣٤.

(٧) وارى: مبدي النار، أي زنده متى ضرب أورى ناراً. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٣٤.

(٨) الحريري، م.س، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٥.

(٩) الحريري، م.س، ص ٣٩٥.

(١٠) مروحة الخيش: ثياب خشنة من الكتّان. وهذه المروحة تستعمل ببلاد العراق، تكون شبه الشراع للسفينة، وتعلّق من سقف البيت ويشدّ فيها حبل، ويدار بها مشيها، وتبل بالماء وترش بماء الورد. فإذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء، فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد، فيذهب عنه أذى الحرّ، ويستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سمّاها جارية. الشريشي، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، مج ٢، ص ٢١٢.

(١١) حابول: حبل يصعد به على النخل، يعمل من ليفها. وهو حبل يعقد حلقة ويدخل فيها الرجل ويدرّجه على النخلة شيئاً شيئاً عند طلوعه حتّى يصير بأعلاها. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢١٣.

وجارِيَةٍ فـــي سَيْرِهـــا مُشْمَعِلَّـــةٍ[١] ولكِنْ على إِثْرِ المَسيـــرِ قُفُولُها[٢]
لها سائِقٌ[٣] مِنْ جِنْسِها يَسْتَحِثُّهـــا[٤] على أنَّهُ في الاحتثاثِ[٥] رسولُها[٦]

تُرَى في أوانِ القَيْظِ[٧] تَنْطُفُ بالنَّدَى[٨] ويَبْدُو إذا وَلَّى المَصيفُ قُحولُها[٩]

ونجد شبه ذلك في المقامة الشتويّة الّتي تسمّى اللغزيّة أيضاً، يلغز فيها أبو زيد السروجي شعراً في قالب قصيدة تحتها تفسيرها نحو: (بحر البسيط)

وكَمْ مَشايخَ في الدُّنيـــا رَأَيْتُهُـــمُ مُخَلَّدينَ ومَنْ يَنْجُو مِنَ العَطَبِ[١٠]

والمخلّد: الّذي أبطأ شيبه.

ولا غرو أنّ الحَريري بأسلوبه الفكه في المقامة البغداديّة[١١] والمقامة الصوريّة[١٢]، قد قصد تسلية الناس والترفيه ولا غير؛ لأنّ مقاماته الفكاهيّة فارغة من الفكرة والتحليل والعمق، ولم يقصد بها إلى شيء من تربية النفس إلاّ الهزل والترفيه.

فإذا أنعمنا النظر وجدنا أنّ الحَريري قد جمع في مقاماته هدفَي التعليم والتسلية معاً.

رأينا أنّ الحَريري اعترف بنفسه على أنّ هدفه من وضع المقامات كانت تعليميًّا تهذيبيًّا ودينيًّا وأخلاقيًّا. وقد قصد بها تعليم الناشئين النحوَ والفقهَ وصنعةَ الإنشاء والكتابة وأصول الشرع، وكذلك تعليم ما لا يعلمه الناس ألغازاً بالنثر والنظم.

---

(١) مشمعلة: سريعة الذهاب. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، مج ٢، ص ٢١٢.

(٢) قفولها: رجوعها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٣) السائق: الشريط الّذي يسوقها إذا جذبت به. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٤) يستحثّها: يستعجلها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٥) الاحتثاث: التعجيل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٦) رسولها: مرسلها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٧) أوان القيظ: وقت الصيف. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٨) تنطف: تقطر. والندى: الرش الضعيف. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(٩) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٤ – ٤٦٥؛ قحولها: يبسها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢١٢.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥٠٦.

(١١) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢١ – ١٢٨.

(١٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٩ – ٣٢١.

ب- الغَرَض التعليمي والأخلاقي في مقامات الحَميدي

إنّ الأدب – بشكل عام – في أيّ بلد وأيّ زمن يهدف صراحة إلى التعليم، فمن المؤكّد أنّ الحَميدي قد وضع **مقاماته** بهدف تعليميّ، بل إنّ هذه إحدى قواعده الأشدّ رسوخاً.

فقد قصد بإنشاء المقامات، التعليمَ والتدريسَ والتسليةَ أيضاً، كالمقامة العشرين: المناظرة بين الطبيب والمنجّم(١). فاغتنم الفرصة فيها وعلّم شيئاً من أصول علم الطب وعلم النجوم بذكر مصطلاحاتهما الخاصّة. فيعلّم أصول علم النجوم والكواكب والبروج بعضها استشهاداً بالآيات القرآنيّة، ليدلّ على أهميّة هذا العلم. ويقول "إنّ علم النجوم رأس كلّ العلوم، ومعرفته واجبة على كلّ الطلاّب"(٢). ثم يعلّم أسماء النجوم والكواكب والبروج وعددها وألوانها وطبعها؛ ويتحدّث عن علاقة الأعضاء ودائها وعلاجها بالبروج الاثني عشر. ويعرض معلومات مختلفة عن البروج والنجوم أيضاً، منها (نموذج عن الألوان): "آفتاب سپيد سيماست، ماه مكدّر اجزاست؛ اعضاى زُحَل رصاصى است، ومشترى سپيدى است كه به صفرت ميلى دارد، ومرّيخ نارى اللون است، وعطارد چون آسمان ميلش به زرقت..." (٣).

ترجمة الشاهد

إنّ الشمس وجهها أبيض، والقمر أجزاؤه سوداء؛ الزُحَل أعضاؤه رصاصيّة، والمشتري لونه أبيض مائل إلى الصفرة، والمريّخ لونه أحمر كالنار، والعطارُد كالسماء أزرق اللون...

أو (نموذج عن المسافات): "نزديكترين فلكى به زمين فلك قمراست، پس فلك عطارد است، پس فلك زهره، پس فلك آفتاب، پس فلك مرّيخ، پس فلك زحل..."(٤).

ترجمة الشاهد

أقرب الكواكب إلى الأرض هو القمر، ثمّ العطارُد، ثمّ الزُهرة، ثمّ الشمس، ثمّ المريّخ، ثمّ الزُحَل...

أو(نموذج عن الطبائع): "آفتاب گرم وخشك است، ماه سرد و تر، زحل سرد وخشك است، واين مزاج مرگ است. مشترى گرم وتر، واين مزاج حيات است. مرّيخ درغايت گرمى، وزهره درنهايت ترى؛ عطارد حريف موافق ويار مطابق..." (٥).

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٣ – ١٨٥.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٨٢.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٨٥.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٨٤.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٨٤.

إنّ الشمس حارّة وجافة، والقمر بارد ورطبٌ، الزُّحَل بارد وجاف، وهذا طبع الموت. والمُشتري حارّ ورطب، وهذا طبع الحياة. والمِرّيخ في غاية الحرارة، والزُّهرة في نهاية الرطوبة؛ والعَطارُد حريف موافق ورفيق مطابق...

ثمّ يحكي عن لسان الطبيب ويعلّم الطلاّب خصائص أعضاء البدن وفوائدها، قائلاً: ".. چه خاصّيت است در اين گوشت پاره كه درديگر اعضا نيست؛ كه قوّت ناطقه كه از خواصّ انسان است در او موجود است تا به صد لغت مختلف واسامى نامؤتلف سخن مفهوم معلوم مى راند كه ازهيچ عضوى ديگر آن خاصّيّت در وجود نيايد..."[١].

ترجمة الشاهد

ما هذه الميزة الّتي هي موجودة في هذا اللحم – اللسان – والّتي لا نجدها في أعضاء أخرى؛ قوّة النطق الّتي تعدّ من خواصّ الإنسان موجودة فيها ويتكلّم بمائة لغة مختلفة، ويتحدّث عن أسماء غير مؤتلفة، كلاماً مفهوماً معلوماً، وهذه الميزة غير موجودة في أعضاء أخرى...

ويدعو الإنسان إلى معرفة الله من خلال معرفة نفسه على أساس مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه.

ويعلّم آداب السفر وشروطه وأهمّيّته في الحياة اليوميّة وأحكامه الدينيّة، في المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة[٢]. فيؤكّد اختيار الرفيق قبل السفر قائلاً: "الدليلُ ثم السبيل، والرفيقُ ثمّ الطريق"[٣]. ويقول إنّ الشرط الأهمّ والركن الأتمّ في الطريق هو اختيار الرفيق.

ثمّ يعلّم طريقة المشي في السفر قائلاً: "سيروا سَيْرَ أضْعَفِكُم"[٤] ويحذّر الرفيق من المشي السريع لأنّ في السفر وفي القافلة يوجد الأطفال، أو المرضى، أو الكبار في العمر، وهم لا يستطيعون أن يسرعوا في المشي؛ فالمراقبة والانتباه إليهم من واجبات الرفيق.

ويدخل في الجانب الأخلاقي بقوله: "عالم سفر عالم امتحان، وتجربت، ورياضت وابتلاست. اخلاق مردان را در ميزان سفر بركشند وازمعيار سفر آزمانيد كه: السفرُ معيارُ الأخلاق. عيار جوهر، وطينت آدمى در بوته رياضت سفر پديد آيد كه سيّد عالم فرمود كه: السفرُ قطعةٌ من النار..."[٥].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٦.
(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٧ – ١٢٩.
(٣) حميدى، م.ن، ص ١٢٧.
(٤) حميدى، م.ن، ص ١٢٩.
(٥) حميدى، م.ن، ص ١٢٩.

إنّ عالمَ السفر عالم الامتحان والتجربة والرياضة والابتلاء. ويضعون أخلاق الرجال في ميزان السفر لأنّ: السفر معيارُ الأخلاق. ويظهر عيار الجوهر وطينة الإنسان في ساحة رياضة السفر. وقال سيّد العالم: "السَّفرُ قطعةٌ منَ النار"[١].

وقد قصد بهذه العبارات أنّ السفر يسفر عن الأخلاق. ومن المعروف أنّه إذا أردت أن تعرف شخصاً فسافرْ معه.

ثمّ يشير إلى الجانب الديني للسفر قائلاً: "إنّ صلاة المسافرِ مَثنى"[٢]. ثمّ يضيف: "خطاب سيروا وسيحوا در قرآن واخبار فراوان است، امّا نصّ أقيموا ولا تَبْرحوا هنوز مُنزل مرسَل نشده است"[٣].

ترجمة الشاهد

قد ورد خطاب سيروا وسيحوا في القرآن والأخبار كثيراً، ولكن نصّ أقيموا ولا تبرحوا لم يُنزل حتّى الآن.

ويقول إنّ السفر له آداب وشروط منها الحلم والصبر.

ويعلّم المصطلحات الصوفيّة والتعابير العرفانيّة بعضها في المقامة الثامنة: في التصوّف[٤] أيضاً. وبعد أن يمدح الصوفيين أخلاقهم وأحوالهم وآدابهم في الطريقة وإيمانهم وكرامتهم وكرمهم، يصرّح بأنّه لا يعرف معاني بعض المصطلحات الصوفيّة ورموزهم. ثمّ يشير إلى هذه المصطلحات الّتي أشكلت عليه. حتّى يأتي شيخ صوفي إلى المدينة، فيسأله عن التصوّف وعقائد الصوفيّة وآرائهم، وسبب اختيار اللون الأزرق الغامق من بين الألوان، ويسأله عن الرقص والسماع والغناء، وسبب إباحتها عند الصوفيين؟ والشيخ الصوفي أي البطل يجيب عن أسئلته ويشرحها شرحاً كافياً وافياً[٥].

فمن الواضح أنّ الحَميدي قد قصد بهذه المقامة تعليم المصطلحات الصوفيّة والعرفانيّة والكشف عن رموزها للطلاّب.

ومن المقامات الأخرى الّتي قصد بها التعليم هي المقامة الخامسة: في اللغز[٦]، لأنّ الحَميدي يبيّن فيها أقسام الشعر ودرجاته لطلاّب الأدب.

ويعلمّ في المقامة التاسعة: المناظرة بين السنّي والملحد[٧] الأمور العقليّة والنقليّة من وجهة نظر الفلاسفة، وأصول الدين وفروعه. وقصد بهذه المقامة تعليم الأمور الفلسفيّة والدينيّة وتبيان علاقتهما بطلاّب الفلسفة والدين أيضاً.

---

(١) وقد ورد في **السنن الكبرى**: السفر قطعة من العذاب. انظر: الدارمي، **السنن الكبرى**، ج ٢، ص ٨٧٦ – ٨٧٧.
(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣٠.
(٣) حميدى، م.ن، ص ١٣٠.
(٤) حميدى، م.ن، ص ٨٣ – ٨٩.
(٥) حميدى، م.ن، ص ٨٣ – ٨٩.
(٦) حميدى، م.ن، ص ٥٧ – ٥٩.
(٧) حميدى، م.ن، ص ٩٧ – ١٠٢.

ولم تخل المقامات الحَميدية من الجانب الفكاهي الّذي ينطوي على الغاية التعليميّة، وقد وضع الحَميدي مقاماته الفكاهيّة لأغراض مختلفة منها: تعليميّة، أو نقديّة، أو أدبيّة أو اجتماعيّة.

كما أنّه زيّن مقاماته ببعض الأشعار العربيّة والنصوص العربيّة للقرّاء الفرس بغرض تعليم اللغة العربيّة. كما ترجم أقواله العربيّة إلى الفارسية نثراً ونظماً ليفيد عوام الناس والّذين لا يعرفون اللغة العربيّة كالمقامة الأولى: في الملمّعة[١] والمقامة الثالثة والعشرين: في النسّابة[٢] وكذلك مقدّمة مقاماته[٣].

* * *

خلاصة القول إنّ الحَميدي قصد من تأليف **مقاماته** التعليم والتدريس، فقد وضع مقامات تعليميّة وأخلاقيّة وعلّم فيها القضايا التالية: أصول علم الطب وعلم النجوم ومصطلحاتهما الخاصّة، وآداب السفر وأحكامه الدينيّة وجوانبه الأخلاقيّة، والمصطلحات الصوفيّة والتعابير العرفانيّة، وأقسام الشعر ودرجاته، والعلوم العقليّة والنقليّة من وجهة نظر الفلاسفة، وأصول الدين وفروعه. كما أنّه كتب نصوصاً بالعربيّة وأنشد أشعاراً بالعربيّة بغرض تعليم اللغة العربيّة للإيرانيين.

ثالثاً- الغَرَض اللغوي في مقامات الحَريري والحَميدي

ألّف الحَريري والحَميدي مقاماتهما لإظهار قدراتهما الفنّيّة والإنشائيّة، ولذلك يتناول هذا المبحث الغرض اللغوي لديهما. وسندرس هذا الغرض لدى الحَريري أوّلاً، والحَميدي ثانياً.

أ- الغَرَض اللغوي في مقامات الحَريري

يتوخّى الحَريري من حكايات **مقاماته**، وبطلها المتشرّد وحيلها، وشخصيّاتها المتعدّدة الوصول إلى قلوب الناس وكسب مودّتهم بمقدرته اللغويّة، وألاعيبه اللفظيّة وذلك بالإغراق في السجع والمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة حتّى سميّت المقامة بالقصّة اللغويّة. "فكان همّ الحَريري الثوب البلاغي، وإظهار البراعة والإعجاز البياني على طريقة أهل العصر في محاولة اعتصار زبدة اللغة واستنزاف إمكانيّاتها التعبيريّة في اللفظ والمعنى"[٤] واستعراض عضلاته الكلاميّة.

فمن أهمّ أهداف الحَريري في **مقاماته**: دلالته على قدرته الفنّيّة وإظهار ما لديه من عظيم الثروة اللغويّة، والغوص في أعماق اللغة، وتحديداً لمعاصريه بما يعجزون عنه في القصص المسجّعة، والإفصاح عن اتّساع ثقافته في مختلف آفاق المعرفة السائدة في عصره، والإبانة عن طول باعه في تصريف الكلام ورصف العبارات وتوازن الجمل واختيار السجع.

---

(١) حميدى، **مقامات**، ص ٢٦ – ٢٧.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٢٠٦ – ٢٠٨.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٩.

(٤) محمّد زغلول سلام، **دراسات في القصّة العربيّة الحديثة**، ص ٦٧.

فمن هنا استخدم الحَريري أبا زيد السروجي لأغراضه اللغويّة. ويُظهر لنا هذا النضج الكبير في المقامة الأربعين: التبريزيّة[١] حيث يتقدّم أبو زيد السروجي إلى قاضي تبريز شاكياً زوجته زاعماً أنّها لا تقوم بواجباتها، فلهذا اتّهمها بالنشوز. فيوبّخها القاضي بأنّ النشوز يغضب الله ويوجب الضرر. ثمّ تقول الزوجة: إنّ زوجها يدور خلف الدار، فيغضب القاضي. وهنا يتبادل الزوج والزوجة أقذع الكلمات، فيوصيهما القاضي بالتراضي. ويهب القاضي أبا زيد السروجي ديناراً لينفقه في إصلاح حاله.

تعدّ هذه المقامة البديعة التكوين نموذجاً فنّيّاً متكاملاً، وتحقّق للحَريري أغراضه اللغويّة باستعمال أبي زيد السروجي في خدمة أهدافه اللغويّة وإظهار المقدرة التعبيريّة، وصوّر لنا تصويراً فنّيّاً حياة الزوج والزوجة.

أثبت الحَريري مقدرته وبراعته ومدى تفوّقه على معاصريه في اعتماده الألفاظ الغريبة، وعَرّضَ صوراً من الأساليب البليغة. واتّخذ أبا زيد السروجي وسيلة لخدمة أغراض المقامة اللغويّة، كما نلاحظ ذلك في كثير من مقامات الحَريري، منها: المقامة السادسة عشرة: المغربيّة[٢]، والمقامة السابعة عشرة: القهقهريّة[٣]، والمقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة[٤]، والمقامة الخامسة والثلاثون: الشيرازيّة[٥]، والمقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة[٦]، والمقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة[٧]، والمقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة[٨]. فالموقف في هذه المقامات كلّها واحد وهو اللعب بالألفاظ وإظهار قدراته على إيهام السامعين وإظهار تفوّقه السجعي.

وتعتبر **المقامات** نموذجاً عالياً من أساليب البيان في البلاغة. وآثر الحَريري الصنعة واستعمال البديع وسار على نهج معاصريه، وكتب مقاماته العلميّة والأدبيّة معارضةً لهم. وقد قصد بمقاماته النحويّة والفقهيّة، اللغة، لا النحو والفقه، وإظهار براعته اللغويّة في عرض الكثير من ألوان الكلام

---

(١) الحريري، **المقامات**، ص ٤٣٨ – ٤٥٠.
(٢) الحريري، م.ن، ص ١٥٣ – ١٥٥.
(٣) الحريري، م.ن، ص ١٦٣ – ١٦٧.
(٤) الحريري، م.ن، ص ٢١٣ – ٢١٩.
(٥) الحريري، م.ن، ص ٣٨٣ – ٣٩٠.
(٦) الحريري، م.ن، ص ٣٩٠ – ٤٠٢.
(٧) الحريري، م.ن، ص ٤٦٥ – ٤٧١.
(٨) الحريري، م.ن، ص ٥٢٤ – ٥٣٩.

وضروب البديع. كما أنّ غايته القصوى من مقاماته الأدبيّة أن يأتي بحديث أدبي فيه من اللغة أحلاها ومن الشعر كلمات عذبة رقيقة.

كما رأينا في الموضوعات الأدبيّة عند الحَريري في الفصل الثالث، أنّ **مقامات** الحَريري الأدبيّة حافلة بالتّعابير اللغويّة العربيّة العويصة، والأساليب النثريّة المزوّقة المنمّقة، وألوان البديع المختلفة جميعها لإظهار مهارته اللغويّة.

لاحظنا أنّ الحَريري اهتمّ بالبلاغة، لإظهار مهارته البيانيّة، ومقدراته اللغويّة، وتفوّقه في رصف الجمل واختيار المحسّنات البديعيّة على أدباء عصره والعلماء القدماء. فأخضع مقاماته لأغراضه اللغويّة.

ب- الغَرَض اللغوي في مقامات الحَمِيدي

نحن لا ننكر أنّ التعليم كان إحدى الغايات الّتي رمى إليها الحَميدي، ولكنّ التعليم وحده لم يكن الهدف الأساسي الّذي حرّكه لكتابة **مقاماته**، لأنّه سخّر اللغة لخدمة تبيان قدراته الأدبيّة، فلذلك اهتّم باللغة وقواعدها اهتماماً كثيراً، فاعتمد الجمل والعبارات الجميلة والتراكيب المسجّعة والمزدوجة لإظهار مهارته البيانيّة أيضاً.

وتدلّنا كثرة الآيات القرآنيّة نصّاً ومضموناً، والقصص القرآنيّة، والمفردات العربيّة، والأشعار العربيّة، والأمثال العربيّة واندماجها في المقامات على أنّ الحَميدي قد قصد بها إظهار ذخيرته الفنّيّة وقدراته اللغويّة. وقد أثبت براعته ومقدرته اللغويّة في المقامة الخامسة: في اللغز[١] خاصّةً، وفي جميع مقاماته عامّةً. كما أنّ معارضة الحَميدي بديع الزمان الهمذاني في كتابة المقامة السكباجيّة[٢] تقليداً للمقامة المَضيريّة[٣]، كان شاهداً عياناً على مهارته اللغويّة ومقدرته الفنّيّة في استعمال المفردات المسجوعة والمحسّنات اللفظيّة.

ونعلم أنّ الحَميدي قد وضع مقاماته تقليداً ومعارضة للحريري، فحاول أن يعارضه فكتب موضوعات شبيهة بموضوعاته، ليُظهر قدراته الفنيّة واللغويّة من جانب، ومن جانب آخر كتب موضوعات لم يكتبها الحَريري ولم يشر إليها قط، كالموضوعات الطبيّة والصوفيّة والتاريخيّة والوصفيّة والنقديّة لإظهار معلوماته الواسعة وقدراته اللغويّة.

فالمقامات الوصفيّة أحسن نموذج لقدراته الفنّيّة واللغويّة. كما أنّ فصاحته وبلاغته مشهودة في المقامة الثانية والعشرين: في التعزيّة[٤].

---

(١) حميدي، **مقامات**، ص ٥٣ – ٥٩.

(٢) حميدي، م.ن، "المقامة السادسة: في السّكباج"، ص ٦٣ – ٧٤.

(٣) بديع الزمان الهمذاني، **المقامات**، "المقامة المَضيريّة"، ص ١٠٤ – ١١٧.

(٤) حميدي، م.س، ص ١٩٧ – ٢٠٢.

لاحظنا أنّ الحَميدي ألّف مقاماته لغرض آخر هو إظهار قدراتــه اللغويّــة ومهارتــه البيانيّــة وفصاحته وبلاغته وتفوّقه في اختيار المحسّنات البديعيّة. فلــذلك كتــب مقاماتــه بــاللغتَين الفارســيّة والعربيّة، ليظهر سيطرته على اللغتَين. كما ذكر كثيراً من الآيات القرآنيّة والعلوم الدينيّة فــي مقاماتــه ليظهر ذخيرته الفنّيّة ومعلوماته الدينيّة تجاه بديع الزمان الهمذاني والحَريري وعلماء عصره.

رابعاً– الغرض الاجتماعي في مقامات الحَريري والحَميدي

إنّ الغرض الرابع والأخير من أغراض المقامة هو الغَرَض الاجتماعي. فنبدأ بالحَريري وبعــد ذلك بالحَميدي.

أ– الغَرَض الاجتماعي في مقامات الحَريري

إنّ الحَريري قد أعمَته بلاغته، فأغفل وصف مجتمعه، "ولم يقدّم إلاّ تشخيصاً باهتاً جدّاً للنفس البشريّة والمجتمع الّذي كان يعيش فيه"[١]. فالناحية الاجتماعيّة في **مقامات** الحَريري ضعيفة جدّاً، والحَريري لا يهتمّ بتصوير المجتمع العبّاسي الّذي عاش فيه تصويراً دقيقاً وواضحاً، ولا يعطينا فكرة واضحة عن قومه وعاداتهم وعقائدهم وطرق معيشتهم إلاّ قليلاً جدّاً. ربّما كان همّه الأول إظهار مقدرته اللغويّة مُحاكاةً للهمذاني وتعليم الناشئين، فابتعد عن وصف مجتمعه ومشكلات عصره.

فيما أنّ الحَريري قيّد نفسه بالسجع والمحسّنات البديعيّة، أفلت منه زمام علاج مشكلات المجتمع الاقتصاديّة والأدبيّة والعلميّة والاجتماعيّة. وبالرغم من هذه القيود فقد صوّر الحَريري العَوَز وسوء توزيع الثروة في مجتمعه، وحياة المتسوّلين، وأساليب الاستجداء، بقدرته البلاغيّة مثل: المقامة البغداديّة[٢] والمقامة المغربيّة[٣] والمقامة التفليسيّة[٤].

ويبدو أنّ الشحاذة كانت شائعة في القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين، فلهذا نرى مواقف التسوّل كثيرة في **مقامات** الحَريري، وفيها كلّها يتبع أبو زيد السروجي ألواناً من الحيل، بلغة عربيّة فصيحة.

وقد قصد الحَريري بهذه الصور المختلفة للتسوّل والّتي تعدّ في أسلوبها من نماذج النثر الفنّي الرفيع في الأدب العربي، أن يكشف عن حالة ضياع الأدب والأديب وحياة الأدباء، وأوضاعهم الاجتماعيّة السيّئة وفقرهم. كما يشير إلى ذلك في المقامة الرابعة عشرة: المكّيّة[٥].

---

(١) عبد الفتّاح كيليطو، **المقامات**، ص ١٧٧.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢١.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥١.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٣.

(٥) الحريري، م.ن، ص ١٢٩ – ١٣٢.

ويصوّر لنا بيئته ومجتمعه في المقامة الساسانيّة بقوله: "فرأيت المرء بِنَشَبِه، لا بنَسَبِه، والفحص عن مَكسَبِه، لا عن حَسَبِه"[١]. فيدلّنا قوله هذا على أنّ قيمة الناس في زمنه كانت بأموالهم ومراكزهم الاجتماعيّة.

عرفنا أنّ الحَريري لم يعتنِ بوصف مجتمعه، ولم يصوّر لنا تصويراً واضحاً ودقيقاً عن قومه وأفكارهم وعاداتهم وأفكار علماء عصره وعقائدهم، إلاّ إشارة إلى الفقر والجوع، وسوء توزيع الثروة في مجتمعه من خلال موضوع الاستجداء. وربّما سبب هذا الإهمال يرجع إلى خوضه في الألاعيب اللفظيّة لإظهار قدراته الفنيّة، وتفوّقه اللغوي على الهمذاني ومعاصريه.

ب- الغَرَض الاجتماعي في مقامات الحَميدي

عرض الحَميدي علينا صورة عن بيئته والأوضاع الاجتماعيّة الحاكمة في عصره وميزات قومه، ونماذج من تفكّرات معاصريه وآرائهم أيضاً. ونرى ذلك في مقامة السكباج إذ يقدّم لنا صورة عن حياة الناس والأمن في عصره والسجن والسجّان والسجّين في القرنين الخامس والسادس الهجريَيْن/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديَيْن، بقوله: "... فوجى ازعسس بر در حرس به من رسيدند وبه زخم چوبم باز گردانيدند. چون سير عريان كردند، وسر و پا برهنه در زندان شحنه بردند، وبه دست جلاّد حَرَسم سپردند، ودوماه با دزدان ورندان درخانه زندان بماندم. هيج دوست ازحال من آگاه نه وكس را به سوى من راه نه. تا روزى از بهر دفع بينوايى با رسم گدايى مرا بردر زندان آوردند وبه كديه ودريوزه بردند..."[٢].

ترجمة الشاهد

وصل إليّ جمع من قوّات الحرس وألقوا القبض عليّ وضربوني بالهراوة وأخذوني إلى السجن. فنزعوا عني ثيابي، وأدخلوني إلى السجن دون ثياب وحذاء، وسلّموني إلى الجلاّد، فبقيت في السجن لمدّة شهرين وعشت مع اللصوص والمجرمين. فما كان يعرف أحد من أصدقائي شيئاً عنّي وعن مكاني. حتّى أخرجوني في يوم من الأيّام إلى خارج السجن للتكدّي والتسوّل...

كما أنّه ينتقد علماء عصره بالكناية ويكشف عن اغترارهم بعلمهم وسخريّتهم واستهزاءهم بالآخرين في المقامة الثامنة: التصوّف[٣] والمقامة التاسعة: المناظرة بين السنّي والملحد[٤]. كما ينتقد

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧١.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٣.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٨٤ – ٨٩.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٩٥ – ١٠٢.

بالكناية العالم الّذي اغترّ بعلمه، ويختم انتقاده بكناية أو إشارة لأنّه لا يستحسن إطالة الكلام والتفصيل في المقامة الثامنة: التصوّف؛ ويذكر قصّة فتى كان يسلك الطريق وهو في بداية الطريق، وكان يسأل مرشده كثيراً، فأجابه المرشد بغرور تامّ وفخر غير عادي مخاطباً إيّاه بألفاظ نحو: أيّها المبتدئ، أو أيّها الصيد غير المروّض، أو أيّها الغبي، أو ثقيل الدم وإلخ[1].

ونجد مثل ذلك في المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد بقوله: "پير سنّى چون دليران ازكمين وچون شيران از عرين بيرون جَست وگفت: خه خه، لا عليك عينُ اللهِ. اى پير بى تدبير: إنّ أنكر الأصوات لصوتُ الحمير. كلاغ را از بانگ ناموزون، جمالى افزون نشود، اين ترّهات اهل هنگامه واجتماع اهل عامّه راشايد..."[2].

ترجمة الشاهد

خرج الشيخ السنّي من الكمين كالشجعان، وكالأسُود من العرين، وقال: بخ بخ، لا عليك عين الله! أيّها الشيخ بلا تدبير: إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير. صوت الغراب لا يزيد على جماله، ولا تناسب هذه الخزعبلات هؤلاء الجماعة وعوام الناس...

تبيّن لنا أنّ الحَميدي صوّر الحياة الاجتماعيّة في عصره وخصائص الناس وعلماء عصره، وتجسّم نماذج من أفكارهم وآرائهم وعقائدهم، ولو أنّه كان أقلّ ممّا نتوقّعه.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ قارئ **مقامات** الحَميدي يتوقّع أن يعرف أموراً كثيرة عن مجتمع الحَميدي للسببَيْن أوّلاً: تنوّع موضوعات **مقاماته**، وابتعاده عن التسوّل خلافاً للمقامات العربيّة، لاسيّما المقامات الحريريّة. ثانياً: سفرة الحَميدي إلى البلدان المختلفة في المقامات؛ فالقارئ ينتظر أن يسمع كلاماً أو وصفاً عن هذه المدن وتاريخها وأماكنها الأثريّة أو خصائص الناس وأفكارهم وعقائدهم غير أنّه لن يحصل على مراده أبداً.

* * *

نستنتج في هذا الفصل القضايا التالية:

وضع الحَريري **مقاماته** تقليداً ومعارضةً للمقامات الهمذانيّة ولإظهار قدراته الفنّيّة والإنشائيّة وذوقه وقريحته واستعداده الفطري وتفوّقه السجعي تجاه الهمذاني، ولتعليم الطّلاب صنعة الكتابة والإنشاء بأساليبه البلاغيّة. ولم يصوّر صورةً واضحةً للقرّاء عن مجتمعه وقومه وأفكارهم وعقائدهم إلاّ نادراً جدّاً، لأنّه اهتّم بانتقاء الألفاظ الحوشية الغريبة، والتعقيدات الأسلوبيّة، وبحث عن المفردات

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٦ – ٨٧.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ١٠٠.

العجيبة قليلة الاستعمال بين الأدباء لإظهار قدراته الفنّيّة واللغويّة إزاء بديع الزمان الهمذاني وعلماء عصره، وهذا ما فرضته عليه ظروف عصره.

وأمّا الحَميدي فصحيح أنّه كتب **مقاماته** تقليداً ومعارضةً للمقامات العربيّة، لا سيّما **مقامات** الهمذاني والحَريري، ولإظهار قدرات الإيرانيين الفنّيّة واللغويّة غير أنّ غرضه الأصلي كان تعليم وتسلية القرّاء ونسج الألفاظ.

وصحيح أنّ الحَميدي قد قصد من تأليف مقاماته تقليد ومعارضة **مقامات** الهمذاني والحَريري بحسب اعترافه في مقدّمة **مقاماته**، ولكنّه لم يقلّد الحَريري في إنشاء المفردات الصعبة والمتكلّفة، والصنائع اللفظيّة والبلاغيّة كثيراً إلاّ في المقامة اللغزيّة. وقلّد بديع الزمان الهمذاني في أسطورة المقامة السكباجيّة الّتي تعدّ ترجمة وتقليداً للمقامة المَضيريّة للهمذاني.

ولم يقدّم الحَميدي كالحَريري للقرّاء صورةً واضحةً عن مجتمعه وعادات الناس وأفكارهم، بل اكتفى بانتقاد علماء عصره وسوء تعاملهم مع الناس.

فالمقامات الحريريّة والحميديّة وإن مزجتا التسلية بالتعليم، فإنّهما لم تهدفا إلى وصف الأحوال الاجتماعيّة، ولا إلى الأخلاق بالشرح، ولكن الأحوال والأخلاق كانت تردّ فيهما عرضاً داخل إطار شديد التحديد قليل التنوّع.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَميدي كالحَريري لم يؤلّف **مقاماته** لكتابة القصّة، بل جاءت **مقاماته** ذات هدف تعليميّ، أو فكاهي، أو نقديّ، أو كتبها لأجل إظهار قدراته الفنّيّة واللغويّة، وتفوّقه السجعي، واللعب بالألفاظ تقليداً أو معارضةً **لمقامات** الهمذاني والحَريري، ومنها ما ليس له هدف على الإطلاق.

الباب الثالث

أسلوب المقامة في مقامات الحَريري والحَمِيدي

الفصل الأوّل – البناء الموسيقي في مقامات الحَريري والحَميدي

الفصل الثاني – البناء الصرفي والتركيبي في مقامات الحَريري والحَميدي

الفصل الثالث – البناء اللفظي في مقامات الحَريري والحَميدي

الفصل الرابع – البناء البلاغي في مقامات الحَريري والحَميدي

الفصل الأوّل

البناء الموسيقي في مقامات الحَريري والحَميدي

لقد عالجنا في الباب الثاني مضامين المقامات الحريريَّة والحميديَّة، وقمنا بالمقارنة بينهما. فينبغي لنا الآن أن نخوض في الباب الثالث والأخير المسمّى بأسلوب المقامة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، الّذي نقصد به معرفة الأثواب اللغويّة الّتي ألبسها كلٌّ منهما لأفكارهما وما نجم عن ذلك من موسيقى في النصّ المحكيّ في مقامات الرجلَيْن كلٌّ على انفراد. ولذلك يتناول الفصل الأوّل الّذي سمّيناه بالبناء الموسيقي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ثلاثة مباحث؛ المبحث الأوّل: الشعر في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونتحدّث فيه عن الشواهد الشعريّة، والأوزان الشعريّة، والتفنّن في الأوزان والقوافي في مقاماتهما. والمبحث الثاني: السجع في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونشير فيه إلى السجع وأقسامه في مقاماتهما. والمبحث الثالث والأخير: الجناس في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونذكر فيه الجناس وأنواعه في مقاماتهما.

أوّلاً- الشِّعر في مقامات الحَريري والحَميدي

تتميّز **مقامات** الحَريري والحَميدي بحسن المواءمة بين النثر والشعر. فقد مزج الحَريري والحَميدي نثر مقاماتهما بالشعر لإظهار قدراتهما الفنيّة، كما استشهدا بأشعار الشعراء القدماء في مقاماتهما. فنبدأ بالحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- الشواهد الشعريّة في مقامات الحَريري والحَميدي

استشهد الحَريري والحَميدي بأشعار الشعراء القدماء في مقاماتهما، فنذكر هذه الشواهد الشعريّة لدى الحَريري أوّلاً ثمّ لدى الحَميدي.

١- الشواهد الشعريّة في مقامات الحَريري

نجد ألفاً ومائةً وثمانيةً وستّين بيتاً في **مقامات** الحَريري كلّها من تأليفه؛ وحسب اعتراف في مقدّمة **مقاماته** لم يستشهد بأشعار الشعراء السالفين باستثناء بيتين منفردين، قائلاً: "ولَمْ أُودِعْهُ من الأشعار الأجنبيّة إلاّ بيتين فَذَّيْنِ، أسَّسْتُ علَيْهما بِنْيَةَ المقامةِ الحلوانيَّة وآخَرَيْنْ تَوْأمَيْنِ[1] ضمَّنْتُهما المقامة الكرجيّة، وما عدا ذلك فخاطِري[2] أبو عُذْرِه[3]، ومُقْتَضب[4] حُلْوِه ومُرِّه"[5].

---

(١) توأمين: أخوين من شعر واحد. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، مج ١، ص ١١.

(٢) خاطري: ذهني. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١١.

(٣) أبو عذره: أيّ أوّل صانع له. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١١.

(٤) مقتضب: مقتطع. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١١.

(٥) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٧.

فأمّا الشاهدان الشعريان فهما: في المقامتين الحلوانيّة والكرجيّة: البيت الأوّل هو لأبـي عبـادة البحتري[١]: فقال لمن يَليه، ما الكتابُ الّذي تنظرُ فيه، فقال ديوان أبي عبادة، المشهودِ لـه بالإجـادة، فقال هل عَثَرتَ له فيما لمحتَهُ، على بديعٍ استملَحتَه، قال نعم قوله: (بحر السريع)

كَأنَّما تَبْسِمُ عَـنْ لُـؤْلُـؤٍ   مُنَضَّـدٍ أوْ بَـرَدٍ أو أقـاحْ[٢]

وهذا البيت من شعر البحتري، وقبله: (بحر السريع)

بـاتَ نَديماً ليَ حَتّـى الصَّباحْ   أغْيَدُ مَجْدُولُ مَكـانِ الوَشاحْ

كأنّما يَضْحكُ عَـنْ لُـؤْلُـؤٍ   مُنَظَّـمٍ أوْ بَـرَدٍ أو أقـاحْ[٣]

واستشهد ببيت آخر في المقامة الكرجيّة وسمّاه التوأمين؛ والتوأم هو المولود مع آخر في بطـن واحد سمّي البيتين بذلك لكونهما لقائل واحد هو ابن سكّرة[٤]، بقوله: (بحر البسيط)

جاءَ الشِّتاءُ وَعِنْـدي مِـنْ حَوائِجِهِ   سَبْعٌ إذا القَطْرُ[٥] عَنْ حاجاتِنا حَبَسَا

كِنٌّ[٦] وكِيسٌ[٧] وكانُونٌ[٨] وكاسُ طِلاً[٩]   بَعْدَ الكَبابِ وكُسٌّ ناعِـمٌ وكِسَـا[١٠]

---

(١) أبو عبادة البحتري: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، هو شاعر، يقال لشعره "سلاسل الذهب". ولد سـنة ٢٠٦ / ٨٢١ بمنبج. وهو أحد الثلاثة الّذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبيّ، وأبو تمّام والبحتري. له **ديـوان شـعر**، وكتاب **الحماسة** على مثال حماسة أبي تمّام وغير ذلك. وتوفّي بمنبج سنة ٢٨٤ / ٨٩٨. ابن خلّكـان، **وفيـات الأعيان**، مج ٢، ص ١٧٥؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٨، ص ١٢١.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثانية، الحلوانيّة"، ص ٢٠.

(٣) البحتري، **الديوان**، مج ١، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٤) ابن سكّرة الهاشمي: أبو الحسن محمّد بن عبد الله بن محمّد. شاعر متّسع الباع، في أنواع الإبداع، فائق في قـول الملح والظرف، أحد الفحول الأفراد، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد. وكان يقال ببغداد: إنّ زماناً جـاد بابن سكّرة وابن الحجّاج لسخيٌّ جدّاً. وما أشبههما إلاّ بجرير والفرزدق في عصريهما، فيقـال: إنّ ديـوان ابـن سكّرة يربى على خمسين ألف بيت. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج ٣،ص ٣.

(٥) القطر: المطر. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٧.

(٦) كنّ: بيت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨.

(٧) كيس: وعاء الدراهم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨.

(٨) كانون: حيث تجعل النار فيه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨.

(٩) طلا: خمر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٧.

(تبيّن لنا أنّ الحَريري لم يستشهد بأشعار الشعراء القدماء إلاّ بيتَين منفردَين كما يعترف بذلك في مقدّمة **مقاماته**، ويفتخر بأنّ أشعاره كلّها صنيعته إلاّ بيتين). ومن الواضح، أنّه لم يستشهد بأشعار الآخرين متعمّداً ليظهر ذوقه الشعري وقريحته ومقدرته الشعريّة.

٢- الشواهد الشعريّة في مقامات الحَميدي

ألّفَ الحَميدي ثمانمائةٍ وسبعةٍ وأربعين بيتاً، منها خمسمائة وثلاثة وأربعون بيتاً بالفارسيّة، ومائتان وسبعة وتسعون بيتاً بالعربيّة. ولم يستشهد بأشعار الشعراء القدماء إلاّ قليلاً، صرّح بذلك في مقدّمة **مقاماته** قائلاً: "... در جمله اين تصنيف با سرمايه خود بسازم إلاّ مصراعى چند برسبيل شهادت، نه بر وجه افادت. وجمله اين ابيات كه رفيق اين ره باشد، به عدد كم از ده باشد"[(١)].

ترجمة الشاهد

اكتفيت في هذا التأليف – المقامات – برأس مالي ولم أستشهد بأشعار الآخرين ما عدا بضعة أبيات وذلك للاستشهاد بها لا للإفادة. وجميع هذه الأبيات الّتي تعدّ رفيق الطريق عددها أقلّ من عشرة.

والجدير ذكره أنّنا لا نلاحظ الإطناب في أشعار الحَميدي، وأشعاره لطيفة جداً في اللغة الفارسية أمّا في العربيّة فيغلب عليها النظم والتكلّف، وأحياناً الركاكة الفاضحة، وسبب ذلك أنّه شاعر غير مطبوع، ولكنّه أحياناً يجيد كما سنرى. يصف الدنيا وما فيها من العجائب والغرائب، وحكمة الله في خلقة الكون أيضاً بقوله في مقامة الربيع: (بحر المتقارب)

فَحِكْمَتُه مَـا لَهَـا مُـدْرِكٌ ... وَقُدْرَتُـهُ مَا لَهَـا غايَـةُ

إذا رُمْتَ نَصّـاً عَلَـى كَوْنِـه ... **فَفِـي كُلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ**[(٢)]

إنّ المصراع الأخير: "ففي كلّ شيء له آية"، صدر بيت لأبي العتاهية[(٣)]، والبيت هذا: (بحر المتقارب)

فَفِـي كُلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَـدُلُّ عَـلَى أنَّـهُ واحِـدُ[(٤)]

ويصف الأدب في مقامة التصوّف قائلاً: (بحر البسيط)

فَوْقَ المَنَاصِيبِ فَضْلٌ لَوْ ظَفِرْتَ بِهِ ... **وَجَدْتَ فِي الخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي العِنَبِ**[(٥)]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقدّمة"، ص ٢٢.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٥٠.

(٣) أبو العتاهيّة: أبو إسحق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي المعروف بأبي العتاهيّة. ولد سنة ١٣٠/ ٧٤٧ ببلدة عين التمر بالحجاز، ونشأ بالكوفة وسكن بغداد. قال الشعر فبرع فيه، وأكثر شعره في الزهد والأمثال. له ديوان. كانت وفاته سنة ٢١١/ ٨٢٦. سركيس، **معجم المطبوعات**، مج ١، ص ٣٢٣.

(٤) أبو العتاهيّة، **الديوان**، ص ٤١.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨١.

فالمصراع الأخير من أشعار المتنبّي، والبيت كلّه هذا: (بحر البسيط)

وإنْ تكنْ تَغْلِبُ الغَلباءُ عُنْصرَها فإنَّ فِي الخَمْرِ مَعْنى لَيْسَ فِي العِنَبِ[(١)]

كما أنّ الحَميدي يستشهد بأشعار المتنبّي مرّة أخرى في مقامة العشق ويقول: إنّ العشق ليس كما يصفه المتنبّي ويقول: "الحبُّ ما مَنَع الكلامَ الألسنا"[(٢)]، بل كما أنا أقول": (بحر الكامل)

الحُبُّ ما مَنَحَ الكلامَ الأخْرَسَا لا ما يَظُنُّ الألْمَعِيّ الأكْيَسَا[(٣)]

واستشهد بمصرع بيت آخر للمتنبّي أيضاً في مقامة السفر والرفاقة؛ وبعد أن يشير إلى صفات الرفيق في السفر واختيار أحسن خليل، بقوله: "إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المساعدُ"[(٤)]. هذه العبارة مأخوذة من البيت التالي للمتنبّي: (بحر الطويل)

وَحيدٌ مِنَ الخُلاّنِ في كُلِّ بَلْدةٍ إذا عَظُمَ المَطْلُوبُ قَلَّ المُساعِدُ[(٥)]

وهذا البيت من قصيدة معروفة للمتنبّي، مطلعها: (بحر الطويل)

عَواذِلُ ذاتِ الخالِ فيَّ حَواسِدُ وإنّ ضَجَيجَ الخَوْدِ منّي لمَاجدُ[(٦)]

يشبه السيفَ والخنجر بالنرجس والآس ويستشهد بأبيات منسوبة إلى علي بن أبي طالب في المقامة الوعظيّة: (بحر السريع)

السَّيْفُ والخَنْجَرُ رَيحانُنا أُفٍّ مِنَ النَّرْجِسِ والآسِ
شَرابُنا مِنْ دَمِ أعدائنا وكَأسُنا جُمْجُمَةُ الراسِ[(٧)]

هذه الأبيات رغم نسبتها لعلي بن أبي طالب لا يمكن أن تكون له لأنّ سبكها وصياغتها تدلّ على بيئة مختلفة عن البيئة الّتي نشأ فيها فأين النرجس والآس في بيئة علي، ومن الناحية المعنويّة لا يمكن أن يقول شرابنا من دم أعدائنا وهو يعلم أن شرب الدم حرام.

وحين يتكلّم الحَميدي عن مدينة بلخ وأوصافها، يذكر مطلع قصيدة زهير بن أبي سلمى المعروفة، قائلاً: (بحر الطويل)

أمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمانَةِ الدَرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[(٨)]

---

(١) المتنبّي، **الديوان**، ص ٤٣٤.
(٢) المتنبّي، م.ن، ص ١٥٠.
(٣) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٢.
(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣١.
(٥) المتنبّي، م.س، ص ٣١٩.
(٦) المتنبّي، م.س، ص ٣١٨.
(٧) حميدى، م.س، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٨؛ أنظر: واعظ كاشفي، **فتوّت نامه سلطاني**، ص ٣٥١.
(٨) حميدى، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٨؛ أنظر: زهير بن أبي سلمى، **الديوان**، ص ١٠٢.

يصرّح الحَميدي في مقامة الشتاء بأنّه استشهد بقطعة لعلي باخَرْزي[١] صاحب كتاب **دمية القصر** في نعت البرودة وفصل الشتاء، بقوله: (بحر الكامل)

لَبِسَ الشّتاءُ مِنَ الجَليدِ جُلُودا ... فَالبِسْ فَقَدْ بَرَدَ الزّمانُ بُرُودا
كَمْ مُؤمِنٍ قَرَصَتْهُ أظفارُ الشّتا ... فَغَدا لأصْحَابِ الجَحيمِ حَسُودا
وتَرَى طُيورَ الماءِ في أرْجائِها ... تَخْتَارُ حَرَّ النّارِ والسَّفُّودا
وإذا رَمَيْتَ بِسُؤْرِ كأسِكَ في الهَوى ... عادَتْ عَليكَ مِنَ العقيقِ عُقُودا
يا صاحبَ العُودَيْنِ لا تُهْمِلْهُما ... حَرِّقْ لنا عُوداً وحَرِّكْ عُودا[٢]

استشهد الحَميدي بأشعار أشهر الشعراء كأبي العتاهية والمتنبّي وزهير بن أبي سلمى وعلي باخرزي لعدّة أسباب منها: إظهار سعة معلوماته الأدبيّة، ومعرفة الشعراء وأشعارهم، وتقليد الحَريري ومعارضة له.

* * *

ومحصلّة القول إنّ الحَريري والحَميدي لم يستشهدا بأشعار الشعراء القدماء كثيراً وذلك عن عَمَدٍ، ليظهرا قدراتهما الشعريّة تجاه علماء عصرهما. وتأثّر الحَميدي بالحَريري أيضاً، ولم يستشهد بأشعار الشعراء القدماء بكثرة.

ب- الأوزان الشعريّة في مقامات الحَريري والحَميدي

استعمال الأوزان الشعريّة القصيرة في مقامات الحَريري والحَميدي يمكن تفسيره بالظروف

---

(١) الباخرزي: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيّب الباخرزي الشاعر المشهور؛ كان أوحد عصره في فضله وذهنه، والسابقَ إلى حيازة القصب في نظمه ونثره. اشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعي (ح)، ثمّ شرع فنّ الكتابة، وغلب أدبه على فقهه، فاشتهر بالأدب وعمل الشعر، وصنّف كتاب **دمية القَصر وعصرة أهل العصر** وهو ذَيْل **يتيمة الدهر** للثعالبي. وقتل في مجلس الأنس بباخرز، وهي ناحية من نواحي نيسابور، وكانت وفاته سنة ١٠٧٤/٤٦٧. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٣، ص ٣٨٧ – ٣٨٨.

وقد أورد ابن خلّكان جزءا من قطعة الشاعر الباخرزي في وصف الشتاء مع وجود الاختلاف في بعض الألفاظ، بقوله: (البحر الكامل)

كَمْ مُؤْمِنٍ قَرَصَتْهُ أظفارُ الشّتا ... فَغَدا لسكّانِ الجَحيمِ حَسُودا
وتَرَى طُيورَ الماءِ في وكَناتِها ... تَخْتَارُ حَرَّ النّارِ والسَّفُّودا
وإذا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كأسِكَ في الهَوى ... عادَتْ عَليكَ مِنَ العقيقِ عُقُودا
يا صاحبَ العُودَيْنِ لا تُهْمِلْهُما ... حَرِّقْ لنا عُوداً وحَرِّكْ عُودا

أنظر: ابن خلّكان، م.ن، مج ٣، ص ٣٨٨.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٣ – ١٩٤.

الاجتماعية الّتي ظهرت في العصر العبّاسي، حيث بدأت مجالس الغناء واللهو والطرب تُعقَد في قصور الخلفاء والأمراء، ومعظم الجواري والمغنيّات كُنّ من البلاد الّتي شملها الفتح الإسلامي، وكنّ لا يُتقنّ اللغة العربيّة إتقاناً عالياً، ولذا كنّ يحتجْنَ في أدائهنّ الغنائي إلى لغة سهلة ميسَّرة الأداء وأوزانٍ قصيرة في معظم الأحيان، وكنّ يتدرَّبنَ على الأداء والإتقان تدريباً شاقّاً، وهذا ما يفسِّر لجوء كثير من الشعراء في المدن إلى النظم أحياناً بأوزان سهلة الأداء استجابةً للظروف الجديدة الّتي غيّرت كثيراً من المفاهيم الّتي كانت سائدةً في البادية وشبه الجزيرة العربيّة قبل الفتوحات الإسلاميّة.

أمّا الاستمرار باستعمال بعض الأوزان الطويلةِ التفعيلات والأداء كالبحر الطويل والبسيط فقد كان امتداداً لاسترسال الموسيقى الغنائيّة القديمة في الشعر العربي، والّتي لا يمكن تجاهلها في الحياة الجديدة، ولذلك فبمقدار ما كانت الرغبة عالية للأوزان القصيرة والليّنة في العصر العبّاسي ظلّتْ الأذن العربيّة مشدودة إلى تراثها الغنائي القديم الوافد من صحراء العرب.

كانت الأذن المستمِعة تميل إلى تجنّب الألفاظ الغريبة في اللفظ أثناء الغناء، وتجنّب الثقيل الأداء، وهذا ما يفسِّرُ لنا تجنّب المغنّين والمغنّيات حتّى يومنا هذا غناءَ شعر شاعرٍ عظيم كالمتنبّي مثلاً، واللجوء للشعر الليّن الأداء لغةً وأحياناً وَزْناً كشعر أبي فراس الحَمْداني[١]، وبشّار بن بُرد[٢]، وأبي نواس[٣].

لقد كان استعمال الأوزان الخفيفة مترافقاً مع تجنّب اللغة الفخمة، والقويّة الأداء، وانسجاماً مع حضريّةِ المجتمع الجديد الميّال إلى الرفاه واللُيونة في اللفظ، والموسيقى، والغناء.

ومن المؤكّد أنّ صلة وثيقة موجودة بين الشعر والموسيقى، "فالشاعر في حالة اليأس والجزع يتخيّر عادةً وزناً طويلاً كثيرا المقاطع، يصبّ فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه. فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثّر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم مع سرعة التنفس

---

(١) أبو فراس الحمداني: أبو فراس الحارث بن أبي العلا سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني. ولد سنة ٩٣٢/٣٢٠. شعره مشهور بين الحسن والجودة والسهولة. وكان المتنبيّ يشهد له بالتقدّم فلا ينبري لمباراته ولا يجتري على مجاراته. له **ديوان**. توفّي سنة ٩٦٧/٣٥٧. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٢، ص ٥٨ – ٦١.

(٢) بشّار بن برد: أبو معاذ بشّار بن برد بن يَرجوخ العُقَيليّ بالولاء الضرير الشاعر المشهور. ولد سنة ٧١٤/٩٥. هو في أوّل مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه. له **ديوان**، ورسائل. توفّي سنة ٧٨٤/١٦٧. ابن خلّكان، م.ن، مج ١، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

(٣) أبو نواس: أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور. ولد ببصرة ونشأ بها، وقيل ولد بالأهواز. كان قويّ البداهة والارتجال. توفّي سنة ٩٦٥/٣٥٥. ابن خلّكان، م.ن، مج ٢، ص ٩٥ – ١٠٤.

وازدياد النبضات القلبيّة، ومثل هذا الرثاء الّذي قد ينظم ساعة الهلع والفزع لا يكون عادة إلاّ في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد أبياتها على عشرة، أمّا تلك المراثي الطويلة فأغلب الظنّ أنّها نظمت بعد أن هدأت ثورة الجزع والحزن، واستكانت النفوس باليأس والهمّ المستمر"(١).

ونحن في الحقيقة لا نلاحظ هذه الحالات في **مقامات** الحَريري والحَميدي كثيراً، لأنّهما وضعا مقاماتهما للتقليد أو للمعارضة ولإظهار قدراتهما الفنيّة واللغويّة. فيمكننا القول إنّهما لم يُنشدا شعراً وهما في حالة اليأس والحزن والفرح إلاّ قليلاً. وهذا يؤكّد أنّهما نظّامان لا شاعران، فالشعر هو نداء النفس الداخليّة وليس النظم القائم على الذكاء المعرفي وغزارة القاموس اللغوي عند الناظم.

ضمّن الحَريري والحَميدي مقاماتهما كثيراً من الشعر. وقد أجادا فنّ النظم إلى جانب النثر، واعتبرا المزاوجة بينهما مقياس البلاغة. وقد أثبتا مقدرتهما على إقامة الأوزان، فكأنّهما ألزما نفسيهما أنْ يَبُثّا بعض مقطوعاتهما الشعريّة في أثناء مقاماتهما، لإظهار قدراتهما الشعريّة.

فمن هنا قمنا بإحصاء البحور الشعريّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي، وتبيان نِسبة البحور المعتمدة فيهما. فنبدأ بإحصاء البحور الشعريّة في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

١ – الأوزان الشعريّة في مقامات الحَريري

إنّ قارئ **مقامات** الحَريري يرى أنّ الحَريري أكثر في **مقاماته** من الشعر. كما نجد ألفاً ومائةً وثمانيةً وخمسين بيتاً في مقاماته، كأنّه أراد أن يُظهر قدراته البلاغيّة بهذه المزاوجة بين النثر والنظم.

وإذا نظرنا للتكشيل الموسيقى لأشعار الحَريري من جوانب مختلفة؛ من حيث الإيقاع، أو وزن الشعر وبحوره، وتغيّر تفعيلاته، وانسيابها في تردّدات إيقاعيّة متّزنة، وإلى الفواصل الصوتيّة الّتي تعدّ خواتيم للجمل الموسيقيّة، وجدنا أحياناً الروي أو القافية بتكرارهما أو بوحدتهما الصوتيّة كسِلك يضمّ الجمل المتتابعة ويعطيان المقامات روحاً هادئة.

وما يلفت النظر أنّ الحَريري قد بنى **مقاماته** نثراً ونظماً على الإيقاع والموسيقى بكلّ عناصرها من وزن، وقافية وأصوات متناسقة متناغمة في كلماتها وتعداد حروفها.

واهتمام الحَريري بالزخارف الصوتيّة في أشعاره ونصوصه واضح، ويتجلّى اهتمامه بعنصرين أساسيين الإيقاع والصوت. كما نلاحظ ذلك في جملة من صور البديع اللفظي كالسجع، والجناس، والتوشيح أو التشريع، ولزوم ما لا يلزم وغير ذلك. وقد فتح الحَريري الطريق للأدباء المتأخّرين في القرنَين السادس والسابع الهجريّين في الشعر والنثر على السواء.

إنّ دراسة الوزن الشعري ودلالات هذه الأوزان من خلال مقامات الحَريري، تُعَدُّ صفحة مشرقةً لدراسة الشعر وأوزانه، ونسبة شيوعها في عصره. ولعلّ الحَريري احتفظ من خلال أشعاره القصيرة، بنسب قليلة من الحفاظ على نهج القُدماء في أوزان الشعر وبحوره، مع زيادةٍ ملحوظةٍ في مجزوءات البحور؛ كما أكثر في استعمال مجزوءات الكامل، والرجز، والخفيف، والبسيط،

(١) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص ١٧٧.

والرمل.ونتيجةً لإحصاءٍ شموليٍّ في نسبة شيوع البحور الشعريّة في **مقامات الحَريري**، وجدنا أنّها تسير مرتّبةً حسب نسبة شيوعها على النحو التالي:

إحصاء الأبيات في مقامات الحَريري، وتبيان نسبة بحورها

البحر	أشكالـــــه				المجموع	النسبة المئويّة
	التامّ	المجزوء	المشطور	المنهوك		
١- الطويل	٥١				٥١	٤/٣٩
٢- المديد	—				—	—
٣- البسيط	١٠٩	١٠	١٧ المخلّع		١٣٦	١١/٧٠
٤- الوافر	٣٣	١٣			٤٦	٤
٥- الكامل	٥٤	١١٩			١٧٣	١٤/٨٩
٦- الهزج	٦١				٦١	٥/٢٤
٧- الرجز	٦٣	٧٩			١٤٢	١٢/٢
٨- الرمل	—	٢٣			٢٣	٢
٩- السريع	١٩٩				١٩٩	١٧/١٢
١٠- المنسرح	٥٤				٥٤	٤/٤٧
١١- الخفيف	١٠١	٥١			١٥٢	١٣/٠٨
١٢- المضارع	—				—	—
١٣- المقتضب	—				—	—
١٤- المجتثّ	٥٤				٥٤	٤/٦
١٥- المتقارب	٧١				٧١	٦
١٦- المتدارك	—				—	—
المجموع	٨٥٠	٢٩٥	١٧		١١٦٢	%١٠٠

من خلال هذا الإحصاء تبيّن لنا أنّ الحَريري نظم بالترتيب البحور التالية: السريع، الكامل، الخفيف، الرجز، البسيط، المتقارب، الهزج، المنسرح، المجتثّ، الطويل، الوافر والرمل ولم ينشد شعراً في بحور أخرى كالمديد والمضارع، والمقتضب والمتدارك.

وسنعرض في هذا القسم لأكثر البحور تواتراً في **مقامات** الحَريري، أي بحر السريع، وبحر الكامل وبحر الخفيف.

١- بحر السريع: من خلال هذه الإحصائيّة، لنسبة شيوع الأوزان في مقامات الحَريري، وجدنا أنّ البحر السريع يُعَدُّ من البحور الكبرى الّتي اعتمد الحَريري في مقاماته، واحتلّ المرتبة الأولى، إذ إنّه أنشد ١٧/١٢ من أشعاره على هذا البحر.

سمّي هذا البحر سريعاً "لأنّه يسرع على اللسان"[١] أي لسرعة النطق به. ومن ميزاته "أنّ موسيقى هذا البحر فيها اضطراب لا تستريح الآذان إليه إلاّ بعد مرانٍ طويل"[٢]. ولهذا السبب لم يُكثر الشعراء القُدماء من النظم فيه.

وقد استعمل الحَريري بحر السريع لأغراض مختلفة معروفة في **مقاماته** نحو: التشبيه[٣] والوعظ[٤] والكدية والشكوى من الدهر[٥] واللغز[٦] والمخاصمة بين الزوجين أو بين الأب والابن[٧] والتعليم[٨] وغير ذلك.

ونرى نماذج من بحر السريع في المقامة البغداديّة حين يشكو البطل أبو زيد السروجي جورَ الزمان ومصائبه والفقر والجوع، ويفطر بأبياتها قلوب الحاضرين، فيكثرون له العطاء بقوله: (بحر السريع)

أَشْكُو إِلَى اللهِ اشْتِكَاءَ المرِيضْ   رَيْبَ[٩] الزَّمانِ المُتَعَدِّي البَغِيضْ
وَأَفْرُخــي مَا تَأْتَلِي[١٠] تَشْتَكِــي   بُؤْساً لَهُ في كُلِّ يَــوْمٍ وَمِيضْ
يا رازِقَ النُّعَّابِ[١١] في عُشِّــهِ   وجابِرَ العَظْمِ الكَسِيرِ المَهِيضْ[١٢]

---

(١) صابر عبد الدايم، **موسيقى الشعر العربي**، ص ١٣١.

(٢) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص ٩٠.

(٣) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٠.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٩، و "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٦ – ٤٥٧، ٤٦٠.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٣، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٣، و "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٤، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٦.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٨، و"المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٦٧، و"المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٤٩٦، ٥٠٩ – ٥١٠.

(٧) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤١٣ – ٤١٤، و"المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٥ – ٥١٦، ٥٢٠، و"المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٢.

(٨) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٤، ٥٣١.

(٩) ريب: جور. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، مج١، ص ١٦٩.

(١٠) تأتلي: تقصر. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٧٠.

(١١) النعّاب: فرخ الغراب، يزعمون أنّه يخرج من بيضته أبيض، فيراه الذكر فيستريب، فيضرب أنثاه، وينقرها حتّى تفرّ طائرة فيطير خلفها ويتركانه، فيرسل الله له ذباباً يطير حول عينيه، فيفتح منقاره، فتدخل في حلقه، ويتغذّى بها حتّى يسود ريشه. فحينئذٍ يرجع إليه أبواه فيكملان تربيته. ويا رازق النعاب من دعاء داود (عليه السلام). الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.

(١٢) المهيض: الّذي انكسر بعد الجبر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.

أنِخْ[1] لَنا اللّهُمَّ مَنْ عِرْضُهُ مِنْ دَنَسِ الذَّمِّ نَقيٌّ رَحيضْ[2]
يُطْفِئُ نارَ الجُوعِ عنّا ولَوْ بِمَذْقَةٍ[3] مِنْ حازِرٍ[4] أوْ مَخِيضْ[5]

أو نجد أبياتاً أخرى من بحر السريع في المقامة التنيسيّة، حيث يخطب البطل أبو زيد السروجي في المسجد خطبةً وعظيّةً، نثراً ونظماً. فبعد أن يلوم ابن آدم على جهله وحمقه، وحبّه ادّخار المال، ونسيانه يوم الآخرة[6]، يُنشد أشعاراً، يُرشد بها الإنسان المُذنب ويدعوه إلى التوبة وينصحه بالأخلاق الحسنة وحُسن التعامل مع الناس وإكرامهم وشبه ذلك بقوله: (بحر السريع)

لا خَيْرَ في مَحْيا امْرِئٍ نَشْرُهُ[7] كَنَشْرِ مَيْتٍ بَعْدَ عَشْرٍ نُبِشْ[8]
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شاكَهُ ذَنْبُهُ[9] هَلَكْتَ يا مِسكينُ أو تَنْتَقِشْ[10]
فأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسْ[11] بِها مِنَ الخَطايا السُّودِ ما قَدْ نُقِشْ[12]
وَعاشِرِ[13] النَّاسَ بِخُلْقٍ رِضاً ودارِ[14] مَنْ طاشَ[15] ومَنْ لَمْ يَطِشْ[16]

٢- البحر الكامل: أكثر منه في **مقاماته**، واحتلّ المرتبة الثانية، إذ إنّه أنشد ١٤/٨٩ على هذا البحر. وينقسم هذا البحر إلى التامّ والمجزوء. وسمّي بهذا الاسم لأنّ "فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، وله تسعة أضرب لم يحصل عليها بحر آخر"[17]. ويُصلح البحر الكامل لكلّ نوع من

---

(١) أنخ: قدّر. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، مج ١، ص ١٧٠.
(٢) رَحيض: مغسول. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.
(٣) مَذقة: جرعة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.
(٤) حازر: لبن حامض شديد الحموضة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.
(٥) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ المخيض: اللبن يمزج بالماء ويحرّك، والمخض: التحريك ليخرج زبدة، وإذا طال مكث المخيض واشتدّت حموضته سمّي حازراً. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧٠.
(٦) الحريري، م.ن، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤ - ٤٥٥.
(٧) النشر: الريح طيّبة كانت أو خبيثة. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، مج ٢، ص ٢٠٢.
(٨) نبش: أخرج. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(٩) شاكه ذنبه: يُقال شاكه يشوكه إذا دخل فيه شوكة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٠) تَنْتَقِش: تخرج الشوكة وتبحث عليها. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١١) تطمس: تمحو. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٢) نقش: كتب. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٣) عاشر: صاحب. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٤) دار: عامله بما يحبّ، وامشِ على غرضه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٥) طاش: خفّ عقله. ورجل طيّاش: غير مقتصد في قوله. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٠٢.
(١٦) الحريري، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٦ - ٤٥٧.
(١٧) عبد الدايم، **موسيقى الشعر العربي**، ص ٨٧.

الشعر... وأقرب إلى الشدّة منه إلى الرقّة، لا يُصلح للحكمة والتفلسف، ويُصلح للعواطف البسيطة كالغضب والفرح، ويُصلح لكلّ غرض من الأغراض، ولذلك كثُر في شعر القدامى والمحدثين"[١].

استعمل الحَريري بحر الكامل التامّ، لا سيّما مجزوء الكامل، لأغراض متنوّعة: كالوعظ[٢] والتعليم[٣] والفقه[٤] والألغاز[٥] والأدب[٦] وغير ذلك. فعلى سبيل المثال نجد أنموذجا من بحر الكامل في المقامة الملطيّة الّتي تتضمّن ألغاز أبي زيد السروجي بالمقايضة أي بما يماثلها من الكلام نحو: (بحر مجزوء الكامل)

يَا مَنْ نَتائجُ فِكْرِهِ مِثْلُ النُّقُودِ الجائِزَهْ
ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي حاجَيْتَ صادَفَ جائِزَهْ[٧]

أو في المقامة الحلبيّة حيث يعلّم أبو زيد السروجي عشرة صبيان فنونَ الإنشاء بقوله: (بحر الكامل)

بالصَّادِ يُكْتَبُ قَدْ قَبَصْتُ[٨] دَراهِماً
بأنامِلِي وأصِخْ[٩] لِتَسْتَمِعَ الخَبَرْ
وبَصَقْتُ أبْصُقُ والصِّمَاخُ[١٠] وصَنْجَةٌ[١١]
وَالقَصُّ وَهْوَ الصَّدْرُ واقْنَصْ الأثَرْ[١٢]

٣- بحر الخفيف: احتلّ هذا البحر المرتبة الثالثة، إذ إنّ نسبته تصل إلى ١٣/٠٨ بين البحور الشعريّة في **مقامات** الحَريري.

---

(١) يونس، **نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي**، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٤.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٨ - ٢١٩، و"المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣٣.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٥ - ٤٠٠.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٨-٥٩، و"المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٥ - ١٥٦، و"المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، ص ١٦٨، و"المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٦.

(٧) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٥.

(٨) قبصت: أخذت بأطراف أصابعي: والقبصة أقلّ من القبضة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٦.

(٩) أصخ: استمع. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٦٦.

(١٠) الصماخ: ثقب الأذن. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٦٦.

(١١) صنجة: هي الّتي يوزن بها. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٦٦.

(١٢) الحريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣٣.

هذا البحر سمّي خفيفاً لخفّته على اللسان وهو يستعمل تامّاً ومجـزوءاً. واسـتعمله الحَريـري لسهولة إدخال المعنى الّذي يريده إلى تفعيلات هذا البحر، وهي في منتهى اليسر في أثنـاء الاسـتعمال الصياغي للكلمات. إنّه بحر من السهل أن تعالج به المعنى الّذي تريده أكثر. ولذلك أكثر من اسـتعماله لأهداف مختلفة كالوعظ[١] والألغاز[٢] والتعليم[٣] والمخاصمة بين أبي زيد السروجي وغـلام[٤] وغيـر ذلك. فعلى سبيل المثال نجد في المقامة الرحبية مخاصمة أبي زيد السروجي وغلام مليح ويدّعي أبـو زيد أنّه قتل ابنه، ويترافعان إلى قاضي البلد. يطلب القاضي الشيخ (أبا زيـد السروجي) أن يحـضر شاهدَين من المسلمين وإلاّ على الغلام أن يحلف اليمين. ثمّ يقول الشيخ ليس لديّ شاهد، فيطلب الغـلام اليمين، ولكنّه يرفض ذلك ويقول إنّني ما قتلتُ ابنكَ لا سهواً ولا عَمْداً. حتّى يخـدع الغـلامُ القاضـي بكلامه، ويطلب القاضي الشيخَ أن يأخذ مالاً ويصفح عنه. فيوافق الشيخ على ذلك. وفي نهاية المطاف يكتشف الراوي الحارث بن همّام أنّ الغلام هو ابن أبي زيد السروجي. ويترك الشيخ رسـالةً للقاضـي فيها مكتوبٌ: (بحر الخفيف)

قُـلْ لِوَالٍ غادَرتُـهُ بَعْدَ بَيْنـي ... سَادِمـاً[٥]نادِمـاً يَعَضُّ اليَدَيْـنِ
سَلَـبَ الشَّيْـخُ مالَـهُ وفَتَـاهُ ... لُبَّهُ فَاصْطَلَى لَظَـى[٦]حَسْرَتَيْـنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِها المَطامِعَ وَاعْلَـمْ ... أنَّ صَيْـدَ الظِّبَـاءِ[٧] لَيْسَ بَهِيـنِ
فَبَـلاءُ الفَتَـى آتّبـاعُ هَوَى النَّفْـ ... ـسِ وبَذْرُ الهَوَى[٨] طُمُوحُ[٩] العَيْنِ

ما يلفت النظر أنّ الحَريري لم ينشد أشعاره على هذه البحور عن عَمَـدٍ ولقـصد خـاصٍّ، أو بعبارةٍ أخرى، في البداية لم يقصد بحراً خاصّاً ثمّ أنشد أشعاره في قالب هذه البحور، كما لاحظنا أنّـه استعمل بحر السريع والكامل والخفيف للوعظ والتعليم والألغاز. كما هو سائد في المفاهيم الاجتماعيـة الجديدة.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٣١ – ٣٣٣.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضـيّة"، ص ١٤٢ – ١٤٣، ١٤٦ – ١٤٧ و "المقامـة الـسادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٣٩٩.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٦ – ٥٢٧، ٥٢٩ – ٥٣٠، ٥٣٦ – ٥٣٩.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة العاشرة: الرحبيّة، ص ٩٥ – ٩٧.

(٥) سادِماً: متغيّراً. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، مج ١، ص ١٣٢.

(٦) اللظى: لهب النار. يريد أنّ الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٣٢.

(٧) الظّباء: الغزلان. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٣.

(٨) بذر الهوى: زرع الحبّ في الأرض. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٤.

(٩) طموح: ارتفاع. يريد أنّ أصل العشق مداومة النظر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٤.

٢- الأوزان الشعريّة في مقامات الحَمِيدي

إنّ المُتتبّع **لمقامات** الحَميدي يرى أنّه ضمّن **مقاماته** كثيراً من الشعر بالعربيّة والفارسيّة، وأثبت مقدرته على إقامة الأوزان. واللافت للنظر أنّنا لا نرى مجزوءات البحور في **مقاماته** على خلاف **مقامات** الحَريري.

ونتيجةً لإحصاءٍ شموليٍّ في نسبة شيوع البحور الشعريّة في **مقامات** الحَميدي، رأينا أنّها تسير مرتّبةً حسب نسبة شيوعها على الشكل التالي:

إحصاء الأبيات في مقامات الحَميدي، وتبيان نسبة بحورها

البحر	أشكاله				المجموع	النسبة المئويّة
	التامّ	المجزوء	المشطور	المنهوك		
١- الطويل	٧٦				٧٦	٢٥/٥٨
٢- المديد	—				—	—
٣- البسيط	٧٥	١٤ المخلّع			٨٩	٢٩/٩٦
٤- الوافر	٦٥				٦٥	٢١/٢١
٥- الكامل	٢٠				٢٠	٦/٧٣
٦- الهزج	—				—	—
٧- الرجز	٥				٥	١/٦٨
٨- الرمل	١				١	٠/٣٣
٩- السريع	٢١				٢١	٧/٠٧
١٠- المنسرح	—				—	—
١١- الخفيف	٣				٣	١/٠١
١٢- المضارع الفارسي*	٧				٧	٢/٣٥
١٣- المقتضب	—				—	—
١٤- المجتثّ	—				—	—
١٥- المتقارب	١٠				١٠	٣/٣٦
١٦- المتدارك	—				—	—
المجموع	٢٨٣	١٤			٢٩٧	%١٠٠

* تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأبيات بالعربيّة، بَيْدَ أنّها على وزنِ المضارع الفارسي أي مضارع مثمّن أخرب مكفوف محذوف = مفعولُ فاعلاتُ مفاعلُ فاعلن.

من خلال هذه الإحصائيّة، لنسبة شيوع الأوزان العربيّة في **مقامات** الحَميدي، وجدنا أنّ الحَميدي نظم البحور التالية بالترتيب: البسيط، الطويل، الوافر، السريع، الكامل، المتقارب، المضارع الفارسي، الرجز، الخفيف، الرمل. ولم ينظم البحور الأخرى كالمديد، الهزج، المنسرح، المقتضب، المجتثّ والمتدارك، كما أنّه لم ينظم في مجزوءات إلاّ مخلّع البسيط.

وأمّا أكثر البحور تواتراً في **مقامات** الحَميدي فهي: بحر البسيط والطويل والوافر وسنقوم بشرح هذه البحور الثلاثة.

١- بحر البسيط: أكثر الحَميدي في استعمال هذا البحر في **مقاماته**، واحتلّ المرتبة الأولى، إذ إنّه أنشد ٢٩/٩٦ من أشعاره على هذا البحر، لأنّه أكثر رقّةً من بحر الطويل؛ في حينٍ لم يلتفت إليه الشعراء القدماء كثيراً. ونرى نماذج من هذا البحر في المقامة الثامنة عشرة، حين يصف الراوية مدينة البلخ وجمالها، وأهلها بقوله: (بحر البسيط)

يا أرْضَ بَلْخٍ ويا رَوْضَاتِ جنّاتِ ... أرَوْضَةٌ أنتِ أمْ أرْضُ المَسَرّاتِ

سُكّان مَرْبَعِها رَهطٌ مُكَرّمَـــةٌ ... لا يَبْخَلُونَ على العافي بأقْواتِ

وأيْنَما سِرْتَ مِنْ شامٍ ومِنْ يَمَنٍ ... عَلَى ثراكِ مَدَى الدُّنيا وأوقاتِ[١]

تجدر الإشارة إلى أنّه نظم بحر البسيط في ستّ عشرة مقامة[٢] في مجالات شتّى، فكأنّه استراح لموسيقى البسيط ولإيقاعه الجميل، أو لعلّه أعجب بقصائد القدماء من هذا الوزن، أو معارضةً للحَريري نسج على منوالها، أو أنشد أشعاراً على هذا البحر رغبةً في التنويع لا حُبًّا للوزن، أو من دون قصد نظم أبياتاً على هذا البحر.

٢- بحر الطويل: احتلّ هذا البحر المرتبة الثانية في **مقاماته** فكانت ٢٥/٥٨ من أشعاره على هذا الوزن. ويعدّ هذا البحر من البحور الكبرى الّتي استُعملت قديماً، كما قال إبراهيم أنيس: "إنّ البحر الطويل قد نُظِم به ما يَقرِبُ من ثُلث الشعر العربي"[٣].

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٦.

(٢) حميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢، و"المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦، و"المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٥، ٦٦، و"المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨١، ٨٤، ٨٨، و"المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد، ص ٩٨، و"المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٦، و"المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠، و"المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٨، و"المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٣، و"المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، و"المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، و"المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥، ١٧٦، و"المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨٤، و"المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٨٩، ١٩٠، و"المقامة الثانية والعشرون: في التعزية"، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، و"المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٣.

(٣) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص ٥٩.

إنّ هذا البحر من الأوزان الشائعة الاستعمال قديماً وحديثاً، ومن الأوزان ذات المقاطع الكثيرة، ممّا يحتاج إلى نَفَسٍ طويلٍ لدى الشاعر، وقد نظم الحَميدي بنسبةٍ كبيرةٍ، لا سيّما في المقامة الأخيرة[١] الّتي تشمل سبعةً وثلاثين بيتاً حول تاريخ الخلفاء منذ زمن النبي محمّد حتى زمن المستنجد بـــالله أي خليفة عصر البطل. ونجد ذلك في المقامة الثانية عشرة[٢] حين يجيب الفقيه على الأسئلة الفقهيّة. أو في المقامة الخامسة عشرة، حين يتظاهر بالجنون البطلُ: (بحر الطويل)

إلامَ يُراعِي العَقْلَ والحِجْرَ والنُّهَى فُؤادٌ بِذِكْرِ العامِرِيَّةِ مفتـــونُ
أيَا مُدّعِي العَقْلِ المبرِّزَ في الورَى ألا فَاجْتَنِبْ دَعْواكَ إنّكَ مَغْبُونُ
ولَمّــا رَأَيْتُ العَقْلَ أخْلقَ بُـــرْدُهُ تَجانَنْتُ حَتَّى ظَنَّ أنّيَ مَجْنونُ[٣]

ولا شكّ في أنّ هناك أشعاراً أخرى نظمها على هذا البحر دون غرض خاصٍّ.

٣- بحر الوافر: احتلّ هذا البحر المرتبة الثالثة في **مقاماته**، إذ إنّ الحَميدي نظم ٢١/٢١ مـــن أشعاره على هذا الوزن. وهو من أكثر البحور مرونةً واستعمالاً حيث يشتدّ ويرقّ كما يحلو للشاعر.

نجد هذا البحر حين يقف البطل في مقابر مدينة بلخ، وينشد أشعاراً وهو يبكي: (بحر الوافر)

وكُنْـــتُ صَحِبْتُها والعَيْنُ حَـــقٌّ قُبَيْـــلَ مَواقِـــعِ القَـــدَرِ المُتاحِ
رَحِيـــبَ الرَّبْعِ آهِلَـــةَ المَغانِيـــي نَضِيرَ الرَّوْضِ ضَاحِكةَ الأُقاحِي
وقَـــدْ وَدَّعْتُها والقَلْـــبُ بِسَـــالٍ وَفـــي الأكْبادِ آثـــارُ الجراحِ[٤]

ونرى أبياتاً له من هذا البحر في المناظرة بين الشيخ والفتى[٥]، وكذلك المناظرة بـــين الـــشيخ السنّي والملحد[٦]، وفي وصف ساحة القتال[٧]، وحين يتمنّى الراوية أن يزور كعبة[٨]، وفـــي وصـــف القاضي[٩] وغير ذلك.

لقد تبيّن لنا أنّ الحَميدي لمّا أنشد أشعار مقاماته لم ينظم بحراً خاصّاً، بل من دون عَمَد أنشدها ونظمها في هذه البحور متجاوباً فقط مع روح عصره.

---

(١) حميدي، **مقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٦ – ٢٠٨.
(٢) حميدي، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥.
(٣) حميدي، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٥.
(٤) حميدي، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٧٠ – ١٧١.
(٥) حميدي، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٥.
(٦) حميدي، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢.
(٧) حميدي، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤١.
(٨) حميدي، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٩٣.
(٩) حميدي، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦.

* * *

استعمل الشعراء – العرب والفرس – الأوزان الخليليّة حسب إيقاعها الداخلي في نفس الشاعر، ولذلك تكون الأوزان نابضةً في الداخل قبل انتقالها لتصبح ذات وزن في الكلام.

إذن الوزن الشعري ينتقل من الإيقاع الداخلي إلى الكلمات المنظومة. أمّا الحريري والحَميدي فلم يكونا شاعرَيْنِ، ولذا فلن نستطيع محاكمتهما على استعمال البحور الشعريّة كدلالات نفسيّة وإنّما نرى أنّهما نظّامان حاولا استعمال الأوزان الّتي تّتسع للمعنى الّذي يريدان التعبير له.

- **الأوزان الفارسيّة**

وأمّا من حيث أوزان الأشعار الفارِسيّة في **مقامات** الحَميدي، فقد نلاحظ الإيقاعات المتنوّعة في أشعاره، الناتجة من تركيب التفعيلات.

ولا شكّ في أنّ هناكِ خلافاتٍ بين علم العروض العربي وعلم العروض الفارِسي من حيث تسميّة الأوزان، نكتفي بالإشارة إلى طريقة تسميّة الأوزان الشعريّة في الأدب الفارِسي، لأنّ علم العروض الفارِسي والدخول في تفاصيله يتطلّب أطروحةً كاملةً، وأمّا هذه الأوزان فهي على الشكل التالي:

تسميّة الأوزان الشعريّة في الأدب الفارسي(١)

الأوزان الفارسيّة	التفعيلات
١- مجتثّ مثمّن مخبون محذوف	مفاعلن فعلاتن مفاعلن فعلن
٢- مضارع مثمّن اخرب مكفوف محذوف	مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن
٣- رمل مثمّن محذوف	فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
٤- رمل مثمّن مخبون محذوف	فعِلاتن فعِلاتن فعِلاتن فعِلن
٥- خفيف مسدّس مخبون محذوف	فعلاتن مفاعلن فعِلن
٦- هزج مثمّن سالم	مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن
٧- هزج مثمّن اخرب مكفوف محذوف	مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن
٨- هزج مسدّس محذوف الأخير	مفاعيلن مفاعيلن فعولن
٩- رمل مسدّس محذوف	فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
١٠- هزج مسدّس اخرب مقبوض محذوف	مفعولُ مفاعلن فعولن
١١- مضارع مثمّن أخرب مكفوف سالم	مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلاتن

---

(١) لمزيد من التفصيل أنظر: شمس قيس، **المعجم في معايير أشعار العجم**؛ شميسا، **فرهنگ عروضي**؛ قَهرماني مُقبل، **النظام الشعري بين العربيّة والفارسيّة**.

١٢- متقارب مثمّن محذوف	فعولن فعولن فعولن فَعَلْ
١٣- منسرح مثمّن مطوى منحور = منسرح مسدّس مطويّ مرفّل	مفتعلن فاعلاتُ مفتعلن فعْ
١٤- هزج اخرب سالم (متجاوب)	مفعولُ مفاعيلن مفعولُ مفاعيلن
١٥- متقارب مثمّن سالم	فعولن فعولن فعولن فعولن
١٦- رجز مثمّن سالم	مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن
١٨- سريع مسدّس مطويّ مكسوف	مفتعلن مفتعلن فاعلن
١٩- رمل مسدّس مخبون محذوف	فعِلاتن فعِلاتن فعِلن

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك أوزاناً مشتركة كثيرةً بين العربيّة والفارسيّة وإن اختلفت التسميات، فمن الكامل في الشعر الفارسي، قول مولوي[١] في **ديوانه شمس تبريزي:**

امروز خَندان آمدى مفتاح زندان آمدى

برمستمندان آمدى چون بخشش وفضل خدا[٢]

ترجمة الشاهد

- هذا اليوم جئت "أيّها السجان" ضاحكاً، وحاملاً مفتاح السجن، وقد مررتَ على المساكين وكأنّك عفوُ الله وفضله.

مع ملاحظة تركيبة "دوبيت"[٣] في هذا النمط. أو كقوله من بحر الرمل في كتابه **مثنوي معنوي:**

بشنوازنى چون حكايت مى كند

وزجدائى ها شكايت مى كند[٤]

ترجمة الشاهد

---

(١) مولوي: محمّد جلال الدين الرومي، ولد في مدينة بلخ في سنة ٦٠٤ / ١٠٢٧. يعدّ من كبار الأدباء والشعراء في الأدب الفارسي. وله تأليفات، أشهرها: **ديوان المثنوي المعنوي، وديوان شمس تبريزي، وفيه ما فيه**، وغير ذلك. توفي في قونية سنة ٦٧٢ /١٢٧٣. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٥، ص ١١٩ – ١٢٠؛ الخوانساري، **روضات الجنّات**، مج ٨، ص ٦٧ – ٦٩؛ فروزانفر، **شرح زندگانى مولوى**، ص ١٧، ١٩؛ جامي، **نفحات الأنس**، ص ٤٦٤.

(٢) مولوى، **ديوان شمس تبريزى**، ج٢، ص ١٠٦٠.

(٣) دوبيت: أو الرباعي في اصطلاح العروض عبارة عن بيتين من الشعر، ومن أجل ذلك سمّى في الفارسيّة باسم الدوبيت، ويشبه الرباعي إلاّ من حيث الوزن، لأنّ وزنه: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيل. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٢٥، ص ٣١٧.

(٤) مولوى، **ديوان مثنوى معنوى**، ص ٥.

إسمعْ من الناي حين يحكي حكايته، وحين يشتكي من فصله من حقله.

وكقول حافظ من الوافر:

گرانگشـــــت سليمـــــان نباشد

چه خاصيّـــــت دهد نقش نگينى(١)

ترجمة الشاهد

إذا لم تكن تملك إصبعاً مثل إصبع سليمان النبي، فماذا يفيدك الخاتم بفصوصه الغالية.

ومن الهزج "دوبيت" قول حافظ:

بيـــــا تا گلُ برافشانيم ومى در ساغر اندازيم

فلك را سقف بشكافيم وطرحى نو دراندازيم(٢)

ترجمة الشاهد

تعال لننثر الورد ونسكب خمرةً في الكأس، بهذا نستطيع اختراق الأفلاك ونطرح فكراً جديداً.

وقوله أيضا:

بمژگان سياه كردى هزاران رخته در دينم

بيا كز چشمِ بيمارت هزاران درد برچينم(٣)

ترجمة الشاهد

بهدبَيك السوداويْن تركتِ آلاف الثغرات في ديني، تعالي فبعينَيك الناعستَين أمسح وأزيل آلاف الآلام.

ج- التفنّن في الأوزان والقوافي في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر نماذج من قدرات الحَريري الفنّية في إنشاد الأشعار الّتي تتضمّن المحسّنات البديعيّة، والفنون الشعريّة في اللعب بالوزن والقافية، ثمّ الحَميدي.

١- التفنّن في الأوزان والقوافي في مقامات الحَريري

تتميّز **مقامات** الحَريري بحسن المواءمة بين النثر والشعر. وفي الواقع أنّ الحَريري استعرض قدراته الفنّيّة ومهارته البيانيّة واقتداره اللغويّة مرّة أخرى، ونظم أشعاراً مدهشة متضمّنة المحسّنات البديعيّة منها: (بحر الكامل)

يا خاطبَ الدُّنيـــا الدنيَّـــةِ إنّهـــا   شَرَكُ الرَّدَى وقَـــرارَةُ الأكدارِ

دارٌ مَتَى مَا أضْحَكَتْ في يَوْمِها   أبْكَتْ غَداً بُعْداً لَهـــا مِـــنْ دارِ

---

(١) حافظ، ديوان، ص ٢٨٣.

(٢) حافظ، م.ن، ص ٢١٩.

(٣) حافظ، م.ن، ص ٢٠٧.

وإذا أَظَـــلَّ سَحابُها لَمْ يَنْتَقِـعْ ... مِنْهُ صَدَى لجهامِـــهِ الغَـرّار
غاراتُها ما تَنقضي وأسيرُهـــا ... لا يُفْتَـدَى بجلائلِ الأخطـارِ
كَمْ مُزْدَهٍ بِغُرورِهـا حَتّـى بَدا ... مُتَمَـرِّداً مُتَجَـاوِزَ المِقْـدارِ
قَلَبَتْ لَهُ ظَهْرَ المِجَـنّ وأولَغَتْ ... فيه المُدَى ونَزَتْ لأخْـذِ الثّارِ
فَارْبَأ بِعُمْـرِك أنْ يَمُـرَّ مُضَيَّعاً ... فِيها سُدىً مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِظْهارِ
واقْطَعْ عَلائِقَ حُبِّهـا وطِلابِها ... تَلْقَ الهُدَى ورَفاهَـةَ الأسـرارِ
وَارْقُب إذامَا سالَمَتْ مِنْ كيدِها ... حَرْبَ العِـدَى وتَوَثُّـبَ الغَدّارِ
واعلَمْ بأنَّ خُطُوبَها تَفْجَا ولَـوْ ... طالَ المَدى ووَنَتْ سُرَى الأقْدارِ(١)

فقد استعمل الحَريري فنّ التَّوشيح(٢) في هذه القصيدة، وهو من بديع الكلام. ويتضمّن كلّ بيت فضلاً عن القافية الختاميّة قافيةً داخليّةً يمكن الوقوف عليها. والقصيدة من بحر الكامل التامّ الّذي تتكرّر فيه ست مرّات تفعيلة: متفاعلن، والقافية الراء. وفي آخر التفعيلة الرابعة والسادسة قافيةٌ. فحين نقرأ البيت إلى نهايته نحصل على وحدة، لكنّنا حين نقف على التفعيلة الرابعة، نحصل على وحدة أخرى. أو بعبارة أخرى إذا أسقطنا تفعيلتَيْن صار البيتان من بحر مجزوء الكامل، والقافية الدال. فباختصار هناك نلاحظ قصيدة ضمن قصيدة. فأسقطنا هنا تفعيلتَيْن من القصيدة المذكورة فصارت من مجزوء الكامل والقافية الدال: (بحر مجزوء الكامل)

يــا خاطِــبَ الدُّنيا الدَنيَّـــةِ ... إنّهـــا شَــرَكُ الــرَّدَى
دارٌ مَتَـى مَـا أَضْحَكَـــتْ ... في يَوْمِهـا أبْكَـــتْ غَـــدَا
وإذا أَظَـــلَّ سَحابُهـــا ... لَمْ يَنْتَقِـعْ مِنْـــهُ صَـــدى
غاراتُهـــا مـــا تَنْقَضِـــي ... وَأَسِيرُهـــا لا يُفْتَـــدَى
كَمْ مُزْدَهي بِغُرورِهـــا ... حَتّـى بَـــدا مُتَمَـــرِّدًا
قَلَبَتْ له ظَهْـرَ المِجَـــنّ ... وأوْلَغَـتْ فِيـه المُـــدَى
فارْبَـــأ بِعُمْـرِك أنْ يَمُـ ... ـرّ مُضَيَّعـاً فيهـا سُـدى
واقْطَـعْ علائِـقَ حُبِّهـــا ... وطِلابِها تَلْـقَ الهُـدى
وارقُـبْ إذا مَـا سَالَمَـتْ ... مِنْ كَيدِها حَـرْبُ العِـدَى
واعلَــمْ بـــأنَّ خُطُوبَها ... تَفْجَـاولو طَـالَ المَــدى

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: البغداديّة"، ص ٢٢٣ – ٢٢٥.

(٢) التوشيح: يسمّى التشريع والتوأم أيضاً، وهو بناء البيت على قافيتين يصحّ المعنى عند الوقوف على كلّ منهما. ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ٣، ص ٢١٦؛ العلوي، **الطراز**، ج ٣، ص ٧٠ – ٧١.

كما عمد الحَريري إلى إدخال العناصر الصوتيّة على القافية زيادة على حرف الرويّ، المسمّى بلزوم ما لا يلزم[١] أي الالتزام بحرفين أو ثلاثة أحرف في القافية طوال القصيدة. فالتزم بهذه الصنعة نثراً[٢] ونظماً وقوله نظماً في المقامة الصعديّة: (بحر السريع)

مَنْ ضامَهُ[٣] أو ضارَهُ[٤] دَهْرُهُ ... فَلْيَقْصِدِ القاضيَ في صَعْدَهْ
سَماحُهُ أزْرَى[٥] بِمَنْ قَبْلَهُ ... وعَدْلُهُ أتْعَبَ مَنْ بَعْدَهْ[٦]

فالتزام حركة الفتح قبل حرف الرويّ من باب لزوم ما لا يلزم.

وأظهر قدراته الفنيّة في التفنّن بالقوافي بصور مختلفة، وتفوّق على أدباء عصره كقوله في المقامة المراغيّة: (بحر مجزوء الكامل)

غَسَّانُ أُسرَتيَ[٧] الصَّميمَةْ[٨] ... وسَرُوجُ تُرْبَتِيَ القَديمَةْ[٩]

فنلاحظ فنّ التصريع بين كلمتَي أسرتي وتربتي، وكلمتي الصميمه والقديمه. حيث ينتهي الشطر الأوّل بقافية تناسب وتوافق في الوزن والرويّ أي الصوت الأخير في الكلمة ويسمّون هذا الفن فنّ التصريع.

أو قوله في المقامة الحجريّة: (بحر الرجز)

كَيْفَ رَأيْتَ خُدْعَتي وخَتْلي[١٠] ... وما جَرَى بَيْنِي وبَيْنَ سَخْلي[١١]

---

(١) لزوم ما لا يلزم: يقال له الإعنات، ويردّ في المنظوم والمنثور من الكلام، ومعناه أن يلتزم الناظم قبل حرف الرويّ أيضاً، وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه الطريقة. العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٩٧ – ٣٩٨؛ الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص ٣٢٩.

(٢) نلاحظ نموذجاً من صنعة لزوم ما لا يلزم في نثر المقامة الوبريّة، بقول الحَريري: "حكي الحارث بن همّامٍ قال: مِلْتُ في رَيّق زماني الّذي غَبَر، إلى مجاورة أهلِ الوَبَر، لآخُذَ أخْذَ نفوسهمُ الأبيّة، وألسنتهمُ العربيّة، فَشمّرتُ تَشميرَ مَنْ لا يَألو جُهْداً، وجَعَلْتُ أضْرِبُ في الأرضِ غوْراً ونَجْداً، إلى أنِ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً من الراغيَة، وثَلّةً من الثاغيَة... فأوطنوني أمنَعَ جناب، وفلّوا عَنّي حَدَّ كلّ ناب، فما تأوَّ بني عندهُم هَم، ولا قَرَعَ صَفَاتي سَهم... ثمّ استوضحته مِنْ أين أثَرُه، وكيف عُجَرُهُ وبُجَرُه، فأنشدَ بديهاً، ولم يقلْ إيهاً...". الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٠ – ٢٧٤.

(٣) ضامه: أذلّه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، مج ٢، ص ١٤٤.

(٤) ضاره: ضرّه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٤.

(٥) أزرى: قصر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٤٤.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤١٤.

(٧) غسّان أسرتي: أبي هذه القبيلة أصلي وقرابتي. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٧٨.

(٨) الصميمه: الصريحة الخالصة. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٧٨.

(٩) الحريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٨.

(١٠) ختلي: مكري. م.س، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، مج ٢، ص ٢٧٦.

(١١) الحريري، م.س، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٤؛ سخلي: ولدي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٦.

ونجد أيضاً فنّ التصريع بين كلمتي ختلى وسخلي.

كما نجد فنّ التقنيّة في المقامة الصوريّة: (بحر مجزوء الرمل)

مَسْقَــــطُ الرَّأسِ سَــــرُوجُ   وَبِهــا كُنْــتُ أمُـــوجُ[١]

نرى التقفية بين كلمتي سروج وأموج.

صوّر الحَريري الكلمات الموزونة والمقفّاة نثراً بالتزامه السجع والجناس، كما بإمكاننا أن نطبّق على نثر مقاماته بعض البحور الشعريّة كقوله في المقامة المراغيّة:

"نابضٌ[٢] يَبْري النبال[٣]، ورابضٌ[٤] يبغي النضال"[٥].

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وقوله أيضاً:

"مَن قارِعُ[٦] هذى الصفاة[٧]، وقريع[٨] هذه الصفات"[٩].

مستفعلن فاعلن متفعلن متفعلن فاعلن متفعل

أظهر الحَريري مرّة أخرى مهارته الفنيّة في التفنّن بالأوزان والقوافي، واستعمل فنون مختلفة في أشعاره كفنّ التوشيح والتصريع والتقفيّة وصنعة لزوم ما لا يلزم.

٢ – التفنّن في الأوزان والقوافي في مقامات الحَميدي

اشتهرت **مقامات** الحَميدي منذ تأليفها بين الأدباء الفرس، واعتبروها من الكنوز الأدبيّة القيّمة في الأدب الفارِسي. ورجع سبب شهرتها إلى أنّ سبك فن المقامة في الأدب الفارِسي يعدّ من أصعب الأساليب البديعيّة.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢١.

(٢) نابض: رام، ويقال: أنبض القوس إذا جذب وترها ثمّ أطلقه لتخبر شدّتها. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٦٨.

(٣) يبري النبال: ينحت السهام. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٨.

(٤) رابض: لاطئ بالأرض، وربضت الشاة: اضطجعت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٨.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٠؛ يبغي النضال: يطلب المراماة، وأراد أنّه يريد أن يلقي عليهم المسائل ليجاذبوه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٨.

(٦) قارع: ضارب وكاسر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٩.

(٧) الصفاة: الصخرة الملساء. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٩.

(٨) قريع: سيّد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٦٩.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٢.

وقد استطاع الحَميدي أن يُهدي الأدبَ الفارِسي أثراً بديعاً الّذي يعتبر نظيراً للمقامات العربيّة من حيث التفنّن في المفردات والمضامين والقصّة. إنّ الوزن والقافية لهما دور مهمّ في النسيج الموسيقى، "والقافية المتمكّنة هي الّتي يُبنى البيتُ من أوّله إلى آخره عليها، فإذا خُتم البيت بها نزلت في مكانها ثابتةً فيه، متمكّنةً في محلّها... هي في البيت بمثابة القاعدة الّتي إذا زحزحت أو نُقلت تَهَدَّمَ البيتُ، وخرب، وذهب حسنُه، وزال رونق تركيبه"[١].

فقد بنى الحَميدي بعض الأبيات في إيقاعه وموسيقاه بكلّ عناصرها من وزن وقافية وأصوات متناسقة متناغمة في كلمات الأبيات. وهذه الموسيقى بين الحروف والكلمات تتكامل مع المعاني في نسيج واحد، كما اهتمّ في **مقاماته**.

ثمّة ألوان جميلة في الشعر الفارِسي تتمثّل في اختلاطه بالشعر العربي، واشتهر عند الأدباء الفرس بالملمّع. ويأتي الشاعر مرّة في أشعاره بيت فارسي مرّة آخرى عربي في المقطوعة الشعريّة. كما نجد هذا النوع عند الحَميدي في مقاماته، نحو ما جاء في المقامة الأولى: (بحر المضارع الفارِسي = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

قد قامَتِ القيامةُ يـا أيُّهـا النِّيـامْ   هُبُّوا عَنِ المَقام وكُفُّوا عَنِ الحَرامْ
اى زُمره معارف واى رفقـه كِرام   تاكى حديثِ باده وتاكى سِماع وجامْ[٢]
فالرُّمْحُ حيَن يَختَلِسُ القِرنَ في اهْتِزازْ   واللَّيْثُ حِينَ يَفْتَرِسُ الصَّيْدَ في ابْتِسامْ
منگر بدان كه هست ترا مالها به رست   منگر بدان كه هست ترا كارها به كامْ[٣]
فالنَّجْمُ حَينَ لاحَ قَدِ اسْوَدَّ بالدُّجَـى   والبَـدرُ حَينَ تَمَّ قَدِ اغْتَمَّ بالظَّـلامْ[٤]

وإحدى الميزات الرئيسة في **مقامات** الحَميدي نثراً هي موسيقى الكلمات الموزونة في بعض الجمل، كما يمكننا أن نشبّهها بالبحور الشعريّة أو بعبارة أخرى نطبّق بعض البحور الشعريّة عليها. ولو أنّنا لا نجد نماذج كثيرة فيها نحو:

"دل اين كار ندارى، وتن اين بار نيارى"[٥].

فعلاتن فعلاتن فعلاتن فعلاتن

ترجمة الشاهد

أنت الّذي، القلب عندك ليس لهذا العمل، وجسدك لا يتحمّل هذا الوزن.

---

(١) الصفدي، **الغيث**، مج ١، ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) ترجمة الشعر: يا أيّها الأصدقاء، ورفقة الكرام، إلى متى تتحدّثون عن الخمر والسماع والقدح.

(٣) ترجمة الشعر: لا تنظرْ إلى الأموال الّتي بين يديك، ولا تنظر إلى الآمال الّتي تفرح بها.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٧.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٨.

أو قوله: "دل از مهر در آب افكنده ايم"[١].

فعولن فعولن فعولن فعول

ترجمة الشاهد

من شدّة الحبّ رمينا القلب في الماء ليبرد.

وبقوله أيضاً: "كدام چينه ترا صيد كرد؟ وكدام طعمه ترا قيد كرد؟"[٢].

مفتعلن فاعلن مفتعلن فَعْ

ترجمة الشاهد

أيّ صيّاد اصطادك؟ وبأيِّ طُعمٍ قيّدك؟

* * *

لاحظنا أنّ الحَميدي أظهر قدراته في **مقاماته** مرّة أخرى، وعرض علينا نموذجاً من الشعر الملمّع في الأدب الفارسي معارضةً للحَريري. وقد قصد به أن يتميّز **مقاماته** تجاه **مقامات** الحَريري.

ثانياً- السّجع في مقامات الحَريري والحَميدي

مقامات الحَريري والحَميدي مبنيّة على الموسيقى والإيقاع وهو "تلوين صوتي صادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها داخل النصّ"[٣]. والجمال الأسلوبي والإيقاعي المتمثّل في السجع والجناس يكون صدى للمعنى الّذي يشرق في العقل، ويموج في الشعور، كما قالوا: "إنّك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتّى يكون المعنى هو الّذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتّى تجده لا ينبغي به بدلاً، ولا تجد عنه حوَلاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقّه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلّم إلى اجتلابه، وتأهّب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته"[٤].

نذكر أمثلة شعريّة ونثريّة للسجع من المقامات الحَريرية أوّلاً، ثمّ المقامات الحَميديّة الّتي أدّى السجع فيهما إلى دورٍ جماليٍّ كان للإيقاع الصوتي فيه الأثر النافذ.

ويمكننا أن ننظر إلى ملامح الموسيقى في نصوص **مقامات** الحَريري و**مقامات** الحَميدي من خلال السجع.

أ- السّجع[٥] في مقامات الحَريري

يعدّ السجع والمحسّنات البديعيّة من الخصائص الملازمة للمقامة منذ نشأة فنّ المقامة حتّى العصر الحديث في الأدب العربي. ولا تعرف مقامة إلاّ بالتزامها للسجع والمحسّنات البديعيّة. وهذا النوع من علوم البلاغة كثير التداول وعظيم الاستعمال بين الأدباء.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) شكري محمّد عياد، **موسيقى الشعر العربي**، ص ١٠٩.

(٤) الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص ١٤ - ١٥.

(٥) السجع: هو اتّفاق الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد أو في الوزن أو في مجموعها. ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ١، ص ٢٧١؛ العلوي، **الطراز**، ج ٣، ص ١٨.

إنّ النثر المسجّع هو ما له قافية وليس له وزن؛ فلقد وضع الحَريري **مقاماته** باللفظ الأنيق والسجع الرشيق وتعمّد في إتيان السجع والعبارات المسجوعة، "حتّى يكون السجع حليةً لكلامه، وسبباً لحسن ديباجته ولولا ذلك لكان كلامه غير مقبول لقلّة معانيه أو تكرارها"[١]، وجفافها وتكرار أحداثها. ولا يستحسن السجع إلاّ إذا كان بعيداً عن التكلّف والتصنّع.

وقد خلّف في **مقاماته** كثيراً من السجع، مبنيّاً على التلاعب بالألفاظ. فنشير إلى طرف من أسجاع للمقامات الحَريرية المليحة الّتي لمعت في أصداف البلاغة دررها.

تجسّدت القيم الصوتيّة في السجع بأنواعه المختلفة واحتلّت مكاناً قويّاً في **مقامات الحَريري**، منها: "نعوذ بك من شرّة[٢] **اللسن**، وفضول **الهذر**[٣]؛ كما نعوذ بك من مَعَرّة[٤] **اللكن**[٥]، وفضوح[٦] **الحصر**[٧]". فنلاحظ أنّ الألفاظ اللسن والهذر واللكن والحصر على وزن فَعَل، وهذا يعطي موسيقى للنصّ.

أو كقوله في وصف الواعظ في المقامة الصنعانيّة: "فهو **يَطْبَعُ**[٨] **الأسجاع**[٩] **بجَواهرِ لفظِه**، **ويَقْرَعُ**[١٠] **الأسماعَ بزواجرِ**[١١] **وعظِه**"[١٢].

يسمّى هذا السجع المرصّع[١٣]. جعل الحَريري ألفاظ القسم الأوّل مساويّة لألفاظ القسم الثاني وزناً وقافية؛ "يطبع" بإزاء يقرع، و"الأسجاع" بإزاء "الأسماع"، و"جواهر" بإزاء "زواجر"، و"لفظه" بإزاء و"عظه". وهذا النوع من السجع بين الكلمات يضفي نغماً جميلاً على النصّ، ويؤدّي إلى تناغم مدهش

---

(١) أحمد الإسكندري، **المفصل في تاريخ الأدب**، ص ٣٢٤.

(٢) شرّة: حدّة. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقدّمة"، مج ١، ص ٥.

(٣) فضول: زوائد. والهذر: إكثار الكلام بغير فائدة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥.

(٤) معرّة: العيب والعار. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥.

(٥) اللكن: احتباس اللسان عند الكلام. الشريشي، م.ن، "المقدمة"، مج ١، ص ٥.

(٦) فضوح: فضيحة. الشريشي، م.ن، مج١، ص ٥.

(٧) الحريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٤؛ الحصر: العيّ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥.

(٨) يطبع الأسجاع: يرتّبها ويزيّنها. الشريشي، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٧.

(٩) الأسجاع: الكلام المقفر له قافية كقافية الشعر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١٠) يقرع: يضرب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١١) زواجر: نواهي: الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٧.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١.

(١٣) السجع المرصّع: هو عبارة عن مقابلة كلّ لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويّها. العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٧٣؛ عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ٢٠٩.

يدعم الإيقاع ويجعله متوازناً حيث توجد بنية الترصيع. لأنّ جميع ما وقع في السجعة الثانية مطابق لما وقع في السجعة الأولى في الوزن والتقفيّة من غير زيادة ولا نقصان.

عمد إلى زخارف إيقاعيّة داخل البحر أو الوزن الواحد بإدخال أصوات فاصلة بين أجزاء متساويّة في إيقاع البيت يسموّنه في علم البديع الترصيع.

وأمّا **السجع في الشعر** فهو بقول الحَريري في المقامة الدیناريّة: (بحر الرجز)

تَبّاً لَـهُ مِنْ خادِعٍ مُمــاذِقٍ[١] أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ[٢] كالمُنافِقِ[٣]

السجع بين لفظتي مماذق ومنافق.

وبقوله في المقامة الكوفيّة: "فاستهوانا **السَّمَر**، إلى أنْ غَرَبَ **القَمَر**"[٤]. فنجد هنا السجع في اللفظة الأخيرة أي في كلمتي السمر والقمر، الّذي يسمّى بالسجع المتوازي[٥].

وبقوله في المقامة الدمشقيّة: "وبيده سُبْحَةُ[٦] **النِّسوان**، وفي عينه ترجمةُ **النَّشوان**"[٧]. فالسجع بين لفظتي النسوان والنشوان واضح.

وبقوله في المقامة البغداديّة: "فَأَفَضْنا[٨] في حديثٍ يَفْضَحُ **الأزهار**، إلى أنْ نَصَفْنا **النهار**، فلمّا غاضَ دَرُّ **الأفكار**، وصَبَتِ[٩] النُّفوسُ إلى **الأوكار**"[١٠]. فالأصوات الحاصلة من السجع في كلمات الأزهار، والنهار والأفكار والأوكار أدّت إلى التناغم الصوتي.

وبقوله في المقامة القطيعيّة: (بحر البسيط)

---

(١) مماذق: لا يصفو ودّه لصاحبه وقد مذق ودّه إذا لم يخلصه. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثالثة: الدیناريّة"، مج ١، ص ٤٥.

(٢) أصفر ذي وجهين: قال أبو هريرية (ﷺ): قال رسول الله ﷺ: شرّ الناس ذو الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٤٥.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة: الدیناريّة"، ص ٢٩.

(٤) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠.

(٥) السجع المتوازي: هو أن تتّفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والرويّ. العلوي، **الطراز**، ج ٣، ص ١٨؛ عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ٢١٠.

(٦) سبحة: خيط ينظم فيه خرز يعدّ به التسبيح. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، مج ١، ص ١٤٦.

(٧) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١٠٦؛ ترجمة النشوان: علامة السكران. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٦.

(٨) أفضنا: اندفعنا. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، مج ١، ص ١٦٧.

(٩) صَبَتْ: مالت. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ١٦٨.

(١٠) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠.

ولاحَ يَلْحَى[١] **على جَرِّي العِنانِ**[٢] **إلى   مَلْهىً**[٣] **فَسُحقاً**[٤] **لَهُ مِنْ لائحِ**[٥] **لاحِي**[٦]

فلفظة لاح الأولى ماضي فعل يلوح، ولفظة لاح الثانية اسم فاعل من لحاه أبعده. ونلاحظ أنّ "أحد الملحقين الّذين يجمعهما شبه الاشتقاق وقع في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأوّل"[٧].

وفي المقامة الواسطيّة: "ألجأني[٨] حكمُ دهرٍ **قاسطٍ**[٩]، إلى أن أنتجع[١٠] أرضَ **واسِطٍ**"[١١]. فنجد هنا السجع في اللفظة الأخيرة أي في كلمتي قاسط وواسط.

وبقوله في المقامة التفليسيّة: "فإنْ كنتَ **الرفيق**، فالطريقَ **الطريق**"[١٢]. والسجع بين كلمتي الرفيق والطريق.

وقوله في المقامة التنيسيّة: "وهو يقول بجاشٍ **مكين**[١٣]، ولسانٍ **مُبين**، مسكينٌ ابنُ آدمَ وأيُّ **مسكين**، رَكَنَ[١٤] من الدنيا إلى غَيْرِ **ركين**، واستَعْصَمَ منها بغير **مكين**[١٥]، وذُبِحَ من حُبّها بِغَير **سِكّين**"[١٦]. فنرى السجع في كلمات مكين ومبين ومسكين وركين وسكين.

---

(١) يلحى: يلوم ويغلظ القول. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، مج ٢، ص ١٩.

(٢) جرّي العنان: أي انهماكي في الملاهي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٩.

(٣) ملهى: لهو. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٩.

(٤) سحقاً: بعداً. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٩.

(٥) لائح: ظاهر في الرأس. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٩.

(٦) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٤؛ لاحي: شاتم، وعائب. يريد أن شيبه لاح في رأسه فلحاه عن اللهو والصبا. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٩.

(٧) القزويني، **التلخيص**، ص ٣٩٧.

(٨) ألجأني: اضطرّني. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٥٨.

(٩) قاسط: جائر. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٨.

(١٠) أنتجع: أقصد لطلب الرزق. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٨.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٢٩٥؛ واسط: سميّت واسطاً لأنّها متوسّطة بين البصرة والكوفة لأنّ منها إلى كلّ واحدة منهما خمسين فرسخاً. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ٣٤٧.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٩.

(١٣) جاش مكين: تنفسٌ شديد. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، مج ٢، ص ١٩٩.

(١٤) ركن: سكن. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٩٩.

(١٥) مكين: عزيز له مكانة أي منزلة رفيعة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٩٩.

(١٦) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤؛ ذبح من حبّها بغير سكّين: إشارة لعذابه فيها ومحنته لأنّ السكّين تذبح المذبوح من ساعته، ومن يذبح بحجر أو عود أو غير ذلك فهو في تعذيب، الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٩٩.

وقوله في المقامة البصريّة، يصف الحَريري من لسان أبي زيد السروجي مدينة البصرة، قائلاً: "**وأزكاها** فطرةً، **وأفسَحُها** رُقعةً، **وأمرعُها** نُجعةً[١]، **وأقومُها** قِبلةٍ، **وأوسعُها** دِجلةً، **وأكثرُها** نهراً ونَخْلَةً، **وأحسنُها** تفصيلاً وجُملةً"[٢]. نجد ألفاظ أزكى وأفسح وأمرع وأقوم وأوسع وأكثر وأحسن على وزن اسم التفضيل "أفعل"، وهذا التكرار في البنية الصرفيّة يحدث موسيقى تؤثّر على إحساس القارئ والسامع، وكذلك المناسبة بين كلمات فطرة ورقعة ونجعة وقبلة ودجلة ونخلة وجملة. ومن خلال هذا الإيقاع نشعر بحبّ الحَريري وإرادته الخالصة اتّجاه مسقط رأسه مدينة البصرة أيضاً.

وقوله في خاتمة المقامات: "وأنا أستغفر الله تعالى ممّا أودَعتُها مِن **أباطيل اللغو وأضاليل اللهو**"[٣]. فالسجع بين كلمتي أباطيل وأضاليل على وزن أفاعيل، وبين كلمتي اللغو واللهو على وزن فَعْل. فتشابه الوزن بين هذه الألفاظ أدّى إلى الموسيقى الحاصلة بينها.

وما يلفت النظر في **مقامات** الحَريري هو أنّ الحَريري التزم بقاعدة في كتابة النثر بأن تكون الجملة الأولى متساويّة مع الجملة الثانية طولاً، ولكن أحياناً تجاوز عن هذه القاعدة ووضع جملاً خلافاً لهذه القاعدة، كما رأينا أنّ الجملة الأولى أقصر من الجملة الثانية أو بالعكس أي الجملة الثانية أقصر من الجملة الأولى.

من خلال ما تحدّثنا عن السجع في **مقامات** الحَريري نستنتج الأمور التالية:

– أكثر الحَريري في استعمال الألفاظ المسجوعة، وأدّى ذلك إلى أن تكون الألفاظ أحياناً دون معنى، أو متكلّفة وغريبة.

– تعبّر كثرة الألفاظ المسجوعة في **مقامات** الحَريري عن الموسيقى والإيقاع في المقامات.

ب– السَّجع في مقامات الحَميدي

التزم الحَميدي في **مقاماته** بالصنعة الأدبيّة الّتي تعتمد على السجع والفنون البديعيّة الّتي شاعت في عصره وعند معاصريه من الأدباء العرب بخاصّة والأدباء الفرس بعامّة. وقد حاول كالحَريري أن يستفيد من تجارب سابقة في الاهتمام بالإيقاع والصوت المتّسق في نثره الفنّي أي مقاماته، واكتسب الزخارف الصوتيّة، أو الأداء الموسيقي لأشعاره خاصّة، وتأثّر بالحَريري تأثيراً واضحاً، واعتنى بالزخارف الصوتيّة كالسجع والجناس نثراً ونظماً.

إحدى الميزات الرئيسة في **مقاماته** هي استعمال العبارات المسجّعة بكثرة، واعتماده في أسلوبه الإنشائي على قالب السجع بأنواعه المختلفة، واختيار كلمات موزونة ومقفّات أي مسجّعة بكثرة

---

(١) أمرع: أخصب. النجعة: موضع العشب ينتجعه الناس. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الخمسون: البصريّة"، مج ٢، ص ٢٩٤.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٨٤ – ٥٨٥.

(٣) الحَريري، م.ن، "الخاتمة"، ص ٦٠٣.

كالحَريري. كما نجد أنموذجاً من **السجع المتوازي** في المقامة الملمّعيّة نحو: "بی استعداد زاد و**راحله**، وبی استمداد رفقه و**قافله**... منازلِ او را به پایِ اشتیاق بسپردم"[1].

ترجمة الشاهد

بلا استعداد بزاد وأمتعة، وبلا استمداد برفيق وقافلة... سيراً على الأقدام عبرتُ منازل الصعاب، شوقاً للوصول.

وقوله بالعربيّة في المقامة السِكباجيّة: "مرحباً بالمضيف **الكريم** في الليل **البهيم**"[2].

وقوله نظماً في مقامة الشيب والشباب: (بحر السريع)

اسْمَعْ نِدائي فَنِدائي **مَليحْ** ومَنْطِقي جَزْلٌ ولَفْظِي **فَصيحْ**[3]

وقوله في مقامة المناظرة بين السنيّ والملحد: (بحر الوافر)

رُوَيْدَك إنَّ خَصْمَك **بالعَراءِ** خَضيبُ الرُّمحِ مَنصوبُ **اللواءِ**[4]

وقوله في مقامة سمرقند: (بحر السريع)

البُرُّ مِنْ آدمَ **مطلوبُه** فإنّه في الخُلْدِ **محبوبُه**[5]

وقوله في مقامة التعزيّة: (بحر البسيط)

يا قومُ قَدْ غَرَّكُمْ صَبْرٌ **وسُلْوانٌ** والصَّبْرُ عِنْدَ النَّوَى ظُلْمٌ **وعُدْوانُ**[6]

وأكثر الحَميدي من استعمال **السجع المرصّع**، وكالحريري قد عمد إلى زخارف إيقاعيّة داخل البحر بإدخال أصوات فاصلة بين أجزاء متساويّة في إيقاع النثر، ونرى هذه الفواصل الصوتيّة في النثر من أوّله إلى آخره بقوله في مقدّمة المقامات: "**الّذي أنشأ في الهواء من السُّحُبِ أمواجاً، وأبدع في السماء من الشُّهُبِ أفواجاً**"[7]. فالحَميدي جعل ألفاظ الفصل الأوّل مساويّة لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية؛ "أنشأ" مقابل "أبدع"، و"الهواء" مقابل "السماء"، و"السحب" مقابل "الشهب" و"أمواجاً" مقابل "أفواجاً". ونلاحظ الفواصل الصوتيّة بين الكلمات كلّها.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.
(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٩.
(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٥.
(٤) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٨.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٤.
(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ٢٠١.
(٧) حميدى، م.ن، "مقدّمة"، ص ١٩.

وقوله في المقامة الملمّعيّة: "**فوالّذي حلّا كُمْ بالحِلمِ الراجحِ، وقوّاكمْ بـالعلمِ النـاجحِ**"(١). فقد وضع جميع ما وقع في السجعة الثانية مطابق لما وقع في السجعة الأولى وزناً وقافيةً دون زيادة ونقصان. أي حَلاكم بإزاء قوّاكم، والحلم بإزاء العلم، والراجح بإزاء الناجح.

وقوله في المقامة اللغزيّة: "**فتعلّقتُ بِظَوافرِ الليل، وتمسّكتُ بِحَوافرِ الخَيْل**"(٢). فقد وضع ألفاظ تعلّقت بإزاء تمسكت، وبظوافر بإزاء بحوافر، والليل بإزاء الخيل.

وقوله أيضاً: "**تَلْتَقِطُ مِنْ كُلِّ رَوْضٍ، ونَغْتَرِفُ مِنْ كُلِّ حَوْضٍ**"(٣). نلاحظ أنّه جعل كلمات "تلتقط" مقابل "تغترف"، من كلّ "روض" مقابل من كل "حوض".

وقوله أيضاً: "**هلْ في نوالكم دَعةٌ، وهل في ظِلالكُم سَعةٌ**"(٤). فقد جعل الفصل الأوّل كلّه مقابل الفصل الثاني كلّه.

وقوله في المقامة الوعظيّة: "بدان خدايى كه اين **افلاك** را **برپاى بداشت**، واين **املاك** را**برجاى** كه هرحسنه را**مكافاتى** است، وهرسيّئه را**مجازاتى**، وهرحلالى را **حسابى**، وهر **حرامى** را**عذابى** است"(٥).

ترجمة الشاهد

بالله الّذي صوّر هذه الأفلاك وله الملك، أنّ كلّ حسنة لها ثواب، وكلّ سيئة لها عقاب، وكلّ حلال له حساب، وكلّ حرام له عذاب.

نرى ألفاظ أفلاك مقابل أملاك، وبرپاى بداشت بمعنى أقام بإزاء برجاى بداشت بمعنى بنى وقد حذف الجزء الثاني من الفعل أي بداشت قرينةً، وحسنه بمعنى حسنة بإزاء سيئه أي سيئة، ومكافاتى بمعنى ثواب بإزاء مجازاتى بمعنى عقاب، وحلالى أي حلال بإزاء حرامى أي حرام، وحسابى أي حساب بإزاء عذابى أي عذاب.

اعتمد السجع المرصّع في **مقاماته** أكثر من الحَريري نثراً ونظماً. فاكتفينا بذكر هذه النماذج العربيّة والفارِسية دلالةً على صحّة القول.

واستعمل **السجع المطرّف** في **مقاماته** أيضاً كقوله: "زيورى كه فخر را شايد درآدمى، علم و**فرهنگ** است، وآن حليه كه لافْ را زيبَد خِرَد و**سَنگ**"(٦).

فرهنگ: الثقافة، وسَنگ: لغةً الحجر، وقد قصد بها الوقار والطمأنينة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: الملمّعة"، ص ٢٦.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٣.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٥٥.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٥٣.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٧.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٤.

ترجمة الشاهد

زينة الإنسان وعزّه في العلم والثقافة، وحلية افتخاره بالعقل والوقار والطمأنينة.

واعتمد السجع المتوازن أيضاً، نحو: (وزن مضارع مثمّن اخْرب مكفوف محذوف = مفعـولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

تا چرخ نا مهذّب مفتون از او چه خواست

تابخت نا مميّز مجنون بدوچه كرد[(١)]

ترجمة الشاهد

حتّى صار الفلك غير المهذّب مفتوناً، ماذا طلب منه؟ وصاحب الحظّ السيّء مجنوناً، ماذا فعل معه؟

كما أنّه استعمل السجع أحياناً في أوّل الجملة، وأحياناً أخرى في وسط الجملة، أو فـي آخـر الجملة، وبعض الأحيان في الأوّل والآخر.

وأمّا السجع في الأوّل فهو نحو: "اگر **خطرى كنى** بدان طرف بايد رفت، وگر **سفرى كنى** به تحصيل آن شرف بايدكرد"[(٢)].

خطرى كنى: خاطرت   سفرى كنى: سافرت

ترجمة الشاهد

إذا خاطرت فإلى تلك الجهة يجب الذهاب، وإذا سافرت فليكن لتحصيل ذلك الشرف.

وقوله أيضاً: "**وخبايا وسراير** درميان نهاديم، **وخفايا وضماير** برطبق عيان نهاديم"[(٣)].

خبايا وسراير: الخبايا والأسرار   خفايا وضماير: الخفايا والضمائر

ترجمة الشاهد

تحدّثنا عن الخبايا والأسرار، ووضعنا خفايا الضمائر على طبق العيان.

والسجع في الوسط نحو: "اين صدفى است كه به عمّان آورده اى، واين زيره اى است كه به كرمان كشيده اى"[(٤)].

عمّان: بلد معروف.   كرمان: اسم مدينة معروفة في إيران، وهي مشهورة بكمّونها.

ترجمة الشاهد

هذا صدف أتيتَ به إلى عمّان، وهذا كمّون أتيتَ به إلى كرمان.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في اللغز"، ص ٤٠.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٨.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٢.

والسجع في الآخر نحو: "صوفيان صاحب **مجاهده**، وصافيان صاحب **مشاهده**"[١].

مجاهده: المجاهَدة مشاهدة: المشاهدة

ترجمة الشاهد

الصوفيون أصحاب المجاهدة، والمصطفون أصحاب المشاهدة.

والسجع في الأوّل والأخير، نحو:

"پس **ورَق** استغفار واعتذار **بازكردم**، واز **نَسَق** ديگر بدايت و **آغاز كردم**"[٢].

ورق: ورق بازكردم: فتحتُ نسق: جانب، نسق آغازكردم: ابتدأتُ

ترجمة الشاهد

فتحتُ ورق الاستغفار والاعتذار، وابتدأت على نسق آخر.

وما يلفت النظر في **مقامات** الحَميدي من حيث السجع، أنّ غالبيّة الأسجاع فيها كلمات عربيّة، والسبب هو غزارة المترادفات في اللغة العربيّة وفقرها في اللغة الفارسيّة كقوله في مقدّمة مقاماته: "شرط **اوفق** وركن **اوثق** آن است كه..."[٣].

ترجمة الشاهد

إنّ الشرط الأوفق والركن الأوثق...

وقوله أيضاً: "**الدليل** ثمّ **السبيل**، و**الرفيق** ثم **الطريق**"[٤].

قوله أيضاً: "شبِ جوانى مظلم و**غاسق** بود، ودرختِ كودكى راسخ و**باسق**"[٥].

ترجمة الشاهد

ليلة الشباب كانت مظلمة وبهيمة، وشجرة الطفولة باسقة وراسخة.

وقوله أيضاً: "چه گويى ميان شبِ **غاسق** وصبحِ **صادق** فرقى هست"[٦].

ترجمة الشاهد

برأيك ما الفرق بين الليل الغاسق والصبح الصادق؟

وقوله أيضاً: "بنايى ديدم **مرتَفع** وصورّى **مجتَمع**"[٧].

ترجمة الشاهد

رأيت مبنى مرتفعاً خَلقاً مجتمعاً.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٣.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥.

(٣) حميدى، م.ن، "مقدّمة"، ص ٢٢.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشب والشباب"، ص ٣٥.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥.

(٧) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٧.

وقد استعمل الحَميدي في **مقاماته** السجع مرّة بالعربيّة ومرّة أخرى بالفارسية نحـــو: "علايـــق وعوايق اقامت ازخود **دور** كردم، ودل از راحت واستراحت **نفور**[١] كردم"[٢].

دور: بعيد. دوركردم: أبعدتُ

ترجمة الشاهد

أبعدت نفسي عن علائق الدنيا وعراقيلها، ونفّرتُ قلبي من الراحة والاستراحة.

وقد نجد في مقاماته ثلاثة أو أربعة أو خمسة أسجاع أحياناً. ثلاثة أسجاع نحو: "حقايق اين علم **دقيق** در مخالطه آدابِ **طريق** از ابو بكرِ **صدّيق** ببايد آموخت"[٣].

ترجمة الشاهد

يجــب أن نتعلّم حقائق هذا العلم الدقيق في مخالطة آداب الطريق من أبي بكر الصدّيق.

أربعة أسجاع نحو: "تحت هريكى **بيانى** و**كانى** است، وهربيانى را **مكانى** و **جريانى** است"[٤].

بيانى: بيانٌ كانى: معدن مكانى: مكان جريانى: اتّفاق، واقعة

ترجمة الشاهد

معدن كلّ شخص وراء بيانه، ولكلّ مقام بيان وقصّة.

وخمسة أسجاع نحو: "وقتى از اوقات به حكمِ ضيقِ **حال** واختلافِ **بال**، واخـــتلافِ **آمـــال** از مسقطِ الهام ومنبت الاقدام، قصدِ **ارتحال** ورأيِ **انتقال** كردم"[٥].

حال: حالة نفسيّة بال: الخُلق آمال: آمال، أمنيّة ارتحال: رحلة، سفر

انتقال: النقل، انتقال

ترجمة الشاهد

في وقت من الأوقات بحكم ضيق الخُلق والحال، واختلاف الآمال، عن مسقط الرأس ومنبـــت الأقدام، عزمتُ الرأي على السفر والترحال.

وقد بلغ اهتمام الحَميدي بالسجع إلى حدٍّ أنّه أخذ من الآيات القرآنيّة، وأحياناً غيّرهـــا لغرضـــه السجعي كما يلي: "**أين أنتم من الغلمان المكحلين** والولدان **المخلّدين**"[٦]. وجاء فـــي القـــرآن: ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[٧].

وقوله أيضاً: "اى كذّاب **لئيم** واى نّمام **زنيم**"[٨] ﴿ سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[٩].

---

(١) نفور: نَفَرَت الدابّة تنفِر وتنْفُر نفوراً ونِفاراً: تباعَدَتْ. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مج ١، ص ٦٧٣؛ بـــاب الراء، فصل النون.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣١.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣١.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٥.

(٦) حميدى م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٣.

(٧) **الواقعة**، ١٧/٥٦.

(٨) حميدى، م.س، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٩.

(٩) **النور**، ١٦/٢٤.

ترجمة الشاهد

أيّها الكذّاب اللئيم، وأيّها النمّام الزنيم ﴿ سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾...

وقوله أيضاً: "اى پير بلا تدبير ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[1]..."[2].

ترجمة الشاهد

أيّها الشيخ بلا تدبير ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾...

نستنتج الأمور التالية:

- التزم الحَميدي كالحَريري بقاعدة في الجمل المسجّعة، وهو التساوي في الجملتين المسجوعتين طولاً، أو الجملة الأولى أقصر من الجملة الثانية، ولكنّه أحياناً تجاوز عن هذه القاعدة والجملة الثانية أقصر من الجملة الأولى.

- اتّسمت **مقامات** الحَميدي من حيث البنية باستعمال السجع وهو النثر الإيقاعي المقفّى. فاعتمد الحَميدي السجع وأقسامه بكثرة محاكاةً ومعارضةً **لمقامات** الحَريري. وقد اهتمّ بالإيقاع والصوت المتّسق في **مقاماته** من خلال السجع.

- وأكثر في استعمال السجع المرصّع نثراً ونظماً ليظهر قدراته الفنيّة واللغويّة تجاه الحَريري خاصّة.

- أخذ من الآيات القرآنيّة إكمالاً لغرضه السجعي.

- غالبية الأسجاع في **مقاماته** كلمات عربيّة في النثر والنظم.

* * *

تدلّنا كثرة استعمال الألفاظ المسجعة في **مقامات** الحَريري على قدراته البلاغيّة، واهتمامه بالإيقاع والموسيقى من خلال السجع، كما أنّ كثرة السجع أدّت إلى التكلّف الممقوت. واعتمد الحَميدي السجع بكثرة تقليداً للحَريري ومعارضةً له، وأظهر قدراته البلاغيّة إزاءه خاصّةً.

ثالثاً- الجِناس في مقامات الحَريري والحَميدي

نجد في **مقامات** الحَريري والحَميدي جناسات كثيرة بأنواعها، جاءت في أسلوب أدبيّ رفيع، تطرب الأذن، وتؤثّر في النفس فتتمتّع بها. كانت وظيفة الجناس في علم البديع هي: إدخال الألفاظ الفصيحة في الأذن بغير إذن. فالجناس وظيفته تحسين الكلام ويخدم أحياناً المعنى، إذ إنّ "الألفاظ خَدَم المعاني والمصرّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقّة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأطاله عن طبيعته"[3].

---

(١) **لقمان**، ١٩/٣١.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ١٠٠.

(٣) الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص ١١.

فلا شكّ في أنّ شرط استحسان السجع والجناس هو ألاّ يلجأ الكاتب أو الخطيب إلى التكلّف، وأن يجعل الزخارف البديعيّة وسيلة وليست غاية، فإذا طغت المحسنات اللفظيّة على المعنى سقط الأدب وغدا غير مؤثّر في النفس الإنسانيّة. وإذا جاءت المحسّنات اللفظيّة متوافقةً مع هدف المعنى فيكون استعمالها مقبولاً ويؤثّر على السمع ويدخل إلى القلوب ويكون مقبولاً من القرّاء والسامعين. فنذكر الجناس وأقسامه في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- الجِناس[١] في مقامات الحَريري

إنّ الجناس من أنواع البديع، ولذلك قال الحَريري في المقامة الشعريّة على لسان صاحب الشرطة: "إنّي مَولَعٌ من أنواع البلاغة بالتجنيس، وأراه لها كالرئيس"[٢].

وقلّد الحَريري بديع الزمان الهمذاني في الجناس أيضاً بيد أنّه تفوّق عليه في اختيار المفردات من حيث الموسيقى والإيقاع.

ومن ميزات **مقامات** الحَريري نثراً ونظماً الجناس الّذي ساعد على الإيقاع. فلذلك نلاحظ أنواعه بكثرة كالجناس التام وأقسامه، والجناس غير التام وأقسامه، والجناس الخطّي، وجناس القلب، والجناس المغاير، والجناس المشوّش، والجناس اللفظي، وجناس ردّ العجز على الصدر، والجناس المعجَم، والجناس المهمل، والجناس الأخْيَف، والجناس الأرقَط، والجناس المفروق، والجناس المزدوج، والجناس المُردّد، والجناس المُسمَّط. وسنذكر أمثلة لأنواع الجناس الواردة في **مقامات** الحَريري مع تعريفها.

١- الجناس التام[٣]

(أ) الجناس المماثل[٤] بين الاسمين كقول الحَريري: "أ فِ **للعشير**، وإن لم يكافئ **بالعشير**"[٥]. فالجناس هنا بين اسمين متماثلين في كلّ شيء هما العشير، والأوّل بمعنى المعاشر، والثاني بمعنى العشر.

---

(١) الجناس: هو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً. ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ١، ص ٣٤٢؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٢٠. ويقول الصفدي أيضاً: اعلم أنّ من الناس من يقول فيه التجنيس، وهو تفعيل من الجنس، والتجنيس مصدر جَنّسَ، لأنّ فَعّلَ مصدره التفعيل؛ ومنهم من يقول التجانس، وهو التفاعل من الجنس أيضاً لأنّه مصدر من تجانس الشيئان إذا دخلا في جنس واحد. أنظر: الصفدي، م.ن، ص ٩ – ١٠.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٧.

(٣) الجناس التام: هو ما اتّفق فيه اللفظان في أربعة أمور، هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها. وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأسماها رتبة. والجناس التام ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام، هي: المماثل، والمستوفى والتركيب. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ١٨٨؛ السيوطي، **جنى الجناس**، ص ٧٣؛ الصفدي، م.س، ص ٤٥.

(٤) الجناس المماثل: هو ما كان ركناه أي لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بمعنى أن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين. عتيق، م.ن، ص ١٨٨؛ ابن رشيق، **العمدة**، ص ٣٢١؛ ابن منقذ، **البديع**، ص ١٠٤.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٣.

وبقوله أيضاً: فلمْ أرَ أعجبَ منها في تصاريف **الأســفار**، ولا قــرأتُ مثلهــا فــي تــصاريف **الأسفار**"[١].

فالجناس هنا بين اسمين متماثلين وهما الأسفار، والأول جمع سَفَر، والثاني جمع سِــفر، وهــو الكتاب الكبير.

وبقوله أيضاً: (بحر البسيط)

نَهانِيَ الشَّيْبُ عَمَّا فيهِ أفْراحِــي ... فَكَيْفَ أجْمَعُ بَيْنَ **الرَّاحِ والرَّاحِ**[٢]

فالجناس بين اسمين متماثلين وهما الراح والمراد بالأول الخمر والثاني جمع راحة وهي باطن الكفّ.

والجناس المماثل بين الفعلين، نحو: "قَهَــشَ[٣] للوفــادة[٤] **وراحَ**، وغَــدا بالإفــادة **وراحَ**"[٥].

فالجناس بين فعلين هما راح، والأول بمعنى ارتاح والثاني مقابل الغدو.

وبقوله: (بحر المنسرح)

لا تَبْكِ إلْفاً[٦] نَأى[٧] ولا دَارا ... ودُرْ[٨] مَــعَ الدَّهرِ كيفمَا دَارا

واتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُــمْ سَكَنَــاً[٩] ... وَمَثِّــل الأرْضَ كُلَّهـــا دَارا[١٠]

واصْبِرْعلَى خُلْقِ مَنْ تُعاشِرُه ... وداره[١١] فاللَّبيبُ[١٢]مَــنْ دَارا[١٣]

ولا تُضِعْ فُرْصَةَ السُّرورِ فَمَا ... تَــدْرِي أيَوْمَــا تَعيشُ أمْ دَارا

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة: المعريّة"، ص ٧٧.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٣.

(٣) هش: خفّ. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج١، ص ٧١.

(٤) الوفادة: القدوم عليه. الشريشي، م.ن، مج١، ص ٧١.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٣ – ٥٤.

(٦) إلفاً: صاحباً. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، مج ٢، ص ٥٤.

(٧) نأى: بُعد. الشريشي، م.س، م ٢، ص ٥٤.

(٨) دُر: من الدوران. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

(٩) اسكنا: أهلاً وألفا تسكن إليه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

(١٠) ومثّل الأرض كلّها دارا: أي بلداً، والدار: البلد. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

(١١) داره: لاينه وسايسه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

(١٢) اللبيب: العاقل. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

(١٣) دارى: أحسن مخالطة الناس. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٥٤.

واعْلَمْ بأنَّ المَنُونَ جائلَةٌ[١] وقدْ أدارتْ على الورَى دَارا
وأقْسَمَتْ لا تَزالُ قانِصَةً ما كَرَّ عَصرُ المَحْيا ومادَارا
فكَيْفَ تُرجَى النَّجاةُ مِنْ شَرَكٍ لم يَنْجُ منهُ كِسْرَى[٢] ولا دَارا[٣]

(ب) الجناس المستوفَى[٤] بين الاسم والفعل كقول الحَريري: "فعرا[٥] **الحدث لما حدث**"[٦].

فالجناس بين الاسم وهو الحدث، والفعل وهو حدث بمعنى ظهر أو وقع.

والجناس المستوفَى بين الاسم والحرف كقوله: "فوضعه **في فيه**، وقال بارك اللهم **فيه**"[٧].

فالجناس هنا بين في الأولى، وهي اسم أي فم، وفي الثانية الّتي هي حرف جر.

(ج) جناس التركيب[٨]

١ – المَرْفُو[٩]

قد يعمد الحَريري إلى ضرب من جناس التركيب أي المزج الصوتي بين كلمتين ليكمل منهما أربعة أحرف أو أكثر أو أقلّ نحو: (بحر الطويل)

ولا تَلْهَ[١٠] عَنْ تَذْكارِ ذَنْبِكَ وَابْكِهِ بِدَمْعٍ يُضاهي[١١] الوَبْلَ[١٢] حالَ مَصَابِهِ[١٣]

---

(١) جائلة: دائرة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**،"المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ٢، ص ٥٥.

(٢) كسرى: اسم ملك الفرس، وكسرى ملك الملوك أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم كان موصوفاً بالعدل، معروفاً بحسن الرعاية والفضل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٥٥.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٤) الجناس المستوفى: وهو ما كان ركناه، أي لفظاه، من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً، أو بأن يكون أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ١٩١.

(٥) عرا: قصد ونزل به. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة: المعرّيّة"، مج ١، ص ٩٧.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة: المعرّيّة"، ص ٧٤.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة: الديناريّة"، ص ٢٩.

(٨) جناس التركيب: هو كالجناس المماثل، لكن يفرق عنه بأن يكون أحد الركنين تاماً والآخر مركباً مع حرف لا غير، فيتّفق حينئذ الركنان بالحروف والحركات والسكنات. ويُشترط فيهما أن يكونا متّفقين أيضاً بالخط لئلا يلتبس بما يأتي بعده، ويسمّى أيضاً المركب المجموع. القزويني، **التلخيص**، ص ٣٨٩؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٢٣؛ والهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص ٤٠١؛ عبد العزيز عتيق،م.س، ص ١٩٢.

(٩) الجناس المرفو: إن جناس التركيب ثلاثة أضرب، وهي: المتشابه والمفروق والمرفو. والجناس المرفو هو كالمركب في كلّ أحواله، ولكن يُفرق عنه بأن يكون أحد الركنين تاماً والآخر مَرْفُواً أي مُرَقّعاً بحرف من كلمة قبله أو بعده، سواء اختلف فيه الحركات أو لم تختلف. ابن حجّة الحموي، **خزانة الأدب**، ص ٢٩؛ عتيق، م.س، ص ١٩٥؛ المدني، **أنوار الربيع**، ج ١، ص ١١١.

(١٠) تله: تشتغل. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، مج ١، ص ٢٤٧.

(١١) يضاهي: يشابه. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٤٧.

(١٢) الوبل: أكثر المطر. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٤٧.

(١٣) حال مصابه: أي حال وقوعه. والمصاب مصدر صاب يصوب صوباً ومصابا. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٤٧.

ومَثِّلْ لِعَيْنَيــكَ الحِمامَ[1] ووقعَــهُ ورَوْعَةَ[2] مَلْقاهُ ومَطْعَمَ صابِـــهِ[3]

فالجناس بين كلمة مَصابِه وكلمة صابه، وهما متشابهان لفظاً، مختلفـان معنــى. ونلاحـظ أنّ الجناس هنا ركنه الأول مفرد هو مصابه، وركنه الثاني مركب من كلمة وجزء من كلمة، همـا لفظـه صابه والميم من مطعم.

وقوله أيضاً: (بحر الطويل)

وإنّ قُصارَى مَنْزِلِ الحَيِّ حُفْرَةٌ سَيَنْزِلُهـا مُسْتَنْزَلاً عَـنْ قِبابِـهِ

فَواهاً[4] لِعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِـه وأَبْدَى التَّلافي[5] قَبْلَ إغْلاقِ بابِهِ[6]

فالجناس بين كلمة قبابه وكلمة بابه، وهما متشابهان لفظاً، مختلفان معنى. ونلاحظ أنّ الجنـاس في هذين البيتين ركنه الأول مفرد هو قبابه، وركنه الثاني مركب من كلمة وجزء من كلمة، هما لفظـة بابه والقاف من إغلاق.

أو كقوله أيضاً: (بحر السريع)

والمكرُ[7] مَهْمَا اسطَعْتَ لا تَأْتِهِ لِتَقْتَنِي[8] السُؤْدَدَ[9] والمَكْرُمَةَ[10]

فيكون أحد المتجانسين في أول المصـــراع الأول وهو مركب من كلمة وجزء من كلمة، همـا لفظة المكر والميم والهاء من مهما، والثاني في آخر المصراع الثاني وهو مفرد، مكرمه.

فمن الواضح أنّ هذا النوع من جناس التركيب لا يخلو من التعقيد والتعسّف.

---

(1) الحمام: الموت. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ١، ص ٢٤٧.

(2) روعة: فزع صاحبه حين يلقاه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٤٧.

(3) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٣؛ صابه: مـرّه. والـصاب: شـجر مُـرّ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٤٧.

(4) واهاً: عجباً. الشريشي، م.ن، مج١، ص ٢٤٧.

(5) التلافي: التدارك لما فات. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٢٤٧.

(6) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٣؛ إغلاق بابه: أي موته. الشريشي، م.ن، مـج ١، ص ٢٤٧.

(7) المكر: الخداع. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٥.

(8) تقتني: تكتسب. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٥.

(9) السؤدد: الشرف. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٥.

(10) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣١؛ المكرمة: الكرامة. الشريشي، م.س، مـج ٢، ص ٢٦٥.

٢- الجناس غير التام[١]

(أ) الجناس المضارع[٢] **مثاله في النثر كقوله له: "بيني وبين كِنّي**[٣] **ليلٌ دامسٌ**[٤]**، وطريقٌ طامِسٌ"**[٥]. فالجناس هنا في أوّل اللفظ، بين كلمتي دامس وطامس.

وقوله نظماً: (بحر الهزج)

ويُطفِي حَرَّ بِلْبَالي[٦] بِسِرْبَالٍ[٧] وسِرْوَالِ[٨]

فالجناس هنا في الوسط، بين كلمتي سربال وسروال.

(ب) الجناس اللاحق[٩] **في أوّل الكلمة**، بقوله في المقامة الدينارية: (بحر المتقارب)

تعارَجْتُ لا رَغْبَةً في **العَرَجْ** ولكِنْ لأقْرَعَ بابَ **الفَرَجْ**[١٠]

إنّ الجناس في أوّل الكلمة، وهو لفظتا العرج والفرج.

وفي وسط الكلمة، منه قوله: "فدلفت[١١] إليه لأقتبسَ من **فوائده**[١٢]، وألتقط بعض **فرائده**"[١٣].

فالجناس في وسط الكلمة، وهو لفظتا فوائده وفرائده.

---

(١) الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة الّتي يجب توافرها في الجناس التام، وهي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها. فإن اختلف اللفظان في أنواع الحروف فيُشترط ألاّ يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد. وهذا الجناس يأتي على ضربين: ١) جناس مضارع و ٢) جناس لاحق. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ١٩٥؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٦٦ – ٣٦٧.

(٢) الجناس المضارع: وهو ما كان فيه الحرفان اللّذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج، سواء كانا في أوّل اللفظ، أو في الوسط، أو في الآخر. عتيق، م.ن، ص ١٩٦؛ ابن رشيق، **العمدة**، ج ١، ص ٣٢٥؛ القزويني، **التلخيص**، ص ٣٩١؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٣٠.

(٣) كنّي: منزلي. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩٥.

(٤) دامس: مظلم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٥.

(٥) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٦؛ طامس: دارس لأنّ الظلام لمّا غطاه كأنّه محاه. الشريشي، م.ن، مج١، ص ١٩٥.

(٦) بلبالي: حزني، والبلبال: وسواس الهموم. الشريشي، م.ن، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٣.

(٧) سربال: قميص. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٣.

(٩) الجناس اللاحق: وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج سواء أكان في أوّل اللفظ، أو في الوسط، أو في الآخر. عبد العزيز عتيق، م.س، ص ١٩٦؛ السيوطي، **جنى الجناس**، ص ٢١٠؛ العلوي، م.س، ج ٢، ص ٣٦٧.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة: الدينارية"، ص ٣١.

(١١) دلفت: قرّبت. الشريشي، م.س، "المقامة الأولى، الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٧.

(١٢) أقتبس من فوائده: ألتمس وأطلب أخذها واكتسابها. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٧.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١؛ الفرائد: شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر. الشريشي، م.س، مج ١، ص ١٧.

ومنه أيضاً: أو "أيّها **السادر** في غلوائه، **والسادل** ثوبَ خُيلائه"[١]. فالجناس هنا في آخر الكلمة، وهو السادر والسادل.

و"في اللحد **مقيلك**[٢]، فما **قيلك**"[٣]. وقع الجناس في أوّل اللفظ بين كلمتي مقيلك وقيلك، والزيادة تكون في لفظ مقيلك بحرف واحد "ميم".

أو في الشعر التالي: (بحر المنسرح)

لكنّ قَوْسَ الخُطُوبِ[٤] تَرْشُقُني[٥] بِمُصْميات[٦] مِنَ **هَهُنا وَهُنا**[٧]

فمن الواضح أنّ الجناس بين لفظتي ههنا وهنا، والزيادة تكون في لفظ ههنا بحرف واحد "هاء".

وقوله أيضاً نظماً: (بحر مجزوء البسيط)

لم يَبْقَ صافٍ[٨] ولا مُصَافٍ[٩] ولا مَعِينٌ[١٠] ولا مُعِينٌ[١١]

فلم يختلف صافٍ، ولا مُصافٍ إلاّ بزيادة الميم لا غيرُ.

٣- الجناس الخطي[١٢]

من أبلغ ما ورد في هذا هو قول الحَريري في المقامة الحلبيّة، لكن بعض الألفاظ فيهما ليست من هذا النوع غير أنّ أكثر ألفاظها من هذا النوع نحو: (بحر الخفيف)

---

(١) الحَريري، **مقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٢.

(٢) مقيلك: مقامك وأصله النوم في القائلة. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٩.

(٣) الحَريري، م.س، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٣؛ قيلك: حديثك المقول وحجّتك الواضحة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩.

(٤) الخطوب: الأمور السداد. الشريشي، م.ن، "المقامة الثامنة: المعريّة"، مج ١، ص ٩٧.

(٥) ترشقني: تصيبني. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٧.

(٦) مصميات: سهام قاتلة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٩٧.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة، المعريّة"، ص ٧٣.

(٨) صاف: خالص الودّ. الشريشي، م.س، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٤.

(٩) مصاف: صادق في ودّه. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٨٤.

(١٠) معين: ماء كثير يريد صاحب كرم كثير. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٨٤.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٤؛ معين: يعين بماله. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٨٤.

(١٢) الجناس الخطّي: يسمّى أيضاً المصحف وجناس التصحيف: بأن يتّفقا في صورة الوضع ويختلفا في النقط، وهو أقسام: لأنّه إمّا في أوّل الكلمة أو في وسطها أو في آخرها أو في جميعها. وكلّ هذه الأربعة: إمّا مع توافق الحركات، أو مع اختلافها. وإمّا بين اسمين، أو فعلين، أو اسم وفعل، أو فعل وحرف. وسمّي الجناس المصحّف أيضاً. أنظر: السيوطي، **جنى الجناس**، ص ١٨٠؛ ابن رشيق، **العمدة**، ج ١، ص ٣٢٧؛ الحلّي، **شرح الكافية**، ص ٦٥؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٣٠؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.

زَيَّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقُدُّ[(١)]   وتَلاهُ[(٢)] وَيْلاهُ[(٣)] نَهْدٌ يَهُدُّ

جُنْدُها جِيدُها[(٤)] وظَرْفٌ[(٥)] وطَرْفٌ[(٦)]   ناعِسٌ[(٧)] ناعِشٌ[(٨)] بِحَدٍّ يَحُدُّ[(٩)]

قَدُّها قَدْ زَها[(١٠)] وتاهَتْ[(١١)] وباهَتْ[(١٢)]   واعتَدَتْ واغتَدَتْ بِخَدٍّ يَخُدُّ[(١٣)]

فارَقَتْنِي فَأَرَّقَتْنِي[(١٤)] وشَطَّتْ[(١٥)]   وَسَطَتْ[(١٦)] ثُمَّ نَمَّ[(١٧)] وَجْدٌ[(١٨)] وَجِدُّ[(١٩)]

فَدَنَتْ فُدِّيَتْ وحَنَّتْ[(٢٠)] وَحَيَّتْ   مُغْضَبًا مُغْضِيًا[(٢١)] يَوَدُّ[(٢٢)] يُوَدُّ[(٢٣)]

---

(١) قوله زيّنت زينب بقدّ يقدّ: إنّما أراد بقدّ ينقد أي ينقطع لرقّة خصره فعرض منه يقدّ لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٢.

(٢) تلاه: تبعه. الشريشي. م.ن، مج ٢، ص ٢٦٢.

(٣) يلاه: دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهدا لا يصبر عنه. الشريشي. م.ن، مج ٢، ص ٢٦٢.

(٤) جيدها: عنقها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٢.

(٥) طرف: عين. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٦) ظرف: حلاوة ورساقة. وجعل الطرف والعنق جنداً لها لأنّها لمّا حسنت معنى هذه الصفات انقاد لها عشّاقها أذلاّء فكأنّها أغارت على قلوبهم فاستلبتها. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٦٣.

(٧) ناعس: الفاتر النظر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٨) ناعش: ينعش من كان له منه نصيب وتمكّن. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٩) يحدّ: يمنع من رآه من التسلّي والتصبر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٠) زها: تكبّر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١١) تاهت: التّيه ضرب من الزهو وهو الكبر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٢) باهت: فاخرت وعظمت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٣) يخدّ: يقطع أي أنّ خدّها يقطع في القلوب لا سيّما إن كان كما قال من أحسن. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٤) أرقتني: منعتني اليوم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٥) شطّت: بعدت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٦) سطت: بطشت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٧) نمّ: أفشى السرّ أي أفشى ما بي من الحبّ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٨) وجد: حزن من الحبّ وهمّ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(١٩) جدّ: اجتهاد. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٢٠) حنّت: أشفقت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٢١) مغضياً: متغافلاً عمّا ينال منه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٢٢) يودّ: يتمنّى. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

(٢٣) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٩ – ٥٣٠؛ يوّد: يحبّ. يقول: لمّا نمّ لها وجدي بما أجنّه من حبّها، وأبصرت ما فعل هجرها بي، دنت عند ذلك منّي شفقة وحيّتني بسلامها، وأنا في حال غضبان لما حلّ بي من الهجر متمنّيّاً أن تجيئني فلمّا سلّمت عليّ أزالت غضبي وأغضبت عمّا سلف من الفعل القبيح. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٣.

٤- جناس القلب[1] (ما لا يستحيل بالانعكاس)

هذا النوع من أصعب أنواع الجناس، وقليل من ظفر بمثله، ولكنّه يبقى نظماً واهياً لا يرقى إلى أدنى مستويات الشعر. وقد عرف الحَريري جناس المقلوب المستوى في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس، ومن قوله:

"ساكب كاس"[2]، "لُمْ أخاملْ"[3]، "كَبِّرْ رَجاءَ أجْرِ ربّكَ"[4].

ومن شواهده الشعريّة قوله: (بحر مجزوء الرجز)

أُسْ[5] أرْمَلاً[6] إذا عَرا[7] وارْعَ[8] إذا المَرْءُ أسا[9]

أسْنِدْ[10] أخَا نَبَاهَةٍ[11] أبِنْ[12] إخاءَ دَنَّسا[13]

أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ[14] مُشاغِبٍ[15] إنْ جَلَسا

---

(1) جناس القلب: يكون بحروف مختلفة في الترتيب، وهو أقسام، لأنّه تارة يكون أوّل الكلمة ثاني الأخرى، أو ثانيها ثالث الأخرى، أو ثالثها رابع الأخرى. وتارة يكون أحد ركني الجناس مقلوب الآخر، ويسمّى المقلوب المستوى، وجناس القلب. وهو قسمان: تارة يكون الكلام بمجموعه، يقرأ من آخره إلى أوّله، كما يقرأ من أوّله إلى آخره. وتارة تكون كلّ كلمة بمفردها تقرأ مقلوبة في نفسها. فكلّ من هذه يكون بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو اسم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف. السيوطي، **جنى الجنان**، ص ١٩٧؛ عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ٢٠٢ – ٢٠٤؛ القزويني، **الإيضاح**، ج ٤، ص ٨٥؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٣٢؛ العبّاسي، **معاهد التنصيص**، ج ٣، ص ٢٩٥؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٥٠.

(2) ساكب كأس: السكب هو الصبّ. والكأس: القدح المملوء خمراً. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩٠.

(3) لم أخاملْ: لم: من اللوم. ومل من الملل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(4) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٢؛ كبّر رجاء أجر ربّك: عظّم الكبير وقدّمه على نفسك، الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(5) أس: أعط. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(6) أرملاً: فقيراً أفنى زاده. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(7) عرا: قصد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(8) ارع. احفظ الصحبة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(9) أسا. أتى بسوء. وأصله أساء. يقول: إن قصدك فقير فَصِلْه، وإن أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه، وارع حقّ الصحبة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

(10) أسند: أضفه إليك وقرّبه منك. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٢.

(11) نباهة: رفعة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٢.

(12) أبن: باعد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٢.

(13) دنس: عيب. يقول: صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنّس عرضك وتعاب به. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٢.

(14) أسل جَناب غاشم: يريد جانب منزل ظالم ولا تقربه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.

(15) مشاغب: مسارع للشرّ. يقول: إذا تعلّق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة وباعد المراء. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.

أسْــرُ[١] إذا هَبَّ[٢] مِـــراً[٣]   وارْمِ بِـــه إذا رَسَـــا[٤]
أُسْكُــــنْ تَقَـــوَّ[٥]، فَعَسَى   يُسْعِـفُ[٦]وَقْــتٌ نَكَسـا[٧]

وقد جانس جناس ما لا يستحيل بالانعكاس أي أنّ البيت يُقرأ طرداً وعكساً فلا يتبـدّل، وهكـذا إلى آخر القصيدة.

٥- الجناس المغاير[٨]

كقوله في المقامة الدمياطيّة: "أولى **مُرافقي، مَرافقي**"[٩]. فقـد جـانس بـين لفظتـي مُرافقـي ومَرافقي.

وقوله في المقامة الكوفيّة: "فقلتُ ما أصنعُ **بمَنْزِلٍ قَفْرٍ، ومُنْزِلٍ**[١٠] حِلْفِ[١١] **قَفْرٍ**"[١٢]. فقد جانس بين لفظتي مَنزل ومُنزل.

وقوله في المقامة المراغيّة: "فلمّا استأذنته في **المَـراح**[١٣] إلـى **المُـراح**[١٤]، علـى كاهـل **المِراح**"[١٥]. فقد وُجد في الميم ثلاثُ حركات.

---

(١) أسر: اكشف وأزل. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩٣.
(٢) هبّ: تحرك. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.
(٣) مرا: جدال. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.
(٤) رسا: ثبت. يقول: إذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.
(٥) تقوّ: أراد تتقوّى. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.
(٦) يسعف: يساعد ويوافق. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٣.
(٧) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٤ – ١٥٥؛ نكس: قصربك. يقول: لا تبادر إلى الجدال وألزم السكون. حتّى يتقوّى نظرك ويظهر لك صوابك فعسى يوافقك علـى الإصـابة بحـسن التـدبير. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩٤.
(٨) الجناس المغاير: وهو كالتام من حيث اتّفاق ركنيه بالحروف ويسمّى أيضاً المختلف والمحرّف وهو: بـأن يتّفـق ركناه في الحروف دون الحركات. وهو أقسام: لأنّه تارة يكون الاختلاف بالحركة فقط، وتـارة الـسكون فقـط، وتارة بهما معا، وتارة بالتشديد والتخفيف. وكلّ من هذه الأربعة إمّا بين اسمين، أو فعلين، أو حـرفين، أو اسـم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف. أنظر: السيوطي، **جنى الجناس**، ص ١٦١؛ ابن منقذ، **البـديع**، ص ٢٠؛ العبّاسي، **معاهد التنصيص**، ج ٣، ص ٢٣٣؛ الحلّي، **شرح الكافية**، ص ٦٥؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٥٩.
(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٤؛ أولى مرافقي: أعطى مصاحبي في السفر، ومنه الرفقـة لارتفاق بعضهم ببعض. مرافقي: جمع مرفقة وهي المعونة وما يرتفق به. الشريشي، م.س، "المقامـة الرابعـة: الدمياطيّة"، مج ١، ص ٤٩ –٥٠.
(١٠) مُنزل: مضيف. الشريشي، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، مج ١، ص ٦٤.
(١١) حلف: صاحب. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٦٤.
(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٥.
(١٣) المَراح: بفتح الميم، المشي والانصراف. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٧١.
(١٤) المُراح: بالضم ، الموضع الّذي تروح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه أي تساق بالعشي. الشريـشي، م.س، مج ١، ص ٧١.
(١٥) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٤؛ المِراح: بالكسر، النشاط وقد مرح مرحاً لعب من الفرح. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٧١.

وقوله في المقامة البرقعيديّة: (بحر مجزوء البسيط)

لمْ يَبْقَ صَافٍ[١] ولا مُصافٍ[٢] ولا مَعِينٌ[٣] ولا مُعِينُ[٤]

فقد جانس بين لفظتي مَعين ومُعين.

وقوله في المقامة الكرجيّة: (بحر السريع)

لِلّهِ مَنْ ألْبَسَني فَرْوَةً أضْحَتْ مِنَ الرّعْدَةِ لي جُنَّهْ[٥]

ألبَسنيها واقياً[٦] مُهْجَتي[٧] وُقّيَ[٨] شَرَّ الإنْسِ والجِنَّهْ[٩]

سَيَكْتَسِي اليومَ ثَنائي وَفي غَدٍ سَيُكْسَى سُنْدُسَ[١٠] الجَنَّهْ[١١]

فقد جانس بين ألفاظ الجُنّةْ والجِنّةْ والجَنّةْ.

ومنه قوله نظماً في المقامة الرمليّة: (بحر الوافر)

وقُلْتُ لِلائِمي أقْصِرْ فإنّي سَأخْتَارُ المَقامَ على المُقامِ[١٢]

فقد جانس محرّفاً بين المَقام بمعنى موضع القيام في اللغة أصلاً، والمُقام بمعنى مدّة الإقامة وزمانها، وقصد به وفاقاً لما يُستَدلُّ من سياق القصيدة من مقاماته، مقام إبراهيم، ويؤكّد ذلك ما سلف من كلامه: "... واهتاج[١٣] لي شوقٌ إلى البيتِ الحرامِ، فَزَمَمْتُ[١٤] ناقتي ونبذتُ[١٥] عُلَقي[١٦]، وعلاقتي[١٧]".

---

(١) صاف: خالص الودّ. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٤.

(٢) مصاف: صادق في ودّه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٤.

(٣) مَعين: ماء كثير، يريد صاحب كرم كثير. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٤.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٤؛ مُعين: يعين بماله. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٤.

(٥) جنّة: ستراً ووقاية. الشريشي، م.ن، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٥.

(٦) واقيا: صائنا. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥.

(٧) مهجتي: نفسي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥.

(٨) وقّي: كفى. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥.

(٩) الجنة: الجن. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥.

(١٠) سندس: ثياب خضر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٤.

(١٣) اهتاج: تحرّك. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، مج٢، ص ٨١.

(١٤) زممت: شددت زمامها. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(١٥) نبذت: رميت. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(١٦) عُلقي: ما يتعلّق به ويمسكه عن إرادته. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

(١٧) الحريري، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة، ص ٣٢٤؛ علاقتي: ما يتعلّق بقلبي. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٨١.

٦- **الجناس المشوّش**[(١)]

نحو: "**تَدِمْنا** على ما **نَدَّ مِنّا**"[(٢)].

٧- **الجناس اللفظي**[(٣)]

كقوله في المقامة المراغيّة: "من قارع[(٤)] هذه **الصفاة**[(٥)]، وقريع[(٦)] هذه **الصفات**"[(٧)]. فقد جانس بين لفظتي الصفاة والصفات.

٨- **جناس ردّ العجز على الصدر**[(٨)]

هذا الجناس له أنوع كثيرة، كقول الحَريري في المقامة الحراميّة: (بحر الوافر)

فَمَشْغُوفٌ[(٩)] بآيـــاتِ **المَثَانِـــي** وَمَفْتُـــونٌ بِرنَـــاتِ **المَثَانِي**[(١٠)]

والمثاني: قيل إنّ القرآن جميعه المثاني لاقتران آية الرحمة بآية العذاب، وسمّيت سورة الفاتحة مثاني لأنّها تثنى في كلّ ركعة من ركعات الصلاة وتعاد في ركعة، وهي المقصودة بالسبع المثاني في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[(١١)] لأنّها سبع آيات. ورنّات المثاني: نغمات المزامير.

---

(١) جناس المشوّش: هو كلّ تجنيس يتجاذبه طرفان من الصناعة فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه. الخزرجي، **معيار النظّار**، ج ٢، ص ٧٩؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ٣٦٨.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٢؛ ندّ: سبق وخرج، يريد الخصام الّذي بذوره به وردّوا كلامه. وندّ أصله شرد البعير. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، مج ٢، ص ١٦.

(٣) الجناس اللفظي: هو ما تماثل ركناه وتجانسا في الخطّ والحركات، إلاّ أنّه يختلف أحد الركنين عن الآخر، إمّا بإبدال حرف من آخر، يناسبه المخرج، وإمّا بإبدال تاء مربوطةٍ من مجرورة، وإمّا نون من تنوين، وإمّا دال من ذال إلى غير ذلك. القزويني، **التلخيص**، ص ٣٨٨؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٧.

(٤) قارع: ضارب، كاسر. الشريشي، **م.س**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٦٩.

(٥) الصفاة: الصخرة الملساء. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ٦٩.

(٦) قريع: سيّد. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ٦٩.

(٧) الحريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٢؛ الصفات: النعوت. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ٦٩.

(٨) جناس ردّ العجز على الصدر: هو كلام منثور أو منظوم يلاقي آخر أوّله بوجه من الوجوه. ويكون أحد اللفظين المكرّرين أي المتّفقين لفظاً ومعنى، فمنه ما يكون أحد المتجانسَيْن في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأوّل؛ أو في صدر المصرع الأول وآخر المصرع الثاني. أنظر: ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ٢، ص ٢١٥؛ وابن المعتزّ، **البديع**، ص ٤٧؛ القزويني، م.س، ص ٣٩٢؛ الخزرجي، **م.س**، ج ٢، ص ٨٨.

(٩) مشغوف: مولع شديد الحبّ. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، مج٢، ص ٢٨٠.

(١٠) الحريري، م.س، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٥٩؛ رنّات المثاني: أصوات أوتار عود الغناء. الشريشي، **م.س**، مج ٢، ص ٢٨٠.

(١١) **الحجر**، ٨٧/١٥.

وكقوله نظماً أيضاً: (بحر الوافر)

ومُضْطَلِعٌ[١] بِتَلْخِيصِ[٢] **المَعَاني** وَمُطَّلِعٌ إلى تَخْلِيصِ **عانـــي**[٣]

فنلاحظ أنّ جناس ردّ العجز على الصدر في هذا البيت "يكون مشتبهين في الاشتقاق لفظاً، والمعنى بخلافه"[٤]. واللفظ الأوّل المعاني من عنى يعني، والثاني عاني، اسم فاعل من عنا يعنو، فالجامع بينهما شبه الاشتقاق.

٩- الجناس المعجَم[٥]

منه قوله في المقامة الحلبيّة: (بحر الخفيف)

فَتَنَتْنـــي[٦] فَجَنَّنَتْنـــي تَجَنّـــى[٧] بِتَجَـــنٍّ يَفْتَـــنُّ غِـــبَّ تَجَنّـــي

شَغَفَتْني[٨] بِجَفْنِ ظَبْيٍ[٩] غَضيضٍ[١٠] غَنِجٍ[١١] يَقْتَضي[١٢] تَغَيُّضَ جَفْني[١٣]

غَشِيَتْنـــي[١٤] بزينَتَيْـــنِ فَشَفَّتْنـــي[١٥] بِزِيٍّ[١٦] يَشِفُّ[١٧] بَيْـــنَ تَثَنّـــي[١٨]

فَتَظَنَّيْـــتُ تَجْتَبِينـــي فَتَجْـــزِ ني بِنَفْثٍ[١٩] يَشْفي فَخُيِّبَ ظَنّـــي

---

(١) مضطلع: قوي، الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، مج ٢، ص ٢٨٠.

(٢) التلخيص: تهذيب الشيء وتخليص فوائده، وكأنه مقلوب التلخيص. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٢٨٠.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٥٩؛ تخليص عان: افتكاك أسير. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٩٦، فقد ذكره القزويني من أنواع السجع؛ أنظر: القزويني، **التلخيص**، ص ٣٩٧.

(٥) الجناس المعجَم: هو أن يأتي المتكلّم بكلام يلتزم فيه الإعجام في النقط، ويسمّى المعجَم والمثبت أيضاً. الحلّي، **شرح الكافية**، ص ٢٧٦.

(٦) فتنتني: عذبت قلبي. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج٢، ص ٢٥٩.

(٧) تجنى: اسم امرأة. والتجنى: الدلال. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٩.

(٨) شغفتني: بلغ حبّها شغاف قلبي، والشغاف حجاب القلب. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(٩) ظبي: غزال. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٠) غضيض: منكسر الطرف، فاتر العينين. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١١) غنج: تكسير الكلام وتخنيثه وهو المجانة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٢) يقتضي: يتضمّن. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٣) تغيض جفني: سيلان عيني. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٤) غشيتي: أتتني على غفلة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٥) شفتني: انحلت جسمي. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٦) الزيّ: الهيئة الحسنة من اللباس. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٧) يشف: يفضل. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٨) تثنّي: اهتزاز وانعطاف. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

(١٩) نفث: لفظ وكلام. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٠.

ثَبَّتَتْ فـــيَّ غِشٍّ جَيْبِ(١) بتَزْيِيـــنِ خَبِيثٍ يَبْغِي(٢) تَشَفِّي ضِغْنِ(٣)
فَنَزَتْ(٤) فـــي تَجَنُّبِـــي فَثَنَتْنِي(٥) بِنَشِيجٍ(٦) يُشْجِي(٧) بِفَنٍّ فَفَـــنِّ(٨)

١٠ – الجناس المهمل(٩)

كقوله في المقامة الحلبيّة: (بحر السريع)

أعْـــدِدْ لِحُسَّادِكَ حَـــدَّ السِّـــلاحْ وأوْرِدِ الآمِـــلَ(١٠) وِرْدَ السَّـــمَاحْ(١١)
وصارِمِ(١٢) اللَّهْوَ وَوَصْلَ المَهـــا(١٣) وأعْمِلِ الكُـــومَ(١٤) وسُمْرَ الرِّمَاحْ
واسْعَ(١٥) لإدراكِ مَحَـــلٍّ سَمَـــا عِمادُهُ لا لادِّراعِ(١٦) المِـــــراحْ(١٧)
واللهِ ما السُّؤْدُدُ(١٨) حَسْوُ الطِّلا(١٩) ولا مَرادُ(٢٠) الحمدِ رُودٌ(٢١) رَدَاحْ(٢٢)

---

(١) الجيب: القلب. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٢) يبغي: يطلب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٣) تشفي ضغن: إزالة عداوتي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٤) نزت: وثبت. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٥) ثنتني: ردّتني. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٦) نشيج: صوت البكاء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٧) يشجي: يحزن. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٨) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٦؛ بفنّ ففنّ: بنوع فنـــوع. الشريـــشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٠.
(٩) الجناس المهمل: هو أن يأتي المتكلّم بكلام عارٍ من الإعجام بالكلّيّة، ويسمّى المهمل والمحذوف والعاطل أيـــضاً. الحلّي، **شرح الكافية**، ص ٢٧٠؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٥٥.
(١٠) أورد الآمل: أعط الراجي. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١١) ورد السماح: ماء الكرم. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٢) صارم: قاطع. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٣) المها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشيّة، وأراد النساء. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٤) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٥) اسع: أجر مسرعا. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٦) ادّراع: لبس الدروع. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٧) المراح: الطرب والنشاط، كأنه يقول لا تشتغل باللهو واشتغل بكسب الـــشرف. الشريـــشي، م.س، مـــج ٢، ص ٢٥٨.
(١٨) السؤدد: السيادة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(١٩) حسو الطّلا: شرب الخمر. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(٢٠) مراد: بفتح الميم مذهب وطريق؛ وأصله موضع اختلاف الإبل مقبلة ومدبرة وهو المرعى. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(٢١) رود: جارية ناعمة شابة. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.
(٢٢) الرداح: العظيمة العجزه. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٥٨.

واهــاً لِحُرٍّ صَــدْرُهُ واسِــعْ ... وهَمُّهُ ما سَرَّ أهْلَ الصَّــــلاحْ

مَـــــورِدُه حُلــوٌ لِسُؤالِــهِ ... ومالُــهُ مــا سألــوهُ مُطــاحْ[1]

مـا أسْمَـعَ الآمِــلَ رَدًّا ولا ... ما طَلَّهُ والمَطْلُ لُــؤْمٌ صُراحْ[2]

نصح الحَريري في هذه القصيدة المخاطب بإعداد الحسام للحسّاد والعطاء لراجي نفلك، وحثّه على التسَابق لنيل الشرف والمجد، لا للطرب وشرب الخمر. وقد جانس جناساً مهملاً، إذ إنّه أتى بكلام عار من النقط، في كلّ الأبيات.

١١- الجناس الأخيَف[3]

شاهد قوله في المقامة الحلبيّة: (بحر مخلّع البسيط)

اسْمَحْ[4] فَبَـثُّ السَّماحِ زَيْــنٌ ... ولا تُخِــبْ آمِلاً[5] تَضَيَّــفْ[6]

ولا تُجِــــزْ رَدَّ ذي سُــؤالٍ ... فَنَّنَ[7] أمْ فــي السُّؤالِ خَفَّفْ

ولا تَظُــنَّ الدُّهــورَ تُبْقــي ... مــالَ ضَنينٍ[8] ولــو تَقَشَّفْ[9]

واحْلُــمْ فَجَفْنُ الكِرامِ يُغضــي[10] ... وصَدْرُهُــمْ بالعَطاءِ نَفْنَفْ[11]

ولا تَخُــنْ عَهْـدَ ذي وِدادٍ ... ثَبْتٍ[12]، ولا تَبْغِ[13] ماتَزَيَّفْ[14]

---

(١) مطاح: هالك بالعطاء. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّــة"، مــج ٢، ص ٢٥٨.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٤، ٥٢٥؛ صراح: ظاهر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٥٨.

(٣) الجناس الأخيف: هو أن يأتي المتكلّم بجمل تكون كلماتها مُهْمَلَةً فمُعْجَمَةً على الترتيب. الحلّي، **شرح الكافية**، ص ٢٧٦؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٥٤.

(٤) اسمح: جد. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج٢، ص ٢٦١.

(٥) آملا: راجياً. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(٦) تضيّف: طلب منك أن تضيّفه. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(٧) فنّن: أتى بفنون من السؤال. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(٨) ضنين: بخيل. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(٩) تقشّف: ترك النظافة. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(١٠) يغضي: يتغافل. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(١١) نفنف: واسع، والنفنف: متسع الأرض. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(١٢) ثبت: صادق الودّ. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(١٣) تبغ: تطلب. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

(١٤) الحريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٨؛ تزيّف: تنقص وصار زائفاً، وهــو الــدرهم الرديء. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٦١.

١٢- الجناس الأَرْقَط[١]

منه قوله في المقامة الرقطاء: (بحر الخفيف)

سَيِّــــدٌ قُلَّــــبٌ سَبُوقٌ مُبِــرٌّ ... فَطِــنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عيوُفُ

مُخْلِـــفٌ مُتْلِفٌ أَغَــرُّ فَرِيدُ ... نابِــهٌفاضِـــلٌ ذكيٌّ أَنُـــوفُ[٢]

وقوله أيضاً: (بحر الكامل)

فلهذا يُحَـبُّ ويُستَحـــقُّ عفافُـــــهُ ... شَعَفــاً[٣] به فَلُبابُــهُ[٤] خَــــلاَّبُ[٥]

أَخْلاقُهُ غُــرٌّ[٦] تَــرِفٌ[٧] وفُوقُــــــه[٨] ... فُســقٌ[٩] إذا ناضلْتَــهُ[١٠] غَــلاَّبُ[١١]

سُحُجٌ[١٢] يَهِشُّ[١٣] وذو تَلافٍ[١٤] إنْ هَفَا[١٥] ... خِــلٌ فَلَيْسَ بِحَقِّـــــهِ يُرتَــــابُ

لا باخِــلٌ[١٦] بَلْ بــاذِلٌ خِــرقٌ[١٧] إذا ... يُعْتَرُّ[١٨]،بَرزٌ[١٩] لايَليه بـــــابُ[٢٠]

---

(١) الجناس الأَرقَط: هو أن يأتي المتكلّم بكلام يلتزم فيه أن يكون منه حرف معجَم، وآخر مهمـــل. الحلّـــي، **شـــرح الكافيّة**، ص ٢٧٦، النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٥٤.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٥.

(٣) شعفا: أي حبّاً يطلبِ الغاية وشعاف القلب: أعلاه. يريد أنّ عفافه بلغ غاية الحبّ من القلوب وفلان مشعوف بفلان إذا ذهب به حبّه كلّ مذهب. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مـــج ٢، ص ٣٤.

(٤) لبابه: خالصه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٥) خلاّب: آخذ لنفس غالب عليها. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٦) غرّ: حسان. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٧) ترف: تلألأ وتشرق. والرقيق: بريق اللون. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٨) وفوقه: سهمه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٩) الفسوق: طرف السهم الذي يلي الوتر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٠) ناضلته: راميته. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١١) غلاّب: لمن رماه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٢) سحج: سهل الصورّ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٣) يهش: يهتزّ طرباً. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٤) تلاف: تدارك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٥) هفا: زلّ وسقط، والهفوة: الزلّة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٦) خِل: صاحب. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٤.

(١٧) خرق: كريم جواد يتخرّق في العطاء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٨) يعترّ: يقصد. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(١٩) برز: ظاهر غير محتجب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٢٠) لا يليه باب: أي لا يحتجب ببابه دون قصاده. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

إنْ عَضَّ أزلٌ[1] فَلَّ[2] غَرْبَ[3] عِصاضيهِ بِمَنابِه[4] فانْحَتَّ[5] مِنْـهُ نـابُ[6]

وقوله أيضاً: (بحر مجزوء الرجز)

فَـلا خَـلا ذَا بَهْجَـةٍ يمتَدُّ ظِـلُّ خِصبِـهِ[7]

فإنّـهُ بَـرٌّ[8] بِمَـنْ آنَسَ[9] ضَـوْءَ شُهْبِـهِ[10]

زانَ مَزَايـا ظَرْفِـهِ[11] بِلُبْسِ[12] خَـوفِ ربِّـهِ[13]

وقد جانس جناساً أرقط بإتيانه حرف معجَم وآخر مهمَل في كلّ الأبيات المذكورة.

١٣- الجناس المفروق[14]

ومنه قوله الحَريري: (بحر السريع)

سِمْ سِمَـةً[15] تَحسُـنُ آثارُها واشْكُرْ لِمَنْ أعطَى ولو سِمْسِمةْ[16]

فالجناس بين كلمتي سم سمة وهي مركّبة، وكلمة سمسمه وهي مفردة.

---

(١) عضّ أزل: أي اشتدّ زمان، والأزل: ضيق العيش من الجدب، والقحط، وعضّ: قبض بأسنانه. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٣٤.

(٢) فلّ: كسر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٣) غرب: حدّ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٤) بمنابه: بكفايته. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٥) انحتّ: انكسر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٦) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسةوالعشرون: الرقطاء"،ص ٢٦٦؛ناب: سنّ. يقول: إن عضّت الشدائد الناس وأضرّت بهم دفعها، وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن أفقرته. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٤.

(٧) كنى بخصبه عن ماله، ودعا له بالبركة والكثرة إذ جعله ممتّد الظلّ. الشريشي، م.ن، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٣٧.

(٨) برّ: مكرم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٧.

(٩) آنس: أبصر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٧.

(١٠) شهبه: نيرانه الساطعة، واحدها شهاب. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٧.

(١١) ظرفه: حسن هيئته وعذوبة لسانه، وهو مصدر ظرف يظرف ظرفاً فهو ظريف. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٧.

(١٢) بلبس: اختلاط. أراد أنّه يخلط الهزل بالجدّ والمزاح، وخفّة الطرب بالانقباض والحشمة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٣٧.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٧.

(١٤) الجناس المفروق: وهو ما تشابه ركناه، أي الكلمة المفردة والأخرى المركّبة لفظاً لاخَطّاً. العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٦٠.

(١٥) سم: علم. سمة: علامة. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٥.

(١٦) الحريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣١؛ سمسمة: حبّة جلجلان. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ٢٦٥.

ومثال آخر في المقامة البرقعيديّة: "أزمَعْتُ الشخوصَ[١] من **بَرْقَعيدَ**[٢]، وقد شِمتُ[٣] **بَرْقَ عيد**"[٤]. فالجناس بين كلمتي برقعيد وهي مفردة، وكلمة برق عيد وهي مركّبة.

وقوله أيضاً: (بحر الهزج)

فمِحْرابِيَ[٥] **أحْرَى بِي**[٦]   وأسْمالِيَ[٧] **أسْمَى لِي**[٨]

فالجناس بين كلمتي أسمالي وهي مفردة، وكلمة أسمى لي وهي مركّبة.

١٤- الجناس المزدوج[٩]

كقوله في المقامة الشتويّة: "إذ **باع انباع**[١٠]، وإذا ملأ **الصاعَ انصاع**"[١١]. فنجد الكلمة الثانية مُرادفة على جهة التجانس ليكمل معناها وتقرّر فائدتها.

١٥- الجناس المُرتدّ[١٢]

كقوله في المقامة الحجريّة: (بحر الطويل)

---

(١) أزمعت الشخوص: عزمت على الخروج. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١،ص ٨٢.

(٢) برقعيد: بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخاً. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٢.

(٣) شمت: نظرت وبريد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٢.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٠؛ برق عيد: مقدّمات العيد الّتي ينظر الناس بها في أسبابه. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٢.

(٥) محرابي: مسجدي. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٦) أحرى: أحقّ بي. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٧) أسمالي: أثوابي الصورّة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٨) الحريري، م.س، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٢؛ أسمى لي: أعزّ لي وأرفع لقدري. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٨٣.

(٩) الجناس المزدوج: هو اتّحاد الركنَين في الحروف والحركات، مع زيادة حرف فأكثر، في أول أحدَيْهما، ويُشترط بأن يكونا مترادفَين ويسمّى المكرّر والناقص أيضاً. أنظر: ابن رشيق، **العمدة**، ج ٢، ص ٧٥؛ ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ١، ص ٢٧٦؛ وسمّاه ابن الأثير المجنّب؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٦٤؛ النويري، **نهاية الأرب**، ص ٩٣، وسمّاه النويري المرتدّ والمكرّر أيضاً؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٢٧.

(١٠) انباع: أي جرى ومدّ باعه، ومعناه: هرب منه في سيره. الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، مج ٢، ص ٢٤٦.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥١٠؛ انصاع: يقال صعت الشيء فانصاع أي فرّقته فتفرّق. ومعناه: إذا ملأ كيسه من عطاء قوم راح عنهم. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٤٦.

(١٢) الجناس المرتدّ: هو أن يجمع الناظم والناثر بين الركنَيْن بشرط أن يرد الواحدَ تلو الآخر، إمّا بكلّ حروفه، أو بنقص حرفٍ منها. ابن رشيق، م.س، ج ١، ص ٣٣٣؛ ابن منقذ، **البديع**، ص ٥١؛ ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، ص ٢٥٣.

بُنَـيَّ استَقِمْ فالعُودُ تَنمُو عُروقُـــــــــه قويماً ويَغشَاهُ إذا ما الْتَـوَى[١] التَّـــــــوَى[٢]
ولا تُطِع الحِرْصَ المُذِلَّ وكُـــــنْ فتىً إذا التَهَبَـــــــتْ أحْشَـاؤهُ بالطَّوَى[٣] طَوَى[٤]
وعاصِ الهَوَى المُرْدي[٥] فكَمْ مِنْ مُحَلِّقٍ[٦] إلى الجَوِّ لمّا أنْ أطاعَ الهَوى هَـــــــوَى[٧]
وأسْعِفْ[٨] ذوي القُرْبَى فيَقْبُحُ أنْ يُـــرى على مَنْ إلى الحُرِّ اللُّبابِ[٩] انضَوى[١٠] ضَوَى
وحافِظْ على مَنْ لا يَخُونُ إذا نَبــــــا[١١] زمانٌ ومَن يَرْعَى[١٢] إذا مـــا النَّوى[١٣] نَوَى[١٤]
وإنْ تَقْتَدِرْ فاصفَحْ فلا خَيْرَ فـــي امْرِئٍ إذا اعتَلَقَتْ أظْـفـــــــارُهُ بالشَّـوَى[١٥] شَوَى[١٦]
وإيّـــاك والشَكـــــــوى فلَمْ نَرَ ذا نُهى[١٧] شَكَا بَلْ أخُو الجَهْلِ الذي مَـا ارْعَوَى[١٨] عَوَى[١٩]

فقد جانس مردّداً في عجز البيت الأوّل بين لفظتي **التَوَى** من الالتواء: بمعنى اعــوَجَّ، وبــين **التَوَى** من فعل تَوِيَ يَتْوَى تَوَاً، فهو تَوٍ، والتوَى مقصورٌ بمعنى: الهلاك هنا.

---

(١) التوى: أعوج. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السابعة والأربعون: الحجرية"، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) التوى: الهلاك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) الطوى: الجوع. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٤) طوى: أي طوى عليه ضلوعه وستره. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٥) المردي: المهلك. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٦) المحلّق: الطائر يستدير في طيرانه. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٧) هوى: سقط. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٨) أسعف: اقض حوائجهم. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(٩) اللباب: الخالص. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٠) انضوى: انقطع إلى جودك وتعلّق به. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١١) نبا: ارتفع ولم يوافق. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٢) يرعى: يحفظ. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٣) النوى: البعد. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٤) نوى: أراده وقصده. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٥) الشوى: القوائم ويقال لجلدة الرأس شوى. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٦) شوى: صنع شواء وأولاها النار. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٧) نهى: عقل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٨) ارعوى: رجع وارعوى عن القبيح، كفّ عنه وحسن رجوعه ونزوعه عنه، من الرعوى وهي حسن المراجعــة والنزوع عن الجهل. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٧٤.

(١٩) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٤٧ – ٥٤٨.

وقد جانس في البيت الثاني بين لفظتي **الطَّوى** من فعل طوَى يطوي طيّاً – الرجلُ: تَعَمَّدَ الجوعَ وقَصَدَه، وبين **طوى** من الفعل طَوِيَ يَطوَى طَوىً – فهو طيّانُ وَطوٍ وطاءٍ بمعنى: جاعَ.

وقد جانس جناساً مُردّداً في البيت الثالث بين لفظتي **الهوى** من الفعل هَوِيَ يَهوَى هوىً الشيء: أحبَّه واشتهاه، فَمَلَكَ عليه عقلَه ولُبَّهُ، وبين **هَوَى** من الفعل هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا وهَوَيَاناً الشيءُ: سقَطَ من علٍ إلى أسفل، وهوى الرجلُ: مات.

وقد جانس مردّداً في عجز البيت الرابع، بين لفظتي **انضوى** من انْضَوَى إليه، وتحت لوائه انضواءً، بمعنى انْضَمَّ إليه وقيّد نفسه في ذُراه، وبين لفظة **ضَوَى** من الفعل ضَوِيَ يَضْوَى ضَوىً الرجلُ: دَقَّ عَظْمُه وقلَّ جسْمُه صورّةً، وقيل: هُزالاً.

وقد جانس مردّداً في البيت الخامس بين لفظتي: **النوى** بمعنى: الوجه الّذي يَنْويه المسافر من قُرْب، أو بُعْدٍ، وهي مؤنّثة لا غير، وبين لفظة **نوى** من العزم بالنيّة، على أن يتحوّل ويُسافر، والنيّة والنّوى جميعاً: البُعْدُ.

وقد جانس مردّداً في البيت السادس بين لفظتي **الشّوى** بمعنى: الأمر الهيِّن، وجلدة الرأس، وبين لفظة **شَوَى** من الفعل شَوَى يَشوي شيئاً اللحمَ: أي جعله شِواءً، فهو شاوٍ، واللحم مشويّ، وجلدة الرأس.

وقد جانس مردّداً في البيت السابع والأخير بين لفظتي **ارْعَوَى** بمعنى: كفَّ عن القبيح والجهل ورَجَعَ فهو مُرْعَوٍ، وبين لفظة **عَوَى** من عَوِيَ يَعْوِيَ عَيّاً الرجل البُرةَ أو القوسَ: عَطَفَها وحَنَاها ولَوَاها، أو من عَوَى الكلب والذئب وابن آوى، يَعْوي عُواءً: بمعنى نَبَحَ وصاحَ.

١٦ – الجناس المُسَمَّط(١)

كقوله في المقامة السماويّة: (بحر الهزَج)

أيَا مَنْ يَدَّعي الفَهْمَ ... إلى كَمْ يا أخَا الوَهْمْ
تُعَبِّي الذّنْبَ والذَّمَ ... وتُخْطِي الخَطَأ الجَمَّ(٢)
أمَا بانَ لَكَ العَيْبُ ... أمَا أنْذرَكَ الشَّيْبُ
وما في نُصْحِهِ رَيْبُ ... ولا سَمْعُكَ قَدْ صَمَّ
أمَا نادَى بِكَ المَوْتُ ... أمَا أسْمَعَكَ الصَوْتُ(٣)

---

(١) الجناس المسمّط: هو أن يأتي الشاعر بأربعة أقسام متساوية في بيت واحد. ويحفظ القافية في القسم الرابع. ابن حجّة الحموي، **خزانة الأدب**، ص ٥٢٩؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٧، ص ١٤٧؛ الحلّي، **شرح الكافية**، ص ١٩٦.

(٢) الجم: الكثير. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، مج ١، ص ١٣٩.

(٣) الصوت: الصوت هنا النياحة على الميّت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٤٠.

أمَّـا تَخْشَـــى مِنَ الفَـوْتِ فَتَحْتَــــاطَ وتَهْتَـــــمْ[١]

وقد جانس مسمّطاً، إذ أتى بأربعة أقسام متساوية، واحتفظ بالقافية في القسم الرابع، فقافية البيت الأول "الوهم" والثاني "الجِم" والثالث "صم" والرابع "تهتم".

وقوله أيضاً في المقامة الدمشقيّة: (بحر المتقارب)

لَزِمْـتُ السِّفَارْ[٢] وجُبْـتُ[٣] القِفارْ وَعِفْـتُ[٤] النِّفَـارْ لأجْنِي الفَـرَحْ

وخُضْتُ[٥] السُّيول ورُضْتُ[٦] الخُيُولْ لِجَـرِّ ذُيُـول الصِّبَـى والمَــرَحْ

ومِطْتُ[٧] الوَقَار وبِعْـتُ العَقَـــارْ[٨] لِحَسْوِ[٩] العُقَارْ[١٠] ورَشْـفِ[١١] القَدَحْ

ولولا الطِّمَــاحُ[١٢] إلى شُربِ رَاحْ لَمَـا كان باحْ[١٣] فَمِي بالمُلَـــحْ[١٤]

ولا كــانَ ساقْ دَهَائِـــي الرِّفاق لأرْضِ العِراقْ بِحَمْلِـــي السُّبَحْ[١٥]

فقد جانس جناساً مسمّطاً، فقافية البيت الأول "الفرح"، والثاني "المرح"، والثالث "القدح"، والرابع "الملح" والخامس "السبح".

وقوله أيضاً في المقامة البصريّة: (بحر مجزوء الرجز)

خَـلِّ ادّكَـــارَ الأرْبُـــعِ[١٦] والمَعْهَـــــدِ المُرْتَبَـــعِ

والظَّاعِـــنِ المُـــوَدَّعِ وعَـــدِّ[١٧] عَنْــــهُ وَدَعِ[١٨]

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ١٠٠.
(٢) السفار: مصدر سافرت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، مج ١، ص ١٥٢.
(٣) جبت: قطعت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٤) عفت: كرهت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٥) خضت: جزت ومشيت فيها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٦) رضت: ذللت وركبت. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٧) مطت: نحيت وأزلت ويقال: ماط وأماط: باعد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٨) العقار: المال الثابت الّذي لا ينقل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(٩) حسو: الشرب. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٠) العقار: الخمر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١١) رشف: مصّ. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٢) الطماح: ارتفاع النظر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٣) باح: تكلم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٤) الملح: الكلام الحلو. يريد أنّه فعل ما ذكر ليرتاح ويشرب الخمر. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٤ – ١١٥؛ سُبح: هـي خـرزات يـسبّح بعـددها. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٥٢.
(١٦) اذكار الأربع: تذكر المنازل. الشريشي، م.ن، "المقامة الخمسون، البصريّة"، مج٢، ص ٣٠٠.
(١٧) عدّ: كف. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.
(١٨) دع: اترك. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.

وانْدُبْ[١] زَمانــــاً سَلَفَـــا	سَــوَّدْتَ فيــــه الصُّحُفَا[٢]
ولَــــمْ تَــزَلْ مُعْتَكِفَــا	علــى القَبِيــحِ الشَّنِــعِ
كَـــمْ لَيْلَــةٍ أَوْدَعْتَهَـــا	مَآثِمَـــاً أَبْــدَعْتَهَـــا
لِشَهْـــوَةٍ أَطَعْتَهـــا	في مَرْقَـــدٍ ومَضْجَـــعِ
وكَــمْ خُطىً حَثَثْتَهـــا[٣]	فــي خِزْيَـــةٍ[٤] أَحْدَثْتَهَـا
وتَوْبَـــةٍ نَكَثْتَهـــا[٥]	لِمَلْعَـــبٍ ومَـــرْتَـــعِ
وكَـــمْ تَجَـــرَّأْتَ على	رَبِّ السَّمَـــواتِ العُلــى
ولَـمْ تُراقِبْـــهُ ولاَ	صَدَقْـتَ فيمَـــا تدَّعِـي
وكَـمْ غَمَصْتَ[٦] بِـــرَّهُ	وكَـــمْ أَمِنْــتَ مَكْــرَهُ
وكَـــمْ نَبَــذْتَ[٧] أَمرَهُ	نَبْذَ الحِــذَا[٨] المُرَقَّـــعِ
وكَمْ رَكَضْــتَ في اللَّعِبْ	وفُهْـــتَ[٩] عَمْداً بالكَذِبْ
ولَـمْ تُــراعِ ما يَجِـــبْ	مِـــنْ عهْـدِهِ المُتَّبَـعِ[١٠]
فاخْضعْ خُضُوعَ المُعترِفْ	ولُــذْ مَـــلاذَ المُقترِفْ
واعْصِ هَواكَ وانْحَــرِفْ	عنْــهُ انْحِـرافَ المُقْلِـــعِ[١١]

فقدْ جانس جناساً مسمّطاً، إذ إنّه أتى بأربعة أقسام متساويّة، واحتفظ بالقافية في القسم الرابـــع، فقافية البيت الأوّل "ودع"، وقافية البيت الثاني "الشنيع"، وقافية البيت الثالث "مضجع" والرابـــع "مرتـــع" والخامس "تدعي" وهكذا.

---

(١) اندب: ابك. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، مج٢، ص ٣٠٠.
(٢) الصحف: الكتب. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.
(٣) حثثتها: عجلتها. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.
(٤) خزي: هوان. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.
(٥) نكثتها: نقضتها. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠٠.
(٦) غمصت: نقضت. الشريشي، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، مج٢، ص ٣٠١.
(٧) نبذت: تركت. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠١.
(٨) الحذا: مخفف الحذاء: النعل. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠١.
(٩) فهت: نطقت. الشريشي، م.ن، مج٢، ص ٣٠١.
(١٠) جانس الحَريري جناساً مسمّطاً في هذا البيت مرّة أخرى بقافية "المتّبع" ثمّ "المقلع" أيضاً.
(١١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩٦ – ٥٩٧.

تدلّنا النماذج المذكورة من الجناس وأقسامه في **مقامات** الحَريري إلى أنّه نجح في إظهار قدراته الفنّية والبلاغيّة. وكثرة الجناس أدّت إلى الإيقاع والموسيقى الخاصّ في **مقاماته** أيضاً.

ب- الجِناس في مقامات الحَميدي

إنّ **مقامات** الحَميدي قائمة على استعمال شامل للمحسّنات البديعيّة، لا سيّما الجناس. وقد أكثر الحَميدي في استعمال الجناس إكثاراً مفرطاً حتّى أنّنا لا نجد عبارة نثراً ونظماً لا يكون فيها جناس إلاّ قليلاً. واستقصاء ذلك يطول به الكلام فنكتفي بذكر الأمثلة منه نحو: الجناس التام وأقسامه، والجناس غير التام وأقسامه، والجناس المذيّل، والجناس المركّب المفروق، والجناس المغاير، وجناس القلب، والجناس الخطّي، والجناس المزدوج، والجناس المشتق.

١- الجناس التام

(أ) الجناس المماثل بين الاسمين نحو: (وزن خفيف مسدّس مخبون محذوف = فعلاتن مفاعلن فعِلن)

به سخنهاى دلفريب و**غريب**   در زمانه **غريب** بايد بود[١]

ترجمة الشاهد

في الزمن الغريب عليك ترك الكلام الجذّاب المخادع والغريب.

والجناس المماثل بين الفعلين كقوله: (وزن هَزَج مسدّس اخرب مقبوض محذوف = مفعولُ مفاعلن فعولن)

برخاك زمين نگار **مى ديدم**   در بهمن ودى بها ر **مى ديدم**

وزعكس رخ بتان تاتارى   صد گلشن ولاله زار **مى ديدم**

برفرق وعذار هرسهى‌سروى   هر روز گلى به بار **مى ديدم**[٢]

مى ديدم: كنتُ أرى

ترجمة الشاهد

- كنت أرى حبيبي على تراب الأرض، كنتُ أرى فصل الربيع، في شهور الشتاء.
- وكنت أرى من صورة الحسناوات المعبودات التتريّات، مائة بستان وحديقة الورود.
- وكنت أرى على رأس ووجه شجر السرو، ورداً يُثمر كلّ يوم.

أو في مقامة بلخ: (وزن مضارع مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

---

(١) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٠.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٤٩.

پايم چو بسته نيست به جايى سفركنم　　كز باد او نسيم بهارى **بـه من رسد**

در تربتى نهم زسفر پاى كاندر او　　هرصبح بوى‌مشك تتارى**به‌من‌رسد**

دربيشه اى شكاركنم كز فوايـدش　　روزى‌هزارگونه شكارى**به‌من‌رسد**

ساكن چراشوم به زمينى وخطّه‌اى　　كزباش او مذلّت وخوارى**به‌من‌رسد**[1]

به من رسد: يصل إليّ

ترجمة الشاهد

- لأنّ رجلي غير مكبّلة سأسافر إلى حيث يصل إليّ نسيم الربيع من ريحه.
- أحلُّ في أرضٍ يصل إليّ كلّ صباح ريح المسك.
- أصطاد في الغابة حتّى يحصل لي من فوائده يوميّاً آلاف أنواع الصيد.
- لماذا أسكن في أرض أذلُّ بها.

أو في مقامة النسّابة: (وزن هزج مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعـولُ مفاعيـلُ مفاعيـلَ فعولن)

بادل گفتم كه دل زيـاران **بركن**　　وزبد عهدان بى شماران **بركن**[2]

بركن: دع.

ترجمة الشاهد

قلت لقلبي: دع عنك الرفقاء، دع عنك من لا يوفون بعهدهم وما أكثر عددهم.

(ب) الجناس المستوفَى بين الاسم والحرف كقوله في المقامة السكباجيّة: "بارك اللهُ **فيك**، ونثر الدُرر منْ **فيك**"[3].

فقد جانس بين لفظتي فيك، والأولى هي الاسم أي فم، والثانية هي حرف جرّ.

٢- الجناس غير التام

(أ) الجناس المضارع في أوّل اللفظ نحو: "**لنا في النادي ثُغاء وفي الوادي رغاء**"[4].

فالجناس هنا في أوّل اللفظ بين كلمتي النادي والوادي، لأنّهما اختلفا في حرف واحد وهو وقـع في أوّل اللفظ، كما نجد ذلك بين كلمتي ثغاء ورغاء.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٢.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٠.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٧.

وقوله أيضاً: "فاقتدوا بالشهداءِ **الغابرينَ** واعلَمُوا أنّما الدُّنيا طريقُ **العابرين**"[١].

فالجناس في أوّل اللفظ بين كلمتي الغابرين والعابرين.

وقوله أيضاً: (بحر الوافر)

فَقَدْرُ المَــرْءِ يَظْهَــرُ **بالأَقَارِبْ** فَلا تَقُــلِ الأَقْــارِبُ **كالعَقَارِبْ**[٢]

وقوله أيضاً: (بحر البسيط)

اَمِطْ عنِ الدُرَرِ الزُهرِ **اليوَاقيتَــا** وَاجْعلْ لِحَجِّ تلاقِينــا **مَواقِيتَــا**[٣]

وقوله أيضاً: "باخودگفتم: لا **عَيبَ** بعد **الغيب**"[٤].

ترجمة الشاهد

قلت لنفسي: لا عيب بعد الغيب.

أو "الكريم **حمولٌ** واللئيم **خمول**"[٥].

والجناس المضارع في الوسط نحو: "طبع **مشتغل** قدم را يارى مى كـرد، وعـشق **مُـشتعل** مشعله دارى مى كرد"[٦].

ترجمة الشاهد

الطبع المشتغل كان يساعد على سير الأقدام، والعشق المشتعل كـان يحمـل المـشعل وينيـر الطريق.

والجناس المضارع في الآخر نحو: "اى **جوانِ جَواد**"[٧].

ترجمة الشاهد

أيّها الفتى الجواد.

(ب) الجناس اللاحق في أوّل اللفظ كقوله: "وفي المكارم جِفانٌ **دائرةٌ** وعـن المحـارمِ أجفـان **عائرةٌ**"[٨].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٢.
(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٠.
(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.
(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤١.
(٥) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٦.
(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.
(٧) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٦.
(٨) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٧.

وفي وسط اللفظ نحو: (بحر الطويل)

فَبِــتُّ وأثْوَابُ المَصَائِبِ **سابِغَةٌ** وأجْرَعُ كاسَاتِ الهَوَى غَيرُ **سائِغَة**[١]

٣- الجناس المذيّل[٢]

كقوله: "اى **پير**، از **پيرايهِ** پيرى مَرْشكوفه سپيد مويى را سنگى نيست"[٣].

پير: العجوز، المسنّ وقصد بها الشيخ پيرايه: الزينة، وهنا القيمة

فنلاحظ أنّ لفظتي پير وپيرايه متجانسين في اللفظ، إلاّ أنّ أحدهما أي پيرايه يضاف إلى آخرها حرف "ايه".

ترجمة الشاهد

أيّها الشيخ، القيمة والوقار ليست في زهرة الشعر الأبيض.

٤- جناس المركّب المفروق[٤]

كقوله: "اى پير **همدان**، بدان كه **همه دان** جز خدانيست"[٥].

ترجمة الشاهد

يا شيخ همذان، اعلم أنّ الله وحده يعلم كلّ شيء.

تجدر الإشارة إلى أنّ همدان اسم مدينة وقعت في غرب إيــران، ومعناهــا العلاّمــة، ولفــظ همه دان بنفس المعنى أيضاً.

٥- الجناس المغاير

كقوله: "چون آدم **عالِم** اسماء وچون **عالَم** حامل اشياء"[٦].

ترجمة الشاهد

مَثل آدم حامل الأسماء، كمثل العالم حامل الأشياء.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٦.

(٢) الجناس المذيّل: ما جاء من ركنَين متجانسيّن في اللفظ متّفقين في الحركات، لكن ينفرد أحدُهما عن الآخر، بــأن يُزاد في آخره حَرْفٌ، يكون له كالذّيل، وسمّاه بعضهم الزائد، نظراً إلى الركن الزائد، والناقص نظراً إلى الــركن الخالي عن الزيادة. أنظر: العبّاسي، **معاهد التنصيص**، ج ٣، ص ٢٣٠؛ ابن منقذ، **البــديع**، ص ١٢٥؛ الحلّــي، **شرح الكافية**، ص ٦٣؛ العلوي، **الطراز**، ج ٢، ص ٣٦٢؛ ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، ص ١٠٧.

(٣) حميدى، م.س، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣.

(٤) جناس المركّب المفروق: يكون الركنان متشابَهين لفظاً لا خطّاً. ابــن حجّــة الحمــوي، **خزانــة الأدب**، ص ٦؛ الصفدي، **جنان الجناس**، ص ٢٤؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ١٢.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢١.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.

ومن قوله شعراً: (بحر المتقارب)

وقُلْـتُ أُقِيمُ بِـأمِّ **القُـــرَى** ففِيها لِكُـــلِّ نَزِيـــلِ **قِرَى**

وأقْصِمُ ظَهْــرَ **المُنى في مِنًى** وأكْسِرُها قَبْلَ كَسْــرِ **القِرى**[١]

فالجناس وقع بين كلمتي القُرى والقِرى، وبين كلمتي المُنى ومِنى أيضاً.

وقوله أيضا: "اين **مَقام** اختياري نيست، واين **مُقام** جز اضطراري نه"[٢].

ترجمة الشاهد

هذا المَقام ليس اختياراً، وهذا المُقام ليس إلاّ اضطراراً.

٦- جناس القلب (ما لا يستحيل بالانعكاس)

فقد ذكر نموذجاً واحداً لصنعة القلب أو العكس نثراً، الّذي ليس له معنى بقوله: "نزكين مرك يار راى كرم نيك زن"[٣].

كما أنشد نموذجاً واحداً شعراً: (وزن هَزَج مثمّن أخرب مكفوف مجبوب = مفاعيلن مفـــاعيلن مفاعيلن فَعَلْ)

شكّر بترازوىِ وزارت بركـــش شو همره بلبل بِلَبِ هَرْمَهْوَش[٤]

فقد وقع جناس القلب في كُلِّ مِصْراعٍ من البيتِ على حِدَةٍ.

ترجمة الشاهد

زِنْ السكّر بميزان الوزارة، واجلس مع البلبل على شفة كلّ جميل الوجه.

٧- الجناس الخطّي

كقوله في المقامة اللغزيّة: "پس بحسب مراد، **اجتياز اختيار** كردم"[٥].

اجتياز: السفر

ترجمة الشاهد

فبحسب المراد، اخترت السفر

٨- الجناس المزدوج

كقوله في المقامة الوعظيّة: "الأُكْلَةُ بَعْدَ الأكلةِ **مُضِرَّتانِ**، والبِطنةُ مع الفِطنة **ضَرَّتان**"[٦].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٢.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٥.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٦١.

(٥) حميدى، م.ن، ص ٥٣.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٧ – ١٠٨.

٩- الجناس المشتق[١]

كقوله في المقامة الملمّعيّة: "منازلِ **شاق** رابه پايِ **اشتياق** مى سپردم"[٢].

ترجمة الشاهد

عبرتُ المنازلَ الصعبةَ شوقاً على الأقدام.

وقوله في المقامة اللغزيّة: "به طريق **ارتياض** در آن **رياض** مى گشتم"[٣].

ترجمة الشاهد

كنتُ أسير في تلك الروضة ارتياضاً.

وقوله أيضاً: شيطان هوى از **عقال عقل** گريخته"[٤].

ترجمة الشاهد

قد هرب شيطان الهوى من عقال العقل.

لاحظنا أنّ الحَميدي اعتمد الجناس وأقسامه بكثرة محاكاةً ومعارضةً للحَريري.

* * *

حصلنا على النتائج التالية:

- لم يستشهد الحَريري بأشعار الشعراء القدماء إلاّ بيتَيْن منفردين، وكذلك الحَميدي لم يستشهد بأشعار الشعراء القدماء ما عدا بضعة أبيات، عددها أقلّ من عشرة أبيات. ويرجع سبب ذلك إلى أنّهما لم يستشهدا بأشعار الشعراء عن عَمَد لإظهار قدراتهما الشعريّة. ولا شكّ في أنّ الحَميدي تأثّر بالحَريري في هذا المجال.

- بعد إحصاء أبيات الحَريري والحَميدي تبيّن لنا أنّ الحَريري نظم بحر السريع، والكامل، والخفيف في **مقاماته** أكثر من بحور أخرى، كذلك الحَميدي نظم بحر البسيط، والطويل، والوافر في **مقاماته** أكثر من بحور أخرى. ورأينا أنّهما لم يعتمدا هذه البحور متعمّداً، بل نظما أشعار مقاماتهما في هذه البحور متجاوباً مع روح عصرهما.

---

(١) الجناس المشتق: هو ما أُخرج شيءٌ من شيء يُناسبه في اللفظ والمعنى، كإخراج الأفعال من مصادرها، وإمّا أن تأتي باسمٍ بسيط وتشطره بعمل التحليل نصفين ويكون لكلّ نصفٍ معنىً مستقل بالمفهوميّة. ويسمّى الأوّل عندهم الاقتضاب، والثاني التحليل. أنظر: ابن المعتز، **البديع**، ص ٥٥؛ ابن رشيق، **العمدة**، ج ١، ص ٢٢٣؛ ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، ص ١٠٣؛ ابن حجّة الحموي، **خزانة الأدب**، ص ٤٥٠؛ النابلسي، **نفحات الأزهار**، ص ٢٤٥.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٤.

(٤) حميدى، م.ن، ص ٥٥.

- استعمل الحَريري فنّ التوشيح والتصريع والتقفيّة ولزوم ما لا يلزم. وأنشد الحَميدي شعراً ملمّعاً لإظهار قدراته الفنيّة تجاه الحَريري. وفي الواقع، تفوّق الحَريري على الحَميدي في محاولته في التفنّن بالقوافي، وبناء بعض الأشعار على أكثر من قافية أمر في غاية التفرّد ويحتاج جهداً عالياً وموهبة.

- يكون السجع في نثر **مقامات** الحَريري والحَميدي كالقافية في الشعر، وأدّى ذلك إلى الموسيقى والإيقاع في الكلام نثراً ونظماً. وكثرة الألفاظ المسجوعة في مقاماتهما تدلّنا على أنّ مقصودهما بالتسجيع في الكلام إنّما اعتدال المقاطع وجَرْيه على أسلوب يميل إليه طبع الإنسان وقريحته، وتتشوّق إليه النفس البشريّة. فلهذا اختار كلاهما المفردات المسجّعة الحلوة المذاق الّتي يحبّ الإنسان سماعها ولو أنّها غير مفهومة أحياناً. ومن هنا أدّى ذلك إلى أن تكون الألفاظ المسجوعة بعض الأحيان من دون معنى، أو متكلّفة، أو غير مألوفة غريبة.

- **مقامات** الحَريري والحَميدي مملوءة بالمحسّنات البديعيّة، لا سيّما صنعة الجناس في الشعر والنثر، حتّى إنّها أصبحت غاية يسعى وراءها الحَريري والحَميدي، ليبرهنا مقدرتهما الفنيّة واللغويّة في تصيد ألوان البديع، ولو ضحيا أحياناً في سبيل ذلك بجمال المعنى وسلامة التعبير وقادهما ذلك إلى التكلّف والتعقيد في اللفظ.

- ومن خلال النماذج الواردة في هذا الفصل من السجع والجناس نثراً ونظماً، تظهر لنا **مقامات** الحَريري والحَميدي شيوع نثرٍ فنّي قلّ استعماله عند القدماء، وكان يأتي عفواً وخادماً للمعنى، أمّا عند الحَريري والحَميدي فكان هذا النثر المرصّع بالبديع غاية في حدّ ذاته في معظم الأحيان، وقد كان الحَميدي في معظم نتاجه مقلّداً نثر الحَريري.

- وتدلّنا كثرة استعمال الصناعة البديعيّة في **مقامات** الحَميدي على أنّه قلّد المقامات العربيّة، لا سيّما **مقامات** الحَريري.

الفصل الثاني

البناء الصرفي والتركيبي في مقامات الحَريري والحَميدي

موضوع هذا الفصل (أي البناء الصرفي والتركيبي في **مقامات** الحَريري والحَميدي) يتطلّب دراسة مُوَسّعة منفصلة فخوفاً من إطالة الكلام اقتصرنا على أهمّ الظواهر الصرفيّة والنحويّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا نعرف أنّ كلّ لغة لها طابعها الاجتماعي الخاصّ في التعبير، ولها ميزاتها الخاصّة من دون غيرها، ولا تطابق لغة أخرى من جميع الجهات في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها ونظمها وغير ذلك. فلذلك لا نلاحظ تشابهاً كثيراً في عناوين الصرف والنحو المختارة في **مقامات** الحَريري والحَميدي.

يتناول هذا الفصل ثلاثة مباحث؛ المبحث الأوّل: التكلّف والاصطناع في **مقامات** الحَريري والحَميدي، فنقصد بذلك دراسة نماذج من المفردات والعبارات الزائدة أو أحياناً بدون معنى في المقامات المؤدّية إلى التكلّف والتصنّع في الألفاظ. والمبحث الثاني: البناء الصرفي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، ونتحدّث فيه عن أهمّ الظواهر الصرفيّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي. والمبحث الثالث والأخير: البناء التركيبي في **مقامات** الحَريري والحَميدي، وكذلك نتحدّث فيه عن أهمّ الظواهر النحويّة في **مقامات** الحَريري والحَميدي. ونقصد بهذا الفصل أن نعرف البناء الصرفي والتركيبي في الأديبَيْن العربي والفارسي من خلال **مقامات** الحَريري والحَميدي.

أوّلاً: التكلّف والاصطناع في مقامات الحَريري والحَميدي

نجد التزام الحَريري والحَميدي بالمحسّنات البديعيّة، لا سيّما السجع والجناس، واعتمادهما الألفاظ الغريبة في مقاماتهما أدّى إلى التكلّف والاصطناع، وصعوبة فهم المعنى المراد في المقامات، فنذكر نماذج منه في **مقامات** الحَريري، ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ- التكلّف والاصطناع في مقامات الحَريري

أكثر الحَريري من استعمال الألفاظ الصعبة والمفردات الغريبة النادرة، واعتنى بالتزويق اللفظي ويرجع سبب ذلك إلى أنّه قد وضع **مقاماته** معارضة للمقامات الهمذانيّة، كما اعترف نفسه بذلك في مقدّمة **مقاماته**. وما يلفت النظر هنا هو أنّ بديع الزمان الهمذاني كان مبتكر فنّ المقامة وغرضه الأصلي من وضع المقامات كان تعليم الناشئين، فمن الطبيعي، أنّه يختار المفردات الغريبة ونادرة الاستعمال، والكنايات والاستعارات. أمّا الحَريري فزادَ على بديع الزمان الهمذاني في اختيار الألفاظ الحوشيّة المتكلّفة لأنّه وضع تقليداً ومعارضة لمقامات الهمذاني، فمن الواضح أنّه يحاول أن يُظهر قدراته الفنيّة واللغويّة تجاه مبتكر فنّ المقامة.

اعتمد بديع الزمان الهمذاني التصنّع في اختيار الألفاظ الصعبة في قالب الاستعارات التخيليّة وابتكر فيها، بيد أنّ الحَريري أفرط في اختيار الألفاظ النادرة والغريبة معارضةً للهمذاني وبذل جهداً كبيراً لذلك.

فهذا الأمر أي التقليد والمعارضة في اعتماد الألفاظ الصعبة والعجيبة والغريبة أدّى إلى ضعف المعنى من جهة، وإلى الحاجة للشرح والتوضيح من جهة ثانية، خلافاً للمقامات الهمذانيّة لأنّها لا تحتاج إلى الشرح والتوضيح بسبب أسلوبه السهل الممتنع.

ومن أهمّ ما يميّز نثر مقامات الحَريري وأسلوبها الإنشائي الصعوبة والمغالاة في اختيار الألفاظ، فلا ريب أنّ صعوبة نصّ **مقامات** الحَريري لا تنقص من شأنها في اعتبارها مقامات ناجحة رغم غلبة الصنعة عليها. فنذكر نماذج من التكلّف والتصنّع في **مقامات** الحَريري كما يلي: استعمل الحَريري أحياناً مفردات زائدة الّتي لا تزيد على المعنى، وأفرط فيها إفراطاً شديداً مثال ذلك في المقامة الصنعانيّة[1] إذ يريد أن يقول إنّ الأمور الدنيويّة عند بعض الناس ألذّ من الأمور الأخرويّة. ولكنّه لا يكتفي بهذا بل يكرّر هذا الموضوع نفسه بصور شتّى وفي قالب عبارات مسجوعة. فاعتماده على السجع وإفراطه في استعمال الأسجاع أدّى إلى التعسّف في الألفاظ. وهذا الموضوع لا يُدرك بسهولة بسبب مهارة الحَريري الفنيّة.

كما نجد أبا زيد السروجي في المقامة الصنعانيّة يخطب خطبة وعظيّة ويذمّ الدنيا بعبارات مسجّعة، حتّى نصل إلى هذه العبارات: "... يواقيتُ الصِّلاتِ أعلَقُ بقلبك مِنْ مواقيت الصَّلاة، ومُغالاة الصَّدُقات، آثَرُ عندَك مِنْ مُوالاةِ الصَّدَقات"[2].

فأصبح كلام الحَريري في هذه العبارات خالياً من اللطف لأنّه وضع أوقات الآذان بإزاء اليواقيت، ونحن نعرف أنّ أوقات الآذان أمر معنوي والياقوت أمر مادّي. ومن جهة أخرى الصلة عادة تكون الذهب أو الفضّة لا الياقوت. حصل كلّ هذه الأمور لأنّ الحَريري أراد أن يجانس بين كلمتي صِلات وصَلاة، وأن يكتب سجعاً بين كلمتي اليواقيت والمواقيت.

كما أنّ محاولته لأجل الجناس الخطّي بين كلمتي صُدقات وصَدقات لا تتناسب مع عبادة الدنيا كثيرةً، لأنّ الصداق يحصل بعد اتّفاق الطرفين، وحسب العادات السائدة في المجتمع في كلّ بلد، ومن جهة أخرى هذا الأمر أي الصداق يتعلّق بالنساء. وفي حال أنّ النساء لم تكن مخاطبات في هذا المسجد. فمحصّلة القول، أنّنا لا نجد علاقة بين مقصود الخطيب وأقواله المذكورة.

---

(١) أنظر: الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٣.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ١٣.

ويقول الشريشي في شرح عبارة: "فدخلتُها خاويَ الوفاض"[١]: خاوي الوفاض: "فارغ الزاد، والوفاض جمع وفضة وقالوا: إنّها خريطة يحمل فيها الراعي أدواته وزاده، والوفضة جعبة السهام. وخطأ الحَريري لأنّ الزاد لا يكون في الجعبة، فهو المخطئ والجاهل باتّساع اللغة"[٢].

أو في المقامة الكوفيّة: "وإنّ من أعجبها ما عايَنْتُهُ الليلةَ قُبيل انتيابكم"[٣]. انتيابكم: أي قبل قصدي إيّاكم، وأصل الانتياب تكرّر النوبة، يقال: نابه ينوبه إذا نزلتْ به نوبة بعد نوبة. ومن ههنا غلط الحَريري لأنّه استعمل اللفظ في غير محلّه وبشكل تعسّفي.

وفي المقامة المراغيّة يقول: "واستعنتُ بقاطبة الكُتّاب فكلٌّ منهم قَطَّبَ وتابَ"[٤]. بقاطبة الكتّاب: خطأ عند العرب؛ لأنّ قاطبة لا تُضاف، وإنّما تقع حالاً، والوجه الصحيح هو: بالكُتّاب قاطبة، وإنّما استهواه السجعُ.

وفي المقامة السمرقنديّة ألّف الحَريري خطبة مهملة أي بدون النقط، وبعد الحمد والثناء لله يقول: "... مالِك الأمم، ومُصوِّر الرمَم، وأهلِ السَّماح والكرم، ومُهلِك عاد وإرَم، أدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُه، ووَسِعَ كُلَّ مُصرٍّ حِلْمُه"[٥]. فيشير الحَريري إلى صفات الله، منها أنّه مصوّر العظام الرفات؛ فلا شكّ في أنّ الله هو قادر على كلّ شيء وهو يحيي ويميت ثمّ يحيي مرّة أخرى. وأمّا ما يلفت النظر فهو أنّنا غالباً نستعمل صفة المصوّر للأمور الجميلة لا للاعتبار. فالتزام الحَريري بالسجع بين كلمتي الأمم والرمم أدّى إلى النقص في المعنى.

أو في المقامة الواسطيّة يقول: "ها هو أمّكم، وحلَّ حَرَمَكُم، مُملّكاً عروسكم المكرَّمة"[٦]. يقول العُكْبَرِي[٧] إنّ: "مملّكاً: من قولك: أملَكتَ المرأة: إذا عَقَدْتَ عليها لغيرك، وأمّا الزوج، فيقال فيه: مَلَك المرأةَ، أي: تزوّجها بغير ألف. والحَريري جعلها بالألف، وهو غير معروف، وأصله من المُلْك، وهو القوّة، وملَّكْتُ العجينَ: أحكمت عَجْنه"[٨].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠.

(٢) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٦.

(٣) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٣.

(٤) الحَريري، **م.س**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٤.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٧.

(٦) الحَريري، **م.س**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠٤.

(٧) العُكبري: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محبّ الدين. ولد سنة ٥٣٨/ ١١٤٣ ببغداد، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. من كتبه: **شرح ديوان المتنبّي**، و **البيان في إعراب القرآن**، **شرح المقامات الحَريرية**، وغير ذلك. أصيب في صباه بالجدري، فعمي. ووفاته ببغداد سنة ٦١٦ / ١٢١٩. الكتبي، **فوات الوفيات**، ج١، ص ٢٦٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٤، ص ٨٠.

(٨) أبو البقاء العكبري، **شرح الألفاظ اللغويّة للمقامات الحَريرية**، ص ٢٥٥.

أو في المقامة الحراميّة يصف مدينة البصرة على الشكل التالي: "... لما أجْمَع عليه أربابُ الدراية، وأصحابُ الرواية، من خصائص معالمها وعلمائها، ومآثر مشاهدها وشهدائها، وأسال الله أن يُوطِئَني ثَراها، لأفوز بمراها"(١).

فقد جانس بين كلمتي مشاهد وشهداء جناساً اشتقاقيّاً، ولكنّ هذا الجناس ليس مقبولاً وجميلاً لأنّه جعل الشهداء مقابل الأماكن الأثريّة! كما أنّه جعل كلمة مرا مقابل ثرا؛ وقد رخّم كلمة مرآ وأصلها المَرآة أو المَرأى بمعنى المنظر سجعاً لكلمة ثرى بمعنى تراب، فهذا الأمر غير جائز في النثر إنّما جائز في الشعر.

كقوله أيضاً: "إنّ المستشارَ مُؤتَمَن، والمُسترشِد بالنصح قَمِن"(٢). فنلاحظ أنّه رخّم كلمة قمين بمعنى جدير وحقيق قافيةً لكلمة مؤتمن.

نكتفي بذكر هذه الأمثلة، ولا شكّ في أنّنا نجد أمثلة أخرى في **مقامات** الحَريري من التكلّف والتصنّع، إلاّ أنّه بقلمه القويّ وقدراته الفنيّة واللغويّة، وسيطرته على اللغة العربيّة، قد يُشكل على النقّاد أحياناً أن ينتقدوا **مقاماته** ويذكروا نقاط ضعفه في التأليف.

من خلال ما تقدّم، يمكننا القول: إنّ من أهمّ أسباب التكلّف والتصنّع في **مقامات** الحَريري هو أنّ الحَريري ألّف **مقاماته** تقليداً ومعارضةً للمقامات الهمذانيّة، فمن الطبيعي أنّه حاول أن يظهر جميع قدراته الفنّيّة واللغويّة في تأليف مقامات أحسن من **مقامات** الهمذاني. فهذا الأمر جعل نصّ **مقاماته** صعباً ومتكلّفاً وبحاجة إلى الشرح.

ب- التكلّف والاصطناع في مقامات الحَمِيدي

تأثّر الأدب الفارسي بالأدب العربي نثراً ونظماً ولفظاً ومعنى وموضوعاً وأسلوباً. كما تأثّر الحَميدي بالحَريري في تأليف **مقاماته**، لا سيّما في الأسلوب.

ترجع سوابق انتشار الصناعات البديعيّة واعتماد المحسّنات البديعيّة في الأدب الفارسي إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ لأنّ النثر الفارسي حتّى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كان سهلاً وبعيداً عن الصناعات اللفظيّة والتكلّفات اللغويّة، لا سيّما السجع والجناس والإطناب والإسهاب. وبعد مرور قرن من تطوّر الأدب العربي قام الأدباء الفرس بتقليد الأدباء العرب في إنشاد الأشعار وكتابة النثر، واستفادوا من فنون العرب البديعيّة وصناعتهم الفنيّة. كما قلّد الحَمِيدي **مقامات** الحَريري في الفنون

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٥٧.

(٢) الحَريري، **م.ن**، ص ٥٦١.

البلاغيّة كالسجع والجناس وقد أكثر من استعمالها، وركّز على المحسّنات البديعيّة في مقاماته؛ واستعمل هذه الصناعات كلّها في موقعها من دون تكلّف وبأجمل صورة إلاّ قليلاً.

إنّ التزام الحَميدي بالسجع والمحسّنات البديعيّة أدّى إلى ركاكة بعض الألفاظ والتعقيد في بعض مقاماته، لا سيّما أشعاره العربيّة. زيّن الحَميدي **مقاماته** بالأشعار العربيّة والفارسية؛ وقد قصد بإنشاد الأشعار العربيّة إفادة القرّاء الفرس وتعليمهم اللغة العربيّة، والاستمتاع بذخيرتها الفنيّة والفكريّة أيضاً، على خلاف ادعائه في مقدّمة مقاماته، إذ إنّه قال إنّني أؤلّفُ **مقامات** بالفارسية ليفيد العجسم؛ غير أنّ كثرة الألفاظ والتراكيب العربيّة جعلت مقاماته نصّاً عربيّاً متكلّفاً يستلزم المعرفة والعلم باللغة العربيّة والقرآن والأحاديث النبويّة والأمثال العربيّة. والقارئ والسامع الفارسي الّذي لا يعرف العربيّة نهائيّاً أو يعرف قليلاً، لا يفهم شيئاً من مقامات الحَميدي شيئاً ولا يدركها إدراكاً تامّاً.

ونجد أحياناً ضعفاً وركاكة في كلام الحَميدي أو تكلّفاً، أو انحرافاً عن أسلوب كتابة النثر الفارِسي، نحو التقديم والتأخير في استعمال الفعل، أو الإفراط في استعمال الفعل المجهول وغير ذلك بسبب تأثّره بمؤلّفات معاصريه أسلوباً. فنذكر نماذج يظهر فيها التكلّف والتصنّع في **مقامات** الحَميدي باختصار نحو: "فَتَعَلَّقَتُ بِظَوافِرِ اللّيلِ وتَمَسَّكْتُ بِحَوافِرِ الخَيْلِ..."[1]. لا ريب أنّه قد قصد بكلمة ظوافر، كلمة أظافر، فاختار كلمة ظوافر سجعاً لكلمة حوافر. لأنّ ظوافر جمع ظافرة، وظفر جمعه أظافر أو أظافير.

"**وقتى از اوقات** كه دور صبِى چون نسيم صبا بر گذشت..."[2].

وقتى از اوقات: وقت من الأوقات

ترجمة الشاهد

في وقت من الأوقات مرّت عليّ أيّام الصبى كنسيم الصبا.

استعمل عبارة وقت من الأوقات لذكر الحوادث والوقائع، فهذا الأمر لا يتناسب مع الجملة بعدها، لأنّ الجملة الثانية من الأمور اللازمة في الحياة وأراد أن يصوّر مرور عهد الشباب بمرور نسيم الصبا من حيث السرعة. فمن الأفضل أن يقول: وقتى كه ايام صبى، چون نسيم صبا بر من گذشت... بمعنى لمّا مرّت عليّ أيّام الصبى كنسيم الصبا...

"امروز به ضرورت بندش برنهادند. اينك چون **نگارستان** در بيمارستان نشسته است..."[3].

نگارستان: الروضة

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٣.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤١.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٤٣.

ترجمة الشاهد

اليوم ربطوه بحسب الضرورة، والآن هو جالس في المستشفى كالمعشوقة الحسناء.

شبّه الحَميدي الإنسان العاشق والمجنون بنگارستان أي الروضة، وهذا التشبيه ليس بديعاً. فإذا كان المشبّه به كلمة نگار بمعنى جميل الوجه، تكون أحسن.

وقوله أيضاً: (بحر البسيط)

وطارقاتُ نَذيرِ الشَّيْبِ إذ نَزَلَتْ   يَفِرُّ عَنْ رَوضَةِ اللَّذاتِ شَيْطان

ومِنْ حَذارِ بَياضِ الشَّيْبِ فِي لِمَمي   اَرتاعُ كالظَّبْي مِنْ فَهْدٍ وسَرحانِ[١]

وما يلفت النظر في هذه الأبيات أنّ كلمة البياض والشيب بمعنى واحد فالإضافة ليست فصيحة. وكان أحرى به أن يقول: ومن حذار اشتعال الشيب في لممي ويظل البيت موزوناً.

كما أنَّ التزامه بالسجع أدّى إلى أن تكون بعض أجزاء القصّة غير مفهومة أو غير مرتبطة، نحو: "... يا رفيقى اتّفاق كردم وعزم سفر عراق كردم. وخواستم كه آن عزم، باطل نشود وآن سفر، وفايده او عاطل نگردد. به هر شهر كه مى رسيدم، طالب اهل معانى مى گرديدم، وبه نيّت اقامت، نماز چهار گانى مى كردم؛ تادر غلواى آن شوق وعشق نزول كردم به خطه دمشق"[٢].

ترجمة الشاهد

اتّفقت مع رفيق وعزمت على السفر إلى العراق. وأردت ألاّ يبطل ذلك العزم وذلك السفر، ولا تعطّل فائدته. فطلبت أهل المعاني في أيّ مدينة كنت أصل إليها، وكنت أصلّي الصلاة بأكملها – أربع عشرة ركعة – على نيّة الإقامة؛ حتّى نزلت إلى أرض دمشق في أثناء ذلك الشوق والعشق.

فانحرف الموضوع عن أصله لأنَّ الراوي يقصد العراق، فجأة نجده في دمشق. فلا شك في أنّه اختار كلمة عراق قرينةً لكلمة اتّفاق، وكلمة دمشق قرينة لكلمة عِشْق[٣]، لأجل السجع.

ويستشهد الحَميدي بالآيات القرآنيّة أو بالأمثال أحياناً بلا ضرورة، أو يكتب سطراً أو أسطراً بالعربيّة من غير سبب ومعنى نحو: "گفتند آن هردو اگرچه به وقت مخاصمت تيغ وسپّرند، به هنگام مسالمت پدروپسرند. فقلتُ واللهِ ما هُما إلاّ شمسُ الضُّحى وبدرُ الظُّلَم، ومَنْ أشْبَه أباه فما ظَلَم"[٤].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

(٣) والجدر بالذكر أنّ الحَميدي كسعدي الشيرازي استعمل دمشق على وزن عِشْق.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٦.

قالوا: ذلك الشيخ والفتى ولو أنّهما كانا كالسيف والترس في المخاصمة – المناظرة – إلاّ أنّهما كانا كالأب والابن في المسالمة. فقلتُ واللهِ ما هُما إلاّ شمسُ الضُّحى وبدرُ الظُلَم، ومَنْ أشْبَه أباه فما ظَلَم.

أو ربمّا وضع مقدّمة بالعربيّة ولو سطراً لتحليل جملة: فَمَنْ أشبه أباه فَما ظَلَم.

نعلم أنّ هناك قاعدة عند أساتذة الفنّ في الجمل المسجوعة في أن تكون الجملة الأولى أقصر من الجملة الثانية أو أن تكونا متساويتين. فأكثر المقامات الحَمِيديّة تنطبق على هذه القاعدة إلاّ قليلاً نحو: "صورتِ آفتابِ فلك آراى محجوب نيست، امّا ديده بينندگان معيوب است"[(١)].

ترجمة الشاهد

وجه الشمس الّذي يزيّن العالَم كلّه ليس مستوراً، ولكن عيون الناظرين ذات عيب.

ويكتب أحياناً جملاً غير موزونة وكلمات غير متناسبة، تقيّداً بالسجع نحو: "سوسن آزاد با بلبل استاد مى گويد اى مدّعى كذّاب واى صيرفى قَلاّب!" [(٢)].

ترجمة الشاهد

تقول وردة السوسن الحرّة للبلبل الأستاذ: أيّها المدّعي الكذّاب وأيّها الصرّاف المزوّر!

فنلاحظ أنّ وصف البلبل بالأستاذ ليس لطيفاً وجميلاً، ولم يلقّب أحد البلبل هذا اللقب قبلاً، ولم يعرّف أحد البلبلَ بالمدّعي الكذّاب والصرّاف المزوّر ثانياً. فهذا الأمر يدلّ على التكلّف والتصنّع في **مقامات** الحَميدي.

ويترك الحَميدي أحياناً السجع لبيان موضوع أهمّ: "... قدم اوّل گفت وگوى است كه العشقُ أوّلُه تذكّر، پس بدين صفت باز آيد كه العشق آخره تفكّر... دراثناىِ آن حيرت نداى عالَم غيرت در آيد كه به بند وزنجيرش بسته داريد، وعنان مركبش آهسته داريد، كه محيط دنيا وبسيط گيتى توسّع گذار قدمِ عاشقان ندارد، واين گام بى مُحابا دراين بساط تنگ پهنا نگنجد؛ كه عالَمِ عشق، عالَم مشاهده است، وهزار قدم مجاهده درگرد يك قدم مشاهده نرسد. موسى كليم الله در تيه مجاهدت مى رفت درچهل فرسنگ چهل سال بماند، باز چون در دعوت مكالمت قدم مشاهدت نهاد هفتصد فرسنگ به هفت گام براند..." [(٣)].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٤٨.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٥ – ١٤٦.

الخطوة الأولى حوار، فالعشق أوّله تذكّر، ثمّ صمت فالعشق آخره تفكّر... في أثناء تلك الحيرة ينادي صوت من عالَم مغاير: اربطوه بالحبل والغلّ، وخذوا عنان مركبه بهدوء، لأنّ هذه الدنيا وساحتها ليست واسعة لقدوم العشّاق، فلا غرو أنّ هذا العالَم العريض، ضيّق لا يسع هذه الخطوات؛ لأنّ خطوات عالَم العشق في عالَم المشاهدة، ولا تقدر آلاف خطوات المجاهدة بقدم مشاهدة. فبقي موسى كليم الله في صحراء المجاهدة أربعين سنة ليقطع أربعين فرسخاً، فلمّا دعي لحوار المشاهدة، طوى سبعمائة فرسخ بسبع خطوات.

فنقل الحَميدي كــلام الصوفيين وآرائهم، واكتفى بنقل هذه الآراء دون أن يلتزم بالسجع.

ونجد في مقاماته أحياناً إطناباً مملاً كقوله في نعت الصبح: "تا آن زمان كه آواز خروس به الحان گوش بيوست ونداى حَيَّ على الفلاح باغناى هَلُمّوا إلى الراحِ جمع شد..." [١].

ترجمة الشاهد

حتّى ذلك الحين وصل أذان الديك إلى الآذان واجتمع نداء حيّ على الفلاح وغناء هلمّوا إلى الخمر...

وأفرط في وصف بعض الأشياء، وأطنب في الوصف إطناباً ممــلاً، كما نجد الكنايات والاستعارات المعقّدة والمبهمة والتعقيدات اللفظيّة والمعنويّة نحو: "... وزاغ خدور رواح در سلسله كافور رباح[٢] صباح آويخت، وشيطان شب از سلطان روز بگريخت"[٣].

من الصعب أن نترجمها إلى العربيّة لشدّة التعقيد والإبهام في هذه الاستعارة، إلاّ أنّنا نفسّرها ونشرحها. فيمكننا القول إنّه قصد (بهذه الاستعارة المعقّدة) الأبيات الّتي أنشدها مباشرة بعدها هي: (بحر الوافر)

فلاحَ الصُّبحُ مُبْتَسِمَ الثَّنايَـــا وَعَادَ اللَّيلُ مَقْصُوصَ الجَناحِ
وطَـــارَ غُرابُ أوْكارِ الدَّياجِي إذا مَا حَــلَّ بَـــازِيُّ الصَّباحِ[٤]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤.

(٢) الرباح: بلد يجلب منه الكافور، والرباحي: جنس من الكافور. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ١، ص ٣٣٢، باب الحاء، فصل الراء؛ وقال ياقوت الحموي: إن رباح: المقصود منه قلعة رباح: مدينة بالأندلس مــن أعمــال طُليطلة استولى عليها الأفرنج منذ سبعين سنة أو نحوها، ولها عدّة قرى ونواحٍ ويسمّونها الأجــزاء يقــوم مقــام الإقليم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٣، ص ٢٣.

(٣) حميدى، **م.س**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٠.

(٤) حميدى، **م.س**، ص ٤١.

كما نرى في نثر المقامات الحَميدية تعقيدات معنويّة بسبب تقيّد كاتبها بالسجع نحو: "اگرهمه سير فرسنگ است، علم وفرهنگ است..." [١]. فقد قصد بها: ولو أنّ طريقنا طويل، ولكنّ الرفيق الحازم ييسّر مشكلات الطريق وصعوباتها.

أو في هذه الجملة: "چون چشم بينداختند، به هم بستى وثاق، روز ميثاق مرا بشناختند"[٢]. فقصده: لما نظروا إليّ عرفوني مباشرة، بسبب العهد والميثاق الّذي عقدناه من زمن بعيد، وبسبب المحبّة الّتي كانت بيننا. قد أدّى هذا إلى التكلّف والتعقيد وركاكة الكلام في هذه الجملة هي: اشتقاق بين كلمتي وثاق وميثاق، عبارة هم بستى وثاق زائدة، ومعناها عهد الميثاق.

لاحظنا أنّ التزام الحَميدي بالمحسّنات البديعيّة خاصّة السجع والجناس كان لإظهار مقدرته اللغويّة ومهارته البيانيّة إزاء الحَريري ومعارضةً له، وقد أدّى ذلك إلى ركاكة الألفاظ والتعقيد والتكلّف أحياناً، خاصّة في أشعاره العربيّة.

* * *

لقد تبيّن لنا أنّ **مقامات** الحَريري مملوءة بالتكلّف والتصنّع، وسبب ذلك يرجع إلى أنّه أراد أن يظهر مقدرته اللغويّة والفنيّة تجاه الهمذاني، فأدّت محاولته إلى التكلّف في النثر والنظم. كما أنّنا رأينا هذا التكلّف والتصنّع في **مقامات** الحَميدي نثراً ونظماً، لأنّه عارض الحَريري خاصّةً، فاختار أحياناً ألفاظاً وعبارات معقّدة ومبهمة.

ثانياً– البناء الصرفي في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر أهمّ الظواهر الصرفيّة في **مقامات** الحَريري، ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ– البناء الصرفي في مقامات الحَريري

اخترنا أهمّ الظواهر الصرفيّة مع ذكر الأمثلة في **مقامات** الحَريري، وسوّغناها حسب الكثرة والأهميّة كالنسبة، والضمائر، والميزان الصرفي، واسم الفاعل، والجمع، وأسماء الاستفهام وحروفه، واسم الفعل، وحروف القسم والتصغير.

١– النسبة

نوّع الحَريري أسماء مقاماته الخمسين وأضاف ياء النسبة إليها جميعاً ما عدا المقامة السادسة والعشرين المسمّاة بالرقطاء. فأمّا المقامات الّتي سمّاها الحَريري باسم البلد، أو الحيّ، أو النهر، أو الباديّة أو القبيلة، تبلغ اثنتين وأربعين مقامة نسب إليها فكرة الرحالة لأجل ربط المقامة إمّا بالبلد الّذي حدثت فيها القصّة، وإمّا لأمر محوري أساسيّ يشكّل المحور الرئيسي في كلّية المقامة، نحو: الصنعانيّة، الحلوانيّة، الدمياطيّة، الكوفيّة، المراغيّة، البرقعيديّة، المعرّيّة، الإسكندرانيّة، الرحبيّة،

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩١.

الساويّة، الدمشقيّة، البغداديّة، المكّية، المغربيّة، السنجاريّة، النصيبيّة، الفارقيّة، الرازيّة(١)، الفراتيّـــة(٢)، القطيعيّة(٣)، الكرجيّة، الوبريّة أو البدويّة(٤)، السمرقنديّة، الواسطيّة، الـــصوريّة، الرمليّـــة، الطيبيّـــة، التفليسيّة، الزبيديّة، الشيرازيّة، الملطيّة، الصعديّة، المرويّة، العمانيّة، التبريزيّة، التنيسيّة، النجرانيّـــة، الرمليّة، الحلبيّة، الحجريّة(٥)، الحراميّة(٦)، البصريّة.

ورغم أنّه استعمل ياء النسبة في تسمية مقاماته، غير أنّ هذه الأسماء ليست أســـماء الأمـــاكن والبلاد، إنّما اختارها بحسب موضوع كلّ مقامة لإظهار قدراته البلاغيّة، ومعلوماته الواسعة، وللتنوّع والإيجاز. فقد سمّا بعض المقامات بأسماء مرتبطة بموضوع المقامات نحو المقامات التاليـــة المـــسمّاة بـــ:

- الديناريّة: تتضمّن مدح الدينار وذمّه.
- الفرضيّة: تتضمّن ألغازاً في مسألة فرضيّة وحلّها.
- القهقريّة: تتضمّن الرسالة الّتي تقرأ من أوّلها بوجه ومن آخرها بوجه آخر.
- الشعريّة: تتضمّن كون أبي زيد السروجي مدّعيّاً على ابنه بأنّه سرق شعره.
- البكريّة: تتضمّن مدح البكر والثّيب وذمّهما.
- الشتويّة أو اللغزيّة: تتضمّن إنشاء أبي زيد قصيدة في ألغاز تحتها تفسيرها أيضاً.
- الساسانيّة، منسوبة إلى ساسان رئيس المتسوّلين والمحتالين: تتـــضمّن وصـــية أبـــي زيـــد السروجي لابنه بأنّ لا صناعة أنفع من الكدية، وطلب منه كوليّ عهد وكـــبش الكتيبـــة الـــساسانيّة أن يحتذي حذوه في التكدّي.

وأمّا المقامة الوحيدة الّتي لم ينسبها الحَريري إلى شيء ولم يستعمل ياء النسبة في تـــسميّتها، فهي المقامة السادسة والعشرون المسمّاة بالرقطاء. ولا غرو أنّنا نلاحظ هناك العلاقة بـــين موضـــوع

---

(١) الرازيّة: نسبة إلى مدينة الريّ.

(٢) الفراتيّة: نسبة إلى نهر الفرات.

(٣) القطيعيّة: نسبة إلى قطيعة، محلّة معروفة ببغداد.

(٤) الوبريّة أو البدويّة: هم أهل الوبر أو أهل البدو.

(٥) الحجريّة: نسبة إلى حَجْر اليمامة أي قصبة اليمامة وهي بلاد الزباء والزرقاء، واليمامة بلد كثيرة النخل. ويقـــول ياقوت الحموي: هي مدينة اليمامة وأمّ قراها، هي بمنزلة البصرة والكوفة، لكلّ قوم منها خطّة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٢، ص ٢٢٠.

(٦) الحراميّة: أوّل مقامة أنشأها الحَريري، وهي منسوبة إلى قبيلة معروفة أي بني حرام.

المقامة وتسميتها بالرقطاء، لأنّها تحتوي الرسالة الّتي تتوالى حروفها، أحدها منقوط والآخر غير منقوط.

ولا يخلو نصّ المقامات من النسبة أيضاً نحو: ناقة عيديّة[١]، فالحَريري نفسه يفسرّها بقوله: "قيل إنّها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة إلى فخذ من مهرة اسمه عيدين مهرة، وكانت مهرة وعيد تتّخذان نجائب الإبل فنسبت إليهما"[٢]. أو حلّة سعيديّة[٣]: "منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله كساه وهو غلام حلّة، فنسب جنسها إليه"[٤] وغير ذلك.

٢- الضمائر

لا شكّ في أنّ **مقامات** الحَريري تحتوي جميع الضمائر المخاطب والغائب والمتكلّم والضمائر، البارزة والمستترة، غير أنّه ركّز على بعض الضمائر، وأكثر من استعمالها نحو: ضمائر المُخاطَبَةِ لا سيّما أنتَ تَ كَ للمخاطب، وضمير المتكلّم للوحدة أنا – ي – تُ. ونراها في المقامات الوعظيّة كثيرة. وفي الحقيقة خدمت الضمائر الفكرةَ الموجودةَ لدى الحَريري، وفي الوقت نفسه أدّت إلى الغرض الحكائي أو السردي.

(أ) ضمائر المُخاطَبَةِ

ركّز الحَريري على ضمائر المخاطبة أكثر من الضمائر الأخرى، وقصد بها المشاركة على مستوى الخطاب والتوجيه والوعظ خاصّة أنتَ – تَ – ك، وذلك متوافر في المقامات الوعظيّة لأنّ البطل حين يظهر على هيئة الواعظ يعظ الناس، فالأمر يتطلّب الضمير المخاطب نحو: "أيّها السادر في غلوائه... إلام تستمرُّ على **غيِّك**، وتستمرئ مرعَى **بغيك**، وحتّام تتناهَى في زهوك، ولا تَنتَهي عن لهوك، تبارز **بمعصيّتك**، مالكَ **ناصيتك**..."[٥].

أو قوله: "ابنَ آدمَ ما أغراك بما يَغُرُّك، وأضراك بما يَضُرُّك، وأَلْهَجَك بما **يُطغيك**، وأبْهَجَك بِمَن يُطْرِيك، تَعْني بما **يُعَنّيك**، وتُهْمِلُ ما **يَعْنيك**، وتَنْزِعُ في قَوْسِ **تَعَدّيك**، وترتدي الحرص الّذي يُرْديك..." [٦].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥٠٨.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٥١٢.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٥٠٨.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٥١٢.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٢.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

(ب) ضمير المتكلّم للوحدة

ركّز على ضمير المتكلّم للوحدة بارزاً أو مستتراً أي أنا – ت – ي، لأنّه يحكي عن ذاته على لسان الراوي؛ وفكرة الرواية والقصّة تقتضي أن يدخل هو في القصّة أيضاً.

تبدأ مقدّمة جميع المقامات بضمير المتكلّم بارزاً ومستتراً نحو: "حكى الحارث بن همّام قال: **كَلِفتُ** مُذْ ميطتْ **عنّي** التمائم، ونيطَتْ **بي** العمائم، بأن أغشَى معانَ الأدب... فلمّا **حَلَلْتُ** حُلوانَ، وقد بلوتُ الإخوان، وسَبَرْتُ الأوزان، وخَبَرْتُ ما شانَ وزان،..." [١].

أو "حكى الحارث بن همّام قال: أصعدتُ إلى **صعدة**[٢]، **وأنا** ذُو شطاط يحكي الصعدة... فلّما **رأيتُ** نُضرتَها، **ورَعَيْتُ** خُضْرَتَها، **سألتُ** نحاريرَ الرواةِ، عَمَّن تَحْويه من السراة، ومعادنِ الخيرات..." [٣].

٣- الميزان الصرفي

استعمل جميع الأوزان في الأفعال (إلاّ أنّه استعمل) ولا سيّما المجرد والمزيد (من الأفعال بكثرة) والأوزان الأخرى أقلّ. فأمّا الأمثلة لهذه الأفعال فهي كثيرة جدّاً، فنذكر بعضاً منها في المقامة الكوفيّة[٤] دالّة على كثرة استعمالها:

المجرّد في الأفعال: حكى، قال، سمرتُ، غُذوا، سَحَبوا، يُحفَظ، يميل، غَرَبَ، غَلَبَ، لم يبقَ، سَمِعنا، تَلَتْها، قلنا، وُقيتم، لقيتم، بَقيتم، دفع، طال، عرا، يبغي، يَرْضَى، ينثُّ، خَلَبْنا، عَلِمنا، هاضتْ، سام، آذَى، سار، تَقِد، تحُول، رمى، راج، أفل، طَلَع، سرتْ، طارت، رفضوا، نَوَوْها، طَوَوْها، بَلَوتُ، عاينتُه، نَهَضْتُ، سَجَا، ساقَني، وقَفتُ، عِشتُم، ذاق، دَجا، ألْق، اُدْخُل، ابشَر، بَرز، يقري، نَفَى، ترى، ذكرت، وردتُ، ظَعَن، سمعتم...

الأفعال المزيدة: لا يُتَحَّفظ، استهوانا، رَوّقَ، اكفهرَّ، اسبطرَّ، انثنى، افترّ، ابتدرنا، تَلَقَّينا، تَهَيّا، أحلّني، تَلَمَّظتُ، تتخذوني، تَجَشَّموا، يَعتلق، يُفضي، يُعَجِّل، يُجتنب، يُغشي، اطّلَعَ، آنَسْنا، أثْنَينا، أحْضَر،

---

[١] الحَريري، **مقامات**، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ١٧ – ١٨.

[٢] صعدة: مدينة عظيمة باليمن. تحكم فيها صنعة الجلود والجلد الصعدي في غاية الجودة ويضرب المثل بحسن نسائها. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، مج ٢، ص ١٣٦.

[٣] الحَريري، **م.س**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٥ – ٤٠٦.

[٤] الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠ – ٤٩.

أذكَى، تأمّلْتُه، استسرَّ، تَبَلَّجَ، استرفع، أطْرِفْنا، استخبرْنا، أرتاد، أقتاد أسَّس، انبرى، أخْبَرَتني، أثبتوها، خلّدوها...

اعتمد بعض الأوزان القليلة الاستعمال في **مقاماته** أيضاً نحو: احلّولى(١) على وزن افعوعل، اخرنطم(٢) على وزن افعنلل، اعشوشب(٣) على وزن افعوعل.

٤- اسم الفاعل

قد أكثر في استعمال المشتقّات لا سيّما اسم الفاعل خدمةً لعمليّة التوازن في السجع، ولترابط العبارات.

لنعرف مدى اعتماد الاشتقاق عند الحَريري نكتفي بذكر نماذج لاسم الفاعل في مقامة واحدة لنرى كثرة استعماله. فعلى سبيل المثال نجد في المقدّمة أسماء الفاعل التالية: المادِح، المسامِح، القادِح، الفاضِح، قائداً، متقلباً، متحلّياً، مؤيِّداً، ذائدةً، قاهِرة، السابِغ، ماضِغ، المشفَّع، المبين، القائلين، الهادين، متّبعين، الظالِع، حاطِب ليل، جالب، المطيع، المستطيع، جامدة، خامدة، ناضبة، ناصبة، طالِب، صاحِب، المتصدّي، الباحِث، الجادِع، المتغابي، المحبّ، المحابي، جاهل، متجاهل، المعين(٤).

٥- الجمع

ركّز في **مقاماته** على الجموع واستعمل أنواع الجموع القلّة والكثرة بوفرة، لا سيّما جمع التكسير والمؤنّث السالم للحفاظ على المحسّنات البديعيّة خاصّة السجع، وللوزن. فعلى سبيل المثال نذكر نماذج من هذه الجموع في المقدّمة والمقامة الأولى: الصنعانيّة.

إنّ الجموع الواردة في مقدّمة **مقاماته** هي: خِطط الخطيئات، حصائد الألسنة، غوائل، أصحاب، أجمعين، مصابيح، مقامات، غُرر، دُرر، نوادر، الآيات، محاسن الكنايات، الأمثال، اللطائف، الأحاجي، الفتاوي، الرسائل، الخُطَب، المواعظ، الأضاحيك، الأشعار، الأخسرين أعمالاً، مناهي، مباني الأصول، الإفادات، الموضوعات، العجماوات، الجمادات، الحكايات، روّاة، الأوقات، الأعمال بالنيّات، العقود، الأكاذيب(٥).

وفي المقامة الأولى: الصنعانيّة، هي: الأتراب، طوائح، طرقات، حومات، مسارِح، لمحات، مسايح، الإلطاف جمع الأسجاع، جواهر، الأسماع، زواجر، أخلاط، الأكمام، فوائد، فرائد، شقاشق،

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤١.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٨.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٥٨.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقدّمة"، ص ٢ – ١٠.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٢ – ١٠.

خَزَعْبَلات، أعداء، أغدار، العِبَر، يواقيت، الصّلات، مواقيت، الصدُقات، الصدَقات، الألوان، صحائف، الأديان، الأقران، الغرباء، الأدباء[١].

٦- **أسماء الاستفهام وحروفه**

نجد أسماء الاستفهام وحروف الاستفهام في **مقامات** الحَريري، لا سيّما في المقامات الوعظيّة ليلفت نظر السامعين كثيراً نحو: هل، أ (حروف الاستفهام)، وأسماء الاستفهام مثل: أيُّ، بِـمَ مخفّف بماذا، إلامَ مخفّف إلى متى، أينَ، علامَ مخفّف على ماذا وغير ذلك، كقول الحَريري: "**إلامَ** تَستَمِرُّ على غيّك، وتستمرئُ مَرْعَى بَغيك، **وحتّام** تَتناهَى في زَهْوك، ولا تَنْتَهي عن لهوك..." [٢].

"**هَلْ** حيٌّ قائلُه أو ميّتٌ"[٣].

"**فَهَل** سمعتم يا أولي الألباب"[٤].

فقال الوالي للشيخ و**هَلْ** حينَ سَرَق سَلَخَ"[٥].

"فقلتُ له من **أيْنَ** إيابُك، وإلى **أين** انسيابك، و**بِمَ** امتلأتْ عيابُك"[٦].

"ثمَّ قال **أيُّما** أحَبُّ إليك أن أُحذيَك"[٧].

"تُخبرني **أيْنَ** مَدَبُّ صِباك[٨]، ومِنْ **أيْنَ** مَهَبُّ صَباك"[٩].

"أتعقلون ما تواجهونَ، و**إلى مَنْ** تتوجّهون... و**عَلامَ** تُقدّمون، أتخالونَ أنّ الحجّ هـو اختيـار الرواحل وقطع المراحل"[١٠].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠ – ١٧.

(٢) الحَريري، **م.ن**، ص ١٢.

(٣) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢١.

(٤) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٦.

(٥) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٣؛ سلخ: أخذ المعنى. الشريشي، **شـرح مقامـات الحَريري**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج ١، ص ٢٦٦.

(٦) الحَريري، **م.ن**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٠؛ عيابُك: أوعيَـة متاعـك. الشريـشي، **م.ن**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مج ٢، ص ٢٩.

(٧) الحَريري، **م.ن**، ص ٢٦٩.

(٨) أين مدبّ صباك: يريد أين ولدت فدببت صغيراً. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٦.

(٩) الحريري، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢٠؛ مهبّ صباك: مجـيء ريحـك، وأراد أيـن بلـدك. الشريشي، **م.س**، مج ٢، ص ٧٦.

(١٠) الحَريري، **م.س**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

"فبالله أيُّ ابنِ أرْضٍ أنت"[(١)].

"ومِنْ أينَ ومِنْ أينَ"[(٢)].

"هَلْ لك في ابتدارِ البَيْتِ"[(٣)].

"أتحسنونَ العَوْنَ أمْ تتأوْنَ إذ تُدْعونَ"[(٤)].

"إلامَ تنتظرون"[(٥)].

٧- اسم الفعل

اسم الفعل كلمة تدلّ على ما يدلّ عليه الفعل، غير أنّها لا تقبل علامته. واعتمد الحَريري أسماء الأفعال للمبالغة، أو للتعجّب، أو للتحسّر أو للاستحسان بالشيء كما يلي:

(أ) اسم الفعل المرتجَل بمعنى الفعل الماضي نحو: **هَيْهات** بمعنى بَعُدَ، كقول الحَريري: "فقال **هيهات** شَغَلَتْ شِعابي جَدْواي"[(٦)].

- **اسم فعل المرتجل بمعنى الفعل المضارع** نحو: أفٍّ، آهٍ، بخٍ، واهاً، وَيْ. كقوله: "قلتُ له **بَخٍ بَخٍ** لرواياتك، و**أفٍّ** وتُفٍّ لغواياتك"[(٧)].

بخٍ بخٍ: يقال عند استحسان الشيء والإعجاب به مكرّرة، ويجوز فيها تسكين الخاء وكسرها منوّنةً، ومعناه أتعجّب. وأفٍّ: يقال عند التضجّر من الشيء المستقذر له. أو كقوله: "**بَخْبَخَ** بِصُحْبَتي"[(٨)]. **بخبخ** أي بَخٍ بَخٍ، يقال عند الإعجاب بشيء.

وقوله أيضاً: "آهاً لها حسرةً ألَمُها مُؤكَّد"[(٩)]. آهاً: أو آه كلمة للتحسّر والتوجّع، هنا بمعنى أتحسّر.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيَّة"، ص ٣٥٧.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٩.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٩.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٢.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٤٧١.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٢؛ شغلت شعابي جداوي: يقول الحَريري في تفسير قوله في آخر المقامة السابعة والأربعين: فالمراد به أنّه ليس يفضل عنّي ما أصرفه إلى غيري، والشعاب هي النواحي، واحدها شعب. الحَريري، م.ن، ص ٥٥٦.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٨.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٧٦.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

وقوله: "**واهاً** لمن يَقْذِفُه من حالِق..."[١]. واهاً: للتعجّب، ومعناه هنا أتعجّب وأستغرب.

وقوله نظماً: (بحر السريع)

واهــاً لِحُــرٌ واسِــعٍ صَــدْرُهُ وَهَمُّــهُ ما صَرّ أهلَ الصَّلاحْ[٢]

واهاً: هنا للاستحسان.

وقوله: "فقال له صاحِبُه **وَيْكَ**..."[٣]. وَيْ: للتعجّب مثل وَيْحَك، ومعناه هنا أتعجّب منك.

أو "فقال **وَيْكَ** ليس من العدل، سرعة العَذْلِ"[٤].

اسم الفعل المرتجل بمعنى فعل الأمر، نحو: هيّا، هَلُمَّ. كقوله: "وقلنا للغُلام **هَيَّا هَيَّا وهَلُــمَّ** مــا تَهَيّا"[٥].

هَيَّا: معناه عجّل، ويُستعمل للحثّ على السرعة في الأمر، أي أسرِعْ. وهَلُمَّ: أي هات وأحضر.

وكقوله: "**هَلُمَّ** بأبي عَوْن"[٦]. ويقول الحَريري نفسه في تفسير هلمم: "أي قُلْ هلــمّ، وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل والأفصح أن يوحّد لفظها مع المذكّر والمؤنّــث والاثنين والجمع؛ وبه نطق القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾[٧]"[٨].

وقوله: "ثمّ **هَلُمَّ** إلى أن نُلْغِز"[٩].

(ب) اسم الفعل المنقول نحو: هات، هاك، هاكم، دونك، دونكم، عليك. كقوله: "فقلت له **هــاتِ** فما أطولَ طيلك"[١٠].

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة: الدينارية"، ص ٣٠؛ حالق: جبل أملس منيف، الشريشي، **شــرح مقامــات الحَريري**، "المقامة الثالثة: الدينارية"، مج ١، ص ٤١.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٥.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٤.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٥؛ العذل: اللوم: الشَريــشي، م.س، "المقامــة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٥.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤١.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٨٩؛ أبي عون: الملح. وهنا كناية. عن شدّة الجــوع. الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، مج ١، ص ٢٣٥.

(٧) **الأحزاب**، ١٨/٣٣.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٩٢.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٤.

(١٠) الحريري، م.س، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٢؛ ما أطول طيلك: أي ما أكثر حيلتك. يقــال ذلك للكثير الدهاء والتصرّف. والطيل: الحبل. الشريشي، م.س، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، مــج ٢، ص ٣١.

هاتِ: أعطِ.

وبقوله نظماً: (بحر السريع)

وهاكَ كأسَ النُّصحِ فاشْرَبْ وَجُدْ[1] بِفَضلَةِ الكأسِ على مَنْ عَطِشْ[2]

هاكِ: خذْ وتناولْ.

وقوله: "ثمّ قال: وهاكُمْ يا أولي الفضل"[3]. هاكم: خذوا منّي.

وقوله أيضاً في المقامة الكوفيّة: (بحر الرجز)

فَدُونَكُمْ ضَيْفَــاً قَنُوعاً حُــسرّاً يَرْضَى بِما احلَولَى[4] وما أمَرّا[5]

دونكم: خُذوا.

وقوله في المقامة الرازيّة: (بحر السريع)

عَلَيكَ بِالصِّــدْقِ ولَو أنَّـــــهُ أحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنــارِ الوَعيد[6]

عليك: الزَمْ.

وقوله: "ثمّ قال دُونَكُم الخَفيَّة العَلَم"[7].

دونكم: خذوا.

وقوله أيضاً: (بحر الوافر)

ودُونَكَ صُحْبَةَ الأكْياسِ[8] فيها أو الكاساتِ مُنْطَلِقَ[9] العِنانِ[10]

دونك: عليك بمصاحبة العقلاء، أي الزمْ.

---

(١) المعنى: خذْ كأس النصيحة فاشربها، فإذا رويت فاسق غيرك ولا يقال كأس إلاّ إذا كان فيها شراب. الشريــشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، مج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٧.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٥.

(٤) احلولى: اشتدّت حلاوته. الشريشي، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، مج ١، ص ٥٩.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤١.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٩.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦٥؛ العلم: الرقم في الثوب، فأراد أنّها خفيّة فــي اللغز فعلمها الّذي تعرف به خفيّ. الشريشي، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، مج ٢، ص ٢١٣.

(٨) الأكياس: أهل الفطنة والتدبير. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، مج ٢، ص ٢٨٠.

(٩) منطلق العنان: مسيب مسرح. الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٨٠.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٥٩.

(ج) اسم الفعل المعدول نحو: "**حَذارِ** من اعتلاقِه[١] والطمع في استرقاقِه"[٢].

حذار: اسم الفعل ومعدول عن احذَرْ.

٨- حروف القَسَم

استعمل حروف القَسَم أيضاً نحو: "**فوالله** ما يَغْفُلُ الديان"[٣].

"**تالله** إنّك لأبو زيد"[٤].

"لا **والله** ولا بَوّابا لبابي"[٥].

"فقالو: **تالله** لقد غِظْت"[٦].

"فقالو له: **تالله** لقد أعْوَصتَ[٧]"[٨].

"**والله** ولو أنّ أباك أناف"[٩].

٩- التصغير

يَرِد الاسم المصغّر في **مقامات** الحَريري قليلاً نحو: "يا **بُنَيَّ** إنّما يَضَنُّ بالضنين"[١٠]. بنيّ: تصغير الابن، للتحبّب.

"يا **بُنَيَّ** إنّه قد دنا ارتحالي من الفناء..." [١١].

---

(١) اعتلاق: التعلّق. وحذار من اعتلاقه: أي احذر أن تتعلّق به. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، مج ٢، ص ١١٩.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٩؛ استرقاقه: تملّكه وتعبّده. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١١٩.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢٠٨.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٤.

(٦) الحَريري، م.ن، ص ٤٦٢.

(٧) أعوصتَ: أتيت بعويص وهو الصعب. الشريشي، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، مج ٢، ص ٤٧١.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٧١.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٤٦.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٤؛ إنّما يضنُّ بالضنين: هذا مثل، ومعناه تمسّك بإخاء من تمسّك بإخائك، وبيانه أنّ الضنين: البخيل، ويضنّ ببخل. الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، مج ١، ص ٥٠.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩.

"بَعْدَ **اللّتَيّا** والّتي"[1]. اللّتيا: وقد فسّر الحَريري نفسه هذا اللفظ بقوله: "تصغير الّتي وهو على غير قياس التصغير لأنّ القياس أن يضمّ أوّل الاسم إذا صغر وقد أقرّ هذا الاسم على فتحته الأصليّة عند تصغيره، إلاّ أنّ العرب عوّضته عن ضمّ أوّله بأن زادات ألفاً في آخره"[2].

فقال له: أحسنتَ يا **بُدَيْر**"[3]. بدير: تصغير البدر أي القمر.

"ادْنُ يا **نُوَيْرَة**، يا قَمَرَ **الدُّيْرَة**"[4]. نويرة: تصغير النار، يريد بها إشراق وجهه. دويرة: تصغير الدارة، وهي هالة القمر يريد جماله.

"فقال له أحسنتَ يا **نُغَيْش**"[5]. نغيش: تصغير النغاش، بمعنى كثير الحركة.

أشرنا إلى أهمّ الظواهر الصرفيّة في **مقامات** الحَريري، واتّضحت لنا الأمور التالية:

- اعتمد الحَريري ياء النسبة في تسمية تسع وأربعين مقامة، ما عدا المقامة السادسة والعشرين المسمّاة بالرقطاء. وقصد بإضافة ياء النسبة إلى أسماء المقامات أن يُنسب إليها فكرة الرحالة، أو بحسب موضوعها.
- تشتمل المقامات الحريريّة الضمائر بأنواعها، ولكنّه ركّز على ضمير المخاطب، وضمير المتكلّم كثيراً، لا سيّما في المقامات الوعظيّة، للغرض الحكائي أو السردي.
- أكثر من استعمال الأوزان المجرّد والمزيد من الأفعال وكذلك الجموع للحفاظ على المحسّنات البديعيّة وللوزن.
- استعمل أسماء الاستفهام وحروفه كثيراً لا سيّما في المقامات الوعظيّة ليلفت نظر السامعين.
- أكثر من استعمال اسم الفاعل بين المشتقّات لعمليّة التوازن في السجع.
- اعتمد أسماء الأفعال لأغراض كثيرة منها: المبالغة، التعجّب، التحسّر أو استحسان الشيء.
- استعمل حروف القسم والاسم المصغّر أيضاً.

ب- البناء الصرفي في مقامات الحَميدي

ألّف الحَميدي **مقاماته** في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتأثّر في كتابة **مقاماته** نثراً ونظماً بمؤلّفات معاصريه من حيث الأسلوب الإنشائي، وقواعد الصرف والنحو أيضاً.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٨١.

(٢) الحَريري، **م.ن**، ص ٢٨٥.

(٣) الحَريري، **م.ن**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٥.

(٤) الحَريري، **م.ن**، ص ٥٢٦.

(٥) الحَريري، **م.ن**، ص ٥٣٢.

فلذلك نرى أحياناً اختلاف قواعد الصرف في **مقامات** الحَميدي عن قواعد الصرف في زمننا هذا. فاخترنا أهمّ الظواهر الصرفيّة في **مقاماته**، ونذكرها بحسب الأهميّة والكثرة كما يلي: علامة الجمع "ان" للإنسان، والمصدر المرخّم، واسم المصدر، واستعمال بعض الحروف بدلاً من حروف أخرى، والضمير، والسوابق، وحذف الضمير بالقرينة، والتأكيد وأدواته، علامة المفعول به.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا نقارن بين اللغتين العربيّة والفارسيّة، فمن الطبيعي أنّنا لا نلاحظ الظواهر الصرفيّة المذكورة في **مقامات** الحَريري في **مقامات** الحَميدي أيضاً. فلذلك اكتفينا بذكر أهمّ الظواهر الصرفيّة في **مقاماتهما**.

١- علامة الجمع "ان" للإنسان

نلاحظ الحَميدي في **مقاماته** يجمع بعض الأحيان أسماء ذوي الروح بعلامة "ان" فقط، ولا يجمعها بعلامة "ها" لأنّ علامة "ها" في الجمع الفارسي لغير العاقل أحياناً كثيرة.

والجدير ذكره أنّ الاسم في اللغة الفارسية إذا دلّ على العاقل، له علامة جمع خاصّة هي "ان" أو يجمع بأداة الجمع "ها" كلّ ما يجوز جمعه بعلامة الجمع بـ "ان". فأمّا الأمثلة فهي: "**زنان** آن نواحى، به دوك وسوزن كارزار مى كنند، **وكودكان** آن حوالى به نى وچوب پيكار مى جويند"[١].

زنان: النساء　　　　كودكان: الأطفال

ترجمة الشاهد

تقاتل النساء في تلك النواحي بالمغزل والإبرة، ويقاتل الأطفال في تلك الأماكن بالناي والخشب.

"**مجاهدان** راه خداى را ديدم شُكرمى كردند"[٢].　　مجاهدان: المجاهدون، المقاتلون

ترجمة الشاهد

رأيت المجاهدين في سبيل الله شاكرين.

سواران مركب رزم **ونگاران** مجلس بزم"[٣].　　سواران: الراكبات والراكبون

نگاران: جميلات

ترجمة الشاهد

في هودج الحرب راكبات وفي مجلس الضيافة جميلات حِسان.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٤٠.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٣.

٢- المصدر المرخّم

إنّ المصادر المركّبة الواردة في **مقامات** الحَميدي كلّها مرخّمة، إلاّ بحسب الضرورة الشعريّة. واستعملها بكثرة نثراً ونظماً منها: نتوان گفت أي لا يمكن القول، نتوان ديد أي لا يمكن الرؤية، نتوان خواند أي لا يمكن القراءة، نتوان خورد أي لا يمكن الأكل، وهلمّ جرّا.

وقوله نظماً: (وزن مجتثّ مثمَّن مخبون محذوف = مفاعلن فعلاتن مفاعلن فعلن)

نه هركــه گام **تواند زدن** بـــه بيــدا در

سنان وتيغ **تواند زدن** بـــه هيجا در[١]

تواند زدن: يمكن الضرب

ترجمة الشاهد

ليس كلّ من يمكنه الضرب في المكان الخالي يمكنه القتال بالسيف والرمح.

المقصود بالمكان الخالي، الّذي لا يوجد فيه مقاتلون.

٣- اسم المصدر[٢]

نجد أسماء وصفات عربيّة في المقامات الحَميدية أحياناً، أضاف إليها الياء المصدري، فحصل على اسم المصدر نحو: "امّا **رفيقى** و**هم طريقى** را آداب وشروط است"[٣].

رفيق: رفيق　　　　هم طريق: الصحبة

ترجمة الشاهد

أمّا الرفقة والصحبة فلها آداب وشروط.

"هر كه را گويد با او **رفيقى** كند"[٤].

ترجمة الشاهد

كلّ من يطلب منه يقبل أن يكون رفيقه.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٠.

(٢) اسم المصدر: تجدر الإشارة إلى أنّ اسم المصدر في اللغة الفارسيّة هو كلمة لها معنى المصدر إلاّ أنّها تختلف عنه في أمرين هما: ١- تُماثل حالات الاسم وتجمع كالأسماء. ٢- لا تُصرف إلاّ بمساعدة فعل معين. ويصاغ اسم المصدر بخمس طرق: ١- بإضافة "ار" إلى آخر المصدر المرخَّم مثل: رفتار بمعنى السلوك. ٢- بإضافة "هاء صامتة" إلى آخر بعض الأفعال في مادّة الفعل، مثل: خنده بمعنى الضحك. ٣- بإضافة "ش" إلى آخر بعض الأفعال في مادّة الفعل مع كسرة قبلها، مثل: دانِش بمعنى العلم. ٤- بإضافة ألف إلى بعض الصفات، مثل: سرما بمعنى البرودة. ٥- بإضافة "ي" إلى آخر بعض الأسماء أو الصفات، مثل: مردى بمعنى الرجولة، أو آزادى بمعنى الحريّة.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣٠.

(٤) حميدى، م.ن، ص ١٣١.

"ماه باتو **حريفى** وسايه باتو **نديمى** نمى كند"[١]. حريف: المنافس نديم: النديم

ترجمة الشاهد

لا ينافسك القمر ولا يكون الظلّ معك نديماً.

"ثريا را **رقيبى** وجوزا را**طبيبى** مى كردم"[٢]. رقيب: المراقبة طبيب: الطبيب

ترجمة الشاهد

كنتُ أراقب الثرى وأطبّب نجم الجوزاء.

"در نهايت **ضعيفى** وغايت **نحيفى**"[٣].

ترجمة الشاهد

غاية في النحف ونهاية في الضعف.

"اين چه بد **معاملتى** است وبد **مجاملتى**"[٤].

ترجمة الشاهد

ما هذا سوء معاملة ومجاملة.

وفي الحقيقة، أنّ الفرس يعتقدون بأنّ هذه الأسماء والمصادر فارسيّة، ويفضّلونها على الأسماء والمصادر الأخرى، فيستعملونها في النثر والنظم بكثرة.

٤- استعمال بعض الحروف بدلاً من حروف أخرى

(أ) استعمل ازپى بمعنى "وراء مِن" بدلاً من **ازبراى** بمعنى "لـ" أو "لأجل" نحو: "اين لجاجت وسماجت چيست؟ واين بى باكى وتحرّك وتهتّك **ازپى** كيست؟"[٥].

ترجمة الشاهد

ما هذا العناد؟ ولمن هذه الشجاعة والتحرّك والتهتّك؟

(ب) حرف **در** بمعنى "في" بدلاً من حرف **به** بمعنى "إلى" نحو: "چون راهى دراز بُبريدم، **در** بلاد خوزستان شهر اهواز رسيدم"[٦].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣١.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١١٣.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٨.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١٥٧.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١٥٦.

قطعت طريقاً طويلاً إلى محافظة خوزستان ووصلت مدينة الأهواز.

٥- الضَمير: او – وى (هو، هي)

يستعمل ضمير "او – وى" بمعنى "هو وهي" في اللغة الفارِسية للإنسان بيد أنّنا نلاحظ في **مقامات** الحَميدي خلافاً لذلك، لأنّه استعمل هذا الضمير للعاقل وغير العاقل. وهذا من ميزات النثر القديم في الأدب الفارِسي كالأمثلة التالية: "سخن ازعبر كنعاني وازحكم لقمانى ببايد تابر حاشيه روزگار بپايد وارواح متحيّره از او بياسايد واشباح متفكّره بدو[١] بيارايد"[٢].

مرجع الضمائر: سخن ومعناه الحديث.

عبر كنعاني: يشير إلى قصّة يوسف، والآية القرآنيّة: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣].

حكـــم لقماني: يشير إلى حكمة لقمان، والآية القرآنيّة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[٤].

ترجمة الشاهد

ليكن حديثنا عن العبر الكنعانيّة والحكم اللقمانيّة، ليسجّل على هامش الدهر ذكرى، وتستريح بها الأرواح الحائرة، وتتزيّن معها الأشباح المتفكّرة.

أو قوله: "كه دنيا سراى گذشتنى، وحُطام او سرمايه گذاشتنى، جستجوى او به گفتگوى او كِرانكند ورنگ وبوى او به تك وپوى او نيرزد؛ حلال او را بار حسابى درپى است وحرام او را نار عذاب دررگ وپى"[٥].

مرجع الضمائر: الدنيا

ترجمة الشاهد

تمرّ الدنيا وحطامها رأس مال نتركه ونذهب، والبحث وراءها لا طائلَ منه، ولا قيمة لها لنحاول لأجلها، وفي حلالها حساب، ولحرامها نار الجحيم في العروق.

"يكى گفت: سفر تجارت، سفرى مبارك وميمون است، وحركتى محمود وموزون، واحوال دنيا به **وى** مرتّب مى شود ومرد در **او** مجرّب ومهذّب مى گردد"[٦].

---

(١) بدو: مخفّف به او بمعنى معه، معها.

(٢) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٠.

(٣) **يوسف**، ١١١/١٢.

(٤) **لقمان**، ١٢/٣١.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٨.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

مرجع الضمائر: السفر

ترجمة الشاهد

قال أحد الناس: إنّ سفر التّجارة سفر ميمون، وحركة محمودة وموزونة، وتترتّب أحوال الدنيا به ويكسب الرجل فيه التجارب والأدب ويهذّب.

وقوله نظماً: (وزن المضارع مثمَّن اخْرب مكفوف محذوف = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

ساكن چرا شوم به زمينى وخطّه اى

كز باش او مذلّت وخوارى به من رسد[١]

مرجع الضمير: زمين، ومعناه الأرض

ترجمة الشاهد

كيف أسكن في أرض، يصلني منها الضرر والمذلّة؟

٦- السوابق

في اللغة الفارِسية كلمات - كاللغات الأخرى - تضاف إلى غيرها لإيجاد كلمات جديدة ذات معان جديدة. فما يوضع منها قبل الكلمة يسمّى پيشوند أي سابقة، وما يوضع منها بعد الكلمة يسمّى پسوند أي لاحقة.

اعتمد الحَميدي السوابق قبل الأفعال بكثرة، فأكْسَبَتِ الأفعالَ معاني مختلفة وزادت من جمالها أحياناً وزادت معناها عمقاً منها: **بر، در، باز، فرو، فراز**، نحو: "آن كه از گِل سياه گُل وگياه **بر**دماند، احياى اين اجرام واجسام تواند"[٢].

ترجمة الشاهد

من قادر على إنبات الورود والنباتات من الطين الأسود، قادر على إحيائها بعد موتها مرّة أخرى أيضاً.

"اين ابيات را **در** تكرار كردم"[٣].

ترجمة الشاهد

كرّرتُ هذه الأبيات.

"نعرة تحسين از ياران وهمكاران **بر** آمد وهريك به اعتذار واستغفار **در** آمد"[٤].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٢.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٣.

ترجمة الشاهد

رفعت أصوات التشجيع من الرفقاء والزملاء واعتذر واستغفر كلّ منهم.

"اخلاق مردان را در ميزان سفر **بر**كشند"[١].

ترجمة الشاهد

أخلاق الرجال توضع على الميزان أثناء السفر.

﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[٢] **بر**بايست خواند[٣].

ترجمة الشاهد

يجب أن يتلو هذه الآية القرآنيّة: ﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.

"در انديشه **باز** يافت آن جوان مى بودم"[٤].

ترجمة الشاهد

كنتُ أفكّر في البحث عن ذلك الفتى.

"اختلاف احوال خود **باز** نماى"[٥].

ترجمة الشاهد

أخبِرْنا عن تقلّب أحوالك.

"به شهر سرخس **باز** ايستادم، وبار از بارگير **فرو**نهادم"[٦].

ترجمة الشاهد

توقّفت في مدينة سرخس، وأخذت الحمل من المطيّة.

"اوّل قتيل عالم كَوْن هابيل بود كه در راه اين قال وقيل فرو شد"[٧].

ترجمة الشاهد

كان هابيل أوّل قتيل في عالم الكون الّذي ابتلى بفتنة النساء أيضاً.

وقوله نظماً: (وزن مضارع مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ فاعلاتُ مفاعيلُ فاعلن)

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٩.

(٢) **كهف**، ١٨/٧٨.

(٣) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣١.

(٤) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٣.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٤.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

(٧) حميدى، م.س، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٢.

چرخ وزمين زبرف وزيخ كرد برگ وساز

درپوش پوستين كه دى آمد به در **فراز**[١]

ترجمة الشاهد

جَهَّزَ الفلك والأرض نفسيهما للثلج والجليد وبرودة الهواء، فَجَهِّزْ نفسك أنتَ أيضاً فالبسْ ثيابك الدافئة، فقد جاء فصل الشتاء والبرد.

٧- **حذف الضمير بالقرينة**

قد يحذف الحَمِيدي الضمير الفاعلي بقرينة نحو: (وزن هَزَج مُثَمَّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

در ديـــده ودل نشستى وجـــاى **گرفت**

واندوه توام زفـــرق تا پاى **گرفـــت**[٢]

ترجمة الشاهد

دخلتَ في العين والقلب واتّخذتَ مقاماً، ودخل معك الغمّ والحزن في كلّ وجودي من رأسي إلى قدمي.

يعدّ فعل گرفت هنا من أفعال المساعدة، وأصله كان جاى گرفتى، پاى گرفتى بمعنى دخلتَ أو استقررْتَ، فقد حذف الحَمِيدي الضمير الفاعلي وهو الياء من آخر فعل گرفت، ونعرف ذلك من قرينته فعل نشستى بمعنى جلستَ.

وقوله أيضاً: (وزن هَزَج مُثَمَّن اخرب مكفوف مجبوب = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعَلْ)

هـــم نُقل در آستين وهـــم جام به دســـت

ناخوانده درآمدى وناخوانده **نشست**[٣]

ترجمة الشاهد

جئتَ وجلستَ غير مدعوّ، بيدك كأس وبالأخرى حلواء.

إنّ فعل نشست بمعنى جلس، أصله نشستى بمعنى جلستَ، ونعرف ذلك من القرينة وهي فعل درآمدى بمعنى جئتَ أو دخلتَ.

٨- **التأكيد وأدواته**

قد يستعمل الحَمِيدي في **مقاماته** أدوات التأكيد، ويؤكّد بها المصادرَ والأفعال والعبارات منها: **مر، در، بـــ**. وهذه الأدوات كلّها للتأكيد وليس لها معنى، نحو: "من جمع كنم ميان شما جمع كردن ظروف **مر** طعام را، وباهم آوردن حروف **مر** كلام را"[٤].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٤.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٥.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٠.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٨.

ترجمة الشاهد

أنا أجمعكم كجمع أوعية الطعام، وأجمعكم كجمع أحرف الكلمة في الكلام.

"گفت: بشارت باد **مر** ترا"[١].

ترجمة الشاهد

قال: البشارة منّي إليكِ.

"گفتم: صاحب طريقتي بايستى كه **مر** خرقه پوشيدن را اضافت بدو بودى"[٢].

ترجمة الشاهد

قلتُ: عليه أن يكون مرشداً وصاحب طريقة لينسب إليه لُبس الخرقة.

أو كقوله نظماً: (وزن مُجتَثّ مثمّن مخبون محذوف = مفاعلن فعلاتن مفاعلن فعلن)

نه هركه گام تواند زدن به بيدا **در** سنان وتيغ تواند زدن به هيجا **در**[٣]

ترجمة الشاهد

ليس كلّ من يمكنه الضرب في المكان الخالي يمكنه القتال بالسيف والرمح.

"پس چون پير صاحب بلاغت از روايت فراغت يافت، از چپ وراست نداى آفرين **بخاست**، وهمگنان زبان شكر **بگشادند** وداد تحسين وآفرين **بدادند**"[٤].

ترجمة الشاهد

فلّما فرغ الشيخ بليغ اللسان من الرواية وانتهى خطابه شجّعه الناس يميناً ويساراً، وشكره الجميع وقالوا بصوت عالٍ أحسنت أحسنت.

"وچون صبح صادق **بخنديد**، ونسيم سحر از شاخ شجر **بوزيد**"[٥].

ترجمة الشاهد

فضحك – الشيخ – كالصبح الصادق، وهبّ نسيم السحر من أغصان الشجر.

"پس عقال عقل **بگسستم** وراه **خرابات بجستم**"[٦].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧٠.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٣.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٠.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢١٠.

(٥) حميدى، م.ن، ص ٢١٠.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

ففتّتتُ عقال العقل وسلكتُ طريق الخمّارات. أو بعبارة أخرى: فتّتُ عقال العقل، وسلكت طريق الضلالات.

والجدير بالذكر أنّ هذه الأدوات للتأكيد ولا تستعمل اليوم في النثر الفارسي لأنّها مخلّة بفصاحة اللغة الفارسية.

٩- علامة المفعول به(١)

لم يستعمل الحَميدي علامة المفعول به الصريح أي "را" في **مقاماته** إلاّ قليلاً جداً. والأهمّ من ذلك أنّ هذا الأمر لم يؤدِّ إلى ركاكة الكلام أو عدم الفصاحة.

(أ) المفعول به الصريح نحو: "گوش دار تا سؤالات **خصم** بشنوى"(٢).

ترجمة الشاهد

أنصت حتّى تسمع أسئلة الخصم.

المفعول به الصريح هو **أسئلة الخصم**، والصحيح هو: خصم را، فقد حذف علامة المفعول به الصريح أي "را"، فالجملة في الأصل: گوش دار تا سؤالات خصم را بشنوى.

"خاك آن **تربت** با آب غربت سازگار ديدم"(٣).

ترجمة الشاهد

رأيتُ تراب تلك الأرض يناسبها ماء الغربة.

تربت: مفعول به صريح بمعنى التراب، والجملة في الأصل: خاك آن تربت را با آب غربت سازگار ديدم.

"اخلاق **مردان** در ميزان سفر بركشند"(٤).

ترجمة الشاهد

أخلاق الرجال توضع على الميزان أثناء السفر.

مردان: مفعول به صريح ومعناه الرجال، والجملة في الأصل: اخلاق مردان را در ميزان سفر بركشند.

---

(١) المفعول به: ينقسم المفعول به إلى قسمين: ١- المفعول به الصريح و ٢- المفعول به غير الصريح. فأمّا المفعول به الصريح فهو: إذا كان المفعول به معرفة، فإنّه تلحق به العلامة "را"، وقد توصل به، كما يمكن أن تبقى منفصلة عنه، نحو: كتابرا خواندم، أو كتاب را خواندم بمعنى: قرأتُ الكتابَ. وأمّا إذا كان المفعول به نكرة أو معرفة مسبوقة بأحد حروف الجرّ فيسمّى حينئذٍ مفعول به غير صريح أي غير مباشر. فإنّه يبقى بدون العلامة "را"، وتوضع بدلاً منها الياء للتنكير، مثل: مردى ديدم، أي رأيت رجلاً.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٨.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٥.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٩.

(ب) المفعول به غير صريح

وأحياناً استعمل علامة "را" بمعنى "براى" أي "لِـ - لأجل" مع المفعول به غير صريح نحو: "حلال او را بارحسابى درپى است، وحرام او را نار عذاب در رگ وپى"[١].

ترجمة الشاهد

حلالها فيه حساب، وحرامها فيه نار الجحيم في العروق.

والجملة في الأصل: **براى** حلال او بارحسابى درپى است، **وبراى** حرام او نار عذاب در رگ وپى.

"نظم را طبقات است وشعر را درجات"[٢].

ترجمة الشاهد

النظم له طبقات والشعر له درجات.

والجملة في الأصل: براى نظم طبقات است وبراى شعر درجات.

"امّا رفيقى وهم طريقى را آداب وشروط است"[٣].

ترجمة الشاهد

أمّا الرفقة والصحبة فلها آداب وشروط.

والجملة في الأصل: امّا **براى** رفيقى وهم طريقى آداب وشروط است.

كنت في تلك الحدائق في بعض الأوقات من هذه الأيّام.

حصلنا على النتائج التالية:

- جمع الحَميدي أسماء ذي الروح بعلامة "ان"، ولم يجمعها بعلامة "ها" على خلاف القواعد الصرفيّة في اللغة الفارسيّة.
- المصادر المستعملة **(في مقامات** الحَميدي**)** كلّها مرخّمة، إلاّ في الشعر وذلك بحسب الضرورة الشعريّة.
- أكثر من استعمال المصدر المرخَّم.
- أضاف إلى أسماء وصفات عربيّة بعضها الياء المصدري للحصول على اسم المصدر.
- استعمل بعض الحروف بدلاً من حروف أُخرى أحياناً.
- استعمل ضمائر أو - وىْ بمعنى هو، هي للعاقل وغير العاقل، على خلاف اللغة الفارسيّة لأنّ هذه الضمائر للعاقل فقط.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٣٠.

- استعمل السوابق قبل الأفعال كثيراً، ليزيد جمال الألفاظ وعمق المعاني.

- لم يستعمل علامة المفعول به الصريح أي "را" في مقاماته إلاّ قليلاً جداً.

- حذف الضمير الفاعل بقرينة بعض الأحيان.

- استعمل أدوات التأكيد، وأكّد بها على المصادر والأفعال والعبارات.

- ويبدو أن الحَميدي قد عمد – بهذه القواعد الصرفيّة أن يضيف على جمال **مقاماته** لفظاً ومعنىً من جهة، ومن جهة أخرى أن تكون **مقاماته** فريدةً في نوعها في الأدب الفارسي، وأن يظهر قدراته الفنيّة واللغويّة، وابتكاراته تجاه الهمذاني والحَريري خاصّةً.

ثالثاً– البناء التركيبي في مقامات الحَريري والحَميدي

نشير إلى أهمّ الظواهر النحويّة في **مقامات** الحَريري وبعد ذلك في **مقامات** الحَميدي.

أ– البناء التركيبي في مقامات الحَريري

نذكر أهمّ الظواهر النحويّة في **مقامات** الحَريري. وقد سوّغناها حسب الكثرة والأهميّة كما يلي: الفعل الماضي، الجملة الفعليّة، الجملة الخبريّة والجملة الإنشائيّة، والجملة الشرطيّة، والمفاعيل والمنادى.

١– الفعل الماضي

اعتمد الحَريري في **مقاماته** الأزمنة الثلاثة أي الماضي والمضارع والأمر، بيد أنّه استعمل (الفعل) الماضي أكثر من سواه، لأنّه اعتمد على سرد الحوادث بلسان الراوي، كما نرى ذلك في بداية **مقاماته** جميعاً، فتبدأ المقامات كلّها بالفعل الماضي نحو: حكى، حدّث، روى، أخبر، قال. وكذلك جميع المقامات بشكل أساسي معتمدة على الفعل الماضي نحو: "**حدّث** الحارث بن همّام **قال**: لمّا **اقتعدتُ**[١] غاربَ[٢] الاغتراب[٣]، و**أنأتْني** المَترَبة[٤] عن الأتراب[٥]، **طَوَّحَتْ**[٦] بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن، **فدخلتها** خاوي الوفاض..."[٧].

---

(١) اقتعدت: ركبت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج ١، ص ١٦.

(٢) الغارب: مقدّم سنام البعير. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

(٣) الاغتراب: الغربة، التحول في البلدان والبعد عن الأوطان. وأراد لمّا اتّخذت ظهر الغربة قعوداً. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

(٤) أنأتني المتربة: أبعدتني الفقر. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

(٥) الأتراب: الأصحاب على سنّ واحدة. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

(٦) طوّحت بي طوائح: رمت بي نوائب. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

(٧) الحريري، **المقامات**، "المقامة الأولى: الصنعانية"، ص ١٠؛ خاوي الوفاض: فارغ الزاد. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٦.

أو في المقامة المغربيّة: "**حكى** الحارث بن همّام **قال: شَهِدتُ** صلاةَ المغرب، في بعض مساجد المغرب، فلمّا **أدّيْتُها** بفضلها، **وشَفَعْتُها**[(١)] بنفْلِها، **أخَذَ** طَرْفي رُفْقَةً قَدِ **انْتَبَذُوا**[(٢)] ناحيةً"[(٣)].

أو في المقامة الزبيديّة: "**أخبر** الحارث بن همّام **قال:** لمّا **جُبْتُ** البيد[(٤)]، إلى زَبيد[(٥)]، **صَحِبَني** غلامٌ قَدْ **كنتُ رَبَّيْتُه** إلى أن **بَلَغَ** أشُدَّه[(٦)]، **وثَقَّفْتُه**[(٧)] حتَّى **أكْمَلَ** رُشْدَه..." [(٨)].

أو في المقامة الحلبيّة: **رَوى** الحارث بن همّام **قال: نَزَعَ** بي[(٩)] إلى حلَب، شَوْقٌ **غَلَب**، وطَلَبٌ يالَه[(١٠)] من طلب **وكنتُ** يومئذٍ خفيفَ الحاذ[(١١)]، حَثيثَ النّفاذ[(١٢)]، **فأخذتُ** أُهبَةَ[(١٣)] السَّيْر، **وخَفَقْتُ**[(١٤)] نحوها خُفوق الطير..."[(١٥)].

وهلمّ جرّا.

٢- الجملة الفعليّة

استعمل (**الحَريري في مقاماته**) الجملة الاسميّة قليلاً، ويمكننا القول إنّ غالبية الجمل في **مقاماته** فعليّة، كما نلاحظ أنّ جميع المقامات تبدأ بأفعال حكَى، روى، حدّث، أخبر، قال، وكذلك في النصّ لأنّه يسرد الحوادث نحو: "رَوَى الحارث بن همّام قال: حضرتُ ديوانَ النظر بالمراغة، وقد جرى به ذكرُ البلاغة، فأجمَعَ مَن حَضَر مِن فرسانِ البراعة، وأرباب البراعة..." [(١٦)].

---

(١) شفعتها: زوّجتها. يريد أنّه صلّى الفريضة ثمّ صلّى النافلة. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٨٧.

(٢) انتبذوا: انفردوا وصاروا إلى جهة وزاوية من المسجد. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٨٧.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٠.

(٤) جبت البيد: قطعت الصحراء. الشريشي، **م.س**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، مج ٢، ص ١١٠.

(٥) زبيد: بلدة باليمن. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ١١٠.

(٦) بلغ أشدّه: بلغ الحلم وقيل ثلاثين سنة. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ١١٠.

(٧) ثقّفته: قوّمته وحذفته. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ١١٠.

(٨) الحَريري، **م.س**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٠.

(٩) نزع بي: شوّقني وحملني. الشريشي، **م.س**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٥٣.

(١٠) ياله: معناه التعجّب كأنّه قال: ما أعجبه من طلب. الشريشي، **م.س**، مج ٢، ص ٢٥٣.

(١١) خفيف الحاذ: قليل العيال. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ٢٥٣.

(١٢) حثيث النفاذ: سريع المضى في أموره ورجل نافذ ونفوذ ونفاذ ماض في جميع أموره. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ٢٥٣.

(١٣) أهبة: عدّة. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ٢٥٣.

(١٤) خفقت: ارتحلت بسرعة. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ٢٥٣.

(١٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٢.

(١٦) الحَريري، **م.س**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٤٦.

"حكى الحارث بن همّام قال: قَفَلْتُ ذاتَ مرّةٍ من الشام، أنْحُو مدينة السلام في رَكْبٍ مِنْ بني نُمَيْر..."(١).

في رأيي استخدم الحَريري الجملة الفعليّة أكثر من الإسميّة للأسباب التالية:

١- يأخذ الحدث في الجملة الفعليّة شكل السرد وليس التقرير كما في الجملة الإسميّة غالباً.

٢- يحكي الحَريري أحداثاً حدثت مع بطل مقاماته "أبي زيد السروجي" وهي في السرد القصصي حدثت في الماضي قبل التقاء البطل بالراوية.

٣- الجملة الفعليّة دلالاتها زمنيّة باستمرار ولذلك نقول: فعل ماضٍ، وفعل مضارع "حاضر"، وفعل أمر للدلالة على المستقبل. وكذلك استعمال "السين وسوف" حين تدخلان على الفعل المضارع يكون للدلالة على المستقبل.

٤- لو نظرنا إلى أيّة قصّة أو رواية نجد أنّها تستعمل الجمل الفعليّة في معظم الأحيان لأنّها سرديّة قبل كلّ شيء.

٥- الجملة الإسميّة تأخذ المعنى التقريري في معظم الأحيان لأنّها تعتمد على مسند ومسند إليه أي مبتدأ وخبر، فحين نقول: "الله قدير" نكون قد قرّرنا حقيقة وهذا لا يحتاج إلى سرد.

٣- الجملة الخبريّة(٢) والجملة الإنشائيّة(٣)

استعمل الجملة الخبريّة أكثر من الجملة الإنشائيّة، كما نجد نماذج لهذه الجمل الخبريّة في المقامات الوعظيّة، لأنّ الحَريري قد قصد بها تحريك نفوس المستمعين لتحصيل الأموال والأكل والثياب؛ والإيقاع الخطابي ساعده على الوصول إلى غرضه.

وقد أكثر الحَريري من اعتماد الجملة الخبريّة في المقامات الوعظيّة خاصّة، بسبب فائدة الخبر وهي إعلام السامع والقارئ بحكم خبره، وقصد بهذه الجمل الوعظ والإرشاد والتذكير.

فالجملة الخبريّة نحو: "أيُّها السادرُ في غلوائه، السادل ثَوْبَ خُيَلائه، الجامع في جهالاته، الجانح إلى خزعبلاته، إلامَ تستمرُّ على غيِّك، وتَستمرئُ مَرْعَى بغيك... تُبارِزُ بمعصيتك، مالك ناصيتك... أتَظنُّ أن ستنفعك حالُك، إذا آنَ ارتحالُك، أو يُنقذك مالُك، حينَ تُوبقُكَ أعمالُك، أو يُغني عَنْكَ نَدَمُك، إذا زلّت قَدَمُك، أو يَعْطِفُ عليك معشرُك، يوم يضمّك محشرُك..."(٤).

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٦٩.

(٢) الجملة الخبريّة: هي كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب. درويش الجندي، **علم المعاني**، ص ٣٢.

(٣) الجملة الإنشائيّة: هي كلّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أولا يطابقه. درويش الجندي، م.ن، ص ٣٣.

(٤) الحَريري، **م.س**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١ – ١٢.

"ادّكروا أيُّها الغافلونَ، وشَمِّروا أيُّها المُقصّرونَ، وأحسِنوا النظرَ أيَّهُا المُتَبَصِّرون، ما لكمْ لا يحزُنكمْ دَفنُ الأتراب، ولا يَهولُكُم هَيْلُ التراب، ولا تَعْبَأون بنوازلِ الأحداثِ، ولا تَستَعِدُّون لنزولِ الأجداثِ، ولا تَستعبرونَ لِعَين تَدْمَعُ، ولا تَعتبرونَ بِنَعْيٍ يُسْمَع..." [١].

والجملة الإنشائيّة نحو: "يا بنيّ إنّه قد دَنا ارتحالي من الفِناء، واكتحالي بمرود الفَناء، وأنتَ بحمد اللهِ وليُّ عهدي، وكَبْشُ الكتيبة الساسانيّة مِنْ بعدي، ومِثْلُكَ لا تُقْرَعُ له العصا، ولا يُنَبَّهُ بطَرْقِ الحَصا... وإنّي أُوصيك بما لم يُوصِ بهِ شَيْثُ الأنباط، ولا يَعقوبُ الأسباط، فاحْفَظْ وصيَّتي، وجانِبْ معصيّتي، واحذُ مثالي، واقفَهْ أمثالي، فإنّك إنِ استرشدْتَ بنُصحي، واستَصبَحتَ بصُحبي، أمْرَعَ خانُك، وارتَفع دُخانُك، وإنْ تناسَيْتَ سُورَتي، ونَبَذْتَ مشورتي، قَلَّ رمادُ أثافيك، وزَهِد أهلُكَ ورهطُك فيك..." [٢].

٤- الجملة الشرطيّة

نعلم أنّ الشرط والجواب يكونان مضارعَين، أو ماضِيَيْن، أو يكون الأوّل ماضِيّاً والثاني مضارعاً، أو الأوّل مضارعاً والثاني ماضيّاً وهو قليل، أو يكون الأوّل مضارعاً أو ماضيّاً، والثاني جملةً اسميّة مقترنة بالفاء أو بإذا. غير أنّ الحَريري استعمل الشرط والجواب ماضِيَيْن أكثر، خاصّة في المقامات الوعظيّة نحو: "**وإنْ شئتَ فقُمْ وقُلْ**"[٣].

"فقلتُ لأصحابي **لو حَضَرَ** السروجيُّ هذا المَقامَ، **لشَفَى** الداءَ العُقَامَ[٤]، فقالوا: **لو نَزَلْتَ** هذه بإياسٍ[٥]، **لأمْسَكَ** على ياسٍ..." [٦].

"**مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَ** وغَلَبَ"[٧].

"**لو عَقَلَ** ابنُ آدم، **لما نادَم**، **ولو فكرّ** فيما قَدَّم، **لَبَكَى** الدَّم، **ولو ذَكَر** المكافاة، **لاستدرك** ما فات، **ولو نَظَر** في المآل، **لحَسَّنَ** قُبْحَ الأعمال"[٨].

---

[١] الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٢.

[٢] الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٦٩ – ٥٧١.

[٣] الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٦.

[٤] العقام: الشديد، الّذي لا يؤثّر فيه الدواء. بمنزلة الرحم العقيم الّتي لا تؤثّر فيها النطفة فلا تلد. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩١.

[٥] إياس: هو ابن معاوية بن قرّة بن إياس قاضي البصرة. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٩١.

[٦] الحَريري، م.س، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٣.

[٧] الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٥.

[٨] الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٥.

"فقالَ لها القاضي أمّا أنتِ **فلو جادلْتِ** الخنساء، **لانثَنَتْ** عَنكِ خَرساء، وأمّا هو **فإنْ كان صَدَقَ** في زَعْمه، ودَعوَى عُدْمِه، فله في هَمٍّ قبقبِه ما يَشغَلُهُ عن ذَبْذَبِه، فأطْرِقَتْ تَنظُرُ ازوِراراً..."[١].

"فإنّك إنْ **استرشدْتَ** بنُصحي، واستصبحتَ بصبحي، **أمْرَعَ خانُك**، وارتفعَ دُخانُك، **وإنْ تناسَيْتَ** سُورَتي، ونَبَذْتَ مشورتي، **قلّ** رمادُ أثافيك، وزَهِدَ أهلُك ورهطُك فيك"[٢].

٥- المفاعيل

لا تخلو **مقامات** الحَريري من المفاعيل وأنواعها، خاصّة المفعول المطلق والمفعول به، كما يلي:

(أ) المفعول المطلق نحو: "أجول في حوماتها **جولانَ** الحائم"[٣].

"وقد أحاطتْ به أخلاطُ الزُّمر، **إحاطةَ** الهالة بالقمر"[٤].

"حيّا **تحيّةَ** خافِت"[٥].

"حاور **محاورةَ** قريب لا غريب"[٦].

"تَحسَبُها جامِدَةً وهي تَمُرُّ **مَرَّ** السخاب"[٧].

"وازمهرَّ[٨] **ازمهرارَ** المغتضب"[٩].

"لآخُذَ **أخْذَ** نُفوسِهِمُ الأبيّة"[١٠].

"فَشَمَّرْتُ **تشميرَ** مَنْ لا يَألو جهداً"[١١].

وقوله: (بحر المتقارب)

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٧.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧١.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ١١.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦١.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: المكّيّة"، ص ١٢٩.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١١.

(٨) ازمهرّ: توقّدت عيناه غضباً. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٦.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٧.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٧٠.

(١١) الحَريري، م.س، ص ٢٧٠.

لَبِسْـتُ لِكُـلِّ زَمـانٍ **لَبُوسَا** وَلابَسْتُ صَرْفَيْهِ نُعْمَى وبُوسا[١]

"فَحيَّا الوالي **تحيَّة** المحتاج"[٢].

وقوله: (بحر مجزوء الرجز)

واخْضَـعْ **خُضُوعَ** المُعْتَـرِفْ ولُـذْ مَـلاذَ المُقْتَـرِفْ[٣]

من خلال قراءة هذه الجمل الّتي لجأ فيها الحَريري لاستعمال المفعول المطلق نجد أنّه استخدمها أحياناً لتبيان المعنى المقصود وتثبيته في الذهن، فحين يقول: "حاور محاورةَ قريب لا غريب" يبيّن من خلالها قدرة أبي زيد السروجي على الاحتيال والنفاذ لنفسيّة من يحدّثه فكأنّه قريب منه جدّاً. أو في قوله "حيّا تحيةَ المحتاج" استعمل المفعول المطلق هنا ليبيّن الذلّ في تحيّته لأنّه يريد التسوّل.

(ب) المفعول به نحو: "وقد بَلَوْتُ **الإخوانَ**، وسَبَرْتُ **الأوزانَ**، وخَبَرْتُ **ما** شانَ وزانَ"[٤].

"اتّخَذتُ **هذا** الأدبَ إماماً"[٥].

"وقال **يا أهلَ البلاغة والبراعة**"[٦].

"فادعُوا **اللهَ** تعالى بتوفيقي للَمتاب"[٧].

نعلم أنّ استعمال المفعول به في اللغة العربيّة يكون أوّلاً لتبيان من وقع عليه فعل الفاعل، ولتبيان الدلالة المعنويّة المقصودة من ذكر المفعول به فحين يقول الحَريري مثلاً: "فادعوا اللهَ تعالى بتوفيقي للمتاب": هنا يذكر لفظ الجلالة وهو لغةً في موقع المفعول به ليبيّن صدقَه في توبته فدعوة الله واللجوء إليه وطلب المسامحة كلّها تتوضّح من خلال ذكر المفعول به وهو لفظ الجلالة. أو حين يقول: "اتّخذت هذا الأدبَ إماماً": يريد أن يبيّن مرحلة سمّو نفسه ومدى لجوئها إلى الأدب والأخلاق، فلم يقل مثلاً: اتّخذت الحاكم إماماً وغير ذلك.

٦- المنادى

ونجد أقسام المنادى في **مقامات** الحَريري الوعظيّة بكثرة، خاصّة المنادى المضاف والمفرد المعرفة، نحو: "**أيُّها** السادرُ في غُلَوائه..."[٨].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيّبيّة"، ص ٣٥٩.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤١٨.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩٨.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ١٧.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٧.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والثلاثون: الملطيّة"، ص ٤٠١.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩١.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١١.

"قال: **يا رواةَ القَريض**"[١].

وقوله نظماً: (بحر الرجز)

حُيِّيتُمْ[٢] **يا أهــلَ** هَذا المَنْزِلِ   وعِشْتُمفي خَفْضِ عَيْشٍ[٣] خَضِلِ[٤]

"فهل سمعتم **يا أولى الألباب**"[٥].

وقوله أيضاً: (بحر مخلّع البسيط)

يـــا مَـــنْ تَظَنَّى السَّـــرابَ ماءً   لَمَّـــا رَوَيْـــتُ الَّذي رَوَيْـــتُ[٦]

"**أيّها** الغافلون، وشَمِّروا **أيّها** المقصّرون، وأحسِنوا النظرَ **أيّها** المتبصّرون..." [٧].

"فقلتُ له بُعْداً لك **يا شيخَ النارِ**"[٨].

وقوله: (بحر مجزوء الكامل)

يـــا خاطِـــبَ الدُّنيـــا الدَّنيَّـــــــــةِ إنَّهـــا شَـــرَكُ الــــرَّدَى[٩]

"قال: **يا أولي الأبصار** الرامقة[١٠]، والبصائرِ الرائقة"[١١].

فقال له: أحسنتَ **يا بُدَيْر، يا رأس الدَّيْر**"[١٢].

ادنُ[١٣] **يا نويرة يا قمر الدويرة**"[١٤].

يا غَشَمْشَمَ[١٥]، **يا عطرَ مَنْشَم**"[١٦].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٢٢.

(٢) حيّتيم: طابت حياتكم والتحيّة البقاء. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، مـج ١، ص ٦٢.

(٣) خفض عيش: خفض: لين، وخفض عيشه خفضاً إذا أخصب. الشريشي، **م.ن**، مج١، ص ٦٢.

(٤) الحريري، **م.س**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٤؛ خضل: ناعم، وخضل الشيء يخـضل خـضلاً: ابتـلّ. الشريشي، **م.ن**، مج١، ص ٦٢.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٦.

(٦) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٨.

(٧) الحَريري، **م.س**، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٨.

(٨) الحَريري، **م.س**، ص ١٠٥.

(٩) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٥.

(١٠) الأبصار الرامقة: العيون الناظرة. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج ٢، ص ١٠٨.

(١١) الحريري، **م.س**، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٣؛ الرائعة: المعجبة. الشريـشي، **م.س**، مـج ٢، ص ١٠٨.

(١٢) رأسُ الدير: يا عظيم القوم، والدير موضع القسّيسين، أراد به حلقة أصحابه. الشريشي، **م.س**، "المقامة الـسادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٥٨.

(١٣) ادن: اقرب. الشريشي، **م.س**، مج٢، ص ٢٥٨.

(١٤) الحَريري، **م.س**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٥.

(١٥) الغشمشم: الّذي لا يردّه شيء عن مراده. الشريشي، **م.س**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّـة"، مـج ٢، ص ٢٦١.

(١٦) الحريري، **م.س**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٨؛ عطر منشم: قيل: كانت منشم جارية عطرت رجالها حين خرجوا للقتال فقتلوا عن آخرهم، فضرب بها المثل في الشؤم. الشريشي، **م.س**، مج ٢، ص ٢٦١.

"**يا زُغلول**[١]، **يا أبا الغُلول**[٢]، ثمّ نادى أوضِحْ **يا ياسين**"[٣].

استعمال المنادى في اللغة يكون للخطاب وللنجوى ولطلب المعونة وللتنبيه ولأمور كثيرة ففي قول الحَريري مثلاً: "حيّيتم يا أهل هذا المنزل": يخاطب أحبّته النازلين في هذا المنزل، وهنا يتلذّذ بذكر من يحبّ وهم أهل المنزل فالقصد من النداء هنا هو تبيان المشاعر الحميمة.

وهكذا تكون الدلالة الّتي يقصدها الحَريري من استعمال المفعول المطلق والمفعول به والمنادى وغير ذلك هي: تبيان المعنى وتعميق فهمه وإدخال أكثر إلى نفسيّة المخاطب، فحيناً يلجأ إلى المبالغة كما في المفعول المطلق، ويلجأ بذكره للمفعول به لتبيان ما يريد تعميقه من معنى. وحين يقول: "فاستمعوا يا أولى الألباب" يريد احترام العقل وعدم مخاطبة الجاهل. وهكذا يختلف الدلالة باختلاف المعنى الّذي يرمي ويهدف إليه الكاتب.

نستنتج القضايا التالية:

- استعمل الحَريري الأفعال كلّها في **مقاماته**، إلاّ أنّه استعمل الفعل الماضي بكثرة لأنّه يسرد الحوادث.
- اعتمد الجملة الفعليّة كثيراً لأنّه يسرد الحوادث.
- نجد الجملة الخبريّة أكثر من الجملة الإنشائيّة، خاصّة في المقامات الوعظيّة لأنّه قصد بها تحريك نفوس المستمعين لكسب المال والأكل من جهةٍ، وليُحقّق أهدافه الوعظيّة من جهة أخرى.
- استعمل الشرط والجواب ماضيَيْن كثيراً، لا سيّما في المقامات الوعظيّة.
- **مقاماته** حافلة بالمفاعيل، لا سيّما المفعول المطلق والمفعول به لتبيان المعنى المقصود.
- نرى المنادى وأنواعه في مقاماته الوعظيّة لإدخال مشاعر الكاتب إلى نفسيّة المخاطب ولتبيان المعنى المراد.

ب- البناء التركيبي في مقامات الحَميدي

نشير إلى أهمّ الظواهر التركيبيّة في **مقامات** الحَميدي بحسب الكثرة والأهميّة كما يلي: حذف الفعل بالقرينة، وحذف الفعل بدون قرينة، وتكرار الفعل، وتقديم الفعل على الفاعل والمفعول، والفعل المجهول صاحبه، والفعل الماضي الاستمراري، والوجه الوصفي، والوجه الشرطي والمسافة بين حرف النفي والفعل.

---

(١) الزغلول: الخفيف، وزغلول الرجل ولده. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، مج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) الغلول: الخيانة في المغنم، وأصله الستر والتغطيّة. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٢٦٥.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٣١.

١- حذف الفعل بالقرينة[١]

قد يحذف الحَميدي الأفعال بقرينة لفظيّة، إمّا في الجملة الأولى أو في الجملة الثانية. وأحياناً يُبقي الفعل في نهاية الجملة الأولى أي المعطوف عليه، ثمّ يحذف الفعل في الجملة الثانية أي الجملة المعطوفة على خلاف اللغة الفارسية نحو: "سفر تجارت كار بخيلان **است** واختيار حج پيشه عليلان"[٢].   است: يكون

ترجمة الشاهد

إنّ سفر التجارة شغل البخلاء واختيار الحجّ شغل المرضى.

است: يسمّى هذا الفعل فعل الكون ويعدّ من أكثر الأفعال استعمالاً وهو يعادل فعل ToBe بالإنكليزيّة، ولا يصرّف إلاّ في الزمن الحاضر. فلاحظنا أنّ الحَميدي حذف فعل **است** من الجملة الأخيرة ونعرفه من قرينته في الجملة الأولى.

"زيورى كه فخر راشايد، در آدمى علم وفرهنگ **است**، وآن حيله كه لاف را زيبَد خِرَد وسنگ"[٣].

ترجمة الشاهد

زينة الإنسان وعزّه في العلم والثقافة، وحلية افتخاره بالعقل والوقار والطمأنينة.

فقد حذف فعل **است** في الجملة الثانية، أي وآن حيله كه لاف را زيبَد خردوسنگ است.

"اگرچه در ابوّت هاشمى الاصل **است**، درفتوّت عصامى الفضل"[٤].

ترجمة الشاهد

ولو أنه في الأبوّة هاشميّ الأصل ولكنّه في المروءة عصاميّ الفضل.

فقد حذف الحَميدي فعل **است** في الجملة الثانية، أي در فتوّت عصامى الفضل است.

"غلام آنم كه چشم عبرت گير **دارد** ودل پندپذير"[٥].

ترجمة الشاهد

أنا عبد لمن يعتبر بالعين وبالقلب.

---

(١) لا بدّ من أن نذكر أنّ الفعل في الجملة الفارسية يذكر في آخر الجملة غالباً، كما أنّ الفاعل يذكر في أوّل الجملة دائماً، ويتوسّط بينهما الفضلة من المفعول به والظروف وغيرها.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٤.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٦.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

دارد: معناه التملّك، وعادة يستعمل كفعل مساعد، وقد حذف من آخر الجملة فعل **دارد** أيضاً ونعرفه من قرينته في وسط الجملة. وفي الحقيقة الفعل في الجملة الأولى هو **عبرت گيردارد** بمعنى يعتبر ومركّب من ثلاثة أجزاء، والفعل في الجملة الثانية هو **پند پذير دارد** بمعنى يعتبر أيضاً ومركّب من ثلاثة أجزاء وهو مترادف للفعل الأوّل معنىً، وقد حذف الجزء الثالث أي **دارد**.

وأحياناً يحذف الفعل في الجملة الأولى والأخيرة ويُبقيه في الوسط نحو: "هر حلالى را حسابى وهر حرامى را عذابى **است**، وهريك را مرجعى ومآبى"(١).

ترجمة الشاهد

كلّ حلال له حساب وكلّ حرام له عذاب، وكلّ منهما له مرجع ومآب.

فالفعل الّذي وقع في الوسط هو **است** يعني الملك أو يكون، وحذف في الجملة الأولى والأخيرة، فالجملة كانت في الأصل: هر حلالى را حسابى **است**، وهر حرامى را عذابى **است**، وهريك را مرجعى ومآبى **است**.

وقد يحذف الفعل – كالقدماء – في الجملة الأولى ويُبقيه في الجملة الثانية بقوله: "با ياران يكتا واخوان صفا **مشورتى كردم** هريك سفرى **راتعيين**، وعزيمتى را **تحسين كردند**"(٢).

ترجمة الشاهد

استشرت أصدقائي الأوفياء وإخواني الأصفياء، فشدّوا عزيمتي وعيّن كلّ منهم لي سفراً.

فالفعل هنا **تعيين كردند** بمعنى عيّنوا وهو فعل مركّب، وقد حذف الجزء الثاني منه، ونعرف ذلك من قرينته في الجملة الثانية وهو فعل **تحسين كردند** بمعنى شجّعوا وهو فعل مركّب أيضاً.

تجدر الإشارة إلى أنّ الحَميدي قد يحذف الفعل ويبقي حرف النفي بدل الفعل في أفعال اللازم والمتعدّي أو المركّب بدون سبب، وهذا الأسلوب غير جميل نحو: "تا به شهر همدان، پاى افزار غربت بيرون نكردم وعزم اقامت وسكونت **نه**"(٣).

ترجمة الشاهد

ما خلعتُ حذائي حتّى مدينة همذان ، وما عزمت على الإقامة والسكن.

فحذف الجزء الثاني من الفعل أي **ننمودم**، وبدل أن يقول: **سكونت ننمودم** أي ما سكنتُ، اكتفى بحرف النفي أي **نه** بمعنى لا. وهذه القرينة قبيحة في النثر الفارسي وغير مستعملة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٨.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٣٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٢.

وكذلك في هذه الجملة: "اى جوان! ندانسته اى كه حجره عشق بام ندارد، وصبح محبّت شام **نه**؟"[١].

ترجمة الشاهد

أيّها الفتى: ألا تعرف أنّ حجرة العشق ليس لها سطح، وصبح المحبّة ليس له عشاء؟

وقد يحذف فعل **نيست** بمعنى ليس، ويجعل بدله حرفي **نه** أو **نى** بمعنى لا وقصده نيست أي ليس، وذلك تخفيفاً أو قرينة له نحو: "اين غرايب محجوب **نيست**، واين عجايب مستور**نه**"[٢].

ترجمة الشاهد

لا تخفى هذه الغرائب، ولا تستر هذه العجائب.

"بالاى اين نظم بدين شگرفي **نيست**، ونشيب اين سخن بدين ژرفى **نه**"[٣].

ترجمة الشاهد

لا يوجد نظم أعلى وأكثر إعجاباً، ولا أكثر عمقاً من هذا الحديث.

"سلطان عشق متّهم **نيست**، وچون عاشقان مجرم **نى**"[٤].

ترجمة الشاهد

سلطان العشق ليس متّهماً وذلك لأنّ العشّاق غير مجرمين.

"گفت: اين منزل چنين شاق **نيست** واين اقتراح تكليف ما لا يطاق **نه**"[٥].

ترجمة الشاهد

قال: هذا المنزل ليس بهذا القدر من الصعوبة، واقتراح هذا التكليف ليس بما لا يطاق.

٢- حذف الفعل بدون قرينة

يحذف أحياناً الأفعال في الجمل المتوالية بدون قرينة كالأمثلة التالية: "چشمها گريان، ودلها بريان، وفيض وعظ بدين جا رسيده، ومدّ سخن بدين حد كشيده..."[٦].

ترجمة الشاهد

العيون باكية، والقلوب مشويّة، وقد وصل فيض الوعظ إلى هنا، وامتدّ الحديث إلى هنا...

فالفعل المحذوف في هذه الجمل هي **است** بمعنى يكون.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٦.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٦.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٤.

(٦) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.

"يماني برميان، وعقيلى در زير ران، داودى دربر، وعادى برسر... وسپر گيلى درپشت، وقناتى عربى در مشت..." [١].

ترجمة الشاهد

السيف اليمني على الطرف، والفرس العقيلي تحتي، ولابسٌ الدرع الداودي، والخوذة على الرأس... والترس المكّي على الظهر، والرمح العربي في القبضة...

والفعل المحذوف في هذه الجمل هو **داشتم** بمعنى كان عندي.

"خون در رگها **بجوش**، وسر بر تنها **بخروش**، عقاب اجل پر **بگشاده**، ومرغ امل سر **بنهاده**"[٢].

ترجمة الشاهد

غلى الدم في العروق، وهيَّجت الرؤوس على الأبدان، وفتح عقاب الأجل أجنحته، ونام طائر الآمال.

بجوش آمد: غلى، فقد حذف الجزء الثاني بدون قرينة، وكذلك **بخروش آمد:** هيّجت. وفعل **بگشاده بود:** فتح، فقد حذف الجزء الثاني من الفعل بدون قرينة، وكذلك الفعل الأخير **سربنهاده بود.**

٣- تكرار الفعل

يكرّر بعض الأحيان الفعل في الجملتَين المتواليتَيْن نحو: "خبايا وسرارير درميان **نهاديم**، وخفايا وضماير بر طَبَق عيان **نهاديم**"[٣]. نهاديم: وضعنا

ترجمة الشاهد

تحدّثنا عن الخبايا والأسرار، ووضعنا خفايا الضمائر على طبق العيان.

"راست سؤالى تاجواب **گويم** وبه برهان عقلى صواب **گويم**"[٤]. گويم: أقول، وهنا استعمل كفعل مساعد

ترجمة الشاهد

سَلْ حَقّاً حتّى أجيب وأعطيك الصواب بالبرهان العقلي.

"عقل رادراين ميدان برنقل ترجيح **است** واين سخن ثابت وصحيح **است**"[٥]. است: يكون

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٠.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٤١.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٨.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٨.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٧.

إنّ العقل له فضل على النقل وهذا الكلام ثابت وصحيح.

"اين سخن هم مسلّم **نيست**، واين قاعده محكم **نيست**"[١].   نيست: ليس

ترجمة الشاهد

هذا الكلام ليس مسلّماً، وهذه القاعدة ليست محكمة.

فهذا التكرار يدلّ على فصاحة الكلام.

٤- تقديم الفعل على الفاعل والمفعول

تأثّر الحَميدي باللغة العربيّة، فكتب جملاً شبيهة بالجمل العربيّة، وقدّم الفعل على أجزاء الجملة خلافاً للغة الفارِسية؛ لا سيّما في بداية المقامات جميعها بلا استثناء، وفي مقدّمة مقاماته أيضاً. وفي أماكن أخرى قليل جدّاً، ولا نشاهد هذا الأسلوب في خاتمة المقامات. وقد يجعل الفعل في وسط الجملة أيضاً. فنذكر أمثلة من تقديم الفعل على أجزاء الجملة في مقاماته نحو: **حكايت كرد** مرا دوستى كه حقّ موافقت مهد صغر داشت ونسبت مصاحبت عهد كبر..."[٢].   حكايت كرد: حكى

ترجمة الشاهد

حكى لي صديق كان يرافقني منذ الصغر وصاحبني حتّى الكبر...

حكايت كرد: حكى، أخبرني، حدّثني. كان هذا الفعل كثيرة الاستعمال حتّى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بين الأدباء الفرس.

حكايت كرد مرا دوستى كه محرم راحتها بود، ومرهم جراحتها..."[٣].

ترجمة الشاهد

حكى لي صديق كان محرم الراحات، ومرهم الجراحات...

حكايت كرد مرا دوستى كه در گفتار امين بود وبر اسرار ضنين..."[٤].

ترجمة الشاهد

حكى لي صديق كان أميناً في الحديث وضنيناً على الأسرار...

"تا**برسيدم** به وصف انواع رياحين ونعت انوار بساتين..."[٥].   برسيدم: وصلتُ

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٣.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٥.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٥.

ترجمة الشاهد

حتّى وصلت إلى وصف أنواع الرياحين ونعت أنوار البساتين...

"پس **رسيديم** به كوچه باريك ودهليز تنگ وتاريك"[١]. رسيديم: وصلنا

ترجمة الشاهد

فوصلنا إلى زقاق ضيّق وطريق ضيّق ومظلم.

"**ديدم** برگوشه دكّان پيرى وجوانى..." [٢]. ديدم: رأيتُ

ترجمة الشاهد

رأيت في زاوية الحانوت شيخاً وفتىً...

"**تابرسيدم** شبى از شبهاى غربت بدان ديار وتربت، كه مقصد ومقصود بود، **وفرود آمدم** بر باغى كه نزول غربا را معهود بود..." [٣]. برسيدم: وصَلتُ فرود آمدم: نزلتُ

ترجمة الشاهد

حتّى وصلت في ليلة من ليالي الغربة، إلى تلك الأرض والتربة الّتي كانت مقصداً وغاية، ونزلت في حديقة كانت للغرباء.

٥- الفعل المجهول صاحبه

أفرط الحَميدي في استعمال الفعل المبني للمجهول متأثّراً بالنثر العربي نحو: "ازكتب نفيس، جليس وحشت وانيس وحدت **ساخته مى شد**"[٤]. ساختة مى شد: يُصنَع

ترجمة الشاهد

يُصنع من الكتب القيّمة جليس الخلوة وأنيس الوحدة. وقد قصد الحَميدي بهذه العبارة أنّ الكتب تعدّ جليساً وأنيساً للإنسان.

"اين هردو مقامة سابق ولاحق، به عبارت تازى ولغت حجازى **ساخته وپرداخته شده است**"[٥]. ساخته وپرداخته شده است: قد كُتِبت ودُوِّنت

ترجمة الشاهد

وقد كُتبت ودُوِّنت هاتان المقامتان – مقامات الهمذاني والحَريري – باللغة العربيّة واللغة الحجازيّة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٧١.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المناظرة بين اللاطي والزاني"، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٠.

(٤) حميدى، م.ن، "مقدّمة"، ص ٢١.

(٥) حميدى، م.ن، ص ٢١.

"آدم تا در مهد بدايت بود، مسجود بود، چون به عهد نهايت رسيد **محسود شد**"[١]. محسود شد: صار محسوداً

ترجمة الشاهد

كان الإنسان ليوم خلقه مسجوداً له، ولمّا وصل إلى مقام كماله صار محسوداً.

"و ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٢] **گفته شد**"[٣]. گفته شد: قيل

ترجمة الشاهد

قد قيل ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

٦- الفعل الماضي الاستمراري[٤]

يستعمل الحَميدي أحياناً الفعل الماضي الاستمراري على شكله القديم في النثر الفارسي نحو: "به هر وقت كه زمره اى از ايشان به هم **بودندى** وطبقه اى درگوشه اى **بياسودندى**، من نظاره آن جمع وپروانه آن شمع **بودمى** وراه وفا وطريق صفا به خاطر **مى نمودمى**"[٥].

ترجمة الشاهد

في أيّ زمن كان يجتمع جماعة من الصوفيين وكان يستريح فريق منهم في زاوية، كنت أنظر إليهم نظرة الفراشة إلى الشمع، وكنت أتذكّر طريق الوفاء والصفاء.

وأمّا هذه الأفعال فهي تستعمل على الشكل التالي:

به هم بودندى ← به هم مى بود دند: كانوا يجتمعون

بياسودندى ← مى آسودند: كانوا يستريحون

نظاره بو دمى ← نظاره مى بودم: كنت أنظر

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣.

(٢) **البقرة**، ١٥٦/٢.

(٣) حميدى، **م.س**، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٨.

(٤) الفعل الماضي الاستمراري: توجد في الفارسية بعض الأزمنة الّتي لا نعرف لها اسماً في العربيّة كالماضي الاستمراري، وهو بالإنكليزيّة Past continuous tense، ويقصد به حصول الفعل في الزمن الماضي أكثر من مرّة واحدة. وللحصول على هذه الصيغة، نضيف حرف "مى" قبل المصدر المرخّم، ويجوز وصلها به أو فصلها عنه، مثل: مى رفتم أو ميرفتم: كنتُ أذهب. وفي حالة النفي نضيف حرف "ن" قبل حرف "مى" مثل: نمى رفتم: ما كنت أذهب. وفي النصوص القديمة كانوا يضيفون "همى" بدل "مى" إلى أوّل الفعل و "ي" إلى آخر الفعل الماضي المطلق، لإيجاد صيغة الماضي الاستمراري، نحو: همى رفتمى: كنت أذهب.

(٥) حميدى، **م.س**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٣.

به خاطر مى نمودمى ← به خاطر مى نمودم: كنت أتذكّر

"هر روز از وقت تنفّس صباح تا گاه تغلّس رواح، بر طرف آن دكّان **بودمى** وسخن اجناس مردمان **شنودمى**"(١).

ترجمة الشاهد

كنت أجلس في جانب ذلك الحانوت كلّ يوم من الصباح الباكر حتّى غسق الليل، وكنت أسمع ألوان الحديث من كلّ الناس.

بودمى ← مى بودم: كنتُ أكون

شنودمى ← مى شنودم: كنت أسمع

٧- الوجه الوصفى

قد يعتمد الحَميدى الوجه الوصفى بدلاً الفعل الكامل فتأخذ الجملة شكلاً وصفيّاً نحو: "تودر طلب مراد **آراسته**، ومن از سر مراد **برخاسته**"(٢).

ترجمة الشاهد

أنت في طلب المراد مزيّن، وأنا واصل إلى المراد.

"پيرى وجوانى بر قدم گفت وگوى **ايستاده**، وزبانهاى فصيح **گشاده**"(٣).

ترجمة الشاهد

شيخ وفتى واقفان على قدم الحوار، وألسنة فصيحة مفتوحة.

"لوح توحيد را در عهد مهد **ازبركرده**، ودواج اوامر ونواهى را چون قماط طفلى **درخود پچيده**"(٤).

قد حفظ لوح التوحيد منذ عهد الطفولة، ولوى دياجي الأوامر والنواهي عليه كقماط طفلٍ.

٨- الوجه الشرطي

استعمل هذا الوجه بالياء الاستمرارى، كما كان يستعمل في النثر الفارسي القديم نحو: "**اگر** پيرى علّت **احترام بودى**، **موسى** چهارده روزه **دست** در محاسن **فرعون** چهار صد ساله **نزدى**، **واگر** بزرگترى سبب نجات ورفع درجات **بودى**، **عيسى** دو روزه برتخت نبوّت يحيى وزكريّا **ننشستى**"(٥).

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٨.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٩.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: بين اللاطي والزاني"، ص ١٥١.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٥.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٣.

ترجمة الشاهد

لو كانت الشيخوخة سبباً للاحترام، ما لمس موسى وكان عمره أربعة عشر يوماً لحية فرعون وعمره أربعمائة سنة، ولو كان الكبر في العمر سبباً للنجاة ورفع الدرجات، ما جلس عيسى وعمره يومان على تخت نبوّة يحيى وزكريّا.

أو في هذه القطعة: (وزن هزج مثمّن سالم = مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)

همـــه عالم حديـــــث رتبـــت والاى مـــن **بودى**
اگرپيراهن وصـــل تو برىالاى مـــن **بودى**
اگرشايستـــــه بند تـــــو **بودى** پاى من يكـــــدم
سرگردون گردنده بزير پاى مـــن **بـــــودى**
چنين سودايى ومجنون **نماندى** عاشق ازهجرت
اگر وصل ترا يك دم سرســـوداى من **بودى**
زآهن صبر اگر **گشتى گُزيدى** خُرد **بشكستى**
گر آن كشتى دمى در موج اين درياى **بودى**
غمام روزنو روزى بجزغمها **نباريـــــدى**
اگرفيض غمام ازچشم خون پالاى ما **بودى**[١]

ترجمة الشاهد

- لو كنتُ ألبس قميص وصالك، كان العالم كلّه يتحدّث عن رتبتي العالية.
- ولو كنتُ لائقاً لعشقك، كان الفلك الدوّار رأسه تحت رجليّ.
- ولو لم أكن مشتاقاً لوصالك للحظة، ما كنت أبقى بعيداً عن محبوبي كالعاشق المجنون.
- لو كانت تلك السفينة في موج بحري، والخشب صار حديداً من شدّة الصبر، لانقطعت وانكسرت.
- لو فاض السحاب من دماء عيوني، ما نزل من السماء يوماً إلاّ الهموم.

٩- المسافة بين حرف النفي والفعل

نجد أحياناً مسافة بين حرف النفي والفعل للسجع في **مقامات** الحَميدي نحو: "باخود گفتم كه اى گُل عشق! **نه** بوقت **بودادى**، واى صورت غم! **نه** بوقت **رونهادى**"[٢].

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٣.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٤.

قلت لنفسي: يا وردة العشق! نثرت رائحة العطر في غير موسمك، ويا وجه الغمّ! أقبلت في غير وقتك. نه: لا، ليس بو دادى: نثرت رائحة العطر رونهادى: أقبلت

"اين چه تطويل وتهويل است كه **نه** اين كلمه نصّ تنزيل است"[1]. نه: لا، ليس

است: يكون

ترجمة الشاهد

ما هذا التطويل والتهويل، ليست هذه الكلمة نصّاً مُنْزَلاً.

"**نه** نخستين جنازه اى **است** كه از دروازه بيرون شده **است**، **ونه** اول تابوت **است** ازبيوت فنا به حانوت بقا نقل كرده است"[2].

ترجمة الشاهد

هذا الجسد ليس أوّل جنازه تخرج من البوابّة، ولا هذا أوّل تابوت ينقل من دار الفَناء إلى دار البقاء.

فمّما تقدّم عرفنا أنّ الحَميدي:

- حذف الأفعال بقرينة لفظيّة، إمّا في الجملة الأولى أو في الجملة الثانية على خلاف اللغة الفارِسيّة.
- حذف الأفعال في الجمل المتواليّة بدون قرينة.
- كرّر الفعل في الجملتَين المتواليتَين أحياناً.
- قدّم الفعل على الفاعل والمفعول أحياناً على خلاف اللغة الفارِسيّة، ومتأثّراً باللغة العربيّة.
- أكثر من استعمال الفعل المبني المجهول متأثّراً بالنثر العربي.
- استعمل أحياناً الفعل الماضي الاستمراري على شكله القديم في النثر الفارِسي القديم.
- اعتمد الوجه الوصفي بدلاً من الفعل الكامل.
- استعمل الوجه الشرطي بالياء الاستمراري، متأثّراً بالنثر الفارِسي القديم.
- جعل بعض الأحيان مسافة بين حرف النفي والفعل من أجل السجع.

فالجدير بالذكر أنّ النتائج المذكورة تدلّنا على أنّ الحَميدي تأثّر بالنثر الفارسي القديم، وعلم النحو العربي من جانب، ومن جانب آخر كتب جُملاً على خلاف اللغة الفارِسيّة نحويّاً. وقد قصد بها إظهار مقدرته اللغويّة والنحويّة تجاه علماء عصره.

---

(1) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية والعشرون، في صفة الشتاء"، ص ١٩٢.

(2) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٩.

* * *

عبَّر الحَريري والحَميدي بهذه الألفاظ في الصرف والنحو عن مقاصدهما التعليميّة، وخرجا من الإطار الصرفي لهدف الإيقاع والموسيقى، والسجع والقافية والجناس، أو لإظهار إحاطتهما باللغة والقرآن والحديث والفقه والأمثال لا سيّما في علم الصرف والنحو وما إلى ذلك.

وفي الواقع أنّ الحَريري استثمر أكبر عدد ممكن من الألفاظ العربيّة الفصحى، ولعب بها في قالب الصرف والنحو بأحسن صورة لهدفين: التعليم وإظهار قدراته اللغويّة وسيطرته على علم الصرف والنحو معارضةً للهمذاني وعلماء عصره، وكذلك الحَميدي استعمل عدداً كبيراً من الألفاظ الفارِسية الفصحى القديمة واخترع ألفاظاً أخرى لثلاثة أهداف: التعليميّة، وإظهار قدراته اللغويّة وسيطرته على علم الصرف والنحو في اللغتَين العربيّة والفارِسية معارضةً للحريري خاصّةً، والهدف الأخير إبداع ألفاظ جديدة ليسجّل اسمه في تاريخ الأدب الفارِسي.

الفصل الثالث

البناء اللفظي في مقامات الحَريري والحَميدي

يتناول هذا الفصل البناء اللفظي في **مقامات** الحَريري والحَميدي. فقسّمناه إلى أربعة مباحث: الأول: هو الألفاظ الغريبة في **مقاماتهما**. والثاني: الألفاظ الدخيلة في **مقاماتهما**. والثالث: أعلام الأشخاص في **مقاماتهما**. والرابع والأخير: أعلام الأماكن في **مقاماتهما**. وقد رتّبنا هذه الألفاظ والأعلام الأشخاص والأماكن ألفبائيًا. ويرمي جهدنا إلى معرفة أسباب اعتمادهما على هذا الأسلوب أي اختيار الألفاظ العجيبة والغريبة، وكذلك استعمال الألفاظ الدخيلة، وأعلام الأماكن في مقاماتهما، وسبب اعتمادهما على هذه الألفاظ والأعلام، ومدى تأثّر الحَميدي بالحَريري أسلوباً.

أوّلاً- الألفاظ الغريبة في مقامات الحَريري والحَميدي

سنتطرّق إلى المفردات والتراكيب الغريبة في **مقامات** الحَريري ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ- الألفاظ الغريبة في مقامات الحَريري

قد أثّر مجتمع الحَريري على ألفاظه، ومن الطبيعي أنّه لا يخرج عن منهاج العصر الّذي نشأ فيه، فأسلوبه الإنشائي متأثّر ببيئته وبمعاصريه. لعلّه كان من أكثر المنشئين ميلاً إلى التلاعب بالصناعات اللفظيّة، إظهاراً لطول باعه ومعرفته الواسعة. وغلبت الصناعة على إبداعه النثري والشعري، وصرف اهتمامه كلّه للألفاظ لا للحبكة والبناء. فلهذا تُعَدُّ لغة الحَريري من أغرب نماذج النثر المصنوع منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حتّى يومنا هذا.

جمع الحَريري ألفاظاً رصينة البناء واضحة المعاني، وأحياناً أخرى ألفاظاً يتعذّر على بعض الناس إدراك معناها. وسبكهُ مبنيّ على زخرفة اللفظ، والتركيز على جمال المفردات أكثر ممّا على المعاني والتعابير.

والأمر الّذي نراه كثيراً في **مقاماته**، هو ثقل كلامه وتنافر حروفه الّذي أدّى إلى نفور **مقاماته**، واجتناب مفرداته لتنافر حروفها كألفاظ: المُخْرَنْبِق[١] ومعناه الساكت المتهيّئ للكلام، أو قَنْفَشْتُ[٢] ومعناه حصلتُ، أو اقْعَنْسَسَ[٣] ومعناه دخل عُنُقُه في صدره من الكِبْر، أو المُشَقْشِقين[٤] ومعناه لين الكلام على جهة المكر، وشبه ذلك.

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٠.

(٢) الحريري، **م.ن**، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ١٥٦.

(٣) الحريري، **م.ن**، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ٢١٥.

(٤) الحريري، **م.ن**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٠٤.

أجهد الحَريري نفسه في اختيار الألفاظ الغريبة وغير المألوفة، وتأنّق في اختيار جملها، وأوغل في تصعيب الأداء ايغالاً كثيراً. وحفلت مقاماته بالغريب من الألفاظ، ولو استعرضنا مقاماته واحدة واحدة، لوجدنا مجموعة لغويّة بلغ فيها أقصى ما بلغه الأدباء واللغويّون.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَريري نفسه قد فسّر أحياناً غرائب الألفاظ والأمثال والنكت العربيّة في بعض **مقاماته** نحو: المقامة النصيبيّة[١] والمقامة القطيعيّة[٢] والمقامة الوبريّة[٣] والمقامة التبريزيّة[٤] والمقامة الشتويّة[٥] والمقامة الحجريّة[٦].

وتمثّل **مقاماته** درجة عالية في التلاعب بالألفاظ على حساب المعنى، والمبالغة في استعمال الزخرفة اللغويّة، وفي إظهار تمكّنه من اللغة، ومعرفة المترادفات. كما نجد ذلك في المقامة المراغيّة[٧] حين ينشئ أبو زيد السروجي رسالة لطلب الحاجة بشرط أن تكون حروف إحدى كلمتيها معجمة أي يعمّها النقط، وحروف الأخرى خالية من النقط. فينشئ أبو زيد السروجي رسالة طويلة حسب هذا الشرط.

وفي المقامة المغربيّة[٨] حينما يطلبون من أبي زيد السروجي أن يقول عبارة من سبع كلمات يمكن أن تقرأ من آخرها كما تقرأ من أوّلها. ويخطب خطبة طويلة جميع أحرفها غير منقوطة، في المقامة السمرقنديّة[٩].

ثمّ يتعمّد أيضاً أن ينظم شعراً أحرف جميع كلماته معجمة، أي يعمّها التنقيط، وذلك في المقامة الحلبيّة[١٠]. وأحياناً نجد أنّه يبهر السامعين بألغازه حين يستعمل اللفظ بمعناه الغريب غير المتداول في المقامة الشتويّة[١١]. وإلى مثل ذلك من ضروب العبث الّذي لا يستفادُ منه، إلا التكلّف الممقوت.

فسنذكر نماذج أخرى من هذه الألفاظ الغريبة في **مقامات** الحَريري أيضاً كما يلي:

---

(١) الحريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٩٢.

(٢) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والعشرون: القطيعيّة"، ص ٢٤٥ – ٢٤٨.

(٣) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والعشرون: الوبريّة"، ص ٢٨٢ – ٢٨٥.

(٤) الحريري، م.ن، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٥٠ – ٤٥٢.

(٥) الحريري، م.ن، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٥١١ – ٥١٣.

(٦) الحريري، م.ن، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٦.

(٧) الحريري، م.ن، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٥.

(٨) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٤.

(٩) الحَريري، م.ن، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٧ – ٢٨٩.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٦.

(١١) الحَريري، م.ن، المقامة الرابعة والأربعون: التبريزيّة، ص ٥٠٠.

- **الإدلاج والتأويب**[١]: "فَلَمْ نَزَلْ بَيْنَ إدْلاجٍ وتأويب"[٢].
- **أعشو**[٣]: "وظَلْتُ مُدَّةَ مُقامي بِمصرَ أعْشُو إلى شُواظِهِ"[٤].
- **الشِّنْشِنَة**[٥]: "وقال أما تَعلَمُ أنَّ شِنْشِنَتي الانتقال مِنْ صَيْدٍ إلى صَيْدٍ"[٦].
- **الصَهْصَلَق**[٧]: "فأنْشَدَ بِلسانٍ ذَلِق، وصَوْتٍ صَهْصَلَق"[٨].
- **الضَحْضَاح**[٩]: "فَلمَّا عَثَر على افتِضاحنا، ونُضُوبِ ضَحْضاحِنا"[١٠]. وقد قصد بعبارة نضوب ضحضاحنا عدم القدرة على هذه العبارة.
- **طَخْطَخَ**[١١]: "وطَخْطَخَ عَرَمْرَماً"[١٢]. أي أهلك جيشاً كبيراً.
- **قَرْقَعان**[١٣]: "وقالَتْ له ويْلَك يا قَرْقَعان"[١٤]. ويقول العُكبري إنّ قرقعان: "ضعيف العقل، أحمق، وهو أبلغ من الرقيع، وأصله من رَقَّعْتُ الواهي"[١٥].
- **مُتَدَهْدِهاً**[١٦]: "فَما لَبِثَ أنْ رَجَعَ مُتَدَهْدِهاً"[١٧].

---

(١) الإدلاج: سير الليل، والتأويب: سير النهار. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، مج ٢، ص ٨١.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٤.

(٣) أعشو: أنظر ببصر ضعيف. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧٧.

(٤) الحريري، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢٢.

(٥) الشِنشنة: الطبيعة. الشريشي، **م.س**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج٢، ص ٢٦.

(٦) الحريري، **م.س**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٦.

(٧) الصَهصلق: الشديد. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، مج٢، ص ٩٥.

(٨) الحريري، **م.س**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٥٧.

(٩) الضَحضاح: جفوف الماء القليل. الشريشي، **م.س**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج١، ص ١٩١.

(١٠) الحريري، **م.س**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٤.

(١١) طَخطخ: أهلك وفرّق. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، مج٢، ص ٥٠.

(١٢) الحريري، **م.س**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ٢٨٩.

(١٣) قرقعان: الأحمق، كثير الرقاعة، والرقاعة كالحماقة. الشريشي، **م.س**، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، مج٢، ص ٢٥١.

(١٤) الحريري، **م.س**، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٧.

(١٥) أبو البقاء العُكبري، **شرح الألفاظ اللغويّة للمقامات الحريريّة**، ص ٣٠٥.

(١٦) متدهدهاً: متحركاً. الشريشي، **م.س**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، مج ١، ص ١٠٨.

(١٧) الحريري، **م.س**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨٧.

- **مُجْرَمِزٌ**[١]: "إنّه مُجْرَمِزٌ سَيَمُدُّ الباعَ"[٢]. وجاء في **القاموس المحيط**، أنّ كلمة "جَرْمَزَ واجْرَمَّزَ: انقبض، واجتمع بعضُه إلى بعض. وأخَذَهُ بِجَراميزِه، أي: أجْمَعَ. وعام مُجْرَمِّزٌ: إذا لم يَعْجَلْ بالمَطرِ، ثمّ يَجتمع الماءُ في وسطه"[٣]. وعبارة سَيَمُدُّ الباع كناية عن الوثبة.

- **مَرْحَبْتُ**: "مَرْحَبْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إليها"[٤]. يقول العُكبري: "مَرْحَبْتُ: مَفْعَلْتُ، أي: قلتُ: مرحبًا بالصَّلاة، والمستعمل، رَحَّبْتُ، ولا يكاد يجيء: مَفْعَلْتُ إلاّ قليلاً"[٥].

- **مَعْمَعَان**: "صادفَ مَوْسِمُ الخَيْف، مَعْمَعانَ الصَّيْفِ"[٦]. يقول العُكبري: "مَعْمَعان الصَّيْف: شدّة حرِّه، ومَعَمَعان كلّ شيء: أتَمُّه"[٧].

- **نَضْنَضَ**[٨]: "قال فَجَعل الشيخُ يُنَضْنِضُ نَضْنَضَةَ الصِّلِّ"[٩].

- **هَلْقَمْتُ**[١٠]: "حتّى إذا هَلْقَمْتُ النَّوْعَيْنِ"[١١]. يقول العُكبري: "ابتلعت، قيل: الهاء أصلٌ، وقيل: زائدة، وأصله: لَقِمْتُ"[١٢]. وعبارة هلقمت النوعين: ابتلعت التمر واللبأ.

- **يَتَبَهْنَسُ**[١٣]: "ويَتَبَهْنَسُ بَيْنَ حَفَدَتِهِ"[١٤].

- **يَتَكَاءَدُنِي**[١٥]: "قَلَّمَ يَتَكاءَدُني لاستماعِ المواعِظِ"[١٦].

- **يَشُولُ بلسانِه**[١٧]: "وأخَذَ كُلٌّ واحدٍ منّا يَشُولُ بِلِسانه"[١٨].

---

(١) مجرمز: منقبض. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج ١، ص ٦٨.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٠.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مج ١، ص ٦٩٧، باب الميم، فصل الجيم.

(٤) الحريري، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٢.

(٥) أبو البقاء العُكبري، **شرح الألفاظ اللغويّة للمقامات الحريريّة**، ص ٢٦٩.

(٦) الحريري، م.س، "المقامة الرابعة عشرة: المكّيّة"، ص ١٢٨.

(٧) العُكبري، م.س، ص ١٧٦.

(٨) نَضنضَ: يحرّك لسانه. الشريشي، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، مج ١، ص ٢٩٠.

(٩) الحريري، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٣١.

(١٠) هلقمت: ابتلعت بسرعة. الشريشي، م.س، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، مج ١، ص ١٨٢.

(١١) الحريري، م.س، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٦.

(١٢) أبو البقاء العُكبري، م.س، ص ١٨٧.

(١٣) يَتَبَهْنَس: يتبختر. الشريشي، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ١، ص ٧١.

(١٤) الحريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٥.

(١٥) يتكاءدني: يشقّ عليّ. الشريشي، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، مج ١، ص ٢٤٥.

(١٦) الحريري، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: الرازيّة"، ص ١٩٩.

(١٧) يشول بلسانه: يضرب به في كلّ كلام. الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، مج ٢، ص ٢٤١.

(١٨) الحريري، م.س، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٤٩٨.

– **اليَعْمَلات**[١]: "أمـــامَ إعمالِ اليَعْمَلات"[٢]. وقال ابن منظور في **لسان العرب**: "اليَعْمَلَـــة مـــن الإبل: النجيبة المُعْتَمَلة المطبوعة على العَمَل، ولا يُقال ذلك إلاّ للأنثى؛ هذا قول أهل اللغة"[٣].

وجدنا أنّ **مقامات** الحَريري تكتظّ بالألاعيب اللفظيّة الّتي تـــذهب أحيانـــاً بقـــوّة التعمّـــق فـــي الموضوع. وقد وقع الحَريري في التعقيد اللفظي واللغوي كثيراً، بسبب الإكثار والمبالغة في اســـتعمال الألفاظ الصعبة.

ب- الألفاظ الغريبة في مقامات الحَميدي

تعدّ **مقامات** الحَميدي عملاً فنّيّاً رائعاً في الأدب الفارِسي، حاوية من متخيّر الألفـــاظ ومنتحـــل الأساليب وناصع البيان مع إحكام السبك، ما جعلها قمّة في الأدب الفارِسي. كما جعل الحَميدي يختلـــف عن سائر الأدباء الفرس في إنتاجه الأدبي، بسبب فصاحة الألفاظ أو غرابتها أحياناً، ومتانة التراكيـــب أو ركاكتها أحياناً أخرى، واختراع المفردات العجيبة والغريبة.

كتب الحَميدي أثره البديع أي **المقامات** قبل ثمانية قرون بلغتـــه الأدبيّـــة الخاصّـــة، واعتمـــد المفردات، والمصطلحات والتراكيب الخاصّة الّتي لا نراها عند الأدباء الآخرين من معاصـــريه حتّـــى العصر الحديث إلاّ قليلاً جدّاً جدّاً.

فأمّا الكلمات الغريبة والمفردات غير المألوفة والألفاظ الخاصّة للحميدي في **مقاماته** فهي تبلـــغ حوالي ثلاثمائة وخمسين، بعضها بالعربيّة وبعضها الآخر بالفارِسية الّتي تحتاج إلى دراســـة خاصّـــة. فنذكر بعضاً منها بحسب الترتيب الألفبائي.

١- **آب** لغة: الماء، وهنا بمعنى اللون والطراوة، و **سنگ** لغة: الحجر، وهنا بمعنـــى الوقـــار كقوله: "**آبى** دارى ولكن تابى ندارى، رنگى دارى ولكن **سنگى** ندارى"[٤].

---

(١) اليعملات: اليعملة: الناقة تعمل كثيراً في المشي. وإعمال اليعملات: استعمال الإبل للمـــشي. الشريـــشي، **شـــرح مقامات الحريري**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، مج ٢، ص ٨١.

(٢) الحريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٦.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٧٦، باب العين، فصل اللام.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٨.

ترجمة الشاهد

لديك لون وطراوة لكن دون صبر ووقار.

٢- **آتش درنفت زنيد** لغة: أشعلوا، وقصد الحَميدي بهذا المصطلح: زيّنوا الشوارع والأزقّة والبيوت بالقناديل واحتفلوا وهذا في البلاغة نسمّيه كناية، كقوله: "گُل سرخ، چون گوهر درخشان، ازكان بدخشان، سر برون كرده كه **آتش درنفت زنيد** كه دولت، دولت ماست"(١).

ترجمة الشاهد

نَبَتَ وَظَهَرَ الورد الجوري مثل الجوهر المضيء، من منجم بدخشان، وقال: زيّنوا الشوارع واحتفلوا، لأنّ السعادة والفرح مُلك لنا.

٣- **آراستن** لغة: التوشيح والتزيين، وهنا بمعنى الاستعداد.

"برخاستيم ونماز را **بياراستيم**"(٢).

ترجمة الشاهد

وقفنا وللصلاة استعدَدْنا. والمقصود أجدنا الصلاة.

٤- **اعتبار** هذه الكلمة عربيّة، وفي اللغة الفارسية معناها القيمة، كما تستعمل اليوم في الأمور البنكيّة كقوله: "**اعتبار** اختلاف مكان وزمان واجب است"(٣).

ترجمة الشاهد

إعطاء المرء قيمة لنفسه واجبٌ في كل زمان ومكان.

٥- **بازشدن** لغة: الفتح، وهنا بمعنى العودة والنزول بقوله: "با رفيقان بى توشه، به گوشه اى **باز شدم**"(٤).

ترجمة الشاهد

نزلتُ إلى زاوية، مع رفاق بلا زاد.

٦- **بازگشتن** لغة: الرجوع والعودة، وهنا بمعنى الافتراق بقوله: "چون ازهم **بازگشتيم**، من در دريا نشستم واو در بيدا، من به چين رفتم و او به صيدا"(٥).

ترجمة الشاهد

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٩.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة، في الغزو"، ص ٤١.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٦.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٣.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٨.

لمّا افترقنـــا، جلست في البحر وهو في البيـــداء، أنا ذهبت إلـــى الصين وهو إلى صيدا.

٧- **بَدْدِل** لغة الشكّاك، وهنا بمعنى الجبان بقوله: "عاشق **بددل** را جز بى حاصـــلى، حاصـــل نيايد"[١].

ترجمة الشاهد

لا يحصد العاشق الجبان إلاّ اللاّشيء.

٨- **به دست كردن**، لغة: الوضع في اليد، هنا بمعنى الاختيار كقوله: "شرط اهمّ وركن اتـــمّ، در سپردن طريق، **به دست كردن** رفيق است"[٢].

ترجمة الشاهد

إنّ الشرط الأهمّ والركن الأتمّ، في طيّ الطريق هو اختيار الرفيق.

٩- **پاى افزار**: قصد بهذه الكلمة الحذاء، وهذا اللفظ غير مستعمل في اللغة الفارسية بقولـــه: "تابه شهر همدان **پاى افزارِ** غربت بيرون نكردم"[٣].

ترجمة الشاهد

حتّى مدينة همذان لم أخلع حذاء الغربة.

١٠- **پرداختن** لغة بمعنى الدفع، ولها معان أخرى لأنّها تستعمل كفعل مـساعد فـــي اللغـــة الفارسية بَيْدَ أنّ الحَميدي استعملها بمعنى آخر، وقصد بها الإفراغ والتفريغ بقوله: "هركه را خرقه اى بود در انداخت، وهر كه را كيسه اى بود **بپرداخت**"[٤].

ترجمة الشاهد

كلّ من كان له خرقة خلعها، وكلّ من كان لديه كيس نقود دفعه للآخرين.

أو "كيسه ازنقد **بپرداختم** وآنچه بود در وى انداختم"[٥].

ترجمة الشاهد

فرّغتُ الكيس من النقود، وأعطيته كلّ ما كان فيه.

١١- **پى شمار** غير مستعملة في اللغة الفارسية، وقصد بها: من يخلف الوعد، بقولـــه: (وزن هزج مثمَّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٥.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: في السفر والرفاقة"، ص ١٢٨.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٢.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٥.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٨.

بادل گفتم كه دل از ياران بركن وزبد عهدان وبى **شماران** بركن[١]

ترجمة الشاهد

قلت لقلبي: دع عنك مودّة الرفقاء، ودع عنك الّذين لا يوفون بعهدهم وما أكثرهم.

١٢- **چفته**: هذه الكلمة غير مستعملة في اللغة الفارسية، وقصد بها الانحناء بقوله: (وزن هزج مثمَّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

قدّى چوكمان زهجر ياران **چفتِه** جانى ودلى به آتش غم تَفْتِه[٢]

ترجمة الشاهد

انحنت القامة من هجر الأحبّة، وانكوت الروح والقلب بنار الغمّ.

١٣- **چمانه**: قصد بها: كيل الخمر بقوله: "سراسر اين ويرانه موضوع خمر و**چمانه** ومحلّ سماع وترانه بوده است"[٣].

ترجمة الشاهد

كانت جميع هذه الخرابة محلّ سماع الموسيقى وموضع الكيل والخمر.

١٤- **خَه خَه** من الأصوات للتشجيع والتحسين، وأحياناً للتحقير والاستهزاء، واستعمل الحَميدي هذا اللفظ للتحسين بقوله: "همه گفتند :**خَه خَه**، وعليك عينُ الله"[٤].

ترجمة الشاهد

كلّهم قالوا: أحسنت، وعليك عين الله.

١٥- **نگارستان** لغة: حديقة الورود، وهنا بمعنى الامرأة الحسناء. و**بيمارستان** لغة: المستشفى، وهنا بمعنى مشفى المجانين بقوله: "امروز به ضرورت بندش برنهادند، اينك چون **نگارستان** در **بيمارستان** نشسته است"[٥].

ترجمة الشاهد

اضطرّوا هذا اليوم إلى أن يقيّدوه، فهو جالس كالامرأة الحسناء في مشفى المجانين.

أو "تا از مجانين **بيمارستان**، قوانين اين داستان بياموزى"[٦].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٥.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٧.

(٣) حميدى، م.ن، ص ١٦٩.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة السادسة: في السكباج"، ص ٦٩، و"المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٣.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: في المجنون"، ص ١٤٣.

(٦) حميدى، م.ن، ص ١٤٤.

ترجمة الشاهد

حتّى تتعلّم من مشفى المجانين أصولَ هذه القصّة والقوانين.

اختار الحَميدي هذه المفردات الخاصّة والعجيبة والغريبة وغير المستعملة عند الآخرين للسجع، أو ربّما ليمتاز عن الأدباء الآخرين، أو لإظهار قدراته اللغويّة معارضةً للحَريري خاصةً.

ثانياً– الألفاظ الدخيلة في مقامات الحَريري والحَميدي

سنذكر ما أضافه الحَريري للغة مقاماته من الثقافات الأخرى، ومن أهمّها اللغة الفارِسيّة، ثمّ سنعرض نماذج من الألفاظ العربيّة الّتي استعملها الحَميدي في مقاماته.

أ– الألفاظ الدخيلة في مقامات الحَريري

لا نجد لغة في العالم مصونةً من الامتزاج باللغات الأخرى لأنّ الناس يتأثّر بعضهم ببعض في التبادل اللغوي في السفر والتجارة أو بواسطة سماع قصص الشعوب الأخرى وأساطيرهم ورواياتهم. فمن هنا نرى الكلمات الدخيلة في جميع لغات العالم. وقد أثّرت اللغة العربيّة في اللغة الفارِسية وبالعكس، فنجد الكلمات الدخيلة في اللغتَيْن العربيّة والفارِسية بكثرة. وأدّى هذا الامتزاج وقبول الكلمات في اللغتين العربيّة والفارِسية خاصّة إلى زيادة الثروة اللغويّة وتوسيع الأفكار وازدياد قدرة الكتّاب والشعراء للوصول إلى أهدافهم المختلفة.

وأمّا الحَريري فهو كالأدباء الآخرين اعتمد مفردات دخيلة لا سيَّما من الفارِسية واستعملها ضمن **مقاماته**. فنذكر هذه الكلمات الدخيلة ألفبائيّاً.

١– **الأصطُرلاب:** "جَعَل يَرفَع الأصطرلابَ ويَضَعُه"[١]. الأصطرلاب: "مرآة الشمس وُضعت لمعرفة الأوضاع الفلكيّة"[٢]. أو بعبارة أخرى ميزان الشمس وهي كلمة غير عربيّة، ويونانيّة.

٢– **الأوراج:** "خَراجُ الأوراج"[٣]. الأوراج: كلمة ليست بعربيّة، وهي: الدفاتر الّتي فيها الحساب مُفَصَّلاً.

٣– **بغداذ:** "ولو أُعطيتُ مُلْكَ بغداذ"[٤]. بغداذ بالذال والدال والنون ولفظ بغداد أعجمي معرَّب، وأصله بالفارِسية عطاء الحديقة أو عطاء الروضة. وهي "اسم بلد يُذكَّر ويُؤَنَّث، والدال الأولى مهملة وأمّا الثانية ففيها ثلاثُ لغاتٍ: بغداد، بغداذ – بغدان. وكلمة بغداد غير عربيّة"[٥].

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠١.

(٢) سليمان المنشي، **رسالتان في المعرَّب**، ص ١٣٥.

(٣) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٥.

(٤) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٩.

(٥) الفيّومي، **المصباح المنير**، ج ١، ص ٥٦.

٤- **البَنْج:** "فقال لم أعْدُ[١] خبيصَ[٢] البَنْج"[٣]. البنج: "بنت له حبٌّ يؤثّر بالعقل ويورث الخبال، وربّما أسكر، إذا شربه الإنسان بعد ذوبه، ويقال: إنّه يورث السبات"[٤]. وهو من الأدويّة المخدّرة المرقّدة. وقال الشريشي: إنّ البنج "نبات يسكر منه وهو لبن الخشخاش البرّي المعروف بالأفيون"[٥].

٥- **الجهابذة:** "أنسيتُم يا جَهابِذَةَ النَقْد"[٦]. الجهابذة جمع جِهْبَذ، وهو العارف بالنّقد وليس بعربي.

٦- **الخَلَنْج:** "فقال لم أعدُ خبيصَ البنج، في صِحاف الخَلَنْج"[٧]. الخلنج: "ضرب من الخشب"[٨] المعروف، "شجر فارسي معرّب"[٩].

٧- **الدَّسكَرَة:** "فَأَدْلَجْتُ إلى الدَّسْكَرة"[١٠]. الدسكرة: حانة الخمّار وليست عربيّة، وقيل هو "بناء يشبهُ القصر حوله بيوت ويكون للملوك. وهو لفظ معرَّب. والدسكرة: القرية"[١١].

٨- **الرُّزداقات:** "فاتّفقَ أن نُدِبوا في بعض الأوقات، لاستقراء مَزارع الرُّزداقات"[١٢]. الرزداقات، واحدها: رزداق، وهو فارسي معرّب، وجُمع بالألف والتاء وهو مذكّر، وأصله رُستاق[١٣].

---

(١) لم أعد: لم أتجاوز. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٦.

(٢) خبيص: نوع من الحلواء. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ٦٦.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠٦.

(٤) الفيّومي، **المصباح المنير**، ج ١، ص ٦٢.

(٥) الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٦.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥١.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠٦.

(٨) الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٦.

(٩) سليمان المنشي، **رسالتان في المعرَّب**، ص ١٥٢.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٤.

(١١) الفيّومي، م.س، ج ١، ص ١٩٤.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: الفراتيّة"، ص ٢١٠.

(١٣) رُستاق: قال أبو منصور الجواليقي: وكان الفرّاء يقول: الرُّسداق: الرُّستاق، وهو معرّب، ولا تَقُل: رُستاق... وقال ابن السكّيت: يقال: رُسداق ورُزداق، ولا يقال: رُستاق، وقد خُولف ذلك. ابن برّي، **التعريب والمعرّب**، ص ٩١ - ٩٢.

٩- **سُفْتَجَة:** "أجمعوا على أنّ الحركة بركة، والطّراوة سُفتجة"[١]. السفتجة: بضمّ السين أو بفتحها، ومعناه أن يكون للإنسان على إنسان دَيْن في بلدة، فيكتب له به إلى بلده الّذي يقصده، ويأمن خطر حمله. وهي كلمة فارسيّة معرّبة"[٢].

١٠- **السَّنَاء:** "تَشْهَدُ لبانيها بالثّراء والسَّناء"[٣]. السناء: "الرّفعة والشرف"[٤]، وهو معرَّب.

١١- **شاه:** "شاهُ هذه الرُّقعة"[٥]. شاه: بلغة العجم الملَك، والمراد أنّه "مَلَك هذه الجزيرة، وأراد بالرقعة سفرة الشطرنج، وشاهها ملك جيشها الّذي يتصرّف في بيوتها كيف يشاء"[٦]. فهو فارسيّ.

١٢- الشَّصّ: "أنشبتُ شَصّي"[٧]. الشصّ: حديدة يُصاد بها السمك. قال ابن دريد: "ولا أحسَبُه عربيّاً"[٨]. هو معرّب، ويقال بالفارسية: شَسْت، ومعناه الإصبع الإبهام.

١٣- **الشوذَر:** "عليه شَوْذَر"[٩]. "فيه وجهان: أحدهما الإزار الّذي يؤتَزر به، والآخَرُ كلّ ثوب استتر به"[١٠]، وأصله فارسي مُعَرَّب.

١٤- **شَيْرين:** "على أنّه لو حَبَتْكِ[١١] شَيْرينُ بجمالها"[١٢]. شيرين: اسم بنت من بنات الفرس، ومعناها الحلو، "وهي بنت أبرويزبن هرمز – أحد الملوك الفرس – وكانت آية في الجمال وغاية في الحسن والكمال، فاقت نساء زمانها صيانة وظرفاً وبهرتهنّ ملاحة ولطفاً، وخلفت في العراق آثاراً منها: قصر شيرين. ولها قصّة منظومة مشهورة بالعجميّة"[١٣]. وهذه القصّة الغراميّة مشهورة بقصّة شيرين وفرهاد.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٨٠.

(٢) الفيّومي، **المصباح المنير**، ج ١، ص ٢٧٨.

(٣) الحَريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٣.

(٤) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧١.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة التاسعة والثلاثون: العمانيّة"، ص ٤٣١.

(٦) الشريشي، م.س، "المقامة التاسعة والثلاثون: العمانيّة"، مج ٢، ص ١٥٨.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الأولى، الصنعانيّة"، ص ١٦.

(٨) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج ١، ص ١٣٧؛ الزبيدي، **تاج العروس**، مج ١٨، ص ١٢.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٥.

(١٠) ابن دريد، م.س، ج ٢، ص ٦٩١.

(١١) حبتك: أي خصتك. الشريشي، م.س، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٦٦.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤١.

(١٣) الشريشي، م.س، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٦٦.

١٥- **القَنْد**: "أخبر الحارث بن همّام قال: استَبْضَعتُ[(١)] في بعض أسفاري القند"[(٢)]. القند: "عُصارة قصب السكّر، وهو فارسي معرّب"[(٣)]. ويقال: هو معرّب، وجمعه قُنود.

١٦- **الكباب**[(٤)]: هو اللحم المشوي على الجمر وقيل هو اللحم يقطع عراضاً ويلقي على النار. أصله فارسيّ وغير عربيّ.

١٧- **المُدَرْوَزين**: "إنّما هي مِصْطَبَةُ المقيّفين والمـدَرْوَزين"[(٥)]. المدروزين: "مُوَلّد من الأعجميّة"[(٦)]، ومعناها: "المكدّين، ودروزه كلمة أعجميّة، معناها الكدية"[(٧)].

١٨- **المِصْطَبة**: "إنّما هي مِصْطَبَةُ المُقَيّفين"[(٨)]. المصطبة: "بكسر الميم، كالدكّانَ للجلوس عليه"[(٩)]، أي موضع يجتمع فيه الفقراء المكدّون والشّحاذون الّذين يتبعون آثار الناس وينسبون أنفسهم ثمّ يكدّون. وليست عربيّة.

١٩- **هَمَّنَ**: "فلمّا هَمَّنَ ما اصطفاه..."[(١٠)]. همَّن: "شدّه بالهميان، نوع من التكّة"[(١١)]. والهِمْيان: الّذي تُجْعل فيه الدراهم، فارسي معرّب. وقد ذكره صاحب كتاب **الصحاح** في المعتلّ على أنّ نونه زائدة[(١٢)]، واشتقّ الحَريري منه: هَمَن، وهذا يدلّ على أنّه ظنّ النون أصل الكلمة.

ذكرنا نماذج من الألفاظ الدخيلة في **مقامات** الحَريري، وهناك احتمالان الاحتمال الأوّل: أنّ الحَريري تأثّر باللغات الأخرى لا سيّما اللغة الفارسيّة، فمن هنا أدخل كثيراً من كلمات اللغات الأخرى

---

(١) استبضعت: اتّخذت بضاعة. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، مج ٢، ص ٤٧.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٦.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج ٢، ص ٦٧٧؛ الفيّومي، **المصباح المنير**، ج ٢، ص ٥١٧.

(٤) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٧.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٤.

(٦) ابن دريد، **م.س**، ج ٢، ص ٦٢٧.

(٧) الشريشي، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، مج ٢، ص ٧١.

(٨) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٤؛ المقيّفين: المكدّين. وقيل: المقيّفون جمع مقيف، وهو الّذي يقفو آثار الناس أي يتبعهم يطلب شيئاً، ويدعو لهم. الشريشي، **م.س**، مج ٢، ص ٧١.

(٩) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ١، ص ١٨٨، باب الباء، فصل الصاد.

(١٠) الحَريري، **م.س**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٣٠٨.

(١١) الشريشي، **م.س**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٦٧.

(١٢) الجوهري، **تاج اللغة**، ج ٦، ص ١٠٩.

في مقاماته، والاحتمال الثاني: أنّ هذه الألفاظ اندمجت في اللغة العربيّة اندماجاً شديداً إلى حدٍّ أنّ الحَريري اعتبرها من لغته.

ب- الألفاظ الدخيلة في مقامات الحَميدي

"دخلت اللغة العربيّة إلى إيران بعد ظهور الإسلام واستقراره في جزيرة العرب، ومن ذلك الزمن أثّرت في اللغة الفارِسية وآدابها"[1]. وتعدّ المرحلة الممتدّة من أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حتّى أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي من أهمّ المراحل في اللغة الفارِسية من حيث اعتمادها الكلمات والتراكيب العربيّة بوفرة. ومن أهمّ أسباب هذا الاعتماد:

- معرفة الشعراء والكتّاب الفرس باللغة العربيّة خلال تحصيلهم في المدارس. لذلك نرى أكثر الأدباء في هذا العصر مسيطرين على اللغة العربيّة، وحتّى قراءاتهم كانت باللغة العربيّة ويعتبرون من أشهر الأدباء في اللغة العربيّة. فأدّى هذا الأمر إلى إفراطهم في اعتماد الألفاظ والتراكيب والتعابير العربيّة.

- في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين كان من الضروري أن يحفظ الأديب كثيراً من النصوص الأدبيّة في اللغة العربيّة. فهذا الأمر كان وسيلة جديدة لمعرفة اللغة العربيّة والأنس بألفاظها وتراكيبها وتعابيرها. فمن هنا استعمل الشعراء والكتّاب كثيراً من المفردات العربيّة في أعمالهم الأدبيّة نثراً ونظماً.

- إنّ الشاعر ليعبّر عن شعوره وأفكاره وعقائده كان يحتاج إلى كلمات كثيرة، فهكذا دخلت الكلمات العربيّة في اللغة الفارِسية.

- دخل بعض الكلمات والمصطلحات والعبارات العربيّة إلى اللغة الفارِسية إثر تقليد الكتّاب والمترسّلين الفرس من الكتّاب والمترسّلين العرب.

- كلّما ازداد عمر الإسلام ونفوذه في إيران، ازداد تأثيره في الأدب الفارِسي. ولم ينحصر هذا التأثير باستعمال المفردات العربيّة فقط، إنّما تأثّر الأدب الفارِسي بقواعد اللغة العربيّة أيضاً، نحو استعمال أوزان جمع التكسير العربي، أو إدخال علامة التأنيث في آخر بعض الصفات وأمثال ذلك.

وبسبب هذه العوامل في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر الميلاديين، دخلت كلماتٌ كثيرةٌ ذات التراكيب والتعابير غير الضروريّة، وأحياناً غير المأنوسة من اللغة العربيّة إلى اللغة الفارِسية، كما أنّ الأسباب المذكورة أدّت إلى تغيير لهجة بعض الكتّاب والشعراء أيضاً[2].

إنّ الارتباط الوثيق بين اللغتين العربيّة والفارِسية بل تلاحم اللغتين والتأثير والتأثر المتبادل بينهما، أدّى إلى دخول المفردات والمصطلحات من كلّ من اللغتين إلى الأخرى، لا سيّما دخول

---

(١) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسي**، مج ٢، ص ٨١.

(٢) لمزيد من التفصيل أنظر: صفا، **تاريخ ادبيات در ايران**، ج ٢، ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

المفردات العربيّة إلى اللغة الفارسية. بحيث يمكننا القول إنّ نسبة الكلمات الدخيلة من العربيّة في الفارسية يقرب حوالى ستّين بالمائة، مع الإشارة إلى أنّ أغلب هذه المفردات والمصطلحات العربيّة الّتي دخلت الفارسية بقيت على حالتها الأصليّة دون أي تغيير وتبديل، كما نلاحظ ذلك في **مقامات** الحَميدي. لقد كان للإسلام الأثر الأكبر في إخصاب اللغة الفارسيّة بالكلمات العربيّة، وذلك بسبب دخول الإيرانيين في الإسلام وكان عليهم الاعتناء باللغة العربيّة لأنّها لغة دينهم.

فمن الواضح أنّ اللغة الفارسية بسبب الامتزاج باللغة العربيّة قد توسّعت وازدادت دائرتها واختلطت باللغات الأخرى كالتركيّة والإنكليزيّة.

ويعدّ الحَميدي من الكتّاب الّذين استعملوا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي الكلمات العربيّة بكثرة، لأنّه درس الأدب العربي والعلوم الإسلاميّة، فلذلك تأثّر باللغة العربيّة وأكثر من استعمالها، واعتمد الكلمات والجمل العربيّة والأمثال العربيّة كثيراً. ويقرّ بهذا الموضوع، في مقدّمة **مقاماته** قائلاً: "دراين اصل وفصل، تازى با پارسى بياميختم وغرر عربي ودُرر دَرى از گوشوار سخن در آويختم"[1].

ترجمة الشاهد

مزجتُ العربيّة بالفارسية في هذا الكتاب – أي **المقامات** – وعلّقتُ الغرر العربيّة والدرر الفارسية من قرط الحديث.

نلاحظ أنّ عناوين مقاماته جميعها وأرقام مقاماته بالعربيّة نحو: المقامة الأولى: في الملمّعة، أو المقامة العاشرة: في الوعظ، أو المقامة الثامنة: في التصوّف وهلمّ جرّا. كما أنّه اختار كلمة مقدّمة وخاتمة لمقاماته أيضاً.

أدخل الحَميدي إثر هذا الامتزاج كثيراً من الألفاظ العربيّة في **مقاماته**، ليظهر قدراته اللغويّة وسيطرته على اللغة العربيّة. ومزج الفارسية بالعربيّة إلى حدّ أنّ قارئ **مقاماته** يجب أن يعرف اللغة العربيّة ويسيطر عليها، بسبب كثرة الآياتِ القرآنيّة والمفردات والتعابير والأمثال العربيّة فيها.

واللافت للنظر أنّ حوالي سبعين بالمائة من الكلمات المعتمدة في **مقاماته** عربيّة في النثر والنظم منها: "تهيّج وتموّج اين بحر زاخر در اواخر جمادى الآخر سنه احدى وخمسين وخمسمائة بود"[2].

ترجمة الشاهد

إنّ تهيّج وتموّج هذا البحر الزاخر كان في أواخر شهر جمادى الآخرة في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٢.

(٢) حميدى، **م.ن**، ص ٢٠.

ونجد في المقامة الأولى مدى سيطرة الحَميدي على اللغة العربيّة، من خلال امتزاج الفارسية بالعربيّة نحو: "حكايت كرد مرا دوستى كه در سفر انيس هم وغم بود، ودر حَضَر جليس همدم كه: وقتى از اوقات به حكم محرّكات نوايب ومعقّبات مصايب، در عرصاتِ بِقاع، عزم انتجاع كردم، واز اولو الالباب، آثار واخبارِ اغتراب، استماع كردم. عيش عهد جوانى طراوتى داشت وطيش مهدكودكى حلاوتى، وعِذار جوانى ازبيم پيرى در پرده قيرى بود، وعارض از عوارض انقلاب در حجاب مشكِ ناب متوارى..."[1].

ترجمة الشاهد

حكى لي صديق كان أنيس همّي وغمّي في السفر، وجليسي ومؤنسي في الحضر قائلاً: في وقت من الأوقات بحكم محرّكات النوائب ومعقّبات المصائب، عزمتُ على الانتجاع في عرصات البقاع، واستعلمت من أولى الألباب أخبار الاغتراب، كان لعيش عهد الشباب طراوة، ولطيش عهد الصبى حلاوة، وكان عذار الشباب من خوف الشيخوخة في الحجاب الأسود، والعارض كان متوارياً عن عوارض الثورة في حجاب المسك الخالص...

للحميدي مقامة ملمّعة هي المقامة الأولى الّتي سمّاها الملمّعة، وقد لمّعها بالفصول العربيّة ووشّاها بالكلمات والعبارات العربيّة منها: "يا فَتيانَ العرب، وخُلصانَ الأدب، وأبناءَ السيفِ والقلمِ، وأهلَ العِلْمِ والعَلَمِ؛ فَوَ الَّذي حَلاَّكُمْ بالحِلْمِ الراجحِ، وقوَّاكُمْ بالعِلْم الناجحِ، إنَّ الدهَر قد فَسَدَ، وإنَّ السُّوقَ قد كَسَدَ، والكرامُ قد خَلَتْ عِراصُها[2]، وانقطعتْ جوائزُها، واستُعْجِلَتْ جَنائزُها. ديارُهم خاليةٌ، وعظامُهم باليةٌ، ورسومُهم قد عَفَتْ، وجُسومُهم قد انْطفَتْ. ثمّ أنشد الشعر التالي: (بحر الطويل)

فأيْنَ الكِرامُ البيضُ مِنْ آلِ هاشمٍ — فلا هاشمٌ باقٍ ولا أنَّهم بَقُوا
فَبدّدَهُمْ أيدي البلا فَتَبدَّدُوا — وفَرَّقَهُمْ رَيْبُ المَنَى فتفرّقوا[3]

إفراط الحَميدي في اعتماده الألفاظ العربيّة يدلّنا على تَضلُّعِه اللغة العربيّة وسعة معلوماته العربيّة والإسلاميّة. لا مرية لو كان يؤلّف **مقاماته** باللغة الفارسية فقط، من غير استعمال الكلمات العربيّة إلى هذه الكمّية الكبيرة كان أثره الأدبي أي **مقاماته** ذا قيمة أخرى.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.

(٢) عِراص: جمع عرصة وهي الأرض. وعرصة الدار: وسطها. ابن منظور، **لسان العرب**، مج ٩، ص ١٣٥، باب الصاد، فصل العين.

(٣) حميدى، م.س، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦ – ٢٧.

وقد أخلف بوعده الّذي وَعَدَ به في مقدّمة **مقاماته** أنّه سيكتب مقامات بالفارِسية ليفيد عوام العجم! بيد أنّه مزج الفارِسية بالعربيّة إلى حدٍّ أنّ قارئ **مقاماته** وسامعها يجب أن يعرف اللغة العربيّة والقرآن والأحاديث النبويّة والأمثال العربيّة وتاريخ العرب وبعض العلوم كالفقه والطبّ والنجوم والتصوّف وغير ذلك.

ثالثاً- أعلام الأشخاص في مقامات الحَريري والحَميدي

نبدأ بذكر أعلام الأشخاص في **مقامات الحَريري** أوّلاً، ثمّ في **مقامات الحَميدي**.

أ- أعلام الأشخاص في مقامات الحَريري

ذكر الحَريري أسماء كثيرين من الأعلام الكبار والفقهاء والفلاسفة والعلماء والأدباء والخلفاء المعروفين القدماء والمعاصرين له ليظهر سعة معلوماته الأدبيّة والعلميّة والفقهيّة والنحويّة والدينيّة، واطّلاعه الواسع في مجال الأمثال العربيّة تجاه علماء عصره. كما أنّه أشار إلى أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسحق وصالح وعاد وموسى ونوح ولقمان. فنشير إلى بعض الأعلام الواردة في **مقاماته**، لنعرف مدى معلوماته المختلفة أيضاً. رتّبنا هذه الأعلام ترتيباً ألفبائياً.

١- أبو موسى الأشعري[١]: (بحر الطويل)

وإنْ تكُ قَدْ ساءَتْكَ مِنِّي خَديعَةٌ　　　فَقَبْلَكَ **شَيْخُ الأشْعَرِيينَ** قَدْ خُدِعْ[٢]

شَيخ الأشعريين: هو أبو موسى الأشعري صاحب النبي، وخَدَعه عمرو بن العاص في تحكيم علي ومعاوية، والقصّة مشهورة ولا حاجة لشرحها.

٢- أحمد بن سُرَيج[٣]: "قال الحارث بن همّام: فلمّا رأيت حججَ الشيخ كالحجج السُّرَيجيّةِ[١]، علمت أنّه عَلَمُ السروجيّة"[٢]. ومن المعروف أنّ حجج أحمد بن سُريج في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها على مرور الزمن.

---

(١) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان. ولد في زبيد باليمن سنة ٢١ق.هـ / ٦٠٢م. هو صحابي. ولاّه عمر بن الخطّاب البصرة فافتتح أصبهان والأهواز. توفّي في الكوفة سنة ٤٤ / ٦٦٥. ابن سعد، **طبقات**، ج ٤، ص ٧٩؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٤، ص ١١٤.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥٢١.

(٣) أحمد بن سريج: أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العبّاس: فقيه الشافعيّة في عصره ولد سنة ٢٤٩/٨٦٣ في بغداد. كان يلقّب بالباز الأشهب. له نحو ٤٠٠ مصنّف، منها: **الأقسام والخصال**، **والودائع لمنصوص الشرائع** وغير ذلك. له نظم حسن. توفّي ببغداد سنة ٣٠٦ / ٩١٨. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج١، ص ١٧؛ السبكي، **طبقات الشافعيّة**، ج ٢، ص ٨٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ١، ص ١٨٥.

٣- **بديع الزمان الهمذاني:** قد ذكر الحَريري اسم بديع الزمان الهمذاني في **مقاماته** مدحاً واعترافاً بفضله واعترافاً بأنّه مبدع فنّ المقامة. وذكر اسمه في مقدّمة **مقاماته** بقوله: "... ذكرُ المقامات الّتي ابتدَعها بديعُ الزمان، وعلاّمة همذانَ رحمة الله تعالى..."[٣]. ذلك تقديراً للهمذاني واعترافاً بأنّه مبدع فنّ المقامات. ثمّ يضيف: "هذا مع اعترافي بأنّ البديع رحمه الله سَبّاقُ غاياتٍ، صاحبُ آياتٍ..."[٤].

يقرّ بفضل بديع الزمان، مع علمه بفضل **مقاماته** على **مقامات** بديع الزمان، ولكنّه يعتبره أفضل من نفسه و**مقاماته** أعلى درجة من **مقاماته** تواضعاً. إلى حدٍّ أنّنا نلاحظ أنّ الحَريري لا يرى لنفسه قدراً بقوله: "وإنْ لم يدرك الظالع شأوَ الضليع"[٥]، فيجعل بديع الزمان كالفرس العتيق الكامل القوّة، ويجعل نفسه كالفرس الأعرج.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحَريري يصرّح بتقدّم وفضل الهمذاني من جهة، ومن جهة أخرى يفضّل نفسه عليه ويقول في المقامة الحجريّة: (بحر الرجز)

ويَعْجِنُ الجَدَّ بماءِ الهَزْلِ — إنْ يَكُنِ الإسكندريُّ قَبلي
فالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أمامَ الوَبْلِ — والفَضْلُ لِلوابِلِ لا لِلطَّلِّ[٦]

٤- **سَحبان بن وائل[٧] وباقل[٨]**

قد ذكر اسم سحبان في المقامتين الكوفيّة والمغربيّة فقوله في المقامة المغربيّة: (بحر مجزوء الكامل):

---

(١) الحجج السريجيّة: منسوبة إلى أحمد بن سريج، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، مج١، ص ١٢٨.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٩٤؛ علم السروجيّة: أي مشهورها والعلم: الجبل. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ١٣٠.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقدّمة"، ص ٥.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٧.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٥.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة والأربعون: الحجريّة"، ص ٥٥٥.

(٧) سحبان بن وائل: سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة. خطيب يضرب به المثل في البيان. اشتهر في الجاهليّة وعاش زمناً في الإسلام. وكان إذا خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقّف ولا يقعد حتّى يفرغ. أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به. وله شعر قليل. توفّي سنة ٥٤ /٦٧٤. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٤، ص ٣٤٧؛ الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص ١٠٢؛ الزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص ٧٩.

(٨) باقل: باقل الإيادي جاهلي، يضرب بعيّه المثل. والمثل: أعيى من باقل. الثعالبي، م.ن، ص ١٢٧؛ الزركلي، م.ن، مج ٢، ص ٤٢.

لله دَرُّ عِصـــــابَـــــــــةٍ صِدْقِ المَقالِ مَقـــــــاوِلا[(١)]
حاوَرْتُهــــمْ فوجـدْتُ سَحْـــ بَـــانَاً لَدَيهـــــمْ باقِــــلاَ[(٢)]

سحبان هو فصيح العرب، وكان من فصحاء العرب وبلغائها، وبه يضرب المثل فـي البيـان والفصاحة فيقال: "أفصح من سَحبان"، أو "أخطب من سحبان"[(٣)].

وقوله في المقامة الكوفيّة: "حكي الحارث بن همّام قال: سَمَرْتُ بالكوفة فـي ليلـة أديمُهـا ذو لونَين... مع رفقة غُذُوا بلبانِ البيان، وسَحَبوا على سحبان ذَيْلَ النسيان، ما فيهم إلاّ مَن يُحَفَظ عنـه ولا يُتَحَفَّظُ منه..." [(٤)].

باقل: هو رجل من العرب، يضربون به المثل في العي والفهاهة. "ومن عيّه أنّه اشترى ظبيـاً فحمله على عنقه، فسئل عن ثمنه، فحلّ عنه يديه وفتح أصابعه فأشار بها وأخرج لسانه، يريد أنّه بأحد عشر درهماً. فالعرب تقول: إنّه لأعْيَى مِنْ باقِل"[(٥)].

٥- **سَطيح**[(٦)]: "وأنا مع ذلك أُليح[(٧)] مِنْ أن تَسْرِيَ بِرِيَّاها[(٨)]، أويَكْهَنَ[(٩)] بها سَطيح"[(١٠)].

إنّ "سطيح" هو كاهن مشهور في العرب بالكهانة، كان يخبر بالمغيبات، وإنّما سعى بذلك لأنّه كان دائماً مستلقيّاً لا يقدر على القيام والقعود. قيل لم يكن له عَظْم. وأخباره مشهورة منها أنه أنذر بسيل العرم.

---

(١) مقاولا: ملوكاً. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩٤.

(٢) الحَريري: **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥٥.

(٣) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج ١، ص ٣١٩؛ ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٠.

(٥) الشريشي، م.س، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، مج ١، ص ١٩٤، أنظر: الميداني، م.س، ج ١، ص ٣٢٩.

(٦) سطيح: هو رجل من كهّان العرب، صورّ سَطحيّاً لا عَظْم فيه، وله أحاديث كثيرة، وهو أحد بني ذنب من غسّان قبيلة من الأزد، زعم أنّه عاش ثلاثمائة سنة، خرج معه الأزد في سيل العرم، ومات في أيّام سيروية بن هرمـز، وقد كان النبي الأكرم ﷺ بمكّة. ابن دريد، م.س، ج ١، ص ٥٣١.

(٧) أليح: أشفق. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، مج ١، ص ٢١٦.

(٨) ريّاها: رائحتها الطيّبة. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢١٦.

(٩) يكهن: يشعر ويحسن، وتكهن الرجل تحدّث عن الغيب. الشريشي، م.س، مج١، ص ٢١٦.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٧٤.

٦- **السُّلَيك**[(١)]: "فأسرعا إلى نَدْوَته، كالسليك في عَدْوَتِه"[(٢)]. يريد الحَريري أنّ إسراعهما – البطلين – إلى الوالي كان كعدوة السليك. ويقال في المثل: "أعْدَى مِنَ السُّلَيك"[(٣)].

٧- **السموأل**[(٤)]: "وفيتُ له كما وفَى السموأل"[(٥)]. إنّ السموأل كان عربيّاً يهوديّاً له حصن معروف اسمه "الأبلق الفرد" في منطقة تيماء، وكان امرؤ القيس قد أودع عنده أدراجاً وسلاحاً، وعاهده على ألاّ يدفعها إلى غيره، وقُتل ابنه أمام عينيه ولم يُسلّم دروع امرئ القيس ونساءه، فيضرب به المثل في الوفاء.

٨- **الفرزدق**[(٦)] **والكُسَعي**[(٧)]: "قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ صَفْوَ القاضي[(٨)] إليه، وَفَوْتَ ثَمرِهِ التنبيه[(٩)] عليه، غَشَيَتني نَدامةُ الفرزدق حين أبَانَ[(١٠)] النوار[(١١)]، والكُسَعيّ لمّا استبان[(١٢)] النهار"[(١٣)].

قيل إنّ الفرزدق تزوّج بنت عمّه نوار ثمّ طلّقها، فندم على ذلك ومن شعره في هذا المعنى قوله: (بحر الوافر)

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعيِّ لَمّا ... غَدَتْ منّي مُطَلّقةً نَوَارُ

---

(١) السليك: السليك بن السُّلَكة منسوب إلى أمّه، واسم أبيه عمرو بن ضابئ، وقيل عمير، وهو أحد أغربة العرب وصعاليكهم. كان أجود الناس عَدْواً على رجليه. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج ١، ص ٣٧٢ – ٣٧٥؛ الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص ١٠٥.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٩٠.

(٣) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج ٢، ص ٦٠.

(٤) السموأل بن عادياء اليهودي: ملك تيماء، وهي مدينة بين الشام والحجاز، وله شعر جيّد. ابن قتيبة، **م.س**، ج ١، ص ١٢٤؛ الأصبهاني، **الأغاني**، ج ١٩، ص ٩٨.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٣٦.

(٦) الفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة التميميّ الدارميّ، أبو فراس، الشهير بالفرزدق. شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. وقد جمع بعض شعره في **ديوان**. توفّي سنة ١١٠/ ٧٢٨. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج٢، ص ١٩٦؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٨، ص ٩٣.

(٧) الكسعي: محارب بن قيس، منسوب إلى كسع قبيلة باليمن. وبندامته يضرب المثل. وقيل اسمه عامر بن الحارث. الثعالبي، **م.س**، ص ١٣٣ – ١٣٥؛ الزركلي، **م.ن**، مج ٥، ص ٢٨١.

(٨) صفو القاضي: ميله. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، مج ١، ص ١٠٩.

(٩) التنبيه: الأعلام. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٠٩.

(١٠) أبان: طلّق. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٠٩.

(١١) النوار: بنت عمّ الفرزدق وزوجته. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٠٩.

(١٢) استبان: تبيّن. الشريشي، **م.ن**، مج ١، ص ١٠٩.

(١٣) الحَريري، **م.س**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٨٨ – ٨٩.

وكانَتْ جَنَّتي فَخَرجَتُ مِنهـا كآدمَ حينَ أخْرَجَـهُ الضَّرارُ[١]

ويقال: "أندم من الكُسَعيّ"[٢]، يُضرب المثل بندامته، أو "الكُسَعي وقوسه". وقيل إنّ الكسعي كان راعياً وعمل قوساً بعد تعب كثير، ثمّ رمى عنها ليلاً فنفذت في الجبل، ووقع السهم في حجر، فظنّ أنّه أخطأ، فرمى ثانية وثالثاً إلى آخر الأسهم وكانت خمساً وهو يظنّ أنه يخطئ. فأخذ القوس وكسّرها. ثمّ تبيّن أنّ أسهمه كلّها أصابت فأسف وندم ندماً شديداً. فضربت العرب المثل به في الندامة: الكسعي وقوسه.

٩- **قُدامَة بن جعفر**[٣]: بعد أن يعترف الحَريري بفضل بديع الزمان الهمذاني، يذكر اسم قدامة قائلاً: "... وأنَّ المتصدّي بعدَه لإنشاء مقامةٍ؛ ولو أُوتيَ بلاغَة قُدامةَ، لا يعترفُ إلاّ من فُضالَتِه، ولا يَسْرِي ذلك المسرَى إلاّ بدلالته"[٤].

وأمّا سبب ذكر اسم قدامة فهو أنّه كان يعرف سرّ البلاغة في الكتابة، فلذلك سار المثل ببلاغته، واتّفق القدماء والمحدثون على فضل براعته البلاغيّة.

وذكر الحَريري أسماء كثير من النساء كالأسماء التالية الّتي أوردها في المقامة التبريزيّة فقط نحو: بلقيس، بُوران، خِنْدِف، الخنَساء، رابعة، الزَّبّاء، زُبَيْدَة، وشيرين، بقوله: "... على أنّه لو حَبَتْكِ شَيرين[٥] بجمالها، وزُبَيْدَةُ[٦] بمالها، وبُورانُ[٧] بفرشها، وبلقيس[٨] بعرشها، والزَّبّاء[٩]

---

(١) الفرزدق، **الديوان**، ص ٢٩٤.

(٢) الميداني، **مجمع الأمثال**، مج ٢، ص ٣٤٨.

(٣) قدامة بن جعفر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدّمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيّام المكتفي بالله العبّاسي، وأسلم على يده. يُضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها: **الخراج**، و **نقد الشعر**، و **جواهر الألفاظ**، و **نزهة القلوب** وغير ذلك. توفي ببغداد سنة ٣٣٧ / ٩٤٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٣، ص ٢٩٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج ٦، ص ٣٦٣؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ١٩١.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٧.

(٥) أنظر: ص ٤٦٠.

(٦) زبيدة: هي بنت جعفر بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور، زوجها هارون الرشيد، وجدّها المنصور، وعمّها المهدي، وابنها الأمين. وكانت أموالها لا تحصى، وأنفقت في سبيل الله، وفي الحجّ، وفي بناء المساجد والقناطر ما لم ينفقه أحد قبلها. الشرشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٦٦؛ أنظر: الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص ٢٠٥.

(٧) بوران: هي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل تزوّجها المأمون على يد إسحق الموصلي. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٦٧؛ أنظر، الثعالبي، م.ن، ص ١٦٥ – ١٦٦.

(٨) بلقيس: هي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ، وزوّجها سليمان وعرش بلقيس مثل معروف. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٦٩ – ١٧٠؛ أنظر، الثعالبي، م.ن، ص ٨٢، ٣٠٧.

(٩) الزّبّاء: هي ملكة اليمامة قبل الإسلام، وكانت من بنات العمالقة، واسمها ليلى، تملّكت الملك بعد أبيها لعدم الولد، وأحسنت السياسة، وخطبها جذيمة الأبرش. وكانت تبغض الرجال فخدعته حتى أتاها فقتلته ثمّ تحيّل قصير وعمرو حتّى قتلاها وقصّتها مشهورة. الشريشي، م.س، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٧٠، و"المقامة الرابعة والعشرون: النحويّة"، مج ٢، ص ٣-٤؛ أنظر، الثعالبي، م.ن، ص ٣١١.

بمُلْكها، ورابعة(١) بنسكها، وخِنْدِفُ(٢) بفخرها، والخَنساء(٣) بشعرها".

قد ذكر الحَريري أسماء النساء المشهورات اللواتي اشتهرن في التاريخ بالجمال، أو بالمال، أو بالملك، أو بالسياسة، أو بالعبادة، أو بالنسب أو بالبلاغة وغير ذلك، ليظهر معلوماته الواسعة في مجالات شتّى.

من خلال التعرّف على أعلام الرجال والنساء والأنبياء في **مقامات** الحَريري، عرفنا أنّ الحَريري له معلومات واسعة في مجالات شتّى: الدينيّة والأدبيّة والعلميّة والتاريخيّة. وأظهر هذه المعلومات المختلفة تجاه العلماء المعاصرين له.

ب- أعلام الأشخاص في مقامات الحَميدي

قد ذكر الحَميدي في **مقاماته** أسماء كثير من العلماء والأطبّاء والفقهاء والنحويين والكتّاب والشعراء والفصحاء والخلفاء والأمراء المعروفين من معاصريه أو غير معاصريه، الّذين يبلغ عددهم مائة وخمسة وثلاثين. وقد قصد الحَميدي من ذكر هؤلاء الأعلام الكبار الاستشهاد بأقوالهم، أو بأشعار الشعراء، أو مدحهم، أو الاعتراف بفضلهم وقدراتهم الفنيّة، أو ذَكَرَهم لأنّ الناس يضربون بهم المثل، وغير ذلك.

وأشار إلى أسماء الأنبياء من آدم إلى خاتم النبيين محمّد رسول الله، وقصص حياتهم للاعتبار. ونجد أسماء النساء في **مقاماته** كلّها تقليدٌ ومعارضةٌ للحريري. فنذكر هؤلاء الأعلام رجالاً ونساءً بعضهم ألفبائيّاً.

١- **أبو حنيفة**(٤)، **وأبو يوسف يعقوب**(٥): إنّ الحَميدي يذكر في المقامة الفقهيّة أسماء كثير من الفقهاء كأبي حنيفة وأبي يوسف يعقوب. ويستدلّ بآرائهم الفقهيّة حول الصلاة والحجّ وتعدّد الزوجات وأحكامها في قالب الأسئلة والأجوبة بين البطلين في المقامة لإظهار معلوماته الفقهيّة.

---

(١) رابعة: هي بنت إسماعيل العدويّة وكانت قد بلغت من النسك، والفضل والزهد منزلة شريفة. وكانت منوّرة البصيرة، حظيت بالمكاشفات الربّانيّة، وكان سفيان الثوري يذهب إليها ويسألها عن مسائل دينيّة ويعتمد عليها. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١، ص ٣٣٠؛ الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، " المقامة الأربعون التبريزيّة"، مج٢، ص ١٧٠.

(٢) خِندف: هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي أمّ عرب الحجاز. فلها الفخر في الجاهليّة والإسلام لأنّ نسب قريش ينتهي إليها. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج٣، ص ١٦٣؛ الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٧١.

(٣) الخَنساء: هي بنت عمرو بن الشريد وكانت تنشد الشعر، فأجمع علماء الشعر على أنّه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها. البغدادي، م.ن، ج١، ص ٢٠٨؛ الشريشي، م.ن، مج٢، ص ١٧١ - ١٧٣.

(٤) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت، الفقيه الكوفي. كانت ولادته سنة ٦٩٩/٨٠. كان عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقيّاً، كثير الخشوع ودائم التضرّع إلى الله تعالى. توفّي سنة ٧٩٦/١٥٠ ببغداد. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج ٥، ص ٤٠٥، ٤١٤.

(٥) أبو يوسف يعقوب: بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيس بن سعد بن حَبتة الأنصاري. ولد سنة ٧٣١/١١٣. هو صاحب أبي حنيفة، وكان فقيهاً عالماً حافظاً. قد سكن بغداد وتولّى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء: المهدي وأبوه الهادي ثمّ هارون الرشيد. وتوفّي سنة ٧٩٨/١٨٢. ابن خلّكان، م.ن، مج ٦، ص ٣٧٨ - ٣٨٨.

٢- **الأخفش**[١] **والأعمش**[٢]: بعد أن يذكر في مقدمة **مقاماته** سبب تأليف **مقاماته** يضيف بأنّه سوف يكتب مقامات بالفارسية، ومن المؤكدّ أنّه سيوجد نقّادٌ يعيبونها كما ينتقدون آراء العلماء النحويين الكبار كالأخفش والأعمش من دون بصيرة بقوله: "... همه عالم نقّاد اخفش وصرّاف اعمش اند، كه شهر خود را گم كرده اند وبرزن ديگران مى جويند..." [٣].

ترجمة الشاهد

أصبح العالم كلّه نقّاد الأخفش والأعمش، ناسين عيوبهم وباحثين عن عيوب الآخرين...

وفي الحقيقة هذا الأمر يدلّنا على أنّه يعترف بفضله وعلمه وقدراته الفنيّة في خلق المقامات وتأليفها، لأنّه يذكر اسمه ضمن أسماء العلماء الكبار في النحو. كما كان الحَريري يمدح بديع الزمان الهمذاني ويقرّ بفضله تواضعاً ثمّ يصرّح بأنّه أفضل منه!

٣- **أرسطا طاليس**[٤]**، وزكريّا**[٥] **وابن سينا**[٦]

---

(١) الأخفش: وأمّا أخافيش الثلاثة فهم: الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط والأخفش الأصغر. الأخفش الأكبر: هو عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطّاب، من كبار العلماء بالعربيّة. لقي الأعراب وأخذ عنهم. وهو أوّل من فسّر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسّروها. توفي سنة ١٧٧/٧٩٣. القفطي، **إنباه الرواة**، ج ٢، ص ١٥٧؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٣، ص ٢٨٨. والأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثمّ البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط. نحويّ، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربيّة عن سيبويه. وصنف كتباً، منها: **تفسير معاني القرآن، الخبب** كانت وفاته سنة ٢١٥/٨٣٠. القفطي، م.ن، ج٢، ص ٣٦؛ الزركلي، م.ن، مج٣، ص ١٠١ – ١٠٢. والأخفش الأصغر: علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر، نحويّ، من العلماء. من أهل بغداد. أقام بمصر سنة ٢٨٧ – ٣٠٠ / ٩٠٠ – ٩١٢. وهو ابن ثمانين سنة. له تصانيف، منها: **شرح سيبويه، والمهذّب، والأنواء**. كانت وفاته سنة ٣١٥/٩٢٧. القفطي، م.ن، ج٢، ص ٢٧٦؛ الزركلي، م.ن، مج ٤، ص ٢٩١.

(٢) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمّد، نسب بالأعمش. ولد سنة ٦١/ ٦٨١. أصله من بلاد الريّ، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ألفٍ وثلاثمائة حديثاً. توفّي سنة ١٤٨/ ٧٦٥. الكتبي، **فوات الوفيات**، ج١، ص ٢١٣؛ الزركلي، م.ن، مج ٣،ص ١٣٥.

(٣) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٢.

(٤) أرسطا طاليس: أرسطو طاليس الفيثاغوري أو أرسطا طاليس: ابن نيقوما خوس الفيثاغوري تلميذ أفلاطون. ولد سنة ٢٨٤/ ٨٩٧. مكث عشرين سنة في مدرسة أفلاطون بأثينا. وهو أشهر فلاسفة يونان. وله تآليف كثيرة تشتمل على سائر العلوم لا سيّما في الفلسفة والطبيعيّات. توفي سنة ٣٢٢ /٩٣٣. سركيس، **معجم المطبوعات**، مج ١، ص ٤٢٤ – ٤٢٥.

(٥) محمّد زكريا: محمّد بن زكريا الرازي، أبو بكر، ولد سنة ٢٥١/٨٦٥. هو فيلسوف، ومن الأئمة في صناعة الطبّ من أهل الريّ. ولد وتعلّم بها. عمي في آخر عمره. وله تصانيف، وقيل عددها ٢٣٢ كتاباً ورسالة، منها: **الحاوي في صناعة الطب**، وهو أجلّ كتبه، **والطب المنصوري، منافع الأغذية ودفع مضارها** وغير ذلك. مات ببغداد سنة ٣١٣/ ٩٢٥. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٣، ص ٧٦؛ الزركلي، **م.س**، مج ٦، ص ١٣٠.

(٦) ابن سينا: الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا البخاري، الفيلسوف الطبيب. ولد سنة ٣٧٠/ ٩٨٠. لمّا بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز، والأدب، ورغب في علم الطب، فأتقنه وعالج تأدّباً لا تكسّباً. وأصبح فيه عديم القرين فقيد المثل، وعمره إذ ذاك ست عشرة سنة. ومن تآليفه: **أربع رسائل، القانون في الطب، الإشارات والتنبيهات**، وغير ذلك. وكانت وفاته بهمذان في سنة ٤٢٨/١٠٣٦. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج١، ص ١٥٢؛ الزركلي، **م.س**، مج٢، ص ٢٤١-٢٤٢.

قصد الحَميدي من ذكر هؤلاء الفلاسفة والأطباء، تحذير الناس بعدم الاتّجار والاغترار بما لديهم من قليل العلم ونسبته إلى أولئك الأعلام بقوله: "به وسيلت اين گياهى چند وسپيد وسياهى چند خودرا از جمله علما نتوان شناخت واز زمره فضلا نتوان ساخت ودر فرقه حكما نتوان آورد ودر سلك اطبّا نتوان كشيد... وخودرا لقب ارسطا طاليس نهد وگويد: اين سودمنداست وآن دگر با گزند واين زهرست وآن قند؛ يا از كتب پسرسينا نقّالى كند ويا از سرمايه محمّد زكريّا بقّالى سازد"[١].

ترجمة الشاهد

بواسطة معرفة بعض النباتات البيضاء والسوداء لا يمكنك أن تعتبر نفسك من زمرة العلماء، والفضلاء، والحكماء والأطبّاء... وتلقّب نفسك بأرسطاطاليس، وتظنّ أنّك طبيب وتقول: هذا مفيد، وذلك مضرّ، هذا كالسمّ مرّ، وذلك كالسكّر حلو، أو تنقل من كتب ابن سينا، أو تتّجر برأس مال محمّد زكريّا...

٤ ـ الأصمعي[٢]، الفرّاء[٣]، الشّيباني[٤]، لبيد بن ربيعة[٥]، خليل بن أحمد الفراهيدي[٦]:

يذكر الحَميدي في مقامة التصوّف أسماء الشعراء والنحويين الكبار بقوله: "از خواندن قرآن مجيد فراغت يافتم.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٨١.

(٢) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي المشهور بالأصمعي. ولد سنة ١٢٣/ ٧٤٠. وقدم بغداد في خلافة هارون الرشيد. كان صاحب النحو، واللغة، والغريب، والأخبار والملح. وقيل: كان أعلم بالشعر، لأنّه كان نحويّاً. وكان له يد غراء في اللغة لا يعرف فيها مثله وفي كثرة الرواية. له نحو أربعين كتاباً في اللغة وما يختصّ بها. ومن تآليفه: **الأصمعيّات**، و **الفرق في اللغة**، و **الأضداد** وغير ذلك. توفّي سنة ٢١٦/ ٨٣١. سركيس، **معجم المطبوعات**، مج ١، ص ٤٥٦ – ٤٥٧.

(٣) الفرّاء: أبو زكريّا يحيى بن زياد كوفي، المعروف بالفرّاء، ولد سنة ١٤٤/٧٦١. هو إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفرّاء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد. وكان مع تقدّمه في اللغة فقيهاً متكلّما، عالماً بأيّام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطبّ، يميل إلى الاعتزال. ومن كتبه: **المقصور والممدود**، و**المعاني**، و**المذكّر والمؤنّث** وغير ذلك. كانت وفاته في طريق مكّة سنة ٢٠٧/ ٨٢٢. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، مج٢، ص ٢٢٨؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٨، ص ١٤٥ – ١٤٦.

(٤) الشيباني: أسباط بن واصل الشيباني: شاعر مخضرم. مدح يزيد بن الوليد الأموي، وعاش إلى أن أدرك أبا جعفر المنصور العبّاسي ومدحه. وكان قدريّاً. توفّي سنة ١٣٨/ ٧٥٥. ابن عساكر، **تهذيب**، ج ٢، ص ٤٠٤؛ الزركلي، م.ن، مج ١، ص ٢٩٢.

(٥) لبيد بن ربيعة: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهليّة. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، ويعدّ من الصحابة، ومن المؤلّفة قلوبهم. سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلّقات. وجُمع بعض أشعاره في **ديوان** صغير، ترجم إلى الألمانيّة. كانت وفاته سنة ٤١/٦٦١. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج١، ص ٣٣٧؛ الزركلي، م.ن، مج٥، ص ٢٤٠.

(٦) خليل بن أحمد الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيد الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن. من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد في البصرة سنة ١٠٠/٧١٨. وله تصانيف منها: **العين في اللغة**، **وكتاب العروض**، **ومعاني الحروف**، وإلخ. ومات في البصرة سنة ١٧٠/٧٨٦. ابن خلّكان، م.س، مج١، ص ١٧٢؛ الزركلي، م.ن، مج ٢، ص ٣١٤.

از علم استادان قُرّا به علم اصمعی و فرّا آمدم... واز کلام ربّانی به شعر شیبانی نقل کردم... باخود اندیشه کردم که قالب انسانی که نتیجه صنع ربّانی است وترکیب الهی که مطیّه اوامر ونواهی است، نه همانا که از ظلمات اصلاب وارحام بدین بارگاه عام بدان آمدند تا حافظ[١] بار لغت بلخی وکرخـی شوند یا نقش تخته عبارت تازی وحجازی گیرند که شناختن شعر لبید وولید[٢] ودانستن انـساب بنـی قحطان، بني شيبان، علم مُنجی ومُنجح وتجارت مُربی ومُربح نیست که در علم لغت عـرب ورفـع ووضع ادب به درجة خلیل واصمعی بیش نتوان رسید واین هـر دو دریلـه ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِی ٱلۡعِلۡمِ ﴾[٣] بس سنگی نیارند ودر محلّ الراجحون في الفضل بس رنگی ندارند. چون از عالم علم گذشـتی وآن بساط عریض درنَوَشتی وقدم مجاملت درکوی معاملت نهادی، هیچ طبقه ای موزون اخلاقتـر از طبقه متصوّفه نیست..." [٤].

ترجمة الشاهد

فرغت من قراءة القرآن المجيد. فوصلت من علم أساتذة القرّاء، إلى علم الأصمعي والفرّا... ومن الكلام الربّاني إلى أشعار الشيباني... فكّرت بنفسي أنّ الإنسان هذا الصنع الربّاني والتركيب الإلهي هو مطيّة الأوامر والنواهي لم يدخل إلى هذا العالم من ظلمات الأصلاب والأرحام ليصبح حافظاً الشيرازي يجري اسمه على لسان الناس بمختلف اللغات، أو يصبح رسماً على الألواح. ومعرفة أشعار الشعراء مثل لبيد ووليد، والعلم بأنساب بني قحطان وبني شيبان، ليس علماً منقذاً وناجحاً أو تجارة مربحة. وكلّما حاول الإنسان أن يتعلّم اللغة العربيّة وآدابها لا يمكنه أن يصل إلى درجة ومنزلة خليل بن أحمد الفراهيدي والأصمعي. وهذه العلوم لا قيمة لها في سلّم ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِی ٱلۡعِلۡمِ ﴾، وليس لها لون وقيمة في محك الراجحين في الفضل... فلا توجد طبقة أعلى توازناً من طبقة المتصوّفة من حيث الأخلاق...

---

(١) حافظ الشيرازي: هو شمس الدين محمّد. أشهر الشعراء الفرس. اشتهر بلسان الغيب وترجمان الأسرار. له ديوان شعر، وغزليّاته معروفة في العالم شرقاً وغرباً. وقد ترجمت إلى لغات عديدة. توفّي سنة ٧٩٢/ ١٣٩٠. جـامي، **نفحات الأنس**، ص ٦١٤.

(٢) وليد: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحتري، ولد بمنبج في سنة ٨٢١/٢٠٦. كان شاعراً كبيراً، يقال لشعره سلاسل الذهب. وهو أحد الثلاثة الّذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبيّ، وأبو تمّام والبحتري. له تآليف، منها: **ديوان شعر**، وكتاب **الحماسة**. توفّي بمنبج سنة ٨٩٨/٢٨٤. ابن خلّكان، **وفيـات الأعيـان**، مـج ٢، ص ١٧٥؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٨، ص ١٢١.

(٣) آل **عمران**، ٧/٣.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨١ – ٨٢.

ويفضّل الحَميدي علم التصوّف على سائر العلوم. وهدفه من ذكر هـؤلاء الأعـلام النحـويين والقُرّاء والشعراء الكبار أنّ أصحاب العلوم المختلفة ما لم يصلوا إلى حالة الحـضور القلبـي، مـثلهم كمثل الأعمى الّذي لا ينتفع بعلمه. فالمعرفة الظاهريّة بالحواس مقدّمة لمعرفة العقل، والعقل مقدّمة إلى معرفة القلب واللبّ والفؤاد. وعبّر الله في القرآن بقوله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[1]. والله لـم يصوّر الإنسان حتّى يقضي عمره في علوم القيل والقال، وإن كانت هذه العلوم لا تخلـو مـن فوائـد متعدّدة، وبعضها بذور علوم الحال والمَقام بل خلقه بدافع الحبّ لأجله وسخّر الكون له، فالمتصوّف هو الإنسان السالك إلى الله بترك ما سواه، حتّى يصل إلى العلوم والمعارف الحقيقيّة. حينئذٍ يكون قد رسـخ العلم وبان الفضل.

٥- **بُثَيْنَة**[2] **ونوار** كقوله: (بحر الكامل)

حَــيِّ الديارَ فَإنَّهُنَّ قِفـــارُ   كَمْ أَقْفَرَتْ بَعْــدَ الأنيسِ ديارُ
ذَكَـرُوا **نَوارَ** وشَبَّبُـوا **بِبُثَيْنَةٍ**   قُـلْ لِي فَأَيْنَ **بُثَيْنَــةٌ** **ونَــوارُ**[3]

٦- **بديع الزمان الهمذاني والحَريري:** ذكر في مقدّمة **مقاماته** سبب تأليف **مقاماته**، أنّه كـان يقرأ الكتب المختلفة حتّى رأى مصادفةً ومن حسن الحظّ **مقامات** الهمذاني والحَريري؛ فـأقرّ بقيمتهمـا الأدبيّة ودعا لهما مئات آلاف الرحمة على نفسيهما، ثمّ ينشد البيتين التاليين في مـدح بـديع الزمـان الهمذاني والحَريري قائلاً: (بحر المتقارب)

فَقُلْتُ سَقَــى اللهُ أرواحَهُـــم   كَأنّي إلى شَخْصِهِــم ناظِـرُ
فمَــا فَاتَ مَنْ خَيــرُهُ واصلٌ   ومَــا غابَ مَنْ ذِكرُهُ حاضِرُ[4]

فيعزم على كتابة مقامات بالفارسية ليفيد عوام العجم، ويعترف أيضاً بفضلهما وتقدّمهما، ويعتزّ بهما ويسمّيهما نوادر الدهر.

كما أنّه يذكر اسم الحَريري مرّة أخرى في المقامة اللغزيّة[5] للسببين الأوّل: الاعتراف بفضل الحَريري في كتابة صنعة ما لا يستحيل بالانعكاس، والثاني: إظهار قدراته الفنيّة إزاء الحريري، فلذلك يأتي بنموذج من هذه الصنعة.

---

(١) **النجم**، ٥٣/١١.

(٢) بثينة: بثينة بنت حبابن ثعلبة العذريّة: شاعرة من بني عذرة، من قضاعة. اشتهرت بأخبارها مع "جميل بن معمّر العذري". وهو من قومها. وفي شعرها رقّة ومتانة. مات "جميل" قبلها، فرثته، ولم تعش بعده طويلاً. ماتت سـنة ٨٢هـ /٧٠١م. ابن حزم، **جمهرة الأنساب**، ص ٤٢٠؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٢، ص ٤٣.

(٣) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٧٠.

(٤) حميدى، م.ن، "مقدّمة"، ص ٢١.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٩.

ويذكر اسم بديع الزمان الهمذاني أيضاً في المقامة الشتويّة[١] مرّة أخرى ويستشهد **بمقامات** الهمذاني نثراً ونظماً للسببين الأوّل: الاعتراف بقدرات الهمذاني البلاغيّة، والثاني: إظهار قدراته البلاغيّة تجاه الهمذاني، لأنّه يعارضه نثراً ونظماً أيضاً.

٧- **زرقاء اليمامة**[٢] بقوله: "صورتى كه از عنقا ونعامه غريبتراست منم، وشكلى كه از زرقاى يمامه عجيبتر است منم"[٣].

ترجمة الشاهد

الوجه الّذي هو أغرب من العنقاء والنعامة هو وجهي، والشكل الّذي هو أعجب من زرقاء اليمامة هو شكلي.

٨- **سحبان بن وائل:** سبق أن أشرنا[٤]، أنّ سحبان من أفصح العرب، ويضربون به المثل في الفصاحة، كما أنّ الحَميدي قصد بذكر اسم سحبان ذلك. فهذا يعدّ نموذجاً آخر يدلّ على أنّه وضع **مقاماته** تقليداً **لمقامات الحَريري** لأنّ الحَريري ذكر اسم سحبان أيضاً. ولا غرو أنهمّا قد قصدا بذكر اسم هذا العالم الفصيح إظهار سعة معلوماتهما في مجالات شتّى.

وأمّا الحَميدي فهكذا يقول على لسان الراوي حين يستغرب فصاحة كلام الزوجين في المحكمة عند القاضي: "راوى اين حكايت وحاكى اين روايت گويد كه من در دهشت اين مخاصمت ودر وحشت اين مكالمت بماندم وگفتم: أيّها القاضي أصلحْ بينهما علَى الترّاضي كه هردو سحبان كلامند واعجوبه ايّامند"[٥].

ترجمة الشاهد

يقول راوي هذه الحكاية والرواية: إنّني كنت مستغرباً من المخاصمة بين الزوجين، فقلت: أيّها القاضي أصلح بينهما على التراضي لأنّهما من الفصحاء كسحبان بن وائل ومن أعاجيب الدهر.

٩- **لَيْلَى العامريّة**[٦] كقوله: "مجنون چون بدين كوى رسيد، نام ليلى فراموش كرد"[٧].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) زرقاء اليمامة: الزرقاء من بني جديس، من أهل اليمامة: مضرب المثل في حدّة النظر وجودة البصر. يقال لها: زرقاء اليمامة، وزرقاء جوّ لزرقة عينيها. وجو اسم لليمامة. قالوا: إنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيّام. الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص ٢٤٠؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٣، ص ٤٤.

(٣) حميدى، م.س، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

(٤) أنظر: ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة السابعة عشرة: بين الزوجين"، ص ١٥٩.

(٦) لَيْلَى العامريّة: ليلى بنت مهدي بن سعد، أمّ مالك العامريّة، من بني كعب بن ربيعة: صاحبة المجنون قيس بن الملوح. قيل في خبرها: مرّ بها قيس وهي مع بعض النساء، فتحابّا، وكانت مغرمة بأحاديث الناس والأشعار، وهو من الرّواة الحفاظ. للأخبار؛ وكثر تلاقيهما، وهما من قبيلة واحدة ثمّ حجبت عنه، وامتنع أبوها عن زواجها به، لاشتهار حبّهما وأشعاره فيها، وأكرهت عن الزواج بشخص آخر. وقيل في ابتداء حبّهما: إنهما نشأ صغيرين يرعيان الغنم، وحجبت عنه لمّا كبرت. وفي وجودهما شكّ كبير. والقائلون بأنّ قصتهما غير مخترعة، يذكرون أنّ "المجنون" مات سنة ٦٨٨/٦٨، ويقول بعضهم: توفيت "ليلى" قبله. وكانت وفاتها نحو سنة ٦٨٨/٦٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١، ص ١٧٠؛ الزركلي، م.س، مج، ص ٢٤٩.

(٧) حميدى، م.س، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ٢٠٠.

ترجمة الشاهد

إنّ مجنون لمّا وصل إلى هذا الحيّ، نسي اسم ليلى.

١٠- **المتنبّي وعلي باخرزي وأبو العتاهية:** قد سبق أن أشرنا إليهم في الباب الثاني، الفصل الأول، أنّ الحَميدي ذكرهم في **مقاماته** لأنّه استشهد بأشعارهم.

نستنتج أنّ الحَميدي كالحَريري ذكر أسماء كثيرٍ من العلماء والفقهاء والأدباء، وكذلك أسماء النساء المشهورات للسببين؛ أوّلا: إظهار سعة معلوماته المختلفة ثانياً: تقليداً ومعارضةً للحَريري. والدليل على ذلك أنّه ذكر الأسماء المذكورة بعضها في **مقامات الحَريري**.

رابعاً- أعلام الأماكن في مقامات الحَريري والحَميدي

نشير إلى أعلام الأماكن في **مقامات** الحَريري ثمّ الحَميدي.

أ- أعلام الأماكن في مقامات الحَريري

خصّص الحَريري أسماء ثمان وثلاثين مقامة بأسماء البلاد منها المدن الإيرانيّة. ولا شكّ في أنّ الحَريري لم يسافر إلى هذه المدن بل اختارها سجعاً وقافية وجناساً. كما أنّه أشار إلى مدن وأماكن عديدة ضمن **مقاماته** أيضاً. ولم يقصد بذكر هذه الأماكن والمدن إلاّ للسجع والوزن وموسيقى الكلمات. كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

فنذكر المقامات الّتي سمّاها بأسماء المدنِ حسب ترتيب أرقام المقامات على النحو التالي: صَنْعاء، الحُلْوانِ، الدِّمْياط، الكُوفَة، المَراغَة، بَرْقَعيد، مَعَرَّة النُّعْمان، الإسكندريّة، رَحْبَة، ساوَة، دِمَشْق، بَغداد، مَكّة، المَغرب، سِنْجار، نَصيبِين، مَيّافارِقِين، ريّ (الرازيّة)، الكَرَج، سَمَرْقَند، واسِط، صُور، الرَّمْلَة، طَيْبَة، تَفْلِيس، زَبِيد، شيراز، مَلَطيَّة، صَعْدَة، مَرْو، عمّان، تَبْرِيز، تِنّيس، نَجْران، الرَّمْلَة، حَلَب، حَجْر اليَمامة، بَصرَة.

فخوفاً من إطالة الكلام نتحدّث عن بعض المدن، غير المعروفة خاصّة المدن الإيرانيّة، ليتعرّف القارئ عليها أكثر. وقد رتّبناها ألفبائيّاً.

١- **بَرْقَعيد**[١]: "حكى الحارث بن همّام، قال: أزمعتُ الشُّخوصَ[٢] من **بَرْقَعيد**، وقد شِمْتُ برقَ عيدٍ"[٣].

---

(١) برقعيد: بلدة كبيرة من أعمال الموصل من كورة البقعاء وبها آبار كثيرة عذبة، وهي واسعة وعليها سور ولها ثلاثة أبواب. وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصيّة، يقال: لصّ برقعيديّ. وبين برقعيد والموصل أربعة أيّام، وبينها وبين نصيبين عشرة فراسخ. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ١، ص ٣٨٧.

(٢) أزمعت الشخوص: عزمت على الخروج: الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، مج ١، ص ٨٢.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السابعة: البرقعيديّة"، ص ٦٠؛ شمت برق عيد: نظرت إلى هلال عيد. الشريشي، م.ن، مج١، ص ٨٢.

٢- **تَبْريز**[١]: "أخبر الحارث بن همام قال أزمعتُ[٢] التَّبريز[٣] من **تَّبريز**"[٤].

٣- **تِفْلِيس**[٥]: "حكى الحارث بن همّام، قال: عاهدتُ الله تعالى مُذْيَفَعْتُ[٦]، أن لا أُؤخّرَ الصلاة ما استطعت... فاتّفَقَ حينَ دخلتُ **تفليس**، أنْ صلَّيْتُ مع زُمرةٍ مفاليس"[٧].

٤- **تِنّيس**[٨]: "حدث الحارث بن همّام قال... فلمّا أَلْقَتْني الغُربةُ **بتنّيس**، وأحلّتْني مسجدَها الأنيس"[٩].

٥- **حُلْوان**[١٠]: "حكى الحارث بن همّام، قال: فلمّا حَلَلْتُ **حُلْوانَ**، وقد بَلَوْتُ الإخوان..."[١١].

٦- **دِمْياط**[١٢]: "أخبر الحارث بن همّام قال: ظَعَنْتُ[١٣] **إلى دِمْياط**، عامَ هياط ومياط"[١٤].

---

(١) تبريز: هو أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجصّ، وفي وسطها عدّة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة، ومشمشها من أطيب الفواكه. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٢، ص ١٣.

(٢) أزمعت: عزمت. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، مج ٢، ص ١٦٢.

(٣) التبريز: الخروج إلى البراز وهي الأرض الواسعة التي لا شجر فيها، والمراد هنا: الخروج للسفر. الشريشي، م.ن، مج ٢، ص ١٦٢.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٦.

(٥) تفليس: بفتح أوّله وبكسره: بلد بأرمينيّة الأولى، وهي مدينة قديمة أزليّة. يجري في وسطها نهر يقال له: الكُرُّ يصبّ في البحر. افتتحها المسلمون في أيّام عثمان بن عفان (ﷺ). وينسب إلى تفليس جماعة من أهل العلم، منهم: أبو أحمد حامد بن يوسف بن أحمد بن الحسين التفليسي، سمع ببغداد وغيرها. ياقوت الحموي، م.س، مج ٢، ص ٣٥ - ٣٧.

(٦) يَفَعْت: شببت ولم أبلغ الحلم وقاربت ذلك. الشريشي، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، مج ٢، ص ١٠٦.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والثلاثون: التفليسيّة"، ص ٣٦٢؛ مفاليس: فقراء. الشريشي، م.س، مج ٢، ص ١٠٧.

(٨) تنّيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البرّ ما بين الفَرَما ودمياط. أمّا تنّيس فالحال فيها كالحال في دمياط إلاّ أنّها أجلّ وأوسط، وبها تعمل الثياب الملوّنة والفرش البوقلمون. ويكون ماؤها أكثر السنة ملحاً لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال. وسمّيت تنّيس باسم تنيس بنت دَلوكة الملكة، وهي العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر، فإنّها أوّل من بني بتنّيس وسمّتها باسمها. ولتنّيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر وهي مائة ونيّف وثلاثون صنعاً. ياقوت الحموي، م.س، مج ٢، ص ٥١ - ٥٥.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والأربعون: التنيسيّة"، ص ٤٥٤.

(١٠) حلوان: هي في آخر حدود السواد ممّا يلي الجبال من بغداد، وقيل: إنّها سمّيت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، كان بعض الملوك أقطعه إيّاها فسمّيت به. فهي مدينة عامرة، وسرّ من رأى أكبر منها، وأكثر ثمارها التين، وهي بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها. وبها رمّان ليس في الدنيا مثله وتين في غاية الجودة ويسمّونه لجودته شاه أنجير أي ملك التين. ياقوت الحموي، م.س، مج ٢، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(١١) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ١٧.

(١٢) دمياط: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيّب، وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. وبينها وبني تنيس مسيرة نصف النهار. ياقوت الحموي، م.س، مج ٢، ص ٤٧٢ - ٤٧٤.

(١٣) ظعنت: رحلت، والظعن ضدّ الإقامة. الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، مج ١، ص ٤٨.

(١٤) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٢؛ هياط ومياط: هرج وخلاف. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٤٨.

٧- **الرَّمْلَة**[١]: "حكى الحارث بن همّام قال: كنت في عنفوان الشباب... أصعدتُ إلى ساحل الشام للتجارة، فلمّا خيّمتُ **بالرملة**..."[٢].

وكذلك في المقامة الخامسة والأربعين: "حكى الحارث بن همّام، قال: كنت أخذتُ عن أولي التجاريب، أنّ السفر مرآةُ الأعاجيب... حَضَرتُ قاضي **الرملة**، وكان من أربابِ الدولة والصَّوْلة"[٣].

وقد انفرد الحَريري مقامتين باسم الرمليّة، وقد قصد بهما مدينة واحدة في الشام. وسمّاها العرب بالرملة حيث غلب عليها الرمل.

٨- **زَبيد**[٤]: "أخبر الحارثُ بن همّام قال لمّا جُبْتُ البيدَ[٥]، إلى **زَبيد**"[٦].

٩- **ساوَة**[٧]: "حَدَّثَ الحارث بن همّام قال: آنستُ من قلبي القساوة، حين حللتُ **ساوة**"[٨].

١٠- **سِنجار**[٩]: "حكى الحارث بن همّام، قال: قَفَلْتُ[١٠] ذات مرّة من **الشام، أنْحُو مدينة السلام**[١١]... فصادَفَ نُزولُنا **سِنْجار**، أنْ أَوْلَمَ[١٢] بها أحدُ التّجار"[١٣].

---

(١) الرملة: بلد معروف بالشام. ومدينة عظيمة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوماً، وهي كورة من فلسطين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٣، ص ٦٩.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٤.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٤.

(٤) زبيد: هي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت في أيّام المأمون وبإزائها ساحل غَلافِقة وساحل المندب؛ ينسب إليها جمع كثير من العلماء، منهم: أبو قُرَّة موسى بن طارق الزبيدي قاضيها، وأبو حمّة محمّد بن يوسف بن محمّد بن أسوار بن سيّار بن أسلم الزبيدي وإلخ. ياقوت الحموي، م.س، مج ٣، ص ١٣١.

(٥) جُبت البيد: قطعت الصحاري. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، مج٢، ص ١١٠.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٠.

(٧) ساوة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كلّ واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً. كان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها فأحرقوها. والنسبة إلى ساوه ساويّ وساوجيّ. ياقوت الحموي، م.س، مج ٣، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٨) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ٩٧.

(٩) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام. ويقولون: إنّ سفينة نوح (ﷺ)، لمّا مرّت به نَطَحَتْه فقال نوح: هذا سنُّ جبل جار علينا، فسمّيت سنجار. والله أعلم به. وهي مدينة طيّبة في وسطها نهر جار. وهي عامرة جدّاً، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيّام أيضاً. ياقوت الحموي، م.س، مج٣، ص ٢٦٢.

(١٠) قفلت: رجعت من السفر. الشريشي، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، مج ١، ص ٢٠٤.

(١١) أنحو مدينة السلام: أقصد بغداد. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٠٥.

(١٢) أولم: صنع وليمة، والوليمة طعام العرس. الشريشي، م.س، مج ١، ص ٢٠٥.

(١٣) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة عشرة: السنجاريّة"، ص ١٦٩.

١١- **شِيراز**[١]: "حكى الحارث بن همّام قال مررتُ في تَطوافي[٢] **بشيراز**، على نادٍ يَستَوقفُ المجتاز"[٣].

١٢- **طَيْبَة**[٤]: "حكى الحارث بن همّام، قال: أجمعتُ[٥]، حين قَضَيْتُ مناسك الحجِّ،... أنْ أقْصِدَ **طَيْبَه**، مع رُفْقَةٍ مِنْ بني شَيْبَه"[٦].

١٣- **كَرَج**[٧]: "حكى الحارث بن همّام قال: شَتَوْتُ[٨] **بالكرج**"[٩].

١٤- **المَراغَة**[١٠]: "رَوى الحارثُ بنُ همّام قال: حَضَرتُ ديوانَ النظر[١١] **بالمراغة**، وقد جَرَى به ذكرُ البلاغة"[١٢].

---

(١) شيراز: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، وفي وسط بلاد فارس، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً. إنّها عذبة الماء، صحيحة الهواء، كثيرة الخيرات. قالوا: ومن العجائب شجرة تفّاح بشيراز نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٣، ص ٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) تطواف: دوران، مصدر: طوفت حول الشيء إذا أكثرت المشي حوله وقد طفت به وأطفت. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة والثلاثون: الشيرازيّة"، مج ٢، ص ١٢١.

(٣) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة والثلاثون: الشيرازيّة"، ص ٣٨٣ – ٣٨٤؛ يستوقف المجتاز: يحبس المار ويجعله يقف. الشريشي، **م.ن**، مج٢، ص ١٢٢.

(٤) طيبة: هو اسم لمدينة رسول الله ﷺ، يقال لها طيبة وطابة من الطيب وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل، وقيل: من الشيء الطيّب وهو الطاهر الخالص لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه، قال الخطّابي: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها، لساكنيها، ولأمنهم ودعتهم فيها، وقيل: من طيب العيش بها من طاب الشيء. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٤، ص ٥٣.

(٥) أجمعت: عزمت عليه. الشريشي، **م.س**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، مج ٢، ص ٨٧.

(٦) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٣ – ٣٣٤؛ بني شيبة: شيبة هو عبد المطلّب، وسمّي بذلك لأنّه نشأ بالمدينة عند أخواله صغيراً فلمّا مات أبوه هاشم ذهب إليه المطلّب، فأتى به فرآه معه أهل مكّة فقالوا: ما هو إلاّ عبد اشتراه فغلب عليه عبد المطلّب. الشريشي، **م.ن**، مج ٢، ص ٨٧.

(٧) كرج: هي فارسيّة وأهلها يسمّونها كَرَه، وهي مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب، وبين كرج وهمذان نحو ثلاثين فرسخاً. وكانت كرج مدينة متفرّقة ليس لها اجتماع المدن وأبنيتها أبنية الملوك قصور واسعة متفرّقة، وهي ذات زرع ومواشٍ، فأمّا البساتين والمتنزّهات فليست بها، وهي مدينة طويلة، وبناؤها من طين. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٤، ص ٤٤٦.

(٨) شتوت: أقمت في الشتاء. الشريشي، **م.س**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، مج ٢، ص ٢٠.

(٩) الحَريري، **م.س**، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٤٩.

(١٠) المراغة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، من بلاد العجم. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٥، ص ٩٣.

(١١) ديوان النظر: مجلس المناظرة. الشريشي، **م.س**، "المقامة السادسة، المراغيّة"، مج١، ص ٦٧.

(١٢) الحَريري، **م.س**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٤٦.

١٥- **مَعَرَّةُ النُّعْمان**[١]: "أخبر الحارث بن همّام، قال: رأيت من أعاجيب الزمـان، أنْ تَقَـدَّم خَصمان، إلى قاضي **مَعَرَّة النُّعمان**"[٢].

١٦- **مَيّافارِقين**[٣]: "حكى الحارثُ بن همّام قال: يَمَّمْتُ[٤] **ميّافارقين**، مع رُفْقَةٍ مُوافقين"[٥].

١٧- **نَجران**[٦]: "حكى الحارث بن همّام قال... فلمّا أَلْقَيْتُ الجِران[٧] **بنَجْـران**"[٨]. الجِـران: كناية عن الإقامة.

١٨- **نَصيبين**[٩]: "رَوَى الحارث بنُ همّام، قال: أَمْحَلَ[١٠] **العـراقُ** ذاتَ العُـوَيم... وتَحَـدَّثَ الركبانُ[١١] بريفِ **نَصيبين**، وبُلَهْنية[١٢] أهلها المُخصبين"[١٣].

---

(١) معرّة النعمان: معرّة هي بلدة بالشام، والنعمان: هو النعمان بن بشير صحابيّ اجتاز بها فمات له بها ولدٌ فدفنـه وأقام عليه فسمّيت به، وفي جانب سورها من قبل البلد قبر يوشع بن نون (عليه السلام)، وبالمعرّة أيضاً قبر عبد الله بن عمّار بن ياسر الصحابي. وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، ماؤهم من الآبار، وعندهم الزيتون الكثير والتّين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٥، ص ١٥٦.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة: المعرّية"، ص ٦٩.

(٣) ميّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، قالوا: سميّت بميّا بنتٍ لأنّها أوّل من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارجين، لأنّها كانت أحسنت خندقها فسمّيت بذلك. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٥، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٤) يممت: قصدت. الشرشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، مج ١، ص ٢٣٩.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة العشرون: الفارقيّة"، ص ١٩٣.

(٦) نجران: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكّة، قالوا: سمّي بنجران بن زيدان بن سَبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان لأنّه كان أوّل من عَمّرها ونزلها، وإنّما صار إلى نجران لأنّه رأى رؤيا فهالتّه فخرج رائداً حتّى انتهـى إلى وادٍ فنزل به فسمّي نجران به. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٥، ص ٢٦٦.

(٧) الجران: جِرانُ البعير: مُقدَّم عنقه من مَذْبحه إلى مَنحرِه. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مـج ٢، ص ١٥٥٩، باب النون، فصل الجيم.

(٨) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية والأربعون: النجرانيّة"، ص ٤٦١.

(٩) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قُراها أربعون ألف بستان، بينهـا وبـين سـنجار تـسعة فراسـخ، وبينهـا وبـين الموصـل سـتّة أيّـام. وقـد روي أنّ النبي ﷺ، قال: رُفعت ليلة أسرى بي فرأيت مدينة فأعجبتني فقلت: يا جبرائيل ما هذه المدينة؟ قال: هذه نصيبين، فقلت: اللهمّ عَجلْ فتحها واجعل فيها بركة للمسلمين. وفتحها عياض بن غنم. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٥، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(١٠) أمحل: أجدب أي لم ينزل فيه مطر. الشريشي، **م.س**، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، مج ١، ص ٢٢٧.

(١١) الركبان: أهل الأسفار. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ٢٢٧.

(١٢) بلهنية: رخاء العيش. الشريشي، **م.س**، مج ١، ص ٢٢٨.

(١٣) الحَريري، **م.س**، "المقامة التاسعة عشرة: النصيبيّة"، ص ١٨٣ – ١٨٤.

اختار الحَريري هذه الأماكن والمدن الإيرانيّة لإظهار سعة معلوماتـه الجغرافيّـة، وللسجع والجناس وموسيقى العبارات.

ب- أعلام الأماكن في مقامات الحَميدي

تجري حوادث **مقامات** الحَميدي كأكثر المقامات العربيّة لا سيّما **مقامات** الحَريري في البلاد البعيدة والغريبة.

يجعل موطنه خراسان، موطن الراوي، ويبدو أنّ الأراضي والبلاد الّتي اختارها الحَميدي كانت بحسب ضرورة السجع والقافية في الجمل لا أكثر، نحو: "وقتى از اوقات به جمع آزادگان در بلاد آذربايجان مى گشتم"[١].

ترجمة الشاهد

في وقت من الأوقات كنت أتجوّل مع الأحرار في مدينة أذربيجان.

نلاحظ السجع بين كلمتي آزادگان بمعنى الأحرار، وبين كلمة آذربايجان، وهي مدينة أذربيجان.

"بامداد خبرى دادند كه صاحب طريقى كبودپوش، دوش از اطراف اوش[٢] رسيده است"[٣].

ترجمة الشاهد

أخبروني صباحاً أنّ صوفيّاً وصل إلى المدينة الليلة البارحة من ضواحي أُوْش.

نلاحظ السجع بين كلمتي دوش مخفّف ديشب بمعنى الليلة البارحة، وكلمة أوش.

كما أنّنا لا نجد أثراً عن مواصفات المدن والأماكن الّتي ذكرها الحَميدي، ولا شيئاً عن خصائصها الجغرافيّة، أو التاريخيّة، والأماكن الأثريّة والمساجد، أو آراء وأفكار علمائها، وعادات شعبها وشبه ذلك، رغم كلّ جولان وسياحة الراوي في خمس وعشرين مدينة؛ يدلّنا هذا على أنّ الحَميدي لم يرَ هذه المدن قط، بل اختارها سجعاً وقافية وجناساً كالحَريري.

والتزام الحَميدي بالسجع والمحسّنات البديعيّة جعله ينسى المسافات بين المدن والأماكن، على سبيل المثال في مقامة النسّابة يقول:

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٥.

(٢) أُوْش: بلد من نواحي فَرْغانَة، كبير قريب من قُبا، وله سورٌ وأربعة أبواب، وهي خصبة جدّاً. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج١، ص ٢٨١.

(٣) حميدى، **م.س**، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.

"دل را بر شدايد سفر صبور كردم وروى حركت به شهر نشابور آوردم... تارسيدم به شهر ارمينيه[١]..."[٢].

ترجمة الشاهد

صبَّرتُ قلبي على تحمّل الشدائد والمشكلات، فتوجّهت إلى مدينة نيسابور... حتّى وصلت إلى مدينة أرمينيّة.

ذكر الحَميدي في **مقاماته** حوالي خمسين بلداً، وقد سافر إلى خمسة وعشرين منها. وتجري الحوادث في المدن التالية بالترتيب حسب أرقام المقامات:

١- طائف ٢- خُجَنده ٣- حوالى الهند ٤- أذربيجان ٥- كِشمير وقَنْدهار ٦- نَيْسابور ٧- دِمَشق ٨- المدن غير معلومة ٩- دَامغان ١٠- صُور وصَيدا ١١- أصبهان ١٢- هَمَذان ١٣- العِراق ١٤- آمُل وسَارِي ١٥- هَمَذان ١٦- كاشَان ١٧- الأهواز ١٨- بَلْخ ١٩- سَمَرقَند ٢٠- سَرَخْس ٢١- أوُش ٢٢- العِراق ٢٣- أرمينيّة. فنشير إلى بعض الأماكن الواردة في **مقامات** الحَميدي، بحسب الترتيب الألفبائي.

١- آمُل[٣] وسارِي[٤]: "در وقتى كه عالم چنين رنگ وبوى داشت وقدم همّت جستجوى داشت، اتّفاق را مُجتاز وطارى به آمل وسارى گذرى كردم"[٥].

ترجمة الشاهد

---

(١) أرمينيّة: بكسر أوّله ويُفتح، والنسبة إليها أرمنيّ على غير قياس. سميّت أرمينيّة بأرمينا بن لَنْطا بن أوْمَر بن يافث بن نوح، وكان أوّل من نزلها وسكنها؛ وقيل: هما أرمينيّتان الكبرى والصغرى، وحدهما من بَرْدَعَة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القَبْق وصاحب السرير. وقيل: هي ثلاث أرمينيّات؛ وقيل أربع أرمينيّات. وذكر ابن واضح الأصبهاني أنّه كتب لعدّة ملوك أنّه لم يرَ بلداً أوسع من أرمينيّة ولا أكثر عمارة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ١، ص ١٥٩ – ١٦١.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٣) آمل: اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل، لأنّ طبرستان سهل وجبل، وهي في الإقليم الرابع. وبين آمل وساري ثمانية عشر فرسخاً. وبآمل تعمل السجّادات الطبريّة. وقد خرج منها كثير من العلماء، لكنّهم قلّ ما ينسبون إلى غير طبرستان فقال لهم الطبريّ، منهم: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور، أصله ومولده من آمل. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ١، ص ٥٧.

(٤) ساري أو سارية: هي مدينة بطبرستان، وهي في الإقليم الرابع، والنسبة إليها ساريّ، وطبرستان هي مازندران. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٣، ص ١٧٠ – ١٧١.

(٥) حميدى، **م.س**، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٣.

في حين كان العالم معطّراً بالزهور وريح الصبا، والأقدام كانت تعزم على البحث، مررتُ مصادفةً وبشكل طارئ بمدينتي آمل وساري.

٢- **خَجَنْد**[١]: "بادل نژند روى به خَجَند نهادم"[٢].

ترجمة الشاهد

توجّهت إلى خَجند بقلب حزين.

٣- **دامغان**[٣]: "باچنين ياران كارى ودوستان غارى راه مى سپردم تا رسيدم به سرحدّ خراسان كه نامش دامغان است"[٤].

ترجمة الشاهد

كنت أطوي الطريق مع أمثال هؤلاء الرفقاء والأصدقاء الحميمين، حتّى وصلت إلى حدود خراسان المسمّاة بدامغان.

٤- **دِمَشق**: "به هر شهرى كه رسيدم طالب اهل معانى مى گرديدم، وبه نيّت اقامت، نماز چهار گاني مى كردم؛ تا در غلواى آن شوق وعشق نزول كردم به خطّه دمشق. شهرى ديدم آراسته از سينه زاهدان وپيراسته تر از زلف شاهدان"[٥].

ترجمة الشاهد

كنتُ أطلب أهل المعاني في أيّ مدينة أصل إليها، وكنت أصلّي الصلاة بأكملها – سبع عشرة ركعة – على نيّة الإقامة؛ حتّى في أثناء ذلك الشوق والشغف والعشق نزلت إلى أرض دمشق. رأيت مدينة أجمل من صدور الزهاد وأكثر زينةً من شعرات الشاهدين.

٥- **سَرَخس**[٦]: "راحله سفر در زير بار؛ به شهر سرخس بازايستادم وبار از بارگير فرونهادم"[٧].

---

(١) خجند: قد ورد في معجم البلدان خُجَندة، فلا شك أنّ الحَميدي قصد بها، فقد ذكر خَجَنْد سجعاً لكلمة نَژَنْد أي حزين. قال ياقوت الحموي: هي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيّام مشرقاً، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصُّقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متّصل بها. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٢، ص ٣٤٧.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣٢.

(٣) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومس. هي مدينة كثيرة الفواكه، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ولا نهاراً، ويخرج ماؤه من مغارة في الجبل ثمّ ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسماً لمائة وعشرين رستاقاً، وهو مستطرف جداً. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٢، ص ٤٢٣.

(٤) حميدى، **م.س**، "المقامة التاسعة: في المناظرة بين السنّي والملحد"، ص ٩٤.

(٥) حميدى، **م.س**، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

(٦) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومَرْو في وسط الطريق، بينها وبين كلّ واحدة منها ستّ مراحل. هي مدينة صحيحة التربة، والغالب على نواحيها المراعي، قليلة القرى، وقد خرج منها كثير من الأئمة. ياقوت الحموي، **م.س**، مج ٣، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٧) حميدى، **م.س**، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجّم"، ص ١٧٩.

ترجمة الشاهد

وقِّفتُ راحلة السفر تحت الحمل؛ في مدينة سرخس وحطّيتُ الحمل عن ظهرها.

٦- **صور وصيدا:** "پس دل از استقامت برداشتم ونماز اقامت بگذاشتم، گاه چون ماهی بر آب وگاه چون عقاب برهِضاب می رفتم، از بيدا به بيدا، تا برسيدم به صور وصيدا. خاك آن تربت بـا آب غربت سازگار ديدم ونفس را در آن خطّه رای آرام وقرار"[١].

ترجمة الشاهد

فنزعتُ قلبي عن الاستقامة، وصلّيتُ صلاة الإقامة، فكنتُ أقطع الطرق من البيداء إلى البيداء أحياناً كالسمك على الماء، وأحياناً أخرى كالنسر على الهضاب، حتّى وصلتُ إلى صور وصيدا. رأيت تراب تلك الأرض ملائماً ماء الغربة والنفس في تلك المدينة هادئة ومستقرّة.

٧- **طائف**[٢]: "تابعد از آنكه شربتهای شدايد چشيدم وصدمتهای مكايد بكشيدم وخايب وخايف به شهر طائف رسيدم"[٣].

ترجمة الشاهد

بعد تذوّق مشارب الشدائد وتحمّل المصائب والمكائد وصلت خائباً وخائفاً إلى مدينة الطائف.

٨- **هَمَذان:** "پس در ميان آنكه به چپ وراست می دويدم، به شهر همدان رسـيدم. شـهری ديدم ساكن الأماكن عامر الأطراف والأكناف والجوانب، آراسته به علم وادب، مـشهور بـه فـضل وهنر..." [٤].

ترجمة الشاهد

ففي تلك الأثناء كنت أركض يميناً ويساراً، وصلت إلى مدينة همذان. رأيـت مدينـة هادئـة الأماكن، عامرة الأطراف والأكناف والجوانب، مزيّنة بالعلم والأدب، ومشهورة بالفضل والفنّ...

لاحظنا أنّ الحَميدي كالحَريري:

- لم يرَ هذه المدن ولم يسافر إليها، واختارها كمحسّنات لفظيّة للجناس والسجع.
- ولا يخبرنا شيئاً مهمّا عن خصائص المدن المـذكورة أو تاريخهـا، أو أفكـار علمائهـا، وعقائدهم وغير ذلك.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة العاشرة: في الوعظ"، ص ١٠٥.

(٢) طائف: هو في الإقليم الثاني عمّرها حسين بن سلامة وسدّها ابنه. هو واد وَجّ وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكّـة اثنا عشر فرسخاً. والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، وبها مياه جارية وأوديّـة تنـصب منها إلى تَبالة، وهي على ظهر جبل غَزْوان. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٤، ص ٨-٩.

(٣) حميدى، **م.س**، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٦.

(٤) حميدى، **م.س**، "المقامة الثانية عشرة: في المسائل الفقهيّة"، ص ١٢٠.

* * *

فمن خلال عرض نماذج من الألفاظ الغريبة والألفاظ الدخيلة وأعلام الأشخاص والأماكن في **مقامات** الحَريري والحَميدي، يمكننا أن نذكر النتائج التالية:

– من حيث الألفاظ، لاحظنا كيف قيّد الحَريري نفسه باختيار الألفاظ الصعبة كأنّه ملزَم ومكلّف بهذا الأمر، إلى حدّ أنّ قارئ **مقاماته** يملّ من قراءتها وبعد قليل يتركها جانباً لكثرة الألفاظ الحوشيّة والصعبة. كما اعتمد الحَميدي الألفاظ الغريبة، لا نجدها عند الأدباء القدماء والمعاصرين له. فمن الواضح، أنّه قصد بها إظهار مقدرته اللغويّة تجاه الحَريري خاصّةً.

– اعتمد الحَريري الألفاظ الدخيلة في **مقاماته**، لا سيّما من اللغة الفارسيّة، وكذلك الحَميدي اعتمد الألفاظ والتراكيب العربيّة خاصّة في **مقاماته**، إظهاراً لسيطرته على اللغة العربيّة تجاه الحَريري.

– ذكر الحَريري أسماء العلماء والأدباء والفقهاء أسماء النساء المشهورات في التاريخ، تبياناً لسعة معلوماته في مجالات شتّى. وقلّده الحَميدي واختار أعلام الأشخاص رجالاً ونساء ليظهر معلوماته الواسعة في مجالات شتّى. وحتّى بعض الأحيان نرى أنّ الحَميدي يختار الأعلام نفسها كالأصمعي وسحبان بن وائل وخليل بن أحمد الفراهيدي وزرقاء اليمامة ونوار والفرزدق والبحتري وأبي يوسف صاحب أبي حنيفة وما إلى ذلك.

– لاحظنا أنّ الحَريري ذكر أسماء المدن العربيّة وغير العربيّة في مقاماته سجعاً وجناساً. وكذلك الحَميدي [ذكر أسماء المدن الإيرانيّة وغير الإيرانيّة في مقاماته]، سجعاً وجناساً. والحَميدي والحَريري لم يسافرا إلى الأماكن والبلدان الواردة في مقاماتهما، إنّما اختارا هذه المدن سجعاً وجناساً وقافية. كما أنّهما لم يشيرا إلى شيء من مواصفات هذه الأماكن والبلدان، أو آراء وأفكار علمائها قط. فأثَرُ التقليد والمعارضة في **مقامات** الحَميدي واضح جدّاً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ **مقامات** الحَميدي بالنسبة إلى **مقامات** الحَريري من جهة تجذب القارئ والسامع إلى قراءتها وسماعها، ولا يملّ القارئ والسامع من قراءتها وسماعها، بل بالعكس يشتاق إلى أن يعرف ما هي النتيجة، فيتابع القصّة. ومن جهة أخرى من العيوب البارزة في **مقامات** الحَميدي أنّها أدّت إلى نفور عوامّ الناس عن قراءتها وسماعها، لكثرة الكلمات الدخيلة وإفراطه في اعتماد المفردات العربيّة والألفاظ الغريبة وغير المستعملة أو قليلة الاستعمال.

الفصل الرابع

البناء البلاغي في مقامات الحَريري والحَميدي

تميّزت **مقامات** الحَريري والحَميدي باعتمادهما الأساليب البلاغيّة والصنعة الأسلوبيّة والأسلوب الإنشائي. ومقاماتهما مملوءتان بالمحسّنات اللفظيّة والبيانيّة: كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية.

وأشرنا في هذا الباب، الفصل الأول، إلى أهمّ الوجوه البلاغيّة أي السجع والجناس في **مقاماتهما**، وقمنا بتعريف كلّ وجه من هذين الوجهين، مع ذكر الأمثلة لكلّ منهما من خلال دراسة الإيقاع والموسيقى في **مقاماتهما**. وسنقوم في هذا الفصل بمعالجة الوجوه البلاغيّة الأساسيّة في **مقاماتهما**، وسنتطرّق إليها من خلال أربعة مباحث: المبحث الأول: التشبيه في **مقاماتهما**. والمبحث الثاني: الاستعارة في **مقاماتهما**. والمبحث الثالث: الكناية في **مقاماتهما**. والمبحث الرابع والأخير: التورية في **مقاماتهما**. ونقصد بهذا الفصل معرفة القدرة التصويريّة والفكريّة والعاطفيّة لدى الحَريري والحَميدي، من خلال أساليبهما البلاغيّة، ومدى تأثّر الحَميدي بالحَريري من حيث الأسلوب البلاغي.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا ركّزنا في هذا الفصل على التشبيه والاستعارة والكناية والتورية، ولم نذكر الوجوه البلاغيّة المذكورة في مقامات الحَريري والحَميدي بأكملها، لسببين؛ أوّلاً: كثرة التشبيه والاستعارة والكناية والتورية في **مقاماتهما**، لفتت نظرنا إلى أنّ هذه الوجوه البلاغيّة الأربعة لها أهميّة خاصّة لدى الحَريري والحَميدي؛ فركّزنا أيضاً على هذه الوجوه البلاغيّة الأربعة. ثانياً: لا مِريَة أنّ **مقاماتهما** تحفلان بالبيان، ولكنّنا اقتصرنا على الوجوه البلاغيّة المذكورة فقط، خوفاً من إطالة الكلام.

أوّلاً: التشبيه في مقامات الحَريري والحَميدي

نذكر أمثلة للتشبيه في **مقامات** الحَريري أوّلاً، والحَميدي ثانياً.

أ- التشبيه[١] في مقامات الحَريري

لقد أتى الحَريري بكلّ ضرب من ضروب البلاغة فتحوّل الأسلوب من البساطة في الكتابة إلى التعقيد واهتمّ بالألفاظ أكثر من المعاني، وأكثر من استعمال التشبيه بقوله: (بحر الرجز)

أخـا سِفارٍ طَالَ واسبَطَـرّا[٢] حتّى انثَنى مُحَقَوقِفاً[٣] مُصنفَرّا

---

(١) التشبيه: هو إلحاق أمرٍ بآخر في صفة مشتركة بينهما بواسطة أداة، لغاية معيّنة. وله أربعة أركان أساسيّة، هي: ١- المشبّه: وهو ما نُشبّهه بغيره. ٢- المشبّه به: وهو ما نشبّه غيرَه به. ٣- أداة التشبيه: وهي الأداة الّتي تُستعمل لربط المشبَّه بالمشبَّه به. ٤- وجه الشبه: وهو الصيغة المشتركة بين المشبّه والمشبّه به. ابن الأثير، **المثل السائر**، مج ٢، ص ١١٦ – ١١٧؛ عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح**، ج ٣، ص ١٥٦؛ عرفات مطرجي، **الجامع**، ص ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) اسبطرّ: امتدّ وطال سفره. الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، مج ١، ص ٥٩.

(٣) انثنى محقوقفاً: رجع منحنياً. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٩.

مِثْلَ **هِلالِ الأفقِ** حيــنَ افتَرّا[١]   وقَدْ عَرا[٢] فِناءَكُمْ[٣] مُعتَــرّا[٤]

هِلال الأفق: شبّه انحناءه من السفر بدائرة القمر الناقص على سبيل التشبيه التمثيلي لأن التشبيه منه أكثر من وجهة.

"فأدخلني **بيتاً أحرجَ من التابوت، وأوهن مِن بَيت العنكبوت**"[٥]. شــبّه البيــت مــرّة بــضيق التابوت، وأخرى ببيت العنكبوب، وقد جعل الحَريري هذا البيت أوهن من بيت العنكبــوت. فــي هــذا الكلام تشبيهان.

"ففارَقتُه **مُفارقةَ الجَفْن للعين**"[٦]. لا يخفى علينا أنّ في مصاحبة الجفن للعين عدّة منافع، منهــا أنّه يمنع عنها الأذى ويصونها بانطباقه عن حرّ الشمس، فلذلك يشبّه الحَريري صحبة الجفن له بصحبة الجفن للعين، وإنّه لمّا فارقه خسر ما كان يحصل له من المنافع، كمــا أنّ العــين إذا خــسرت الجفــن فارقتها المنافع المذكورة.

والقمل: "الّذي كثرت فيه القمل"[٧]. والغلّ القمل: الّذي فيه قمل يأكل المغلول به، وكانوا يَغُلّــون بالغلّ فيقمل، فَتُشبَّه المرأة الشريرة به. كما يضرب المثل بالغلّ القمل للمرأة السيّئة الخُلُق. على ســبيل التشبيه البليغ حيث ذكر المشبّه والمشبّه به، وحذف الأداة ووجه الشبه. هــو مثــل ورد فــي **مجمــع الأمثال**[٨].

"وقال له أنْشِدِ الأبياتَ **العواطل**"[٩]. العواطل: أصله من المرأة العاطل الّتي لا حُلي عليهــا، أي العاريّة من الزينة، حيث طلب منه أن ينشد شعراً بلا زخارف لفظية فشبّه الزخرف بزينة المرأة وشبّه أبيات الشعر الخالية من الزخرفة بالمرأة الخالية من الزينة وتصبح الصورة هكــذا: الأبيــات مــشبّه، والعواطل: مشبّه به. والتشبيه بليغ، حذف الأداة ووجه الشبّه.

---

(١) افترّ: انفتحت أطرافه ولم يتقارب، وافترّ: ضحك. الشريشي، **شرح مقامــات الحريــري**، "المقامــة الخامــسة: الكوفيّة"، مج ١، ص ٥٩.

(٢) عرا: قصد. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٩.

(٣) فناءكم: منزلكم. الشريشي، م.ن، مج ١، ص ٥٩.

(٤) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤١؛ معترّا: قاصد الطلب معروفكم. الشريشي، م.ن، مــج ١، ص ٥٩.

(٥) الحَريري، م.ن، "الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٣.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣٢٣.

(٧) الشريشي، م.س، مج٢، ص ٢٢٥.

(٨) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج ٢، ص ٤١٨.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة السادسة والأربعون: الحلبيّة"، ص ٥٢٤.

"أحِنُّ إلى عِيان البصرة، **حَنينَ المظلوم** إلى النصرة"[١]. حنين المظلوم: هو مشبّه به بحذف حرف التشبيه، وتقديره: حنيناً كحنين المظلوم إلى النصرة، والمراد شدّة الاشتياق. وهذا تشبيه بليغ.

نستنتج **الأمور الآتية**: تظهر قدرات الحَريري البيانيّة العالية في **مقاماته**، وبراعته الفائقة في استعمال المحسّنات البديعيّة، وقدرته الفذّة الّتي كتب بها هذه المقامات.

تشتمل المقامات الحَريرية على كثير من بلاغات العرب في لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها، كلّ هذا يدلّ على سعة اطّلاع الحَريري وغزارة مادّته.

كثرة التشبيه والصور البيانيّة تدلّ على سعة اطّلاعه ودقّة ملاحظته، فالصور الّتي يستعيرها لأفكاره ماديّة بحتة، وهذا يدلّ من جهة على دقّة ملاحظته، ويدلّ في الوقت ذاته على أنّه مصوّر خال من الانفعال، وهو كالكاميرا الّتي تنقل الصورة بذكاء ولكن بلا حرارة كتلك الّتي نجدها عند الرسّام الّذي يفرغ أحاسيسه في لوحاته. صوّر الحَريري ماديّة مستقاة من التراث وهي ماديّة وخالية من الشعور، وهو يقلّد الأقدمين.

وأظهر الحَريري براعته الفائقة من خلال هذه التشبيهات في **مقاماته**.

ب- التشبيه في مقامات الحَميدي

إنّ التشبيه له تاريخ قديم جدّاً؛ و"نجد التشبيه منذ الزمن القديم في الأدب الفارسي. وفي الحقيقة، قد وضع أساس الأدب الفارسي على التشبيه، كما نرى ذلك في كتاب **الشاهنامه** للفردوسي[٢] الشاعر الإيراني المشهور في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لأنّ هذا الأثر حافل بالتشابيه ومزيّن بها"[٣].

اتّبع الفرس العرب في فصاحتهم وبلاغتهم، وقد ألّفوا في العلوم البلاغيّة نظير ما ألّف الأدباء العرب في علوم البلاغة، وأقدم هذه الكتب هو كتاب **ترجمان البلاغة** للفرّخي[٤] وكتاب **حديقة السحر**

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٥٧.

(٢) الفردوسي: الحسن بن علي، الحكيم أبو القاسم الفردوسي، ولد سنة ٣٢٩/ ٩٤٠ في طوس. وهو أكبر شاعر حماسي في تاريخ إيران، ومن أبرز الشعراء في العالم. ومؤلفاته: **الشاهنامه**، وقصّة **يوسف وزليخا** المنظومة، وبعض الغزليات الّتي جمعها. تعدّ منظومة الشاهنامة الملحمة القوميّة الإيرانيّة، تثير إعجاب القارئ متانة عباراته، وقوّة تراكيبه، وبعد خياله، وقدرته على المحافظة على هذه الأمور في منظومته الطويلة شغلته السنين الطويلة من عمره أي طوال ثلاثين سنة. ويقول الفردوسي: إنّ أبيات الكتاب تكون ستّين ألفاً. فالكتاب بين خمسين ألفاً وستّين. وقد ترجم إلى أكثر اللغات. توفّي سنة ٤١١ / ١٠٢٠، ومقبرته في طوس. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٣٥، ص ١٥٠ – ١٥٤.

(٣) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسى**، مج ٢، ص ٢٨٨.

(٤) الفرّخي: هو أبو الحسن علي بن جولوغ السجزي نسبةً إلى سجستان، وهو ثالث الشعراء الّذين التقى بهم الفردوسي عند قدومه إلى غزنة. فيعدّ من الشعراء المعاصرين للشاعر الفردوسي. ومن أهمّ تأليفاته، هو كتاب **ترجمان البلاغة** وهذا الكتاب في فنون الشعر. وربّما استعمله رشيد الدين الوطواط في تأليف كتابه **حدائق السحر**، وقد ذكر فيه أنّ: الفرّخي لدى الفرس بمنزلة المتنبّي لدى العرب. وله **ديوان** أيضاً. دولتشاه، **تذكرة الشعراء**، ص ٩، ٥٧.

للوطواط[١].

تتميّز **مقامات** الحَميدي باعتماد الأساليب البلاغيّة، وهي مفعمة بالصناعات البديعيّة منها:

"**صورت ماه** برچرخ گردان ازگوشه قبضه كمان نظاره من كرد"[٢].

ترجمة الشاهد

كان ينظر وجه القمر من زاوية قبضة القوس إلى الفلك الدوّار.

صورت ماه: وجه القمر، شبّه القمر بالإنسان نظرة ووجهاً. ففي هذا الكلام تشبيه تمثيليّ، ففيه أكثر من مشبّه وأكثر من مشبّه به أي تشبيه صورة بصورة: الوجه كالقمر ومحجر العين كانحناءة القوس.

"همچو **عيسى** طبيب بايدبود"[٣].

ترجمة الشاهد

يجب أن يكون طبيباً كعيسى.

شبّه عيسى بالطبيب على سبيل التشبيه المرسل ذكر المشبّه والمشبّه به وأرسل الأداة.

"عذار جوانى ازبيم **پير** در پرده ڤيرى بود"[٤].

ترجمة الشاهد

اختفى عذار الشباب في ستار أسود من خوف الشيخوخة.

پيرى: الشيخوخة، شبّه الشيخوخة بالعدوّ.

وكذلك البيت التالي: (بحر الوافر)

فَلاحَ الصُّبحُ مُبْتَسِمَ الثَّنايَا وعادَ اللَّيلُ مَقْصُوصَ الجَناحِ[٥]

"چون شب **حبشى** پاى درنهاد، وروز **رومى** عمامه از سر بنهاد، كواكب ثواقب آسمانى سراز روزن دخانى بيرون كردند"[٦].

ترجمة الشاهد

---

(١) رشيد الدين الوطواط: محمّد بن محمّد بن عبد الجليل العمري البلخي، الملقّب برشيد الدين. ولد في مدينة بلخ. سمّي بالعمري لانتسابه إلى الخليفة عمر. كان كاتباً وشاعراً. وقد لقّبوه بالوطواط لضآلة جسمه وهزال بنيته. كان حادّ اللسان قويّ البيان. له تصانيف، منها: **حدائق السحر في دقائق الشعر**: وهو كتاب شهير جدّاً في البلاغة الفارسية والشعر الفارسي، و **ديوان شعر**، وكتاب **فرائد القلائد**، وغير ذلك. كان مسيطراً على اللغة العربيّة والفارسية. وأشعاره عبارة عن مجموعة من الصناعات الشعريّة، وأنشدها في غاية التكلّف، ومليئة بالحشو، والاستعارات غير جميلة، وأحياناً لا تثير شعور القارئ والسامع. توفّي سنة ١١٧٧/٥٧٣. دهخدا، م.س، مج ٤٨، ص ٢١٦؛ نظامى عروضى، **چهار مقاله**، ص ٥٨؛ ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسى**، مج ٢، ص ٣٩٦ – ٣٩٨؛ صفا، **تاريخ ادبيّات در ايران**، مج ٢، ص ٩٥٤ – ٩٥٧.

(٢) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٠.

(٣) حميدى، م.ن، ص ٢٠.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الأولى: في الملمّعة"، ص ٢٥.

(٥) حميدى، م.ن، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤١.

(٦) حميدى، م.ن، ص ٤١.

لمّا وضع الليل الحبشي قدماً، ورفع النهار الرومي عن الرأس عمّامــة، أخرجــت الكواكــب الثواقب السماويّة من الثقب دخاناً. وفي هذا الكلام تشبيه تمثيليّ كما نرى هناك أكثر من صورة، فالليل أسود كالحبشي، والنهار يشبه الرومي في بياضه. ونرى أنّ الكاتب هنا يلجأ إلى ظاهرة الألوان للتعبير عن أفكاره، والصورة ماديّة في دلالتها ولا أثر فيها للعاطفة.

شب حبشى: الليل الحبشي، روز رومى: النهار الرومي. فشبّه مجيء الليل بالحبشيّ ســواداً، وذهاب النهار بالروميّ بياضاً.

أو قوله نظماً: (وزن هزج مثمّن اخرب مكفوف محذوف = مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن)

دورانِ گُــل ولاله وايّام بهـــــارست

عالَم چو **رُخ خوبان** پرنقش ونگارست[١]

ترجمة الشاهد

موسم الورد وشقائق النعمان وأيّام الربيع، والعالم مثل وجوه الحسان الأطايب مليء بالرســم والجمال.

رخ خوبان: وجه الحسان الأطايب، شبّه العالم وما فيه بالإنسان الحسن والطيّب. وهنا تــشبيه تمثيليّ أيضاً لوجود أكثر من صورة في هذا النصّ.

"پيرمشتكى بر عصايى متّكى، **صموت كالحوت**، ساكت وصامت، حلقه كمين گــشاده ونظــر حيرت در زمين نهاده"[٢].

ترجمة الشاهد

اتكأ الشيخ المشتكي على عصا، صامتاً كالحوت، كاتماً للسرّ، مترصّداً، وسحب حلقــة كمــين أسراره، ينظر إلى الأرض متحيّراً.

صموتٌ كالحوت: تشبيه مرسل.

* * *

لاحظنا أنّ الحَميدي متأثّر بالحَريري في صوره البيانيّة، ولكنّ ألفاظه أكثر رقّة من الحَريــري تبتعد في معظمها عن التكلّف، ولكنّها في الوقت ذاته يلجأ إلى الصور الماديّة الخاليــة مــن الدلالــة العاطفيّة. ولكن لا بدّ من التأكيد على جمال الصورة الشعريّة عند الحَميدي، وأحياناً يوفّــق بــإخراج صورة الماديّة إلى رحاب الروح فهو يشبّه لقاء الحبيب بالحج إلى بيت الله، ولو استعملنا كــلام أهــل التصوّف لأخذنا هذا التشبيه دلالة على تشخيص إيمانه وانجذاب إلى الله. وصور الحَميدي مأخوذة من

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة: في الربيع"، ص ٤٧.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة السابعة: في السيّاح"، ص ٧٧.

ثقافتَيْن فارسيّة وعربيّة، ويمتاز عن الحَريري بالابتعاد عن اللفظ المنفّر، ولكنّه لا يبرح منطق الحَريري في الرؤيا العامّة حيث الصور ماديّة، وحيث هو مصوّر وليس برسّام، ولكنّه يحمل دماثة النفس الفارسيّة ورقّتها في الأداء واللجوء إلى الطبيعة ووصفها وانعكاسها على الذات الإنسانيّة، وإن بنسب متفاوتة.

ثانياً– الاستعارة في مقامات الحَريري والحَميدي

إنّ **مقامات** الحَريري والحَميدي مليئة بالاستعارات، فنذكر نماذج منها في **مقامات** الحَريري ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ– الاستعارة[1] في مقامات الحَريري

الاستعارة معناها أن نستعير بعض الألفاظ للبعض، كما أنّ الأديب يعير المعنى ألفاظاً غير لفظة الموضوع له. هذا الضرب يعدّ من أنواع البيان ومحاسن الشعر خاصّة، وهو كثير في **مقامات** الحَريري، وعليه بَناها منها: "أنشأتُ خمسين مقامة تحتوي على جدّ القول وهَزْلِه، ورقيق اللفظ وجَزْله، وغرر البيان **ودُرَره**"[2].

دُرر: جمع دُرّة، وهي الجوهرة الثمينة، وشبّه الحَريري هنا كلامه بالدرر والجواهر. وغُرر: هو البياض في جبهة الفرس فجعلها الحَريري للبيان استعارة تصريحيّة حيث حذف المشبّه وصرح بالمشبّه به، أي الكلام كالدرر، ثمّ حذف المشبّه، وصرّح بالمشبّه به.

وقوله نظماً: (بحر البسيط)

فَلاحَ **لَيْـلٌ** علَى **صُبْـحٍ** أَقَلَّهُما   **غُصْنٌ** وضَرَّسَتِ**البِلَّوْرَ بالدُّرِ**[3]

أراد الحَريري بالليل: الشعر، وبالصبح الوجه، وأراد بالغصن القدّ، وبالبلّور البنان، وبالدرر الثنايا. وبعبارة أخرى شبّه الحَريري هنا الشعر بالليل، والوجه بالصبح، والقدّ بالغصن، والبنان بالبلّور، والثنايا بالدرر. والبيت كلّه استعارات تصريحيّة: الشعر كالليل: حذف المشبّه وصرح بالمشبه به، وجهها كالصبح: حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به. قدّها كالغصن: حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به. وبنانها كالبلّور: حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به، وأسنانها كالدرر، حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به.

---

(١) الاستعارة: هي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجاز مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة بهذا المعنى هي تشبيه مختصر، لا يُذكر فيه غيرُ أحد الطرفين المشبّه أو المشبّه به فقط، ملحوقاً بقرينةٍ تمنع عن إرادة المعنى الأصلي. مطرجي، **الجامع**، ص ١٣٨.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقدّمة"، ص ٦.

(٣) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٣.

"علمنا ما وراء **برقه**"(١). أي علمنا من مجاوبته أنّه صاحب براعة، فعبارة تشبّهاً بالبرق الّذي يعقّبه السيل. هنا البرق استعارة تصريحيّة حيث شبّه سرعة بديهته بالبرق، حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به.

"فدخلتُها خاويَ **الوِفاض**"(٢). الوفاض: "جمع وفضة، وهي شبه الجراب، وهي أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا خشب، فإن كانت من خشب مجلّد أو غير مجلّد فهي كنانة أو جعبة. وقيل: هي خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده، والوفضة جعبة السهام"(٣). واستعاره الحَريري لعدم حصوله على عطاء الآخرين.

أو قوله نظماً: (بحر البسيط)

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وسَقَتْ وَرْداً وعَضَّتْ علَى العُنَّابِ بالبَرَدِ(٤)

يحتوي هذا البيت(٥) على خمس استعارات تصريحيّة: اللؤلؤ: استعارة للدمع، والنرجس: استعارة للعين، والورد: استعارة للخدّ، والعنّاب: استعارة تصريحيّة لأصابعها الطريّة كالعنّاب، والبرد: استعارة للأسنان المتناسقة الشديدة البياض. فالاستعارات كلّها في هذا البيت تصريحيّة. لأنّه شبّه دموع حبيبته باللؤلؤ المنثور، وجفنَيها بالنرجس، وحمرة خدّيها بالورد، وطراوة بنانها بالعُنّاب، وبياض أسنانها بالبرد. فنرى في البيت خمس استعارات تصريحيّة فيها تصوير جميل ولكنّه يفتقر لخفقة الروح والوجدان.

وأمّا صُور الحَريري فمأخوذة أحياناً من بيئته المترفة كاللؤلؤ والأقاح، وأحياناً من التراث. ونستنتج من ذلك مقدرته الفائقة في التصوير وفقر مشاعره ناتج عن كونه مصوّراً وليس برسّام.

"فقلتَ له ما أغْزَرَ **وَبْلَك**"(٦). الوبل: المطر الكثير، وغزارته كثرته، فاستعاره هنا لزيادة معرفته وبلاغته. وهنا يشبّه العطاء بالمطر الغزير "الوبل"، فحذف المشبّه الّذي هو العطاء وصرّح بالمشبّه به الّذي هو الوبل.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤١.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، ص ١٠.

(٣) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الأولى: الصنعانيّة"، مج١، ص ١٦.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٣.

(٥) قال الثعالبي: إنّ هذا البيت لأبي الفرج الوأواء الدمشقي (٣٨٥/٩٩٥). وقبله هذا البيت:

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لواحظُها كَمْ ذا؟ أما لِقَتيل الحُبِّ مِنْ قَوَدِ؟

الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج١، ص ٣٣٧.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة: الدیناريّة"، ص ٣٠.

"ولاحت الشمسُ في **الأطمار**"[١]. الأطمار: جمع طِمر، وهو الثوب الصوّر، والمراد بها هنا الأماكن المرتفعة. وهي استعارة بعيدة، إذ ليست الشمس في شيء يسترها إلاّ الطِّمْر. شبّه الفتاة بالشمس، وشبّه الغيوم بالأطمار، فحذف المشبّهين "الفتاة والغيوم" وصرّح بالمشبّه به في الحالتين على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والصورة كما نرى رغم حركتها وجمال تصويرها لم ترتبط بوجدان الكاتب.

"خيرُ العشاء **سوافره**"[٢]. سوافر: واحدها سافرة، والسافرة المرأة الّتي كشفت عن وجهها. وهنا بمعنى بواكر مستعار من سوافر النساء، وقصد بها خير طعام العشاء ما يؤكل في بقيّة ضوء النهار قبل هجوم الليل.

"مَن قارعُ هذه **الصَّفاة**، وقريع هذه الصَّفاتِ"[٣]. الصَفاة: الصخرة الملساء. فاستعارها للصعب من الكلام. هنا أيضاً شبّه الكلام الصعب بالصفاة، وحذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

"فأجمعَ مَن حَضَرَ من فُرسان **البراعة**"[٤]. البراعة: في الأصل القَصَبة، ويُراد به هنا: القَلَم، واستعاره للضعيف. يقال رجل براع، جوفه كالقصب. وفرسان البراعة: "أي أرباب البراعة: أصحاب أصالة الرأي"[٥].

"بِتُّ ليلتي لابساً **حِدادَ** الندم"[٦]. الحداد: ثياب سود تلبس في المأتم، استعاره الحَريري للندم. هنا شبّه حزنه بالحداد وأبقى المشبّه به بعد حذف المشبّه.

"فلمّا غاضَ **دَرّ الأفكار**"[٧]. درّ الأفكار: قد استعاره الحَريري لما يتولّد من الذهن، أي ما تنتجه القرائح من حلو الحديث. والدر: اللبن. هنا شبّه جفاف القريحة بدرّة الشاة أو الناقة حين يجفّ حليبها، وحذف القريحة وأبقى الدر "المشبّه به" تصريحاً عنه.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٩.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٢.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة: المراغيّة"، ص ٥٢.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٤٩.

(٥) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة السادسة: المراغيّة"، مج١، ص ٦٧.

(٦) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية عشرة: الدمشقيّة"، ص ١١٩.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢٠.

"ولم يبق لنا ثنيّة ولا **ناب**"(١). ناب: مسنّة، وهذا الكلام كلّه استعارة، ولكنّ الحَريري كنى بالجوارح والأعضاء عمّن كان يستعين به من القرابة على الدهر. وثنيّة: صغيرة من الإبل. وهنا الاستعارة تصريحيّة شبّه الأقارب بالثنيّة والناب فحذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به. وتشير هذه الاستعارة إلى شدّة العوز الّذي يعاني منه الكاتب وهي صورة جيّدة لولا أنّها تهدف إلى الاستجداء، ويلاحظ أنّها أخذها من تراثه الثقافيّ الجمال في الصحراء.

"سيّد... **أغرٌّ** فريد"(٢). أغرّ: أصله الفرس الأبيض الوجه. فاستعاره لحسن صفاته وكرمه.

"أستعينُ **بماء الشباب** على ملامح السراب"(٣). أي أستعين بقوّة الشباب وإنعاشه على تحصيل المطامع الكاذبة. فاستعار الماء للشباب، وهو رونقه ونضارته طلباً للمناسبة بين المستعان به والمستعان عليه لأنّ السراب في رأي العين انعكاس مخادع للماء. وفي هذا استعارة مكنيّة(٤) حيث شبّه فترة الشباب بالينبوع، ثمّ حذف الينبوع وأبقى الماء دليلاً عليه أي كنى ببعض لوازمه، والصورة معبّرة عن الأسف الّذي يشعر به الإنسان حين يغادر فترة الشباب.

"أجَلْتُ **قداح الاستشارة**"(٥). أي فحرّكت سهام المشورة لأنّ القدح بالكسر السهم قبل أن يراش ويركب نَصله. ويطلق القدح أيضاً على أوّل السهام الّتي يبرزها من يقامر وهي عشرة أسهم. وهي أيضاً الأزلام. فشبّه اختيار المشورة بها وأطلق عليها اسمها على سبيل الاستعارة المكنيّة حيث شبّه العقل بجعبة السهام وكنى بإحدى لوازمها القِدح، على سبيل الاستعارة المكنيّة.

"وأعلمُ مِن تَحْتِ **الجَرباء**"(٦). الجرباء: السماء، تشبيها للكواكب بالجرب. شبّه السماء بالجرباء ثمّ حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

أتَظُنُّني أرضاك **إمَاماً لمحرابي**"(٧). إماماً لمحرابي: شبّهه في جلوسه بين شعبيتها ومقابلته لصدرها بالإمام، وصدرها له كالمحراب. وفي هذا الكلام استعارتان تصريحيّتان هو الإمام وصدرها المحراب، وحذف المشبّهين.

---

(١) الحَريري، **مقامات**، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢١.

(٢) الحَريري، **م.ن**، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٥.

(٣) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الثامنة والعشرون: السمرقنديّة"، ص ٢٨٦.

(٤) الاستعارة المكنيّة: هي تشبيه حُذف منه وجه الشبه والأداة، واستُبدل المشبّه به بشيء من لوازمه، وذُكر فيه المشتبه فقط. مطرجي، **الجامع**، ص ١٤١.

(٥) الحَريري، **م.س**، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٣.

(٦) الحَريري، **م.س**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٦.

(٧) الحَريري، **م.س**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٤٤.

"فلّما ازدهر سراجاهُ"(١). أي فَتَح عينَيْه. شبّههما بالسراج لإضاءتهما علـى سـبيل الاسـتعارة التصريحيّة.

"فهي **الغُلُّ القَمِل**"(٢). الغلّ: "الشرك الّتي يغلّ بها الأسير أي يربطها في عنقه ويديه"(٣).

أو قوله نظماً: (بحر البسيط)

وتَمتَطي كاهِلَ الانصافِ مُتَّخِذاً   **رَدْعَ الهَوَى هادِياً** والحَقَّ مِنهاجَا(٤)

ردع الهوى هادياً: أراد الحَريري من هذه الاستعارة أن يتبع الانصاف والعدل، ولا ينفكّ يجعل هاديه في سفره ردع هواه ومخالفة نفسه وقمعها.

"أما تعلمون أن **لبوس** الصدق أبهى الملابس الفاخرة"(٥). اللبوس: أصل اللبوس ما يلبس فـي الحرب من الدروع. فقد استعاره الحَريري للصدق، لكون كلّ منهما يتّقى به من المهالك.

"وامتَطَيْتُ مَطا **الكُمَيت**"(٦). الكميت: كان لفظا مشتركاً بين الخمر والفرس. والمراد هنا الخمر. واستعار الحَريري له لفظ المطا: وهو الظهر، والامتطاء: هو الركوب على سبيل التخييـل. وأراد أنّـه اعتكف على شرب الخمر.

أو قوله نظماً: (بحر مجزوء الرجز)

فالبَـسْ **شِعـــارَ** النَّــــدَمِ   واسْكُـــبْ **شآبِيــبَ** الـــدَّمِ(٧)

البس شعار الندم: استعارة مكنيّة، واسكب شآبيب الدم أيضاً استعارة مكنيّة، والكاتب هنا يبـالغ كثيراً في وصف أحزانه وهمومه وهو كاذب في ذلك وهدفه الاستجداء. والمبالغة دائماً تكـون وليـدة الفراغ الداخلي في النفس البشريّة، فاستعار لفظة الشآبيب، وهي الأمطار الغزيرة ليبرهن علـى كثافـة حزنه فكانت مبالغته بلا جذور داخليّة فظهر كذبه عبر المبالغة وشبّه الندم بالثوب اللـصيق بجـسمه، وأعطى للندم معنى الكثافة الماديّة حيث لازمته كالثوب، ولولا الفراغ النفسي لكانت الصورة غاية فـي

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٧٥.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٤٨٩.

(٣) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، مج٢، ص ٢٢٥.

(٤) الحَريري، م.س، "المقامة الحادية والثلاثون: الرمليّة"، ص ٣٢٨.

(٥) الحَريري، م.س، "المقامة الثامنة والأربعون: الحراميّة"، ص ٥٦١.

(٦) الحَريري، م.س، ص ٥٦٣.

(٧) الحَريري، م.س، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٩٨.

الجمال ولكنّ المبالغة هي الّتي قتلت الشعر العربي وبخاصّة حين لا تكون نابعة من ذات صادقة تعاني ما تعاني.

فقد عبّر الحَريري عن مهارته البلاغيّة من خلال هذه الاستعارات.

ب- الاستعارة في مقامات الحَميدي

إنّ تاريخ استعمال الصناعة البديعيّة في الأدب الفارسي، ومدى اهتمام الأدباء الفرس بالكنايات والاستعارات خاصّة يرجع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يقول ملك الشعراء بهار: "دخلت الكناية والاستعارة من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نثراً ونظماً. كما أنّ كتاب **كليلة ودمنة** حافل بالكنايات والاستعارات"[١].

ويمتاز الأدب الفارسي بأنّه مصطنع متكلّف حوالي سنة ٧٢٩/ ١٣٢٨ وحافل بالصناعات البديعيّة وزاخرٌ بالاستعارات والمجازات. ومن أفضل النماذج لهذا الأسلوب كتاب **تاريخ الوصّاف** للوَصّاف[٢] الّذي ألّفه حوالي سنة ١٣٢٨/٧٢٩. وكذلك المؤلّفات الّتي أُلّفت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في عهد التموريين. ووصل هذا الأسلوب إلى نهاية مداه في عصر الأتراك العثمانيين.

نذكر نماذج من الاستعارة في **مقامات** الحَميدي:

"جلوه اين **عروس** راشهوتى دربيان، وتجرّع اين **كؤوس** را نهمتى درميان بود"[٣].

ترجمة الشاهد

كان اشتياق للبيان عن جذبة هذه العروس، وولع شديد لتجرّع هذه الكؤوس.

العروس والكؤوس: استعارتان تصريحيّتان، حذف منهما المشبّهان أي المقامات، والتجرّع هنا بمعنى القراءة. وقد قصد الحَميدي بهذه الجملة أنّه كان حريصاً ومشتاقاً إلى كتابة المقامات بالفارسية، وكان مولعاً بقراءة المقامات الهمذانيّة والحَريريّة كثيراً.

أو قوله: (بحر الوافر)

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي حُثَّ المَطَايَا   فَإِنَّ الصُّبْحَ **مُبْتَسِمُ الثَّنَايَا**[٤]

---

(١) ملك الشعراء بهار، **سَبك شِناسى**، مج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) الوصّاف: عبد الله بن عزّ الدين فضل الله الشيرازي الملقّب بشهاب الدين، والمعروف بوصّاف الحضرة. ولد حوالي سنة ٦٦٣/١٢٦٤ في مدينة شيراز. ألّف كتاب **تاريخ تجزية الأمصار وتزجية الأعصار المشهور بتاريخ الوصّاف**. دهخدا، **لغت نامه**، مج ٤٨، ص ٢٠٢.

(٣) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٠.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية: في الشيب والشباب"، ص ٣١.

تشبيه لاقتراب وظهور الصبح. في البيت استعارة مكنيّة حيث شبّه تبلُّج الصباح بالوجه المبتسم، وحذف المشبّه به الوجه وأبقى الانقسام دليلاً عليه أي كنى بالبسمة عن الوجه.

"دل بر **شربت تيغ آبدار** وضربت رُمح جانسپار بنهادند، و**دست اخوّت ايمان درگردن وداع جان** كردند"[١].

ترجمة الشاهد

وضعوا القلب على مذبح السيف وطعنة الرمح القاسي، وجعلوا يد أخوة الإيمان في رقبة وداع الروح.

شربت تيغ آبدار: مذبح السيف لأنّ الدم يسيل بغزارة منه بعد الذبح فشبّهه بالماء، ودست اخوّت ايمان: يد أخوّة الإيمان، گردن وداع جان: رقبة وداع الروح. وقصد الحَميدي بهذه المفردات على وجه **الاستعارة**: العزم على الحرب مع العدوّ، والاستعداد للشهادة. وفي هذا الكلام تأثّر بالأسلوب القرآني﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢] وبهذا يدلّ على معرفته العميقة بالتراث الإسلامي.

"واين **شموس وبدور** را به شما بنمايم"[٣].

ترجمة الشاهد

وأُظهر لكم هذه الشموس والأقمار.

الشموس جمع شمس، والبدور جمع بدر، استعارة تصريحيّة حيث شبّه الأشعار النادرة بالشموس والبرق، وقصد بهذه العبارة: سأنشد لكم الأشعار النادرة الّتي هي فريدة في نوعها.

"**لب تيغ بُرّان** باسرهاى **گردان** در اسرار آمد، **وزبان سنان** با جان مبارزان درگفتار"[٤].

ترجمة الشاهد

جاءت الأسرار على شفة السيف الحادّ مع رؤوس كتائب العسكر، ولسان الرمح في حديث مع أرواح المقاتلين.

لبِ تيغِ بُرّان، لغة: شفة السيوف الحادّة، وزبان سنان، لغة: لسان الرماح، استعارتان مكنيّتان جميلتان.

أو قوله: (وزن خفيف مسدّس مخبون = فعلاتن مفاعلن فعلاتن)

شِكـم گـاو وپشت ماهـي را زاشك **شمشير** رنگ بايدكرد[٥]

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤٠.

(٢) **الحجرات**، ٤٩/١٠.

(٣) حميدى، م.س، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٧.

(٤) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة: في الغزو"، ص ٤١.

(٥) حميدى، م.س، ص ٤٣.

ترجمة الشاهد

يجب أن يلوَّن من دمع السيف، بطن البقرة وظهر السمك.

اشك شمشير، لغة: دمع السيف، استعارة مكنيّة شبّه السيف بإنسان يبكي، ثمّ حذف المشبّه وكنى ببعض لوازمه الدمع.

"رفيقى چند را درآن طريق باز يافتم، **دست مرافقت دركردنِ موافقت** ايشان زدم"[1].

ترجمة الشاهد

وجدت بضعة من الرفاق في ذلك الطريق، وجعلتُ يد المرافقة في عهدتهم.

دست مرافقت دركردنِ موافقت، لغة: اليد المرافقة في رقبة الموافقة، وهنا استعارة للاتّفاق على السفر.

أو قوله: (بحر البسيط)

أمِطْ عن **الدررِ** الزُهرِ **اليوَاقِيتَا** وَاجْعَلْ لِحَجّ تَلاقِينا مَواقِيتَا[2]

شبّه الأسنان بالدرر، والفم بالياقوت. في هذا البيت استعارة تصريحيّة لأنّ الحَميدي حذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به.

"**عروس زبان رابه زيور سخن** بيا راست"[3].

ترجمة الشاهد

زيّن عروس اللسان بزينة الكلام.

عروس زبان: عروس اللسان، وزيور سخن: زينة الكلام، وهنا استعارة مكنيّة.

يلاحظ في هذه النماذج تأثّر الحَميدي القوي ببلاغة الحَريري فكأنّه تلميذ يأخذ عن أستاذه، وهو مقلّدٌ من الناحية الصياغيّة.

ثالثاً- الكناية في مقامات الحَريري والحَميدي

تظهر قدرات الحَريري والحَميدي البيانيّة العالية في مقاماتهما، وبراعتهما الفائقة في اعتماد الصور البيانيّة، لا سيّما الكناية. فنذكر نماذج من الكناية في **مقامات** الحَريري، ثمّ الحَميدي.

أ- الكناية[4] في مقامات الحَريري

الكناية كلام له معنيان قريب وبعيد، والمقصود دائماً البعيد. تشتمل المقامات الحَريريّة على كثير من بلاغات العرب في نتاجها الأدبي وأمثالها ورموز أسرار كلامها، كلّ هذا يدلّ على سعة

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٨.

(٢) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩٠.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثانية والعشرون: في التعزيّة"، ص ١٩٩.

(٤) الكناية: هو لفظ أُريدَ به لازمُ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ. القزويني، **الإيضاح**، ص ٤٥٦.

اطّلاع وغزارة مادّته. كما تحفل بالكنايات منها: "فلّما أُبْتُ من غُربتي، إلى مَنبِتِ **شُعبتي**"[١]؛ أي فلّما رجعت من الغربة إلى وطني، والشعبة: الغصن من الشجر، ومنبتها، وهنا كناية عن وطنه، وفي الكلام استعارة مكنيّة أيضاً.

"وجَمّلوا **قِشْرَتَهُ**"[٢]. أي زيّنوا لباسه. والقشر: الجلد، وكنى به عن الثوب.

"لاحوا **كأسنان المُشْطِ** في الاستواء"[٣]. أسنان المشط: كناية عن التساوي والالتئام.

"إلى أن **شابَتْ ذوائبها**"[٤]. الجملة كناية عن وضوح الصبح وظهور تباشيره.

"**والخدود باللهب**"[٥]. الجملة كناية عن الحمرة.

"فقلتُ بُعْداً لك **يا شيخ النار**"[٦]. شيخ النار: كناية عن إبليس، لأنّه خلق من النار ومرجعه إليها.

"فَمُذْ اغبّر **العيشُ الأخضرُ**"[٧]. العيش الأخضر: كناية عن المعيشة الطيّبة.

"فحبّذا **الموتُ الأحمر**"[٨]. الموت الأحمر: الشديد، كناية عن كلّ شدّة.

"فقالتْ **أفجّر الصخرَ**"[٩]. أفجّر الصخر: كناية عن الإتيان بالبديع البليغ العذب من الشعر.

"وعند **ابنِ بَجْدَتها**"[١٠]. ابن بجدتها: "عالم سرّها ويقال بجد في المكان إذا أقام به، والمقيم بالموضع وهو عالم به، وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أي من أهل الباديّة، وهم العلماء باللسان على موضع"[١١]. كناية عن العالم بحقيقة الشيء، والعارف بها.

وقد ذكرها صاحب **مجمع الأمثال** من الأمثال على النحو التالي: "أنا ابن بَجْدَتها"[١٢]. أي أنا عالم بها، والهاء راجعة إلى الأرض.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية: الحلوانيّة"، ص ٢٠.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٢٤.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الرابعة: الدمياطيّة"، ص ٣٢.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة: الكوفيّة"، ص ٤٧.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة العاشرة: الرحبيّة"، ص ٩١.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: الساويّة"، ص ١٠٥.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة عشرة: البغداديّة"، ص ١٢.

(٨) الحَريري، م.ن، ص ١٢١.

(٩) الحَريري، م.ن، ص ١٢٢.

(١٠) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، ص ١٤٣.

(١١) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الخامسة عشرة: الفرضيّة"، مج١، ص ١٨٠.

(١٢) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج ١، ص ٥٢.

"فَلَمْ أجلس إلاّ **لمحةَ بارقٍ** خاطفٍ"[١]. لمحة بارق: كنى به عن السرعة لأنّ سرعة البرق عجيبة ومعروفة.

"ثمّ ولّى **يَجرُّ عِطفَيْه**"[٢]. "العطفان: جانبا الثوب"[٣]. ويجرّ عطفيه: يسحب جانبي ثوبه إعراضاً وكبراً. كناية عن إعراضه عنهم.

"ولا **شَقَقْتُ عصا** أمرِك"[٤]. شقّ العصا: كناية عن الشقاق والمخالفة.

"ذو **رِداءٍ غَمْرٍ**"[٥]. رداء غمر: كناية عن كثرة العطاء.

"فَألجأني **صَفَرُ اليدينِ**"[٦]. صفر اليدين: خلوّهما، وهو كناية عن الفقر.

"فقايضْ به **اللاقحَ المُلْقِحَ**"[٧]. اللاقح الملقح: "يريد حجر الزند، وإنّما جعل الحجر لاقحاً ملقحاً لأنَّ النار لا توجد في واحد منهما على انفراد، والنار تصلح في موضع وتفسد في آخر فلذلك وصفه بها"[٨]. وكنّى به عن حجر النار. وكلمة قايض بمعنى عاوض وبادل.

"وهذا أبو **درّاج**"[٩]. أبو درّاج: كناية عن كثرة سعيه وحركته في الطلب.

"أَلْفَيْتُه أبا زيدٍ ذا **الشُقَرِ والبُقَرِ**"[١٠]. الشقر والبقر: "صاحب الدواهي، يقال جاء بالشقر والبقر إذا جاء بالكذب المستفظع، وجاء بالشقاري والبقاري أي بالكذب"[١١]. الشقر والبقر: يكني بهما عن الكذب.

شالَتْ نَعامَتُه[١٢]. شالت نعامته: أي "ارتفع نعشه، ويقال في المصلوب: شالت نعامته أي ارتفعت خشبته"[١٣]، كناية عن الموت.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة السادسة عشرة: المغربيّة"، ص ١٥١.

(٢) الحَريري، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، ص ١٦٨.

(٣) الشريشي، م.ن، "المقامة السابعة عشرة: القهقريّة"، مج ١، ص ٢٠٢.

(٤) الحَريري، م.ن، "المقامة الثالثة والعشرون: الشعريّة"، ص ٢٢٢.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥١.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة السادسة والعشرون: الرقطاء"، ص ٢٦٢.

(٧) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، ص ٢٩٧.

(٨) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة التاسعة والعشرون: الواسطيّة"، مج ٢، ص ٥٩.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الثلاثون: الصوريّة"، ص ٣١٨.

(١٠) الحَريري، م.س، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٦.

(١١) الشريشي، م.س، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، مج ٢، ص ٨٧.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧٠.

(١٣) الشريشي، م.س، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، مج ٢، ص ١١١.

"**ولا سحَّ لها رَعْد**"[١]. كناية عن عدم وفاء ما وعدوه به.

"**فلتبك على عقلك البواكي**"[٢]. كناية عن ذهاب العقل حتّى صار عقله كميّت يبكي عليه أهله.

"أطيب من **حَلَب العناقيد**"[٣]. كناية عن الخمر.

"حتّى صِرتُ **صَدَى صَوْتِهِ**، و**سَلْمانَ بَيْتِهِ**"[٤]. كناية عن شدّة ملازمته له واتّحاده معه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ سلمان الفارسي هو من أصحاب رسول الله حيث صار يعدّ من أهل البيت، فلذلك صار أبو زيد السروجي يعدّ عند القاضي من أهل بيته.

"**والجامدُ الكفّ** ما ينفكُّ ممقوتاً"[٥]. الجامد الكفّ: كناية عن البخيل. والممقوت: المبغض أشدّ البغض.

"وهل يَخفَى **ابنُ جَلا**"[٦]. ابن جَلا: كناية عمّن اشتهر فضله نَسباً وأدباً ومكرُمةً. وهو مثل معروف أيضاً ورد في كتاب **جمهرة الأمثال**[٧].

"فجعلتُ شُغلي **دَبْرَ أُذْني**"[٨]. دبر أذني: أي خلف أذني، كما يقال وراء ظهري. كناية عن تركه مصالح نفسه.

"اقتحام **جيش حام**"[٩]. جيش حام: كناية عن اشتداد الظلام. وحام: "هو ابن النبي نوح"[١٠]. وهنا يستعين باللون كعنصر من عناصر البلاغة التصويريّة.

"وهم يَجتنونَ **فاكهةَ الشتاء**"[١١]. فاكهة الشتاء: كناية عن النار، وتصحّ أيضاً استعارة مكنيّة.

وبقوله أيضاً: (بحر السريع)

وملْتُ عَنْ **حَرْثِيَ** لا رَغْبَةً ... عَنْهُ ولكِنْ أتَّقِي بَذْرَهُ[١٢]

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الرابعة والثلاثون: الزبيديّة"، ص ٣٧١.

(٢) الحَريري، **م.ن**، ص ٣٨٣.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والثلاثون: الشيرازيّة"، ص ٣٨٤.

(٤) الحَريري، **م.ن**، "المقامة السابعة والثلاثون: الصعديّة"، ص ٤٠٦.

(٥) الحَريري، **م.ن**، "المقامة الثامنة والثلاثون: المرويّة"، ص ٤٢٢.

(٦) الحَريري، م.ن، "المقامة التاسعة والثلاثون: العمّانيّة"، ص ٤٢٩.

(٧) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج ١، ص ٣٥.

(٨) الحَريري، **م.س**، "المقامة الأربعون: التبريزيّة"، ص ٤٣٩.

(٩) الحَريري، م.س، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، ص ٤٧٤.

(١٠) الشريشي، **شرح مقامات الحَريري**، "المقامة الثالثة والأربعون: البكريّة"، مج ٢، ص ٢١٨.

(١١) الحَريري، **م.س**، "المقامة الرابعة والأربعون: الشتويّة"، ص ٤٩٧.

(١٢) الحَريري، م.س، "المقامة الخامسة والأربعون: الرمليّة"، ص ٥١٦.

الحرث: كناية عن المرأة، مأخوذة من الآية القرآنيّة: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾[١].

"واخلُبْ **بصوغ اللسان**"[٢]. صوغ اللسان: كناية عن عذوبة الكلام، وتنميقه وتحسينه. واخلب: اخدع، وخلب: خدع.

"ولا تجعلْ **يدك مغلولةً** إلى عنقك"[٣]. مغلول اليد: كناية عن البخيل، وهذا اقتباس من القرآن.

"ثمّ قال له ابنُه: يا أبتِ **لا وُضِعَ عرشُك**"[٤]. وضع العرش: هو سرير الملك، كناية عن ذهاب الدولة. جملة دعائيّة، إنّه يدعو لأبيه بدوام عزّه.

"وما ابتسمَ **ثَغْرُ** فجر"[٥]. الثغر: كناية عن ضوء الفجر. هنا استعارة مكنيّة، شبّه الفجر بالإنسان وكنى بفعل "ابتسم" عنه، أي ترك له بعض لوازم المشبّه.

"استتار **الليلُ البهيم**"[٦]. الليل البهيم: كناية عن الشعر الأسود جدّاً.

"هذا مع معرفتي بأنّها من **سِقَطِ المتاع**"[٧]. سقط المتاع: أي من أدنى الأمتعة، كناية عن كونها من أحسن المؤلّفات في الفنون.

تدلّنا هذه النماذج على قدرات الحَريري البيانيّة، وسعة معلوماته البلاغيّة.

ب- الكناية في مقامات الحَميدي

إنّ **مقامات** الحَميدي مليئة بالكنايات منها: "صورتِ ماه، بر چرخِ گردان، از **گوشه قبضه كمان** نظاره مى كرد"[٨].

ترجمة الشاهد

كان وجه القمر ينظر من زاوية قبضة القوس إلى الفلك الدوّار.

گوشه قبضه كمان، لغة: زاوية قبضة القوس، وكناية عن برج القوس وأواخر فصل الخريف.

"جَستن نسيم درباغ **سپيد گليم** اثرى نداشت"[٩].

ترجمة الشاهد

---

(١) **البقرة**، ٢/٢٢٣.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة والأربعون: الساسانيّة"، ص ٥٧٧.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٥٧٩.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٥٨١.

(٥) الحَريري، م.ن، "المقامة الخمسون: البصريّة"، ص ٥٨٧.

(٦) الحَريري، م.ن، ص ٥٩٠.

(٧) الحَريري، م.ن، "الخاتمة"، ص ٦٠٣.

(٨) حميدى، **مقامات**، "مقدّمة"، ص ٢٠.

(٩) حميدى، م.ن، ص ٢١.

ما ترك هبوب النسيم في الحديقة أثراً في السجادة البيضاء.

سپيد گليم، لغة: السجّادة البيضاء، كناية عن تغطيّة الأرض بالثلج.

"**بندپای افزار كُربت** بگشادم، و**عصا و انبانِ غُربت بنهادم**"[1].

ترجمة الشاهد

فتحت رباط حذاء الكربة، ووضعت عصا وزاد الغربة. في هذا الكلام كناية عن الراحة بعد وعثاء السفر ومشقّة الترحال.

"**آبِ غربت آتشِ شهوت** رابنشاند، و**بادِفتور گردِ غرور** رابفشاند"[2].

ترجمة الشاهد

أطفأ ماء الغربة نارَ الشهوة، ونشرت ريح الفتور غبارَ الغرور. الجملة كلّها كناية عن السكينة والهدوء.

"**عنكبوت روزگار** بر **در و ديوار اين حديث** بتنيد"[3].

ترجمة الشاهد

عنكبوت الدهر نسجت خيوطها على الباب والجدار.

كناية عن الوسوسة والشكّ.

"صاحب صدر محبّت دَر **حجره دل رخت بنهاد**، ووالی عشق در **بارگاه جان تخت بنهاد**"[4].

ترجمة الشاهد

خلع صاحب المحبّة الخالصة اللباسَ من صميم القلب، ووضع والي العشق السريرَ على عرش الروح.

حجره دل لغة: حجرة القلب، ورخت بنهاد لغة: خلع الثياب، و بارگاه جان لغة: بلاط الروح أو عرش الروح، وتخت بنهاد لغة: وضع السرير. وهنا كناية عن سيطرة العشق على القلب والروح.

"**ثريا را رقيبی، وجوزا را طبيبي می كردم**"[5]. الثريّا: هي عنقود نجوم في السماء.

ترجمة الشاهد

كنتُ أُراقب الثريّا وأُطبّب نجم الجوزاء.

إن الجملة كلها كناية عن التهجّد والتحديق وانتظار طلوع الشمس وظهور الفجر طوال الليل.

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الخامسة: في اللغز"، ص ٥٤.

(٢) حميدى، م.ن، ص ٥٣.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة الثامنة: في التصوّف"، ص ٨٤.

(٤) حميدى، م.ن، "المقامة الحادية عشرة: في العشق"، ص ١١٢.

(٥) حميدى، م.ن، ص ١١٣.

أو قوله: (بحر الطويل)

فَبِتُّ وأثوابُ المَصائِبِ سابِغَةٌ   وأجْرَعُ كاسَاتِ الهَوَى غَيْرِ سائِغَة
وعَيشاً أصَبْنَاهُ كَعَيْشِ كُثَيِّرٍ[١]   ولَيلاً قَطَعْنَاهُ كَلَيْلَةِ نابِغَة[٢]

إنّ عبارة عيش كثيّر وليلة نابغة كناية عن الأيّام المرّة والليالي الطويلة. وعيش كثيّر: إشارة إلى قصّة حياة كثيّر الشاعر المشهور العربي الّذي سافر إلى مصر لزيارة معشوقته عزّة، ولكنّه لمّا وصل إلى هناك، وجدها ميّتة، فخاب أمله. وليلة نابغة: تشير إلى النابغة الذبياني[٣] وبيته الجميل: (بحر الطويل):

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ   ولَيْلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ
تَطاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ   ولَيْسَ الّذي يَرْعَى النُّجومَ بِآيِبِ[٤]

وفيه يشكو ليله الطويل وشدّة همومه.

"**لشكر زنگ از سپاه روم برميد**"[٥].

ترجمة الشاهد

هرب عسكر الزنوج من عسكر الروم.

لشكر زنگ لغة: عسكر الزنج، كناية عن الشعرات السوداء ومرحلة الشباب. وسپاه روم لغة: عسكر الروم، كناية عن الشعرات البيضاء ومرحلة الشيخوخة، والعبارة كلّها كناية عن مجيء الشيخوخة.

---

(١) كثيّر عزّة: كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر متيّم مشهور. من أهل المدينة. يقال له ابن أبي جمعة وكثيّر عزّة والملحي نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته. كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدّمون عليه أحداً. أخباره مع عزّة بنت جميل الضميريّة كثيرة. وكان عفيفاً في حبّه. له **ديوان شعر**، كان وفاته سنة ١٠٥/٧٢٣ بالمدينة. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص ١٣٠؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٥، ص ٢١٩.

(٢) حميدى، **مقامات**، "المقامة الرابعة عشرة: في العشق والمعشوق والحبيب والمحبوب"، ص ١٣٦.

(٣) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. وهو أحد الأشراف في الجاهليّة. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلّف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً. توفّي نحو ١٨ ق هـ / ٦٠٤م. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج ١، ص ٢٨٧؛ الزركلي، **م.س**، مج ٣، ص ٥٤.

(٤) النابغة الذبياني، **الديوان**، ص ٩.

(٥) حميدى، **م.س**، "المقامة الخامسة: في المجنون"، ص ١٤١.

"صوفی وار همه را **زاویة** در کنار"[١].

ترجمة الشاهد

الجميع وضعوا "الزاوية" جنباً إلى جنب، أي وضعوا السجّادة استعداداً للصلاة.

زاوية، لغة: زاوية الغرفة، أو زاوية المثلث، أو زاوية الخانقاه المخصّصة للعبادة والخلوة، وما إلى ذلك وهنا كناية عن سجّادة الصلاة.

"آن بُغَيت نيزبه سير الأقدام **وجرّ الزمام** ميسّر گشت"[٢].

ترجمة الشاهد

تيسّر السفر سيراً على الأقدام إلى أرض المبتغى.

جرّ الزمام: كناية عن السفر.

"سرد مزاجان سمرقنـــد **خوى كردند**، وهريـــك خويشتـــن را حاتـــم طـــى كردند"[٣].

ترجمة الشاهد

تخلّق أهل سمرقند، بدم ومزاج بارِدَيْنِ، تشبّهاً بالكرماء، حتى ادّعـــى كـــلّ مـــنهم أنّـــه حـــاتم الطائي[٤].

خوى كردند، لغة: تعرّقوا، وهنا كناية عن إنفاق المال حيلة وخدعة. حاتم الطائي: يضرب بـــه المثل لأنّه كان من أكرم الناس.

"شخص را **رفتار قدم فرزينى** شدة"[٥].

ترجمة الشاهد

شخصٌ صار يمشي مثل الفرزين.

فرزين، لغة الوزير وهي إحدى القطع الّتي يُلعب بها في الشطرنج، ويسمّونها الـــوزير أيـــضاً. ومن خصالها أنّها تمشي وتتحرّك في لعبة الشطرنج مستقيماً ويميناً ويساراً. فلذلك **رفتـــار فرزينـــى** أي مشي الفرزيني كناية عن مشي في كلّ الاتجاهات، ومجازاً بمعنى السلوك السيّء وفيه تشبيه أيضاً.

"مَركب طلب را **زين درجُل كشيدم**"[٦].

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٤.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٦٧.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٧.

(٤) حاتِم الطائي: حاتم بن عبد الله سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عَدِيّ: فارس، شـــاعر، جـــواد، جـــاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوّج ماوية بنت حجر الغسانيّة، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيّء). قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه **ديوان** صغير. أرّخوا وفاتـــه في سنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ، أي سنة ٤٦ق هـــ/ ٥٧٨م. ابن عساكر، **تهذيب**، ج ٣، ص ٤٢٥؛ الزركلي، **الأعلام**، مج ٢، ص ١٥١.

(٥) حميدى، م.س، "المقامة الحادية والعشرون: في صفة الشتاء"، ص ١٩١.

(٦) حميدى، م.س، "المقامة الثالثة والعشرون: في النسّابة"، ص ٢٠٤.

ترجمة الشاهد

وضعتُ الغطاء علىٰ سرج الفرس بعد توقف الراحلة.

زين درجُل كشيدم، لغة: وضعت الرِكاب في الجلُ، كناية عن التوقّف وتغطيّة الفرس بالغاشية بعد الوقوف. يبدو في الأيّام الماضيّة لمّا كان يتوقّف الفارس للاستراحة، حامل الغواشي كان يغطّي الفرس، ليقيه البرد والمطر والغبار.

لا شكّ في أنّ هذه النماذج عن الكناية في **مقامات** الحَميدي تدلّنا على أمور، أوّلاً: قدرات الحَميدي البلاغيّة. ثانياً: قد أكثر من هذه الصنعة محاكاةً ومعارضةً للحَريري، ولكن قدراته التصويريّة لا تقلّ عن الحَريري أبداً بل ربّما فاقه أحياناً كثيرة بجمال الصور البيانيّة. ثالثاً: نكون مضطرّين حين ندرس معظم صوره البيانيّة لردّها إلى أصلها الحَريري، فهو يقفوه ويتبعه كما يقول العرب "الحافر على الحافر". هو مقلّد ولذلك خلت صوره من الإيحاء، ما عدا وصف الطبيعة فإنّه مبدع فيه، ومع ذلك ظلّ الحَريري آخذاً بخناقه أدبيّاً وصياغةً.

رابعاً- التورية في مقامات الحَريري والحَميدي

إنّ **مقامات** الحَريري مفعمة بالتورية، وكذلك **مقامات** الحَميدي، فنبدأ بذكر الأمثلة منها في **مقامات** الحَريري ثمّ في **مقامات** الحَميدي.

أ- التورية[١] في مقامات الحَريري

إنّ **مقامات** الحَريري حافلة بصنعة التورية نحو: "ادّعى أنّه طالَما نَظَمَ **دُرَّةً** إلى **دُرَّة**"[٢]. درّة: المعنى البعيد هو قصيدة. يدّعي أبو زيد السروجي في المقامة الإسكندرانيّة أنّه صائغ، أو هذا على الأقلّ ما يُقنع به امرأته قبل أن يتزوّجها. فقد "ادّعى أنّه طالما نظم درّةً إلى درّة"، وأنّه يصنع منها عقوداً يبيعها بثمن مرتفع. فبعد الزواج، تكتشف زوجته أمره، وتشعر بخيبة أمل كبيرة، وأدركتْ أنّ أبا زيد السروجي، فيما يخصّ الصياغة، ينظم قصائد، وأن الشعر لا يسمن ولا يغني من جوع.

فنلاحظ أنّ كلمة الدرّة فيها التورية، ولها معنيان، المعنى القريب وهو غير مقصود، والمعنى بعيد وهو المقصود أي قصيدة. والمعنى القريب لا يثير أيّ شكّ في ذهن القارئ والسامع.

"لن **يستُرَني** إلاّ مَنْ طابَ خِيمُهُ"[٣]. يسترني: المعنى البعيد هو يستر سرّي.

---

(١) التورية: من فنون البديع المعنوي، ويقال لها أيضاً: الإيهام، والتوجيه والتخيير، ولكن لفظة التورية أولى في التسميّة لقربها من مطابقة المسمّى... والتورية في اصطلاح رجال البديع: هي أن يذكر المتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، ص ١١٤.

(٢) الحَريري، **المقامات**، "المقامة التاسعة: الإسكندرانيّة"، ص ٧٩.

(٣) الحَريري، م.ن، "المقامة الخامسة والعشرون: الكرجيّة"، ص ٢٥٤.

إنّ أبا زيد السروجي في برد الشتاء شبه عار، يستعطف الناس أن يستروه. وحين يبصر بالحارث بن همّام يخاف أن يكشف سرّه وعن هويّته وحيلته أمام الناس؛ فيبدأ حينئذ في خطاب آخر، يتلقّى فيه فعلُ **ستر** دلالتين اثنتين: "لن **يسترني** إلاّ مَن طاب خيمه". فالناس يفهمون ما يلي: لن يستر عُريي إلاّ من كان ذا طبع كريم، والحارث بن همّام يدرك المعنى البعيد هو: من كان ذا طبع كريم سيستر سرّي.

ويجدر الذكر إلى أنّنا نلاحظ صنعة التورية في المقامة الطيبيّة[(١)] بكثرة، ونجد مائة كلمة لها معنيان القريب والبعيد. لأنّ أبا زيد السروجي حين يظهر على هيئة رجل فقيه، يُطَرح عليه مائة سؤال، كلّ سؤال منها يتضمّن فخّاً لأنّه طُرح في قالب صنعة الإيهام أو التورية، وبالطبع يخرج أبو زيد من هذا الامتحان ظافراً. نحو: "هل يجوز السجودُ على **الكُراع**"؟[(٢)] الكراع: المعنى البعيد هو أرض ذات حجارة سود. الكراع له معنيان، المعنى القريب هو ما في البقر والغنم، وهو مستدقّ الساق وهو المورّى به، ولا يجوز السجود عليه بخلافه على المعنى الثاني وهو المعنى البعيد وهو المقصود كما يجيب أبو زيد: "نعم دونَ الذراع. والكراع هي أرض ذات حجارة سود"[(٣)].

"قال أيَدْخُلُ القَصرُ في **صلاةِ الشاهد**، قال لا والغائب الشاهد"[(٤)]. صلاة الشاهد: المعنى البعيد هو صلاة المغرب، سمّيت بذلك لإقامتها عند طلوع النجم لأنَّ النجم يسمّى الشاهد. والقصر: قد قصد به قصر الصلاة الرباعيّة. والشاهد: يتبادر إلى ذهن القارئ المعنى بالقريب ويظنّ أنّ الشاهد من الّذي يؤدّي الشهادة، فلا مانع له من قصر الصلاة إذا كان هناك موجب له بخلاف المعنى المقصود والبعيد وهو صلاة المغرب. وكلمة الشاهد الثانية: هو الله عزّ وجلّ لأنّه غائب عن أبصار الناس وشاهد علينا وعلى أعمالنا.

"إن عَمَدَ لأنْ يأكلَ **لَيْلاً**"[(٥)]. ليلاً: المعنى البعيد هو طير. إذا اعتمدنا على المعنى القريب نفهم: أيأكل الصائم عمداً في الليل؟ يجيب أبو زيد بأنّه من الواجب على الصائم قضاء الكفّارة، جواب فاضح، يعاكس ما يعلمه الجميع. والحال أنّ كلمة **ليل** لا تُحيل على الليل أي المعنى القريب، بل على الطائر أي المعنى البعيد. إذ ذاك يصير جواب أبي زيد مستساغاً ومقبولاً، لأنّه من المحظور على الصائم أن يأكل طيراً، أو أيّ طعام آخر.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٣٤٠.

(٤) الحَريري، م.ن، ص ٣٤٢.

(٥) الحَريري، م.ن، ص ٣٤٣.

"قال أيجوز للحاج أن **يعتمر**، قال: لاو لا أن **يَخْتَمِرَ**"[١]. الاعتمار: المعنى البعيد هو لبس العمارة وهي العمامة، والاختمار لبس الخمار". ويعتمر: يحجّ حج العمرة، وهي عبادة أركانها الإحرام، والطواف والسعي، وهي ممّا يندب فعله للحاجّ فضلاً عن كونه يجوز، هذا هو المعنى القريب المتبادر إلى ذهن القارئ والسامع مباشرة، بخلاف المعنى الثاني والبعيد وهو المقصود به.

"قال فإن اشترى عبداً فَبات **بِأُمِّه** جِراح، قال ما في ردّه جُناح"[٢].الأمّ: المعنى البعيد هو مجتمع الدماغ. ويتبادر إلى الذهن مباشرة أنّ أمّه والدته، ولا دخل لجرح أمّه بهذا المعنى في ردّ بيعه، بخلاف المعنى البعيد المقصود به.

"قال ما تقول في مَيْتَةِ **الكافر**، قال حِلٌّ للمقيم والمسافر. الكافر: البحر، وميتته: السمك الطافي فوق مائه"[٣]. الكافر: المعنى البعيد هو البحر. والمعنى القريب المتبادر منه الإنسان الكافر مقابلاً للمؤمن، ولا تحلّ ميتته بوجه، خلافاً للمعنى البعيد المقصود له.

هذا الكلام الذكيّ القائم على التورية تؤكّد لنا كم كان الحَريري يصرف من وقته وجهده لتأليف هذا الكلام المتّسق، ولعلّه ألزم نفسه ما لا يلزم. وعمله هذا صنعة لفظيّة متكاملة أشبه بالحرفة الّتي يتّخذها الإنسان ليعيش منها، وبذلك يغدو الأدب وسيلة استجداء بإثارة دهشتهم وتلبية طلب المستجدي.

زيّن الحَريري **مقاماته** بصنعة التورية ليظهر مقدرته الفنّيّة والبلاغيّة تجاه الهمذاني ومعاصريه، ولا دخل للإبداع الأدبي فيها إلاّ النحت والتصوير وإظهار الثروة اللغويّة القاموسيّة عنده.

ب- التورية في مقامات الحَميدي

نجد نماذج من التورية في **مقامات** الحَميدي نحو: "سرد مزاجان سمرقند **خوى كردند** وهريك خويشتن را حاتم طى كردند"[٤].

ترجمة الشاهد

تخلّق أهل سمرقند، بدم ومزاج باردَيْن تشبّهاً بالكرماء، حتّى ادّعى كلّ منهم أنّه حاتم الطائي.

خوى كردند: له معنيان، قريب ظاهر غير مقصود، وهو: عرق كردند أي تعرّقوا، والثاني بعيد خفيّ مقصود، وهو: دست به كيسه بردند وبه خرج افتادند أي بذلوا من أموالهم.

---

(١) الحَريري، **المقامات**، "المقامة الثانية والثلاثون: الطيبيّة"، ص ٣٤٥.

(٢) الحَريري، م.ن، ص ٣٤٨.

(٣) الحَريري، م.ن، ص ٣٤٨.

(٤) حميدى، **مقامات**، "المقامة التاسعة عشرة: في سمرقند"، ص ١٧٧.

"به هرطرفى كه رسيدم پنداشتم كه واسطه **قِلادهِ** شهر آنجاست"[١].

ترجمة الشاهد

إلى أيّ جهة وصلتُ ظننتُ أنّ هناك قِلادة المدينة.

قِلادة أي الجوهر الكبير في وسط العقد، وهذا المعنى قريب ظاهر غير مقصود، والمعنى الثاني بعيد خفيّ مقصود، وهو: الرجل المقصود بالمديح يشبهه بالقلادة.

"صوفى وار همه را **زاويه** دركنارِ يكديگر..."[٢].

ترجمة الشاهد

إنّ الناس كلّهم وضعوا الزاوية جنباً إلى جنبٍ...

زاوية أي زاوية المثلّث أو زاوية الغرفة الصغيرة في الخانقاة المختصّة بالصلاة والعبادة والخلوة، وهذا المعنى قريب ظاهر غير مقصود، والمعنى الثاني بعيد خفيّ مقصود وهو: سجّادة الصلاة.

أو قوله: (بحر الوافر)

إذا مُدّتْ إلى كَأسٍ يَمينٌ فَلَمْ تَبْقَ **اليمينُ** ولا **اليَسارُ**[٣]

اليمين: له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد: القَسَم والحلف، واليسار: له معنيان، قريب ظاهر غير مقصود، وبعيد خفي هو المقصود: الغنى والثراء، والمقصود إذا أسرف الإنسان في شرب الخمر يذهب ماله. وفيه تورية جميلة.

"مصلحت آن روى نمود كه ازاين **خُم** بدين قدر چاشنى بس كرده آيد"[٤].

ترجمة الشاهد

رأيتُ من المصلحة والحكمة أن أكتفي بهذا القدر من التذوّق من هذه الجرّة.

خُمّ: مخفّف خُمرة بمعنى دنّ صغير أو جرّة، وهذا المعنى قريب ظاهر غير مقصود، والمعنى الثاني بعيد خفيّ مقصود، وهو المقامات.

عرض الحَميدي مرّة أخرى مقدرته البيانيّة، وعارض الحَريري، وذكر نماذج من صنعة التورية، لإظهار ثروته اللغويّة القاموسيّة محاكاةً للحَريري خاصّةً.

* * *

---

(١) حميدى، **مقامات**، "المقامة الثامنة عشرة: في أوصاف بلخ"، ص ١٦٤.

(٢) حميدى، م.ن، ص ١٦٤.

(٣) حميدى، م.ن، "المقامة العشرون: بين الطبيب والمنجم"، ص ١٨٠.

(٤) حميدى، م.ن، "خاتمة"، ص ٢١٣.

نستنتج القضايا التالية:

- لاحظنا أنّ **مقامات** الحَريري والحَميدي تحفلان بالصور البلاغيّة، لا سيّما التشبيه والاستعارة والكناية والتورية.

- قلّد الحَميدي الحَريري في أسلوبه الإنشائي، وصاغ **مقاماته** كالمقامات الحَريريّة في قوالب فنيّة.

- تعدّ البلاغة مكوّناً أساسيّاً من مكوّنات **مقاماتهما**. وتكون المقامات الحَريرية والحَميدية بثرائها بالصور البلاغيّة تلفت نظر البلاغيين خاصّة، ونظر القرّاء عامة.

لا بدّ من التأكيد أخيراً على عنصرين أساسيين في **مقامات** الحَريري والحَميدي يتعلّقان بالشكل والمضمون:

بالنسبة للشكل فقد كتبا بلغةِ عصريهما، واستخدما الألفاظ الّتي استعملها المجتمع استجابةً لعصريهما وروحه، ولكن علينا ألاّ ننسى أبداً أنّ الحَريري غاص في التراث واستعرض ثقافته الفكريّة عبر الإيغال في الغريب من الألفاظ التراثيّة، ولا أظنّ أنّنا بحاجةٍ لتكرار ما ذكرنا في هذا المضمار، وبما أنّ أحد أهدافهما كان تعليميّاً فقد استوجب العودة إلى الذاكرة الاجتماعيّة في عصريهما، كذكر الألفاظ الّتي لم تُستعمل قديماً أو لم يكثر استعمالها في الأدب القديم، فلفظة البلّور مثلاً هي من أدوات عصره الجديد، ولفظة الأُقاح والنرجس كلّها ألفاظ عرفها العصر العبّاسي نتيجة احتكاكه بالحضارات الأخرى وبالفارسيّة تحديداً. وأمّا اللجوء إلى اللفظ الغريب القديم فقد كان استعراضاً لثقافة كليهما إذ كان يحاول كلّ منهما أن يثبت لعصره أنّه ممتدّ في الماضي. وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ الحَميدي استجاب لبيئته الفارسيّة في وصف الرياض والأزهار والطبيعة، ولذا استعمل ألفاظ بيئته مع التصاقه بالتراث العربي مثل الحَريري، مع الحفاظ عند كليهما على البديع الّذي هو أبرز سمات العصر العبّاسي.

وأمّا بالنسبة للمضمون البلاغي تحديداً فقد اعتمدا على التصوير البياني كثيراً، ولا بدّ من إعادة التأكيد على أنّهما كانا ينحتان الصور نحتاً لا عن سجيّةٍ ولا عن معاناة داخليّة، لأنّ الهدف كان تعليميّاً أحياناً وارتزاقيّاً أحياناً كثيرة، ولأنّه أيضاً استعراض ثقافيّ للتدليل على سعة الاطّلاع والمعرفة في مختلف المجالات المعرفية في عصريهما.

والصور البلاغية اعتمدت على التشبيه بكل تفرّعاته والمجاز والاستعارة والكناية. ورغم الدقّة في الصور البيانيّة عند كليهما كما أسلفنا إلاّ أنّها تفتقر إلى الروح الّتي يجب أن تشيع في كلّ نتاج أدبيّ. ولقد كانا مصوّرين في البيان أكثر من كونهما رسّامين تماماً كالفرق بين عدسة الكاميرا وريشة الرسّام الّتي يغطّيها بدقّة لتلوين لوحاته الجميلة.

الخاتمة العامّة

نظراً إلى أهميّة فنّ المقامة في الأدب العربي خاصّةً وفي الأدب الفارسي عامّةً، عمدتُ إلى دراسته دراسةً مقارنةً، مركّزة على تبيان وجوه الشبه والاختلاف مرّةً، وعلى مسألة التأثير والتأثّر مرّة أخرى، فحصلتُ على النتائج، وضمّمتُها في مباحث محدّدة ومبوّبة وفق منهج يسهّل الرجوع إليها، والإفادة منها. وكان لا بدّ من أن تتمخّض عن هذه الدراسة بعض النتائج وأبرزها الّتي وصلت إليه خلال البحث هذا.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الخاتمة ستأتي حسب الترتيب الّذي ورد في البحث من الأبواب والفصول والمباحث. ثمّ أنتقل إلى القسم الثاني فتح آفاق جديدة عبر هذه الدراسة.

– في القسم الأوّل عرّفنا المقامة في الأدبَين العربي والفارسي لغةً وفنّاً أدبيّاً ابتكره بديع الزمان الهمذاني، وقلّده الحَريري والحَميدي لاحقاً.

– ودرسنا تطوّر المقامة حتّى اكتملت وأصبحت فنّاً مستقلاً عن باقي الفنون الأدبيّة.

– ثمّ درسنا المواضيع الّتي ركّزت عليها المقامة، وكان أبرزها موضوع الاستجداء بسبب الظروف المعيشيّة الّتي كانت سائدةً، وتسخير الموهبة الأدبيّة لكتون عُدّةً للتسوّل والاستجداء.

– ولاحظنا أنّ من الأهداف الّتي هدف إليها أصحاب المقامة تعليم الناس كثيراً من الأمور اللغويّة والفقهيّة وغير ذلك.

– وبيّنا أنّ المقامة كانت بداية فنّ القصّة في الأدب العربي، رغم اهتمامها باللغة والزخرفة أكثر من الحدث نفسه.

– ودرسنا أنّ المقامة في الأدب الفارسي كانت نتيجة تأثّر الحَميدي بالأدب العربي وخُصوصاً الحَريري.

– ورأينا أنّ المقامة تعتد كالقصّة أحياناً، وتعتمد على الراوية والبطل، وتسير كلّ المقامات على هذا النسق.

– ولاحظنا أنّ الحَميدي هو الوحيد من الأدباء الفرس الّذين كتبوا المقامة، ورأى بعض الأدباء الفرس كملك الشعراء بهار أنّ سعدي الشيرازي كتب المقامة أيضاً نثراً وشعراً في كتابه **گلستان**. وظهر بعض الأدباء الفرس وكتبوا ما يشبه المقامة، ولكن كتاباتهم كما رأينا لا يمكن تصنيفها في فنّ المقامة.

– ودرسنا سبب انحسار فنّ المقامة في الأدب الفارسي، واستمراره في الأدب العربي حتّى العصر الحديث.

– ولاحظنا اختلاف الموضوع بين الحَريري والحَميدي في فنّ المقامة، فالحَريري اتّخذ موضوع التسوّل عَصَباً أساسيّاً **لمقاماته**، بينما نَحا الحَميدي مَنحىً آخر في **مقاماته** كما أسلفنا. وهو تركيزه على موضوعات غير التسوّل كالقضايا الأدبيّة والتاريخيّة والوصف.

- وظلّت المقامات تعتمد في صياغاتها على السجع والجناس والمحسّنات اللفظيّة، وأشرنا إلى ولع الحَريري بالغريب من الكلام ممّا سبّب نفوراً من قراءة **مقاماته** أحياناً كثيرةً.

- ورأينا في فنّ المقامة اللجوء إلى الشعر في ثناياها رغم اعتمادها على النثر في حبكتها وصياغتها. واستعمل الحَميدي كلمات فارسيّةً قديمةً، وابتكر ألفاظاً خاصّةً به.

- ووجدنا الصور البيانيّة بوفرة بين الحَريري والحَميدي كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية.

وهناك تفاصيل كثيرة في أبواب هذه الدراسة، ولكنّها كلّها تخدم الهدف الّذي رمى إليهما أصحاب المقامات.

ولا شكّ في أنّ **مقامات** الحَميدي لا تبلغ مبلغ **مقامات** الحَريري من حيث السبك والبراعة في الأداء، ولكنّها حازت إعجاب الأدباء الفرس وتقديرهم كثيراً، كما مدحها الأنوري من شعراء معاصريه كثيراً.

ومن يقرأ المقامات الهمذانيّة والحريريّة ثمّ المقامات الحميديّة، يعترف بمسألتَيْن أوّلاً: أنّ الحَميدي كتب **مقاماته** تقليداً ومحاكاةً **لمقامات** الهمذاني والحَريري. ثانياً: قدراته الإنشائيّة وإبداعاته.

فهذا عرض موجز لأهمّ نتائج البحث وأبرزها، وهنالك الكثير من النتائج الفرعيّة أوردناها خلال المباحث وضمن خلاصات الأبواب والفصول.

وآمل أن تكون دراستي المتواضعة هذه إسهاماً منّي في خدمة الثقافتَيْن العربيّة والفارسيّة، فهما أختان على مدى التاريخ بحكم الجوار والمعتقد والتأثّر والتأثير المتبادلَيْن. وهدفي من هذا أن أشير إلى أنّ الثقافة وحدها هي الّتي تُوَحّدُ بين البشر وبخاصّةٍ إذا كانت ثقافة تدعو إلى صلح الحضارات وحوارها، وتُقيم جسور الإخاء بين الشعوب بدلاً من جسور العداء والحروب.

وها أنا الفتاة الفارسيّة أعتزّ لتكريسي جزءاً كبيراً من حياتي لدراسة فنّ أصيل من الأدب العربي، لأقول إنّ الثقافة وحدها تلغي العداء وتثبّت الإخاء.

أدعو الباحثين الكرام إلى المقارنة بين **مقامات** الهمذاني **ومقامات** الحَميدي، لأنّ أسلوب الحَميدي سهل ممتنع في معظمه وأقرب إلى أسلوب بديع الزمان الهمذاني، كما أنّه وضع مقامة السّكباج تقليداً للمقامة المَضيريّة للهمذاني شكلاً ومضموناً.

وعلى الرغم من أنّ الحَريري استخدم **مقاماته** للاستجداء والتسوّل إلاّ أنّها كانت ذات أهداف تعليميّة، ومن هذا المنطلق أدعو إلى الاهتمام بفنّ المقامة، بل وكتابتها باعتبارها وسيلةً لتعليم اللغة بأسلوب قصصيّ جذّاب.

وبالله التوفيق، والحمد لله أوّلاً وآخراً، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلاً – المصادر والمراجع العربيّة والمترجمة إلى العربيّة

١- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد(٦٥٤ / ١٢٥٦). ــ **تحرير التحبير**؛ حقّقه حفني محمّد شرف. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٣ / ١٩٦٣.

٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(٦٣٠ / ١٢٣٢). ــ **الكامل في التاريخ**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧. ــ مج ١ – ١٠.

٣- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمّد(٦٣٧ / ١٢٣٩). ــ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**؛ حقّقه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة. ــ الطبعة الأولى. ــ القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٣٨١ / ١٩٦٢. ــ مج ١ – ٣.

٤- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمّد(٥٧٧ / ١١٨١). ــ **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**؛ حقّقه إبراهيم السامرّائي. ــ الطبعة الثانية. ــ بغداد: مكتبة الأندلس، ١٣٩٠ / ١٩٧٠.

٥- ابن برّي، عبد الله (٥٨٢ / ١١٨٦). ــ **التعريب والمعرّب**؛ حقّقه إبراهيم السامرّائي. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٥.

٦- ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن علي(٥٤٢ / ١١٤٧). ــ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**؛ حقّقه إحسان عبّاس. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١ / ٢٠٠٠. ــ مج ١ – ٤، ج ١ – ٨.

٧- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(٨٧٤ / ١٤٦٩). ــ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٣ / ١٩٩٢. ــ ج ١ – ١٦.

٨- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد(٥٩٧ / ١٢٠٠). ــ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**؛ حقّقه محمّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٥ / ١٩٩٥. ــ ج١ – ١٨.

٩- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي(٨٥٢ / ١٤٤٨). – **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**؛ حقّقه عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوّض. – الطبعة الأولى. – بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩ / ١٩٩٨. – مج ١ – ٤.

١٠- ابن حجّة الحموي، تقيّ الدين(٨٣٧ / ١٤٣٣). ـ **خزانة الأدب**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩١ / ١٨٧٤.

١١- ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن الأندلسي(٤٥٦ / ١٠٦٣). ـ **جمهرة أنساب العرب**. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.

١٢- ابن خلدون، عبد الرحمن(٨٠٨ / ١٤٠٥). ـ **تاريخ ابن خلدون**. ـ الطبعة الثالثة. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ / ١٩٩٦. ـ ج ١ - ٨.

١٣- ابن خلّكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر(٦٨١ / ١٢٨٢). ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ **حقّقه** إحسان عبّاس. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار الثقافة، لا تاريخ. ـ مج ١ - ٨.

١٤- ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن الأزدي البصري(٣٢١ / ٩٣٣). ـ **جمهرة اللغة**. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٤٥ / ١٩٢٦. ـ ج ١ - ٤.

١٥- ــــــ **الديوان**؛ **حقّقه** عمر ابن سالم. ـ لا طبعة. ـ تونس: الدار التونسيّة للنشر، ١٣٩٣ / ١٩٧٣.

١٦- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن(٤٥٦ / ١٠٦٣). ـ **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**؛ **حقّقه** محمّد عبد القادر عطا. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢ / ٢٠٠١. ـ ج ١ - ٢.

١٧- ابن سعد، محمّد(٢٣٠ / ٨٤٤). ـ **الطبقات الكبرى**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار صادر، لا تاريخ. ـ مج ١ - ٨.

١٨- ابن سليمان(كمال باشا أحمد) ومحمّد بن بدر الدين المنشي. ـ **رسالتان في المعرب**؛ **حقّقه** سليمان إبراهيم العايد. ـ لا طبعة. ـ مكّة: مطابع جامعة أمّ القرى، ١٤٠٧ / ١٩٨٦.

١٩- ابن شاكر الكتبي، محمّد(٧٦٤ / ١٣٦٣). ـ **فوات الوفيات**؛ **حقّقه** إحسان عبّاس. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار الثقافة، لا تاريخ. ـ مج ١ - ٥.

٢٠- ابن الصيقل الجزري، أبو الندى معدّ بن نصر الله بن رجب البغدادي(٧٠١ / ١٣٠١). ـ **المقامات الزينيّة**؛ **حقّقه** عبّاس بن مصطفى الصالحي. ـ الطبعة الأولى. ـ بغداد: دار المسيرة، ١٤٠٠ / ١٩٨٠.

٢١- ابن الطقطقي، محمّد بن علي بن طباطبا(٧٠٩ / ١٣٠٩). ـ **الفخري في الآداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: مطبعة الموسوعات، ١٣١٧ / ١٨٩٩.

٢٢- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد الأندلسي(٣٢٨ / ٩٣٩). ــ **العقد الفريد**؛ حقّقه عبد المجيد الترحيني. ــ الطبعة الثالثة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧. ــ ج ١ - ٩.

٢٣- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(٥٧١ / ١١٧٥). ــ **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار المسيرة، لا تاريخ.

٢٤- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحيّ الحنبلي(١٠٨٩ / ١٦٧٨). ــ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩ / ١٩٨٨. ــ مج ١ - ٤، ج ١ - ٨.

٢٥- ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري(٢٧٦ / ٨٨٩). ــ **الشعر والشعراء**؛ حقّقه أحمد محمّد شاكر. ــ الطبعة الثالثة. ــ القاهرة: دار التراث العربي، ١٣٩٨ / ١٩٧٧.

٢٦- ــ **عيون الأخبار**؛ حقّقه محمّد الإسكندراني. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤ / ١٩٩٤.

٢٧- ابن محمّد(علي). ــ **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس**: مضامينه وأشكاله. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠ / ١٩٩٠. ــ ج ١ - ٢.

٢٨- ابن المعتز(عبد الله). ــ **البديع**. ــ دمشق: دار الحكمة، لا تاريخ.

٢٩- ابن معصوم، عليّ بن محمّد(١١١٩ / ١٧٠٧). ــ **أنوار الربيع في أنواع البديع**؛ حقّقه شاكر هادي شكر. ــ كربلاء: مكتبة العرفان، ١٣٨٩ / ١٩٦٩. ــ ج ١ - ٧.

٣٠- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم الإفريقي المصري). ــ **لسان العرب**. ــ الطبعة السادسة. ــ بيروت: دار صادر، ١٤١٧ / ١٩٩٧. ــ مج ١ - ٧.

٣١- ابن منقذ، أسامة بن مرشد(٥٨٤ / ١١٨٨). ــ **البديع في البديع في نقد الشعر**؛ حقّقه عبد مهنّا. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

٣٢- أبو العتاهية،أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي(٢١١ / ٨٢٦). ــ **الديوان**؛ شرحه مجيد طراد. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥ / ١٩٩٥.

٣٣- أبو عوف(عبد الرحمن). ــ **مقدّمة في القصّة المصريّة القصيرة**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤١٣ / ١٩٩٢. ــ (المكتبة الثقافيّة؛ ٤٨٦.)

٣٤- أبو فاشا(طاهر). ــ **مقامات بيرم التونسي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: مكتبة مدبولي، لا تاريخ.

٣٥- الأحدب(إبراهيم أفندي الطرابلسي). ــ **كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين، ١٣٠٨ / ١٨٩٠.

٣٦- الأسدي، تقيّ الديــن ابن قاضي شهبة الشافعــي(٨٥١ / ١٤٤٧). ـــ **طبقات النحاة واللغويين**؛ حقّقه محسن غياض. ـــ لا طبعة. ـــ النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٣٩٤ / ١٩٧٤.

٣٧- الإسكندري(أحمد) وآخرون. ـــ **المفصّل فــي تاريخ الأدب العربي**. ـــ الطبـــــــعة الأولى. ـــ بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٥ / ١٩٩٤.

٣٨- الأسواني(عبّاس). ـــ **المقامات الأسوانيّة**. ـــ لا طبعة. ـــ صيدا: المكتبة العصرية، لا تاريخ.

٣٩- إسماعيل(عزّ الدين). ـــ **الأدب وفنونه**. ـــ الطبعة الثانية. ـــ القاهرة: دار الفكر العربــي، ١٤٠٥ / ١٩٨٥.

٤٠- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسيــن البغــدادي(٣٥٦ / ٩٦٦). ـــ **الأغانــي**. ـــ لا طبعــة. ـــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتــاب، ١٤١٢ / ١٩٩٢. ـــ ج ١ - ٢٤. ـــ (مركز تحقيق التراث).

٤١- الأصبهاني، عماد الدين(٥٩٧ / ١٢٩٠). ـــ **خريدة القصر وجريدة العصر**، في ذكــر فــضلاء أهل إصفهان؛ حقّقه عدنان محمّد آل طعمه. ـــ الطبعة الأولى. ـــ طهران: مرآة التــراث، ١٤٢٠ / ١٩٩٩.

٤٢- أحمد(عبد الآله). ـــ **نشأة القصّة وتطوّرها في العراق (١٩٠٨ - ١٩٣٩)**. ـــ الطبعة الأولى. ـــ بغداد: مطبعة شفيق، ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

٤٣- أمين(أحمد). ـــ **ضحى الإسلام**. ـــ الطبعــة الأولى. ـــ القــاهرة: مطبعــة الاعتمــاد، ١٣٥١ / ١٩٩٣. ـــ ج ١ - ٢.

٤٤- ـــ **ظهر الإسلام**. ـــ الطبعة الثانية. ـــ القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ١٣٨٢ / ١٩٦٢. ـــ ج ١ - ٢.

٤٥- أنيس(إبراهيـم). ـــ **موسيقى الشعر**. ـــ الطبعة الثالثــة. ـــ القاهرة: مكتبة الأنجلــو المــصريّة، ١٣٨٥ / ١٩٦٥.

٤٦- باشا(عبد الله فكــري). ـــ **الآثــار الفكريّة**. ـــ الطبعة الأولــى. ـــ القاهرة: المطبعة الأميريّــة، ١٣١٥ / ١٨٩٧.

٤٧- باشا(عمر موسى). ـــ **الأدب في بلاد الشام من العصر الإسلامي حتّى نهاية العصر العبّاسي**. ـــ الطبعة الأولى. ـــ دمشق: طلاس دار للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٠٧ / ١٩٨٦.

٤٨- بالنثيا(آنخل بنثالث). ـــ **تاريخ الفكر الأندلسي**؛ نقله من الإسبانيّة إلى العربيّة حسين مؤنس. ـــ لا طبعة. ـــ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، لا تاريخ.

٤٩- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد(٢٨٤ / ٨٩٧). ـــ **الديــوان**. ـــ الطـــــبعة الأولــى. ـــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧. ـــ ج ١ - ٢.

٥٠- بدوي(أمين عبد المجيد). ــ **القصّة في الأدب الفارسي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٣٤٣ / ١٩٢٤.

٥١- براون(إدوارد جرانفيل). ــ **تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي**؛ نقله من الإنكليزيّة إلى العربيّة إبراهيم أمين الشورابي. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٣ / ١٩٥٤.

٥٢- بروكلمان(كارل). ــ تاريخ الأدب العربي؛ نقله من الإنكليزيّة إلى العربيّة عبد الحليم النجّار. ــ الطبعة الخامسة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٣ / ١٩٨٣. ــ مج ١ – ٦.

٥٣- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(٤٦٣ / ١٠٧٠). ــ **تاريخ بغداد**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا تاريخ.

٥٤- البغدادي، عبد القادر بن عمر(١٠٩٣ / ١٦٨٢). ــ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: المطبعة السلفيّة ومكتبتها، ١٣٤٧ / ١٩٢٨.

٥٥- البورقاديّة(حبيبة). ــ "الأدب الأندلسي وأثره في الآداب الأوروبيّة خلال القرون الوسطى". ــ **مجلّة الأبحاث العامّة**، المجلّد الأول، لا تاريخ، الصفحات ١٩٠-١٩١.

٥٦- بيدبا. ــ **كليلة ودمنة**؛ نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد الله بن المقفّع. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٢ / ١٩٩١.

٥٧- بيرنت(هالي). ــ **القصّة القصيرة**؛ نقله من الإنكليزيّة إلى العربيّة عمر شاهين. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار الهلال، ١٤١٧ / ١٩٩٦. ــ (كتاب الهلال؛ ٥٤٧)

٥٨- البيطار، عبد الرزّاق(١٣٣٥ / ١٩١٦). ــ **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**؛ حقّقه محمّد بهجة البيطار. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار صادر، ١٤١٣ / ١٩٩٣. ــ ج ١ – ٣.

٥٩- البيهقي، إبراهيم بن محمّد(٣٢٠ / ٩٣٢). ــ **المحاسن والمساوئ**؛ حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، لا تاريخ. ــ مج ١ – ٢.

٦٠- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(٧٥٠ / ١٣٤٩). ــ **السنن الكبرى**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الفكر، لا تاريخ. ــ ج ١ – ١٠.

٦١- البيهقي(أبو الفضل). ــ **تاريخ البيهقي**؛ نقله من الفارسيّة إلى العربيّة يحيى الخشّاب، وصادق نشأت. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار النهضة العربيّة، ١٤٠٣ / ١٩٨٢.

٦٢- التنسي، محمّد عبد الله بن عبد الجليل(٨٩٩ / ١٤٩٤). ــ **نظم الدرّ والعقيان**؛ حقّقه نوري سودان. ــ لا طبعة. ــ بيروت: لا ناشر، ١٤٠١ / ١٩٨٠. ــ (النشرات الإسلاميّة؛ ٢٩.)

٦٣- تيمور(محمود). ــ **القصّة في الأدب العربي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: مكتبة الآداب، ١٣٩١ / ١٩٧١.

٦٤- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل(٤٢٩ / ١٠٣٧). ــ **ثمار القلوب: في المضاف والمنسوب**؛ حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٦ / ١٩٨٥. ــ (ذخائر العرب؛ ٥٧.)

٦٥- ــ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**؛ حقّقه محمّد محي الدين عبد الحميد. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٥ / ١٩٥٦. ــ مج ١ - ٢، ج ١ - ٤.

٦٦- الجاحظ، أبو عثمان عمر وبن بحر الحافظ(٢٥٥ / ٨٦٨). ــ **البخلاء**؛ شرحه أحمد العوامري بك، وعلي الجازم بك. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٨. ــ ج ١ - ٢.

٦٧- الجرجاني، عبد القادر(٤٧١ / ١٠٧٨). ــ **أسرار البلاغة**؛ حقّقه محمّد الفاضلي. ــ الطبعة الأولى. ــ صيدا / بيروت: المكتبة العصريّة، ١٤١٩ / ١٩٩٨.

٦٨- جمال الدين(محمّد السعيد). ــ **الأدب المقارن**. ــ الطبعة الأولى. ــ القاهرة: دار ثابت للنشر والتوزيع، ١٤١٠ / ١٩٨٩.

٦٩- جمعة(بديع محمّد). ــ **من روائع الأدب الفارسي**. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار النهضة العربيّة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.

٧٠- الجندي(درويش). ــ **علم المعاني**. ــ الطبعة الثانية. ــ القاهرة: مكتبة نهضة، ١٣٨١ / ١٩٦٢.

٧١- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن جماد(٣٩٣ / ١٠٠٢). ــ **تاج اللغة وصحاح العربيّة**؛ حقّقه إميل بديع يعقوب، ومحمّد نبيل طريفي. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٠ / ١٩٩٩. ــ ج ١ - ٧.

٧٢- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(١٠٦٧ / ١٦٥٦). ــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. ــ لا طبعة. ــ بغداد: منشورات مكتبة المثنى، ١٣٦٠ / ١٩٤١. ــ مج ١ - ٢.

٧٣- الحريري، أبو محمّد القاسم بن علي البصري(٥١٦ / ١١٢٢). ــ **المقامات الأدبيّة**. ــ الطبعة الثالثة. ــ القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩ / ١٩٥٠.

٧٤- ــ **المقامات**. ــ لا طبعة. ــ روميّة: لا ناشر، لا تاريخ.

٧٥- حسن(محمّد رشدي). ــ **أثر المقامة في نشأة القصّة المصريّة الحديثة**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٩٤ / ١٩٧٤. ــ (المكتبة العربيّة؛ ١٥١.)

٧٦- الحسين(أحمد). ــ **أدب الكدية في العصر العبّاسي**. ــ الطبعة الثانية. ــ دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ١٤١٦ / ١٩٩٥.

٧٧- حسين(محمّد كامل). ــ **طائفة الإسماعيليّة: تاريخها، نظمها، عقائدها**. ــ الطبعة الأولى. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩/١٣٧٩.

٧٨- الحُصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي(٤٥٣ / ١٠٦١). ــ **زهر الآداب وثمر الألباب**؛ شرحه زكي مبارك، وحقّقه محمّد محي الدين عبد الحميد. ــ الطبعة الثالثة. ــ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٢ / ١٩٥٣. ــ مج ١ - ٤.

٧٩- الحفني(عبد المنعم). ــ **معجم مصطلحات الصوفيّة**. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

٨٠- الحلّي، صفي الدين(٧٥٠ / ١٣٥٠). ــ **شرح الكافية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**؛ حقّقه نسيب نشاوي. ــ لا طبعة. ــ حلب: المطبعة العلميّة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.

٨١- الخزرجي، عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني(٦٦٠ / ١٢٦١). ــ **معيار النظّار في علوم الأشعار**؛ حقّقه وشرحه محمّد علي رزق الخفاجي. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٤١٢ / ١٩٩١.

٨٢- خضر(عبّاس). ــ **القصّة القصيرة في مصر: منذ نشأتها حتّى سنة ١٩٣٠م**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: الدار القوميّة للطباعة والنشر، ١٣٨٥ / ١٩٦٦.

٨٣- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(٤٦٣ / ١٠٧٠). ــ **تاريخ بغداد**: منذ تأسيسها حتّى سنة ٤٦٣هـ. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / مكتبة الخانجي، لا تاريخ. ــ اثنا عشر ج ١ - ١٢.

٨٤- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عمر(١٠٦٩ / ١٦٥٨). ــ **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**؛ حقّقه عبد الفتّاح محمّد الحلو. ــ الطبعة الأولى. ــ القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٦ / ١٩٦٧. ــ ج ١ - ٢.

٨٥- خلف الله (محمّد أحمد). ــ **الفن القصصي في القرآن الكريم**؛ شرحه خليل عبد الكريم. ــ الطبعة الرابعة. ــ القاهرة: مؤسّسة الانتشار الغربي، ١٤٢٠ / ١٩٩٩. ــ ج ١ - ٢.

٨٦- الخوانساري(محمّد باقر الموسوي الأصبهاني). ــ **روضات الجنّات**. ــ لا طبعة. ــ قم: مكتبة إسماعيليان، ١٣٩٠ / ١٩٧٠. ــ مج ١ - ٨.

٨٧- الدارمي، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل بن بهرام (٢٥٥ / ٨٦٨). ــ **سنن**؛ حقّقه محمود أحمد عبد المحسن. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١ / ٢٠٠٠.

٨٨- الدروبي(سمير محمود). ــ **شرح مقامات السيوطي**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ / ١٩٨٩. ــ ج ١ - ٢.

٨٩- الراعي(علي). ــ **شخصيّة المحتـــال في المقامة والحكاية والرواية والمسرحيّة**. ــ لا طبعـــة. ــ القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٥ / ١٩٨٥. ــ (سلسلة ثقافيّة شهريّة؛ ٤١٢.)

٩٠- الرافعي(مصطفى صادق). ــ "خطأ في إصلاح خطأ حــول نشــــأة فنّ المقامات". ــ **مجلّة المقتطف**، المجلّد ٧٦، يناير / مايو ١٩٣٠، الصفحة ٥٨٩.

٩١- راميتش(يوسف). ــ **أسرة المويلحي وأثرها في الأدب العربي الحديث**. ــ لا طبعــة. ــ القاهرة: دار المعارف، لا تاريخ.

٩٢- الزبيدي، أبو الفيض محمّد مرتضى بن محمّد(١٢٠٥ / ١٧٩٠). ــ **تاج العروس من جــواهر القاموس**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ / ١٩٩٤.

٩٣- الزمخشري، أبــو القاسم محمود بــن عمر(٥٣٨ / ١١٤٤). ــ **المقامات**. ــ الطبعة الثانيـــة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

٩٤- زهير بن أبي سلمى(١٣ ق. هــ / ٦٠٩م). ــ **الديوان**؛ شرحـــه علي فاعـــور. ــ الطبعـــة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٨.

٩٥- السُّبْكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي(٧٧١ / ١٣٦٩). ــ **طبقات الشافعيّة الكبرى**؛ حقّقــه عبد الفتّاح الحلو، ومحمود الطناحي. لا طبعة. ــ القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، لا تـــاريخ. ــ ج ١ - ١٠.

٩٦- سركيس، يوســف إليــان الدمشقـــي(١٣٥١ / ١٩٣٢). ــ **معجــم المطبوعـــات العربيّـــة والمعرّبـــة**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار صادر، ١٣٤٦ / ١٩٢٨. ــ مج ١ - ٢.

٩٧- السعافين(إبراهيــم). ــ **أصول المقامات**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار المناهل للطباعـــة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

٩٨- ــ **تطوّر الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠ - ١٩٦٧م**. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

٩٩- سلام(محمّد زغلول). ــ **الأدب في عصر العبّاسيين**. ــ الطبعة الأولى. ــ الإسكندريّة: منـــشأة المعارف، ١٤١٢ / ١٩٩٩.

١٠٠- ــ **الأدب في العصر المملوكي**. ــ لا طبعة. ــ الإسكندريّة: منـــشأة المعـــارف، ١٤١٥ / ١٩٩٤. ــ ج ١ - ٢.

١٠١- ــ **دراسات فـــي القصّة العربيّة الحديثـــة**: أصولهـــا، اتّجاههـــا، أعلامها. ــ لا طبعـــة. ــ الإسكندريّة: منشأة المعارف، لا تاريخ.

١٠٢- ــ **القصّة في الأدب السوداني الحديث**. ــ الطبعـــة الأولى. ــ القاهرة: معهـــد البحـــوث والدراسات العربيّة، ١٣٩٠ / ١٩٧٠.

١٠٣-سلامة بن جندل السعدي. ـ **الديوان**؛ حقّقه فخر الدين قباوة. ـ الطبعة الثانية. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

١٠٤- سليمان(موسى). ـ **القصص اللغوي والفلسفي**. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة، ١٤٠٦ / ١٩٨٥.

١٠٥- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي(٥٦٢ / ١١٦٦). ـ **الأنساب**. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨ / ١٩٨٨. ـ خمسة أجزاء.

١٠٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(٩١١ / ١٥٠٥). ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**؛ حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم. ـ الطبعة الأولى. ـ القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٤ / ١٩٦٤. ـ ج ١ - ٢.

١٠٧- ـ **جنى الجناس**؛ حقّقه وشرحه محمّد علي رزق الخفاجي. ـ لا طبعة. ـ لا مكان: الدار الفنيّة للطباعة والنشر، ١٤٠٧ / ١٩٨٦.

١٠٨- ـ **المقامات**؛ حقّقه محمّد إبراهيم سليم. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٤١٠ / ١٩٨٩.

١٠٩- الشاروني(يوسف). ـ **القصّة القصيرة**: نظريّاً وتطبيقيّاً. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٣٩٧ / ١٩٧٧. ـ (كتاب الهلال؛ ٣١٦.)

١١٠- الشدياق(أحمد فارس). ـ **الساق على الساق**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، لا تاريخ.

١١١- الشريشي، أبو العبّاس أحمد بن عبد المؤمن القيسي(٦١٩ / ١٢٢٣). ـ **شرح مقامات الحريري**؛ حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم. ـ لا طبعة. ـ صيدا / بيروت: المكتبة العصريّة، ١٤١٣ / ١٩٩٢. ـ ج ١ - ٢.

١١٢- الشكعة(مصطفى). ـ **الأدب الأندلسي**: موضوعاته وفنونه. ـ الطبعة الرابعة. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٠ / ١٩٧٩.

١١٣- ـ **بديع الزمان الهمذاني رائد القصّة العربيّة والمقالة الصحفيّة**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٣٧٩ / ١٩٥٩.

١١٤- الصعيدي(عبد المتعال). ـ **بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**. ـ الطبعة الخامسة. ـ القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٠٥ / ١٩٨٥. ـ ج ١ - ٤.

١١٥- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(٧٦٤ / ١٣٦٢). ـ **جنان الجناس**: في علم البديع؛ حقّقه سمير حسين حلبي. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

١١٦- ــ **الوافي بالوفيـــات**. ــ الطبعة الأولى. ــ فيسبادن: فرانز شتاينر، ١٣٩٨ / ١٩٩٧. ــ ج ١ – ٢٩.

١١٧- ــ **الغيث المسجم في شرح لامية العجــم**. ــ الطبعــة الثانيـــة. ــ بيروت: دار الكتــب العلميّة، ١٤١١ / ١٩٩٠. ــ مج ١ – ٢.

١١٨- الضبي، المفضّل بن محمّد(١٦٨ / ٧٨٤). ــ **ديوان المفضليّـــات**؛ شرحـــه محمّد حمود. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٤١٩ / ١٩٩٨.

١١٩- ضيـــف(شوقي). ــ **عصر الدول والإمارات: الأندلس**. ــ لا طبـــعـــة. ــ القاهـــرة: دار المعارف، ١٤١٠ / ١٩٨٩. ــ (تاريخ الأدب العربي؛ ٧.)

١٢٠- ــ **عصر الدول والإمارات**: ليبيا، تـــونس، صقليّة. ــ لا طبعة. ــ القاهـــرة: دار المعارف، ١٤١٣ / ١٩٩٢. ــ (تاريخ الأدب العربي؛ ٩.)

١٢١- ــ **الفـــن ومذاهبه في النثر العربـــي**. ــ الطبعة الخـــامســة. ــ القاهـــرة: دار المعارف، لا تاريخ. ــ (مكتبة الدراسات الأدبيّة؛ ١٩.)

١٢٢- ــ **فـــي النقد الأدبـــي**. ــ لا طـــبعـــة. ــ القاهـــرة: دار المعـــارف، ١٣٨٢ / ١٩٦٢. ــ (مكتبة الدراسات الأدبيّة؛ ٢٦.)

١٢٣- ــ **المقامة**. ــ الطبعة الثانية. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٤ / ١٩٦٤.

١٢٤- الطرطوشـــي، محمّـــد بن الوليد(٥٢٠ / ١١٢٦). ــ **سراج الملـــوك**؛ حقّقه جعفر البياني. ــ الطبعة الأولى. ــ لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٤١١ / ١٩٩٠. ــ ج ١ – ٢.

١٢٥- طه بور(عبد المحسن). ــ **تطوّر الرواية العـــربيّة الحديثة في مصر ١٨٧٠ – ١٩٣٨**. ــ الطبعة الرابعة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٤ / ١٩٨٣. ــ (مكتبة الدراسات الأدبيّـــة؛ ٣٢.)

١٢٦- الطيّان(محمّد حسّان). ــ **المفاخـــرات والمناظرات**. ــ الطبعة الأولـــى. ـــ بيـــروت: دار البشائر الإسلاميّة، ١٤٢١ / ٢٠٠٠.

١٢٧- عبّاس(إحسان). ــ **تاريـــخ الأدب الأندلســـي**. ــ الطبعة الثالثة. ــ بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٤ / ١٩٧٤.

١٢٨- عبّاس(حسن). ــ **نشأة المقامة في الأدب العربي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعـــارف، لا تاريخ.

١٢٩- العبّاسي، عبد الرحيم بن أحمد(٩٦٣ / ١٥٨٣). ــ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**؛ حقّقه محي الدين عبد الحميد. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار عـــالم الكتـــب للطباعـــة والنـــشر والتوزيع، ١٣٦٧ / ١٩٤٧. ــ مج ١ – ٢، ج ١ – ٤.

١٣٠- عبد الحميد(محمّد محي الدين). ــ **شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، لا تاريخ.

١٣١- عبد الدايم(صابر). ــ **موسيقى الشعر العربي**: بين الثبات والتطوّر. ــ الطبعة الثالثة. ــ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣ / ١٩٩٣.

١٣٢- عبيد الله(محمّد). ــ **القصّة القصيرة في فلسطين والأردن**: منذ نشأتها حتّى جيل الأفق الجديد. ــ لا طبعة. ــ عمّان: وزارة الثقافة، ١٤٢٢ / ٢٠٠١.

١٣٣- عتيق(عبد العزيز). ــ **علم البديع**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، ١٣٩٤ / ١٩٧٤.

١٣٤- العجلوني، إسماعيل بن محمّد(١١٦٢ / ١٧٤٨). ــ **كشف الخِفاء ومُزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. ــ الطبعة الثالثة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩ / ١٩٨٨. ــ ج ١ – ٢.

١٣٥- عزّام(عبد الوهاب). ــ "نظرات في الأدب الفارسي". ــ **مجلّة الرسالة**، العدد ٥، ذو القعدة / مارس ١٣٥١ / ١٩٣٣، الصفحات ٢١٩ – ٢٢١.

١٣٦- العزاوي(عبّاس). ــ **تاريخ الأدب العربي في العراق**. ــ لا طبعة. ــ بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٠ / ١٩٦٠. ــ مج ١ -٢.

١٣٧- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(٣٨٢ / ٩٩٢). ــ **جمهرة الأمثال**؛ حقّقه عبد المجيد قطامي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار الجيل، لا تاريخ.

١٣٨- عطوي(علي نجيب). ــ **تطوّر فنّ القصّة اللبنانيّة العربيّة**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢ / ١٩٨٢.

١٣٩- عكاشة(ثروت). ــ **فنّ الواسطي من خلال مقامات الحريري**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٤ / ١٩٧٤.

١٤٠- العُكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(٦١٦ / ١٢١٩). ــ **شرح الألفاظ اللغويّة من المقامات الحريريّة**؛ حقّقه ناصر حسين علي. ــ الطبعة الأولى. ــ دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥.

١٤١- العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني(٧٤٥ / ١٣٤٤). ــ **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٢ / ١٩٨٢.

١٤٢- عناني(محمّد). ــ **الأدب وفنونه**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤١٨ / ١٩٩٧.

١٤٣- عوض(يوسف نور). ــ **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**. ــ الطبعة الثانية. ــ مكّة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

١٤٤- عياد(شكري محمّد). ــ **موسيقى الشعر العربي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٨ / ١٩٦٨.

١٤٥- عيد(رجاء). ــ **التجديد الموسيقى في الشعر العربي**. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: منشأة دار المعارف، ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

١٤٦- الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد(٥٠٥ / ١١١١). - **إحياء علوم الدين**؛ حقّقه عبد الله الخالدي. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة، ١٤١٩ / ١٩٩٨. ــ مج ١ – ٥.

١٤٧- الفاخوري(حنّا). ــ **تاريخ الأدب العربي**. ــ الطبعة الثانية عشرة. ــ بيروت: منشورات المكتبة البولسيّة، ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

١٤٨- الفرزدق، همّام بن غالب أبو فراس(١١٤ / ٧٣٢). ــ **الديوان**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار صادر، ١٣٨٦ / ١٩٦٧.

١٤٩- فرّوخ(عمر). ــ **تاريخ الأدب العربي**. ــ الطبعة السادسة. ــ بيروت: دار الملايين، ١٤١٣ / ١٩٩٢. ــ ج ١ – ٦.

١٥٠- ــ **الرسائل والمقامات**. ــ الطبعة الثانية. ــ بيروت: دار الملايين، ١٣٦٩ / ١٩٥٠. ــ (دراسات قصيدة في الأدب والتاريخ والفلسفة.)

١٥١- فكري باشا(عبد الله). ــ **الآثار الفكريّة**. ــ الطبعة الأولى. ــ القاهرة: المطبعة الأميريّة، ١٣١٥ / ١٨٩٧.

١٥٢- الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب(٨١٧ / ١٤١٤). ــ **القاموس المحيط**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار إحياء التراث العربي / مؤسّسة التاريخ العربي، ١٤١٧ / ١٩٩٧. ــ ج ١ – ٢.

١٥٣- الفيّومي، أحمد بن محمّد بن علي المقرّي(٧٧٠ / ١٣٦٨). ــ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: المكتبة العلميّة، لا تاريخ. ــ ج ١ – ٢.

١٥٤- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي(٣٥٦ / ٩٦٦). ــ **الأمالي**. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار الكتب العلميّة، لا تاريخ. ــ ج ١ – ٢.

١٥٥- ـــ **نيل الأمالي والنوادر**. ـــ الطبعة الثالثة. ـــ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٤٢١ / ٢٠٠٠.

١٥٦- القبّاني(حسين). ـــ **نظرات في القصّة القصيرة**. ـــ لا طبعة. ـــ القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠ / ١٩٧٩. ـــ (كتابك؛ ١٢٥.)

١٥٧- **القرآن الكريم**.

١٥٨- القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد(٦٧١ / ١٢٧٢). ـــ **تفسير القرآن**. ـــ الطبعة لاثالثة. ـــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤٠٨ / ١٩٨٧. ـــ مج ١ - ١١، ج ١ - ٢٠.

١٥٩- القزويني، جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن الخطيب(٧٣٩ / ١٣٣٨). ـــ **الإيضاح في علوم البلاغة**؛ شرحه محمّد عبد المنعم خفاجي. ـــ الطبعة الرابعة. ـــ بيروت: منشورات دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٥ / ١٩٧٥. ـــ ج ١ - ١.

١٦٠- ـــ **التلخيص في علوم البلاغة**؛ شرحه عبد الرحمن البرقوقي. ـــ الطبعة الثانية. ـــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٥٠ / ١٩٣٢.

١٦١- القضاعي، أبو عبد الله محمّد بن سلامة(٥٥٤ / ١١٥٩). ـــ **مسند الشهاب**، حقّقه حمدي عبد المجيد السلفي. ـــ الطبعة الثالثة. ـــ بيروت: مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٠٧ / ١٩٨٦. ـــ ج ١ - ٢.

١٦٢- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(٦٤٦ / ١٢٤٨). ـــ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**؛ حقّقه أبو الفضل إبراهيم. ـــ الطبعة الأولى. ـــ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٣٧٤ / ١٩٥٥. ـــ ج ١ - ٣.

١٦٣- القلقشندي، أحمد بن علي(٨٢١ / ١٤١٨). ـــ **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**؛ شرحه محمّد حسين شمس الدين. ـــ الطبعة الأولى. ـــ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧ / ١٩٨٧. ـــ ج ١ - ١٥.

١٦٤- قَهْرماني مُقبل(على أصغر). ـــ **النظام الشعري بين العربيّة والفارسيّة**: وزناً وقافيةً ونمطاً. ـــ ٥١٦ صفحة.

أطروحة الدكتوراه: اللغة العربيّة وآدابها: جامعة القدّيس يوسف، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ١٤٢٧/٢٠٠٦.

١٦٥-كحّالة(عمر رضا). ـــ **معجم المؤلّفين**. ـــ الطبعة الأولى. ـــ بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤١٤ / ١٩٩٣. ـــ مج ١ - ٥.

١٦٦- الكك(فيكتور). ـــ **بديعيّات الزمان**. ـــ لا طبعة. ـــ بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، ١٣٨١ / ١٩٦١.

١٦٧- كعب بن زهير(٢٦ / ٦٤٥). ــ **الديوان**؛ حقّقه وشرحه علي فاعور. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتب اللبنانيّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

١٦٨- كمشاد(حسن). ــ **النثر الفنّي في الأدب الفارسي المعاصر**؛ نقله من الفارسيّة إلى العربيّة إبراهيم الدسوقي شتا. ــ لا طبعة. ــ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤١٣ / ١٩٩٢.

١٦٩- كيليطو(عبد الفتّاح). ــ **المقامات**: السرد والأنساق الثقافيّة؛ ترجمة عبد الكبير الشرقاوي. ــ الطبعة الأولى. ــ المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٩٣/١٤١٤.

١٧٠- لبيد بن ربيعة(٤١ / ٦٦١). ــ **الديوان**؛ شرحه الطوسي. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

١٧١- مبارك(زكي). ــ **النثر الفنّي في القرن الرابع**. ــ الطبعة الثانية. ــ القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٤٢١ / ٢٠٠١.

١٧٢- ــ "أحاديث ابن دريد" و "باب المراسلة والمناظرة خطأ في إصلاح خطأ". ــ **مجلّة المقتطف**، المجلّد ٧٦، يناير / مايو ١٩٣٠، الصفحات ٥٦١- ٥٦٣، و ٥٨٩.

١٧٣- المبارك (مازن). ــ **مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته**. ــ الطبعة الثانية. ــ دمشق: دار الفكر، ١٤٠١ / ١٩٨١.

١٧٤- متز(آدم). ــ **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع**؛ نقله من الألمانيّة إلى العربيّة محمّد عبد الهادي أبو ريدة. ــ الطبعة الثانية. ــ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦ / ١٩٤٧. ــ مج ١ - ٣.

١٧٥- المتنبّي(أبو الطيّب). ــ **الديوان**؛ شرحه عبد الرحمن المصطاوي. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣.

١٧٦- المديني(أحمد). ــ **فنّ القصّة القصيرة بالمغرب**: في النشأة والتطوّر والاتّجاهات. ــ لا طبعة. ــ بيروت: دار العودة، لا تاريخ.

١٧٧- مطرجي(عرفات). ــ **الجامع لفنون اللغة العربيّة والعروض**. ــ الطبعة الأولى. ــ بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

١٧٨- المقدسي(أنيس). ــ **تطوّر الأساليب النثريّة في الأدب العربي**. ــ الطبعة الخامسة. ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٤ / ١٩٧٤.

١٧٩- المناوي، عبد الرؤوف بن علي الحدّادي(١٠٣١ / ١٦٢١). ــ **فيض القدير**: شرح الصغير؛ حقّقه حمدي الدمرداش محمّد. ــ لا طبعة. ــ مكّة المكرّمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ / ١٩٩٨. ــ ج ١ - ١٣.

١٨٠- المنجّد(صلاح الدين). ـ **الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس**. ـ الطبعة الخامسة. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

١٨١- المويلحي(محمّد). ـ **حديث عيسى بن هشام**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: دار الشعب، لا تاريخ.

١٨٢- النابغة الذبياني(نحو ٦٨ ق.هـ / نحو ٦٠٤ م). ـ **الديوان**، حقّقه وشرحه كرم البُستاني. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار صادر، لا تاريخ.

١٨٣- النابلسي عبد الغني بن إسماعيل(١١٤٣ / ١٧٣١). ـ **الصراط السوي على شرح ديباجة المثنوي وألغاز في الأسماء وغير ذلك**. ـ لا طبعة. ـ لا مكان: مكتبة عيسى إسكندر المعلوف اللبناني وأولاده، ١٣٣١ / ١٩١٢.

١٨٤- ـ **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار**. ـ الطبعة الثالثة. ـ بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ / ١٩٨٤.

١٨٥- نجم(محمّد يوسف). ـ **القصّة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار الثقافة، لا تاريخ.

١٨٦- نكلسن(رينولد). ـ **تاريخ الأدب العبّاسي**؛ حقّقه ونقله من الإنكليزيّة إلى العربيّة صفاء خلوصي. ـ لا طبعة. ـ بغداد: المكتبة الأهليّة، ١٣٨٧ / ١٩٦٧.

١٨٧- النووي، محي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف(٦٧٤ / ١٢٧٥). ـ **الأحاديث القدسيّة**؛ حقّقه مصطفى عاشور. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، لا تاريخ.

١٨٨- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(٧٣٣ / ١٣٣٢). ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٧٤ / ١٩٥٥.

١٨٩- الهاجري(سمحي ماجد). ـ **القصّة القصيرة في المملكة العربيّة السعوديّة**: منذ نشأتها حتّى عام ١٣٨٤ / ١٩٦٤. ـ الطبعة الأولى. ـ الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

١٩٠- الهاشمي، أحمد(١٣٦٢ / ١٩٤٣). ـ **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. ـ الطبعة الثانية. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٩٨ / ١٩٧٨.

١٩١- هلال(محمّد غنيمي). ـ **الأدب المقارن**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار العودة، ١٤٠٤ / ١٩٨٣.

١٩٢- ـ **النقد الأدبي الحديث**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار الثقافة / دار العودة، ١٣٩٣ / ١٩٧٣.

١٩٣- الهمذاني، بديع الزمان(٣٩٨ / ١٠٠٧). ـ **المقامات**؛ شرحه محمّد عبده. ـ الطبعة التاسعة. ـ بيروت: دار المشرق، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

١٩٤- الهواري(أحمد إبراهيم). ـ **نقد المجتمع في حديث عيسى بن هشام**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

١٩٥- الوهراني، ركن الدين محمّد بن محمّد بن محرز(٥٧٥ / ١١٧٩). ـ **منامات الوهراني ومقاماته ورسائله**؛ حقّقه إبراهيم شعلان، ومحمّد نغش. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨ / ١٩٦٨.

١٩٦- اليازجي، ناصيف(١٢٨٧ / ١٨٧١). ـ **مجمع البحرين**. ـ لا طبعة. ـ بيروت: دار صادر، لا تاريخ.

١٩٧- ياغي(عبد الرحمن). ـ **القصّة القصيرة في الأردن**. ـ لا طبعة. ـ عمّان: لجنة تاريخ الأردن، ١٤١٤ / ١٩٩٣. ـ (الكتاب الأمّ في تاريخ الأردن؛ ١١.)

١٩٨- اليافعي، أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكّي(٧٦٨ / ١٣٦٦). ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**. ـ الطبعة الثانية. ـ بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠ / ١٩٧٠. ـ ج ١ - ٤.

١٩٩- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(٦٢٦ / ١٢٢٨). ـ **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**؛ حقّقه إحسان عبّاس. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار العرب الإسلامي، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

٢٠٠- ـ **معجم البلدان**؛ حقّقه فريد عبد العزيز الجندي. ـ الطبعة الأولى. ـ بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠ / ١٩٩٠. ـ ج ١ - ٧.

٢٠١- يونس(علي). ـ **نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي**. ـ لا طبعة. ـ القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٤١٣ / ١٩٩٣.

ثانياً – المصادر والمراجع الفارسيّة[1]

١- انورى، علي بن إسحاق ابيوردى. ـ **ديوان**. ـ لا طبعة. ـ تهران: دانشگاه، ١٣٣٧ هـ.ش. ـ ٢ جلد.

٢- بَهار،محمّد تقي(١٣٧٢ هـ ش). ـ **سَبك شِناسى يا تاريخ تطوّر نثر فارسي**. ـ بدون چاپ. ـ تهران: انتشارات زوّار، ١٣٨١هـ.ش. ـ ٣ جلد.

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ هذه القائمة دُوّنت وطُبعت باللغة الفارسيّة. وكذلك بالنسبة إلى تواريخ النشر الواردة وهي على أساس الهجري الشمسي المعتمد اليوم في بلد إيران.

٣- جامی(عبد الرحمان). ـ **بَهارستان.** ـ چـاپ ١. ـ تهران: انتشارات اطّلاعات، ١٣٦٧هـ.ش .

٤- جُوَینی، علاء الدین عطا ملك بن بـهـاء الدین محمّد بن محمّد(٦٥٨ / ١٢٥٩). ـ **تاریخ جهانگشای.** ـ بدون چاپ. ـ لیدن: مطبعة بریل، ١٣٠٩ هـ.ش ـ ٣ جلد.

٥- حافظ شیرازي، مولانا شمس الدین محمّد(٧٩١ / ١٣٩٨). ـ **دیوان.** ـ بدون چاپ. ـ تهران: كانون معرفت، بدون تاریخ.

٦- حَمیدی، عمـر بـن محمود بلخی حمید الدین(٥٥٩ / ١١٦٣). ـ **مقامات.** ـ بدون چـاپ. ـ اصفهان: بدون ناشر، بدون تاریخ.

٧- خانلری كیا(زهرا). ـ **فرهنگ ادبیّات فارسی.** ـ بدون چاپ. ـ تـهران: انتـشارات بنیـا د فرهنگ ایران، ١٣٤٨ هـ. ش.

٨- خوَافـی(مجـد). ـ **خارستان**؛ حقّقـه محمـود فـرّخ. ـ بدون چاپ. ـ تهران: كتابفروشی زوّار، ١٣٤٥ هـ.ش.

٩- دُنبلی(عبد الرزاق). ـ **حدائق الجنان.** ـ بدون چاپ. ـ تهران: انتشارات امیركبیـر، بـدون تاریخ.

١٠- دهخدا، علی اكبر(١٣٧٥ هـ. ش). ـ **أمثال وحكم.** ـ بدون چـاپ. ـ تهران، دانـشگاه تهران، ١٣٣٧ هـ.ش.

١١- ـ **لُغَت نامة**؛ اشراف محمّـد معیـن. ـ بـدون چـاپ. ـ تهـران: مؤسـسه انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٣٧هـ.ش - ٥٢ جلد.

١٢- زَرّین كوب(عبد الحسین). ـ **ازگذشته ادبی ایران.** ـ چـاپ ١. ـ تهران: انتشارات بـین المللی الهدی، ١٣٧٥هـ.ش.

١٣- سَجّـادی(ضیاء الدین). ـ **مبانیِ عرفان وتصوّف.** ـ چـاپ ٣. ـ تهران: سازمان مطالعه وتدوین كتب علوم انسانی دانشگاهها "سمت"، ١٣٧٣هـ.ش.

١٤- سعدی شیرازي، مشرف الدین بـن مصلح الدین(٦٩٠ / ١٢٩١). ـ **گلـستان.** ـ چاپ ١٣. ـ تهران: انتشارات امیركبیر، ١٣٨٣ هـ.ش.

١٥- شمس قیس(محمّد الرازي). ـ **المـعجم في معاییر اشعار العجم.** ـ بدون چاپ. ـ تهـران: مدرّس رضوی، بدون تاریخ.

١٦- شمیسا(سیروس). ـ **فرهنگ عروضی.** ـ چـاپ ٣. ـ تهران: انـتـشارات فردوسـی، ١٣٧٥هـ.ش.

١٧- صَفا(ذبيح الله). ــ **تاريخِ ادبيات در ايران**. ــ چاپ ١٠. ــ تهران: انتشارات فردوس، ١٣٧٣هـ.ش. ــ ٥ جلد.

١٨- ــ **گنجِ سخن**: شاعرانِ بزرگِ پارسی گوی ومنتخبِ آثارِ آنان. ــ چاپ ٤. ــ تهران: انتشارات ابن سينا، بدون تاريخ. ــ ٣ جلد.

١٩- عَروضيِ سَمرقندی، أحمد بن علي نظامی(٥٥٠ / ١١٥٥). ــ **چهار مقاله**. ــ چاپ ٢. ــ تهران: انتشارات زوّار، ١٣٨١هـ.ش.

٢٠- غفّاريِ كاشانی(أحمد بن محمّد). ــ **تاريخِ نگارستان**. ــ چاپ ١. ــ تهران: كتابفروشی حافظ، ١٣٦١هـ.ش.

٢١- فروزانفر(محمّد حسن بديع الزمان). ــ **احاديث وقصص مثنوی**. ــ چاپ ٢. ــ تهران: انتشارات اميركبير، ١٣٨١ هـ.ش.

٢٢- ــ **سخن وسخنوران**. ــ چاپ ٥. ــ تهران: انتشارات خوارزمی، ١٣٨٠ هـ.ش.

٢٣- ــ **شرح زندگانی مولوی**. ــ چاپ ٢. ــ تهران: انتشارات تيرگان، ١٣٨٣ هـ.ش.

٢٤- قاآنيِ شيرازی(ميرزا حبيب). ــ **پريشان**. ــ چاپ ١. ــ شيراز: كتابفروشی محمّدی، ١٣٣٨هـ.ش.

٢٥- معين(محمّد). ــ **فرهنگ فارسی معين**. ــ چاپ ٨. ــ تهران: انتشارات اميركبير، ١٣٧١هـ.ش.

٢٦- مولوی، جلال الدين محمّد بن محمّد بن الحسين البلخی الرومی(٦٧٢ / ١٢٧٣). ــ **ديوان شمس تبريزی**. ــ چاپ ١. ــ تهران: مؤسّسة انتشارات نگاه، ١٣٧٥هـ.ش. ــ م جلد.

٢٧- ــ **ديوان مثنوی معنوی**. ــ چاپ ٨. ــ تهران: انتشارات بهزاد، ١٣٧٥ هـ.ش.

٢٨- هدايت(رضا قليخان). ــ **مجمع الفصحاء**. ــ بدون چاپ. ــ تهران: مؤسسه چاپ وانتشاراتِ اميركبير، ١٣٣٩هـ.ش. ــ ٦ جلد.

٢٩- واعظ كاشفی(مولانا حسين). ــ **فتوّت نامهِ سلطانی**. ــ بدون چاپ. ــ تهران: بنياد فرهنگ، بدون تاريخ.

ثالثاً – المراجع الأجنبيّة

1- Blachère (Régis).- "Etude sémantique sur le nom maqâma".- *Analecta*, Damas, institute Français, Damas, 1975, p.p 61 – 67.

2- Buchthal(H.).- *Early Islamic Miniatures From Baghdad*.- First Edition.- London: Macmillan Press, 1889.

3- Ettinghausen (R.).- *La Peinture arabe*.- Première édition.- Genève: Agora, 1977.

4- - *Arab Painting*.- New edition.- Paris: Karthala, 1994.

5- Grunebaum (G.Von).- *Le concept de Classicisme culturel*.- premiére édition.- Paris: La Grange – Batelière, 1965.

6- Huart (Cl.).- "Les séances d'Ibn Naqiya".- *Journal asiatique*, 10e, série, tome XII, 1908, pp. 440 – 441.

الفَهـــارِس

فِهرست الأعلام والجماعات

فِهرست الآيات القرآنيّة

فِهرست الأحاديث النبويّة

فِهرست الأمثال

فِهرست الأشعار العربيّة

فِهرست الأشعار الفارِسيّة

فِهرست المحتويات

فِهرست الأعلام والجماعات

فهرست الآيات القرآنيّة

الحجر، ٨٧/١٥	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾.	٣٤٣
الإسراء، ٤٩/١٧، ٩٨	﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾.	١٦٨
الإسراء، ٨٥/١٧	﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.	٢٤٤
كهف، ٧٨/١٨	﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.	٣٨٥
مريم، ١٢/١٩	﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾.	٢٦٢
طه، ١٢١/٢٠	﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.	٢٥٢،٢٥١
الأنبياء، ١٠٧/٢١	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.	١٦٥
النور، ١٦/٢٤	﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾.	٣٣٢،٣٣١
الفرقان، ٦١/٢٥	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾.	٢٤٧
القصص، ٢٤/٢٨	﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.	٢٣٣
العنكبوت، ٤١/٢٩	﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.	١٦٥
الروم، ٢٢/٣٠	﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾.	٢٤٩
الروم، ٥٠/٣٠	﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾.	٢٣٢،١٦٧
لقمان، ١٢/٣١	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾.	٣٨٣
لقمان، ١٩/٣١	﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.	٣٣٢
الأحزاب، ١٨/٣٣	﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾.	٣٧٦
الأحزاب، ٢٣/٣٣	﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.	١٦٧
فاطر، ٣٥/٣٥	﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.	١٨
يس، ٧٩/٣٦	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.	٢٣٢،١٦٨،١٦٧
الزمر، ٧٥/٣٩	﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.	٨١
الحجرات، ١٠/٤٩	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.	٤٥٦

النجم، ١١/٥٣	﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾.	٤٣٣
النجم، ٣١/٥٣	﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾.	٢٣٣
النجم، ٣٩/٥٣-٤٠	﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾.	١٦٥
الواقعة، ١٧/٥٦	﴿ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾.	٣٣١
التحريم، ٧/٦٦	﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.	١٦٥
الجن، ٨/٧٢	﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾.	١٦٦
المدثر، ٥٦/٧٤	﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾.	١٦٦
النبأ، ١٤/٧٨	﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾.	١٦٦
النازعات، ٤٠/٧٩	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾.	١٧

فِهرست الأحاديث النبويّة

فِهرست الأمثال

أولاً – الأمثال العربيّة

الصفحة

ثانياً – الأمثال الفارسيّة

فِهرست الأشعار العربيّة

الصفحة	القائل	البحر	آخره	أوّل البيت
			(ء)	
٣٢٧	الحَميدي	الوافر	اللّوّاء	رُوَيْدَك
٢٥٦، ٢٧٤	الحَميدي	مخلّع البسيط	بِالضّياء	يَلُوحُ
			(ب)	
٧٦	الوَهْراني	الطويل	نَسيبُ	أجارَتَنَا
١٠٤	محمّد المويلحي	الطويل	أقْرَبُ	إذا رامَ
١٤١	الحَميدي	الخفيف	خُطُوبُ	عَنْ هَوَى
١٨٠، ١٨٣	الحَريري	المنسرح	رِيَبُ	أنَا امْرُؤٌ
١٨٠	الحَريري	المنسرح	الخُطَبُ	ورأسُ مَالي
٢٧٠	الحَميدي	الطويل	مُرِيبُ	ألا إنّ أمْرِي
٣٤٧	الحَريري	الكامل	خَلاّبُ	فَلِهَذا يُحَبُّ
٣٢٧	الحَميدي	السريع	مَحْبُوبَهْ	البُرُّ مِنْ
٢٠	سلامة بن جندل السعدي	البسيط	مَطْلُوبِ	أوْدَى
٧٩	القلقشندي	الكامل	الكُتّابِ	إنْ كُنْتَ
٢٦٣	الحَميدي	الوافر	الصَّوَابِ	إذَا غَلَبَ
٢٦٥	الحَريري	البسيط	لِلْخَطَبِ	وقَادِرِينَ
٢٦٥	الحَريري	البسيط	الكُتُبِ	وكاتِبِينَ
٢٦٥	الحَريري	البسيط	خَبَبِ	ورَاكِباً
٢٨٨	الحَريري	البسيط	العَطَبِ	وكَمْ مَشَايِخَ
٢٧٩	الحَريري	مجزوء الرجز	مَشْرَبي	فَلَوْ بَلَوْتُمْ
٣٠٢	الحَميدي	البسيط	العِنَبِ	فَوْقَ المَنَاصِيبِ
٣٠٣	المتنبّي	البسيط	العِنَبِ	وَإنْ تَكُنْ
٤٦٣	النابغة الذبياني	الطويل	الكَواكِبِ	كِلِيني
٣٤٨	الحَريري	مجزوء الرجز	خِصْبِهِ	فَلا خَلا
٣٣٥	الحَريري	الطويل	مَصَابِهِ	وَلا تَلْهَ
٣٣٦	الحَريري	الطويل	قِبابِهِ	وَإنْ قُصَارَى

مِنْ حِكاياتِ	مقلّوبَهْ	الخفيف	الحَميدي	٥٧، ٢٧٥
دَنَسٌ	لا يُهَابْ	مجزوء الكامل	ناصيف اليازجي	١٠٢
فَقَدْرُ المَرْءِ	كَالعقَارِبْ	الوافر	الحَميدي	٢٥٧، ٣٥٦
	(ت)			
أستَغفِرُ اللهَ	اعتَنَيْتُ	مخلّع البسيط	الحَريري	١٨٦
يا مَنْ تَظَنّى	رَوَيْتُ	مخلّع البسيط	الحَريري	٣٩٦
يا أرْضَ بَلْخٍ	المَسَرّاتِ	البسيط	الحَميدي	٣١٣
لا تَحقِرَنَّ	سُبْرُوتا	البسيط	الحَريري	٢٢٠
أمِطْ عَنِ	مَوَاقِيتا	البسيط	الحَميدي	٢٥١، ٣٥٦، ٤٥٧
	(ج)			
مَسقَطُ الرأسِ	أمُوجُ	مجزوء الرمل	الحَريري	١٨٠، ٢٥٤، ٣٢٠
وتَمتَطِي	مِنْهَاجَا	البسيط	الحَريري	٤٥٤
تَعَارَجْتُ	الفَرَجْ	المتقارب	الحَريري	٣٣٧
	(ح)			
وكُنْتُ	المُتَاحِ	الوافر	الحَميدي	٣١٤
نَهاني	الرّاحِ	البسيط	الحَريري	٣٣٤
فَلاحَ	الجَنَاحِ	الوافر	الحَميدي	٣٦٨، ٤٤٨
وَلاحَ	لاحِي	البسيط	الحَريري	٣٢٥
إسْمَعْ	فَصيحْ	السريع	الحَميدي	٢٣٢، ٢٦٣، ٣٢٧
فَقُلْتُ	رَبِحْ	الرجز	الحَميدي	٢٥٨
أغْدُ	السَّمَاحْ	السريع	الحَريري	٢٨٦، ٣٤٥
كأنّما	أقَاحْ	السريع	البحتري	٣٠١
باتَ	الوِشَاحْ	السريع	الحَريري	٣٠١
لَزِمْتُ	الفَرَحْ	المتقارب	الحَريري	٣٥٢
وَاهاً	الصَّلاحْ	السريع	الحَريري	٣٧٦

(د)

باهِي	مُسْنَدُ	مجزوء الكامل	ناصيف اليازجي	١٠١
زُيِّنَتْ	يَهُدُّ	الخفيف	الحَريري	٢٣٨، ٣٣٩
دَعْ ذِكْرَهُنَّ	وُجُودُ	الكامل	الحَميدي	٢٦٤
فَفِي كُلِّ	واحِدٌ	المتقارب	أبو العتاهية	٣٠٢
وَحيدٌ	المُساعِدُ	الطويل	المتنبّي	٣٠٣
عواذِلُ	لَماجِدُ	الطويل	المتنبّي	٣٠٣
أنَا السَّرُوجِيُّ	الأَسَدِ	الرجز	الحَريري	٢١٨
يَا مَنْ سَمَا	الزِنَادِ	المجتثّ	الحَريري	٢٨١، ٢٨٧
فَأَمْطَرَتْ	البَرَدِ	البسيط	الحَريري	٤٥١
يا خاطبَ الدُّنيا	الرَّدَى	مجزوء الكامل	الحَريري	٢٣٩، ٣١٨، ٣٩٦
فَانْخَرَمَتْ	مِقْوَدَها	المنسرح	الحَريري	٢٨٠
لَبِسَ الشِّتاءُ	بُرُودا	الكامل	علي باخَرزي	٣٠٤
مَنْ ضامَهُ	صَعْدَهْ	السريع	الحَريري	٣١٩
عَلَيْكَ	الوَعيدْ	السريع	الحَريري	٣٧٧

(ر)

فَقُلْتُ	ناظِرُ	المتقارب	الحَميدي	٥٧، ٤٣٣
هَيْفَاءُ	فاتِرُ	الكامل	الحَميدي	٢٧٥
نَدِمْتُ	نَوَارُ	الوافر	الحَريري	٤٢٧
حَيِّ الدِّيارَ	دِيارُ	الكامل	الحَميدي	٤٣٣
إذا مُتُّ	اليَسَارُ	الوافر	الحَميدي	٤٦٨
ثَوْبُ	الكِيَرِ	البسيط	ابن دُرَيْد	٣٩
يا خاطب الدُنيا	الأكدارِ	الكامل	الحَريري	٢٣٩، ٣١٧
فَلاحَ لَيْلٌ	الدُّرَرِ	البسيط	الحَريري	٤٥٠
ثَمَانٍ	مُقَدَّرَا	الطويل	الحَميدي	٢٤٥
لا تَبْكِ	دَارَا	المنسرح	الحَريري	٣٣٤
فَدُونَكُمْ	أَمَرَّا	الرجز	الحَريري	٣٧٧

(ع)

الجُرْحُ	الراقِعِ	السريع	الحَميدي	٢٧٠
خَلٌ	المُرْتَبِعِ	مجزوء الرجز	الحَريري	٣٥٢
يُعَانِقُ	اجْتِمَاعَا	الوافر	الحَميدي	٢٧٣
يا مَنْ يُشَارُ	البَرَاعَهْ	مجزوء الكامل	الحَريري	٢٨١
وإنْ تَكُ	خُدِعْ	الطويل	الحَريري	٤٢٤

(غ)

فَبِتُّ	سَائِغَهْ	الطويل	الحَميدي	٣٥٧، ٤٦٣

(ف)

سَيِّدٌ	عَيُوفُ	الخفيف	الحَريري	٢٣٧، ٣٤٧
إسْمَحْ	تَضَيَّفْ	مخلّع البسيط	الحَريري	٢٣٨، ٣٤٦
وَاخْضَعْ	المُقْتَرِفْ	مجزوء الرجز	الحَريري	٣٩٥

(ق)

قَمَرٌ	يَرْمُقُ	الرمل	ناصيف اليازجي	١٠١
لا لِعُهُودِ	يُشْفِقُ	السريع	ناصيف اليازجي	١٠٢
فَإنْ وَصْلاً	الطَّلاقِ	الوافر	الحَريري	١٥٢، ٢٨٥
حَسِبْتُهَا	الوَرَقِ	البسيط	الحَميدي	٢٤١، ٢٧٥
تَبّاً لَهُ	المُنافِقِ	الرجز	الحَريري	٣٢٤
فَأَيْنَ	بَقُوا	الطويل	الحَميدي	١٨٧، ٤٢٣

(ك)

دَعْ	أتْراكُ	البسيط	الحَميدي	٢٦٤

(ل)

وَفيهِمْ	الفِعْلُ	الطويل	زُهير بن أبي سلمى	١٨
لَقَدْ أَقُومُ	الفيلُ	البسيط	كعب بن زُهير	١٩
وَجَارِيةٍ	قُفُولُها	الطويل	الحَريري	٢٨٨
أَقُولُ	الحَوْلِ	الرجز	الحَريري	٧١
فَهَلْ حُرٌ	بِمِثْقَالِ	الهزج	الحَريري	٢١٥
ويُطْفِي	سِرْوَالِ	الهزج	الحَريري	٣٣٧

لم يَبْقَ	مُعِينُ	مجزوء البسيط	الحَريري	٣٣٨، ٣٤٢
هَمَذانُ	البُلدانِ	الكامل	بديع الزمان الهمذاني	٤٥
قُلْ لِوالِ	اليَدَيْنِ	الخفيف	الحَريري	٣١١
فَتَنَتْني	تَجَنِّي	الخفيف	الحَريري	٢٣٨، ٢٨٦، ٣٤٤
فَمَشْغُوفٌ	المَثَاني	الوافر	الحَريري	٣٤٣
ومُضطَلِعٌ	عَاني	الوافر	الحَريري	٣٤٤
لكنَّ قَوْسَ	هُنا	المنسرح	الحَريري	٣٣٨
أشْكُو	عُدْوانَهُ	السريع	الحَريري	٢١٥
لِلّه مَنْ	جُنَّهْ	السريع	الحَريري	٣٤٢
وطارِقاتُ	شَيْطانْ	البسيط	الحَميدي	٣٦٦
وَدُونَكَ	العِنَانِ	الوافر	الحَريري	٣٧٧
وَمُنْتَسِبِ	مِنْهَا	مجزوء الوافر	الحَريري	٢٦٦
	(هـ)			
رَجُلٌ	أبِيْهِ	الخفيف	الحَريري	٢٤٣
أيُّهَا العَالِمُ	شَبِيهِ	الخفيف	الحَريري	٢٨٦
قُلْ لِمَنْ	تُخْفِيهِ	الخفيف	الحَريري	٢٨٦
	(و)			
بُنَيَّ	النَّوَى	الطويل	الحَريري	٣٥٠
	(ي)			
يَا أخِي	بَدَوِيُّ	مجزوء الرمل	ابن شُهَيد	٦٦
فَحِكْمَتُهُ	غايَةْ	السريع	الحَميدي	٣٠٢
فَقُلْتُ	الثَّنَايَا	الوافر	الحَميدي	٤٥٥

فِهرست الأشعار الفارسيّة

به سُخَنهای	بُود	خفيف مسدّس مخبون محذوف	الحَميدي	٣٥٤
	(ر)			
نَه هَركه گام	دَر	مجتثّ مسثمّن مخبون محذوف	الحَميدي	٣٨١، ٣٨٧
	(ز)			
چَرخ وزَمين	فَراز	مضارع مثمّن أخرب مكفوف محذوف	الحَميدي	٣٨٦
	(ش)			
شِكَربِترازوى	مَهْوَش	هزج مثمّن أخرب مكفوف مجبوب	الحَميدي	٣٥٨
	(م)			
چيست آن	ابتسام	رمل مثمّن محذوف	الحَميدي	٢٦٧
بَرخاكِ زمين	مى ديدم	هزج مسدّس أخرب مقبوض محذوف	الحَميدي	٣٥٤
بِمژگانِ سِياه	برچينم	الهزج	حافظ الشيرازي	٣١٧
بيا تا گُل	دراندازيم	الهزج	حافظ الشيرازي	٣١٧
دَست دراز	نيم	السريع	سعدي الشيرازي	٨٦
	(ن)			
با مايه خود	دِگران	هزج مثمّن أخرب مكفوف محذوف	الحَميدي	١٣٧
معلومِ مَن نشد	جَهان	هزج مثمّن أخرب مكفوف محبوب	الحَميدي	١٤٢
بادل گفُتم	بَركَن	هزج مثمّن أخرب مكفوف محذوف	الحَميدي	٣٥٥، ٤١٦
چيست آن	ديگرِگون	خفيف مسدّس مخبون محذوف	الحَميدي	٢٦٦
	(هـ)			
قَدّى چوكمان	تَفْتِه	هزج مثمّن اخرب مكفوف محذوف	الحَميدي	٤١٦
	(ي)			
همه عالَم	بودي	هزج مثمّن سالم	الحَميدي	٤٠٦
گرانگُشت	نگيني	الوافر	حافظ الشيرازي	٣١٧

فِهرست المحتويات

عنــوان	صفحــة